الكنز
الثاني

كنوز اليمامة

سطور المشاهير



سلسلة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

سطور المشاهير



إعداد

مركز الرياض للمعلومات
والدراسات الاستشارية

مؤسسة اليمامة الصحفية

كنوز اليمامة



المشاهير.. في هذا الكتاب

الأمير احمد الثنيان	دبلوماسي بمرتبه رجل دولة	ص ٥
محمد طاهر الدباغ	أبرز مؤسسي الحركة التعليمية في المملكة	ص ٦
عبدالله بن سليمان البليهد	القاضي والمستشار في زمن التأسيس	ص ٧
عبدالله السليمان	أول وزير وأقرب رجال الملك عبدالعزيز مكانه وثقة	ص ٨
عبدالرحمن القصيبي	وكيل الملك عبدالعزيز في البحرين وشيخ اللؤلؤ	ص ٩
محمد سرور الصبان	رائد الأدباء في مكة ورجل دولة	ص ١٠
محمد بن صالح الشلهوب	رجل دولة	ص ١١
إبراهيم بن معمر	رجل دولة	ص ١٢
رشيد بن ليلى	رجل دولة	ص ١٣
الشيخ محمد المانع	أبرز علماء عصره	ص ١٤
عبدالله عقيل	امير البيارق	ص ١٥
عبدالوهاب أبو ملحة	أمين بيت المال	ص ١٦
أحمد الغزاوي	شاعر الوطن	ص ١٧
عباس قطان	أمين العاصمة المقدسة	ص ١٨
ناصر بن دغيثر	مناضل وقائد النجديين في معركة ميسلون	ص ١٩
عبداللطيف المنديل	باشا	ص ٢٠
عبدالله النفيسة	عمعوم	ص ٢١
عبدالله بلخير	مترجم الملك عبدالعزيز	ص ٢٢
عبدالله آل فضل	مهندس العلاقات السعودية المصرية	ص ٢٣
محمد حسين نصيف	وجيه جدة	ص ٢٤
عبدالعزيز آل إبراهيم	ذراع ابن سعود	ص ٢٥
حسين با سلامة	مؤرخ الحرمين	ص ٢٦
عبدالله بن رشيد	رفيق الإمام فيصل بن تركي	ص ٢٧
حافظ وهبة	أول سفير للمملكة في بريطانيا	ص ٢٨
قرناس بن عبدالرحمن	خطيب	ص ٢٩
صالح بن عذل	باشا	ص ٣٠
حمزة غوث	الصحفي والمستشار والدبلوماسي	ص ٣١
عبدالوهاب حلواني	المعني بشؤون الملك	ص ٣٢
فوزان السابق	عميد السلك الدبلوماسي	ص ٣٣
محمد الطيب الانصاري	الطبيب التنبكتي	ص ٣٤
تركي بن عبدالله الهزاني	أمير الحريق	ص ٣٥
حسين بن سعيد بن حسين	امير بلدة عودة سدير	ص ٣٦
رميزان بن غشام	باني سد السبعين	ص ٣٧
عبدالله الحلوان	أبو السرايا	ص ٣٨
عمر بن عباس السقاف	دبلوماسي	ص ٣٩
صالح شطا	أول مدير معارف في العهد السعودي	ص ٤٠
أحمد القاري	معاون أمين الفتوى	ص ٤١
الأميرة سارة السديري	والدة المؤسس	ص ٤٢
حزام العجالين	نصير المحتاجين	ص ٤٣
محمد العامودي	أديب الحجاز ورائد مثقفي الرعيل الأول	ص ٤٤
محمد كردي	الشخصية المعرفية	ص ٤٥
عبدالله العمودي	القاضي والمصلح	ص ٤٦
حمد بن لعبون	شيخ المؤرخين النجديين	ص ٤٧
عبدالمنعم بن ناقي	أمير القرين	ص ٤٨



المشاهير.. في هذا الكتاب

أبوبكر خوقير	رائد العلم والدعوة	٤٩ ص
محمد الأفريقي	قائد سرية الإنقاذ	٥٠ ص
غالية البقمية	المرأة الحديدة	٥١ ص
أحمد بن دعيج	شاعر التاريخ والأدب	٥٢ ص
عبدالله خياط	معلم رجال الدولة	٥٣ ص
محمد كتبي	موسوعة العلم والقضاء	٥٤ ص
بخروش بن علاس	قائد معارك الجنوب	٥٥ ص
علياء الشمرية	المرأة المناضلة	٥٦ ص
عبيد مدني	مؤرخ المدينة النبوية	٥٧ ص
عبدالله البسام	مؤرخ نجد	٥٨ ص
الأمير عبدالله بن جلوي	رفيق المؤسس	٥٩ ص
أحمد الكاظمي	احد ابرز علماء ورواد الحركة العلمية في القرن الماضي	٦٠ ص
هويدية آل زميكان	سند الإمام تركي بن عبدالله	٦١ ص
محمد الشويرخ	تاجر العقيلات	٦٢ ص
فهد المارك	قائد الفوج السعودي لإنقاذ فلسطين	٦٣ ص
محمد صالح نصيف	رائد الصحافة في الحجاز	٦٤ ص
محمد علي زينل	تاجر اللؤلؤ	٦٥ ص
وضحى آل عريعر	أم الضعفاء والمحتاجين	٦٦ ص
عبدالله الجفالي	رحل من عنيزة على ظهر "ناقة" وعاد إليها بـ "للرسيدس"	٦٧ ص
عبدالله الخليفة	تاجر الغربة	٦٨ ص
إبراهيم القاضي	مؤرخ القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين	٦٩ ص
طاهر زمخشري	الأديب والشاعر والإعلامي	٧٠ ص
طامي بن شعيب	البيرق	٧١ ص
نورة بن عبدالله بن رشيد	عزوة محمد	٧٢ ص
إبراهيم بن عيسى	موسوعة التاريخ والأنساب	٧٣ ص
الفريق سعيد جودت	رجل المواقف الصعبة	٧٤ ص
نهار النصار	طيار الملوك	٧٥ ص
عبدالله أبوعبيد	الدبلوماسي المحنك	٧٦ ص
محمد القزاز	رجل الخير والعلم والزهد	٧٧ ص
عبدالله باحمدين	صائد الفرص التجارية	٧٨ ص
محمد عواد	رائد التجديد في الادب الحجازي	٧٩ ص
ثلاب العجالين	المحارب الجسور	٨٠ ص
محمد الشاوي	موسوعة العلم والأدب	٨١ ص
حمد البسام	أول طبيب نجدى	٨٢ ص
عثمان بن بشر	المؤرخ والأديب وخبير الانساب	٨٣ ص
عبدالحق الهاشمي	شيخ العلم والحجة والبرهان	٨٤ ص
سليمان الدخيل	أول صحفي سياسي في نجد	٨٥ ص
العميد محمد الثقفي	الرجل الأمين القوى	٨٦ ص
إبراهيم المهنا	تاجر الأحساء	٨٧ ص
عبدالله باناجه	تاجر الجوهرات	٨٨ ص
محمد بن لعبون	أيقونة الشعر	٨٩ ص
عبدالحميد الخطيب	دبلوماسية الشعر والأدب	٩٠ ص
إبراهيم المكي	موسوعة العلم والقضاء	٩١ ص
الطيار سامي حسنين	مساعد قائد (رحلة الموت)	٩٢ ص
محمد القاضي	شاعر نجد	٩٣ ص
رحمت الله الكيرواني	مؤسس المدرسة الصولتية بمكة	٩٤ ص
عمر عبدالجبار	مؤسسة اول مدرسة للبنات بمكة	٩٥ ص



«سطور المشاهير»

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم..
وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

ح مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مؤسسة اليمامة الصحفية
سطور المشاهير. / مؤسسة اليمامة الصحفية - الرياض، ١٤٣٨هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٠٤-٢٦-٢

١- السعودية-تراجم ٢- المقالات العربية-السعودية أ. العنوان
ديوي ٩٢٠,٠٥٣١ ١٤٣٨/٥٠٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٥٠٨٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٠٤-٢٦-٢

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

ولد في «اسطنبول» وعاد إلى نجد أثناء الحرب العالمية الأولى وعاش في الأحساء ومات في الرياض

الأمير أحمد الثنيان.. دبلوماسي بمرتبة «رجل دولة»

■ برز الكثير من الشخصيات التي ساهمت في تشكيل ملامح الدولة السعودية الثالثة، ورسم استراتيجيها السياسية والاجتماعية خلال القرن الماضي، حيث اختار الملك عبدالعزيز في بداية نشأة الدولة الكفاءات البشرية في مختلف المجالات السياسية والأدبية والفكرية، وكان هذا التشكيل هو النواة الأولى لتنظيم ورسم معالم الدولة السعودية الحديثة وارتباطاتها الداخلية والخارجية.

وقدّم أولئك الرجال إنجازات كبيرة وتركوا بصمة محفورة في تاريخ المملكة بمختلف المجالات، وكان اختيار الملك عبدالعزيز لتلك النخب من أبناء الأسرة أو من الرجالات المحيطين به ممن يثق في قدراتهم لتنفيذ المهام الموكلة وتقديم المبادرات البناءة سواء السياسية أو الاجتماعية لجلالة الملك واعتماد ما يراه مناسبا منها.

وفي المجال السياسي فقد استقطب كفاءات ساهمت في دفع عجلة الدبلوماسية السعودية وارتباط المملكة بالعالم الخارجي من ذوي الخبرات السياسية والمعرفة، وانخرطت هذه النخب للعمل مع الملك عبدالعزيز، وتقلدوا مناصب في الداخل والخارج، ومنهم منسوبو ديوان وزارة الخارجية والسفراء والقناصل والمندوبون والوكلاء والمبعوثون والوزراء المفوضون ومنسوبو مجلس المستشارين والشعب السياسية بالديوان الملكي.. وأحد أولئك المخضرمين الأمير أحمد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثنيان آل سعود، الذي تنبأ له الملك عبدالعزيز بدور فاعل في تحديد ملامح الاستراتيجية السياسية الخارجية، ووجد كفاءة تساعده في إدارة الأعمال الخارجية وكلفه بمهام عدة ونجح في كل ذلك.

اختاره الملك عبدالعزيز ضمن مجلس المستشارين وأوفده لمفاوضات «معاهدة دارين» والمشاركة في مؤتمر «محمّرة إيران»

■ ولد الأمير أحمد بن عبدالله الثنيان في "اسطنبول" وتعلم في مدارسها وعاد إلى نجد أثناء الحرب العالمية الأولى، ووجد فيه الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- كفاءة تساعده في إدارة الأعمال الخارجية، وكلّفه بسفرات عديدة، ومنها سفرته للاشتراك في المفاوضات التي دارت مع الإنجليز في أواخر عام ١٣٣٣هـ، ١٩١٥م، ونتج عنها معاهدة دارين أو القطيف، وسافر مع الأمير فيصل بن عبدالعزيز عام ١٣٣٨هـ، ١٩١٩م في رحلته الأولى إلى أوروبا، كما سافر إلى الكويت وبغداد واشترك في مفاوضات مؤتمر "المحمرة "عام ١٣٤١هـ، ١٩٢٢م بين نجد والعراق، ومن بعدها اعتزل العمل السياسي وأقام بالأحساء، وما لبث أن توفي بالرياض عام ١٣٤١هـ، ١٩٢٣م، وبحسب معلومات المؤرخ "عبدالرحمن الرويشد" فإن للأمير أحمد الثنيان من الذكور: عبدالله وعبدالرحمن وعبدالعزيز، ومن الإناث: الجوهرة ومنيرة.

وكان الأمير أحمد الثنيان قد أصيب بإحدى معارك الملك عبدالعزيز، وقد أثر ذلك على مشيته، حيث كان يعرج بشموخ من جراء هذا الجرح الذي كان يفاخر به في سبيل توحيد وطنه، لا سيما وأنه كان يتزيا بهندامه العربي في العواصم الأوروبية، وكان حينها شابا في الثلاثينيات من عمره أبيض ذا شعر طويل ومجدل وحتى وهو في بلاد الترك كان كما يبدو لناظريه رجلا يسري في عروقه دم عربي أصيل، ويبدو لك من خلال زيه وهندامه أنه من أسرة حاكمة من أبناء جزيرة العرب.



الأمير أحمد بن عبدالله الثنيان



الملك فيصل في رحلته إلى لندن وزيارة الوفد السعودي كلية ترينيتي بمدينة إيستبورن المشمسة ويبدو الأمير أحمد الثنيان واقفاً في أقصى يمين الصورة

أسرة آل ثنيان

ونقلاً عن "د. عبدالرحمن الشبيلي" -كاتب وباحث سعودي- أن أسرة آل ثنيان، هي فرع من آل سعود، تلتقي معهم في جدهم الأول سعود بن محمد بن مقرن أبو الأسرة المالكة، ووالد الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة عام ١٧٤٤م، وجد كل الأئمة والأمراء والملوك الثمانية عشر، الذين توالى حكمهم منذ بداية الدولة.

وكان ممن اشتهر من هذا الفرع الأمير عبدالله بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد الحاكم التاسع في تسلسل حكام آل سعود، إذ حكم نجدا مدة عامين (١٨٤٢/١٨٤١م)، وذلك إبّان الدولة السعودية الثانية، ثم اشتهر منه حفيده: محمد بن عبدالله بن الأمير عبدالله بن ثنيان، والد الأميرة عفت (حرم الملك فيصل رحمه الله)، كما عرف منه حفيده الثاني: أحمد الثنيان الذي يظن كثير من المؤرخين أنه والد الأميرة عفت والحال أنه عمها المباشر، كما اشتهر منه حديثاً حفيدان: عبدالعزيز بن سليمان الثنيان وكيل وزارة الخارجية الأسبق الذي أصبح سفيراً في إسبانيا (توفي عام ٢٠٠٠م)، وسعود بن عبدالله الثنيان، رئيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع حالياً.

ويؤكد "الشبيلي" عدم توفر المعلومات الوافية عن سنة ميلاد الأمير أحمد وسيرته، إلا أن أسرته كانت قد هاجرت إلى تركيا في حدود عام ١٨٤٣م، فولد ونشأ في اسطنبول، وتعلّم هناك، وأتقن التركية والفرنسية والإنجليزية إلى جانب العربية، ثم عاد إلى نجد بعد عشرة أعوام من استقرار الحكم للإمام (الملك) عبدالعزيز، الذي كان قد استعاد الرياض عام ١٩٠٢م. وتكمن أهمية أحمد الثنيان في كونه من أوائل أعضاء الأسرة الحاكمة الذين حصلوا على التعليم الحديث، وعلى إجادة لغات أجنبية سهلت له المهمات السياسية التي كُلف بها.

كتب المؤرخين

ويشير الباحث "عبدالرحمن الشبيلي" إلى عدد من المؤرخين تناولوا سيرة الأمير أحمد الثنيان وكتبوا عنه وذكر منهم: "خير الدين الزركلي" و"أمين الريحاني" و"جيرالد دوغوري" و"د. عبد الله العثيمين" و"عبدالرحمن الرويشد"، كما أورد الباحث العراقي المعروف "نجدة فتحي صفوة" نبذة مختصرة عن سيرته في المجلد الرابع من سلسلة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، (دار الساقي ١٩٩٩م لندن)، مع الإشارات الكثيرة التي وردت بشأنه في تلك الوثائق.

كما يذكر الباحث "الشبيلي" أنه لُقب بعد عام ١٩٢٥م بأحمد الثنيان آل سعود، وكانت بداية لدخول عدد كبير من المستشارين السعوديين والعرب والأجانب في الديوان الملكي السعودي؛ للإسهام في تسيير مختلف الأعمال الإعلامية والسياسية والإدارية عند تأسيس المملكة العربية السعودية.

وجاء تأسيس الشعبة السياسية في الديوان الملكي في أواخر العشرينيات؛ نظرا للحاجة إلى إدارة تساعد في التعامل مع كثرة الوثائق والاتفاقيات، وتتولى هذه الشعبة أعمال (وزارة خارجية)، ولكن بشكل مصغرة وبمرافقة الملك ومشورته أولا بأول، ثم بعد ذلك أنشئت وحدة لرصد ما ينشر في الصحف من أخبار ومتابعة التقارير الإعلامية.

مرافقة الأمير فيصل

كان للملك عبدالعزيز -رحمه الله- رؤية ثاقبة في ابنه الأمير فيصل وقد اختاره وهو لم يزل صغيراً لمهام سياسية كبرى؛ كإجراء المفاوضات مع الأوروبيين بعد الانتصار في الحرب العالمية الأولى لبحث بعض الأمور السياسية، وهدف الملك عبدالعزيز من ذلك تدريب، وتأهيل ابنه الأمير فيصل في الجانب السياسي ومعرفة دهاليز السياسة والخوض في معتركها. وقد كلف الملك عبدالعزيز الأمير أحمد الثنيان وعبدالله القصيبي بمرافقته، وكان القصيبي من إقليم الأحساء من عائلة عرفت بالتجار وهو جد الوزير غازي القصيبي وقد أوعز له الملك مهمة أخرى تمثلت في بعض المشتريات لبلاط الدولة، فما أن عاد الوفد إلا وقد وصلت أول سيارة للرياض من نوع فورد.

رافق الأمير أحمد الثنيان الوفد مع الأمير فيصل في أول رحلة سياسية تاريخية قام بها إلى أوروبا، حيث وجهت الحكومة البريطانية للملك عبدالعزيز دعوة لزيارة لندن في شهر يوليو عام ١٩١٩م، ونزلوا في ضيافة ملك بريطانيا (جورج الخامس)، كما أوعز الملك عبدالعزيز للأمير أحمد الثنيان مهمة شرح موقف الملك من نزاع الخرمة أمام وزارة الخارجية البريطانية، كما سبق وأن كلفه بمهمات سياسية في الكويت والعراق، ومهمة الإشراف على انسحاب الأتراك من مقاطعة الأحساء.

ذهب الوفد إلى المملكة المتحدة عبر سفينة بخارية من البحرين إلى "موبي" في رحلة استغرقت عشرة أيام، مكثوا خلالها عشرة أيام أخرى في بلاد الهند زاروا فيها معالم البلاد وأقاموا في مدينة "بونا" بفندق تاج محل، وسافروا بالقطار إلى أن استقلوا باخرة أخرى أقلتهم عبر قناة السويس إلى إنجلتر، ونزلوا بصحبة مرافقهم "همفري باومان" بعدة أماكن وكتبت الصحف البريطانية مثل "ديلي غرافك" و"التايمز" عن مكانة الوفود الزائرة، لا سيما الوفد السعودي الذي حضي بعدها بحفاوة وضيافة الملك الإنجليزي "جورج الخامس" الذي سعى لدعوة ضيوفه السعوديين لزيارته في قصر "باكنغهام" ظهيرة يوم الخميس ٣٠ أكتوبر الذي قدّم فيه الملك فيصل للملك الإنجليزي "جورج الخامس" هدية هي عبارة عن سيف مرصع باللؤلؤ، وغمد ومقبض من الذهب الخالص جريا على العادات والتقاليد العربية النبيلة، وقد حضر الوفد خلال هذه الزيارة المؤتمرات المعدة له سلفاً وفق ما أمر به الملك عبدالعزيز، وكان الأمير أحمد الثنيان مرافقاً للأمير فيصل في جميع مهامه ومتابعا لكل ما يدور في الجلسات وفق ما أوصاه به الملك عبدالعزيز، حتى أنه لم يفارق الملك فيصل في الزيارات غير الرسمية والسياحية، حيث زار الوفد خلال الرحلة عدداً من المرافق والمعالم في لندن وحتى العاصمة الفرنسية باريس.

معاهدة دارين أو القطيف

كان الملك عبدالعزيز قد أوفد الأمير أحمد الثنيان للاشتراك في المفاوضات التي دارت مع الإنجليز في أواخر عام ١٣٣٣هـ، ١٩١٥م، ونتج عنها معاهدة دارين أو القطيف بين الملك عبدالعزيز و"السير بيرسي كوكس" المقيم السامي في العراق، مصطحباً معه "فيلبي" -في زيارته الأولى للجزيرة العربية-، ونصت المعاهدة على اعتراف الحكومة البريطانية بأن مناطق نجد والأحساء والقطيف والجبيل تابعة للسعودية، وحدثت هذه المعاهدة عند بلدة دارين في جزيرة تاروت المقابلة لميناء القطيف على ساحل الخليج العربي، ولذلك سميت بمعاهدة دارين أو معاهدة القطيف، وقد ألغيت معاهدة دارين بتوقيع معاهدة جدة عام ١٩٢٧م، التي اعترفت بموجبها بريطانيا باستقلال مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها كاملاً.

مستشار الملك عبدالعزيز

ضم مجلس المستشارين الذي شكله الملك عبدالعزيز نخبة أبناء الوطن المتعلمين وذوي الدراية إلى جانب بعض النخب من جنسيات عربية مختلفة، ومنهم -على سبيل المثال لا الحصر- الأمير أحمد الثنيان، الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، خالد السديري، إبراهيم المعمر، فؤاد حمزة، حافظ وهبة، عبد الله الدملوجي، حمزة غوث،وغيرهم، وكان الملك يناقشهم ويشاورهم في الأمر ثم يقرر.

مؤتمر المحمرة بإيران

أوفد الملك عبدالعزيز عام ١٩٢٢م، الأمير أحمد الثنيان للمشاركة في مؤتمر المحمرة بإيران الذي عُقد بين سلطنة نجد والعراق إبان الاحتلال البريطاني للعراق للتفاوض حول قضايا الحدود والعشائر المقيمة في تلك المناطق، ولكن الملك عبدالعزيز رفض بعض بنود الاتفاقية ما أدى إلى انعقاد لقاء آخر -سعودي عراقي بريطاني- في ديسمبر، في مفاوضات مباشرة بين الملك عبدالعزيز و"بيرسي كوكس" وبحضور بعض الشخصيات العراقية، أسفرت عن اتفاقية العقير (ديسمبر ١٩٢٢م).



رحلة الملك فيصل الشهيرة إلى لندن ويبدو الأمير أحمد الثنيان جالساً



الملك فيصل لدى وصوله إلى لندن يرافقه الأمير أحمد الثنيان



الملك فيصل خلال زيارة أوروبا حيث نزل في ضيافة ملك بريطانيا (جورج الخامس) ومعه الأمير أحمد الثنيان

رافق الأمير فيصل في أول رحلة سياسية إلى أوروبا ونجح في مهمته
يعرج بشموخ بعد إصابته في معارك التوحيد ويفاخر بها أمام العالم..

عم «عفّت» زوجة الملك فيصل.. وقصة شقيقه عبدالله

■ لكي تعرف الأمير أحمد بن عبدالله الثنيان لا بد أن تعود إلى أسرة آل ثنيان التي هي فرع من آل سعود، تلتقي معهم في جدهم الأول: سعود بن محمد بن مقرن أبو الأسرة المالكة، ووالد الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية عام ١٧٤٤م، كما لا بد أن تقف عند جده الأمير عبدالله بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد الحاكم التاسع في تسلسل حكام آل سعود، الذي حكم الرياض قرابة عامين قبل عودة الإمام فيصل بن تركي الثانية إلى نجد، حيث سعى الإمام فيصل بن تركي بعد عودته إلى الرياض إلى استعادة كامل إمارته في نجد وخارجها، وكان الأمير عبدالله بن ثنيان قد توفي بعد عودة الإمام فيصل بن تركي، وقد ولد للأمير عبدالله بن ثنيان بعد وفاته ابن حمل ذات الاسم "عبدالله" ليصبح اسمه عبدالله بن عبدالله بن ثنيان، وهو الذي سافر إلى الهند في أعمال تجارية وهناك -كما يقول المؤرخ "أليكسي فاسيليف"- أدرج المسؤول البريطاني اسمه في قائمة القادمين إلى شبه القارة الهندية التي كانت تحت الاحتلال البريطاني، وقد اتصل هذا المسؤول الانجليزي بممثل الإمبراطورية العثمانية في الهند، وابلغه أن الأمير عبدالله بن ثنيان وصل إلى الهند قادما من الرياض، وقد خلط هذا المسؤول البريطاني بين الابن وأبيه لتشابه الاسم، ما حدا بالأتراك إلى طلبة في اسطنبول، التي ما أن وصلها إليها إلا ويتضح أنه عبدالله الابن وليس الأب الذي كان يحكم نجد قبل سنوات قليلة، ما دعا العثمانيين أن يقرّوا له الإقامة في اسطنبول، وهناك تزوج من امرأة "جورجية" ولدت له خمسة أبناء وبنتا واحدة اسمها جوهران، ومن أبنائه الخمسة كان الأمير أحمد، الذي سمع بانتصارات ابن عمه "الملك عبدالعزيز" فجاء وكله حماس وعزيمة على مناصرته، وفعلا استطاع الأمير الشاب أحمد أن يصل إلى الكويت ومن ثم البحرين إلى أن وصل إلى بلاط الملك المؤسس في ثلاثينيات القرن الماضي، وكان لأحمد شقيق اسمه محمد تزوج من امرأة شركسية اسمها "آسيا" وكان طبيبا وقيل دبلوماسيا في اسطنبول، وقد توفي في حرب مصطفى كمال ضد اليونان، وترك ابنته البكر "عفت" التي تزوجها فيما بعد الملك فيصل "رحمه الله" وأنجبت له أبناءه (محمد، سعود، عبدالرحمن، بندر، تركي)، وبناته (سارة، لطيفة، لولوة، هيفاء)، كما ترك محمد ابنا آخر اسمه "زكي"، أما الابن "أدهم" فكان ابن زوجته التي تزوجت فيما بعد من إبراهيم أدهم، وكانت الأميرة "عفت" امرأة عصامية متعلمة تحملت مع والدتها مسؤوليات أسرتها منذ صغرها وقد أشرفت على تربية أخوتها لا سيما الشقيق "زكي"، وغير الشقيق "أدهم"، ولها رحمها الله أياد بيضاء في تعليمهم وتنشئتهم.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أسّس مدرسة تحضير البعثات الخارجية وافتتح المدارس النظامية في شتى أقاليم البلاد

محمد طاهر الدباغ.. أبرز مؤسسي الحركة التعليمية في المملكة

ظل أولئك الرجال من الآباء والأجداد يعملون بجد وإخلاص من أجل مستقبل أكثر إشراقا لبلادهم وأبنائهم، حتى حفروا أسماءهم اللامعة من بين رواد البناء والتأسيس الذين ساهموا جميعاً -بعد توفيق الله سبحانه- في وحدة بلادنا الغالية واستقرار أمنها وأمانها؛ لتشهد مراحل اللبنات الأولى من عهود النشأة والتأسيس أسماء عديدة لعل من بينها المعلم والمربي الفاضل السيد «محمد طاهر بن مسعود الدباغ» -رحمه الله-، أحد أبرز مؤسسي التعليم النظامي في بلادنا، وممن ساهموا بزرع نواة التعليم الأولى في المملكة، وأكثر الرجال الذين خدموا البلاد في مراحل مختلفة ومتعددة، وله الفضل -بعد الله- في تشجيع الحركة التعليمية في بداياتها إبان مرحلة التأسيس، حيث عيّنه الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- مديراً للتعليم، وأكثر ما كان يشغله إزاحة الجهل والأمية عن أبناء الجزيرة وبلاد الحرمين تحديداً، فافتتح المدارس النظامية في مختلف المناطق والقرى، وأسس مدرسة تحضير البعثات الخارجية.. وكان «الدباغ» قبل توحيد المملكة أميناً وسكرتيراً عاماً للحزب الوطني الحجازي الذي حمل الرسالة إلى الشريف «حسين» -رحمه الله- بنفسه وطلب منه التنحي لصالح ابنه «علي» -رحمه الله-.

كلّفه «المؤسس» مديراً للمعارف ثم عضواً في «الشورى» وهو أول من عدّل المناهج ودمج «التحضيرية» والابتدائية بمرحلة واحدة

النشأة الأولى

"محمد طاهر مسعود الدباغ" -تربوي سعودي من مواليد مكة، وقيل الطائف، وذلك في (١٨٩٧م- ١٩٦٦م- الموافق ١٣٠٨هـ- ١٣٧٨هـ)، ويعد "الدباغ" من أعلام النهضة التعليمية، وأحد زعامات النخب الوطنية في الحجاز، ومن أبرز رواد ومؤسسي التعليم النظامي بالجزيرة العربية.

وتبدأ مسيرته التعليمية وكفاحه ورغبته في التعلم عندما تلقى تعليمه الابتدائي في الحرم المكي ثم أكمله بمصر، ثم عاد إلى مكة المكرمة وواصل تعليمه على يد عدد من علماء عصره من شتى أقطار الدول الإسلامية بالحرم المكي، حتى نال إجازة التدريس عام ١٣٣٣هـ، وكان قد حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٣٢٤هـ، ومن أبرز منجزاته -رحمه الله- تحديث التعليم وتطوير المناهج وتوحيد إطارها العام وافتتاح مدرسة تحضير البعثات، وتعديل وتطوير التعليم تدريجيا في كافة مراحلة، واستقدام المؤهلين من الخارج، بالإضافة إلى تأسيس نواة الحركة الكشفية بالمملكة.

ما قبل توحيد المملكة

قبل توحيد أقاليم البلاد وتأسيس المملكة اختير السيد "محمد طاهر الدباغ" ليكون أمينا عاما وسكرتيرا للحزب الدستوري الحجازي الوطني بجدة، برئاسة الشيخ "محمد الطويل"، وكان "الدباغ" أحد مؤسسي الحزب الذي تشكل بعد عام ١٣٤٣هـ، حيث شهدت هذه الفتره تداعيات وتجاذبات سياسية بعد الحرب العالمية الأولى، وقد كان السيد "الدباغ" من أبرز زعامات النخب الوطنية في الحجاز، وبصفته سكرتيرا عاما للحزب، ونتيجة للاضطرابات الأمنية في الحجاز فقد قرر الحزب تنحية "الشريف الحسين" -رحمه الله- عن الحكم سلما من خلال تنازله عن الحكم لابنه "علي"، ووجد أعضاء الحزب صعوبة بالغة في إبلاغ "الشريف" -رحمه الله- بقرار التنازل واعتذر الكثير من الأعضاء بالقيام بهذه المهمة الحسّاسة، فبادر السيد "الدباغ" بإخبار "الشريف الحسين" بقرار الحزب، وقد تردد "الحسين" في بداية الأمر، ولكنه رجّح المصلحة العامة ووافق فيما بعد لتسليم السلطة إلى ابنه "الشريف علي"؛ إثر ذلك أصدر "الدباغ" بيانا في الخامس من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ وجهه للعالم الإسلامي ونشرته الصحف المصرية.

شهادة ولي العهد

في عام ١٤٢٧هـ أقامت جامعة أم القرى بمكة المكرمة حفلا تكريميا للراحل السيد "محمد طاهر الدباغ" وسط حضور لافت، سُلط فيه الضوء على لمحات من سيرته العلمية والعملية ومشاركته الفاعلة في بناء مؤسسات الدولة، كما خصص صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ولي العهد في محاضرته التي ألقاها يوم السبت ١٤٢٩/٣/٢١هـ بجامعة أم القرى عن حياة والده الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة، جزءا من المحاضرة عن أعمال وجهود السيد "محمد الدباغ"، وأوضح من خلال المحاضرة سياسة الملك عبدالعزيز في التعامل مع معارضيه إبان مرحلة التوحيد وبناء الدولة، حيث كان يعاملهم بإنسانية وكرم، ويترجم ذلك أن المؤسس -رحمه الله- وضع ثقته فيهم؛ إذ أسند إليهم مناصب قيادية في مجالات الإدارة والتعليم والجيش والمال والتشريفات وغيرها. واستشهد سموه بـ"محمد طاهر الدباغ" الذي كان أحد أفراد حكومة الشريف حسين -رحمه الله-. ولأن السيد "الدباغ" كان صاحب نشاط سياسي قبل توحيد المملكة فقد التحق حين خروجه من الحجاز بحزب الأحرار الذي كان مقره خارج المملكة، إلا أن الملك عبدالعزيز استطاع بحكمة منه أن يحل هذا الحزب ويستقطب معظم أبنائه ويعيدهم لبلاهم ويمنحهم جميعا المناصب الرفيعة؛ ليساهموا هم وأبناؤهم في وحدة البلد، وبناء مؤسساته. وكان "الدباغ" قد خرج من البلد بعد مبايعة أهالي الحجاز الملك عبدالعزيز، حيث غادر هو وبعض الأعيان إلى بلاد متفرقة، وعبّر بعضهم عن رؤاه السياسية وأفكاره عبر الصحف الأجنبية، إلا أن الملك عبدالعزيز أصدر عفوه العام عن جميع أبناء البلد في كافة أقاليمه، لا سيما الذين كانوا في الخارج، وطلب منهم العودة إلى بلادهم معززين مكرمين، وأن بلادهم بحاجة إليهم، وحينها عاد كثير من أبناء الوطن بعد مراسلات مع الملك عبدالعزيز تحدثوا عنها في مقالاتهم ومذكراتهم، وكان من بينهم السيد "محمد الدباغ" الذي استقبل الملك عبدالعزيز طلبه بالترحاب، بل التقى به الملك عند وصوله، وقال له: "أنا أحملك اليوم مسؤولية تعليم هذا الشعب؛ فأرني كيف تعلمه"، وأسند إليه مهمة المعارف، حيث أصدر الملك عبدالعزيز في محرم ١٣٥٥هـ مرسوما ملكيا بتعيينه مديرا عاما للمعارف في المملكة.

مدير تعليم مكة

وإثر عودته من الخارج عين على منصب مدير عام للتعليم من مقر الإدارة العامة بمكة في دار الحكومة بالحميدية، وقد عمل -رحمه الله- على نشر التعليم النظامي في جميع مناطق المملكة وأطرافها؛ فافتتح المدارس الابتدائية النظامية في نجد، وشمل ذلك القصيم وشقراء ثم بادية الحجاز، وحائل والأحساء والجنوب، كما عمل على تعديل المناهج الدراسية وتطويرها، ودعم المعهد العلمي في مكة؛ لكي يتخرج منه المدرسون والقضاة، هذا قبل أن ينشئ مدرسة تحضير البعثات في مكة، وهي أول مدرسة ثانوية نظامية، تؤهل الخريجين، وتمنحهم فرصة استكمال التعليم الجامعي التقني والمتخصص عبر الابتعاث والدراسة إلى جامعات مصر. وللحقيقة فقد اضطلع هؤلاء الخريجون من هذه المدرسة بمهام جسيمة وكبيرة في بناء الدولة، فكان منهم الوزراء والأدباء ورجال الجيش والأمن وكبار موظفي الدولة السعودية وكوادرها المتخصصة الأوائل، الذين سعد الملك عبدالعزيز ومن بعده أبناؤه بهم ومنحوهم المناصب العليا، كما منحوا السيد "الدباغ" مزيدا من الدعم لتطوير قطاع التعليم بكافة أقاليم بلادنا الواسعة والتي كانت آنذاك تعاني من الأمية وندرة المدارس والمعاهد الرسمية وحتى الخاصة.

مدير المعارف

ظل ارتباط السيد "الدباغ" بقطاع التعليم يمثل تحديا مع الذات، حيث ندرة الإمكانيات وكبر المسؤوليات، ولذا فقد مُنح -رحمه الله- كامل الصلاحيات في شأن تأسيس ومن ثم تطوير التعليم في كافة أقاليم المملكة.

وقد تناول الشيخ "عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن خياط" مسيرة الشيخ "الدباغ" العملية، فقال: "عيّنه جلالة المؤسس -طيب الله ثراه- مديرا للمعارف، وفي عهده نشطت فكرة الابتعاث، ثم فكرة استقدام الأساتذة من مصر، وأول بعثة قدمت من مصر أربعة مدرسين ورئيس هو الأستاذ محمد رشوان عام ١٣٧٥هـ -رحمه الله-، واحتفلت بهم المعارف في بهو فندق مصر بأجياد، وحضر الحفل كبار رجالات الدولة، وألقيت الكلمات الترحيبية بالوفد، ثم ألقى رئيس الوفد كلمته التي كرر فيها (جئنا لتعليم أبناء مكة)، وهكذا كان عهد السيد محمد طاهر الدباغ عهد تأسيس وعمل، وكان كل أساتذة المعهدين من المكيين، وأضيف إليهم تلك الصفوة من مصر العزيزة".

مدرسة تحضير البعثات

عمل السيد "الدباغ" منذ استلامه منصبه مدير عام المعارف بمكة المكرمة على نشر التعليم النظامي في جميع مناطق المملكة وقراها، من خلال افتتاح المدارس الابتدائية النظامية، إضافة إلى إنشاء مدرسة تحضير البعثات بمكة التي هيأت الطلاب إلى الابتعاث للدراسة في الخارج، وكان "الدباغ" -رحمه الله- سابع من تولى إدارة المعارف في العهد السعودي بعد كل من السيد:(صالح شطا، الشيخ كامل القصاب، الشيخ ماجد كردي، الشيخ حافظ وهبة، الشيخ محمد أمين خوجة، الشيخ ابراهيم الشوري) -رحمهم الله جميعا-، وبعد فترة السيد "الدباغ" كان فضيلة الشيخ "محمد بن عبدالعزيز بن مانع"، وبعده تحولت مديرية المعارف إلى وزارة، وكان أول وزير لها صاحب السمو الملكي الأمير "الملك" فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله-.

ومع اهتمام السيد "محمد طاهر الدباغ" بمجانية التعليم، إلا أن دوره في نشر المدارس والمعاهد الأهلية كان واضحا، حيث التنوع في المدارس وتخفيف الضغط على المدارس الحكومية، من خلال التحاق أبناء الميسورين في تلك المدارس الأهلية، وترك الفرصة لأقرانهم للالتحاق بعامة المدارس الحكومية، بل لقد ساهم حين شبابه -رحمه الله- في دعم التعليم الأهلي، من خلال التحاقه بالتدريس بمدرسة الفلاح بالحجاز، ثم أنه عُيّن مديرا لها، وذلك نظير جهوده الدؤوبة وكفايته وإصراره على تطوير المدرسة ونشر المعرفة، وقد كانت مدرسة الفلاح تضم كبار الأساتذة والمدرسين، بل وخرّجت جيلا من الأدباء والمفكرين الذين ساهموا في إثراء الساحة الأدبية والفكرية آنذاك، من خلال المؤسسات التعليمية والإعلامية، إضافة إلى العديد من رجال الدولة المرموقين في مراحل التأسيس. وتعود فكرة إنشاء المدرسة إلى رغبة التاجر المعروف "محمد زينل"؛ لنشر التعليم ومكافحة الجهل والأمية في بلاد الحرمين الشريفين مطلع العشرينيات من القرن الماضي، وقد ساعدته في تلك زوجته السيدة "خديجة عبدالله زينل"، ويذكر بعض الباحثين أن السيدة "خديجة زينل" قدمت حليها ومصاغها لشراء مبنى المدرسة وتمويلها.

في أندونيسيا

يذكر الأديب "عمر عبد الجبار" -مؤسس مدرسة الزهراء بمكة المكرمة- في حديث له عن السيد "محمد بن طاهر الدباغ" أنه "بعد مغادرته البلاد استقر في مدينة (بايوواغي) في جاوا مدة خمس سنوات ثم غادرها وأسرته؛ بسبب الاستعمار الذي أطبق على أندونيسيا، وخلال فترة تواجده بـ(جاوا) أسندت إليه إدارة إحدى المدارس العربية هناك، ولم يكتف السيد الدباغ بمناهج التعليم التقليدية الموجودة، بل قام بإضافة ألوان أخرى إليها من النشاط المدرسي كفنون الخطابة والإلقاء والمسرح والصحافة والرحلات"، ويشير الأستاذ "عمر عبد الجبار"، قائلا: "كنت إذ ذاك في عام ١٣٥٠هـ وضعت كتبا مدرسية للمدارس العربية في اندونيسيا تتمشى مع رغبتهم وبيئتهم؛ فلقيت من السيد محمد طاهر الدباغ كل تشجيع ما حفزني إلى متابعة التأليف والنشر والطبع ومثله من يقدر ويشجع على ما فيه الصالح العام". ويتابع: "إن السيد الدباغ حثني على العودة للمساهمة في خدمة البلاد فعدت إلى مكة في عام ١٣٥٥هـ، وزرت السيد الدباغ في بيته المتواضع فوجدته قوي الأمل في الله ثم في الملك عبدالعزيز لنشر العلم والثقافة ومحاربة الأمية وإنشاء جيل قوي الإيمان فأدخل تحسينات مهمة على المعهد السعودي، وكان من أسمى أعماله وحسناته تأسيس مدرسة تحضير البعثات التي أنجبت شبابا ابتعثوا إلى البلاد العربية فارتووا من مناهل جامعاتها وقطفوا ثمار علومها، ثم عادوا إلى وطنهم فكان منهم الطبيب والصيدلي والقاضي والمدرس والمهندس والصحفي والمحقق".

أولويات وأسبقية

كان للسيد "الدباغ" أولويات انفرد بها عن من سواه، فقد ذكر "د.عبدالرحمن بن علي الزهراني" أن السيد "الدباغ" -رحمه الله- كان هو أول من عدل المناهج الدراسية وطوّر طباعاتها ومضامينها، وهو أول من دمج المرحلة التحضيرية والابتدائية بمرحلة واحدة لتصبح ست سنوات، وهو المعمول به إلى الآن، كما أنه عني بتأسيس مدرسة البعثات بمكة المكرمة في محرم عام ١٣٥٦هـ، وهي التي تعد أول مدرسة ثانوية بالمملكة، كما عمل على توسيع وتنظيم مدرسة الأمراء بالرياض، وإثر هذه الجهود البارزه تم تعيينه عضوا بمجلس الشورى من عام ١٣٦٥- ١٣٧١هـ، واستمر -رحمه الله- في خدمة بلاده، إلى أن توفي في الثامن عشر من شهر رجب عام ألف وثلاث مئة وثمان وسبعين في القاهرة، حيث نقل إليها في آخر أيامه للعلاج، وهناك دفن -رحمه الله رحمة واسعة-.



محمد طاهر الدباغ -رحمه الله-



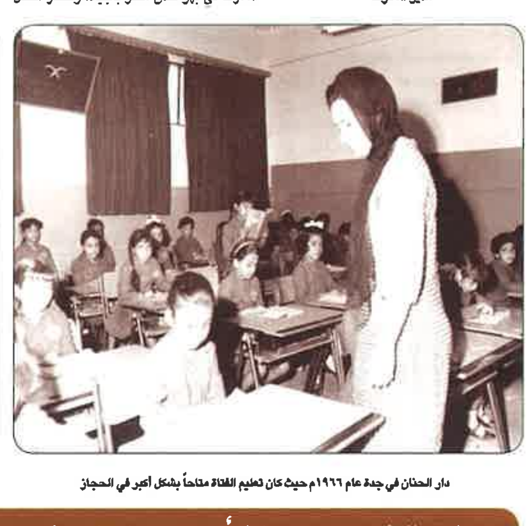
الملك سعود مع الشيخ محمد الطويل رئيس الحزب الدستوري الحجازي بجدة بعد حلّه حيث كان محمد الدباغ أميناً وسكرتيراً للحزب



الملك فهد -رحمه الله- في زيارة لمدارس التوحيد في مكة بعد تحويل إدارة المعارف إلى وزارة



محمد الدباغ ساهم في نشر التعليم النظامي في نجد



دار الحنان في جدة عام ١٩٦٦م حيث كان تعليم الفتاة متاحاً بشكل أكبر في الحجاز



مدرسة تحضير البعثات هيأت الطلاب إلى الابتعاث للدراسة في الخارج

استشهد به الأمير سلمان كنموذج لسياسة الملك عبدالعزيز في التعامل مع معارضيه.. وامتدح دوره في خدمة وطنه

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



نموذج العالم الذي يراعي مصالح دولته.. ويجمع ولا يفرّق

عبدالله بن سليمان البليهد.. القاضي والمستشار في زمن التأسيس

مسيرة حافلة بالعطاء، وعلم من أعلام القضاء في السعودية، ورث العلم ومن ورثه فقد نال حظاً وفيراً.. لم يكن هذا سوى الشيخ عبدالله بن سليمان بن سعود بن سليمان بن سالم بن محمد بن بليهد الخالدي -رحمه الله-، اشتهر بورعه وفقهه في شرائع الإسلام وأحكامه، وقرأ الشيخ عبدالله القرآن الكريم على يد والده الشيخ سليمان بن سعود البليهد، وقرأ الحديث والتفسير على يد الشيخ محمد بن دخيل ببلدة المذنب، كما قرأ أيضاً على يد الشيخ محمد بن سليم ببريدة، وتتلمذ على يده الكثير من طلبة العلم، وقد كان يتجول بين بعض المدن مرشداً، ومعلماً، وداعياً إلى الله على بصيرة، وأصبح منهم العلماء والمشايخ وعلماء الدين، ولا غرابة فالشيخ نشأ وترعرع في أسرة اشتهرت بالعلماء من أسرة آل البليهد، منهم جده الشيخ سعود بن بليهد وشقيقه الشيخ حمد بن سليمان بن بليهد.

أول رئيس للقضاة في مكة المكرمة وانتدبه الملك عبدالعزيز في شؤون سياسية مهمة

إعداد - منصور العساف

السيرة العطرة

ذكر الأستاذ محمد بن عبدالله المقرن في كتابه "من أعلام القضاء" أنّ الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد ولد في بلدة "القرعاء" شمال منطقة القصيم واختلف في تاريخ ميلاده، ونشأ في بيت علم ودين وعبادة، فقد كان جدّه سعود من القضاة في عهد الإمام تركي بن عبدالله، وكذا كان أخوه حمد، وكان والده إماما في شمال القصيم، فنشأ في هذه البيئة الصالحة، والشيخ من أعلام القضاء في المملكة، وتبدأ عصامية النجاح عندما تلقى الشيخ عبدالله العلم ومبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم عن والده، وبعد انتقاله إلى المذنب درس على الشيخ محمد بن عبدالله بن دخيل علوم التفسير والحديث، ثم انتقل إلى بريدة ولازم القاضي محمد بن عبدالله بن سليم المعروف بعلمه وفقهه، كما درس على الشيخ صالح بن قرناس والشيخ عبدالله بن فدا فدرس علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله وكذلك علوم العربية وجد في كتب ابن تيمية وابن القيم.

طلبه للعلم

. عندما كان يدرس الشيخ عبدالله على الشيخ محمد بن سليم رحمهما الله جميعا قال عبارته الشهيرة: "لقد كنت أطلب العلم على الشيخ محمد بن سليم في بريدة وإن وسادتي لعدة شهور لبنة في سطح الجامع في الصيف"، كما سافر الشيخ عبدالله إلى الهند للعلاج فوجدها فرصة سانحة لتلقي العلوم، وقرأ على علماء الحديث في الهند خلال إقامته هناك، وأخذ في جعبته العلم الوفير منهم، وبعد عودته تنقل بين قرى القصيم مدرسا وداعية وناصحا، ونال شهرة واسعة بين الأهالي بالقرى والبوادي؛ مما دفع الكثير من طلبة العلم نحوه فنهلوا من علومه، وتتلمذوا على يديه.

قرار الملك عبدالعزيز

. وفي عام ١٣٣٣هـ، اختاره الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وعينه قاضيا على القصيم، وذكر الباحث محمد المقرن أن الشيخ تنقل بين قرى الرس والخبراء والبدائع يعلم الناس ويرشدهم وفي عام ١٣٤٢هـ نقله الملك عبدالعزيز إلى حائل وما حولها من القرى والهجر والبوادي، فكان حازما في العدل، وأصبحت حائل ومحيطها مضرب الأمثال في أداء الحقوق والأمان، وكان-رحمه الله- ذا هيبة بين الأهالي، وصاحب فراسة لا تخطئ -بإذن الله-، والكل يشير إليه بالعدل والصلاح، وأثنى عليه الشيخ سليمان بن سمحان قائلا: "ما علمت مثله في استحضار الحجة وما علمت أنه انقطع في مناظرة تمر به"، حتى أنّ الملك عبدالعزيز كان يقربه ويستشيره في بعض أموره.

أول رئيس للقضاة

وفي عام ١٣٤٤هـ نقله الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة ليكون أول رئيس للقضاة، انطلاقاً من رؤية الملك في الشيخ عبدالله، فهو يعرف رجاحة عقله وحسن تدبيره للأمور وفراسته وإدراكه وحكمته، بما في ذلك الجوانب السياسية، فانتدبه إلى المدينة المنورة للإشراف على أعمالها الشرعية وتنظيم القضاء فيها، وقام بجهد أثمر عنه تنظيم كافة أجهزة المدينة المنورة، ثم عاد إلى قضاء مكة وبقي إلى عام ١٣٤٥هـ، وبعد إتمام مناسك الحج من ذلك العام طلب من الملك عبدالعزيز إعفاءه وألح في طلبه فأعفاه في (٢٠) ذي الحجة من ذات العام.



الشيخ عبدالله البليهد يقف يمين الملك المؤسس -رحمهما الله-

طلب أهالي حائل

بعد إعفائه بفترة تقدم وفد من أعيان حائل بخطاب إلى الملك عبدالعزيز -رحمه الله- يلتمسون فيه إعادة الشيخ عبدالله إليهم، فشاوره الملك عبدالعزيز في الأمر، ولكنه اعتذر، وعاد الوفد إلى حائل وبعد فترة رجعوا مرة أخرى إلى مكة، وألحوا على الملك عبدالعزيز، وكرروا طلبهم هذه المرة، ثم طلب الملك عبدالعزيز من الشيخ عبدالله الاستجابة لرغبة الأهالي، وما كان أمامه من خيار إلا الموافقة.

استقراره بالطائف

ومكث الشيخ عبدالله في قضاء حائل إلى عام ١٣٥٨هـ، ثم بعد موسم الحج قابل الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة مع مجموعة من أعيان حائل، وطلب من الملك عبدالعزيز إعفاءه؛ نظراً لمرضه وضعف جسمه، فأعفاه الملك عبدالعزيز واستقر بالطائف يسافر إلى مكة المكرمة نهاية كل أسبوع، ويعود إلى مكان إقامته بالطائف.

المؤتمر الإسلامي

وسبق وأن كلفه الملك عبدالعزيز بدور "الدبلوماسي" في لقاء واستقبال وفود الدول الإسلامية أثناء موسم الحج للتشاور والنقاش لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين، ومن أشهر تلك الوفود الوفد الهندي الذي ترأسه "شوكت علي" وهو قائد وناشط ومؤسس إحدى الحركات الإسلامية في الهند، حيث طلبوا من الملك عبدالعزيز تكوين مجلس إسلامي للتباحث في شؤون الأمة ورحب الملك بالفكرة، وانتدب الشيخ عبدالله البليهد للتحدث في المؤتمر نيابة عنه، فخاطبهم بأسلوب بليغ ومقنع وبعد الانتهاء من الاجتماع أشاد الحضور بذكاء الشيخ عبدالله البلهيد وبلاغته وحسن اختيار الملك عبدالعزيز له.

مكانته عند المؤسس

كان الشيخ عبدالله البليهد محظيا عند الملك عبدالعزيز -رحمهما الله جميعاً-؛ لدماثة خلقه ومكانته العلمية وإحقاقه للحق وتحريه للعدل والإنصاف، وكان ذا هيبة عند الولاة في المدن التي تولى القضاء عليها يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان الناس يتعجبون من فصاحته وتحليله للمسائل واستنباطه للنتائج، وكان الملك عبدالعزيز ينتدبه لأهالي القرى والبوادي ليطمئنهم ويطمئن على أحوالهم، قال عنه الشيخ علي بن محمد الهندي المدرس بالحرم المكي: "كان عالما فاضلا جمع الله له بين السياسة الدينية والدنيوية والعلم والحجة والعقل الوافر".

طلابه وتلاميذه

كثير هم أولئك تلقوا العلم على الشيخ عبدالله وأصبحوا شيوخا وعلماء وقضاة في حائل، والقصيم، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أخوه الشيخ حمد بن بليهد، والشيخ عبدالله الصالح الخليفة، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي، والشيخ محمد الخيال، والشيخ علي بن صالح البنيان، والشيخ ناصر المحمد الوهيبي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، وغيرهم الكثيرين.

معرفة الطرق

قبل نحو قرن الشيخ عبدالله البليهد يجوب مناطق المملكة بسيارته الخاصة، حيث كان يرحمه الله واسع المعرفة بجغرافية المملكة وطرقها الموصلة إلى بعضها البعض، وفي عام ١٣٤٥هـ -أي قبل نحو (٩٠)- عاما قطع رحلة بسيارته من مكة إلى جدة، فالمدينة، وحائل، والقصيم، وعاد في نهاية الرحلة إلى مكة المكرمة، وقد أعانته معرفته بالطرق إلى الدلالة والمعرفة بمواقع تلك المناطق.



بقيت مؤلفات الشيخ عبدالله إلى اليوم واعتنى بها طلاب العلم

وفاته

أضعفته الشيخوخة بعد أن تجاوز الثمانين عاما وقد توالت عليه الأمراض، فتوفي-رحمه الله- في الطائف ليلة الاثنين العاشر من جمادى الأولى عام ١٣٥٩هـ، وصلي عليه في مسجد ابن عباس ودفن في مقبرة الشهداء الواقعة قرب المسجد، شيعه جمع غفير من العلماء والأعيان والأهالي وكان في مقدمة المشيعين الملك فيصل بن عبدالعزيز-رحمه الله- الذي كان وقتها نائبا على مكة.

رثاؤه

فجع الناس بوفاة الشيخ عبدالله البليهد وخيم الحزن على الكثيرين بفقد هذا العالم الفذ الذي قضى نحبه متسلحاً بالعلم مجاهداً لخدمة دينه ومجتمعه والمسلمين عامة، ورفع الظلم وإقامة العدل من خلال المناصب التي أوكلها له جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- ولا غربة أن تهيض قريحة الشعراء والكتاب والأدباء رثاء بالمصاب الجلل ومن ضمن تلك المراثي مرثية الشاعر والأديب أحمد بن إبراهيم الغزاوي ومنها :

في مثلك الصبر عند الله يحتسب
والعلم يفقد والأشجان تصطخب

ورثاه ابن عمه الشيخ محمد بن بليهد بقصيدة طويلة منها:

كأن حائل لم تشرق جوانبها
بنور علمك والقراء تبتكر
ولا أقمت بأرجاء القصيم ولا
يثبت فيه التي تبقى وتدخر

كتبه ومؤلفاته

خط الشيخ عبدالله البلهيد كتبا عديدة وله حواش في الفقه والحديث ومن ضمن تلك الكتب جامع المسالك في أحكام المناسك، رسالة في الخلافة ومن هو أحق بها، ورسائل عديدة وأجوبة متفرقة، إضافة إلى كتابه الرد على مدعي الخلافة، وأهدى رسالته جامع المسالك في أحكام المناسك إلى الملك عبدالعزيز فسر بها وأمر بطبعاتها، ويذكر الرواة أن قصة طريفة له مع الملك عبدالعزيز تدل على صدق نصيحته واستشعاره حجم الأمانة الملقاة عليه جراء الاستشارة فـ"المستشار مؤتمن"، فقد ذكروا أن الملك عبدالعزيز سأله ذات مرة عن أدهى وأشجع الرجال في منطقة يعرفها الشيخ جيدا، فما كان من الشيخ عبدالله إلاّ أنّ قام يعدد للملك كبار رجال تلك الناحية، وذكر من بينهم رجلا سبق وأن أمر بإبعاد الشيخ عن بلدته بسبب خلاف شخصي، فتعجب الملك منه، وقال: أليس هذا الذي أبعدك عن بلدته في تلك السنة؟، فقال له الشيخ: نعم، ولكنك أمرتني أن أنكر لك كبار القوم فذكرتهم، ولا يقلل خلافي معه من مكانته، ولم تكن هذه القصة إلا مثالاً من أمثلة كثيرة شهد بها من يعرف الشيخ عبدالله بن بليهد -رحمه الله-.



الملك عبدالعزيز يستمع لمستشاريه ومن بينهم الشيخ عبدالله بن بليهد بما يخدم مصالح البلاد

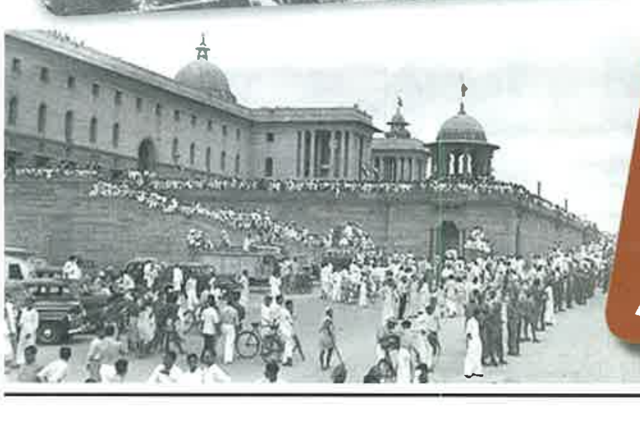


خطاب من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله بن بليهد

أهالي حائل كرروا الطلب إلى الملك عبدالعزيز بإعادته إلى القضاء بعد انتقاله لمكة

كان الشيخ عبدالله أول قاضٍ يعين في مكة المكرمة





رحلة كفاح وعصامية تعلّمنا كيف نكون مخلصين لوطن يستحق منّا الكثير

«عبدالله السليمان».. أول وزير وأقرب رجال الملك عبدالعزيز مكانة وثقة

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ الوزير عبدالله السليمان الحمدان أول وزير مالية سعودي وشخصية قيادية مخضرمة، وأحد أبرز رجال الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ومن أقربهم منه مكانة وثقة.

عاصر مرحلة تأسيس الدولة في نشأتها الأولى بعد توحيد البلاد، وساهم في تذليل عدد من المصاعب المالية التي واجهت المؤسس، كما أنه من أولئك القلائل الذين ساهموا في بناء نهضتنا الحديثة، حتى بقي التاريخ شاهداً على أعماله وإنجازاته.. لم لا؟، وهو أول من حمل لقب وزير في الدولة السعودية الثالثة، كما كان يلقب بـ (وزير الملك)؛ لأن ذلك كان قبل التشكيلات الوزارية التي حددت فيما بعد، وعليه فقد غلبت المهام المالية على عمل "ابن سليمان" في ديوان الملك المؤسس حتى عُرف بمنصبه كوزير للمالية منذ عام ١٣٥١هـ وضمت وزارته الشؤون الاقتصادية وإيرادات البلاد وارتبطت به إدارة التموين والحج، والزراعة والأشغال العامة والسيارات.

ولقربه الخاص من الملك وثقة الملك به فقد كان له أدوار متعددة بالغة الأهمية، كدوره البارز باتفاقية النفط، ودوره بالحروب المحلية والأزمة المالية العالمية، ومساهمته في النهضة الاقتصادية للمملكة بداية التأسيس، فضلا عن أدواره وأولياته المتمثلة في توقيعه على اتفاقية التنقيب عن الزيت واستخراج وتكرير النفط، حيث فوّضه المؤسس بعقد اتفاقيات مع الشركات الأجنبية للتنقيب عن النفط، كما أنه كان أول من أنشأ البث الإذاعي في محافظة جدة في التاسع من ذي الحجة عام ١٣٦٨هـ إضافة إلى كونه أحد أربعة أشخاص اختارهم الملك لتأسيس مجلس الوكلاء وهو اللبنة الأولى لمجلس الشورى عام ١٣٥٠هـ إلى جانب أنه شغل منصب النائب العام.

فكان من مهامه التعليم والصحة والبرق والبريد والشورى، كما كُلف بإتمام بناء دار الكسوة الخاصة بكسوة الكعبة المشرفة، إضافة إلى توليه بعض المهام العسكرية ومشاركته في الوفد المبعوث من الملك عبدالعزيز للتفاوض مع الجانب اليمني عام ١٣٥٢هـ وإشرافه على أعمال المشروعات الزراعية المتمثلة حينذاك بمشاتل ومزارع وبساتين المشروع الزراعي الكبير بمدينة الخرج.

وحتى بعد تقاعده عن العمل كان أحد المساهمين في تأسيس القطاعات الحيوية الخاصة التي كان من أبرزها تأسيسه للمرة الأولى مصنعاً للأسمنت في المملكة، كما ساهم من خلال تبرعاته الخاصة بإنشاء جامعة الملك عبدالعزيز وبعض المشروعات الحكومية آنذاك.

ولعل من المشهور أن شارع الوزير بالرياض أُطلق نسبة للوزير عبدالله السليمان الحمدان الذي بدأ رحلته العصامية من خلال سفره وتنقله بين الأقاليم والبلدان قبل وصوله إلى ديوان الملك عبدالعزيز، حيث جاب بلدان الخليج واستقر فترة في شبه القارة الهندية ومارس التجارة بعد أن نال ثقة أهل بلدته من تجار مدينة عنيزة، حيث مثلهم بعد أن وكلوه على تجارتهم فكان حافظاً وأميناً على حساباتهم وسجلاتهم.

لعب دوراً بارزاً في اتفاقية النفط وتجاوز الأزمة المالية العالمية والنهوض بالوطن اقتصادياً وأنشأ البث الإذاعي

نشأة الوزير

ولد الوزير "عبدالله السليمان الحمدان" الذي ينتمي لأسرة الحمدان في القصيم من الدهامشة من عنزة، عام ١٣٠٢هـ، في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم، ودرس مبادئ العلوم الضرورية في كتاتيبها، وكان زميله في فترة الدراسة بعنيزة الشيخ "محمد بن عبدالعزيز المانع" العالم المشهور الذي تولى رئاسة المعارف السعودية أول إنشائها، ومن أبرز مشائخه الشيخان "عبدالله بن مانع" و"صالح بن عثمان القاضي" - رحمهم الله جميعا.

وتزود "ابن سليمان" بالخبرة الواسعة في شتى مناحي الحياة.. ولم يكن طموحه ليقف عند حدود بلدته فانطلق مسافرا شرقا حتى وصل الهند، وعمل في التجارة بدعم من تجار عنيزة هناك، مثل "الذكير" و"الفضل" و"البسام" وغيرهم، كما شد الرحال ناحية الكويت والبحرين، وأخيرا استقر به الأمر في الرياض منذ عام ١٣٣١هـ، حيث فتح دكانا وبدأ بالتجارة إلى أن أصبح صاحب اسم معروف في السوق، لا سيما أن له حينذاك خبرة طويلة في عالم التجارة.

مع الملك عبدالعزيز

كان "محمد بن سليمان الحمدان" أخو الوزير "عبدالله" يعمل لدى الملك عبدالعزيز في كتابة الرسائل، وكان "محمد" يستعين أحيانا بأخيه "عبدالله" لجودة خطه وإنشائه في الكتابة، وفي عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) مرض "محمد" فأناب أخيه "عبدالله السليمان" بعد إذن الملك عبدالعزيز، ومن هنا بدأ الارتباط الفعلي والمباشر بين الملك عبدالعزيز و"ابن سليمان".

ولثقة الملك فيه لم يمض عام حتى أصبح "عبدالله السليمان" مسؤول الخزينة، وتولى جميع إيرادات البلاد ومصارفها، وكانت عبارة عن جمارك وزكوات ومعونات خارجية.

بعد ذلك تم تطوير الشؤون المالية، من خلال إنشاء "مديرية المالية العامة" في مكة المكرمة وذلك عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، ولقب "ابن سليمان" من الملك عرفته العامة بـ "الوزير" أي: وزير الملك، وليس وزيرا للمالية؛ لأن ذلك كان قبل التشكيلات الوزارية الرسمية، وبعد توحيد البلاد عام (١٣٥١هـ ١٩٣٢م) تحت اسم "المملكة العربية السعودية" حصل "ابن سليمان" على لقب "معالي الوزير".

حياة الوزير

على الرغم من اختلاف الباحثين في تحديد مولد الوزير "ابن سليمان"، إلا أن الباحث "عبدالرحمن الرويشد" رجح أن ولادته كانت في عام ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م بمدينة عنيزة.

ويقول "الرويشد": "إنه وعند ظهوره على مسرح التاريخ التحق بخدمة الملك عبدالعزيز في ديوانه السلطاني، الذي لم يكن أكثر من ستة أفراد يسمونهم الكتاب، تحت رئاسة الشيخ ناصر بن سويدان كبير كتاب السلطان عبدالعزيز، وإلى جانبه الشيخ محمد بن سليمان الحمدان الأخ الأكبر لعبدالله السليمان، والشيخ محمد أبو عبيد الذي كان يضطلع ببعض الأعمال الخاصة، إلى جانب الكتابة في الديوان، والشيخ صالح الصرامي، والشيخ العالم حمد بن فارس".

ويبين الباحث "الرويشد" أن أول دور بارز له في الفترة الأولى من "حكم عبدالعزيز" حينما انضمت إمارات حائل وعسير والحجاز، ثم إمارة الأدراسة في جازان، وفي تلك الأثناء رأى الملك عبدالعزيز أن مجال الرجل لا بد أن يكون في المهمات الجسام إلى جانب عمله، فأسند إليه ما كلفه به السلطان وهو يحاصر جدة بعد أن تحقق له أن مجريات الوقائع تتطور إلى جانبه، ومنذ ذلك الحين بدأ السلطان عبدالعزيز يتعرف على إمكانات وزيره الذهنية والإدارية.. وانطلاقا من هذه الثقة بدأ "ابن سليمان" بإسناد أعماله إلى رجال أكفاء كلفهم بتأسيس الدوائر الرسمية.

أول وزير سعودي

في عام ١٣٥١هـ أصدر الملك عبدالعزيز قرار بإنشاء أولى وزارات الدولة والوزارة الوحيدة في ذلك الوقت، فقد صدر القرار المسمى "نظام المالية" والقاضي بتحويل المالية إلى وزارة يرأسها "عبدالله بن سليمان" باسم وزير، ولقد نشر نص هذا النظام في الجريدة الرسمية في نفس العام، وبذلك يتحول منصب الشيخ "ابن سليمان" من وكيل المالية إلى وزير المالية ليصبح بذلك أول وزير رسمي في تاريخ المملكة العربية السعودية، وعين أخوه "حمد" وكيلا له.

وارتبطت بوزراة المالية آنذاك عدة إدارات ومن ضمنها إدارة التموين والحج والزراعة والأشغال العامة والسيارات.. ولحجم المسؤولية وأهميتها فقد جلب "ابن سليمان" الخبراء من مختلف التخصصات من الدول العربية.



الملك عبدالعزيز ويقف خلفه الوزير ابن سليمان

اتفاقية البترول

مع بدايات اكتشاف النفط وتوجه الملك عبدالعزيز نحو منح الشركات الامتياز للتنقيب، مع مراعاة التوازنات والتغيرات السياسية، وحرص المؤسس على مصلحة البلاد والشعب يقول "الرويشد" عن تفاصيل اتفاقية التنقيب.. "عندما لاحت في الأفق بوادر نجاح الكشوف (يقصد النفط)، بدأ الملك عبدالعزيز مشروعه الحضاري، ومنح شركة التنقيب الشرقية في أول الأمر امتيازا عام ١٣٤١هـ، ثم أمر الملك عبدالعزيز وزيره "عبدالله السليمان الحمدان" بالتفاوض مع رؤساء شركات النفط الأمريكية، وعندما تعرف إلى ما عندهم بشأن البحث والتنقيب واستثماره، شكل لجنة من معالي الشيخ "عبدالله السليمان الحمدان"، و"عبدالله الفضل"، و"يوسف ياسين"، و"فؤاد حمزة"، تحت رئاسة نائب الملك سمو الأمير فيصل.



الملك سعود مكرماً ابن سليمان بعد تقاعده

واجتمع معالي الشيخ "عبدالله السليمان الحمدان"، والمستر "لويد هاملتون" في القصر الملكي بجدة، في شهر صفر عام ١٣٥٢هـ، الموافق ٢٩ مايو ١٩٣٢م لتوقيع اتفاقية التنقيب عن النفط، ولم يقتصر نشاط "ابن سليمان" على استغلال المناجم فقط، وإنما أنشأ - بأمر من الملك عبدالعزيز - عدة مزارع في الخرج والأحساء، فارتبط الملك عبدالعزيز بذلك الإنجاز الذي شكلت الطبيعة الصحراوية للبلاد العربية السعودية به تحديا كبيرا في المجال الزراعي.

الشؤون المالية في الحجاز

يقول "حمد الجاسر" في مجلة العرب "المحرم - صفر ١٤٠٣هـ": "وممن تولى العمل في ديوان الملك عبدالعزيز مع من كان يعمل فيه محمد بن سليمان بن حمدان الذي عاش فترة من الزمن في الهند موظفا لدى التاجر النجدي الشهير الشيخ عبدالله الفوزان، ثم لما مات محمد بعث ابن فوزان أخاه عبدالله بن سليمان الحمدان الذي أرسله الملك إلى الحجاز فتولى فيما بعد الشؤون المالية وغيرها حتى أصبح أول وزير"، وحديث العلامة "حمد الجاسر" لا يتعارض مع ما ذكره "ابن رويشد" من أن "محمد" هو من أوصل أخيه "عبدالله" إلى ديوان الملك عبدالعزيز، حيث كان عمل "محمد" في الديوان سابقاً لعمل أخيه، وهو من استدعاه ليحل محله في بعض أعماله، كما أن "محمد" كان يعمل في التجارة في الخليج والهند، وهو من دعا أخيه للعمل معه وما ذكره العلامة "حمد الجاسر" هو اختصار لمسيرة الأخوين.



أعماله الخيرية

كان لـ "ابن سليمان" أعمالا خيرية ومبادرات إنسانية، تمثلت في بعض أوجهها بتبرعه الشخصي لبناء جامعة الملك عبدالعزيز التي مازالت علامة من علامات بلادنا الحضارية، حيث كانت تسمى (الجامعة الأهلية) في جدة.

يقول الباحث "عبدالرحمن الرويشد": "كان ابن سليمان يملك مزرعة شرق مطار جدة، وبداخلها أربعة قصور مساحة كل قصر أربعين ألف متر، وبها ملاحق كثيرة وعندما ظهرت فكرة إنشاء جامعة أهلية هناك، وبدأت لجنة التأسيس جمع التبرعات عملها بادر الشيخ عبدالله السليمان الحمدان بالتبرع بتلك المزرعة بالكامل، واشترط أن يكون اسم الجامعة (جامعة الملك عبدالعزيز) فكانت تلك المزرعة بقصورها تناهز المائة والستين ألف متر مربع".

وفي جانب آخر من أعمال الوزير "ابن سليمان" يسلط الأديب "حمد القاضي" الضوء على بعض أعمال "ابن سليمان" الخيرية والإنسانية ومساعدات إنسانية للوزير، فيقول: "كان رحمه الله أول من أوصل المياه الحلوة إلى منازل عنيزة على حسابه الخاص، وأنشأ مكتبة علمية كبيرة فيها، فضلا عن إسهامه في التنمية الزراعية بعنيزة عندما أنشأ أكبر مزرعة فيها (مزارع الزغيبية) بمياهها المتدفقة وبإنتاجها الزراعي الكبير المتنوع".

قالوا عن الوزير

كان الملك "فيصل" يعرف قدر "ابن سليمان"، وينزله منزلته في التقدير والاحترام، ويحفظ له جليل عمله، وسمو قدره عند والده الملك المؤسس، وقد زاره ذات مره في مدينة حلوان بمصر حينما كان يعالج في المستشفى، وقال له: "إنك يا أخ عبدالله من بناة الدولة".

ولم تكن شخصية وأعمال هذا الوزير بعيدة عن أنظار معاصريه من الكتاب والمؤرخين، لا سيما أولئك الذين زاملوه في ديوان المؤسس، إذ يتحدث عنه العلامة "خير الدين الزركلي"، ويذكر طبيعة عمله مع الملك عبدالعزيز فيقول: "كان عادة ابن سليمان حين يجمعه مع الملك عبدالعزيز بلد واحد في الرياض أو الطائف أو مكة أو جدة أو في مخيمات ابن سعود في البراري يدخل عليه في غرفته الخاصة بعد صلاة الفجر من كل يوم، فيعرض عليه ما يهمه من أعمال، ويخرج من عنده وقد نال الموافقة على جل ما يعرض عليه".



عبدالله السليمان الحمدان أول وزير في المملكة

ويضيف "الزركلي" قائلاً: "ما كان عبدالعزيز يعرف كيف يدخل عليه المال ولا يخرج، فقد كفاه ابن سليمان مؤونة التدبير والتفكير".

وأوضح "الزركلي" أن الملك قد أمر بوضع ترتيب لربط الإدارات المالية الصغيرة المتفرقة في الحجاز بإدارة واحدة مسؤولة أمامه فأنشئت في ١٧ ربيع الأخر ١٣٤٦ هجرية مؤسسة في مكة سميت "مديرية المالية العامة"، وتولاها الشيخ "عبدالله سليمان الحمدان" بلقب مدير المالية العام، وبعد عامين جعلت المديرية وكالة، أي في عام ١٣٤٨هـ وأصبح لقب الشيخ "ابن سليمان" الجديد وكيل المالية العام، وربطت به مالية الأحساء وأحضروا خبيرا هولنديا اسمه "فان لي" للعمل مستشارا، وللمساعدة في تنظيم أمور الوكالة، وكانت لا تخرج برقية واحدة من ديوان الملك في أي مكان بالمدن أو القرى أو في البرية، وهي تتعلق بشؤون الدولة إلا وقد زود معالي الشيخ عبدالله بن سليمان بنسخة منها".

أما "عبدالله فلبي" فيصف "ابن سليمان"، قائلاً: "كان رجلا ذا كفاءة عالية وابتكار، ومواهب قيادية متعددة، وإنه ذو ثقة كبيرة في سلامة آرائه، ولديه القدرة على ترجمتها إلى أعمال وحقائق، وهو موهوب بفضل الذكاء الفطري الذي تكشف عنه الصحراء ولديه قوة ملاحظة وإدراك للمشاكل التي تواجهه".

أما حديث معالي الوزير "عبدالعزيز الخويطر" - رحمه الله - عن رائد الوزراء في المملكة، فقد أوضح لنا حجم القدر الكبير من الاهتمام الذي كان يوليه الوزير "ابن سليمان" لمشروع الخرج الزراعي الذي مثل تحديا أمام الدولة آنذاك للنهوض بمشروعاتها الاستثمارية في مجال الإنتاج الزراعي، حيث يقول "الخويطر" وهو يتحدث عن مرحلة التأسيس "وكان هناك جهد مبذول في منطقة الخرج لزيادة غرس النخيل وبعض الأشجار المثمرة الأخرى، واعتنى به الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية أيام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وكان يفضل المقام هناك إذا جاء إلى الرياض، وهذا يبعده بعض الشيء عن المراجعين، ولقد جلب لمشروع الخرج بعض الفلاحين من نواحي نجد ومن الحجاز".

وفاته

تقاعد الشيخ "عبدالله بن سليمان الحمدان" في عهد الملك سعود، وبقي في أواخر حياته محل تقدير واهتمام من قبل أبناء الملك عبدالعزيز، وتفرّغ بعد تقاعده إلى إدارة أعماله الخاصة ومساهماته الخيرية والإنسانية التي كان يتابعها باهتمام بالغ إلى عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، حيث توفي -رحمه الله - عن عمر ناهز الثمانين عاما بعد أن قضى أكثر من خمسين عاما في خدمة بلاده في مرحلة التأسيس.. رحم الله الوزير "ابن سليمان" رحمة واسعة.



ابن سليمان رجل دولة ووطني مخلص ومسؤول ساهم في تنمية وطنه

تبرع بأرض جامعة الملك عبدالعزيز وجلب «الماء الحلو» إلى أهالي عنيزة

التحق في البداية مع كتّاب الملك عبدالعزيز من بينهم أبوعبيد والصرامي وابن فارس



الوزير ابن سليمان خلال زيارته إلى شقراء متفقداً مشروعات زراعية



شارع الوزير في الرياض بقي شاهداً على اسمه وتكريمه

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

«رمز وطني» وقف بإخلاص مع قيادته قبل اكتشاف البترول.. وحصد تقدير الجميع

عبدالرحمن القصيبي.. وكيل الملك عبدالعزيز في البحرين و«شيخ اللؤلؤ»

■ لم تقف تراجم القرن الهجري المنصرم على سرد سير بعض شخصيات المجتمع الذي كان حينذاك يمرّ بمراحل تأسيس وتوحيد أقاليم البلاد؛ إذ قد لا يتفاجأ القارئ لكتب التاريخ والملاحم إن قرأ ترجمة لأسرة أو عائلة عرفت واشتهرت بتخصص علمي أو عمل حربي أو تجارة عبر طرق البحار والقفار، ولا شك في أن أسرة «القصيبي» في الأحساء والبحرين كانت إحدى هذه الأسر التي اشتهرت بالتجارة والاستثمار، حيث توارث الأبناء منهم إرث أجدادهم في التجارة وركوب البحر، بل وتنقلوا بين نجد والبحرين والهند والدول العربية، ولهم دور فاعل في انتعاش الحركة الاقتصادية في هذه المناطق قبل النفط، كما كان لهم إسهام كبير في تمكين الملك عبدالعزيز من الأحساء.

وهي من الأسر المعروفة ذات المكانة الاجتماعية في الخليج العربي، وأوكل إليهم الملك عبدالعزيز عدداً من المهام وأصبحوا وكلاء له في البحرين، إضافة إلى مهامهم في تأمين المواد التموينة والمعدات والأجهزة التي يطلبها الملك عبدالعزيز، ونبغ رجالات الأسرة في التجارة والسياسة وتقلدوا مناصب عليا.. ومن هؤلاء الشيخ عبدالرحمن بن حسن القصيبي والد الدكتور غازي القصيبي -رحمهما الله جميعاً-.

وكان الشيخ عبدالرحمن على قدر كبير من الثقافة ويلقب بـ«شيخ اللؤلؤ»، حيث كان يميّز اللؤلؤ الجيد من الردئ، كما كان وكيلاً سياسياً للملك عبدالعزيز في البحرين، وله العديد من الإسهامات الاجتماعية والإنسانية، وحريص على نشر العلم والمعرفة من خلال تبرعه بطباعة العديد من الكتب على نفقته الخاصة، ودعمه للمشروعات الإنسانية ومساعدة المعسرين وبناء المساجد.

شارك «المؤسس» في اجتماعه بالملك فيصل ملك العراق ومنحه «الملك سعود» لقب وزير دولة



الملك عبدالعزيز خلال لقائه مع الملك فيصل ملك العراق بحضور عبدالرحمن القصيبي



الملك عبدالعزيز مع الشيخ حمد بن عيسى حيث كان القصيبي وكيلاً (سفيراً) له في المنامة



عبدالرحمن القصيبي -رحمه الله-

نشأة ونسب الأسرة

هو الشيخ "عبدالرحمن بن حسن بن عبدالله القصيبي" -رحمه الله-، تاجر معروف اشتهر بأعماله الخيرية وإحسانه وأعماله الوطنية وصدقه ووجاهته في مجتمعه، وقد كان مولده بحي النعاثل بمدينة الهفوف، وتلقى تعليمه في مدارس البحرين، وتدرّب على أعمال التجارة فيها، ودرس اللغة الانجليزية وأجاد في تجارة اللؤلؤ في الهند، حتى بدأ أعماله التجارية شريكاً لعمه وإخوته.

ويعود نسب جده "عبدالله" إلى بلدة (القصب) في نجد حيث نشأ فيها، وعهد إليه أمير "حريملاء" بمهمة جمع الزكاة من فلاحي المنطقة، وقد كان من عادة أهل نجد أن ينسبوا الرجل إذا لم يكن من أهل البلدة إلى البلدة التي قدم منها، فصار "عبدالله" يعرف بـ"القصيبي"، ومن هنا نشأت التسمية للعائلة.

ويذكر "مايكل فيلد" عن سيرة الشيخ "عبدالرحمن القصيبي" أنه من كبار رجال الأعمال في الخليج، وأصل تسميته ترجع إلى بلدة القصب بوسط نجد التي غادرها جدهم عبدالله القصيبي في القرن التاسع عشر، وقد رزق بثلاثة أبناء هم: (محمد، حسن، إبراهيم)، وحين كبروا عملوا في نجد ثم في تنظيم القوافل الصغيرة والإشراف على جمع الإبل وتحميلها بالبضائع.

شيخ اللؤلؤ

وتذكر المراجع أن الإخوة الثلاثة (محمد، حسن، إبراهيم) -أبناء الجد عبدالله- توجهوا إلى ساحل الخليج العربي حوالي عام (١٨٨٥م-١٣٠٢هـ)، واستمر عملهم في رعي الإبل ونقل البضائع من ميناء العقير إلى الهفوف، وارتحل "محمد" -الأخ الوحيد المتعلم بين الثلاثة- إلى البحرين، حيث يزدهر صيد اللؤلؤ، كما يوجد هناك مقر للحكومة البريطانية في الخليج، وقد عمل "محمد" مع تاجر كبير من الأحساء يُدعى "عبدالرحمن بن عيدان" وبتشجيع منه بدأ يؤسس لتجارة خاصة به، ثم توفي "حسن" -والد عبدالرحمن القصيبي-، وقد أنجب (عبدالعزيز، عبدالله، عبدالرحمن)، وتزوج الأخ إبراهيم أرملة أخيه، ثم أرسل الأبناء إلى البحرين لمساعدة عمهم "محمد" في تجارته، ثم أرسلهم عمهم إلى الهند لتعلم اللغة الانجليزية وشراء المواد الغذائية والتعامل مع تجار اللؤلؤ في بومباي، على أن تُرسل الأرباح إلى عمهم "إبراهيم" في الأحساء لشراء حدائق النخيل، إلى أن وسعوا دائرة نشاطهم بعد أن مهروا في تجارة اللؤلؤ.

وقد اشتهر الشيخ "عبدالرحمن" في التمييز بين اللؤلؤ الجديد والرديء، حتى أصبح على رأس تجار اللؤلؤ في الخليج، ولقب بـ"شيخ اللؤلؤ"، وازدهرت تجارته، وحوّل جزءاً من أمواله إلى الأحساء حيث اشترى مزارع للنخيل، وقد ظل حتى وفاته الوكيل التجاري للمملكة العربية السعودية في البحرين، وكان ضمن حاشية الملك عبدالعزيز في اجتماعه بالملك فيصل ملك العراق في رمضان من عام ١٣٤٨هـ.

ضيوف الملك عبدالعزيز

يعود لقاء الأسرة بالملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى عام ١٩٠٦م؛ إذ التقى "إبراهيم القصيبي" -عم عبدالرحمن- بالملك أثناء مروره بالرياض في قافلة متوجهة إلى الحج، فجمعت بينهما صداقة قواها انتساب إبراهيم إلى نجد وإعجابه بقوة الملك عبدالعزيز وتذمره وامتعاضه من سياسات الأتراك الذين كانوا يحكمون الأحساء؛ لإهمالهم حماية مزارع النخيل من غارات البادية، وفي عام ١٩١٣ قرّر الملك عبدالعزيز ضم الأحساء، وأخبر إبراهيم القصيبي بما عزم عليه، وقد وفرّ للملك ما يحتاجه وتم ضم الأحساء.

وتعززت العلاقة كثيراً بين أسرة القصيبي والملك عبدالعزيز، وصاروا ممثلين له في البحرين، وتولوا بعض المهام من خلال مكاتبهم في بومباي والبحرين، ثم ازدهرت تجارة الأسرة من خلال



عبدالرحمن القصيبي.. رجل دولة وبر وإحسان

أنشطة الإخوة الخمسة الذين كان لهم دور في توفير السكن والغذاء لضيوف "السلطان عبدالعزيز" عند زيارتهم للأحساء من الأجانب.

ويقول "مايكل فيلد": "كان دور آل القصيبي هو تمثيل ابن سعود في البحرين، وبدأت العائلة تنفذ مهمات مختلفة لصالح حكّام نجد عن طريق مكاتبها في البحرين وبومباي في سنة ١٩٠٨، ولكن لم يكتس عملهم أية أهمية إلا بعد أن وطد ابن سعود سلطانه على الساحل".

وأصبحت عائلة القصيبي هي الوسيط في الاتصال الدبلوماسي بين ابن سعود والبريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى، ولقد اعتاد الإخوة على توفير المأوى ووسائل النقل لكل الزوار الذين يقصدون ابن سعود، سواء أكان موجوداً في الهفوف التي كان يزورها من حين إلى آخر أم في الرياض.

وكان الملك عبدالعزيز يرسل إليهم رسائل موجزة يطلب منهم توفير السكن لأناس معينين أو جماعات في بيوتهم إما في البحرين أو في الهفوف والترحيب بهم إلى أن يصلهم خبر استعداد الملك لاستقبال هؤلاء الضيوف، وفي أوقات مختلفة استضافت العائلة بعض الضيوف الأجانب أمثال "سانت جون فيلبي"، وكذلك الرائد "فرانك هولمز"، كما استضافت مجموعة متتالية من المعتمدين السياسيين البريطانيين والوفد البريطاني الذي حضر مؤتمر العقير في العام ١٩٢٢، وكان العديد من مراكب "الداو" ذات المحركات دائمة الرسو على شاطئ البحرين قبالة بيت "آل القصيبي".

في تمويل الملك عبدالعزيز

كان الجزء الرئيس من عمل "آل القصيبي" يتعلق بشراء المؤن، وكان مكتب العائلة في الهند يزوّد المؤسسة التجارية في البحرين والأحساء بالتشكيلة العادية من المواد الغذائية الضرورية والمواد الأخرى، مثل: الأرز، والشاي والسكر، والقماش القطني، والتوابل، والخشب، وفيما يختص بالملك عبدالعزيز فكانت مشتريات العائلة أكثر تنوعاً.

وتتضمن الرسائل التي مازالت موجودة طلبات لشراء الأرز من البصرة لابن سعود في الرياض، وإعادة تموين الأحساء والقطيف وشراء الرصاص والقضبان الحديدة ومواد الدهان والملح وصفائح، إلى جانب ألواح النحاس والألواح والقصدير الأبيض وجهاز تلفزيون وخزائن لحفظ النقود ومصابيح وفوانيس وحدوات خيول ومسامير.

ويذكر "يوسف بن محمد بن عبدالله القصيبي" -رحمه الله- في حديث أجري معه عام ١٤٢٥هـ كيف كانت أسرته تعمل جاهدة لتوفير ما يطلبه الملك عبدالعزيز منها، قائلاً: "كانت البحرين هي المورد الاقتصادي والتجاري في منطقة الخليج، حيث كان -المغفور له بإذن الله- عبدالرحمن بن حسن القصيبي والد زوجتي وهو والد د. غازي القصيبي يعمل وكيلاً تجارياً في البحرين، بمعنى سفير في أيام الإنجليز، حيث لم تكن هناك سفارات وإنما يطلق عليه الوكيل التجاري للمملكة في البحرين، إذ كان القصيبي ومجموعة من العائلة وأنا معهم نورّد احتياجات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن (طيب الله ثراه) قبل أيام البترول، وأنا كنت أعمل معهم وأرافق الدفتر حتى نحاسب الملك عبدالعزيز بالاحتياجات التي يرغبها وهي عبارة عن الكساوي، والمواد الغذائية والتمر، حتى أننا نقوم بإرسالها في حملاته أثناء الحروب ومن ثم نعود إلى البحرين بمستحقاتنا المالية التي كان -يرحمه الله- يعطينا إياها، وكانت العائلة تجتمع في بيت واحد في الرفاع أشبه ما يكون بالديوان موزع على غرف وبيوت بينهم في الوسط مجلس العائلة تسكن فيه أسرة القصيبي، منهم عبدالعزيز، وحسن، وعبد الرحمن".

«القصيبي» نسبة إلى بلدة «القصب» في نجد حيث نشأ فيها جده «عبدالله»

توارث المهام

ويذكر الباحث والمؤرخ "محمد القشعمي" أن لقاء أبناء القصيبي بالملك عبدالعزيز يعود الى عام ١٩٠٦م، إلاّ أن ضم الملك عبدالعزيز إقليم الأحساء فيما بعد كان بداية العلاقة المتميزة بين الملك وأبناء القصيبي، والذين أصبحوا بعد ذلك ممثلين للملك في البحرين، بل إنهم تولوا بعض المهام من خلال مكاتبهم في بومباي والبحرين.

كما عمل الشيخ "عبدالرحمن القصيبي" وسيطاً للاتصال الدبلوماسي بين الملك عبدالعزيز والبريطانيين، ولثقة الملك عبدالعزيز به فقد أصدر أوامره بأن يكون وكيلاً له في البحرين، وقد كان له دور كبير في البحرين حتى قال عنه المعتمد البريطاني "شارلز بلجريف": "عبدالرحمن رجل أكثر استنارة وعلى قدر كبير من الثقافة، وله مهارة فطرية في التعامل باللؤلؤ، وهو يتكلم بعض الفرنسية والإنجليزية، ويشرف على إدارة شؤون المؤسسة التجارية في باريس".

وأورد "القشعمي" أن "عبدالرحمن القصيبي" كان قد أوصى قبل وفاته بإتلاف كل أوراقه بعد الوفاة؛ مما فوت على الباحثين والتاريخ ثروة لا تقدر بثمن، وقد ظل "عبدالرحمن" حتى وفاته الوكيل التجاري للمملكة العربية السعودية في البحرين، وهذه المكانة جعلته ضمن حاشية الملك عبدالعزيز في اجتماعه بالملك فيصل ملك العراق في رمضان من عام ١٣٤٨هـ، وفعلاً كان الشيخ موضع ثقة الملك عبدالعزيز الذي يشيد به في كل مناسبة، بل إنه اختاره عام ١٣٤٦هـ ضمن أجهزة التفتيش والإصلاح التي ضمت عدداً من الأعيان وأعضاء مجلس الشورى وذلك لرعاية مصالح الناس وأمر راحة الحجاج، وفي عام ١٣٧٠هـ صدر مرسوم ملكي بتعيينه وزيرا مفوضاً من الدرجة الأولى، إلى عام ١٣٧٥هـ، حيث منحه الملك سعود بن عبدالعزيز لقب وزير دولة، وكان الشيخ "عبدالرحمن القصيبي" -رحمه الله- يظهر إعجابه بنفسه، وأنه لم يكن يتزلف للبريطانيين وكان يعاملهم معاملة الند للند.

قال عنه ابنه د. غازي: كان رجلاً لكل المواسم.. عاش فقيراً ومات غنياً صاحب الملوك والأمراء وكان أشد الناس قرباً من الفقراء



مكتبة للمطالعة

اتصل بنا ان المحسن المعروف الشيخ عبد الرحمن القصيبي تاجر اللؤلؤ في البحرين والهند ونزيل مكة اليوم اعتزم القيام بتأسيس مكتبة عمومية في مكة المكرمة وجعلها وقفاً للمطالعة والدراسة يجلب لاجلها الكتب اللازمة من مختلف العلوم والفنون ويشيد لها بناء خاصاً في اظهر مكان فجزاه الله خير الجزاء ونتمنى ان يكون في عمله هذا وغيره من أعماله الخيرية قدوة حسنة للمسلمين في عمل الخير والاحسان.

برقية تأسيس مكتبة القصيبي في مكة

نشر العلم

ويعتبر الشيخ "عبدالرحمن" -رحمه الله- أحد كبار الداعمين للعلم ونشره بين الناس فقد سعى لنشر العلم والمعرفة وانفق عليهما بسخاء، كما تبرع لتأسيس مكتبة عامة في مكة المكرمة، وكانت تربطه بالمشاهير في الهند ومصر والشام صلات جيدة. وله تواصل مستمر مع كبار العلماء.

كما طبع العديد من الكتب على نفقته الخاصة خلال الخمسينيات من القرن الماضي مثل كتاب (فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد)، وكتاب (منح الشفات الشافيات في شرح المفردات)، وكتاب (الروض المربع في شرح زاد المستنقع) وغيرها، كما أهدى مجموعة من الكتب إلى نادي عدن، وأيضاً أهدى عددا من الكتب الحقوقية والطبية ما قيمته خمسين ليرة سورية لجامعة دمشق، إضافة إلى كتب قدمها لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة كإهداء منه -رحمه الله-، ومن تلك المواقف الإنسانية المبهجة تبرعه لمشروعات معالجة السل في الشام، كما أوقف جملة من المؤلفات النافعة لنادي بومبي ولمدارس الكويت، وأيضاً فقد ابتنى عدداً من المساجد بالبحرين والسعودية، وتجلى حبه للعلم أيضاً من خلال بناء مدرسة في مكة المكرمة على نفقته الخاصة، كما تمثل حبه للخير في فرش المساجد وبذل المساعدات، وعليه فقد وصف بأنه شخصية متفتحة فضلاً عن وصفه بأنه كان مهذباً وقوراً كريماً، حسن المظهر، بسيطاً في حديثه وتعامله، محب للعلم، ويتقن عدة لغات، وقد مدحه الشاعر "أحمد الغزاوي" بقصيدة يذكر فيها مناقبه ومآثره مطلعها "قالوا وكل الى رؤياك مستبق"، وكان "عبدالرحمن" في العقود الأربعة الأخيرة من عمره عميد الأسرة القصيبية، حتى توفي عام ١٣٩٦هـ وعمره ٩٤ عاماً، ودفن بمقبة المنامة، وقد ترك ثمانية من الأبناء من عدد من من زوجات، هم: (خليفه، فهد، مصطفى، ابراهيم، خالد، عادل، نبيل، والوزير والشاعر المعروف غازي)، وقد رثاه ابنه د. غازي بقصيدة يقول في أخرها:

تعلمتُ منك صدام الخطوب
فكيف تراني جناحاً كسيرا
وعلمتني أنت صبر الرجال
فما لي رجعتُ صبياً غريرا
أتعذرني.. إن بعض السهام
تصيب الحكيم.. وتصمي الخبيرا

كما كتب د. غازي أيضاً نصاً نثرياً عن والده ورد فيه: "أوّاه! ماذا تقول عن أبيك؟ كان رجلاً سبق جيله بأجيال، وسبق مجتمعه بمراحل، كان متديناً على الطريقة السلفية، وكانت له علاقات قوية مع أصدقاء من مختلف المذاهب والأديان.. كان أبوك رجلاً لكل المواسم، عرف الفقر كما عرف الغنى، عرف الصحة وعانى المرض، صاحب الملوك والأمراء، وكان شديد القرب من البسطاء والفقراء).

تسمية الشارع

بعد وفاة الوزير والشاعر "د. غازي القصيبي" وجه أمير منطقة الرياض حينها الأمير سلمان بن عبد العزيز بتسمية أحد شوارع الرياض باسم الوزير غازي؛ بشرط أن يكون ذلك على مقربة من شارع والده عبدالرحمن، وفعلاً أطلق اسم الدكتور "غازي بن عبدالرحمن القصيبي" -رحمه الله-، على الشارع الواقع بحي صلاح الدين بالرياض، وهو بعرض ٣٠ متراً وطول ٦٥٠ متراً، حيث يبدأ من شارع رفحاء باتجاه الجنوب متقاطعا مع شارع والده "عبدالرحمن بن حسن القصيبي" -رحمهما الله جميعاً-، وغير بعيد عن العاصمة الرياض فقد أطلق اسم الوجيه "عبدالرحمن بن حسن القصيبي" -رحمه الله- على أحد الشوارع بقرية الجسرة في البحرين، والتي يقطنها بعض أسر "القصابة" حتى هذا اليوم.. رحم الله الوجيه "عبدالرحمن القصيبي" رحمة واسعة.

منح حياته لوطنه مخلصاً متحملاً لمسؤولياته رغم صعوبة البدايات.. وعاش طموحاً ومات محباً للجميع

محمد سرور الصبان.. رائد الأدباء في مكة و«رجل دولة» عمل بصمت

■ يعد الشيخ "محمد سرور الصبان" -رحمه الله- رائد الحركة الثقافية والأدبية في المملكة، اشتهر بشغفه للأدب والعلوم في مختلف المجالات، حيث قرأ كتب التاريخ بعصوره المختلفة، ونهل من معين العلماء والأدباء، كما شغف بقراءة أدب القدماء والمحدثين والعلوم المترجمة عبر العصور التاريخية.. وتدرب على العمل التجاري مع والده منذ صباه واكتسب خبرة ميدانية إضافة إلى قراءة كتب الاقتصاد والمال.

له دور كبير في الحراك الفكري والأدبي ودفع حركة النشر والتأليف في بلادنا، وذلك حين طبع عدداً من الكتب على نفقته الخاصة، إضافة إلى إصداره كتاب (أدب الحجاز) وهو أول كتاب أدبي في الحجاز والمملكة بوجه عام، وكذلك كتاب (المعرض) وهو كتاب نثري يضم مجموعة من الآراء في اللغة والأدب الحجازي، كما كان -رحمه الله- نشطا في العمل الثقافي مشجعا على نشر وإنشاء المكتبات ورعاية الأدباء والمبدعين.

وقد أنشأ مكتبة تعتبر من أفضل المكتبات الخاصة في مكة المكرمة، وتحتوي على كثير من أمهات الكتب المطبوعة والمخطوطة، وقدمها أبناؤه كإهداء إلى جامعة الملك عبدالعزيز، واحتوت على ما يزيد على ٥٠٠٠ كتاب ومخطوطة.

كانت حياته العملية قد انطلقت في بداياته بالعمل الحر بمحل والده، ثم توظف كاتباً في البلدية وترقى فيها إلى رئيس كتاب في عصر الهاشميين، وفي عهد الدولة السعودية قلده الملك عبدالعزيز عدة مناصب وشغل معاونا لأمين العاصمة فرئيساً لقلم التحريرات بوزارة المالية عام ١٣٥٢هـ، ثم مديرا عاما لإدارة وزارة المالية، فمستشارا عاما للوزارة.

ونظرا لجهوده وتفانيه فقد عيّنه الملك عبدالعزيز وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى، ثم عُين في بداية عهد الملك سعود وزيرا للمالية بعد رائدها ووزيرها الأول الشيخ "عبدالله بن سليمان"، واختاره الملك فيصل لتأسيس رابطة العالم الإسلامي وعُين أميناً عاماً لها.

كان "الصبان" طموحاً يناشد النجاح أينما كان، تواقاً إلى معالي الأمور، يعشق المهام الجليلة، ولذا فقد أسس ورأس إدارة عدد من الشركات والأعمال، ولعل من أبرزها شركة السيارات، إضافة إلى مشروع القرش، وهو من المشروعات الخيرية والإنسانية التي أولاها الصبان اهتماما كبيرا.

"محمد بن سرور الصبان" -رحمه الله- مسيرة حافلة وعطاء جم ورسالة سامية استطاع تحقيقها وأورثها الأجيال من بعده، لا سيما وأنه من أسرة عُرفت بجليل الأعمال وصادق الأفعال لم لا؟، وقد برز منها علماء ورواد أفذاذ عبر مراحل وأزمنة متباينة، كان من بينهم "محمد بن سرور" الذي نقف من خلال سيرته الشخصية على تفاصيل واسعة وصفحات مشرقة من تاريخ مجتمعنا وبلادنا في القرن الهجري المنصرم.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عيّنه «الملك عبدالعزيز» وزيراً مفوضاً و«الملك سعود» وزيراً للمالية و«الملك فيصل» أميناً لرابطة العالم الإسلامي









محمد سرور الصبان.. الأديب والمثقف ورجل الدولة بدأ حياته موظفاً بسيطاً في البلدية وبعد كفاح وعمل وصبر وصل إلى منصب وزير المالية

نشأته وأعماله

ولد الشيخ «محمد بن سرور الصبان» بمدينة القنفذة سنة ١٣١٦هـ، وانتقل مع أسرته إلى جدة عام ١٣٢٠هـ، وتلقى في كتاتيبها البدايات الأولى؛ فتعلم الدروس العربية والشرعية في «كتاب صادق»، وعندما جاءت الحرب العالمية الأولى انتقل مع أسرته إلى مكة المكرمة، والتحق بـ«مدرسة الخياط» القديمة، وقد وصف -هو بنفسه- تجربته التعليمية في كتابه أدب الحجاز، قائلا:«.. تعلمت القراء والكتابة والتجويد والحساب فقط لا غير في جدة ومكة المكرمة في المدارس التي كانت موجودة في ذلك الحين، وتركتها للحياة العملية من غير أن أتمم دروسي»، ويشرح ذلك أكثر:«لم يكن للعلم دور يجد فيه الطالب المتعطش طلبه من العلم والأدب اللهم إلا المدارس الابتدائية التي ضيق عليها الخناق ولا تتعدى حيزا محدوداً لها، كما لا يوجد إلا كتاتيب بسيطة يفك فيها الطالب الحرف ثم يترك حبله على غاربه يشرق أو يغرب».

يقول «د. إبراهيم عبده» في كتابه:(سيرة من الحرمين) عن ثقافة «محمد سرور الصبان»: «الصحيح أن (رجلنا) لم يقف عند ما لقن من علم محدود في جدة ومكة المكرمة، بل شغف منذ حداثته بالقراءة العميقة المتصلة بأدب القدماء والمحدثين، والمترجم من أدب الفرنجة عبر الأجيال والعصور، حتى هضم هذه الثروة الفكرية، وسما بها فكانت له مدارس وجامعات، وتافس بما حصله منها أهل المدارس والجامعات، ولم تقف دراساته الخاصة عند الأدب والشعر، بل قرأ كتب التاريخ بعصوره المختلفة، وقرأ كتباً في الفلسفة والاجتماع، وفي الاقتصاد والمال، فصقل بذلك مواهبه وأحست نفسه الرقيقة الشاعرة آلام قومه، القريبين منه والبعيدين عنه».

بعد تخرجه من «مدرسة الخياط» اشتغل مع والده في التجارة، وعُين مبكراً «كاتب يومية» بإدارة بلدية مكة في عام ١٣٣٦هـ، ثم رُقي إلى وظيفة محاسب فرئيس كتاب، إلى أن ارتقت به الرتب وأصبح أحد أشهر الوزراء ورجال الدولة في عهد الملك سعود.

وعند قراءة مسيرته الشخصية يقف القارئ على دوره البارز -رحمه الله- في كونه أحد رواد وواضعي النواة الأولى لمؤسسات المجتمع المدني، كما عُرف عنه مناداته بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي العام، ناهيك عن كونه رائداً من رواد العمل الاقتصادي في المملكة، بوصفه مؤسساً لعدد من الشركات الاقتصادية الكبرى، ذات الوظائف التنموية التي ساهمت بتحديث المجتمع والدولة، مثل: إدارته لشركة القناعة للسيارات بمكة المكرمة، ناهيك عن تأسيسه ورئاسته لمجموعة من هذه شركات كشركة الفلاح للسيارات، والشركة العربية للتوفير والاقتصاد، والشركة العربية للصادرات، والشركة العربية للطبع والنشر عام ١٩٣٥هـ، وشركة ملح وكهرباء جازان، وشركة الزهراء للعمارة، وشركة مصحف مكة المكرمة، وغيرها كثير من الشركات والمؤسسات والمناشط الاقتصادية والتجارية.

صاحب أول كتاب أدبي في الحجاز والمملكة.. وأهدى جامعة الملك عبدالعزيز أكثر من خمسة آلاف كتاب ومخطوطة

«أعلام الحجاز»

لمعرفة الصفات الشخصية للشيخ «محمد بن سرور الصبان» لا بد من الوقوف على ما وصفه به صديقه الشيخ «محمد بن علي مغربي» -رحمه الله- في كتابه «أعلام الحجاز» -الجزء الأول-، قائلا:«محمد سرور الصبان بائن الطول، سمهري القوام، داكن البشرة، عظيم الشفتين، أقنى الأنف، حلو النظرة، أنيق يرتدي العباءة العربية والعقال، وهبه الله سماحة في النفس فكان من أكرم من عرفت من الرجال، وكان يسع الناس ببذله وكرمه كما يسعهم بأخلاقه وحلمه».

وتناول «محمد مغربي» في ترجمته للشيخ «محمد الصبان» العديد من الجوانب، حيث استعرض حياته العملية، قائلا: «.. في أوائل العهد السعودي كان محمد سرور الصبان موظفا بأمانة العاصمة بمكة المكرمة، كما كانت له مكتبة لبيع الكتب يعمل فيها أخوه المرحوم الشيخ عبدالله سرور الصبان، ثم استقدمه الملك عبدالعزيز إلى الرياض وبقي فيها لبعض الوقت وعاد بمعية جلالته إلى الحجاز، وكانت قد اتصلت أسبابه بأسباب المرحوم الشيخ محمد الطويل في الرياض، وعادا معا إلى الحجاز، فأسند الشيخ محمد الطويل إلى الشيخ محمد سرور إدارة شركة القناعة للسيارات بمكة المكرمة، والتي كانت رئاستها للشيخ محمد الطويل».



الملك سعود متحدثا إلى وزير ماليته محمد سرور الصبان

ويشير «المغربي» إلى أنه خلال تلك الفترة قد عمل جنباً إلى جنب مع «محمد سرور الصبان»، وبعد أن أسندت إلى الشيخ «محمد الطويل» رئاسة أموال وجمارك المنطقة الشرقية أصبح الشيخ «محمد سرور» هو القائم بإدارة شركة القناعة في جدة، وما لبث الشيخ أن أسس شركة خاصة للسيارات باسمه واسم إخوانه وأطلق عليها اسم «شركة الفلاح»، وأسندت إدارتها إلى أخيه المرحوم الشيخ «عوض سرور الصبان»، وكانت من أكبر الشركات في ذلك الزمان، موضحاً أن هذه الشركات توحدت فيما بعد تحت مسمى الشركة العربية للسيارات، كما ذكر المؤلف أن شؤون السيارات كانت تهم الدولة فوقع اختيار الشيخ «عبد الله السليمان الحمدان» على الشيخ «محمد سرور» ليتولى إدارة قسم التحريرات في وزارة المالية، وهنا كانت بدايته مع هذه الوزارة الرائدة، والتي كانت بمثابة الأم للوزارات الأخرى اللاحقة، والتي ما إن باشر فيها «الصبان» عمله إلا وظهر أثره وتبين تأثيره.

حياته العملية

ويستذكر «المغربي» جوانب الحياة العملية لصديقه القديم لا سيما بعد أن أسند إليه منصب مدير عام وزارة المالية، التي وجد فيها -كما يقول مغربي- «المجال الرحب لإظهار مواهبه وقدراته، فكان في ذلك العهد ولسنوات طويلة من أكبر الرجال تأثيراً وأعظمهم نفوذاً، وقد استطاع أن يحسّن العمل في وزارة المالية، فالتحق بها في عهده صفوة المثقفين إذ ذاك فتحسنت لغة الكتابة في الدواوين».

ولم تكن حياته العملية رغم ثقل وعظم أمانتها وتعدد مهامها ومسؤولياتها، لتشغله عن هواياته وقراءاته الأدبية والفكرية، كما لم تك حاجزاً عن توسعه في قراءة التاريخ الحضاري لدولة الإسلام، حيث عُرف عنه -رحمه الله- شغفه بالقراءة وطلب العلم حتى في أواخر عمره وتعدد مهامه، لا سيما وقد وصفه «مغربي» بأنه صاحب «مأثرة أدبية كبرى ينفرد فيها حين يكتب التاريخ الأدبي للحجاز، فقد كان أول من أصدر كتاباً بحجم كتابه (أدب الحجاز) وهو أول مؤلف يضم شعراء وأدباء الحجاز في الأربعينيات، وأول صوت يسمع في داخل المملكة وخارجها عن الأدب والأدباء، وهو كتاب شعري بينما، كتابه الآخر (المعرض) نثري».

وأضاف «المغربي»، موضحاً أن «للشيخ محمد سرور مآثر كثيرة فقد طبع ونشر على نفقته كتبا كثيرة جليلة، منها كتاب تفسير معاني كلمات القرآن الكريم للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، وغيرها من الكتب المفيدة».

وقد كان «الصبان» الذي أسس الشركة العربية للطبع والنشر، قد اشترى من خلال شركته جريدة ومطبعة صوت الحجاز من صاحبها المرحوم الشيخ «محمد صالح نصيف»، كما عُرف عنه حرصه الشديد على خدمة المجتمع، بل كان -رحمه الله- يسارع إلى قضاء أمور عامة الناس، وله في ذلك مجالس منشودة ومشهودة، لا سيما مجلسه الذي اعتاد أن يعقده بعد صلاة العصر، الذي ربما استمر إلى ساعات متأخرة من الليل، يحرص من خلاله أن لا يرد فيه أحد يطلبه حاجة أو يرغب مساعدته قضاءها، وكان يخفي مساعداته الشخصية وشفاعاته عن أنظار الناس، ويحرص أن يتواصل مع أصحابها لحين إنجازها وتحقيقها على أرض الواقع.

وزير مالية.. وأمين رابطة

كان الباحث والمؤرخ «محمد بن علي مغربي» -رحمه الله- قد عمل إلى جانب الشيخ «الصبان» قرابة تسع سنوات، ولذا فقد كان من أكثر الناس معرفة بحياة صديقه العملية والشخصية، لا سيما وقد قال عنه:« كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكثيراً ما أشفقت عليه؛ مما أرى فكنت ألفت نظره بلطف إلى ما يفعل ولكن أنى للسيل العارم أن يرتد فقد جبله الله على الكرم والسخاء، وقد كان كثير الحياء كاتما لأسرار الناس وكانت هذه الصفات فيه تمنعه من مصارحتهم بما يكرهون وبالإسراف في مجاملتهم وملاطفتهم..، كما أن كتمانه لأسرار الناس كان يمنعه من تقصي أحوالهم».

ويضيف «المغربي» أنه بعد تولي الملك سعود العرش خلفا لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز، واستقالة الشيخ «عبدالله السليمان الحمدان» من وزارة المالية، عُين الشيخ «محمد سرور» وزيراً لها، وكان الإنفاق الضخم الذي صاحب بداية عهد الملك سعود في ولاية الشيخ «محمد سرور الصبان» لوزارة المالية سببا في الأزمة المالية التي حدثت في ذلك الوقت وارتفاع أسعار العملات الأجنبية، ولم يتمكن «الصبان» من معالجة الوضع؛ لأن العلاج كان يتقضي حزما وسيطرة كاملتين على النفقات، خاصة فيما يتعلق بالعملات الأجنبية، وهذا هو الذي تولاه جلالة المغفور له الملك فيصل، فما هو إلا عام حتى استقرت الأمور وتحدد الصرف وتوازنت الميزانية، وكان الشيخ «الصبان» آن ذاك قد سافر إلى أوروبا في رحلة للعلاج، ولكنه أقيل من منصبه قبل عودته إلى المملكة؛ بسبب هذه الأحداث.

وبقي الصبان في مصر فترة طويلة من الزمن حتى استدعاه الملك فيصل للعودة للبلاد، وبعد عودته أسندت إليه الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي حين تأسيسها، فكانت ولايته لها خير استهلال للأمانة الوليدة وبمهارته وحذقه استطاع أن يخلق من الرابطة على قلة مواردها إذ ذاك كياناً كبيراً ضخماً.

ويذكر «مغربي» أن كلاً من معالي «محمد سرور الصبان» والشيخ «صالح قزاز» كانا يعملان في الرابطة من دون مقابل منذ بدء تأسيسها حتى وفاتهما -رحمهما الله-.

مناصبه الوظيفية

تولى الشيخ «محمد سرور الصبان» العديد من الوظائف، ومن بينها كاتب يومية في بلدية مكة المكرمة في عهد الأشراف عام ١٣٣٦هـ، ثم عمل محاسباً فرئيس كتاب (مدير الشؤون الإدارية)، وبعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز، ظل في وظيفته بالبلدية.

وانتخب عضواً فسكرتيراً للمجلس الأهلي (في بلدية مكة المكرمة) عام ١٣٤٤هـ، كما شغل معاونا لأمين العاصمة فرئيساً لقلم التحريرات بوزارة المالية عام ١٣٥٢هـ، ثم مديراً عاماً لإدارة وزارة المالية، ومن ثم مستشاراً عاماً لوزارة المالية، ونظراً لجهوده وتفانيه فقد عينه الملك عبدالعزيز وزيرا مفوضا من الدرجة الأولى، وعُين في بداية عهد الملك سعود وزيرا للمالية، واختاره الملك فيصل لتأسيس رابطة العالم الإسلامي، وعُين أميناً عاما لها، وقد استمر في تلك الوظيفة حتى وفاته.

نفقاته الخيرية

تولى الشيخ «محمد سرور الصبان» بطباعة عدد من الكتب على نفقته الخاصة، ومنها: (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين)، للتقي الفاسي (٨ أجزاء)، و(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) للتقي الفاسي (جزءين)، و(الطرق الحكيمة) لابن القيم الجوزية، و(تفسير معاني كلمات القرآن) للشيخ محمد حسنين مخلوف، إضافة إلى (مختار الصحاح) و(تهذيب الصحاح) للزنجاني، و(مدارج السالكين) لابن القيم الجوزية، و(ديوان فؤاد الخطيب).

وقال المؤلف «مغربي»: «ترك محمد سرور الصبان مكتبة قيمة تعد من أحسن المكتبات الخاصة في مكة المكرمة وهي تحتوي على كثير من أمهات الكتب المطبوعة وبعضها مخطوط، ولقد تلقيت خطاباً من ابنه الشيخ عبدالرحمن سرور تفيد أن المكتبة قدمت من قبلهم إلى جامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ١٩-٧-١٣٩٧هـ، وأرفق في كتابه صورة من محضر الاستلام والتسلم ويضم خمسة آلاف ومئة وستة وسبعين كتابا، منها مئتان وثلاثة مخطوطات، ومن ضمن تلك الكتب دوائر المعارف والقرآن وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله والإسلاميات واللغة العربية والأدب، إضافة إلى التاريخ والتراجم.. وغيرها».

رحلة حافلة

توفي -رحمه الله- بالقاهرة في الثاني من ذي الحجة ١٣٩١هـ إثر نوبة قلبية داهمته، وتم نقله جثمانه عبر طائرة خاصة من القاهرة، وصلي عليه في المسجد الحرام، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة في الثالث من ذي الحجة ١٣٩١هـ رحمه الله رحمة واسعة، مات محبا للجميع، وشهدوا له بالخير والبر والإحسان.



طه حسين ومحمد الصبان في فندق الكندرة بجدة

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

مضى خلف قائده «عبدالعزيز» واثقاً أميناً مضحياً بحياته في سبيل وحدة وطنه

«ابن شلهوب يا عصابة راسي».. رجل يغنيك عن حضور غيره!

■ «محمد بن صالح الشلهوب» المعروف في ديوان الملك عبدالعزيز بـ«ابن شلهوب» أحد أقدم رجالات الملك عبدالعزيز -الذين واكبوا معه لبنات تأسيس وحدة هذه البلاد-، وشاركوه في حله وترحاله منذ أن دخل مدينة الرياض عام ١٣١٩هـ، إلى حين وفاته -رحمه الله-، إذ التحق به «ابن شلهوب» بعد ذلك بعام واحد أي عام ١٣٢٠هـ، حيث برز دوره في الكثير من المواضع؛ فكان الوزير العام للملك عبدالعزيز، ويناديه دائماً «شلهوب يا عصابة رأسي»، وذلك لشمولية المهام التي أوكلت إليه، حيث تولى الشؤون العامة والمالية، والإشراف على شؤون الداخل، وجمع الزكوات المحلية، ومقابلة الزوار والقادمين، والقيام بترتيبات القصر، وإعداد التجهيزات والمؤن (الزهاب) للغزاة، كما كان أميناً على شؤون الملك عبدالعزيز العسكرية، إضافة إلى مسؤولياته عن تأمين المؤن الخاصة بقصر الملك وضيافته والهدايا التي يقدمها لكبار ضيوفه، وغيرها العديد من المهام الميدانية والإدارية التي تصدى لها «ابن شلهوب» بعمل متواصل حتى كان مجلسه مفتوحاً بأمر من الملك نفسه على مدار ٢٤ ساعة يستقبل وفوداً ويودع آخرين.

وتعتبر أسرة (آل شلهوب) من أسر الرياض التي كانت تقطن بلدة منفوحة، منها نزحت إلى الدرعية إبان قيام الدولة السعودية الأولى، وكانت تعرف باسم «الزبارا» أو «الزبيري» وهي فرع من آل شلهوب الأسرة الأم، كما يقول بذلك المؤرخ «عبدالرحمن الرويشد».

وقد أشار «ابن غنام» في تاريخه إلى رسالة للشيخ «محمد بن عبدالوهاب» موجهة إلى تلميذه «أحمد بن محمد بن سويلم»، وإلى الأمير «ثنيان بن سعود» أخي الإمام محمد بن سعود، يشير فيها إلى أنه يطلب رسالة «ابن شلهوب» كي يعرضها على عالم التحق بتأييد الدعوة للتو ليقرأها، وقد كان والده «صالح» من رجال الإمام «فيصل بن تركي»، فقد ذكر المؤرخان «ابن عيسى» في كتابه (عقد الدرر) و«ابن عبيد» في كتابه (تذكرة أولي النهى والعرفان) أنه في عام ١٢٧٨هـ(١٨٦٢) أصدر الإمام «فيصل» أمراً إلى «صالح بن شلهوب» أحد قواده بالذهاب في سرية إلى عنيزة، لكي ينضم إلى قوة كان قد سيّرها من قبل، كما ذكر أن الإمام «فيصل بن تركي» كان قد عيّن «صالح بن شلهوب» أميراً على بريدة، بدلاً من أميرها السابق (عبدالرحمن بن إبراهيم) وقبل تعيين أحمد السديري، ويذكر أن الشيخ «صالح الشلهوب» -رحمه الله- كان ضمن من حضر واقعة أم العصافير التي كانت بين الإمام «عبدالله بن فيصل» و«ابن رشيد» عام ١٣٠١هـ (١٨٨٤م).

تولى شؤون الملك عبدالعزيز العسكرية وتأمين المؤن الخاصة والضيافة وجمع الأموال.. وموقفه لا ينسى عند استعادة الأحساء

المولد والنشأة

ولد «محمد بن صالح الشلهوب» قرابة عام ١٢٨٨هـ في الرياض وعمل في مقتبل عمره بالتجارة فسافر إلى الكويت والبحرين، وتنقل بين بلدان نجد، وكان قد ترك الرياض وعمره سبعة عشر عاما، وافتتح متجرا خاصا به، ثم التحق بإمارة حائل إبان حكم الأمير «محمد بن عبدالله الرشيد»؛ ليعمل في شتى الأعمال التي انتهت به رئيسا لجباية الأموال في بلدان الخرج وما حولها، وبعد دخول الملك عبدالعزيز إلى الرياض بعام تقريبا التحق به «ابن شلهوب» عام ١٣٢٠هـ، حيث عينه خازنا للمال وكان يطلق عليه أحيانا (رئيس الأموال في نجد)، ويعتبر الشيخ «محمد الشلهوب» من أقدم من عمل مع الملك عبدالعزيز في سلمه وحربه.

قال عنه المؤرخ «أمين الريحاني»: «كان بمثابة وزير المالية ووزير التموين عند الملك عبدالعزيز، فيه إخلاص لا ريب فيه، مهماته متعددة، تشمل الكبيرة والصغيرة، من المدفع إلى عود الكبريت؛ فهو يتولى أمر التوزيع العام الشامل، يوزع الحطب، ويوزع السمن، ويوزع السلاح، ويوزع المال. طريقته في الإدارة أولية بدوية، وحساباته قروية. قال: الذي يجيء نقيده، والذي يروح نقيده، والنتيجة لا شيء. وليس في طريقته محاباة وتفضيل. طوّف بي ذات يوم مخازنه، فدهشت لما في ذمته من الأموال، وفي ذاكرته من الأشياء. هذا مخزن السلاح والذخيرة، وهذا بيت التموين، وهذه الخوابي صنع الهند للسمن، وهذا التمن (الأرز) مئات الأكياس، مرصوصة بعضها فوق بعض. ثم أدخلني غرفة ذكرتني بمخازن الرهون بلندن وبنيويورك. كل ما فيها مهمل مجهول ومكدس بعضه فوق بعض. سألت الشلهوب عنها فقال: غنمناها في إحدى المواقع، ولا أدري ما فيها».



ابن شلهوب رجل دولة بأمانة وإخلاص

أمين عسكري

وكان الشيخ «محمد بن صالح بن شلهوب» -أحد رجال الملك عبدالعزيز الأوفياء- قد جعله الملك أميناً على شؤونه العسكرية والمدنية، وكان على رأس الإمدادات والتموينات والاتصالات متنقلا بين الرياض والقصيم.

وقد ذكر في كتاب (وثائق الملك عبدالعزيز) للدكتور «عبدالرحمن السبيت» وزملائه أن «ابن شلهوب» كان يتردد بين الرياض والقصيم والكويت ويتنقل منذ أن استقر الوضع في بريدة عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) مكلفا بالتجهيزات العسكرية، وشراء المواد التموينية، والاتصال بشخصيات كبيرة، وتأمين الحاجيات اللازمة لمعسكرات عبدالعزيز، كما ذكر الشيخ «إبراهيم النشمي» في مذكراته المنشورة في كتاب (رجال وذكريات مع عبدالعزيز) أنه كان أحد تجار السلاح في المدينة المنورة والخليج والكويت، قبل انضمام الحجاز إلى أجزاء المملكة، وكان يتعامل مع «ابن شلهوب» بأمر من الملك عبدالعزيز للحصول على الأسلحة والذخائر، حيث كان «ابن شلهوب» مكلفا بتلك المهمات في ذلك الوقت.

استعادة الأحساء

بعد أن استقر حكم الملك عبدالعزيز في نجد هدف إلى استعادة الأحساء، حيث كانت جزءا من الدولة السعودية فيما سبق، وحينها أرسل الملك عبدالعزيز «محمد بن صالح الشلهوب» ضمن قافلة تجارية دخلت الهفوف، وتظاهر بأنهم مهتمون بشراء المؤن والأغذية، وكلفه الملك عبدالعزيز بالوقوف على الوضع العام في المنطقة والتحري ما أمكنه عن الوضع العسكري والأمني.

وبعد عودته أخبر الملك عبدالعزيز بمعلومات عن الأحساء، وسار الملك برجاله قاصدا الهجوم على الأحساء وعند وصوله إلى (الرقيقة) (من ضواحي الأحساء) أبقى فيها أربع مئة من رجاله وخيله ومؤنه، بقيادة أخيه الأمير «محمد بن عبدالرحمن»، ووصل إلى الكوت ليلا في الشهر الخامس من عام ١٣٣١هـ(١٩١٣م)؛ فأرسل الملك عبدالعزيز إلى «أحمد نديم» متصرف الأحساء الموجود في القلعة، طالبا إليه تسليم المنطقة بشكل سلمي يضمن له الخروج سالما دون أسلحته وعتاده، فوافق المتصرف، فبعث له الملك عبدالعزيز على الفور «ابن شلهوب» ومعه بعض الرجال، وشخصا يتقن اللغة التركية، فذهب الجميع إلى قصر إبراهيم الذي تحصن فيه المتصرف «أحمد نديم» وتسلم «ابن شلهوب» ورجاله الأسلحة والعتاد!

استضافة الرحالة والزوار

بعد أن استقرت الأوضاع في بداية ضم المناطق وتوحيد الدولة تبقى الصعوبة في الحركة التجارية، وذلك لبطء وسائل النقل آنذاك التي تنطلق من وسط الجزيرة إلى الأحساء والعقير، لتلتقي بالسفن البحرية، محملة بالبضائع، وفي تلك الفترة زار البلاد عدد من الساسة والرحالة من أنحاء العالم، ومن بينهم (باركلي راونكير) و(جيرالد ليتشمان) و(وليد شكسبير) و(بول هاريسون) و(هاملتون) و(فيلبي) و(أمين الريحاني) والطبيب (ديم).

وكان «ابن شلهوب» حينها المكلف من قبل الملك عبدالعزيز بإيوائهم، وإعداد الضيافة لهم، وتأمين راحتهم وتحركاتهم، واستقبال طلباتهم، والإجابة عن استفساراتهم حول سفرهم وإقامتهم. وقبيل رحيلهم كان «ابن شلهوب» يعد الهدايا والملابس، ويتكفل بترحيلهم وتجهيزتهم، وكان دبلوماسيا في إجاباته على أسئلة ضيوف الملك حرصا منه على أمن البلد وسرية المعلومات، لا سيما تلك الأسئلة التي تخص الميزانية والسلاح والمقدرات العسكرية، حتى أن «الريحاني» أعجب وتعجب من بعض هذه الإجابات، قائلا: «شلهوب يعرف عن طريق قائده مدى حرص أولئك القادمين على التعرف عن كل شيء: عن الأسلحة والمعدات العسكرية، فلما سأله الريحاني يوما عن أحد المخازن المليئة بالأسلحة، لم يُمكّنه من التعرُّف عليها، بل اكتفى بقوله: إنها أسلحة غنمناها، ولا أعلم عنها شيئا».



صورة تاريخية للملك المؤسس مع الملوك فيصل وفهد وعبدالله عام ١٩٤٨م ويبدو ابن شلهوب واقفاً

مجلسه في «دخنة» مفتوح على مدار الساعة لضيوف الدولة و«قهوته عامرة» بالذكر.. توفي وعمره ١٠٠ عام

مهام شاملة

ونظراً لحجم المسؤوليات التي كُلف بها «ابن شلهوب» إثر توحيد البلاد ونشأة الدولة الحديثة على يد المؤسس الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فقد كان يفوض من يثق بقدراتهم وهممهم وتفانيهم، وذلك للقيام بمهمات شؤون الصرف على القضاء الشرعي، ونظام المرتبات الشهرية، والإشراف على الأوقاف، واستلام المطبوعات الدينية وتوزيعها، وله ارتباط وظيفي محدد برئيس الديوان العام للسلطان عبدالعزيز في ذلك الوقت الشيخ «ناصر بن سويدان» -أحد ثقات الملك عبدالعزيز ويحظى بكثير من المهابة والوقار، إضافة إلى ما ذكره «الريحاني» من أن «ابن شلهوب» كان مسؤولا عن البيوت والخيل والإبل والمؤن والخدم ومخول بمهام عديدة، وقد شاهد «أمين الريحاني» بنفسه «ابن شلهوب» وهو يوزع ثلاثة آلاف عباءة مذهبة تم شراؤها من سورية في ذلك الوقت.

نواب «ابن شلهوب»

ويذكر المؤرخ «عبدالرحمن الرويشد» أن «ابن شلهوب» نظراً للمهام الجسام وزيادة الأعباء والمسؤوليات المنوطة به أثناء نشأة الدولة رأى ضرورة الاستعانة بمن يثق فيهم من الرجال ويرى فيهم القدرة لتنفيذ المهام الموكلة بأمانة وجودة عالية، ومن هؤلاء الشيخ «عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس» الملقب أحد أجداده بـ(القطان)؛ فقد كان نائبه في توزيع المؤن والأغذية والقائم على (الشونة) المخازن البرية المتنقلة للغزو والسرايا، كما كان نائبه على توزيع الأسلحة والذخائر الشيخ «عبدالله بن عبدالعزيز بن عسكر» المعروف بـ(السيد)، إضافة إلى «محمد بن عتيق» نائبه في توزيع الملابس والعبي.

واقتضت الحاجة لجمع عدد كبير من الكتبة والمأمورين ومن بينهم «عبدالرحمن بن محمد بن عساكر» و«علي بن خميس» وسعد بن عبدالعزيز بن رويشد» و«علي بن شقير» و«عبدالعزيز بن شهيوين» و«الحميدي» و«علي القصيمي».. وغيرهم.



محمد بن صالح بن شلهوب

مجلسه في دخنة

ووصف «فيلبي» في كتابه (قلب الجزيرة العربية) مجلس الشيخ «ابن شلهوب» عندما قدم إلى الرياض للمرة الأولى.. بأنه غرفة أنيقة وواسعة، تقع في الطابق الأول، يكسوها سجاد جيد وفاخر، ووسائد ذات أقمشة هندية مزركشة، وبها موقد للقهوة يحوي عددا من أباريق القهوة (الدلال) ومدخنة جميلة إطارها من خشب الأثل، مزينة بأزارير نحاسية، وأربع مرايا، وأربعة شرائط من الصفيح، وضعت كل واحدة على جانب، وعلى حوائط المجلس عن جهاته الأربع علقت صور ملونة لقارب سباق بثمانية مجاديف.

وقال: «كان معه في غرفة الجلوس تلك عدد من الزوار.. وكانت دار ابن شلهوب في حي دخنة، على حافة الطريق المؤدي إلى بوابة الرياض الجنوبية، مفتوحة للزوار، كما يفرض عليه منصبه مقابلة الكل واستضافتهم، وكانت القهوة التي تقدم في غرفة الجلوس من أفضل أنواع البن اليمني، وكان ذلك النوع من القهوة يدخر في مجالس الرياض للضيوف المميزين، وكان الملك عبدالعزيز يكلف ابن شلهوب باستضافة الزوار وتقديم واجب الضيافة لهم والإشراف على زيارتهم».

الضيافة والتوعية الدينية

وذكر «عبدالرحمن الرويشد» فيما يرويه عن عمه الشيخ «سعد بن عبدالعزيز الرويشد» -رحمه الله- عن قهوة الشيخ «ابن شلهوب»، قائلا: «كانت في فترة من الفترات تعد من أكبر المقاهي في الرياض، وكان يقدم فيها على مدار الأربع والعشرين ساعة القهوة والشاي وفاكهة الموسم، وكان الزوار الكبار للملك عبدالعزيز يقصدون تلك القهوة كل يوم في الصباح والمساء لقضاء بعض الوقت، وفي المساء خاصة جرت العادة أن تكون هناك فترة لا تقل عن نصف ساعة للقراءة الحرة في بعض الكتب المشهورة، من بينها كتاب البداية والنهاية، وكتاب الهدي النبوي لابن القيم، وكتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، ويتناوب القراءة كل ليلة مقرئان، أحدهما الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد، والآخر الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب، أحد طلبة العلم آنذاك.. وفي ليلة أخرى يقرأ الشيخ سعد بن عبدالعزيز الرويشد، ومقرئ شلهوب الخاص سعد بن حسين، والد الأديب عبدالله بن سعد بن حسين، ويشهد تلك القراءة بعض من سكان دخنة، ومن ضيوف الملك عبدالعزيز، وهو تقليد معروف في بيوت الحكام، وقلدهم فيه كبار أتباعهم، وبعض شخصيات الرياض البارزين».

وفاته

عاش الشيخ «محمد بن صالح الشلهوب» عمراً مديداً تجاوز المئة عام، وقد أصبح في آخر عمره يتنقل عبر كرسيه المتحرك إلى حين وفاته في مدينة بيروت في شهر جمادى الثانية عام ١٣٨٩هـ(١٩٦٩م)، ونقل جثمانه إلى مدينة الرياض، حيث صلى عليه الملك فيصل، وجمع كبير من المواطنين، رحمه الله رحمة واسعة.

من عبدالله بن عبدالعزيز إلى «ابن شلهوب»: «ما عندي قهوة ولا هيل»!

■ نتذكر قبل عقود وثيقة كتبها الملك عبدالله إلى (محمد بن صالح بن شلهوب)، وهو أحد أهم رجالات الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-، وكان يناديه (يا عصابة راسي)؛ تقديراً لأهميته، ومستوى حضوره، حيث كتب في الوثيقه ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى الأخ المكرم أبو صالح شلهوب سلمه الله تعالى، وبعد:

حنا نبي نظهر بعد الظهر طلبنا منكم قهوة ولا ظهر شاهي ولا هيل وحنا خالين من الهيل والشاهي، وباقي لي عندكم ثلاثة أصوع هيل وثلاثة شاهي من قبل أن يذهب الشيوخ ولا هو بواجب منك يا أبا صالح. وحنا نسأل ابن مسلم يقول مافيض عليّ شيء. واليوم حنا معتازين ولا لكم عذر في شيء عندكم، وحنا لو نبي منك دون مأمورية، وعسى الله يطول عمر عبدالعزيز ويسلمه).

كلمات بسيطة في تقدير طلبها، وشدة احتياجها، لكنها تكشف في عمق دلالاتها خط الفقر الذي كان في أسفل حضوره في البلاد عند بداية التأسيس، وكيف أن المعاناة مناصفة بين المواطن البسيط الذي يقتات على أمه، وبين ابن الملك الخالي من الهيل والقهوة، ويصرح بمعاناته (حنا معتازين)، بل وأكثر من ذلك (باقي لي عندكم) وكأن الأمر لا يتحقق إلا بالتوازي، و«سلف ودين».. هذا المقطع من الوثيقة رسالة يحملها «عبدالله بن عبدالعزيز» إلى أبناء الجيل الحالي من أن الفقر لم يمنع الرجال الأوفياء والصادقين من بناء حلم الدولة.

وحين نسترجع النص بمفرداته، وأسلوبه.. فابن الملك عبدالعزيز لم يكن يتعامل مع أحد أهم رجال والده، ووطنه بأسلوب الأمر القابل للتنفيذ الفوري، أو حتى قوة التنفيذ، والتهديد، ولكنه أسلوب رقيق يكشف معدن الرجال حين تخاطب الرجال، وصدق النفوس حين تتعامل مع الآخرين.



نص الوثيقة من أرشيف المؤرخ «إبراهيم بن حمد آل الشيخ»

تحمل مسؤولياته في مرحلة التأسيس وتحقق حلمه مع رفاقه بمشروع «الوحدة» بعد الشتات

إبراهيم بن معمر.. عاد من «الغربة» مشاركاً في وطن آمن مزدهر لجيل اليوم

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يظل الحديث عن مراحل البناء والتأسيس مرتهن بالحديث عن رجالات القرن المنصرم، حيث شهد الآباء والأجداد أطوار العمل الدؤوب في كافة مرافق ومؤسسات الدولة وأعمالها الميدانية والإدارية، ولعل إطلالة سريعة على حقبة البناء التي شهدتها الدولة -منذ توحيد البلاد عام ١٣٥١هـ- كفيلة باستعراض تلك السير الرائدة في حياة كثير من رجالات المجتمع والدولة، الذين اختلفت أعمالهم باختلاف مهامهم الموكلة لهم، والذين كان من بينهم الوجيه ورجل الأعمال والدبلوماسي الشيخ "إبراهيم بن عبدالله المعمر" -رحمه الله-، الذي عكست لنا أعماله وتعدد مهامه حجم الثقة الممنوحة له من قبل الملك المؤسس -رحمه الله- ثم أبنائه من بعده، حيث عمل الشيخ "إبراهيم" وزيراً مفوضاً ووكيلاً لوزارة الخارجية ورئيسا للديوان الملكي، ومن ثم قائم مقام مدينة جدة.

الشيخ "إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن سيف المعمر".. سليل أسرة آل معمر أمراء العيينة قديما، ولد وتربى في الكويت، حيث كان والده هناك يمارس التجارة ويعمل في ضروب الاستثمار التجاري مع عدد من التجار ورجال الأعمال.

وقد ولد قرابة عام ١٨٧٨، وأمضى طفولته في الكويت كما تلقى علومه الأولية فيها، ثم سافر وتنقل بين عدد من بلدان الخليج والهند، ومنها اكتسب مهارة التحدث بأكثر من لغة كالإنجليزية والأردية والفارسية، حيث درس بعضها وبعضها حصل عليها من خلال الممارسة والعمل المشترك، كما تردد على عدد من الدول الأوروبية والعربية والآسيوية وحتى الأفريقية، وهو وإن تميّز بكثرة أسفاره وتنقلاته إلا أنه لم ينفرد بهذه الميزة عن غيره، بيد أنه برز عن أقرانه وأبناء زمانه بسعة وتعدد الدول التي مارس فيها أعماله التجارية، وقد أكدت ذلك كتابات بعض الباحثين الذين اعتنوا بتراجم أعلام القرن المنصرم من رجالات التأسيس والبناء لبلادنا.

يذكر أن "الشيخ إبراهيم" -رحمه الله- استقر فترة من الزمن في مصر، وبعد دخول الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى الحجاز أرسل له الملك رسالة مفادها أنه في حال رغبته المجيء إلى السعودية فإن الملك يرحب به ليعمل لديه، فعلاً رحب "ابن معمر" بخطاب الملك ووصل إلى الحجاز في رجب ١٣٤٤هـ، يناير ١٩٢٦م، وعين فور وصوله رئيساً للديوان الملكي، وأدى عمله خير قيام لعدة سنوات، ومن ثم استقال من منصبه، وكان الملك يريده إلى جانبه فعينه وزيراً مفوضاً له في بغداد، وقدم نفوذه ووجاهته للنجديين الذين كانوا يعيشون في العراق أن ذاك، حيث كان بعضهم يعاني من التفرقة وبعض المضايقات، وحينها بذل "ابن معمر" جهوده لخدمة مواطنيه مما أزعج السلطات العراقية، فطلب ملك العراق من الملك عبدالعزيز إبعاده عن العمل بالعراق؛ فاستجاب الملك لرغبة ملك العراق على مضض وتردد، ونقل "ابن معمر" ليعمل قائم مقام لمدينة جدة، وبعد نهاية فترة عمله أقام في مدينة جدة إلى أن توفي -رحمه الله-.

استدعاه الملك عبدالعزيز بعد دخوله الحجاز وعيّنه رئيساً للديوان الملكي ثم وزيراً مفوضاً في بغداد.. وأخيراً قائماً لمقام جدة



الملك عبدالعزيز خلال استقباله ملك أفغانستان محمد ظاهر شاه عام ١٩٤٩ ويظهر ابن معمر على يساره

أسرة آل معمر

من المعروف أن «آل المعمر» هم أمراء مدينة العيينة وكذلك مدينة سدوس في شمال غرب مدينة الرياض الحالية، ويتردد اسم هذه الأسرة التميمية النسب عند كثير من المؤرخين، لا سيما حين بدايات دعوة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» في منتصف القرن السابع عشر، كما عرف عدد كبير من أبناء هذه الأسرة كرواد في كثير من المجالات وتقلد عدد كبير منهم مهامٌ رفيعة في دواوين ومؤسسات الدولة السعودية في مختلف أطوارها وأزمنتها، تتبعها بعض الباحثين والمؤرخين حتى من أبناء أسرة «آل معمر» ذاتها حيث ألف «عبدالمحسن بن محمد بن عبدالعزيز المعمر» في عام (١٩٩٥) كتابا يحكي تاريخ أسرة «آل معمر» وإمارتهم السابقة في العيينة في القرن السابع عشر.

رحلة التأسيس

الشيخ «إبراهيم» أحد رجالات الدولة السعودية ممن رافق مراحل البناء والتأسيس الإداري والسياسي، لا سيما في الفترات الأولى من بناء الدولة وتوحيدها، وهو يعد من أولئك القلائل من بين الشخصيات التي نالت حظاً وافراً من التعليم الحديث خارج منطقة نجد، حتى أنه طاف العالم كتاجر ومستثمر إلى أن استقر في بلاده وعايش تأسيس مراحل الدولة السعودية، وقيام مؤسساتها الدستورية والإدارية، وأصبح فيما بعد من كبار مستشاري الملك عبدالعزيز.

ويؤكد «د. عبدالرحمن الشبيلي» -كاتب وباحث- أن هناك جوانبَ من محطات حياته ما تزال بحاجة إلى توضيح، ولذا فالمرجو أن يتمكن الباحثون من تحقيق رحلته الطويلة في عالم التجارة والدبلوماسية والإدارة مدة تزيد عن ستين عاماً؛ لكونه شخصية لافتة للأنظار، سواء فيما يتصل بثقافته العلمية في مقياس الفترة التي عاشها، أو فيما يتعلق بالمسؤوليات والمناصب الرفيعة التي تولاها.

كتُب المؤرخين

وكتب عن الشيخ «إبراهيم آل معمر» -رحمه الله- العديد من المؤرخين والباحثين في جذور التاريخ، ومن أولئك المحدثين «حمد الجاسر» -رحمه الله -، و«محمد المانع»، و«عبدالله فيلبي»، و«أمين سعيد»، و«محمود بشير المدني»، و«وليام فيسي» -الذي أرّخ وأعد كتاباً عن مدينة الرياض-، كما ورد ذكره كثيراً في الوثائق الأجنبية التي تتحدث عن تلك المرحلة التي عاشها «ابن معمر».

الأديب والشاعر

كان للشيخ «إبراهيم آل معمر» كتابات ومشاركات متعددة في صحف سعودية وعربية كان من أهمها مقالاته التي كان يكتبها في بعض الصحف المصرية إبان إقامته هناك، كما يذكر له كتابات في الصحف السعودية ذكر منها الباحثون مقالين نشرهما عام ١٩٢٦ في الجريدة الرسمية (أم القرى) واصفا الرحلة الأولى للملك عبدالعزيز من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، كما نشر أبياتا شعرية يصف فيها تلك الرحلة في الجريدة نفسها (العدد ١١٠ يناير ١٩٢٧)، وعليه فقد عُرف عند بعض الباحثين بقلمه الذي تميّز بنهجه وأسلوبه الحديث المعاصر، لا سيما في مقالاته ورسائله المنشورة التي عكست حجم ثقافته ومعرفته بقضايا عصره.

حياته السياسية والإدارية

ويشير «د. عبد الرحمن الشبيلي» إلى أن الشيخ «إبراهيم آل معمر» بدأ انطلاقته الأولى في حياته العملية العامة والسياسة لخدمة وطنه ومليكه.. مبتدئا بديوان الملك عبدالعزيز.

وذكر أن حياته السياسية مرت بعدة مراحل ومحطات استثنائية، ومن أبرزها: أنه كان من ضمن المستشارين السياسيين الأوائل حول الملك عبدالعزيز من جيل «أحمد الثنيان»، و«د. عبدالله الدملوجي»، حيث تشير الوثائق إلى أنه كان سكرتيرا بالديوان الملكي، ومكلفا بملف الاستخبارات السياسية الخارجية بحسب ما جاء في الوثائق المتوافرة السعودية والعربية والأجنبية، كما أن من أدواره الإعلامية البارزة تلك الرحلات التي كان فيها مبعوثاً من الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى أوروبا وبعض البلاد العربية.. وبعد أن استقر في مصر أكمل مسيرته الإعلامية وتوضيح حقيقة أهداف الحكم السعودي الجديد في الحجاز (١٩٢٥)، ودحض الافتراءات والشبهات التي كانت تنشرها الدعايات المناهضة له، وقد كتب «المعمر» خلال إقامته تلك في مصر عددا من المقالات السياسية والرسائل.

ويضيف «د. الشبيلي» انه كان يضيف لقب (النجدي) إلى اسمه إبراهيم بن محمد بن معمر، وأنه كان يقطن في الحلمية، ثم في الزيتون في ضواحي القاهرة، كما أنه وبعد عودته من مصر عاد إلى عمله سكرتيرا مقربا من الملك عبدالعزيز قبل تعيينه رئيساً للديوان، وذلك بدليل ما نسبه إليه الصحافي الألماني (ولفجانج فون) الذي زار المملكة عام ١٩٢٧م، لقد عرف «المعمر» خلال تلك الفترة بكثير من المواقف الإنسانية والاجتماعية النبيلة، ذلك أن منصبا بهذا المستوى يتيح لشاغله أن يذكر بالخير في مجتمعه طالما بقي في خدمة الناس وتلبية احتياجاتهم.

وكان ممن ذكره بذكر حسن في تلك الفترة العلامة «حمد الجاسر» الذي سجل معي -والحديث للدكتور الشبيلي- في ذكرياته أن «المعمر» سهل له الالتحاق بالبعثة في مصر عام ١٩٣٩م.

يذكر أن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- اختاره رئيساً للديوان الملكي خلفاً للشيخ «الطيب الهزازي» بحسب (جريدة أم القرى)، العدد ٨٧ أغسطس ١٩٢٦.



الشيخ إبراهيم بن محمد بن معمر



ابن معمر.. رجل دولة بامتياز الحضور وتحمل المسؤولية

توقيع اتفاقية

كان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- قد أوفد الشيخ «إبراهيم بن معمر» إلى الكويت للاجتماع بوزير خارجية العراق «ناجي شوكت» في الكويت تمهيداً لعقد المؤتمر الذي تم على الطراد البحري (لو بين) عام ١٩٣٠م بين الملك عبدالعزيز والملك فيصل بن الحسين ملك العراق، بمشاركة المندوب السامي البريطاني، وأسفر عن توقيع اتفاقية صداقة وحسن جوار بين البلدين (أبريل ١٩٣١).

معركة السبلة والقرعة

حضر الشيخ إبراهيم آل معمر الموقعة المسماة (السبلة) التي وقعت عام ١٣٤٧هـ، مع (الإخوان) في روضة قريبة من مدينة الزلفي (٢٥٠ كم شمال الرياض)، وذكر «محمد المانع» في كتابه (توحيد المملكة العربية السعودية) أن «المعمر» كان على رأس مفرزة الرشاشات والمدافع، كما شارك في موقعة «القرعة» التي جرت بعدها في الدبدبة شمال شرقي المملكة.

وزير مفوض

ولكفاءة الشيخ «إبراهيم» وثقة الملك عبدالعزيز في قدراته فقد عينه وزيراً مفوضاً للمملكة لدى العراق (يونيه ١٩٣٣) بعد فترة وجيزة من افتتاح المفوضية، وفي واحدة من أهم العواصم العربية المؤثرة في مصالح السعوديين (بغداد)، إضافة لكون المنطقة تضم جالية سعودية كبيرة كانت قد هاجرت إلى العراق، وأن قبائل وعشائر عربية كانت تنتشر على المناطق الحدودية بين البلدين، وهو ما يذكر بأهمية الموقع، فضلاً عن إشرافه على تطبيق اتفاقيات الحدود الموقعة حديثاً بين الدولتين، وعلى تطبيق إجراءات الحج للراغبين فيه، وقد أشرف «المعمر» خلال عمله في بغداد على تنظيم الزيارة الأولى التي أداها ولي العهد الأمير (الملك) سعود عام ١٩٣٦.

قائم مقام جدة

تم تعيين «إبراهيم بن معمر» قائم مقام مدينة جدة (١٩٣٧)، وكان من أبرز من شغل هذا المنصب في نهاية العهد الهاشمي وبداية العهد السعودي «عبدالله علي رضا»، الذي اجتمع مع الملك عبدالعزيز حين دخوله إلى مدينة جدة، ثم خلفه بعد وفاته عبدالعزيز بن معمر (أمير الطائف فيما بعد)، ثم خلفه محمد عيد الرواف، الذي نقل إلى بغداد بمجرد تعيين «إبراهيم المعمر» الذي شغل هذا المنصب حتى وفاته -رحمه الله-، وخلال توليه منصب قائم مقام جدة كلف إلى جانب عمله بعمل وكيل وزارة الخارجية (بالنيابة عن فؤاد حمزة الذي تغيب لأسباب صحية في ٣ مارس ١٩٣٨)، حيث ورد في الوثائق البريطانية والفرنسية عدة مخاطبات بتوقيعه، من بينها على سبيل المثال خطابه الموجه بتاريخ ١٧ أبريل ١٩٣٨ إلى السفير الفرنسي بجدة، يعبّر فيه عن شكر وزير الخارجية السعودي (الأمير فيصل) بمناسبة وصول طائرة فرنسية مهداة إلى الملك عبدالعزيز، إضافة إلى مهامه لترتيب زيارة ملك أفغانستان «محمد ظاهر شاه» إلى المملكة عام ١٩٤٩، والتي تمت قبل وفاة الملك عبدالعزيز بنحو أربع سنوات، وقد خصص «إبراهيم الحسون» في كتابه (خواطر وذكريات) (٣ أجزاء ٢٠٠٣) حيزاً كبيراً تطرق فيه إلى اسلوبه وخصاله نظراً لكونه عمل سكرتيراً خاصاً له في قائم مقامية جدة.

وفاته

كانت وفاة الشيخ «إبراهيم بن محمد بن معمر» في إحدى مستشفيات بيروت عام ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، والقارئ لسير وتراجم وأعلام القرن الهجري المنصرم في بلادنا، يلحظ كثرة من توفي من أولئك الأعلام في مستشفيات العاصمة اللبنانية بيروت، حيث عرفت لبنان آنذاك بوفرة مراكزها العلاجية وتقدمها في المجال الصحي، وكان الشيخ «إبراهيم» -رحمه الله- قد ترك من الأبناء كلاً من عبدالله وعبدالعزيز وعبدالرحمن وأحمد وسعود ومن البنات نورة وفاطمة وشعيَع ومنيرة. رحم الله الشيخ عبدالعزيز رحمة واسعة.

حضر توقيع اتفاقية «صداقة وحسن جوار» مع العراق على متن «الطرّاد البحري».. وشارك في معركتي «السبلة» و«القرعة»



الشيخ إبراهيم بن معمر قريب من الناس وتلمس احتياجاتهم



ابن معمر مع الإمام أحمد ملك اليمن

«معادن الرجال» لا تنكشف إلاّ حين تكون مخلصة أمام المواقف الصعبة مهما كانت المغريات.. والمتغيرات

«رشيد بن ليلى».. احتواه الملك عبدالعزيز وصار «ذراعه اليمين» في العراق ودمشق

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ أحد رجال حائل البارزين في عهد الأمير "ابن رشيد"، كما أنه أحد أهم رجالات الملك عبدالعزيز بعد توحيد المملكة.. وهبه الله الذكاء والفطنة وحسن التصرف، وتقلد منذ شبابه مناصب سياسية عديدة، كما انتدب لأكثر من دولة، وعُرف بإخلاصه وصدق انتمائه لوطنه، كما اشتهرت تجارته في أنواع الأسلحة التي كان يوردها في نجد بـ"سلاح ابن ليلى"، كما مثّل الأمير عبدالعزيز بن رشيد باسطنبول في عشرينات القرن الهجري المنصرم، وبعد لقائه بالملك عبدالعزيز في العهد السعودي تم تعيينه في مجلس الشورى، ثم عيّنه الملك عبدالعزيز قنصلاً للمملكة في العراق، ثم في دمشق، والقارئ لسيرة وحياة "ابن ليلى" -رحمه الله- يقف كثيراً عند المثل الشعبي القائل "فلان طلعة رشيد" حيث يُقصد فيه "رشيد بن ليلى".

ولد الشيخ "رشيد بن ناصر الرشيد بن محمد بن ليلى" عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٤م، وقيل عام ١٢٩٤هـ وتلقى تعليمه في الكتاتيب بمدينة حائل، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، إضافة إلى حفظه ما يقارب (٣٠٠) حديث من صحيح البخاري، وكان حينها يقرأ على عدد من علماء حائل، منهم أخوه لأمه الشيخ "صالح السالم"، وقد كان -رحمه الله- مجوداً للقرآن الكريم، نبيهاً، ذكياً، فطناً، بارعا بالحفظ، يحب العلوم والمعارف، وفي شبابه اتجه للعمل السياسي فأصبح بما وهبه الله -سبحانه وتعالى- من العلم والحكمة والدراية أحد رجال الشعب السياسية، حيث عمل في السلك الدبلوماسي، وأصبح سفيراً للأمير عبدالعزيز بن رشيد -رحمه الله- في اسطنبول، حين كان في العشرينات من عمره، وهو ما دفع الخليفة العثماني "عبدالحميد الثاني" إلى أن يمنحه لقب "الباشوية"، كما منح سفير الملك عبدالعزيز الشيخ "صالح بن محسن بن عذل" اللقب نفسه.

عُرف عن الشيخ رشيد -إلى جانب ذكائه الحاد وحنكته السياسية- العديد من الصفات الحميدة، بالإضافة إلى سرعة حفظه القرآن الكريم قراءة وتجويداً، وحفظه الكثير من الأحاديث النبوية، وكان -رحمه الله- يقرض الشعر الفصيح، ويجيد اللغة التركية تحدثاً وكتابة، كما كان يجيدها شعراً، وهو مع هذا مطلع بشؤون ودروب السياسة في عصره، عارف بفنون وآداب المراسم والتشريفات، وله علم وخبره في السلك الدبلوماسي.

اشتهر بتجارة الأسلحة أثناء حكم العثمانيين وعُرف بـ«سلاح ابن ليلى».. وهو المقصود بالمثل الحائلي «فلان طلعة رشيد»





رشيد بن ليلى.. إخلاصه ورجولته كسب بهما إعجاب الملك عبدالعزيز

مندوب لتركيا

ذكر "محمد العلي العبيد" -صاحب النجم اللامع للحوادث جامع- أنّه جرت محاورة عند السلطان العثماني، وكان عنده "رشيد بن ليلى" مندوب الأمير "سعود بن عبدالعزيز بن متعب آل رشيد" أمير حائل في ذلك الوقت، فتكلم رشيد عند وزير السلطان، وكان الوزير يبلغ السلطان عن الرعية وكل ما يحدث داخل "الإستانة" وخارجها، مبيّناً أنّ "ابن ليلى" حاول من خلال محاوراته مع السلطان إقناعه ببعض الأمور حول دعوة الشيخ "محمد بن عبدالوهاب" -رحمه الله-؛ مما جعل الخليفة يأمر وزيره باستدعاء "صالح اليحيا الصالح" -أمير عنيزة الأسبق-، وكان حينها حاضراً في اسطنبول، وأمر السلطان أن يسأل "صالح اليحيا" عن ما قاله "رشيد بن ليلى"، فسألوه عن ذلك، فاستكبر "صالح اليحيا" قول "ابن ليلى"، وقال: معاذ الله مذهب السعود والرشيد وأهل نجد كافة واحد، وليس بينهم اختلاف في العقائد ولا في الأديان، فكلهم يقلدون مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقط، إن النزاع لا يزال قائماً على الملك، وكلهم مسلمون موحدون يؤمنون بالله وبرسوله، وبعد هذا الجواب أرسل "رشيد بن ليلى" لـ"سعود بن رشيد"، يخبره بما جرى، ويقول في كتابه: "جلستي في اسطنبول مالها ثمرة، لأنني أفتل، وصالح اليحيا ينقض"، لكن هذه القصة زادت من مكانة "ابن صالح" عند "ابن رشيد"، فلم يتغيّر عليه، كما بقيت مكانة "ابن ليلى" سامقة بفضل ما وهبه الله من حكمة ودراية.

المناصب التي تقلدها

كان "رشيد ابن ليلى" -رحمه الله- صاحب أعمال وطنية جليلة، وشديد الانتماء للأرض والوطن، فتقلد عددا من المناصب في عهد "ابن رشيد"، ومن ثم عهد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود، ويذكر "د.عبدالعزيز بن علي الزهراني" في كتابه "رجال من الشورى" أنّ "عبدالعزيز بن رشيد" بعث "ابن ليلى" إلى مجلس "المبعوثان" في القسطنطينية كوكيل له في تركيا، فأقام بها ما يقارب من عشرة أعوام، كما منحته الدولة العثمانية لقب "باشا"، واشتهر خلال الفترة بتجارة السلاح، حيث كان يجلب السلاح إلى الجزيرة العربية، وكان معروفاً في نجد بـ"سلاح ابن ليلى"، وبعد توحيد المملكة أصبح مقرباً عند الملك عبدالعزيز، فأولاه عدة مناصب، ففي عام ١٣٤٩هـ عين عضواً في مجلس الشورى السعودي إلى عام ١٣٥١هـ، وكانت له علاقات قوية مع معظم الزعماء في ذلك الوقت، من الملوك، والأمراء العرب، والأتراك، والألمان، والفرنسيين، الذين فاوضهم بطلب من الملك عبدالعزيز لإطلاق سراح "فؤاد حمزة"، عندما حكم عليه المستعمر الفرنسي في بلاد الشام بالإعدام، كما تم تعيينه قنصلاً في دمشق، ووكيلاً للملك عبدالعزيز، قبل إنشاء السفارة اعتباراً من ١٦ المحرم ١٣٥٢هـ، واستمر في هذا العمل حتى وفاته -رحمه الله-.

ثواب الإخلاص

يذكر الأستاذ "عبدالرحمن بن سليمان الرويشد" في كتابه "عبدالله السليمان الحمدان" أنّ من مزايا الملك عبدالعزيز اصطناعه للرجال، ذلك أنّه كان يعتقد في نفسه أنّ الإخلاص في العمل غريزة قلما يتجرد منها الإنسان، لذلك فهو -أبداً- لم يفقد الثقة في أولئك الرجال الذين اخلصوا لمشايخهم وأمرائهم، حتى وإن كانوا على خلاف مع الملك نفسه، وضرب لذلك مثلاً بـ"رشيد الناصر بن ليلى"، فقال: كان وكيلاً لابن رشيد، ووسيطه مع الترك العثمانيين، وكان يتسلم من الأتراك السلاح، والعتاد، والمال، ويبعث لابن رشيد بها لتساعده في حربه ضد الملك عبدالعزيز، وعندما تمكن منه الملك عبدالعزيز بعد القضاء على "ابن رشيد" قال له عبدالعزيز: بماذا أعاقبك؟ فقال له الشيخ "رشيد بن ليلى" بوضوح وصراحة: بما تهوى، وما أنا بنادم على ما فعلت مع ابن رشيد، قال له عبدالعزيز: لقد أخلصت في خدمة صاحبك، وإني أرى فيك غريزة الإخلاص، فعد إلى دمشق وأنت وكيلي هناك، فكان ممثلاً لعبدالعزيز في سورية إلى نهاية حياته -رحمه الله-.

الباشا ابن ليلى

وذكر الأستاذ "محمد بن عبد الرزاق القشعمي" أنّ من صفات "ابن ليلى" الغضب في الحق وصلابة الإيمان، ثم تناول أعماله ووظائفه وقسمها إلى فترتين: في عمله مع الأمير عبدالعزيز بن رشيد، والفترة الثانية في عمله مع الملك عبدالعزيز آل سعود، وكان ممثلاً لابن رشيد في اسطنبول وتوريده السلاح لابن رشيد، ثم لقائه مع الملك عبدالعزيز، وتعيينه في مجلس الشورى السعودي، ثم تعيينه قنصلاً للملكة في العراق، ثم في دمشق، ثم عرج على مصادر ذكرته، وما أورده الأرشيف الإنجليزي عن الباشا بن ليلي، كما استعرض نبذة عن تاريخ أولاده وأحفاده.

معركة الألف والدال

ما يزال الجدل حول أسبقية الحصول على شهادة الدكتوراه، وتحديد أول من حصل عليها في العهد السعودي قائماً بين عدد من الباحثين، ففي الوقت الذي شاع فيه بين كثير من القراء والمتابعين أنّ معالي الوزير عبدالعزيز الخويطر -رحمه الله- هو أول الحاصلين على الشهادة العليا عام ١٣٨٠هـ بيّن "محمد بن عبد الرزاق القشعمي" -باحث ومؤرخ- في مقال له، أنّ الأديب عبد الكريم الجهيمان -رحمه الله-، ذكر أسبقية الخويطر بالحصول على هذه الشهادة في مقال له في صحيفة القصيم، ذات العدد (٥٥) وتاريخ التاسع من رجب عام ١٣٨٠هـ، بيد أنّه ما لبث أن عاد ليصحح ذلك في ذات الصحيفة، بعددها رقم (٥٨) الصادر في الثلاثين من رجب في العام نفسه، وذلك في زاويته الشهيرة "المعتدل والمايل"، حيث أوضح أنّه تلقى اتصالاً من الأستاذ فهد العريفي -رحمه الله-، يخبره فيه أنّ أول من حصل على شهادة الدكتوراة في العهد السعودي هو "محمد بن رشيد"، وهو الابن الثاني لـ"رشيد بن ليلى" -رحمه الله-، وذلك في عام ١٣٥٦هـ، بتخصص العلوم السياسية، حيث نشرت صحيفة "صوت الحجاز" في عددها رقم (٥٢٨) الصادر في يوم الأحد الثاني من ذي القعدة عام ١٣٥٩هـ، خبر حصول "محمد بن رشيد بن ليلى" على درجة الدكتوراه، كما نشر في صحيفة الأهرام المصرية في عددها الصادر في ٢٨ من رمضان عام ١٣٥٩هـ تحت عنوان "نجاح طالب سعودي"، خبر اجتياز "محمد الرشيد" نجل "رشيد باشا" قنصل المملكة العربية السعودية في دمشق امتحان الدكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية بنجاح باهر، في جامعة لوزان على نفقة الملك عبدالعزيز.

وأضاف أنّ صحيفة "صوت الحجاز" في عددها السابع عشر الصادر في السابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٥١هـ قد ذكرت في خبر لها عن نجاح الشاب الأديب السيد "محمد شطا" بشهادة الدكتوراة في التربية والآداب نقلاً عن إحدى الصحف المصرية أيضاً.

في حين أوضح "د.زهير جميل كتبي" أنّ سماحة العلامة "إبراهيم بن يوسف بن غلاب خان" كان من أوائل من حصلوا على أعلى درجتين علميتين، حيث كان في طليعة البعثة السعودية الأولى.

وفاته

توفي القنصل رشيد بن ناصر بن ليلى -رحمه الله- تعالى عن عمر يناهز (٨٠) عاماً بدمشق عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) ودفن بمقبرة الباب الصغير التي دفن فيها عدد كبير من علماء الإسلام في القرنين السابع والثامن الهجري، وذلك بعد حياة طويلة في خدمة قضايا بلاده وأمته -رحمه الله- رحمة واسعة.





أرسله الملك عبدالعزيز ليكون مبعوثاً له في سوريا والعراق



الملك عبدالعزيز مع مستشاريه حيث كان ابن ليلى صاحب رأي وحكمة ويحظى بثقته



الملك المؤسس يعرف خصال الرجال حين تواجه الظروف الصعبة وتتحمل المسؤولية

«قسوة الحياة» لم تمنعه من تحمّل مسؤولية بناء الذات والمشاركة في بناء مؤسسات الوطن

الشيخ محمد المانع.. «كاد المعلم أن يكون رسولا»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ الشيخ العلامة «محمد بن عبدالعزيز المانع» أحد أبرز علماء عصره، ومسيرته -رحمه الله- حافلة بالعلم والمعرفة والتدريس ومتابعة البحث والحفظ، وبذل الجهود الحثيثة طلباً للعلم، ولم يقف طموحه في سبيل العلم على تخصص واحد أو علوم معينة، كما لم يقتصر في طلبه للعلم على علماء المملكة، بل سافر إلى بغداد، ثم دمشق، ثم القاهرة؛ ليأخذ التفاسير والفقه واللغة العربية والرياضيات على كبار أساتذتها وعلمائها، إضافة إلى تنقله داخل البلاد والنهل من كبار علماء المملكة، كما أنه ساهم وبجهود جبارة في مكافحة حملات التنصير بالبحرين التي نشطت إبان النفوذ البريطاني في الخليج، إلاّ أن أهالي البحرين وعلماءها قاوموا وبضراوة هذه الحملات التي كان للشيخ «محمد» دور كبير في إفشالها حتى أصبح أحد الفاعلين في النادي الإسلامي في البحرين.

كان للشيخ «محمد» دور في عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- فقد أولاه العديد من المناصب الحساسة والمؤثرة في توجهات الناس، وذلك دلالة على ثقته بالشيخ «محمد» الذي ترك العديد من المؤلفات والحواشي، ودرس عليه كبار علماء الدين الذين أصبح لهم شأن فيما بعد.

ولد الشيخ «محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهبي التميمي» في مدينة عنيزة عام ١٣٠٠هـ في بيت علم ودين، حيث كان والده وجده من علماء عنيزة وقضاتها، أدخله والده في مدرسة تحفيظ القرآن عند بلوغه السابعة، وتوفي والده وهو صغير فنشأ يتيماً واستمر في حفظ القرآن بعد ذلك حتى ختمه، ثم شرع في قراءة مبادئ العلوم الشرعية على علماء بلدته، ودرس على يد كثير من العلماء في عنيزة منهم الشيخ «عبدالله بن محمد بن دخيل»، والشيخ «صالح العثمان القاضي»، والشيخ «إبراهيم بن حمد الجاسر»، حيث درس عليهم العقيدة والفقه الحنبلي واللغة العربية، كما قرأ على عمه الشيخ «عبدالله».

وفي المذنب أخذ عن الشيخ «عبدالله بن محمد بن دخيل» ١٢٦١-١٣٢٤هـ، وفي عنيزة على الشيخ «صالح العثمان القاضي» ١٢٨٢-١٣٥١هـ وهو من تلاميذ والده الشيخ «عبدالعزيز المانع»، والشيخ «إبراهيم بن حمد الجاسر» – ١٣٣٨هـ، والشيخ «عبد الله بن عائض» ١٢٤٩-١٣٢٢هـ، وعلى يد هؤلاء العلماء الأفاضل بدأ الشيخ «محمد المانع» حياته العلمية، فقرأ التوحيد والفقه، والحديث والنحو والفرائض.

كلّفه الملك عبدالعزيز بمناصب عدة.. منها تكليفه مدرساً بالحرم المكي ورئيساً لـ«التميز» و«الهيئات» ومديراً عاما للمعارف

العلاّمة البحر

يروي الشيخ "محمد المانع" -رحمه الله- عن بداياته في طلب العلم، قائلاً: "لما توفي والدي كنت صغيراً فقالت والدتي اذهب إلى تلميذ جدك وشيخ أبيك الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم" في بريدة فاقرأ عليه، قال فذهبت إليه في بريدة فرحب بي وأكرمني واعتبرني كأحد أبنائه، ولازمته حتى توفي -رحمه الله-، وكنت في سن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن سليم فكنا نتنافس أينا يسبق الآخر في أخذ حذاء الشيخ محمد بن سليم فيقدمها له عند خروجه من المسجد".

وكان الشيخ "المانع" كثير التحدث عن شيخه الشيخ "محمد بن عبدالله بن سليم" ومجالسه وسعة علمه وورعه، وكان يصفه بالبحر، وقد توفي الشيخ "محمد بن عبدالله بن سليم" -رحمه الله -عام ١٣٢٣هـ في مدينة بريدة.

تنقلاته طلباً للعلم

يروى أن العلامة الشيخ "محمد بن عبدالعزيز المانع" قد حفظ القرآن الكريم في أحد كتاتيب عنيزة، ثم التحق بالشيخ "ابن سليم" -رحمه الله- ثم قرأ مختصرات العلوم الشرعية والعربية على بعض علماء بلده، واطلع على الكتب المتداولة وسافر إلى بغداد في سن البلوغ وتلقى العلم على الشيخ "محمود الألوسي" وعدد من علماء العراق، حيث تزخر العاصمة العراقية بكوكبة من العلماء من كافة أقطار العالم الإسلامي الذين قرأ عليهم الشيخ "محمد المانع" في الفروع والفقه والحديث والعربية والحساب والمنطق والنحو والصرف؛ إذ لم يقف على علم محدد، بل طلب العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وتبصر كثيراً بالعلوم الحديثة والمعاصرة، ثم سافر إلى مصر ودرس في الأزهر، ولازم الشيخ "محمد عبده"، وقرأ على علماء الأزهر في فقه الحنابلة والنحو والحديث والمصطلح والعربية والتفسير، وهناك أيضا التقى بكوكبة أخرى من العلماء، إلى أن سافر للعاصمة السورية دمشق، وأخذ عن الشيخ "جمال الدين القاسمي"، والشيخ "بدر الدين الحسيني"، والعلامة "عبدالرزاق البيطار" في الفقه والحديث والعربية، ثم عاد إلى بلده عام ١٣٢٩هـ، ثم ما لبث أن سافر إلى الزبير لتلقي بعض العلوم والمسائل التي رأى ضرورة البحث فيها وذلك عام ١٣٣٠هـ، وحينها لازم الشيخ "محمد بن عوجان" وتلقى عليه علم الفقه الذي درسه بغزارة عميقة، وفي عام ١٣٤٢هـ حج والتقى بعدد من العلماء على مختلف مشاربهم وأخذ عنهم وأجازوه متخصصا في العلوم العربية والفقه.

سفره لبغداد

ولما كان الشيخ "محمد المانع" -رحمه الله- تواقاً للاستزادة في طلب العلم، حريصاً على المعرفة والاستنارة بآراء العلماء الأفذاذ من كافة البلاد، وطموحاً إلى طلب العلم الشرعي وعلوم اللغة والعلوم الحديثة، فقد سافر لعدة أماكن، فبعد خروجه من مدينة عنيزة إلى بريدة التي درس على علمائها كما ذكرنا آنفاً، شدّ الرحال إلى العراق، فوصل إلى البصرة أول الأمر ومكث فيها فترة طالباً للعلم على علمائها وفقهائها، ثم قصد بغداد فقرأ النحو والفقه والفرائض والحساب على يد شيوخ وأساتذة ذلك العصر، ثم قرأ على السيد "محمود شكري الألوسي" وهو مؤرخ وعالم بالأدب والدين وداعية إلى الإصلاح، كما قرأ على "علي بن السيد نعمان أفندي الألوسي"، وهو خريج مدرسة القضاء بالأستانة، ووالده صاحب كتاب "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين"، وكذلك قرأ على الشيخ "عبدالوهاب بن عبدالقادر بن عبدالغني"، والشيخ "عبدالرزاق الأعظمي"، وغيرهم من أهل العلم والمعرفة.

إلى القاهرة ودمشق

بعد سفره إلى بغداد سافر الشيخ "محمد المانع" إلى القاهرة متوجها إلى الأزهر الشريف، ومكث في الأزهر ثلاث سنوات، حيث قرأ "الروض المربع شرح زاد المستقنع" وبعضا من "شرح دليل الطالب"، كما قرأ النحو والعلوم السائدة في الأزهر على "محمد الذهبي" شيخ الحنابلة بمصر، وبعد مضي ثلاث سنوات توجه إلى دمشق التي سمع فيها على أشهر علماء عصره "جمال الدين القاسمي"، كما سمع عليه صحيح البخاري، وحضر عددا من الدروس والمحاضرات ومجالس العلم التي كان ينظمها العلامة "عبدالرزاق البيطار"، ثم عاد بعدها إلى مدينته عنيزة سنة ١٣٢٩هـ.

مهمته في قطر

عمل الشيخ "محمد المانع" -رحمه الله- في مجال مكافحة التنصير في البحرين بدعوة من التاجر النجدي المعروف "مقبل الذكير" عام ١٣٣٠هـ، والذي فتح مدرسة النادي الإسلامي لمحاربة التنصير وعيّن الشيخ "محمد المانع" رئيسا لها، كما دعاه حاكم قطر الشيخ "عبدالله بن ثاني" وولاه القضاء والخطابة والتدريس عام ١٣٣٤هـ، واستمر في هذه الأعمال مدة ٢٣ عاما.



الشيخ العلامة محمد المانع



الشيخ المانع في مهمة القضاء والتدريس في قطر



من اليمين: الشيخ العلامة محمد بن عبدالعزيز المانع والشيخ سعود بن عبدالرحمن آل ثاني والشيخ جاسم بن علي بن عبدالله آل ثاني

وكانت حملات التنصير قد وصلت إلى البحرين عام ١٨٩٣م وتأسست أول مدرسة للتعليم بالأسلوب الغربي الحديث في البحرين على يد البعثة الأمريكية التي بدأت أعمالها سنة ١٨٩٢، وفي عام ١٨٨٤ افتتحت الإرسالية الأمريكية مكتبة عامة لها بالمنامة وبدأت عملها في تقديم بعض الصحف والكتب لروادها، ثم وصلت طلائع هذه الحملات الغربية إلى البحرين في نهاية القرن التاسع عشر، عبر الإرسالية الأمريكية التي تشكلت من مستشفى ماسون التذكارية، و"دكان لبيع الإنجيل" حسب ما ورد في التقارير الإنجليزية، وهنا ورغم المعارضة الشعبية لهذه الأنشطة وعزوف الأهالي عن تدريس أبنائهم بهذه المدارس استطاعت بعض النخب في البحرين أن تبدأ بحملات مقاومة لهذه الأنشطة التغريبية، وذلك عن طريق إنشاء مكتبة خاصة وأخرى عامة تعرف بمكتبة "إقبال أوال" لمقاومة هذه الحملات، وحينها كان مجلس الشيخ "إبراهيم بن محمد آل خليفة" يعد من أهم المنتديات الثقافية في البحرين آنذاك، كما كان "مقبل بن عبدالرحمن الذكير" واحداً من أهم مثقفي البحرين المشاركين والفعالين في المجلس، وقد عهد إليه الشيخ "إبراهيم بن محمد آل خليفة" مهمة جلب الصحف العربية "المقتطف" و"المؤيد" و"المنار" وحينها رأى كل من "مقبل الذكير" و"يوسف كانو" ضرورة استضافة أحد العلماء الكبار لمقاومة هذه الحملات التغريبية في البلاد؛ فتوصلا إلى أن أفضل من يمكنه استلام إدارة النادي هو العالم "محمد بن عبدالعزيز المانع"، وأنه لابد من العمل على إحضاره من مقر إقامته بالبصرة وبعد أسابيع من المراسلات حضر الشيخ المانع من البصرة حاملاً معه خبرة أساتذته في مقاومة التبشير الذين تتلمذ على أيديهم في مصر والعراق أمثال الشيخ "محمد عبده"، وتسلم الشيخ منصبه كمدير للنادي الأدبي الإسلامي بمجرد وصوله، وعرض "مقبل الذكير" على الشيخ "محمد المانع" أن يجعل له مدرسة للتعليم الإسلامي تكون ملحقة بالنادي الإسلامي، وفتحت المدرسة في أواخر سنة ١٣٣٠هـ.

كان للشيخ محمد المانع دور في نشر العلم في البحرين، كما تتلمذ على يديه عدد من شباب الإمارات، كما كان له دور فاعل في نشر العلوم الإسلامية في المنامة، وظل الشيخ هناك يدرس شباب النادي الإسلامي جل العلوم الإسلامية من قرآن وفقه ولغة ورياضية كالعلوم الفلكية والفرائضية، وأصبح النادي ملتقى لرواد العلم والمثقفين في المنامة والبلدان المجاورة لها، كما أصبح مكاناً يتدارس فيه الأهالي أساليب التبشير وسبل مقاومته، ولم يكن النادي الإسلامي مجرد مكان للثقافة والنقاشات الأدبية فحسب، بل كان مقراً للتواصل الفكري والقومي والإسلامي مع الشعوب الإسلامية، مثل المراسلات بين المفكرين والمثقفين والعلماء في البحرين والشارقة والقاهرة.

نشأ يتيماً وتنقل بين مصر والعراق ودمشق طلباً للعلم وحارب «الحملة التنصيرية» في البحرين بدعم من «مقبل الذكير»

مناصب متعددة

ما أن عرف الملك عبدالعزيز بنشاط الشيخ "محمد المانع" ومكانته العلمية إلاّ وعيّنه مدرساً بالحرم المكي، إضافة إلى رئاسة هيئة التمييز عام ١٣٥٨هـ، ورئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورئاسة هيئة الوعظ والإرشاد، كما عيّنه المؤسس مديرا عاما للمعارف عام ١٣٦٤هـ، وأسندت إليه إدارة دار التوحيد عام ١٣٦٦هـ، ثم عين وكيلاً عاما لوزارة المعارف، وفي عام ١٣٧٧هـ طلبه حاكم قطر الشيخ "علي بن ثاني" ليصبح مشرفا على سير التعليم وإعداد مناهجه وصار مستشاراً لأمير قطر وإماما وخطيبا في جامع الدوحة ولازم الحاكم إلى أن توفي.

مؤلفاته وحواشيه

للشيخ "محمد" -رحمه الله- العديد من المؤلفات والتحقيقات والتعليقات والحواشي على كتب العقيدة والفقه والتي مازال بعضها مخطوطاً ومحفوظاً بيد طلابه وأحفاده، ومن أهم الكتب: إقامة الدليل والبرهان بتحريم الإجارة على قراءة القرآن، تحقيق النظر في أخبار المهدي المنتظر، إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب، سبيل الهدى شرح شواهد قطر الندى، الكواكب الدرية شرح الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، جامع المناسك الثلاثة الحنبلية، مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد.. (وغيرها)

كما حقق وعلق -رحمه الله- على كثير من الكتب، حيث اهتم بالتعليق على رسائل الإمام "محمد بن عبدالوهاب" -رحمه الله-، وغيرها من كتب العقيدة السلفية والفقه الحنبلي ومنها: حاشية على العقيدة الطحاوية، حاشية على رسالة المذهب الأحمد في مهذب الإمام أحمد، حاشية على دليل الطالب في الفقه الحنبلي، حاشية على عمدة الفقه لإبن قدامة المقدسي.

تلاميذه

درّس الشيخ خلال تنقله في دول المنطقة عددا كبيرا من الطلاب الذين لازموه سواء في بلده عنيزة أو في البحرين أو بعد ذلك في قطر، ومن أبرز تلامذته: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي -علامة القصيم وصاحب التفسير المعروف-، الشيخ عثمان بن صالح القاضي، الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع -ابن عمّه-، الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش -رئيس المحكمة الكبرى بمكة-، الشيخ "عبدالله بن زيد المحمود -رئيس محاكم قطر-، الشيخ "عبدالله بن إبراهيم الأنصاري" -مدير الشؤون الدينية في قطر-، الشيخ "عبدالعزيز بن حسن بن عبدالله آل الشيخ" الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف في المملكة، وغيرهم.

وفاته

أُصيب الشيخ في أواخر حياته بمرض البروستاتا، فسافر إلى بيروت لإجراء عملية جراحية في مستشفى دار الصحة، لكنه سرعان ما توفي -رحمه الله- هناك عقب العملية بالمستشفى يوم الخميس ١٤ رجب ١٣٨٥هـ، الموافق ٧ نوفمبر ١٩٦٥م، وقد صلى عليه في بيروت جمع من أهل العلم والفضل والحكم والسفراء من رجالات لبنان والعالم الإسلامي، ثم نقل جثمانه إلى الدوحة بالطائرة، حيث تمت الصلاة عليه بجامع الشيوخ نهار السبت السادس عشر من رجب، ودفن في المقبرة الشرقية بالدوحة.

وقد رثاه تلميذه الشيخ "صالح العبدالله البسام" بقصيدة منها:

أيا قلب دع تذكار سعدي فما يجدي
وأيام أنس سالفات بذي الرند
فليس بذي الدنيا مقام ترومه
ولكنها كالحلم تمضي على العبد
ومما شجاني أن قضى حتف أنفه
محمد المحمود في العلم والزهد
عنيت به الحبر الجليل بن مانع
ومن هو في دنياه عاش على الحمد

رحم الله الشيخ "محمد بن عبدالعزيز المانع" الذي رغم نشأته يتيما، إلاّ أنه ضرب أكباد الإبل وجاب البلاد طلبا وحبا للعلم، الذي أراد به وجه الله سبحانه، فرفع الله به منزلته في الدنيا والآخرة -بإذن الله-.

طلبه «عبدالله بن ثاني» ليتولى القضاء والخطابة والتدريس في قطر.. ودفن هناك بعد رحلة علاج في بيروت



الشيخ المانع في زيارة إلى مصر في أواخر الخمسينيات وبجانبه أحد مشايخ اليمن



الشيخ محمد المانع قضى حياته عالماً زاهداً محباً للخير



الشيخ المانع في حفل مدرسة في شقراء أثناء عمله مديراً للمعارف

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

رجال قدّموا أرواحهم فداء للوطن وكانت بصمتهم «بطولية» في مرحلة التأسيس ..

عبدالله عقيّل.. «أمير البيارق»



إعداد - منصور العساف

■ يُعد «عبدالله بن محمد بن صالح بن عقيّل بن محمد بن عزّام بن محمد بن مشرّف» -رحمه الله- أحد أبرز شخصيات القرن المنصرم، بل وأحد الفرسان الذين يشار إليهم بالبنان، والذين حققوا الانتصارات المتلاحقة وساهموا في استتباب الأمن في المملكة، كما شارك في العديد من المعارك المهمة بجانب الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-، حيث شكل الكثير من «البيارق» ليُلقب بـ«أمير البيارق».

كان قوة ضاربة، عرفه الناس بما يطلق عليه من الألقاب والكنى، بل لقد قالوا عن جيشه: «جيش عقيّل لا ينام ولا يقيّل»، كلفه الملك «عبدالعزيز -طيب الله ثراه- على إمارة جازان ورئاسة الوفد السعودي المكلف بلجنة ترسيم الحدود البريّة السعودية اليمنية عام ١٣٥٤هـ، إلى جانب بطولاته وأعماله في مختلف المهام التي يكلف بها، ولثقة الملك عبدالعزيز برجاله المخلصين فقد عينه أميراً على الجوف خلفاً لوالده.

واشتهر بكرمه وجوده ومساعدته للمحتاجين ومد يد العون للضعفاء حتى لقب بـ«هداج تيماء»، إضافة إلى ذلك فهو شاعر كتب في الغزل العذري والحكمة والفراق، وله مجموعة من القصائد الجميلة التي كان يلقيها ويسمعها في المناسبات الخاصة فقط.

كان أحد أبطال الجزيرة العربية في مرحلة التأسيس، واختلف في سنة ولادته، فذكرت روايات بأنه ولد عام ١٢٩٨هـ، وأخرى بأن مولده كان في عام ١٣٠٢هـ، والأرجح أنه ولد عام ١٢٩٥هـ، بحسب ما أشار إليه المؤرخ «عبدالله بن صالح العقيل»، استناداً لما أكده أفراد الأسرة ومنهم الأستاذ «محمد بن سليمان العقيّل»، وهو أحد المهتمين بتدوين سيرة جدّه «عبدالله»، ومن المقربين إليه في حياته -رحمه الله-، وأكد عام الميلاد أيضاً «عبدالرحمن بن سليمان العقيّل»، وعلى ذلك فقد ولد «عبدالله بن عقيّل» في بلدته (قصر بن عقيل) -غرب الرس-، والتي كان والده أول أميراً لها بتكليف من المؤسس الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- وذلك عام ١٣٢٢هـ.

نشأ في كنف والده، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ «عبدالرحمن بن بطي» -من الوشم-، كما تعلم الكتابة والقراءة عند معلمي وكتّاب البلدة الموجودين آنذاك، وكانت الفترة التي ترعرع فيها فترة نزاعات واقتتال وحروب، حيث كانت تدور حول بلدته بين القبائل، ليتعلم فنون الحرب والفروسية مبكراً.

كسب ثقة الملك عبدالعزيز ليتولى «المعارك الصعبة» وليُعينّ أميراً لـ «الجوف» ثم «جازان»


لعب دوراً مهماً في مرحلة التأسيس عبر نجاحه في قيادة الجيوش


الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وثق بابن عقيّل وكلفه بالمهام الصعبة

معركة الشنانة

ويعود اتصال "عبدالله بن عقيّل" بالملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- إلى ما قبل (معركة الشنانة)، حيث استقبل والده الشيخ "محمد بن صالح بن عقيّل" الملك عبدالعزيز، واستضافه هو وجنده وتحصنوا داخل القصر قبل بداية المعركة، وشارك "عبدالله بن عقيّل" ومن معه من سكان البلدة مع الملك عبدالعزيز في هذه المعركة، التي تعد جاسمة في تاريخ المملكة وأبلوا فيها بلاء حسناً، كان عمر "عبدالله" آنذاك (٢٧) عاماً، وبعد أن كسب الملك "عبدالعزيز" هذه المعركة ثمّن دور "آل عقيل"، لاسيما وقد وجد منهم الدعم والمؤازرة، وعليه فقد منح "محمد بن عقيّل" أرض القصر، وهي المدينة المعروفة الآن بـ"قصر بن عقيل"، وكتب لهم وثيقة لتلك المنحة موجّهة لأهل الباطن لا يعارضهم فيها أحد ونص الوثيقة ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى من يراه ..السلام وبعد من طرف آل عقيّل طوارف لنا وخاصية لنا وقصرهم أمضيناه لهم ما لهم فيه معارض، ولا لأحد عليهم اعتراض يكون معلوم والسلام"، ولثقة الملك عبدالعزيز بهذه الأسرة فقد وجّه خطابا عام ١٣٢٥هـ، يوضح فيه أن "عبدالله بن محمد بن عقيّل" بمكان والده وعلى الأهالي هناك عدم مخالفتهم لأمره.

بسالة وأمانة

وبعد أن كسب الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- (معركة الشنانة) توثقت العلاقة بينه وبين "ابن عقيّل"، حيث وجد الملك من شجاعة "ابن عقيّل" وبسالته وأمانته وولائه ونباهته، ما جعله يكلفه بالأعمال الحكومية، ثم بدأ بعدها عمله الرسمي في الدولة، ومن ضمن تلك المهام تكليف الملك عبدالعزيز له عام ١٣٢٥هـ ليتولى إمارة "قصر ابن عقيل" خلفاً لوالده الذي توفي في العام نفسه، ثم عمل مستشاراً لدى الأمير تركي بن عبدالعزيز (الأول)، الذي كان أميرا على القصيم من ١٣٢٤/٢/١٣هـ واستمر فيه لمدة عامين، وحينها كان يعمل على جباية الزكاة من بعض القبائل، كما شارك مع الملك أثناء دخوله مدينة بريدة عام ١٣٢٦هـ وكان له دور رئيس فيها، وشارك أيضاً في دخول "حائل" عام ١٣٤٠هـ وفي ١٣٤٢هـ عيّنه الملك عبدالعزيز أميراً على "الجوف"، وبقي فيها حتى عام ١٣٤٥هـ، عمل خلالها بقيادة عدة سرايا لاستتباب الأمن هناك والتصدي لغارات بعض القبائل القريبة من حدود المملكة مع العراق، وقد خلفه على إمارة الجوف الأمير "تركي بن أحمد السديري".

٢٤ بيرقاً

وبعد أن تم الاتفاق بين الملك عبدالعزيز وحكومة بريطانيا على أن يكون "وادي السرحان" و"قريات الملح" تابعة للأراضي السعودية، أرسل الملك عبدالعزيز خطاباً إلى الأمير "عبدالله بن عقيّل" يفيده بمضمون الاتفاقية ويوصيه بالمحافظة على الأمن في تلك المناطق، وعدم التعدي على العشائر التي تقطن الجانب الأردني، كما كلفه الملك بأن يرسل من قبله من يستلم "القريات"، وأرسل إليه خطابا حرر في ١٥ شعبان ١٣٤٤هـ، يأمره فيه بالذهاب إلى "القريات" ويختار الرجل المناسب لإمارتها ويحرصه على الرجل العاقل، وأن يوصيه بالعدل والرفق بالناس والمساواة بينهم، وحال وصول خطاب الملك عبدالعزيز إلى "عبدالله بن عقيّل"، اختار "علي بن بطاح" من أهل مدينة القصر، ومن الذين سافروا مع "ابن عقيّل" إلى الجوف، وكان الأمير يثق به فأوفده إلى "القريات" وكان أول أمير عليها، زيادة على ذلك فقد تم تكليف "عبدالله بن عقيّل" بتشكيل حملة من القبائل، فشكل (٢٤) بيرقاً، إضافة إلى آخرين بدون بيارق، وفي عام ١٣٤٦هـ قاد الجيوش للقضاء على بعض الحركات شمال وغرب المملكة، حيث أعد جيشا مكونا من (٢٤) بيرقا، لذلك وتمكن من إخماد تلك الفتن.

الأخ والأفخم

وذكر المؤرخ "عبدالله بن صالح العقيل" "أن الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- كان يتواصل مع "ابن عقيّل" بالخطابات الكثيرة التي يبلغه فيها السلام منه ومن والده وأخوانه وأبنائه، ويخبره عن أحوال الدولة والبلاد والشعب، وكان يخاطبه بكلمة "الأخ" أو "الأفخم" ما يدل على ثقته به وقربه منه، كذلك يدل على مكانة "ابن عقيّل" لدى الملك عبدالعزيز، لاسيما وقد أورد المؤرخ أمثلة على هذه الخطابات، والتي منها: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم عبدالله بن محمد بن عقيّل سلمه الله تعالى آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام مع السؤال عن حالكم أحوالنا الحمد لله جميلة وصلنا الديرة بالسلامة ما رأينا من فضل الله مكروه أخبارنا صحة والأمطار كثيرة وعامة جميع الجهات نرجو الله أن يجعل فيها البركة هذا ما لزم تعريفه والسلام على الإخوان ومنا سيدي الوالد والإخوان والعيال يسلمون ودمتم ٧ شوال ١٣٤٢هـ".

وفي خطاب آخر يجسد متانة العلاقة بين الملك عبدالعزيز و"ابن عقيّل" وتقديره له حيث يخبره فيه بأنه سوف يحل ضيفاً: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالله بن محمد بن عقيّل سلمه


عبدالله بن عقيّل رحمه الله

الله تعالى وأبقاه آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم أخي نعرفكم أن حنا اليوم عشينا من دونكم وباكر ناطاكم البيرق ينحر الرس، وأنا والعيال نمركم وننقهوا عندكم وحنا ماشين إنشاء الله ولا حدث زوايد نعرفكم بها سوى الخير والعافية هذا ما لزم والسلام ١٣٢٥هـ".

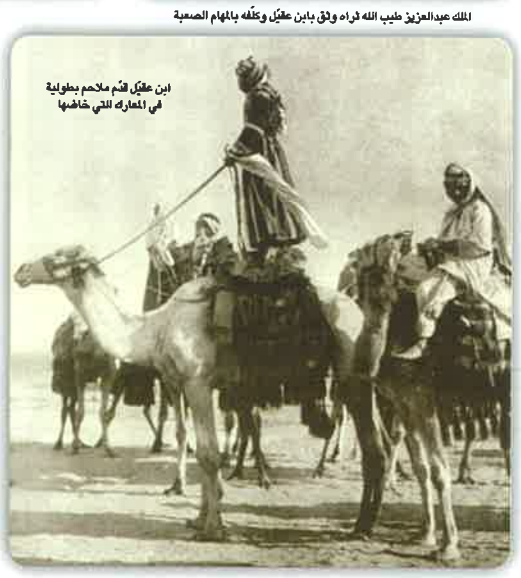
هداج تيماء

وذُكر أيضاً أن "عبدالله بن عقيّل" يلقب بـ"هدّاج تيماء"؛ لفرط كرمه وسخائه ومساعدته للمعوزين وبذله المال وحسن استقباله لضيوفه، وفي هذا الشأن ذكر الرحّالة "محمد شفيق أفندي مصطفى" في كتابه الذي طبع عام ١٣٤٦هـ (في قلب نجد والحجاز) قائلاً: "ووصلنا إلى بلدة الجوف، فما علم رجال أميرها عبدالله محمد بن عقيّل بقدومنا حتى حفوا إلى لقائنا، وكان الأمير ذاته على أبواب المدينة في انتظارنا ليحيينا ويدعونا لضيافته باسم جلالة الملك ابن سعود، وهكذا لبينا الدعوة شاكرين"، ويصف "أفندي" تقديم الضيافة والاحتفاء به ويقول: "قد قدم لي أمير الجوف من لحم الغزال والنعام طعاما فلم تقبله شهيتي لعدم اعتيادي تناوله، لكنهم يعدونه أفخر اللحوم وأجلها شأناً في الإكرام وخصوصية ضيوفهم".

وكان الملك عبدالعزيز عندما يبلغه خبر أن أحد المواطنين أو إحدى الأسر بحاجة للمساعدة يخاطب "ابن عقيّل" بأن يحرص على مساعدتهم وأن يرعاهم حتى ولو لم يكونوا من سكان مدينة القصر، وإلى ذلك فقد اشتهر "ابن عقيّل" -رحمه الله- بحبه لعمل الخير، وكان يحرص على أداء النوافل ليلا ونهاراً، كما عُرف بسطوته وصلابته في الحروب والمعارك، فقد عرف أيضا بسماحته مع خصومه ومسارعته للعفو عنهم والإحسان إليهم.

تثبيت الأمن

وروى "د.عبدالله العثيمين" في كتابه (تاريخ المملكة العربية السعودية) أن الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- كلف "عبدالله بن عقيّل" عام ١٣٥١هـ، بالقضاء على الحركة المناوئة له في شمال غرب البلاد، حيث تجمع عدد من المعارضين للملك في منطقة الشريح، وهو مكان في الأراضي السعودية ويقع جنوب غربي العقبة، ولما علم الملك عبدالعزيز بذلك وضع خطة لإيقافهم، فأوعز لكبار القبائل في شمال الحجاز كي يستدرجوهم بقصد تأييدهم، وفعلا نجحت خطة الملك، واستطاع أن يقرّب خصومه داخل البلاد، حتى وصلوا إلى "جبل شار" -قرب ضبا-، فوجّه الملك عبدالعزيز إليهم قوة بقيادة "عبدالله بن عقيّل"، وسارت هذه القوات حتى أحاطت بهم في "جبل شار" يوم ١٣٥١/٣/٢٦هـ، وهاجمتهم، ولما أراد بعضهم الهروب حاصرته قوة بقيادة "ابن عقيّل" ومن معه، وفعلا انتهت هذه الحركة بتثبيت الأمن في المناطق الشمالية الغربية من المملكة، حتى عاد معظم المعارضين بعدها للبلاد بعفو شامل من الملك الذي سلمهم مناصب رفيعة خدموا من خلالها بلادهم في عدة مواقع.


ابن عقيّل قدم ملاحم بطولية في المعارك التي خاضها

ترسيم الحدود

وفي عام ١٣٥٣هـ ولى الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- "عبدالله بن عقيّل" على أمارة جازان وبقي فيها حتى تاريخ ١٣٥٥/٥/٢١هـ، حيث استدعاه الملك فيصل -رحمه الله- للقدوم إلى الحجاز لأداء بعض المهام فيها، وعندما كان في جازان كلفه الملك عبدالعزيز برئاسة الوفد السعودي المكلف بلجنة ترسيم الحدود البريّة السعودية اليمنية عام ١٣٥٤هـ، وكان رئيس الهيئة اليمنية المتوكلية "عبدالله بن عثمان" ولم تدم طويلاً إمارة "عبدالله بن عقيّل" على جازان بناء على رغبته، ويتضح ذلك من خلال خطاب وجهه الملك إليه وحرر بتاريخ ٢١-٥-١٣٥٥ هـ، حيث حقق الملك رغبته وعين بديلاً عنه "محمد بن ماضي"، وفي عام ١٣٧٧هـ كلفه الملك سعود -رحمه الله- مستشاراً برئاسة الحرس الوطني واستمر فيه حتى أحيل للتقاعد عام ١٣٨٢هـ.

عُرف بالفروسية وقالوا عنه: «جيش عقيّل لا ينام ولا يقيّل».. ولُقب بـ«هداج تيماء» لمساعدته المحتاجين

جيش ما يقيّل

وذكر المؤرخ "عبدالله بن صالح العقيل" أن "عبدالله بن عقيّل" لقب بـ"أمير البيارق"، نظرا لكثرة الحروب التي قادها أو شارك فيها، وكثرة عدد البيارق التي أعدها من القبائل إبان مرحلة توحيد المملكة، ويروى عن كثرة مشاركته وحضوره في المعارك أن "جيش عقيّل لا ينام ولا يقيّل"، ويقول عنه "محمد بن دغيثر": "إن الملك عبدالعزيز يختار لجيشه الموثوقين مثل الملك فيصل في حرب اليمن، والأمير عبدالعزيز بن مساعد في خلافه مع ابن دويش، وكذلك عبدالله بن عقيّل على حركة ابن رفادة".

قصائد غزلية

وكتب "عبدالله بن عقيّل" -رحمه الله- الشعر وألقى القصائد في مناسباته الخاصة، ولم يكن يبحث عن الشهرة، فمسؤولياته ومهامه القيادية التي كلفه بها المؤسس الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- وارتباطه بمجتمعه ودوره في خوض المعارك وتحقيق الانتصارات كانت أولويات بالنسبة له، وقد يتعجب الباحث في سيرة "ابن عقيّل" حين يقرأ مجموعة من القصائد الغزليه الرائقة التي قالها في فترات متفاوته من حياته، وهي للحقيقة قصائد تعبر عن حس وجداني صادق وغزل عذري عفيف لا ينزل إلى سفسف الوصف والتشبب، هذا على الرغم مما يتصف به صاحبها من صلابة العود ورباطة الجأش في ساحات المعارك، كما أن له قصائد في الحكمة والتبصر بحال الدنيا وتقلب الزمان، ولعل من أشهر قصائده:

البارحة ونيت تسعين ونّه
واتبعت في تالي ونيني صياحي
واصبحت كني ظاهر من مجنه
يا خوي يا سليمان العمر راحي
زجّيت عبرات الهوى مستكنة
أقول يا عصر مضى وين راحي
كم خيّر عبر الليالي وطنه
وأصبح سواة الهرش وسط المراحي
وازرن عظام العود لا ينهضنه
والطير ما يطهر بليا جناحي
مرّ قويناهن ومرّ قونه
وكم ضربن درب الوعر والسماحي
اعياله وأهل بيته يملون منه
يقولون وش هالعود ما له مراحي
الله ذكر برضاه وأنته تمله
من قل دينك ما تعرف الصلاحي
بعض العيال عقاب خله مضنه
وإلا بعضهم مثل طير المراحي
عاق بابوه وثاني عاق بامّه
وكم ليلة سهروا ويقولون صاحي

وأخرى يقول فيها:

يا حص يا ياقوت يا عنبر فاع
يا مل قلب فرّ من بين الأضلاع
ازريت أرد القلب لا واسفا به
وأزرن يرنّنه حنيّات الأضلاع
يا من يعذل القلب يأخذ لوابه
قلبي ذلول للهوى صار مطواع
والعين تقداني على ما لجى به
حبك رمى يا زين قلبي بمرقاع
لو هو على صمّ الصفا قد مضى به
لو هو على ضلع طويل غدا قاع
والعشب ينبت في مساهل ترابه
يا حص يا ياقوت يا عنبر فاع
يا لولو المرجان مسكن ترابه
يا مشخص ما طاح في كف بيّاع
والى طب بالمواسم كل يهابه
يا زين لا تقفي ترى النفس مطواع

رحلة علاج

وقال "عبدالله بن عقيّل" أثناء سفره إلى النمسا للعلاج عام ١٣٨٣هـ وكان في خلوة فتذكر دياره وأهله فأخذ يتوجّد شعرا من خلال هذه الأبيات:

ونيت ونة من رمته الركايب
بارض فلاة عنده النيب سرحان
نكرت من شبّيت واليوم شايب
أنله أنا وفلان وفلان وفلان
واليوم عبد الله يجيب العجايب
أبو فلاح إذا خزى كل شيطان
نروح عن دار لدار الحبايب
دار السخي والدين والضيف مجان
نفرح إلى جا الضيف وابليس غايب
نقلط الميسور كبش من الضان
الجار خله مثل بعض القرايب
إسمح له الزلة تجازى بالإحسان
من يبذل المعروف ما هوب خايب
تذكر حسانيهم على طول الأزمان

وقال الشاعر "ابن عمار" قصيدة في "عبدالله بن عقيّل" عندما كان أميرا على الجوف مطلعها:

إن جنّ بهم للجوف هلهن يطقون
راس العصا والكرب طشو خلاله
عند الأمير بهدفة الليل تللون
هداج يبشر بالروى من عناله

إلى أن قال:

عبدالله اللي بالضحا له يقرون
سكان نجد ميدمه في سهاله

وبعد حياة حافلة بالمغازي والمعارك والأعمال التي كانت أحد أسباب تثبيت سبل الأمن في بلادنا، توفي حامل الراية وأمير الجيش "عبدالله بن عقيل" -رحمه الله- في ١٣٨٥/٥/٢٠هـ بالرياض، ودفن في "مقبرة العود" بعد أن شاهد بعينيه نتائج تلك الأعمال التي سهر الآباء والأجداد من أجل تحقيقها، رحم الله "ابن عقيّل" رحمة واسعة.


تم تكليف عبدالله بن عقيّل بتشكيل ٢٤ بيرقاً من القبائل


آخر ما تبقى من قصر بن عقيّل


مرحلة التوحيد تحكي قصص رجال بذلوا الغالي والنفيس من أجل استقرار المملكة

وقف أمام التمرد ضد أمير «ابن سعود» في أبها ونجح في مهماته الوطنية

عبدالوهاب أبو ملحة.. «أمين بيت المال»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن علي بن سلطان بن مفلح بن علي أبو ملحة، أحد وجهاء المنطقة الجنوبية الذين حفظ لهم التاريخ أعمالهم التي شاركوا فيها قادة هذه البلاد في مرحلة التوحيد، لا سيما في المنطقة الجنوبية التي برز فيها دور الشيخ أبو ملحة، الذي ولد في قرية «العرق» في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عام ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٥م، حيث توفي والده وهو صغير، فتولى رعايته وأخيه عمهما سعيد، وكانت والدته هي عطرة بنت عبدالوهاب المتحمي، من أسرة آل أبو نقطة المشهورة في تاريخ عسير، في حين كان والد عبدالوهاب أبو ملحة وجده من الوجهاء والأعيان في ديارهما، ولهما دور بارز في الإصلاح بين الناس، وتقسيم المواريث؛ لما لديهما -رحمهما الله- من الدراية والإلمام بالعلوم الشرعية.

وعرف عن الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة -رحمه الله- أنّه رجل صادق يسعى للصلح العام، وكثيراً ما يعمل لنصرة المظلومين، ومساعدة المحتاجين، كما وصفه «محمد عمر رفيع» في العقد السادس من القرن الماضي قائلاً: «إنّ عبدالوهاب أبو ملحة رجل قصير القامة، دقيق الأطراف، بشوش الوجه، خفيف الحركة، وعلى محياه طلاقة وإيناس»، ويتعرض لوصفه «أحمد مطاعن»، قائلا: «عبدالوهاب رجل حنطي اللون، ترى في ملامحه الذكاء الخارق والدهاء، جاد بعيد الرؤية، عميق التجربة، تغلب على هيبته الاحترام الاجتماعي مع سماحة في الوجه».

وحظي الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بثقة الملك عبدالعزيز فأصدر أمره الملكي بتعيينه مديراً لشؤون بيت مال منطقة عسير -تهامة وسراة-، وصدر الأمر برسالة أرسلها الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة في جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٣م، ذكر فيها حاجة بيت مال الجنوب إلى الإصلاح، وأنّه هو الأنسب لهذه المهمة، وذلك لثقة الملك عبدالعزيز به كما جاء في الرسالة، موجهاً إياه بأن يتولى جميع بيت المال هناك، ويكون عن طريقه هو فقط، وبعد أن تم تكليف الشيخ أبو ملحة بإدارة بيت المال في أبها عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٣م، وجهه الملك عبدالعزيز بأن يوظف من يلزم من الكتاب الموجودين في أبها، مشيداً بدوره وأمانته وصدقه كما ذكر صاحب «القول المكتوب في تاريخ الجنوب»، وهناك الكثير من الوثائق من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة يوصيه ويحرصه على المسؤولية، ويضع الثقة فيه، ويشد عليه بأن يوصي موظفي بيت المال بالصلاح، وعلى الرفق بالناس والرأفة بهم وعدم الشدة معهم.

كسب ثقة الملك عبدالعزيز ليتولى «بيت مال الجنوب» واعتمده مفتشاً على الدوائر المالية وفوضه بالعزل والتوظيف

معترك الحياة

تنقل الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بين أسرته في خميس مشيط وأخواله المتاحمة بقرية طيب حاضرة ربيعة ورفيدة عسير، وقد عرف عن أسرة عبدالوهاب أبو ملحة وأخواله الثراء وامتلاك المزارع والعقارات، علاوة على ما يتمتعون به من مكانة اجتماعية وتقدير لدى عموم قبائل المنطقة الجنوبية، وكان أول ما زاول عبدالوهاب مهنة الزراعة في أملاك أسرته بخميس مشيط، وتدرج به الأمر إلى أن عمل بالتجارة، وسافر إلى نواحي عديدة في مناطق عسير وجازان والحجاز واليمن، وأقام علاقات طيبة من خلال ممارساته التجارية، واكتسب الخبرات والتجارب عبر تنقلاته، واطلاعه على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتلك المناطق.

صفاته الخلقية والخلقية

عرف عن الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة -رحمه الله- أنه رجل صادق يسعى للصلح العام وكثيراً ما يعمل لنصرة المظلومين ومساعدة المحتاجين، كما وصفه «محمد عمر رفيع» في العقد السادس من القرن الماضي قائلا: «إن عبدالوهاب أبو ملحة رجل قصير القامة دقيق الأطراف، بشوش الوجه، خفيف الحركة، وعلى محياه طلاقة وإيناس»، ويتعرض لوصفه «أحمد مطاعن» قائلا: «عبدالوهاب رجل حنطي اللون، ترى في ملامحه الذكاء الخارق والدهاء، جاد بعيد الرؤية، عميق التجربة تغلب على هيبته الاحترام الاجتماعي مع سماحة في الوجه».

مناصرة دعوة المؤسس

كان الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة من الذين التفوا حول الملك عبدالعزيز وقد اتضح ذلك أكثر عندما حدث تمرد ضد أمير ابن سعود في أبها «فهد بن عبدالكريم العقيلي»، مما أجبر العقيلي على مغادرة أبها مع رجاله وسلاحه متجها إلى نجد، وقال الأستاذ الدكتور «غيثان بن علي بن جريس» أنه عند وصول العقيلي خميس مشيط استقبله أمير شهران سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة الذي استضافه ورجاله في داره بحي العرق -من أحياء خميس مشيط القديمة- فأكرمهم وأحسن ضيافتهم، وجمع حولهم بعض الموالين للحكم السعودي، وعندما علم بعض رجال عسير ما قام به أبو ملحة، قرروا مهاجمتهم في دار من أواهم، وحاصروا مدينة خميس مشيط، وداهموا منزل الشيخ أبو ملحة وقبضوا على الأمير فهد العقيلي، وفرقوا العشائر التي التفت حوله، فرأى أبو ملحة أنه من الحكمة الخروج من المنطقة، وخرج إلى بيشة متجها إلى الشيخ «هيف بن ناصر الفويه» -شيخ بني واهب-.

وهو أيضا من أوائل المناصرين للملك عبدالعزيز في المنطقة، ثم طلب العون والمدد من الملك عبدالعزيز، ولم يتوان الملك في ذلك فأرسل جيشاً كبيراً، وقوة ضاربة بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز لإخماد نار الفتنة، ولما وصل إلى عبدالوهاب خبر قدوم الأمير فيصل من الرياض متجها إلى عسير هم باستقباله، وكان أول لقاء جمع بين الاثنين في رنية عام ١٣٤١هـ، فشكر الأمير فيصل الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، وأثنى على مواقفه المشرفة في استضافة الحامية السعودية ومناصرتها، وسلمه رسالة من الملك عبدالعزيز يثني على مواقفه البطولية، ثم بعثه الأمير فيصل برسالة إلى شيخ قبيلة بني واهب يحثه فيه على الاستعداد لمساندة الحملة السعودية ضد المتمردين، وكان هذا أول تكليف رسمي من الأمير فيصل للشيخ أبو ملحة، ومن بعدها انطلق يتدرج في تولي المهام الجسام، التي أوكلت إليه من الملك عبدالعزيز وأبنائه من بعده -رحمهم الله جميعاً-، وكانت هذه نقطة تحول في حياة أبو ملحة، ومن ثم انخرط في المعترك السياسي والإداري والمالي والاقتصادي والاجتماعي لفترة تزيد على (٣٠) عاماً.

تعيينه مديراً لبيت المال

حظي الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بثقة الملك عبدالعزيز فأصدر أمره الملكي بتعيينه مديرا لشؤون بيت مال منطقة عسير -تهامة وسراة- وصدر الأمر برسالة أرسلها الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة في جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٣م، ذكر فيها حاجة بيت مال الجنوب إلى الإصلاح وأنه هو الأنسب لهذه المهمة، وذلك لثقة الملك عبدالعزيز به -كما جاء في الرسالة-، موجها إياه بأن يتولى جميع بيت المال هناك، ويكون عن طريقه هو فقط، وبعد أن تم تكليف الشيخ أبو ملحة بإدارة بيت المال في أبها عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م، وجهه الملك عبدالعزيز بأن يوظف من يلزم من الكتاب الموجودين في أبها، مشيدا بدوره وأمانته وصدقه -كما ذكر صاحب «القول المكتوب في تاريخ الجنوب»-، وهناك الكثير من الوثائق من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة يوصيه ويحرصه على المسؤولية، ويضع الثقة فيه، ويشد عليه بأن يوصي موظفي بيت المال بالصلاح، وعلى الرفق بالناس والرأفة بهم وعدم الشدة معهم.

المرجعية الكاملة

كان أبو ملحة على صلة تامة بموظفيه في إدارة المالية بأبها، وكذلك فروع الماليات في عسير، ويذكر من يعرفه جيدا أنه كان يسمع مشاكلهم ويقضي احتياجاتهم، ويتجول في أنحاء المنطقة من أجل الوقوف على الإدارات الفرعية، وعليه فقد امتلك أبو ملحة في كثير من الأوقات المرجعية الكاملة في متابعة وحل المشاكل في منطقة عسير، ويتضح ذلك من خلال رسالة الملك عبدالعزيز إلى ماموري الماليات في أبها والقنفذة والبرك وملحقاتها، حيث وجه فيها الملك عبدالعزيز -رحمهما الله- فيها باعتماد عبدالوهاب بالكشف على تلك الدوائر وجمع ورداتها وفوضه بعزل من تبين خلل في وظيفته، وتوظيف من يراه مناسبا، وبعد تشكيل مجلس الشورى السعودي وإقرار وزارة المالية بدل الوكالة، وتعيين الشيخ عبدالله السليمان وزيرا لها، أصبحت ماليات البلاد مرتبطة ارتباطا مباشرا بالوزارة، ووردت العديد من الوثائق والمراسلات بين الوزير السليمان وأبو ملحة بخصوص الشؤون المالية، وبلا شك أنّ الوزير السليمان يثق بعبدالوهاب أبو ملحة من ثقة الملك عبدالعزيز -رحمهم الله جميعا-، والذي يؤكد في العديد من رسائله أنّ المسؤولية بكاملها فيما يتعلق بمالية الجنوب من اختصاص أبو ملحة فقط.

رئيساً لماليات الجنوب

وخلال عامي ١٣٥٤-١٣٥٥هـ بدأت إدارة أبها بضبط الأمور المالية في جوانب شتى، مثل: الإشراف على جمع الزكوات، وحفظ الحقوق الحكومية وحقوق الرعية، وتحصيل الرسوم، وصرف رواتب الموظفين، وما إلى ذلك من الشؤون المالية الأخرى، وفي عام ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م أصبحت مالية أبها إدارة رئيسة ومرجع لجميع ماليات المنطقة الجنوبية، وذلك بقرار وزير المالية، وكان عبدالوهاب أبو ملحة هو الرئيس العام لهذه الماليات، وإحساسا منه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فقد كان -رحمه الله- حريصا ودقيقا في عمله وحساباته، ويتضح ذلك في العديد من خطاباته إلى مديري ماليات الجنوب يطلب منهم الإفادة عن المصروفات، والعائدات، ومقار الماليات، ورواتب الموظفين، وعمل الموازنة الشهرية، وكل ما يتعلق بالشؤون المالية، وهكذا استمر أبو ملحة يدير دفة ماليات الجنوب من أبها، فكان حلقة الوصل بين هذه الإدارات والملك وأجهزة الدولة الأخرى.



الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة مستقبلاً الملك سعود بقصره في خميس مشيط



صورة قديمة لقصر أبو ملحة في أبها

العلاقة مع المؤسسات الإدارية

امتدت مشاركات أبو ملحة إلى جميع القطاعات الرسمية والأهلية، ولم ينحصر دوره في إدارة المالية، فالإمارات مثلا كانت أهم المؤسسات ذات الصلة بأبي ملحة، وهناك العديد من الوثائق التي تشير إلى ذلك، ومن ضمنها رسالة الملك عبدالعزيز إلى أمير عسير عبدالله بن عسكر في ٢-٤-١٣٤٦هـ، يوصيه بالتعاون مع أبو ملحة في جميع الأحوال، وفي وثيقة من الملك عبدالعزيز إلى أمير القنفذة فهد بن زعير في ٨-٤-١٣٤٦هـ، يحرصه فيها على مساعدة عبدالوهاب في جميع ما يلزم والاتفاق معه في جميع الأمور اللازمة وشدد عليه بذلك، كما كانت لأبو ملحة صلات ببعض المؤسسات الحكومية في جازان، وكان أمراء المناطق حريصين على اطلاع أبو ملحة على كثير من الأمور، ومثالا على ذلك تلك الوثيقة أرسلها له الأمير تركي السديري في٣-٩-١٣٥٢ هـ، يشرح له ويستشيره في أمور كثيرة تخص المنطقة الجنوبية.

ولاؤه لوطنه وولاة أمره

وقد ترجمت وثائق «ابن جريس» ولاء «أبو ملحة» لبلاده وولاة أمره ففي وثيقة بتاريخ ٢٤-١٢-١٣٤٠هـ من الملك عبدالعزيز إليه، يشكره على ما بذل من جهود حسنة في مناصرته أثناء دخوله عسير، ومقدرا له مواقفه النبيلة ويعده بكل خير،

ومما يؤكّد أيضاً ولاء عبدالوهاب أبو ملحة أثناء بدايات الحكم السعودي الحديث في عسير خطاب من الملك عبدالعزيز إلى الإمام عبدالرحمن الفيصل في ٢٥-١٢-١٣٤١هـ، ومن ضمن ما جاء فيه: «أبو ملحة مقامه معنا ومع المسلمين مقام طيب»، وفي وثيقة أخرى بنفس التاريخ من الملك يشكر فيها أبو ملحة على تواصله المستمر وتفانيه فيما يحقق الوحدة وجمع الكلمة، وأخرى بتاريخ ١٠-١٠-١٣٤١هـ يؤكد ثقته فيه ويدرك ما يكنه من ولاء وصدق للدولة، وكان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- حريص على إبلاغ أبو ملحة بانتصاراته في نواحي عديدة من الجزيرة العربية، ويذكر له برسالة مطولة في ٢٣-٢-١٣٤٣هـ الجيوش التي أرسلها إلى شرق الأردن للتصدي لبعض الأحداث هناك، كما فصل له الحديث عن الجيوش التي دخلت الطائف، وفي وثيقة بتاريخ ٢٧-١٢-١٣٤٥هـ من الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى أبو ملحة يقول فيها: «كل أعمالك موافقة للولاية واجتهادك وضبطك بيت المال كان معلوم عندنا، وعلومك طيبة، نرجو لكم الإعانة والتوفيق».

قائد عسكري

بدأت نشاطات الشيخ أبو ملحة العسكرية منذ انضمامه إلى الحملة الحربية التي جاءت بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز لإتمام مرحلة توحيد البلاد والتي شارك أبو ملحة في كثير من فصولها ومراحلها، لا سيما في جازان، حيث كلف أبو ملحة بقيادة القبائل هناك عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٢م فشكل جيشا قوامه حوالي (٣٥٠٠) مقاتل، وساروا جميعا بقيادة أبو ملحة، حتى وصلوا صبيا فاستولوا عليها في ٢٦-٢-١٣٥٠م، ثم واصلوا سيرهم وانضموا إلى المدد الذي جاء من الطائف بقيادة الشريف خالد بن لؤي وابنه سعد، وخاضوا جميعا معركة حامية الوطيس في بلدة «المضايا»، وأصيب عبدالوهاب أبو ملحة برصاصة اخترقت فخذه الأيمن، وذلك في شعبان ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٢م، ثم وصل إليهم مدد عسكري كبير من الرياض، بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وفي أواخر شهر شوال عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٣م استطاعت تلك الجيوش أن تضم ما تبقى من الجهات الجنوبية، لا سيما أنها استمرت أيضا، حيث كلف الأمير سعود بن عبدالعزيز من قبل والده الملك عبدالعزيز بمواصلة مراحل الوحدة، والتوجه نحو منطقة نجران التي طلب أهلها الانضمام لوحد المملكة العربية السعودية -كما ذكر العقيلي- في «تاريخ المخلاف»، وكان لأبو ملحة إسهامات كثيرة ومشاركات واضحة في إتمام مراحل الوحدة في المنطقة الجنوبية عامة.

إسهاماته الأمنية والسياسية

للشيخ أبو ملحة مشاركات أمنية وسياسية عديدة، ومن ضمنها كما ذكرنا مواقفه المشهودة في إتمام مراحل الوحدة في المنطقة، بالإضافة لأعماله في تحقيق أمن الطرقات والأسواق والموانئ وغيرها، فهو يدرك مدى أهمية الأمن في معيشة الناس وازدهار أعمالهم ونشاطاتهم التجارية؛ مما يتيح لموظفي الماليات جباية رسوم وإيرادات الدولة، والقيام بأعمالهم بأريحية وعلى الشكل المطلوب، كما كان حريصا على توفير الأمن للحاج اليمني منذ دخوله إلى نجران حتى وصوله بلاد غامد وزهران؛ إنفاذا لتوجيهات الملك عبدالعزيز -رحمهما الله-، كما كان له دور في السياسة الخارجية، حيث كان ضمن الوفد الذي أرسله الملك عبدالعزيز إلى إمام اليمن «يحيى حميد الدين» من أجل إنهاء المشكلة الحدودية بين البلدين، وكذلك شارك في الوفد الذي أرسله الملك عبدالعزيز إلى اليمن، والذي يتعلق بوضع الأدارسة في جازان، والاتفاق على ترسيم الحدود وحسن الجوار، وإنشاء علاقة صداقة وتآخي، وتشير الوثائق إلى أنّ الشيخ أبو ملحة ترأس الوفد السعودي الذي ذهب إلى ترسيم الحدود على الواقع عام ١٣٥٤م، كما كان له دور في مراقبة الحدود مع اليمن، والتشاور مع بعض موظفي الدولة فيما يخدم أمن ومصلحة البلاد أمنيا وسياسيا.

إسهاماته التعليمية

كان للشيخ عبدالوهاب أبو ملحة العديد من الإسهامات في مختلف المجالات، ومن ذلك دوره في الناحية التعليمية في بلدان جنوبي السعودية، حيث كان على صلة مباشرة بالقضاة ورجال الدعوة في منطقة عسير، يتشاور معهم في العديد من الجوانب التعليمية والدعوية، وكان القضاة يستعينون به في دوائرهم ونواحيهم في كثير من الأمور كصرف رواتبهم ورواتب موظفيهم، وتسهيل أحوال بعض أئمة المساجد، وحل مشاكل المدرسين والقراء الذين يعلمون القرآن الكريم والعلوم الشرعية، كما استضاف أبو ملحة الرحالة والمعلمين والباحثين



الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة

الذين قدموا إلى بلاد الجنوب السعودية مثل «فيلبي» و«فؤاد حمزة» و«محمد عمر رفيع» والمهندس «توتيشل»، وغيرهم، حيث قام أبو ملحة بواجب الضيافة تجاههم وساندهم، ووفر لهم كافة الإمكانات التي يحتاجونها في جولاتهم، وجميعهم كانوا مدعومين من الملك عبدالعزيز للقيام ببعض النشاطات العلمية في المنطقة.

وقد ورد في كتب بعضهم ذكر لجهود أبو ملحة تجاههم أثناء تواجدهم بالمنطقة الجنوبية، وهناك عشرات الوثائق التي تشير على اهتمامه بالناحية التعليمية، ومن ذلك ما يرويه «سعد بن سعيد بن مرزوق» الملقب بـ«أبو حجر» أنّ أبو ملحة بنى مدرسة الخميس على نفقته الخاصة، ويتابع سيرها، ويسأل عن احتياجاتها، فلا يتأخر عن توفيرها، ويذكر الأستاذ «إبراهيم بن فائع الألمعي» أنّ الشيخ أبو ملحة خص هذه المدرسة بالكثير من الرعاية والاهتمام، من فرش، وحصر، وحفر بئر، وتوصيل مياهها، من أجل الوضوء ولإقامة الصلاة، وإنشاء حديقة صغيرة، وقد حرص أبو ملحة على تدريب وتوظيف المعلمين من شباب المنطقة، وفي ذات الإطار التعليمي نجد وثيقة من مدير المعارف العام «طاهر الدباغ» بتاريخ ١٦-١-١٣٥٧هـ يثني على جهود أبو ملحة ودوره في ازدهار العلم في المنطقة الجنوبية، وإكرامه للمعلمين وتشجيعه للطلبة، كما أنه سعى لفتح المدرسة العسكرية في أبها بداية السبعينات الهجرية من القرن الماضي، والتي انخرط فيها العديد من أبناء المنطقة الجنوبية كافة، ووصل العديد منهم إلى مناصب قيادية عالية في الجيش والأمن العام.

شهادة قلم

ونجد في الوثائق التاريخية التي قدمها الأستاذ الدكتور «غيثان بن علي بن جريس» العديد من الرسائل بين الملك عبدالعزيز والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة والتي تدور حول الأحداث في مختلف الجوانب، مما لا يمكن حصره في إطار ضيق، إضافة إلى المراسلات والوثائق الأخرى بين الشيخ أبو ملحة والعديد من الأمراء والشخصيات والقياديين والوجهاء، وكلها مؤرخة بأحداثها، وكذلك ما كتبه الرحالة والمستشرقون عن أبو ملحة، وهذا الزخم من المعلومات والوثائق لا شك بأنّه يثري مكتبتنا التاريخية، ويطلع الجيل المعاصر على أحداث كانت غائبة عنهم، ويشير أبناء وأحفاد الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة أنّ معظم هذه الوثائق هي بحوزتهم، لا سيما تلك التي أشار إليها بعض من كتب في تاريخ المنطقة الجنوبية.

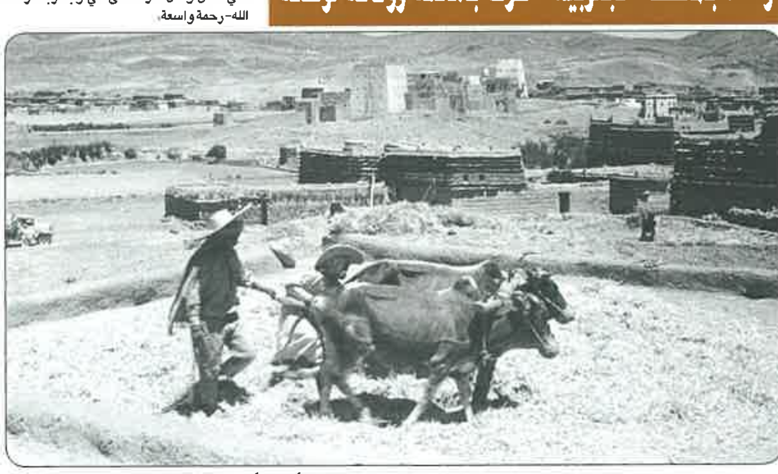
وفاته

كانت وفاة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة -رحمه الله- بعد وفاة المؤسس رحمه الله بسنة واحد حيث توفي عاما ١٣٧٤هـ بعد خروجه من صلاة الفجر، التي ما أن وصل منزله حتى لقي وجه ربه -رحمه الله- رحمة واسعة.

قائد عسكري كانت له إسهامات كثيرة في إتمام مراحل الوحدة بالمنطقة الجنوبية.. عرف بأمانته وولائه لوطنه



الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة مع الأمير تركي السديري والأمير خالد السديري والشيخ عبدالله بن حميد



أبو ملحة ساهم في تنمية مجتمعه الجنوبي اقتصادياً وتعليمياً

سلك نهج المتنبي ونظم شعر المديح والفخر واحتفى بوطنه تأسيساً ووحدة

الشاعر أحمد الغزاوي.. «حسّان الملك عبدالعزيز»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يظل الشاعر والأديب أحمد إبراهيم الغزاوي من أولئك الذين أثروا المكتبة الأدبية بغزارة شعره وإبداعاته الأدبية، وعلى الرغم من أنّ معظم نصوصه تركزت على المديح والفخر، إلاّ أنّ له أشعاراً وقصائد في النصح، والاعتبار، والتفكر، وقد اتبع في نهجه نموذج القصيدة العربية القديمة، كما وصف النقاد أشعاره وقصائده بالجزالة والإبداع، وكان -رحمه الله- قد أنشد معظم قصائده في المناسبات الرسمية أمام الملك عبدالعزيز، ثم الملك سعود، والملك فيصل فيما بعد -رحمهم الله جميعا-، وفي الاحتفال السنوي الذي تحضره وفود الحجيج في مكة المكرمة، ولم يقف إبداعه عند الشعر، فقد كتب المقالة، وأجاد الخطابة، وسبق أن عمل في العهد الهاشمي في عدة وظائف، ثم أصبح سكرتيراً لمجلس شورى الخلافة، وفي عهد الدولة السعودية تولى القضاء وأمانة مجلس الشورى، وأوكل الملك عبدالعزيز إليه تحرير جريدة أم القرى، ثم تحرير صوت الحجاز ومجلة الإصلاح، كما كان أحد مؤسسي جمعية الإسعاف الخيري بمكة المكرمة ذات النشاط الأدبي البارز آنذاك، ومُنح مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م، إضافة إلى العديد من المهام الرسمية الأخرى التي كلفه المؤسس بها، مع صحبته للملك عبدالعزيز في رحلته إلى مصر عام ١٣٦٥هـ، حيث ألقى هناك قصيدة في مدح الملكين عبدالعزيز وفاروق.

وتمكن الغزاوي من مزج الحس الإسلامي بالقضايا الاجتماعية والوطنية، له كتابات ومقالات اجتماعية وتربوية تحكي شؤون المجتمع آنذاك، وكان أديبا كثير الاطلاع والقراءة، مقربا من الملك عبدالعزيز إلى أن أطلق عليه الملك لقب "حسان الملك عبدالعزيز"، أما إنتاجه الأدبي فلم يتوقف على ديوانه الشعري، إذ ترك بعض الإصدارات الأدبية وعدداً غزيراً من المقالات الصحفية والخطب المنبرية المتنوعة، وهو الشاعر الوحيد صاحب الحوليات في الأعياد والقدوم والسفر والمناسبات المختلفة لم يكن يضارعه أحد من داخل المملكة في هذا المجال.

كما حرص الأديب على التواصل مع العلماء في حلقات المسجد الحرام، وبيوت المشايخ، وقد تتلمذ على يد عدد من كبار العلماء منهم أصحاب الفضيلة المشايخ السيد عبدالوهاب نائب الحرم المكي، وحسين الحبشي، وصالح شطا، وعبدالله السراج، ومحمد بن سليمان حسب الله، وإبراهيم فودة، وعبدالله السناري حمدوه، وحسين باسلامة، هذا مع حرصه واهتمامه بالالتقاء بأكبر عدد كبير من العلماء الذين يفدون إلى مكة المكرمة أثناء مواسم الحج والعمرة.

منحه المؤسس مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى وتولى القضاء وأمانة مجلس الشورى

وزير مفوض

ولد الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي في مكة المكرمة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م وتوفي بها، وتلقى تعليمه في الكتّاب وفي حلقات العلم بالمساجد وفي المدرسة الصولتية، التي تخرج منها عام ١٣٣٠هـ، كما درس أيضا في المدرسة الخيرية بمكة المكرمة أثناء فترة الانقطاع عن الصولتية، ثم التحق بمدرسة الفلاح، وبدأ منذ يفاعته في مساعدة والده لتصريف أمور تجارته، وسافر مع والده الذي كان يعمل في مجال التجارة ويجيد القراءة والكتابة والخط، إلى السودان والهند عام ١٣٤٣هـ، كما عمل في العهد الهاشمي في عدة وظائف، ثم أصبح سكرتيرًا لمجلس شورى الخلافة، وفي عهد الدولة السعودية تولى القضاء وأمانة مجلس الشورى، وأوكل الملك عبدالعزيز إليه تحرير جريدة أم القرى، ثم تحرير صوت الحجاز ومجلة الإصلاح، كما كان أحد مؤسسي جمعية الإسعاف الخيري بمكة المكرمة ذات النشاط الأدبي البارز آنذاك، ومُنح مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م، إضافة إلى العديد من المهام الرسمية الأخرى التي كلفه المؤسس بها، مع صحبته للملك عبدالعزيز في رحلته إلى مصر عام ١٣٦٥هـ، حيث ألقى هناك قصيدة في مدح الملكين عبدالعزيز وفاروق.

أساتذته

وحرص الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي على التواصل مع العلماء في حلقات المسجد الحرام، وبيوت المشايخ، وقد تتلمذ على يد عدد من كبار العلماء منهم أصحاب الفضيلة المشايخ السيد عبدالوهاب نائب الحرم المكي، وحسين الحبشي، وصالح شطا، وعبدالله السراج، ومحمد بن سليمان حسب الله، وإبراهيم فودة، وعبدالله السناري حمدوه، وحسين باسلامة، هذا مع حرصه واهتمامه بالالتقاء بأكبر عدد كبير من العلماء الذين يفدون إلى مكة المكرمة أثناء مواسم الحج والعمرة.

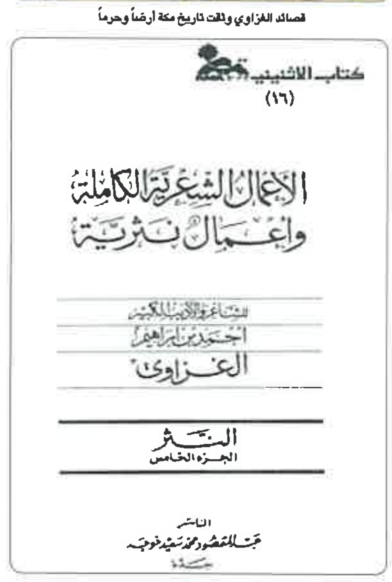
نبوغ شعري

وعرف أحمد إبراهيم الغزاوي -رحمه الله- بالشاعر "الأرستقراطي"، ويحكي من قرأ عن حياته وشعره أنه بدأ ينظم الشعر في العهد الهاشمي، وكان -رحمه الله- يحرص على أن يختار لقصائده ألفاظا فخمة تلائم طبيعته الأرستقراطية وطريقته المثيرة في الإلقاء، حيث كان ينشد هذه القصائد في المناسبات الرسمية أمام الملك عبدالعزيز، ثم الملك سعود والملك فيصل فيما بعد، وكذلك وصف بأنه غزير الإنتاج يمتاز شعره بالجزالة والرّصانة، واشتهر كثيرا بأنه سلك نهج المتنبي في كونه امتطى أغراض شعر المديح والفخر، وعلى الرغم من أنّ له كتابات عن الأحداث السياسية بالجزيرة العربية آنذاك، إلا أنّ الكتابة الأدبية والشعر والخطابة حظيت بالنصيب الأوفر من إنتاجه الصحفي، كما أنّ له كتابات ومقالات اجتماعية وتربوية تحكي شؤون المجتمع آنذاك، كما أنه استطاع من خلال شعره أن يمزج الحس الإسلامي بالقضايا الاجتماعية والوطنية.

وفي سياق الحديث عن شعره فقد قدم والباحث" د. مسعد عيد العطوي" دراسة عن أشعار الغزاوي بعد جمعها من المصادر الموثوقة وتقديمها إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض للحصول على درجة الدكتوراه، وصدرت الدراسة في مجلد، أعقبها الشعر في مجلدين، في حين كان الشاعر أحمد الغزاوي قد ترك لنا كتاباً نثرياً تحت عنوان "شذرات الذهب"، إضافة إلى مقالات في اللغة والأدب والتاريخ كان قد نشرها في صحيفة البلاد السعودية، ومجلة المنهل في وقت سابق، وكذلك مقالات متنوعة في الصحافة المحلية.



قصائد الغزاوي وثقت تاريخ مكة أرضاً وحرماً







الشاعر والأديب أحمد الغزاوي أثرى المكتبة الأدبية بغزارة شعره وإبداعاته



ثمانون قصيدة قيلت في الحج

وكان الأستاذ والكاتب "شمس الدين درمش" من الذين عكفوا على دراسة قصائد الشاعر أحمد الغزاوي، بل إنه أحد المهتمين بجمعها وتاريخها وفقا للمواسم والسنوات والمناسبات التي قيلت فيها كل قصيدة، وعليه فهو أول من أطلق على "الغزاوي" لقب "شاعر الحج"، وقال يحكي عن جهوده في جمع ودراسة هذه القصائد: "عندما وجدت الجزء الأول من ديوان الشاعر الكبير أحمد بن إبراهيم الغزاوي مخصصا للقصائد التي قالها بمناسبة الحج شعرت بالارتياح؛ إذ وجدت الخير عند أهله، وتبينت من خلال قراءة عناوين القصائد، والتنقل بين صفحات الديوان، ومقارنته بعدد من دواوين شعراء آخرين أنّ الشاعر أحمد الغزاوي يستحق أن يطلق عليه لقب شاعر الحج بجدارة، وأن يعنونوا هذا الجزء من ديوانه الكبير بديوان الحج، ليدل عليه حتى يلفت الأنظار ويجذب النظار، وقد أحصيت أكثر من ثمانين قصيدة قالها الشاعر بمناسبة الحج، وهي قصائد طويلة سُمّيتْ بالحوليات؛ مضافا إليها القصائد التي قالها الشاعر في مناسبة عيد الفطر السعيد، وقد مُيّزت القصائد جميعها بذكر الزمان والمكان، ومن قيلت في حضرته من الملوك، وولاة العهد، وأصحاب السمو الأمراء في أيام الحج المباركة، إذ يستقبل الملك وولي عهده وفود الحجاج من دول العالم الإسلامي فيكرمهم، ويبادلهم الحديث في شؤون المسلمين وأحوال بلادهم"، مبيّناً أنّ أبرز ما اختار من شعر أحمد الغزاوي هو ترحيبه بوفود الحجاج في قصائده، وهو المناسبة التي كان ينظم قصائده لأجلها، ذاكراً أسماء بعض القصائد الترحيبية بالحجيج منها على سبيل المثال: تحية وفود الله، تحية الحجيج، حي الملبين، تحية وفود الحجاج، تحية الوفود، وغيرها، وذكر هذه القصيدة:

مرحبًا بالوفود من كل طائف
والملبين بين بادٍ وعاكف
مرحبًا بالهداة في كنف الله
وبالخاشعين من كل واقف
مرحبًا بالسماء والأرض يُهدى
كشذى الروض واصطفاق المعارف
بالإخاء المتين في ألق الشمس
وبالطهر في نقي المعاطف
بالألى استحقوا رضى الله سعيًا
من وراء البحار شتى الطوائف

رائد الحوليات

وقال "حسين علي عرب" -رحمه الله-: الغزاوي شاعر كبير ومعروف، واسم شهير ملأ الساحة الشعرية في المملكة على مدى ما يزيد على (٦٠) عاما، فأعجب وأطرب وساجل وعارض وهو الشاعر الوحيد صاحب الحوليات في الأعياد والقدوم والسفر والمناسبات المختلفة، لم يكن يضارعه أحد من داخل المملكة في هذا المجال، وإن كان غيره من بعض شعراء الجزيرة العربية الكبار أمثال خير الدين الزركلي، وفؤاد الخطيب، وأبو الإقبال اليعقوبي شاعر فلسطين، وغيرهم في بعض المناسبات.

حسان الملك عبدالعزيز

كان أحمد الغزاوي مقرباً من الملك عبدالعزيز وقد ينفرد في بعض المناسبات بمدحه دون غيره من الشعراء، حتى أطلق عليه الملك لقب "حسان الملك عبدالعزيز" من خلال مرسوم جاء على نصه كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية، بعد الاعتماد على الله تعالى قد منحنا شاعرنا أحمد بن إبراهيم الغزاوي لقباً فخرياً وشرفاً قومياً بانتسابه إلينا، وخصوصيته علينا، ونعتناه بحساننا، وخولناه أن يكون شاعر بلاطنا وأبنائنا، لما استحقه من توجهنا والتفاتنا بما أثبته لدينا من نصحه، وإخلاصه، ومنافحته عن الإسلام، والمسلمين، والعرب، والعربية، ونرجو لنا وله الهداية والتوفيق من الله تعالى، ولذا حرر.. صدر في مكة المكرمة يوم الجمعة الموافق ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ.

من خطبه في الملك عبدالعزيز

وللشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي العديد من الأعمال النثرية والخطابة، إضافة إلى مقالاته وكتاباته في الصحف المحلية في كل ما من شأنه رفعة ومكانة الوطن، ومن خطابته في الملك عبدالعزيز بعد عودته من جولة تفقدية على مدن المملكة كلفه بها الملك عبدالعزيز نقتطف منها الجزئيات التالية:

"يا صاحب الجلالة إن بلادي التي تقدر الفضل وتعترف بالجميل والتي ما انفكت تبرهن في كل وقت على تفانيها حول عرشك العظيم واندفاعها في سبيل الحب والنصح والإخلاص، تلك الخلال التي رفع قواعدها العدل، وثبتها الإحسان، قد اتخذت من قدوم أصحاب السمو والأمراء وقادة الجيش وأبطال الحرب وكواكب المجد وذادة الحماة وجمرات العرب أحسن فرصة ووسيلة لتعرب عن سرورها بما أتته الله على أيديهم من الفخر الخالد، والتوفيق الباهر، تحت ألوية جلالته الخافقة بوحدة العرب، والمنتشرة لجمع شمل العرب، وتعزيز كلمتهم، وحفظ بيضتهم، أينما حلوا تحت أديم السماء".

ومما قال أيضا في خطبته أمام جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- "ولقد كنت قائما بالخدمة خلال هذه الأيام الباسمة لأمر جلالتكم المطاع في بطون الصحراء، وأطراف الثغور، أحمل ورفاقي إلى رعاياكم الشاكرين مصابيح العدل التي لم تزل ساطعة في كل بقعة تظللها الراية الخضراء"، وأضاف في خطبته: "وكنت أحرق الإرم إن لم أظفر بقسطي، ولم أضرب بسهمي في هذا المهرجان الكبير الذي ما بعده من خير متتابع ونعيم.. إلخ"، وختم الغزاوي خطبته: "ومن كان في هذا المقام فإنه على الفضل محمول وفي البحر سابح، فإن كنت أحسنت المقال فإنما تسامى به الفعل الذي أنت رابح".

نثريات الغزاوي

وذكر "عبدالمقصود خوجة" عن كتاب الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر والأديب الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي، أنّ هذا الإصدار استغرق إخراجه جهدا استمر زهاء ثلاث سنوات ما بين تجميع المادة، ومراجعة النصوص، وضبط الكلمات بالشكل، وتصحيح بعض العبارات، وقد جمعت قصائد الشاعر الغزاوي في أربعة أجزاء بطبعة فاخرة، بينما جاءت أعماله النثرية في جزءين. وضم الجزء الاول من اعماله الشعرية "الحوليات"، واحتوى الجزء الثاني على المناسبات، أما الثالث فنشرت فيه قصائد المناسبات أيضا، إضافة إلى "الوطنيات" و"الحكم" و"الإخوانيات"، فيما ضم الجزء الرابع "الاجتماعيات" و"الإسلاميات" و"الرثاء" و"تحايا وتهاني"، أما الجزءان الخاصان بالنثر، فقد ضم الجزء الأول الخطب والمقالات، واشتمل الجزء الثاني على مقالات نشرها الشاعر الراحل تحت عنوان "يوميات الندوة" و"تعقيبات الندوة" عبارة عن بعض عيون الأدب والشعر التي استلهمها من بطون الكتب، وعكف على التعليق عليها، وتوضيح جوانبها الجمالية، وقد ساهم في إنجاز الأعمال الشعرية والنثرية عدة كتاب وباحثين، إضافة إلى جامعة أم القرى وجامعة الملك عبدالعزيز، ومنهم الشاعر حسين عرب الذي قرأ مسودة الأعمال الشعرية، ود. محمد بن حسن زيني عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى.

مسيرة ومناصب

تقلد الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي العديد من المناصب حيث شغل منذ صباه وظيفة صغيرة بمديرية الأوقاف والحرم الشريف بمكة المكرمة، وفي محرم ١٣٣٥هـ عينه فضيلة رئيس القضاة نائباً له خاصة فيما يتعلق بالشؤون الإدارية والمالية، وفي عام ١٣٤٤هـ عينه الملك عبدالعزيز في رئاسة القضاء، كما عين في العام ١٣٤٥هـ مساعداً لمدير الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة التي تأسست في نفس العام، إضافة إلى أنّ الملك عبدالعزيز أوْكل إليه تحرير جريدة "أم القرى" ثم "صوت الحجاز" و"مجلة الإصلاح"، كما عمل لفترة وجيزة إبان تأسيس الإذاعة السعودية كأول مدير لها عام ١٣٦٨هـ، وتولى رئاسة لجنة الحج العليا عام ١٣٥١هـ و١٣٥٢هـ، وتم انتخابه رئيسا للمجلس البلدي بالنيابة، إضافة إلى عضويته في لجنة التعويض والتنسيق والتقاعد بوزارة المالية، وكذلك عين عضوا في لجنة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، كما أنه كان أحد مؤسسي جمعية الإسعاف الخيرية، إضافة إلى تعيينه في عام ١٣٤٣هـ بمجلس الشورى سكرتيراً ثم عضواً إلى أن صار نائبا للرئيس سنة ١٣٧٣هـ واستمر في هذا المنصب حتى وفاته، وتقديراً لإنجازاته فقد منحه الملك عبدالعزيز -رحمه الله- رتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى سنة ١٣٧٣هـ.

تجارب الحياة

خمدتْ جذوةُ الشباب وأمسَى
ما أعانيه من زماني ثقيلا
وتثقفتُ بالتجاريب حتى
راودتْني الحياة أن استقيلا
لم أجدْ في الوجود إلا جدالاً
ورأيتُ الضعيفَ فيه ذليلا
وتخيّرْتُ أن أكون عظيماً
وكريماً ومُثريًا ونبيلا
فتقدّمت بالوسائل أبغي
في ربى المجد والعلاء مَقيلا
فإذا الدربُ كله عقباتٌ
وإذا بي أرى الجناب مَحيلا
وإذا الناس كلهم أهل غيٍّ
يكرعون الحياة كأساً وَبيلا
فتراجعت زاهداً وبقلبي
رجفة البعث حائراً مذهولا
إنما هذه الحياة بلاءٌ
فدَع اللهو واتخذْها سبيلا
واتخذْ للمعاد خيراً وبرّاً
وصلاحاً وعفةً وجميلا

وفاته

- مرض أحمد الغزاوي في أواخر عمره حتى أقعده المرض وتوفي يوم ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٤٠٢هـ عن عمر يناهز الثالثة والثمانين ودفن بمقابر المعلاة في مكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة.





الوحيد صاحب الحوليات في الأعياد والقدوم والسفر والمناسبات الوطنية

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

التاريخ حفظ للرجال الأوفياء مواقفهم تجاه وطنهم وقادتهم وفتح لهم صفحات المجد

عباس قطان.. أمين العاصمة المقدسة وقريب من كل محتاج

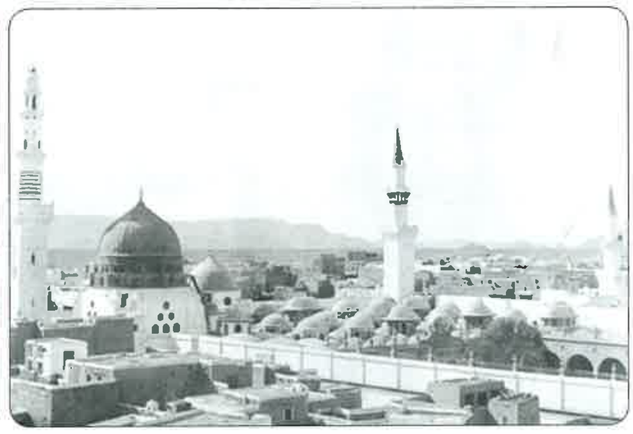
■ قدَّم الشيخ الوجيه "عباس يوسف قطان" أروع الأمثلة في العمل الخيري ودعم العلم والعلماء، واشتهر -رحمه الله- بكرمه واستضافته للزوار وضيوف الرحمن في موسم الحج، حيث كان ينصب لهم الموائد ويغدق عليهم الخير، ولثقة الملك عبدالعزيز بالشيخ "عباس قطان"، فقد أوكل إليه عدداً من المهام والمسؤوليات، ومن ضمنها تعيينه أميناً للعاصمة المقدسة، ومن ثم عين في مجلس الشورى، إضافة إلى مهام أخرى كلفه الملك بها.

ومن أهم أعمال الشيخ "عباس قطان" -رحمه الله- إنشاء مبنى مكتبة مكة المكرمة في موقع مولد النبي -صلى الله عليه وسلم-: في "شعب علي"، حيث اتفق مع أصهاره "آل كردي" أن يشتري مكتبة المرحوم الشيخ "ماجد كردي" -أحد مديري المعارف العام ومن أعيان رجالات مكة والحجاز-، وسلمت المكتبة إلى وزارة الحج والأوقاف، وهي من أثمن وأعرق المكتبات، واشتهرت بالمكتبة "الماجدية"، وتضم أقدم كتب التراث النادرة المخطوطة والمطبوعة، وأقدم الدوريات والوثائق وغيرها، ونقل -رحمه الله- ما بها من محتويات إلى الموضع.

وكان الشيخ "عباس يوسف قطان" موضع ثقة الملك عبدالعزيز -رحمهما الله- فكان يكلفه بمهام في عهد رئاسته لأمانة العاصمة، فحينما انتهت إمارة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم على المدينة المنورة، كلف جلالته الشيخ "عباس قطان" بالسفر إلى المدينة المنورة وتصريف شؤونها إلى حين تولي الأمير السديري أمارة المدينة المنورة، كما كان يعتمد عليه بالعمل في بعض الأمور التي تطرأ والتي يرغب جلالته اتخاذ إجراء معين فيها.

وعُرف عن الشيخ عباس -رحمه الله- تفرغه للأعمال الخيرية والاجتماعية، فقد كان صاحب أياد بيضاء لما قدمه من أعمال خيرية للعلم والتعليم والحضارة والثقافة ومنها: إنشاء أول مبنى لمدرسة تحفيظ القرآن، حيث قام بتشييد المدرسة في دار السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، وباشر في عمارة المبنى سنة ١٣٦٨هـ، وأكمل المبنى أبناؤه عقب وفاته، وتم تسليم المبنى المدرسي إلى "وزارة المعارف"، وهي أوائل مدرس تحفيظ القرآن في مكة والمملكة، وكانت نواة لمدارس تحفيظ القرآن، ونالت تقدير المجتمع والأمة الإسلامية، حيث شيدت في موقع منزل الوحي والرسالة.

كسب ثقة الملك عبدالعزيز مبكراً واختاره عضواً في مجلس الشورى وكلّفه بتصريف شؤون المدينة المنورة



كلفه الملك عبدالعزيز بتصريف شؤون المدينة المنورة



التحق بالمدرسة الصولتية وتلقى تعليمه فيها



عباس قطان

الكتاتيب والعلم

الشيخ "عباس يوسف قطان" -رحمه الله- من أعيان ووجهاء الأسر المكية، وممن حضي بثقة أبناء مكة المكرمة، كما حضي بثقة الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-، وهو من الأوائل الذين تولوا أمانة العاصمة المقدسة في عهد التأسيس، وكان له دور بارز في البناء والتشييد، وقد ولد في مكة المكرمة سنة ١٣١٣هـ، وتلقى تعليمه الأولي في الكُتّاب ثم التحق بالمدرسة "الصولتية" وتلقى تعليمه فيها، وعني به والده عناية تعليمية خاصة، فكان يحضر له بعض المشايخ في الدار لتلقي تجويد القرآن الكريم، وتعلم الفقه واللغة، كما كان يرسله لحضور حلقات الدرس في المسجد الحرام بين صلاتي المغرب والعشاء، فكان يحضر الدروس التي يعقدها علماء مكة المكرمة في ذلك الزمان أصحاب الفضيلة، الشيخ "عباس مالكي"، والشيخ "سعيد يماني"، و"السيد المرزوقي"، والشيخ "عمر باجنيد"، والشيخ "عمر حمدان".

وتزود الشيخ "عباس" بوافر العلم ونهل من معية العلماء، ويصفه الشيخ "محمد علي مغربي" في كتابه (أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة) بأنه متوسط القامة، ممتلئ الجسم، قمحي اللون، واسع العينين، يضع على عينيه نظارة وله لحية خفيفة، وكان يرتدي العباءة والعقال "المقصب" في العهد الهاشمي، ثم أصبح يرتدي العباءة والعقال العادي في العهد السعودي، مشيراً إلى والده الشيخ "يوسف قطان"، قائلاً: "من أكبر أعيان مكة المكرمة وأثريائها وكان وزيراً للنافعة، وهذه وزارة الأشغال العامة في عهد الشريف حسين بن علي، وقد كان الشيخ يوسف قطان على صلة بأمراء مكة، وكان له عند الملك عبدالعزيز -رحمه الله- محبة ومودة"، مبيّناً أنّه كان رافضاً أن يلتحق ابنه بأي وظيفة، حيث كان يريده أن يهتم بتجارته، ولكن الأقدار كانت غير ذلك، حيث عين الشيخ "عباس يوسف قطان" عضواً في المجلس البلدي في مكة المكرمة، وفي عام ١٣٤٧هـ عينه الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أميناً للعاصمة حتى عام ١٣٦٤هـ، ومن ثم طلب من الملك عبدالعزيز إعفاءه؛ لأنّه كان ينوي أن يتفرغ لأعمال الخير ومساعدة المحتاجين.

أمين العاصمة المقدسة

كان الشيخ "عباس يوسف قطان" موضع ثقة الملك عبدالعزيز فكان يكلفه بمهام في عهد رئاسته لأمانة العاصمة، فحينما انتهت إمارة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم على المدينة المنورة، كلف جلالته الشيخ "عباس قطان" بالسفر إلى المدينة المنورة وتصريف شؤونها إلى حين تولي الأمير "السديري" إمارة المدينة المنورة، كما كان يعتمد عليه بالعمل في بعض الأمور التي تطرأ والتي يرغب جلالته اتخاذ إجراء معين فيها، كما شغل الشيخ "عباس يوسف قطان" عضواً في المجلس البلدي بمكة المكرمة في مطلع العهد السعودي، وفي سنة ١٣٤٧هـ عينه الملك عبدالعزيز أميناً للعاصمة المقدسة، وظل بها إلى نهاية سنة ١٣٦٤هـ، حيث عين عضواً في مجلس الشورى، إلا أنّه طلب من الملك عبدالعزيز إعفاءه للتفرغ لأعماله الخيرية والتجارية، وتهيأ له ما أراد فأتيح له أن يقدم أعمالاً خيرية تتعلق بالتعليم، والتاريخ، والثقافة، والإصلاح الاجتماعي، وكان يتلقى في كل ذلك الترحيب والتأييد والدعم من الملك عبدالعزيز وحكومته.

استضافة الحجيج

كانت دار الشيخ "عباس قطان" في مكة المكرمة والطائف أيام الصيف مفتوحة للناس تغص بروادها من أهل العلم والفضل، ومن الضيوف، وكانت تنصب لهم الموائد صباحاً ومساءً، ويستضيف الحجيج في موسم الحج من كل عام وكبار الشخصيات، وحينما قدم "د.محمد حسين هيكل باشا" الكاتب المصري المعروف ورئيس مجلس الشيوخ المصري إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، نزل بدار الشيخ "عباس يوسف قطان" بمكة المكرمة بالشامية، وفي هذه الرحلة رغب "هيكل" بالتعرف على آثار مكة ومعالمها، فطلب من الشيخ "عباس" أن يختار له مرافقاً ملماً بهذه الآثار، فاختار له المرحوم الشيخ "عبدالحميد حديدي" العضو بأمانة العاصمة ومن أبرز رجالات مكة العارفين بتاريخها وآثارها.

مكتبة مكة المكرمة

كان من أهم أعمال الشيخ "عباس قطان" -رحمه الله- إنشاء مبنى مكتبة مكة المكرمة في موقع مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- في "شعب علي"، حيث اتفق مع أصهاره "آل كردي" أن يشتري مكتبة المرحوم الشيخ "ماجد كردي" -أحد مديري المعارف العام ومن أعيان رجالات مكة والحجاز-، وسلمت المكتبة إلى وزارة الحج والأوقاف، وهي من أثمن وأعرق المكتبات، واشتهرت بالمكتبة "الماجدية"، وتضم أقدم كتب التراث النادرة المخطوطة والمطبوعة، وأقدم الدوريات والوثائق وغيرها، ونقل -رحمه الله- ما بها من محتويات إلى الموضع.



بنى الشيخ عباس مكتبة مكة المكرمة وسلمت للأوقاف

وكانت العقبات التي واجهها الشيخ عباس القطان لتحقيق هذه الأمنية كثيرة، ولكنه استمر في محاولاته تلك دون كلل أو ملل، فاستطاع بعد سنوات طويلة من أن يحظى بموافقة جلالة الملك عبدالعزيز للسماح له بإقامة المبنى الذي يريد، وما إن حصل على الإذن من جلالته بإقامة المبنى حتى سارع باتخاذ الإجراءات اللازمة للإنشاء عام ١٣٧٠هـ، وكان يشرف على البناء بنفسه في كل يوم، راغباً في سرعة إنجازه وتحقيق الأمنية التي كان ينشدها برؤية المكتبة العامة مشيدة في موضع مولد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي يوم من أيام شهر رجب ١٣٧٠هـ، ذهب كعادته لرؤية العمارة مصطحباً بعض أصدقائه، ولكنه شعر بألم مفاجئ وهو واقف في الموقع، إذ فاجأته نوبة قلبية حادة فأمسك به الحاضرون من أبنائه وأصدقائه واستدعى له أحد الأطباء، ثم نقل إلى بيته وفي اليوم التالي فارق الحياة، فكانت هذه العمارة التي تمنى أن ينشئها هي الخاتمة السعيدة لحياته، ولقد أكمل أبناؤه من بعده العمل الطيب الذي بدأه، وسلمت إلى وزارة الحج والأوقاف -وفقاً لما ذكره صاحب أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة-، كما يضاف إلى أعماله الجليلة أيضاً إنفاقه على نسخ وطباعة المخطوطات التراثية النادرة، وقد طبع كتاب "القرى لقاصد أم القرى" لمحب الدين الطبري، وهو كتاب قيم جليل في مجاله وموضوعه.

أول مبنى لتحفيظ القرآن

وعرف عن الشيخ "عباس" -رحمه الله- تفرغه للأعمال الخيرية والاجتماعية، فقد كان صاحب أياد بيضاء لما قدمه من أعمال خيرية للعلم والتعليم والحضارة والثقافة، ومنها: إنشاء أول مبنى لمدرسة تحفيظ القرآن، حيث شيّد المدرسة في دار السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، وقد باشر في عمارة المبنى سنة ١٣٦٨هـ، وأكمل المبنى أبناؤه عقب وفاته، وتم تسليم المبنى المدرسي إلى وزارة المعارف، وهي أوائل مدرس تحفيظ القرآن في مكة والمملكة، وكانت نواة لمدارس تحفيظ القرآن، ونالت تقدير المجتمع والأمة الإسلامية، حيث شيدت في موقع منزل الوحي والرسالة.

جهود الإصلاح

ولم تقف أعمال الشيخ "عباس" على بناء المدارس والمكتبات بل أنه كان مشهوراً بإصلاح ذات البين، وتذكر حفيدته "فريال" -ابنة ابنه محمود- أن جدها -رحمه الله- كان يتحرى الإصلاح بين العائلات التي يطول بينها الجفاء، أو الأفراد الذين تشتد بينهم البغضاء فتقطع أواصر المحبة، كما كان قضاة مكة يحيلون إليه من القضايا التي تعرض عليهم ما يرون انه من المصلحة تدخله فيها حفظاً لصلة الرحم وحسن الجوار.

وكان الشيخ "عباس يوسف قطان" -رحمه الله- يبذل جهده ووقته للإصلاح مستعيناً بمن يتوسم فيهم الخير من الرجال لتحقيق هذه الغاية باذلا في ذلك جاهه وماله، وربما اقتضى الأمر مراجعة المسؤولين في الدوائر الحكومية لتذليل العقبات التي تعترض سبيله، حتى إذا أثمر سعيه جمع المتخاصمين في داره المضيافة على مائدة العشاء مع من اشترك معه في الإصلاح، ليذهبوا في اليوم التالي إلى المحكمة فيطلبوا من القضاة إلغاء القضايا التي كانوا يقيمونها معلنين تصالحهم وتراضيهم، ولا شك أن هذا العمل من أجل الأعمال التي لا يقوم بها إلا الرجال الكبار الذين اتسعت صدورهم لمشاكل الناس.

وفاته

توفي الشيخ "عباس بن يوسف القطان" -رحمه الله- في بلدته التي أحبها وأحبته، حيث مهوى أفئدة المسلمين في مكة المكرمة، بعد حياة حافلة بالأعمال الجليلة لخدمة بيت الله العتيق، حرص -رحمه الله- من خلالها على تذليل الصعاب لجميع زوار الحرم المكي وحتى الحرم النبوي، حين تكليفه بتسيير الأعمال في المدينة المنورة، ولذا فما أن يذكر الرواد من رجالات مكة المكرمة في عصرنا الحديث، إلا ويبرز اسم "عباس قطان" كواحد من كوكبة علماء ووجهاء "أم القرى" التي ودعته في صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من شهر رجب عام ١٣٧٠هـ -رحمه الله- رحمة واسعة.

أنشأ مكتبة مكة المكرمة في مكان «مولد النبي».. وبنى أول مدرسة لتحفظ القرآن الكريم بالمملكة



اختار الملك المؤسس الشيخ عباس ليتولى أمانة العاصمة المقدسة



كان الحجاج يقصدون منزل الشيخ عباس في الطائف ومكة

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

التاريخ لا ينسى رجاله حين وصلت شجاعتهم إلى محك العيش بكرامة أو الموت بعزة

المناضل «ناصر بن دغيثر» قائد النجديين في معركة ميسلون

■ الشيخ "ناصر بن علي بن دغيثر" -رحمه الله-، واحد من رجالات مرحلة البناء والتأسيس وبطل من أبطال الجزيرة العربية، التحق بالجيش النظامي العثماني، ثم بجيش "الشريف حسين" إبان الحرب التي قامت بين العثمانيين والشريف، ويذكر التاريخ أنه ترك الخدمة العسكرية عند العثمانيين وعمل بتجارة الجمال والسلاح بعد بطولات مشهودة على أرض المعارك التي دارت رحاها بين العرب والفرنسيين في العشرينات من القرن الماضي، حيث معركة "ميسلون" الشهيرة التي قادها وزير الحربية العربي البطل يوسف العظمة ضد القوات الفرنسية المحتله بقيادة الجنرال "هنري قورو"، وما يزال النصب التذكاري هناك في ميسلون يوثق أسماء شهداء المعركة الشهيرة التي خرج منها "ابن دغيثر" منتصراً هو ومن معه من النجديين، بالرغم من سلاحهم الخفيف مقارنة بالطائرات الحربية الفرنسية والسلاح الثقيل، فقد أدار المعركة بحكمة وحنكة وتصرف قيادي، وخطط أبهرت العدو.

وفي العهد السعودي حظي "ابن دغيثر" بثقة المؤسس الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فنصّبه قابضاً لزكاة الحناكية، ثم انتقل إلى السويرقية، ومن ثم أمراً لمالية الجوف، إضافة إلى مهام أخرى كلفه بها المؤسس.

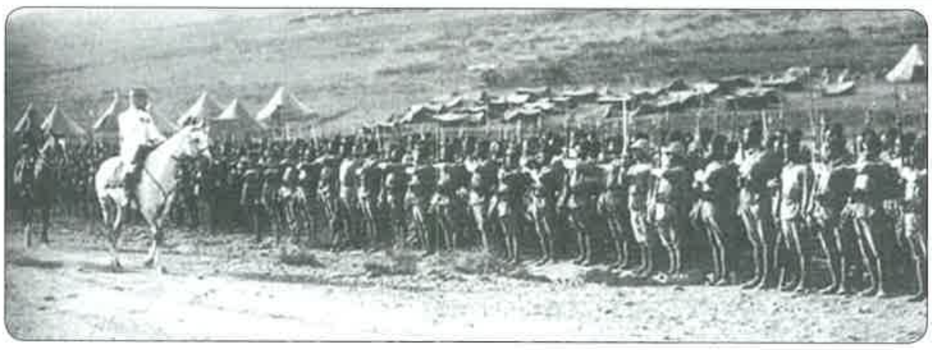
وولد القائد "ناصر بن علي ابن دغيثر"، عام ١٣٠٩هـ -بحسب روايات معاصريه-، وعاش عمراً مديداً، حيث شهد معظم مراحل تأسيس ووحدة المملكة، وتوفي في المستشفى العسكري بالرياض عام ١٤٠٧هـ، عن عمر يناهز ٩٨ عاماً، وكان والده قد توفي وهو صغير السن.. وارتحل إلى الحجاز لأداء مناسك الحج وهو ابن ١٤ ربيعاً، وكان حينها يرعى الإبل ويساعد الحجاج مقابل مبلغ زهيد (١٠) ريالات، وبعد نحو عام من أدائه لمناسك الحج بدأ التنقل في أرض الحجاز، حيث سافر إلى المدينة المنورة ، وعمل هناك صبيا لمدة سنتين عند "ابن جوعان" وهو من رجال الكويت المقيمين في المدينة، ومن ثم عمل في محل بيع القماش لدى أحد أهالي القصيم في المدينة المنورة مدة عام وحصل فيها على أجر (٢٠) ريالا، ثم تنقل في أعمال عديدة قبل التحاقه بالجيش العثماني الذي يواجه آنذاك تهديدات الحلفاء قبل قيام الحرب العالمية الأولى.

في هذه السطور نستعرض مسيرة هذه الشخصية القيادية وأبرز المواقف والبطولات التي سجلها التاريخ له ودوره في العهدين العثماني والسعودي، وتنقله مع العقيلات في رحلات تجارية عديدة.

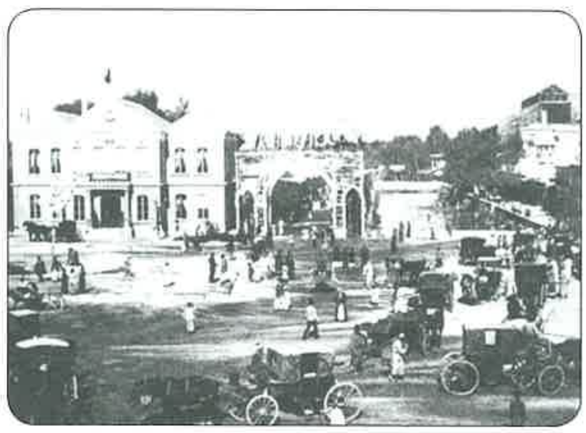
تعليق صورته في «ساحة المرجة» وسط دمشق تقديراً لبطولاته في الحرب ضد الفرنسيين



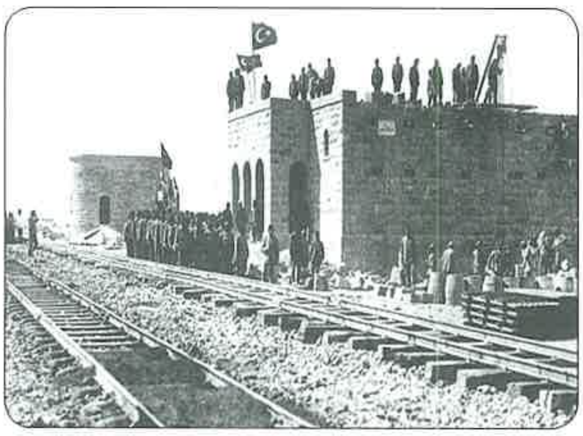
ناصر بن علي بن دغيثر



الجيش العربي في معركة ميسلون بقيادة القائد يوسف العظمة ومشاركة قوة عسكرية من نجد يتقدمهم ناصر بن دغيثر ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠



ساحة المرجة وسط دمشق ١٩٢٠ شهدت القتال مع الفرنسيين



سكة حديد الحجاز حين قطع ابن دغيثر الإمدادات عن الأتراك

جيش الشريف حسين

إبان ظهور القطار في العهد العثماني عام ١٣٢٧هـ الذي كان ينطلق من تركيا مروراً بالمدن السورية إلى عمّان، ثم معان حتى المدينة المنورة محطته الأخيرة، وخلال هذه الفترة التحق "ابن دغيثر" بالجيش النظامي الذي يتولى شؤونه في ذلك الوقت "عبدالله بن فيصل" وهو من رجال الشريف حسين، وعمل محافظا (حارسا) على الخط الحديدي ومعه (٣٠٠) هجّان موزعين عليه، وكان عليهم "عبدالله بن دخيل" شيخاً، ثم حج ومن معه مع المحمل الشامي والمحمل المصري للمحافظة على الحجاج والخط الحديدي وغيره من ممتلكات الدولة.

وبعد أن ترك "ابن دغيثر" الخدمة عند العثمانيين اشتغل لنفسه بالتجارة وكان يبيع الجمال والسلاح، حيث كان يجلب السلاح اليوناني والإيطالي بالسفن عن طريق البحر، ومن ثم يسير بها عن طريق البر حتى يصل ميناء رابغ، فيسلمها عميلا آخر، وفي سنة ١٣٣١هـ، حيث بوادر الانشقاق بين الشريف حسين -رحمه الله- والدولة العثمانية، وحينها أمره الشريف بتجنيد أفراد الهجانة من مكة والطائف وجندهم بقيادته وتحت إشرافه، وتوالت أحداث الحرب بين العثمانيين والشريف رغم تحفظ كثير من القبائل على هذا الانشقاق الحاصل في دولة الإسلام، إلاّ أن العرب انساقوا خلف دعوة الوحدة العربية ودخلوا في مواجهة مباشرة مع الدولة العثمانية، وعطل حينها "ابن دغيثر" سكة الحديد.

ويروي "عبدالله العقيل" في ترجمته لـ"ابن دغيثر"، قائلاً عن نفسه: "أخذت المفاتيح الخاصة بالتفكيك وذهبت ليلا وقمت بتفكيك جميع البراغي الرابطة بين الوصلات الحديدية ووضعتها في أوعية وبالتالي انقطعت خطوط تموين الأتراك"، ذاكرا أن "ابن دغيثر" ذهب مع مائة من الهجّانة وقطع الطريق المؤدية إلى المدينة المنورة حتى يعوّق تقدم الجيش العثماني وتموينه، ولكن الدولة العثمانية هاجمت جيوش "الشريف" وجنوده فقتلت منهم (٩٠٠) رجل منهم (٨٠٠) من البدو، بعد ذلك قدم البريطاني الشهير "لورنس" إلى "ابن دغيثر" ومعه الشيخ "عودة أبو تايه" و"الشريف ناصر"، وبمعيتهم أمر من "الشريف فيصل" لـ"ابن دغيثر" بأن يلتحق بهم، ورافقه (٤٢) رجلاً من "العقيلات" واتجهوا جميعا نحو معان، ثم نزلوا مركز (القويرة) وسيطروا عليها، واتجهوا نحو العقبة وبقوا فيها يومين، ثم قدم إليهم "الشريف" عن طريق البحر ووصل جنوده عن طريق البر، ثم اتجهوا صوب سوريا، وأما "ابن دغيثر" ومن معه فاتجهوا إلى (زيزيا)، صوب قرية (سحاب) شرقي عمّان؛ ليتقصى أنباء الحرب.

قائد النجديين في ميسلون

. كان لـ"ابن دغيثر" دور بطولي في المعارك العربية زمن الحرب العالمية الثانية، تلك المعارك التي دارت رحاها في سورية بين العرب والفرنسيين في العشرينات من القرن الماضي، فقد أبلى بلاء حسنا في معركة (ميسلون) تلك المعركة التي كتب عنها الكثير من المؤرخين وشاركت فيها قوة عسكرية من نجد بقيادة "ابن دغيثر". ففي عام ١٣٣٤هـ كان "ابن دغيثر" في ديرة (أبو شامة) من قبيلة "بلي" ومعه الشيخ "عودة أبو تاية"، والتقى هناك بـ"لورنس"، وهو وكيل انجلترا عند "الشريف فيصل" الذي ذكر في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) أن "ابن دغيثر" كان قائد العقيلات في معركة ميسلون، و"ناصر الشريف" قائد الجيش ونائباً عن "الشريف"، والشيخ "عودة أبو تايه" قائد قبيلة الحويطات.

وعند وصول "ابن دغيثر" ومن معه من الجيش إلى سورية واستيلائه على مدينة حمص ثم حماة فحلب، أمره "فيصل الشريف" بأن يتوجه إلى دير الزور ومعه ما يزيد على (٧٠) هجّانا على سبعين ذلولاً وأربعة خيول، واستلموها دون قتال من الدولة العثمانية، وبقوا فيها قرابة شهرين، ثم رجعوا إلى دمشق وبقوا فيها شهرا بعدها سمح الشريف للعقيلات بأن يذهب كل منهم إلى أهله.

وبعد نهاية الحرب العالمية، وتنصيب الملك "فيصل ابن الحسين" ملكا على سوريا كلفه بعدها الشريف عام ١٣٣٩هـ بأن يجنّد جيشا من الهجّانة للمشاركة في معركة ميسلون، وفعلا اختار (٥٠٠) هجّان من أهل نجد، وكانت أسلحتهم محدودة وذخيرتهم قليلة واستعدادهم ضعيفاً، إلا أن عزيمتهم كانت قوية وثقتهم بالله كبيرة.

وجعل "ابن دغيثر" على كل مائة هجان ثلاثة ضباط، وكان هو القائد لذلك الجيش، ثم دارت رحى المعارك بينهم وبين الجيش النظامي الفرنسي، وما إن دقت طبول الحرب حتى بدأ جنود "ابن دغيثر" في الفتك بالفرنسيين، وكادت المعركة تنتهي بهزيمتهم وانتصار أهل نجد، ولكن بعد أقل من ساعة من بدايتها انتهى العتاد الذي كان معهم، ففكر "ابن دغيثر" في حيلة للخلاص من الحرب مع المحافظة على أرواح الجنود ومعنوياتهم، فأمر جنوده بإطلاق الجمال فلما رأى الفرنسيون انهزام الهجن ظنوا أن الجنود فروا من الحرب فلحقوها، وهذا ما كان يخطط له "ابن دغيثر".؛ فتبعهم جنود "العقيلات" وقهروهم ورموهم بالسلاح، ولكن تنقلب المعركة بتحليق الطائرات الفرنسية في سمائها تضرب أهل نجد بالقنابل وهم عُزّل إلا من سلاح خفيف ورصاص قليل يقاومون به، وفي أثناء ذلك خشي "ابن دغيثر" على أفراد الجيش من الإبادة أو الأسر؛ فأمرهم بالخروج من الوادي حتى لا يبيدهم الفرنسيون أو يقبضوا عليهم مع استمرار المقاومة حفاظا على معنوياتهم وما أحرزوه من انتصار، وبعد خروجهم من الوادي لم "ابن دغيثر" شملهم وتهدئتهم وتفقّدهم ووجد القتلى منهم (١٣) رجلا فقط، وبعد انتهاء الحرب علّقت صورة "ابن دغيثر" في ساحة المرجة بدمشق وهو يمتطي جواده ويشهر سيفه وتحتها (بطل ميسلون)، كما فصّل في ذلك الباحث "عبدالله بن صالح العقيل" في كتابه (بطل معركة ميسلون).

قابض للزكاة

. بعد أن انتهى "ناصر بن دغيثر" من قيادة معركة ميسلون عام ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م عاد إلى القصيم، وجلس فيها فترة ثم سافر إلى المدينة المنورة وأخذ يعمل (جمّالا) يمارس التجارة كغيره من رجال العقيلات، حيث كان يشتري هو ومن معه الإبل والماشية من المدينة المنورة وما حولها من القرى والبوادي ويجلبونها إلى الشام ومصر والأردن ويبيعونها، ثم يشترون بثمنها بضاعة ويعودون لبيعها في أرض الجزيرة، واستمر على ذلك فترة من الزمن.

مارس التجارة مع «العقيلات» وعيّنه الملك عبدالعزيز قابضاً للزكاة في أكثر من منطقة

وبعد عودة "ابن دغيثر" إلى المدينة عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، من تجارته مع العقيلات، بلغه وزير المالية أمر الملك عبدالعزيز بتعيينه قابضاً لزكاة الحناكية التابعة لإمارة المدينة المنورة، ومكث في الحناكية فترة، ثم انتقل بأمر الملك عبدالعزيز إلى (السويرقية) وهي تابعة كذلك لمنطقة المدينة المنورة عاملاً على زكاتها، وفي نهاية عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م انتقل إلى الجوف ليعمل آمراً لماليتها، وبعد فترة توجه بأمر الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة ومكث فيها فترة، وكلفه المؤسس بتحصيل الرسوم من الحجّاج بمقدار (٤) جنيهات من كل حاج، وكان مع "ابن دغيثر" جهاز البرقية يرسل بواسطته البرقيات ويستقبل أخرى من الملك عبدالعزيز، ثم انتقل بعدها إلى المدينة المنورة موفداً من الملك عبدالعزيز ليجمع زكاة الأهالي هناك.

نص الوثيقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى قابض زكاة الحناكية بعده خرج علي عبيد بن صنت مائة وخمسين صاع حب ومائة وخمسين صاع شعير تكون قاعدة يكون معلوم.

* وخطاب آخر من أمين المدينة بإبلاغ أمر جلالة الملك نصه:

حضرة عامل الزكاة الشيخ ناصر الدغيثر المحترم

نبلغكم بعاليه صورة الإدارة السنية الواردة إلينا من جلالة مولاي الملك المعظم في خصوص قاعدة عبيد بن صنت من زكاة الحناكية للعمل بموجبها هذا ودمتم. أمين مالية المدينة

نص الوثيقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من وكيل وزارة المالية حمد السليمان إلى أمين مالية الجوف ناصر بن دغيثر بحسب الإرادة السنية الملوكية يقتضي أن تأخذوا رسم الصادرات على السمن والجمال والأغنام التي تصدر لخارج المملكة خمسة ريال عربي على كل مائة كيلو من السمن، وأربعة ريال عربي على كل رأس من الجمال ونصف ريال عربي على كل رأس من الغنم رسما مقطوع وتعطوهم أوراق بما ترسموا بها، مع العلم أن الكيلو (٣١٢) درهم والأقة الأشبولي (٤٠٠) درهم.

٢٥ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ.

وكيل وزارة المالية

حمد السليمان

حسو "ابن دغيثر"

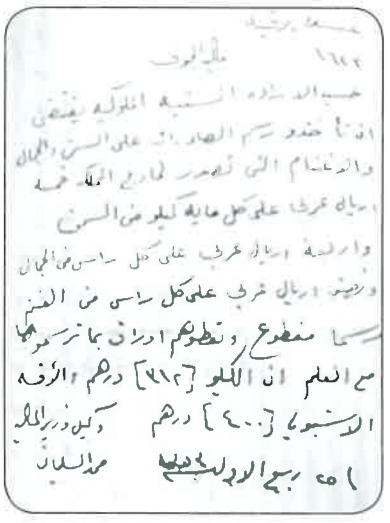
- بعد تلك الجولة الطويلة التي قام بها "ناصر بن دغيثر" موفداً من الملك عبدالعزيز وانتهاء فترة عمله في مكة المكرمة والمدينة المنورة، عاد إلى القصيم عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م واستقر فيها، وأخذ يعمل برعي الماشية داخل البلدة وفي البر، يبيع ويشتري منها، وفي عام ١٣٦٠هـ حفر بجوار منزلة كثر فيها الماء العذب وعرفت فيما بعد باسمه (حسو ابن دغيثر) وقد تركها سبيل لمن يحتاج للسقي.

وفاته

. تقدم العمر بـ"ابن دغيثر" فترك تجارة الماشية وتفرغ لحياته الخاصة وكان له مجلس مع وجهاء بلدته يتسامرون فيه ويتناقلون الأخبار، وحين قارب المائة من عمره تضاعفت أوجاعه وآلامه التي كان يعاني من بعضها منذ فترة شبابه، واضطر أبناؤه حينذاك إلى نقله لمستشفى القوات المسلحة بالرياض، إلى الخامس عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٧هـ الموافق السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٨٦م، أعلن الأطباء وفاة المناضل "ناصر بن علي بن محمد الدغيثر" -رحمه الله رحمة واسعة- عن عمر يناهز الثامنة والتسعين عاماً.



اسم وصورة ابن دغيثر معلقة في ساحة المرجة حيث شرف النضال والبطولة



صورة ضوئية لوثيقة وكيل وزارة المالية حمد السليمان موجهة إلى ابن دغيثر

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عراقي الإقامة وسعودي المنشأ بعد انتقال أسرته من «سدير» إلى الزبير.. وعاش عمره تاجراً وسياسياً

الباشا «عبداللطيف المنديل».. الصديق الحميم للملك عبدالعزيز

■ "عبداللطيف باشا المنديل" أحد أهم الوجهاء البارزين في عهد بناء الدولة والوحدة الوطنية أواسط القرن المنصرم، كما أنّه أحد الشخصيات المهمة في مدينة "الزبير" جنوب العراق، حيث ولد هناك بعد أن انتقل والده من إقليم سدير إلى بلدة الزبير، وعمل حين سفره بالاستثمار والعمل التجاري، حصل حينها على لقب "الباشوية" إثر نجاحه في ترتيب المحادثات بين الملك عبدالعزيز والأتراك بعد انضمام الأحساء إلى الحكم السعودي عام ١٩١٣م، إلى أن أصبح وكيلاً للملك عبدالعزيز حين كان "سلطان نجد"، وحققت عائلته ثروة كبيرة في البصرة، وأصبح أبناء المنديل من أعيانها، كما أصبح عبداللطيف أحد وجهائها والمشار إليهم بالبنان.

تقلد العديد من المناصب القيادية والوزارية في العراق، حيث عين وزيراً للتجارة في أول وزارة عراقية، ثم وزيراً للأوقاف وانتخب لعضوية المجلس التأسيسي في سنة ١٩٢٤م عن البصرة، ثم أصبح عضواً في مجلس الأعيان، وكانت له أعمال وجهود في التنمية الزراعية والعمرانية في البصرة.

واتصفت علاقته بالملك عبدالعزيز بالمتانة، حيث حرص كل منهما على خدمة البلاد وتحقيق انجاز وحلم الوحدة الوطنية في كافة مدن ومناطق المملكة العربية السعودية، وهناك العديد من المصادر الموثقة التي تشير وبإسهاب إلى طبيعة تلك العلاقة، مبرزةً النماذج التي من شأنها ترجمة عمق ومتانة الصداقة التي بنيت على الإخلاص والوفاء بين الرجلين، ولم يخف "عبداللطيف باشا المنديل" ولاءه وحبه لبلاده وأرض أبائه وأجداده، حيث كانت حينها البلاد العربية تعيش هماً وشعوراً مشتركاً في وحدة الأمة والمصير، فما يصيب القطر العربي القريب والبعيد يصيب كافة الأقطار العربية الأخرى، ولذا كانت الوفود المتبادلة بين زعماء العرب في تواصل مستمر، محققة بذلك رغبة الشعوب العربية في الشرق والغرب.

وعلى الرغم من هذا الشعور المتبادل بين الشعوب العربية، إلا أنّ مساعي وجهود الشيخ "عبداللطيف المنديل" اصطدمت -في بعض مراحلها- بالمساعي الدؤوبة لبعض الوشاة والمغرضين الذين ساءتهم جهوده في بناء العلاقات الطيبة والتبادل المشترك بين الأقطار العربية، لا سيما وأنهم وجدوا الدعم من المستعمر الأجنبي في البلاد العربية؛ مما اضطره لعدم الاستمرار في آخر منصب وزاري تقلده في العراق، رغم المعارضة الشعبية التي تجدها مثل هذه القرارات آنذاك.

وكيله في «البصرة» ونجح في ترتيب محادثاته مع الأتراك بعد ضم الأحساء.. وتنظيم العمل في «العقير»



قربه الملك عبدالعزيز واختاره وكيلاً له في البصرة



الباشا عبداللطيف المنديل

صديق السلطان

ومن مظاهر صحبته للملك عبدالعزيز إطلاق اسم "السعودية" على أحد الأحياء التي تقع على ضفاف (شط العرب) في (البصرة)، وقال عنه "أمين الريحاني" في كتابه (ملوك العرب): "هو حر الكلمة، سديد الرأي، مخلص الودّ لآل سعود، وخصوصاً للسلطان عبدالعزيز، ومخلص العمل لوطنه الثاني العراق"، ووصفه في صفحة أخرى بـ: "صديق السلطان الحميم ووكيله في العراق، ولا يزال للبداوة أثر في حديثه وفي سلوكه الحر"، وكان لـ"ابن منديل" مكانة خاصة وكبيرة عند الملك عبدالعزيز، فكان دائماً يخشى عليه من الأتراك، ومن ثم البريطانيين بعد احتلالهم لـ(البصرة)، وقد أوصى الملك عبدالعزيز برسالة بعثها إلى البريطانيين بـ"عبداللطيف المنديل" والرعايا السعوديين في البصرة، إضافة إلى مشاركة المنديل في مؤتمر العقير بين الملك عبدالعزيز ووفد بريطاني برئاسة "برسي كوكس"، ووفد عراقي برئاسة "صبيح نشأت".

لقب الباشوية

تعود أسرة "آل منديل" إلى جذور نجدية، حيث بلدة (جلاجل) في إقليم (سدير) شمال منطقة (الرياض)، وولد "عبداللطيف بن إبراهيم بن منديل" في (الزبير)، واختلف في تاريخ ولادته، وقد نزح والده من (سدير) إلى (الزبير) قرابة عام ١٨٣٧م، حيث مارس التجارة بين (البصرة) و(بغداد) و(الهند)، واكتسب واحد من أبنائه الستة -يوسف- لقب الباشوية إبان العهد العثماني في العراق، ثم حاز ابنه الثاني -عبداللطيف- اللقب في أعقاب نجاحه في ترتيب المحادثات بين ابن سعود والأتراك، بعد انضمام منطقة (الأحساء) إلى الحكم السعودي ١٩١٣م، وقد درس "عبداللطيف المنديل" على أساتذة خصوصيين، ثم عمل في تجارة والده وزراعته، وأصبح وكيلاً للملك عبدالعزيز -سلطان نجد عندئذ-، بعد وفاة شقيقه عبدالوهاب الذي كان يقوم بها منذ عهد الإمام عبدالرحمن الفيصل، وكانت علاقة المنديل تلك امتداداً لعلاقات عائلية قديمة منذ كان جده الأكبر "سويّد"، الذي كان أميراً لجلاجل أيام حكم الإمام "فيصل بن تركي" -جدّ الملك عبدالعزيز-.

وجعل "عبداللطيف المنديل" لأسرته مكانة اجتماعية مرموقة في جنوب العراق، وبنى للنازحين من عشيرته دار ضيافة، وحققت عائلته ثروة كبيرة في (البصرة)، وأصبح أبناء المنديل من أعيانها، وعبداللطيف أحد كبار وجهائها وملاكها، ودأب المنديل على تشجيع المشروعات الثقافية والخيرية ودعمها بالمال، فمنحته الدولة العثمانية رتبة الباشوية في عام ١٩١٣م، وكان له دور كبير في العراق وفي ولاية (البصرة) بصورة خاصة؛ إذ صار إبّان الحكم العثماني عضواً في مجلس ولاية البصرة وملحقاتها، ثم عضواً في مجلس الإشراف خلال فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٩م.

ابن منديل وزيراً

ومن الأعمال التي تحسب لـ"عبداللطيف باشا المنديل" في العراق، ومنها ما ذكره الباحث "عبدالرحمن الشبيلي": "تزويده البصرة بالكهرباء ومياه الشرب النقيّة في أول مشروع لإسالة المياه في العراق، إضافة إلى إصلاح وسائل الزراعة، وتنشيط التجارة فيها، وإعمار المدينة"، مبيّناً أنّ "عبداللطيف باشا المنديل" عُيّن وزيراً للتجارة في أول وزارة عراقية برئاسة السيد "عبدالرحمن النقيب" في سنة ١٩٢٠م، لكنّه استقال من أجل العناية بأموره الخاصة في مارس-آذار ١٩٢٢م، ثم عيّن وزيراً للأوقاف في وزارة "عبدالمحسن السعدون" الثانية نوفمبر-تشرين الثاني ١٩٢٢م، وانتخب لعضوية المجلس التأسيسي في سنة ١٩٢٤م عن (البصرة)، ثم أصبح عضواً في مجلس الأعيان سنة ١٩٢٩م، واستقال في سنة ١٩٣٤م ليتفرغ لشؤونه الخاصة، مشيراً إلى ما ذكره "يعقوب الإبراهيمي" أنّ "المنديل" اضطر بسبب مواقفه إلى عدم الاستمرار في آخر منصب وزاري تقلده.

ولاء وثقل سياسي

كان "عبداللطيف المنديل" أحد أبرز وكلاء الملك عبدالعزيز المعتمدين في ولاية (البصرة)، بل وأهم ممثليه مع الأتراك والإنجليز إبّان فترة توحيد المملكة (١٩٠٢-١٩٣٢م)، وذلك لما له من دور وثقل سياسي في ولاية (البصرة)، فقد كانت له اتصالات مباشرة مع الأتراك، ثم الإنجليز؛ لخدمة بلاده والقضايا العربية، ومن بينها تلك المواقف التي أثبت فيها ولاءه لبلاده في (نجد)، وكذلك في (العراق)، مع اهتمامه بقضايا أمته العربية، وبهذا فقد خشي الملك عبدالعزيز أن يناله الضرر جراء عمله وكيلا له لدى الأتراك، فكتب إليه الملك أثناء دخوله الأحساء ١٩١٣م، قائلاً: "إذا سألك الترك، فقل لهم إنّي عثماني"، ولكن "المنديل" لم يخش الأتراك كونه نجدياً ووكيلا للملك عبدالعزيز فجهر لهم بها، وعرفهم برسالة الملك عبدالعزيز، كما حضر المنديل مؤتمر "الصبيحة" جنوب الكويت، الذي أسفر عن تحييد الأتراك واعترافهم بسيادة عبدالعزيز في الأحساء، ولما بدأ عبدالعزيز بوضع أسس الدولة الحديثة وقواعدها استقر المنديل في ميناء "العقير"؛ لتطويره، وتنظيم شؤون الجمارك.

ومن مظاهر صحبته لآل سعود أطلق في سنة ١٩٣٤م اسم "السعودية" على أحد الأحياء التي تقع على ضفاف (شط العرب) في (البصرة)، كما ذكر ذلك "د. عبدالرحمن الشبيلي".



جاهر الوجيه عبداللطيف بولائه للملك عبدالعزيز في العراق

أطلق اسم «السعودية» على أحد الأحياء التي تقع على ضفاف شط العرب في البصرة

المنديل صديق الملك الحميم

وروى "أمين الريحاني" في كتابه (ملوك العرب) بإعجاب كيف قابل السلطان عبدالعزيز آل سعود في (الأحساء) سنة ١٩٢٢م، ومما ذكره: "خرجنا نبادر إلى استقبال الزائر الكبير، فإذا هو قد خف إلينا، وفي معيته اثنان فقط من حاشيته، وكان يلبس ثوباً أبيض، وعباءة بنية، وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حمراء، وأبهة الملك وفخفخة السلطنة تجدها في نجد وسلطانها، وأنّ أول ما يملكه منه ابتسامة هي مغناطيس القلوب، لست أدري كيف حييته وأنا في دهشة وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة، ولكني أذكر أنّه حياني باسماً بـ: السلام عليكم، وظل قابضاً على يدي حتى دخلنا الخيمة، فجلس والكور إلى يمينه يستند إليه، والنار قبالته تنير وجهه، ثم عرفني بمن كان في معيته، وهما الدكتور عبدالله الموصلي -الدملوجي-، وعبداللطيف باشا المنديل، فجلسنا كلنا في صف أمامه".

وأضاف: "عبداللطيف باشا المنديل، صديق السلطان الحميم ووكيله في العراق، هو نجدي الأصل، عراقي الإقامة ولا يزال للبداوة أثر في حديثه وفي سلوكه الحر"، وثم وصف الريحاني المجلس الوطني في العراق قائلاً: "الذي كان من أعضائه الأخصائي المالي الشهير في العراق ساسون أفندي حزقيل، والسياسي الداهية سيد طالب النقيب، نقيب البصرة، والعالم الفقيه مصطفى أفندي الألوسي، والوجيه الفاضل عبداللطيف باشا المنديل، كلهم من أصحاب التجلة والكرامة"، متحدثاً عن المعاهدة بين بريطانيا والعراق: "بعد شهر من يوم التوقيع سقطت وزارة النقيب، كنت يومئذ في العقير"، وفي موضع آخر: "عندما احتد الخلاف بين السلطان عبدالعزيز والترك قدم من البصرة عبداللطيف باشا المنديل منتدباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينهما، وبين فاتح الأحساء، فقبل عبدالعزيز الوساطة، وأجل النظر في هذه القضية إلى الربيع".

وأشار الريحاني في حديثه إلى بدايات مسيرة "عبداللطيف باشا المنديل"، ومن ضمن ما ذكره: "المنديل أسس محلاً تجارياً في البصرة، وآخر بعدئذ في بومباي، وآخر في بغداد، وقد سلك عبداللطيف باشا مسلك والده في التجارة والزراعة، فزاد ثروته وأملاكه، وهو حر الكلمة، سديد الرأي، يخلص الود لآل سعود -خصوصاً للسلطان عبدالعزيز-، ويخلص العمل لوطنه الثاني العراق، فقد انتخب منذ زمن الحرب عضواً في مجلس الأشراف في البصرة، ثم أسندت إليه وزارة التجارة في الحكومة العراقية المؤقتة، وبعد التتويج تشكلت الوزارة برئاسة النقيب أيضاً وأسندت إليه وزارة التجارة مرة ثانية، ثم جاء إلى الحسا يزور السلطان عبدالعزيز الذي شاء أن يفاوضه في بعض الشؤون، وعندما كنا في العقيرة جاءه من عبدالمحسن بك السعدون برقية يسأله فيها أن يرأس وزارة الأوقاف، فقبل عبداللطيف باشا واستمر في هذا المنصب سنة، ثم انتخب في ٢٥ فبراير ١٩٢٤م عضواً عن البصرة للمجلس التأسيسي".

توصية البريطانيين

وأورد "نجدة فتحي صفوت" رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الكرنل السير "ب. ز. كوكس" -المقيم السياسي في الخليج العربي- المؤرخة في ١٧ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ٥ ديسمبر ١٩١٤م، والتي توضح مدى متانة العلاقة بين الملك عبدالعزيز والمنديل، إذ يوصي الملك عبدالعزيز البريطانيين على الرعايا السعوديين وفي مقدمتهم عبداللطيف المنديل، ومن ضمن ما جاء في رسالة الملك: "لقد وصلنا الآن إلى مكان يسمى (المستوي) وسمعنا بوصولكم إلى البصرة وباحتلال القوات البريطانية لذلك المكان، والمعاملة الحسنة والعادلة والرعاية التي أبديتموها للناس، وهذا مما يزيد في امتناني، إذ أنّ لي في البصرة أشخاصاً أثق بهم، وهم جديرون بالاحترام، مثل عبداللطيف المنديل وأسرته، ورأيت من المناسب أن يكون هذا معلوماً لديكم، سأكون شاكراً إذا تفضلتم بتذكير هؤلاء وجميع أتباعي الذين ينتمون إلى نجد ويقيمون الآن في مناطق البصرة والزبير".

ونقرأ أيضاً مظاهر هذه العلاقة الوثيقة بين الملك عبدالعزيز و"عبداللطيف باشا المنديل" من خلال ما ذكره "خير الدين الزركلي" في كتابه (شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز) عند حديثه عن "مؤتمر العقير"، قائلاً: "كان انعقاد هذا المؤتمر في العقير في ربيع الأخر ١٣٤١هـ أواخر ١١-١٢-١٩٢٢م، بين عبدالعزيز ومعه من المستشارين عبداللطيف باشا المنديل وكيله في البصرة، ود.عبدالله بن سعيد الدملوجي، وآخرون، وحضر بعض اجتماعاته الأستاذ أمين الريحاني، وقام أحياناً بعمل الترجمان، ومن الجانب الثاني وفد بريطاني برئاسة برسي كوكس، ووفد عراقي برئاسة صبيح نشأت".



قصر عبداللطيف باشا في الزبير

مديح معروف الرصافي

وقد امتدح الشاعر "معروف الرصافي" الوجيه "عبداللطيف المنديل" بعدد من القصائد، ومن ضمنها قصيدته المعروفة والمعنونة بـ"عبداللطيف باشا المنديل" التي قال في أبياتها:

عبداللطيف بفضله جعل الورى
أسرى مكارم أسرة المنديل
ورث المكارم عن أبيه وجدّه
فبنى أثيل المجد فوق أثيل
في الوجه منه ملامح عربية
يدعو توسّمها إلى التبجيل
في البصرة الفيحاء مد لبيته
طنبين من بأس ومن تنويل
فطريده فيها أذل مطرد
ونزيله فيها أعز نزيل
حر الضمير مؤيد بفطانه
يسري برأي في الأمور أصيل
إن قال حقاً قاله بصراحة
لم يخش لومة لائم وعذول

كما تضمن ديوان "الرصافي" تعليقات لـ"مصطفى علي"، بخصوص زيارة الشاعر "معروف الرصافي" لـ"المنديل" في (البصرة)، قائلاً: "بعد أن استقال شاعرنا من التدريس في دار المعلمين العالية سنة ١٩٢٨م، ركب القطار من بغداد مظهراً أنّه يريد الذهاب إلى الحلّة، وهو يريد البصرة ليسافر منها إلى الهند على أن يترك العراق ولا يعود إليه، فلما جاء البصرة نزل على صديقه عبداللطيف المنديل، وطلب إليه أن يهيئ له أسباب السفر إلى الهند، فأجابه إلى ذلك، إلاّ أنّ عبدالمحسن السعدون أبرق إلى عبداللطيف المنديل، وإلى متصرف البصرة بمنعه من السفر، فصار عبداللطيف يعرقل أمر السفر بعدما كان يهيئه ويسهله، ولما نزل الشاعر على "عبداللطيف المنديل" أنشده هذه القصيدة:

أبا ماجد إني عهدتك مبصراً
خفايا أمور أعجزت كل مبصر
إذا خفيت يوماً عليك حقيقة
نظرت إليها من ذكاء بمجهر
وإن ليلة الخطب أليهمت كشفتها
بأوضاح صبح من فعالك مسفر



اطلق عبداللطيف باشا اسم السعودية على أحد شوارع شط العرب في البصرة

وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
بأن بني المنديل أكرم معشر
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
لكل صديق أنها حال مقتر
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
أتى بي إلا أنني في تحير

إلى أن قال:

وإن حديثي عنك غير مرجم
وإن مقالي فيك غير مزور
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غداً
بعزمة لا وان ولا متقهقر
وسوف ترى مني مدى الدهر شاكراً
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب
ليجعله أحدوثة كل مخبر

وفاته

بعد حياة حافلة بالتنقل وتقلد المناصب والمهام السياسية والدبلوماسية، وبعد رحلة طويلة مع الوجاهة الاجتماعية والرحلات التجارية، تضاعفت الأوجاع والأسقام على الوجيه "عبداللطيف المنديل"، وساءت أحواله الصحية في منتصف الثلاثينيات الميلادية، وأصيب بالشلل الذي أقعده عن الحركة وممارسة كثير من أعماله ومهامه اليومية، واستمر على هذا الحال يتلقى العلاج وسط رعاية صحية تحوطه من أبنائه وذويه، إلى أن توفي عام ١٩٤٠م، ودفن بمقبرة "الحسن البصري" في مسقط رأسه ببلدة (الزبير)، رحمه الله رحمة واسعة.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

علينا أن ندرك حجم تضحيات الآباء والأجداد حين ساروا خلف قائدهم «عبدالعزيز» لننعم اليوم بالأمن والاستقرار

«عبدالله النفيسه» الشهير بـ«عمعوم».. بيرق وسيف ووطن

■ "عبدالله بن علي بن حسن النفيسة" المشهور بـ "عمعوم" أحد أبناء آل نفيسة الذين كان لهم دور بارز في مرحلة البناء والتأسيس، لا سيما وأن عددا من أبناء أسرته كانوا من أولئك الذين شاركوا في توسيع رقعة الدولة في عهودها الثلاثة، من خلال مشاركاتهم بمراحل بناء وحدة الدولة، وإن يكن للتاريخ والمؤرخين حديث عن هذه المرحلة - خاصة حين ضم الملك عبدالعزيز العديد من المدن النجدية وإقليم الأحساء لحاضنة الدولة الفتية آنذاك - فإن اسم الشيخ "عبدالله بن علي بن حسن النفيسة" المشهور بـ "عمعوم" سيظل حاضرا في كثير من أطوار ومراحل وملاحم البناء لإعلان اسم المملكة كوحدة متكاملة التي تجاوزت سنوات إعلان وحدتها الثلاثين، إذ بدأت منذ أن دخل الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن مدينة الرياض (عام ١٣١٩هـ) إلى عام (١٣٥١هـ)، حيث الإعلان الرسمي لتوحيد كافة مدن وأقاليم المملكة.

وبرز العديد من أبناء أسرة "آل نفيسة" في مواقف مشهودة ومشهورة لا تزال ذاكرة التاريخ الحديث تستعيدها للأسرة وهي إلى الآن موضع فخر واعتزاز للأبناء والأحفاد الذين يتذكرون جيدا مآثر أجدادهم، لا سيما الشيخ "عبدالله النفيسة".

وقد عبّر المؤرخون السعوديون عن قدم هذه العلاقة وأكدوا متانة هذه الروابط، حيث يشير الباحثون إلى أن "آل نفيسة أسرة كبيرة منتشرة في أنحاء المملكة والبلدان المجاورة لها، بيتهم بيت علم وأدب، ظهر منهم كثير من رجالات الوطن، وقد عرفت هذه الأسرة منذ القدم بوطنيتها، وسجلت صفحات مضيئة بالوطنية والعمل لأجل الوطن".

وخلال مسيرة الملك عبدالعزيز في توحيد البلاد كان للأسرة مشاركة فاعلة جديرة بالذكر والاهتمام، فلم تخل معركة أو موقعة من المواقع من مشاركة عدد من أفراد هذه الأسرة منذ دخول الملك عبدالعزيز مدينة الرياض.

وقبلها كان لبعض أبناء الأسرة أدوار لا تقل عما قام به الشيخ "عبدالله بن علي بن حسن النفيسة" المشهور بـ "عمعوم" الذي انضم إلى لواء الملك عبدالعزيز عام ١٣١٩ وشارك في كثير من الغزوات قبل توحيد البلاد، واعتمد عليه المؤسس - رحمه الله - في عدد من المهمات الحربية والأعمال العسكرية الصعبة، وأصبح واحداً من كبار رجاله وفرسانه المخلصين له، كما أن أسرة النفيسي والنفيسة من أشهر الأسر في الكويت والسعودية، وقد ذاع صيتها قبل قيام الدولة السعودية الأولى، إلى أن ساهمت في تأسيس الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، وبرز من أبنائها رجال كثر قديما وحديثاً تبوّأوا مناصب رفيعة في الكويت والسعودية.

صرخ «عبدالعزيز» في موقعة الأحساء وينكم يـ«هل العوجا» فذهب إلى الموت متسلقاً «قلعة الكوت» وفتح الباب

النشأة والمسيرة

ولد الشيخ "عبدالله بن علي بن حسن النفيسة" سنة ١٢٩٦هـ ببلدة ضرماء في إقليم الوشم، وترعرع في كنف أسرة اشتهر رجالها بالفروسية والشجاعة، وقبل ذلك عُرفوا بتمسكهم بعُرى الدين الحنيف، وهو أحد الرجال الذين حاربوا مع الملك عبدالعزيز في غزواته ومعاركه، وبدأ حياته مكباً على تعلم العلوم الشرعية، كما عُرف بورعه والتزامه ومراقبته لله سبحانه.

وفي مجال نشاطه وأعماله فقد أتقن أصول الفروسية وفنون القتال، واعتمد عليه الملك عبدالعزيز في كثير من المهام والأعمال الحربية والدبلوماسية، لا سيما حين عزم الملك عبدالعزيز على استعادة إقليم الأحساء وضمه إلى كنف الدولة حين البدايات الأولى لتوحيد البلاد، وهي واحدة من مواقفه البطولية العديد التي لا يزال التاريخ يحفظها للشيخ "عبدالله النفيسة"، خاصة وأنه كان في طليعة المجموعة التي تسلقت سور الكوت في الأحساء ليلة دخول الملك عبدالعزيز للمدينة.

أول فدائي يتسلق قلعة الكوت

أنضم الفارس والمحارب "عبدالله بن علي النفيسة" إلى ركب الملك عبدالعزيز عام ١٣١٩هـ، مقاتلاً لا يشق له غبار، واعتمد عليه الملك عبدالعزيز في الكثير من الأعمال العسكرية، وشارك في الغزوات والمواقع الحربية مع الملك عبدالعزيز، ومن مواقفه البطولية التي يسجلها التاريخ على صفحاته، قصته المشهورة في تسلقه أسوار قلعة الكوت، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ "عبدالله بن خميس"، قائلاً: "آل النفيسة أسرة كبيرة كريمة، وهم أسرة جهاد وفداء -هكذا قال- منهم عبدالله بن نفيسة (عمعوم) الذي تقدم فرقة الفداء؛ وتسور الكوت في الأحساء ليلة فتح الملك عبدالعزيز الأحساء؛ ومنهم رجال علم كالخطيب بن نفيسة، وحسين بن نفيسة، ومنهم حويضر بن نفيسة داعية وطالب علم، وغيرهم من أعيان هذه الأسرة.."، وتعود قصة فدائيته إلى تسلقه أسوار قلعة الكوت في الأحساء واشتباكه مع الجنود الأتراك الذين يحرسون البوابة؛ حتى تمكن من فتح البوابة ليدخلها الملك عبدالعزيز ورجاله الذين كانوا يحاصرون القلعة من الخارج.

وجاء في كنز الأنساب للأديب "حمد بن حقيل":

آل نفيسه يوم ضرب الاكوان
كتب لهم تاريخ نجد مكاني
والجذع يشهد للذي حط برهان
فوق راس حمران الطرابيش باني

مشاركاته في الغزوات

اعتمد عليه الملك عبدالعزيز وهو شاب يافع في بداية شبابه وانطلاقته للحياة، وعمره لا يتجاوز ٢٣ عاما، وأوكل إليه المهات الحربية والأعمال العسكرية، وأصبح من كبار رجال الملك وفرسانه المقربين منه، وشارك الملك عبدالعزيز في غزواته وفتوحاته، حيث شارك -رحمه الله- في موقعة السبلة وموقعة جراب وموقعة البكيرية وموقعة عنيزة وبريدة والأحساء وموقعة الجهراء، ودخول حائل وموقعة عسير وتربة والشنانة وطرفه، وأقاليم أخرى مثل سدير والمحمل والوشم، ومعركة روضة مهنا. وبقي بالقرب من الملك عبدالعزيز، ملازما له يحضر مجالسه واجتماعاته واستقبالاته وكان -رحمه الله- يتمتع بطول فارع وضخامة في الجسم كما عرف برباطة الجأش وكان الملك عبدالعزيز ينتدبه في شؤون ومهام عسكرية هامة.

"أطلب ياعمعوم"

يروي ابنه "عبداللطيف بن عبدالله بن علي النفيسة" قصة حدثت مع والده الشيخ "عبدالله النفيسة" إبان دخول الملك عبدالعزيز الأحساء، قائلاً: "الوالد -رحمه الله- له عدة قصص بطولية ومنها فدائية، وأذكر منها في (الكوت) وهو في اللغة التركية يعني القصر، وكان يقول الوالد أن القصر محصن وقوي وعالٍ والأتراك معهم سلاح حديث يختلف عن اللي معنا، ولما وصلوا القصر قال (الملك) تعال يا سعد بن عبدالرحمن -أخو الملك عبدالعزيز- رح أنت وثلاثة معك والدليله وابحثوا عن (جذوع) نخل.. فيقول الوالد: لقينا الجذوع ونزلناها وكان الجميع خائف لعدم القدرة على تجاوز السور لأن جنود الأتراك لو خرجوا لقتلوهم؛ فكان الملك عبدالعزيز (ينخاهم) ويقول.. وين أهل العوجا.. ويرددها ولا أحد رد لمواجهة الجيوش المحصنين والمدربين؛ فحاول الملك الخروج وقتها جاء (عمعوم) وقال له: ما تطلع يا طويل العمر ولو رحت فقدناك ومستحيل تطلع وقال له أنا ابطلع ولي طلب يا طويل العمر انك (تجوّد) الجذع - قال الملك وأنا لي طلب انك ما ترمي إلا إذا حولت ترى إذا رميت دفعونا وفعلاً رفعوا رجال الملك عبدالعزيز (عمعوم) ونزل وحصلت معركة، وقتل من قتل عند الباب وفتح الباب وبعد انتهاء المعركة - قال الملك عبدالعزيز أطلب ياعمعوم.. أطلب.. أطلب قال الوالد: أطلب سلامتك وبقاءك، وكان الملك يحبه ويقربه، وأذكر أن الملك عبدالعزيز سكن في قصر المربع وجاء سيل وكان كل ما حطوا رجال الملك شيء يمنع السيل يدخل السيل ويشيله، في هالوقت نزل (عمعوم) وصار يمسك الأشياء اللي يرمونها إلى أن عدلوا السيل عن القصر.. وكان حول الملك وشافه وأحضر له ملابس من ملابسه وقال: حتى في السيل تساعدنا".

شارك مع المؤسس في معظم مغازيه وقرّبه منه وأهداه مشلحه وهو يردد: «أطلب يا عمعوم»



(عمعوم).. فارس الصحراء وأحد أهم رجالات المؤسس



الملك عبدالعزيز في رحلة توحيد شتات الوطن لننعم اليوم بالأمن والاستقرار

"بشت" الملك عبدالعزيز

أطلق عليه الملك عبد العزيز لقب "عمعوم"؛ لأن الشيخ عبدالله النفيسة كان عندما تدق الحرب طبولها وتحتدم المعركة بين الطرفين يتحمس بقوة وشجاعة ويندفع إلي الأمام ويتعامى غير آبه بما أمامه لذلك لقب بـ"عمعوم" من العمي، وهذا اللقب يفخرون به أبناؤه.

وكان -رحمه الله- كما يصفه من عرفه -زاهداً فيما عند الناس راغباً فيما عند ربه، حريصاً على أداء صلاته في المسجد وواجباته تجاه ربه، ويذكر ابنه عبداللطيف موقفاً في هذا الجانب، قائلاً: "أذكر من أحاديث الوالد أن الملك كان يردد (عمعوم.. عمعوم) جتني علومك، وكان الملك عبدالعزيز يثيره مازحا، والوالد كان يقول للملك: يا طويل العمر لا تقولها عند الناس؛ فقام الملك و(خلع) البشت وحلف على عمعوم قدّام الحاضرين أنه يلبسه وكان البشت يعتبر وساما وتقديراً".

مع الشاعر عبدالله بن سبيل

وتناقلت وسائل الإعلام ما ذكره المؤرخون عن قصة "عمعوم" مع الشاعر الكبير "عبدالله بن سبيل" -رحمهما الله جميعاً-، فقد كان الشيخ "عبدالله النفيسة" في طريقه من الحجاز إلي الرياض، وكان كثيرا ما يسمع عن "ابن سبيل"، حيث ذاع صيته واشتهر بكرمه ودماثة خلقه وجزالة شعره، ومرّ "عمعوم" على قرية (نفي) كي يرى ويتعرّف على "ابن سبيل"، ودخل القرية وفجأة وعلى غير ميعاد قابل "ابن سبيل" -أمير نفي- فعرف بن سبيل "عمعوم"، في حين لم يعرفه "عمعوم"، فرحب به "ابن سبيل" واستضافه، وقال له "مشينا نتقهوى وبعدها نروح لابن سبيل أو ناديه يجي لنا"، وفعلاً راح "عمعوم" مع "ابن سبيل"، وبدأ الأخير بشب النار وحمس القهوة ودق النجر وأخذته الأحاديث مع ضيفه، إلا إن "عمعوم" كان بين الحين والآخر يسأل "وين ابن سبيل"؛ مضى العصر والمغرب، ومن ثم قدم العشاء إلا أن "عمعوم" استبطأ قدوم "ابن سبيل" بحسب ما وعده الرجل وقال "ضاع وقتي وأنا أبي أشوف ابن سبيل"!!

قال "ابن سبيل" أنا رفيقك الذي تسأل عنه!؛ فتفاجأ الشيخ عبدالله وقال له، من كثر ما أسمع عن كرمك وعن شعرك ظننت أنني أمام رجل يملك الخدم والناس تلتف من حوله، ولكن ما رأيت من بساطتك والقهوه أنت اللي تسويها وبدون تكلف"..!! فقال "ابن سبيل" -رحمه الله- هذه الأبيات:

يالله يا اللي سائله ما يمله
يا منبت العشب الخضر بالرشاشي
تفرج لمن كنه على صلوا مله
متحير ضاقت عليه المواشي
لا ضاق صدري جبت نجر وبله
وسويت ما يطفي لهيب بجاشي
وإن جا المسير عمس عندي دوا له
فنجال ما سواه خطو الخداشي
بكر على نار ليا جيت أزله
يشبه خضاب مردوعات النقاشي
وان كثر هتّاش الخلا ما نمله
حق علينا فزة وانبهاشي
يوم إن ولد اللاش يا قف بظله
كنه على درب المراجل يهاشي
ومعبرين كل وقت بحله
نصبر على ما كاد والرزق ماشي
حين هشيم وحين نوقد بجلة
ومرّ نبهرها ومر بلاشي
ونوب بيسر ونجمع الكيف كله
ونوب على الشامية أم الغشاشي
تعبي لضيف عاني من محله
نمشي قصاد ولا نحب انتفاشي

* لا نحب انتفاشي (يقصد لا نحب الكبر والتعالي)

مشاركات "آل نفيسة" في الحربية

وعند تسليط الضوء على المعارك والمغازي والمواقع التي شارك فيها "عمعوم" -رحمه الله- وأبناء أسرته، يذكر المؤرخ (حسين بن غنام) في كتابه "تاريخ نجد" رجالاً من أسرة "آل نفيسة" الذين شاركوا في اتساع رقعة الدولة السعودية الأولى، وأرخصوا أنفسهم دفاعاً عن حياض الوطن، وقد استبسل أفراد الأسرة ضمن أهالي ضرماء أمام جيش الباشا عام ١٢٣٣هـ في ملحمة عظيمة دونها التاريخ ووصفها المؤرخون بالقوة والبسالة، وذهب ضحيتها عدد من أفراد الأسرة ومن أولئك المقاتلون كل من:

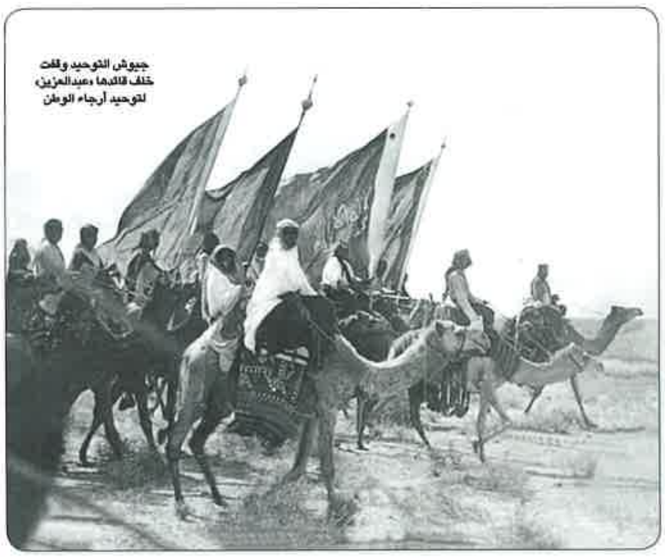
- "عبدالرحمن بن حمد بن إبراهيم النفيسي" شارك في توطيد حكم الإمام (فيصل بن تركي) ووكل إليه الإمام فيصل خزانة بيت المال في الدولة السعودية الثانية، واعتقل معه في السجون المصرية في المدة (١٢٥٤هـ - ١٢٥٩هـ).
- "عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن راشد النفيسة" -من أهالي حوطة بني تميم- شارك في الحرب بين الإمام فيصل بن تركي وخورشيد باشا في نواحي الدلم عام ١٢٥٣هـ.
- "محمد بن عبدالرحمن النفيسي" قُتل في وقعة أم العصافير عام ١٣٠٠هـ في صف الإمام عبدالله بن فيصل ضد خصومه.
- "سليمان بن محمد بن عبدالرحمن النفيسي" قُتل في وقعة الصريف مع الإمام عبدالرحمن الفيصل عام ١٣١٨هـ.
- "تركي بن حمد بن صالح النفيسة" قُتل في موقعة المليداء عام ١٣٠٨هـ مع عدد من أفراد أسرته منهم من أهالي عنيزة.

وفاته

في التاسع من ذي الحجة عام ١٣٧٩هـ توفي الشيخ "عبدالله بن علي بن حسن النفيسة" عن عمر ناهز (٨٣) عاماً قضى منها (٦٠) عاماً في خدمة دينه ثم وطنه ومليكه، رحمه الله رحمة واسعة.



(عمعوم) تسلق سور قلعة الكوت في الأحساء وفتح الباب ودخل «عبدالعزيز» ورجاله



جيوش التوحيد وقفت خلف قائدها «عبدالعزيز» لتوحيد أرجاء الوطن

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد- منصور العساف

أحد الرواد الذين ساهموا في بناء «حلم الدولة» رغم تواضع الإمكانات.. ولكن «صدق النوايا» سبق الطموحات

«عبدالله بلخير».. مترجم الملك عبدالعزيز في لقائي «روزفلت» و«تشرشل»

■ مسيرة الشيخ «عبدالله عمر بالخير» -رحمه الله- حافلة بالإنجازات العظيمة والعطاء الغزير، حيث كان مخلصا يحمل هموم الأمة ويفرح لفرحها ويحزن لآلامها ونكباتها، وسجل حضوره اللافت في أكثر من ميدان، فهو السياسي المحنك، والإعلامي الكبير، والشاعر المخضرم، وتميز بأنه كان في طليعة شعراء الجزيرة العربية؛ مما أهله إلى أن يلقب في المجتمع الثقافي بألقاب تنبئ عن مكانته الشعرية، مثل: شاعر الأمير فيصل، وشاعر الأمة، وشاعر الشباب، وكان -رحمه الله- رقيق المشاعر مرهف الأحاسيس، جياش العاطفة.

كما لعب دورا سياسيا وإعلاميا في عهود ملوك الدولة الحديثة، حيث كان سكرتيرا، ومترجما، ثم مديرا عاما للإذاعة والصحافة التي أنشئت عام ١٩٥٥م، ورافق الملك الراحل المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيب الله ثراه-، وكان أحد مترجميه الأساسيين، وتولى مناصب مهمة في عهده، ورافق أبناءه «فيصل، وخالد» في رحلاتهما الدبلوماسية، حيث عمل مترجما في لقائهما بـ«روزفلت، وتشرشل»، كما تولى منصب رئاسة الديوان الملكي في عهد الملك سعود، وكان الملك «فيصل» يسأل عنه كلما زار مصر أو الشام،

ويستدعيه لاستشارته في بعض الأمور التي تتصل بتخصصه وتهم الدولة، كما رافقه إلى مؤتمر دول عدم الانحياز في «باندونج»، وكان أول من وضع اللبنات الأولى التي شكلت الأساس للإعلام السعودي الذي بناه طوال عمره، من خلال استقطابه للكفاءات الإذاعية العربية، إلى جانب العديد من المحطات السياسية والثقافية والإجتماعية في حياة الراحل، ودوره في بناء وتماسك الوحدة الوطنية، إضافة لكتابة الكثير من الأناشيد الوطنية، والتي اعتمدت لاحقاً في المدارس

كان في طليعة شعراء الجزيرة العربية وأول من وضع اللبنات الأولى للإعلام السعودي

ولادته ونشأته

ولد الشيخ "عبدالله عمر بلخير" في قرية "غيل بلخير" عام ١٣٢٣هـ -١٩٠٢م، وتعلم في طفولته مبادئ القراءة والكتابة في "غيل بلخير" بـ(حضرموت)، فحفظ القرآن الكريم ودرس الحساب، وهاجر مع والده من (حضرموت) وهو في الـ(١٢) من عمره إلى الحجاز، وسكن (حي الشبيكة) في مكة المكرمة، وألحقه والده بالتعليم النظامي في المدرسة الأهلية، ثم مدرسة الفلاح عند إنشائها، واختير ضمن أفراد البعثة الدراسية في الجامعة الأمريكية في (بيروت)، وبعد عودته عمل في وزارة المالية، ثم بالشعبة السياسية في ديوان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مترجما في قسم الاستماع، حيث كانت هناك إدارة أنشئت في منتصف الخمسينيات الهجرية ١٣٥٤هـ، سميت بشعبة الإذاعة تابعة للشعبة السياسية التي كان لها شأن كبير في تلك الوقت، ومن عمل هذه الشعبة السياسية رصد الإذاعات العالمية ثلاث مرات في اليوم لرفع تقرير للملك عبدالعزيز -رحمه الله-، ورصد الأخبار والمعلومات على الصعيد العالمي، وكان الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- يصطحب الشيخ "عبدالله بلخير" في رحلاته، حتى جعله أحد أهم مترجميه، حيث ترجم للملك عبدالعزيز لقاءه التاريخي إبان الحرب العالمية الثانية مع الرئيس الأمريكي "روزفلت"، كما ترجم للملك الراحل في لقائه التاريخي الآخر مع رئيس الوزراء البريطاني "تشرشل"، في أربعينيات القرن الماضي

رئاسة ديوان الملك سعود

ورافق الشيخ "عبدالله بلخير" الأمير "فيصل بن عبدالعزيز" والأمير "خالد بن عبدالعزيز" في أربعينيات القرن الماضي أثناء رحلتهما إلى أوروبا والولايات المتحدة، حيث عمل مترجما في لقائهما بـ"روزفلت" و"تشرشل"، وكان الملك فيصل كلما زار مصر أو الشام يسأل عنه، ويستدعيه لاستشارته في بعض الأمور التي تتصل بتخصصه وتهم الدولة، كما رافقه إلى مؤتمر دول عدم الانحياز في (باندونج)، ومن أهم المناصب الإدارية والسياسية التي تقلدها في الدولة السعودية رئاسته لديوان الملك سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله-، ونتيجة لثقة الملك سعود به كلفه بإنشاء المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر عام ١٣٧٤هـ، فكان يقوم بمهام وزير الإعلام في الدول الأخرى، وهنا لمع نجمه كسياسي وإعلامي ناجح، ناهيك عن كونه أديبا شاعرا من أشهر شعراء المملكة في حينه.

مديرية الإذاعة والصحافة والنشر

وذكر "د.عبدالرحمن بن صالح الشبيلي" -باحث- أن الملك سعود -رحمه الله- لاحظ أن الوفد السعودي برئاسة الأمير "فيصل" -ولي العهد آنذاك- لـ"مؤتمر باندونج" لعدم الانحياز في أبريل ١٩٥٥م لم يحظ بتغطية صحافية مصورة في الصحافة العربية وكذلك الصحافة السعودية، فرغب جلالة الملك في إنشاء مديرية الإذاعة والصحافة والنشر، لتوفير تغطيات أفضل لنشاط الوفود الرسمية، وهو ما يفسر تركيز المديرية بعد إحداثها على إنشاء إدارة للصحافة تعنى بالإعلام الخارجي، وبدأت تلك المديرية في

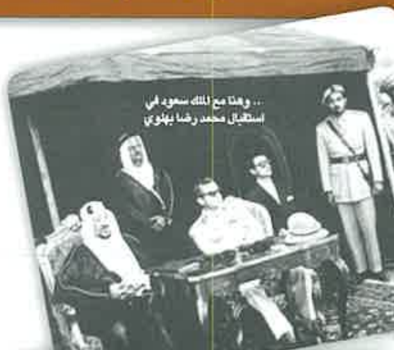


الشيخ «بلخير» ترجم لقاء تشرشل مع الملك عبدالعزيز

إصدار النشرات والمطبوعات الإعلامية، وتنظيم دعوات الصحافيين العرب والأجانب، وإرسال الوفود الصحافية السعودية، وسجلت تلك السنوات تأسيس مكتبة الإذاعة ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م، وكانت تتخذ من صالات مبنى المديرية المجاور لمؤسسة النقد مقرا لها على شارع المطار القديم، قريبا من "فندق الكندرة".

وأضاف أن الشيخ "عبدالله بلخير" أصبح مديراً عاماً للمديرية في الفترة بين ١٣٧٤-١٣٨٢هـ الموافق ١٩٥٤-١٩٦٢م، وهو أول مدير للمديرية في عهد الملك سعود -رحمه الله-، إذ كانت في تلك الوقت بمثابة حقيبة وزارية للإعلام، مبينا أن الشيخ "بلخير" لم يسم وزيرا للإعلام، إلا أنه كان يقوم بهذا الدور كوزير للإعلام، وتم في عهده ازدهار الإذاعة والتلفزيون، فانشئت إذاعة صوت الإسلام، ومجلة الإذاعة، ونقل الإذاعة من مكة إلى جدة، وظهور أكثر من (١٢) صحيفة -لا يزال بعضها مستمرا-، لافتا إلى أن الشيخ "عبدالله بلخير" -رحمه الله- كان أول من وضع اللبنات الأولى التي شكلت الأساس الذي قام طوال عمره ببناء الإعلام السعودي، وذلك باستقطابه للكفاءات الإذاعية العربية إلى جانب الكفاءات الوطنية المتميزة.

وأشار إلى أن المسيرة الإعلامية التي تولى توجيهها الشيخ "عبدالله بلخير" مدة سبع سنوات أو أكثر بقليل، شهدت متغيرات أفقية ورأسية، ونالت الصحافة فيها أوضح العلامات، فبينما بلغت الصحف عديا إحدى عشرة مطبوعة حتى بداية فترته، ظهر في المملكة أكثر من خمس عشرة مجلة





الشيخ عبدالله بلخير أديباً وسياسياً محنكاً



الشيخ عبدالله بلخير

وصحيفة أهلية وحكومية، وذلك قبل انتقال الصحافة السعودية بعد انتهاء فترته؛ مما كان يعرف بـ"صحافة الأفراد" إلى ما أصبح يسمى "صحافة المؤسسات" في آخر سنة من حكم الملك سعود، فمن أمثلة المطبوعات الصحافية الأهلية والحكومية التي صدرت تباعا بعد تعيينه: مجلة "الإذاعة" بجدة ومجلة "الإشعاع" بالخبر، ومجلة وزارة الزراعة، ومجلة "هجر" بالأحساء -عدد واحد فقط-، وجريدة "حراء" في مكة المكرمة، وصحيفة "الأضواء" في جدة وجريدة "الندوة" في مكة المكرمة، ومجلة "الروضة" للأطفال في مكة المكرمة -مطبوعة في جدة-، وصحيفة "قافلة الزيت" الأسبوعية من "أرامكو" بالظهران، وهي غير مجلة "القافلة" التي صدرت في عهد الملك عبدالعزيز-، وصحيفة "الجزيرة" بالرياض، وصحيفة "عكاظ" في الطائف مطبوعة في جدة، ومجلتا "الرائد" و"قريش" في مكة المكرمة، وجريدة "القصيم" مطبوعة في الرياض، ومجلة "المعرفة" من وزارة المعارف.

وصدرت في عهده ثالث صيغة مطورة من نظام المطبوعات ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، كرست مرجعية المديرية الجديدة، واتسمت تلك الحقبة بكثير من أوجه الانفتاح الصحافي في النقد الاجتماعي، وكانت الصحف المحلية منذ بداياتها تخضع للرقابة المسبقة، وذلك إلى أن أعلن ولي العهد الأمير فيصل إلغاءها في عام ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م، في لقاء مع الصحافيين حضره إبراهيم الشوري نيابة عنه، أما بالنسبة للإذاعة، التي كانت قد تأسست أواخر الأربعينات الميلادية -أي قبل تعيينه مديرا عاما للإذاعة والصحافة والنشر بنحو ست سنوات-، فقد ظلت في عهده محدودة الانتشار، تقتصر تغطيتها على منطقة مكة المكرمة، وقد عادت برغبته من مكة المكرمة إلى حيث كانت توجد من قبل في جدة عند بدايتها.

"بلخير" وزيراً مفوضاً

ونظرا لدواعي المصلحة العامة فقد أصدر جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز مرسوما ملكيا يمنح فيه الشيخ "عبدالله بن عمر بلخير" رتبة وزير مفوض من المرتبة الأولى تقديرا لأعماله، وعينه مشرفا على المديرية الجديدة للصحافة والنشر، ونظرا لأهمية تنظيم المطبوعات ووسائل النشر وتركيزها مع مرجع واحد، فقد أصدر الملك سعود مرسوما يقضي بإنشاء مديرية عامة الصحافة: تسمى المديرية العامة للصحافة والنشر، وتتلخص مهمتها في تنظيم وتنسيق جميع وسائل النشر في المملكة ونشر الحقائق والمعلومات، وتربط بهذه المديرية وإدارة المطبوعات والصحافة ومختلف وسائل النشر في حدود الأنظمة المعتمدة، وعين الشيخ عبدالله بلخير مشرفا لهذه المديرية ومنوط به مسؤولياتها.

مؤتمر "باندونج"

بعد انعقاد مؤتمر (باندونج) في إندونيسيا اصطحب جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز في زيارته للهند سكرتيره "عبدالله بن عمر بلخير"، والمدير العام للإذاعة والصحافة والنشر بتاريخ ٢٩ كانون الأول-ديسمبر ١٩٥٥م، وقد عقد الوزير المفوض "عبدالله بلخير" مؤتمرا صحافيا في فندق "تاج محل" في (مومباي)، تحدث فيه للصحافيين الهنود عن سياسة بلاده الخارجية.

كما كلف الملك سعود الشيخ "عبدالله بلخير" نيابة عنه باستقبال السلطان "حسين بن عمر الكثيري" -سلطان الدولة الكثيرية في حضرموت-، وأنزله على ضيافة الحكومة السعودية في فندق "الكندرة جدة" في آب-أغسطس ١٩٥٥م، وكان السلطان "الكثيري" وكذلك السلطان "القعيطي" من أشهر سلاطين جنوب الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجري، بل إن نفوذهما كان يصل إلى الهند والجزر الأندونيسية.

الحس الوطني

وكان الشيخ "عبدالله بن عمر بلخير" -رحمه الله- شاعراً كبيراً ومبدعا في نصوصه، وقد تعلق بالشعر منذ صغره، حيث كان والده يصحبه معه إلى الأفراح وهو ما زال طفلا في حضرموت، وكان دائما ما يتشوق لحضورها ويحفظ من أشعار "الزوامل"، ومن ثم بدأ بكتابة الشعر، وكتب نحو (١٤) نشيداً وطنيا، وقدمها إلى لجنة المسابقات التي اختارت (١٣) نشيدا منها، وأقرتها، ثم عممتها على مدارس المملكة، منها نشيد:

يا شباب العرب مهلا
زمن القول تولى
وهلال الجد هلا
وأتى دور العمل
نحن في عصر جديد
نحن في عصر الحديد
فلنعد ماضي الجدود

الوفد المصري

ذكر "محمود عبدالغني صباغ" في مقال له عن الشيخ "عبدالله بلخير" وزيارة الوفد المصري للملك عبدالعزيز إبان الخمسينات الهجرية، وما كان للعلاقات بين "قصر عابدين" و"قصر السقاف" -مقر إقامة الملك عبدالعزيز آنذاك- أن تستمر على حالها الضامر، وفي عام ١٩٣٣م أوعز الجانب المصري إلى الزعيم الاقتصادي المصري الأسطوري طلعت حرب باشا بزيارة مكة المكرمة، ليجتمع بملكها وحكومتها، وينظر في أمر استئناف التمثيل الدبلوماسي، جاء طلعت باشا حرب إلى مكة المكرمة على رأس وفد اقتصادي رفيع، محمولا بحزمة مشروعات اقتصادية وتنموية، منها إنشاء فندق حديث في مكة، والشروع في افتتاح خط طيران تجاري بين القاهرة وجدة، وافتتاح بنك في مكة يحمل اسم "بنك مصر"، ويكون فرعا للبنك المصري الشهير، وهبطت طائرة الوفد المصري -في أول طيارة كان يقودها الطيار محمد صدقي- في جدة على أرض فضاء أمام بحر الأربعين، واستقبل الزعيم الاقتصادي الشهير في احتفالات بروتوكولية، ومن دون أي ترتيب مسبق تسلل أحد شبان مدارس الفلاح، وأصر على إلقاء قصيدة بين يدي رئيس الوفد المصري، وما إن صُرّح له، حتى ألقاها بحماسة شديدة، مبدداً لحظات الوجوم والفتور التي تلبست الحشد:

يا حمام الحِمَى تغنَّ بشعري ... في رُبى الروض بكرةً وأصيلاً
وارفع الصوت حين تسجع حتى ... يرد الصوت دجلة والنيلا
علّ مِصراً تُصغي فتسمع ماذا ... في ربوع الحجاز أمسى

إلى أن قال بيته الشهير:

لو مشت مصر نحو مكة شِبراً ... لمشت مكةُ إلى مصر ميلاً

ملحمة قرطبة

اشتهرت قصيدتا، "ملحمة قرطبة" في العواصم العربية ومن ضمنها

شبه الجزيرة موطني وبلادي ... من حضرموت إلى حمى بغداد
أشدو بذكراها وأهتف باسمها ... في كل جمع حافل أو نادي

فاجعة الترايستار

وتفاعل الشاعر "عبدالله بلخير" مع حادثة "الترايستار" بمطار الرياض في الثامن من شهر شوال عام ١٤٠٠هـ والتي راح ضحيتها أكثر من (٣٠٠) راكب، كان من بينهم ستة من أبناء عم الشاعر من أسرة "آل بلخير"، وما إن وصل الشيخ "عبدالله بلخير" لعزاء أبناء عمومته من أسرة "أحمد محمد الغزالي بلخير" في حي (العمارية) بجدة وحي (الملز) بالرياض، إلا وكتب قصيدته التي رثى فيها الطيار "محمد الخويطر" -أبو ريان- ومساعده "سامي حسنين"، ثم راح يرثي أبناء عمومته -رحمهم الله-، بقصيدة تكتب بماء العيون، كان من بين أبياتها:

رأى مصرع "الصقر" الصريع مجندلاً ... على برجه في قبضة الموت أعزلاً
مكباً على مهوى "القيادة" أمسكت ... به راحتاه، بالدخان مُجللاً
فتى في قوام الرمح، يهتز نخوة ... تعالى بها، بين الرفاق مُكللاً
تراموا عليه لا يزين ببرجه ... من الموت، يعوي حولهم حين أقبلا
فلا تسمع الأنفاس إلا مراجلا ... تفور بآهات الأسى حينما على

ثم ختمها برثاء ستة شباب من بني عمومته كانوا قد حجزوا مقاعدهم على متن الطائرة لحضور زواج لهم، لكن المنية أدركتهم في هذه الحادثة الشهيرة، ورثاهم قائلا:

ولي ستة "أبناء عمي" تساقطوا ... حواليه صرعى حين خر مجندلاً
شباب كعيدان القنا حين ركبت ... اسنتها عزت كعوبا ومنصلاً
-تهاووا كما تهوي النجوم بأفقها ... منتبة بالنور ضاء بها الفلا
-وحولهم اخوانهم، قد تناثروا ... على النار في هول القيامة يصطلى
فنحن جميعا في المصاب قبيلة ... إذا ضاق باكيها ببلواه حوقلا

أما قصيدته "ملبي بالعزا الركن اليماني باكيا" فقد قالها بعدما سمع بأنباء الزلزال العنيف الذي ضرب منطقة "ذمار" في اليمن عام ١٤٠٣هـ:

مصاب بني "قحطان" في عقر دارهم ... مصاب بني "عدنان" دانٍ ونائياً
نعزي بني أعمامنا، ونغيثهم ... ونرفدهم في المدلهم المفاجيا
وليس لنا في غوثنا اليوم منّة ... عليهم، فهم أهل الغنى المتواليا

عبدالله بلخير يتذكر

وقد صدر كتاب لـ"د.خالد محمد باطرفي" بعنوان "عبدالله بلخير يتذكر"، احتوى بين جنباته ذكريات الشيخ "عبدالله بلخير"، شاملة مراحل حياته، ونشأته الأولى، وذكرياته مع كبار الشخصيات، ومشاهد وقصص كثيرة في حياة الراحل، وقال "د.خالد باطرفي" في مقدمة الكتاب: "الشيخ عبدالله بلخير مجموعة شخصيات لم يصغها زمن واحد، ولكنه جملة أزمنة، فهو صاحب أمزجة ومواهب وخبرات متعددة، فقد اجتمعت فيه شخصية السياسي، والإعلامي، والأديب، والخطيب، والرحالة، ورغم رصيد هذه الخبرات والمعلومات التي جناها خلال ثمانية عقود من عمره الحافل -رحمه الله- فقد كان يأبى أن يسجلها أو ينشرها، حتى طلب منه ذلك والد الإعلام والتاريخ في بلادنا ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز -حفظه الله-، ووجه جريدة الشرق الأوسط بتسجيل هذه الذكريات".

ويذكر المؤلف أنها نشرت خلال العامين ١٩٨٥-١٩٨٦م، مشيراً إلى أنّ للشيخ عبدالله بلخير أحباب وهو لا يفتأ يذكرهم بالخير، وعلى رأس هؤلاء كان الملك عبدالعزيز وابنه الملك سعود، مضيفا أن من الشخصيات التي عشقها قلبا وعقلا "الفيصل"، فقد كان شاعره في الحجاز، وكان معه في رحلته الطويلة بآخر سنتي الحرب العالمية، التي بدأت بالطائرة من (الرياض) إلى (القاهرة)، فشمال (أفريقيا)، وغربها، و(البرازيل)، وجنوب (الولايات المتحدة الأمريكية)، إلى غربها، فشرقها، حيث التقى الفيصل وأخاه الأمير خالد بالرئيس "روزفلت" في (واشنطن)، ثم عادا عن طريق (بريطانيا)، للقاء رئيس وزرائها "تشرشل"، خلال الغارات النازية على (لندن)، والغارات المضادة على (برلين)، ثم شمال أفريقيا مرة أخرى إلى (القاهرة) فـ(الرياض).

وفاته

توفي الشيخ "عبدالله بن عمر بلخير" عن عمر يناهز الـ(١٠٠) عام، وذلك في الرابع من شوال ١٤٢٣هـ، الثامن من كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢م أثناء تلقيه العلاج الطبي وهو في سن الشيخوخة في أحد المستشفيات اللبنانية، وكان قد أوصى أنجاله بأن يدفن في مكان وفاته -أيا كان-؛ تيمنا بالسنة النبوية المطهرة، وقد تحققت له تلك الأمنية.



الشيخ "بلخير" برفقة الملك فيصل في احدى رحلاته



... ويتسلم وسام الاستحقاق السوري



الشيخ عبدالله بلخير في إثنينية عبدالمقصود خوجة



عينه الملك سعود رئيساً للديوان الملكي ورافقه في كل زياراته



.. مع الأمير فيصل بن تركي بن عبدالعزيز والأمير محمد بن سعود والأمير منصور بن سعود في شواطئ جدة

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

التاريخ حفظ للرجال الأوفياء مواقفهم تجاه وطنهم وقادتهم وفتح لهم صفحات المجد

عبدالله آل فضل.. مهندس العلاقات السعودية المصرية

عيّنه الملك عبدالعزيز مديراً لمالية جدة ثم مديراً لفرع مصلحة المعادن والأشغال في المنطقة الشرقية وممثلاً للحكومة في الأحساء

■ يعدّ الشيخ «عبدالله بن إبراهيم آل فضل» أحد رجال الدولة الأكفاء، وعرف بالحكمة والسياسة والحنكة، وينحدر نسبه من عائلة «آل فضل» المعروفة في مدينة (عنيزة)، والتي استمرت إمارتها لـ(عنيزة) لمدة تزيد عن مئة عام (١١١٠-١٢٣٣هـ)، واشتهرت بالتجارة، والسياسة، وبرز منها العديد من الشخصيات مع ملوك المملكة العربية السعودية، لا سيما وأن لهم مساهمات في دفع عجلة التنمية التجارية، والسياسية في البلاد، وكما هي العائلات التجارية التي اشتهرت إبان بدايات تأسيس وتوحيد البلاد، حيث أسرة «القصيبي» في المنطقة الشرقية، وأسرة «آل فضل» في المنطقة الوسطى، وعائلة «آل زينل» في المنطقة الغربية.

تألق نجم الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل فضل في عدد من المناصب، حيث عيّن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- الشيخ «عبدالله بن إبراهيم آل فضل» مديراً لمالية جدة، كما عيّن عام ١٣٥٩هـ مديراً لفرع مصلحة المعادن والأشغال في المنطقة الشرقية، وممثلاً للحكومة في الأحساء لدى شركة الزيت «ستاندرد أويل»، التي سميت فيما بعد شركة «أرامكو»، وعُيّن مراقباً على أعمالها، وفي عام ١٣٦٦هـ، اختاره الملك عبدالعزيز ليكون سفيراً للمملكة العربية السعودية في مصر، خلفاً للشيخ «فوزان السابق الفوزان» -رحمه الله-، وكان للشيخ «عبدالله آل فضل» -رحمه الله- دوراً كبيراً في تعزيز العلاقات بن السعودية ومصر خلال فترة تحولها من ملكية إلى جمهورية، ونال في عام ١٣٧٣هـ وسام الاستحقاق من الرئيس المصري اللواء «محمد نجيب»، وعيّنه الملك سعود بن عبدالعزيز -طيب الله ثراه- سفيراً فوق العادة، ووزيراً مفوضاً بسفارة المملكة العربية السعودية في مصر.

جمع في منزله مواطني وأعيان الحجاز مع بعض أعضاء «الشورى» لتقديم مقترح تحويل مسمى البلاد إلى «المملكة العربية السعودية»



وثق الملك عبدالعزيز بالشيخ عبدالله آل فضل وعينه سفيراً له



اختاره الملك سعود وزيراً مفوضاً وسفيراً فوق العادة

بداية حياته

ولد الشيخ "عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن صالح آل فضل" في (عنيزة) سنة ١٣٢٠ هجري تقريباً، من أسرة ثرية امتد نفوذها إلى (الهند)، درس في بداية حياته بالكتاتيب على يد شيوخ عصره من علوم وأصول الدين والفقة، وحفظ القرآن بالجامع الكبير بعنيزة، ورحل مع والده وهو صغير السن إلى (الهند) في عام١٣٢٥هـ، وكان إلى جانب والده الشيخ "إبراهيم بن عبدالله آل فضل" وعمه "صالح بن عبدالله آل فضل" بمدينة (بومبي) و(كراتشي)، ويتضح ذلك من خلال المخاطبات العديدة مع الملك عبدالعزيز والملك سعود -رحمهما الله- في أوائل العشرينات.

وتعلم الشيخ "الفضل" علوم الحساب، والتجارة، واللغة الانجليزية، والأوردو، وفي أوائل الأربعيّنيات من القرن الماضي عاد إلى أرض الوطن، وذلك بعد استقرار عائلته بـ(مكة) و(المدينة المنورة) و(جدة) و(عنيزة)، وتردد على (الهند) و(البحرين) و(الكويت) و(أوروبا)، ولفت من خلال أعماله ونشاطه نظر الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، لا سيما وأنّه عرف ووصف بالكفاءة النادرة، والمثابرة بالعمل، وكان ممن يجيدون العديد من اللغات؛ لذا رافق الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- وأبناءه الملوك من بعده في حلهم وترحالهم، وحظي بثقة الملوك، وتقلد مناصب عليا -آنذاك-.

ويعود تاريخ عائلة "آل فضل" إلى منشأها الأول بمدينة (عنيزة) في القرن العاشر الهجري، حيث مولد جدها الأول "فضل"، والآن هم أبناء أحفاده "صالح" و"علي" و"سليمان" -ذكر ذلك علامة الجزيرة "حمد الجاسر" في (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)-، وقد ساهمت عائلة الفضل في تنمية المنطقة في مجالات متعددة، وعلى فترة ليست بالقصيرة، حيث كان لهم تاريخ في بلدة (عنيزة)، بعد أن وحدها "فوزان بن حميدان آل فضل" في أوائل القرن الثاني عشر الهجري -قبل قيام الدولة السعودية الأولى-، ولم شمل العائلة بعد أن كانت متفرقة، رغم ما واجهه من التحديات، وقد استمر أبناؤه من "بني ثور" مدة تزيد عن مئة سنة، -ذكر ذلك المؤرخ "عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البسام" في (تحفه المشتاق) سنة ١٣٧٥هـ-.

تسمية البلاد بالمملكة

في الثاني عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ اجتمع عدد من المواطنين والأعيان في الحجاز، مع بعض أعضاء مجلس الشورى، وذلك في منزل الشيخ "عبدالله آل فضل"، وهناك ارتأوا أن يرفعوا مقترحاً للملك عبدالعزيز لتحويل مسمى البلاد إلى "المملكة العربية السعودية"، وبعد مداولات واجتماعات عديدة، اتفقوا على التسمية الجديدة التي وجدت قبولاً من الملك المؤسس الذي وافق على المقترح، بناءً على ما رفع إليه من البرقيات.

وكان "إبراهيم آل فضل" من أولئك المجتمعين الذين شاركوا في صياغة الخطاب في منزل "عبدالله آل فضل"، وقد ذكر المؤرخ "فؤاد حمزة" في كتابه (البلاد العربية) مجموعة من أسماء المجتمعين، كما نشرت جريدة البلاد السعودية -آنذاك- جميع أسماء الذين شاركوا في هذه الاجتماعات، التي لم يقف مقترحها على تسمية البلاد فقط، بل اقترحوا أيضاً نظاماً للحكم -كما هو موضح في البرقية التي رفعوها-، بعد ذلك أقيم حفل بقصر "أبو حجارة" بـ(الطائف) في مزرعة "عبدالوهاب الحلواني"، واستمر لمدة سبعة أيام، حضر احتفالات الرياض الأمير سعود بن عبدالعزيز-ولي العهد آنذاك-، كما دشن الاحتفالات في محافظة جدة الأمير فيصل بن عبدالعزيز -نائب الملك في الحجاز آنذاك-.

وقد أشار إلى هذه الاجتماعات التي نتج عنها استبدال تسمية "مملكة الحجاز ونجد" إلى اسم "المملكة العربية السعودية" -عدا فؤاد حمزة- كل من "محمد بن عبدالحميد مرداد"، في كتابه (رحلة العمر)، كما تحدثت عنها "مجلة المنهل"، وهي الآن موثقة لدى أسرة "الحلواني" في مدينة (الطائف)، وبعض أبناء "آل فضل" في (جدة) و(الرياض).



الشيخ عبدالله بن محمد آل فضل



محمد بن عبدالرحمن آل فضل

سفير فوق العادة

وفي عام ١٣٤٥هـ عيّن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- الشيخ "عبدالله بن إبراهيم آل فضل" مديراً لمالية جدة، كما عيّن عام ١٣٥٩هـ مديراً لفرع مصلحة المعادن والأشغال في المنطقة الشرقية، وممثلاً للحكومة في الأحساء لدى شركة الزيت "ستاندرد أويل"، التي سميت فيما بعد شركة "أرامكو"، وعيّن مراقباً على أعمالها، وفي عام ١٣٦٦هـ، اختاره الملك عبدالعزيز ليكون سفيراً للمملكة العربية السعودية في مصر، خلفاً للشيخ "فوزان السابق الفوزان" -رحمه الله-، وكان للشيخ "عبدالله آل فضل" -رحمه الله- دور كبير في تعزيز العلاقات بن السعودية ومصر خلال فترة تحولها من ملكية إلى جمهورية، ونال في عام ١٣٧٣هـ وسام الاستحقاق من الرئيس المصري اللواء "محمد نجيب"، وعيّنه الملك سعود بن عبدالعزيز -طيب الله ثراه- سفيراً فوق العادة، ووزيراً مفوضاً بسفارة المملكة العربية السعودية في مصر.

وفاته

توفي الشيخ "عبدالله آل فضل" -رحمه الله- في يوم ٢٩ رمضان ١٣٧٦هـ بمدينة (لوزان) في دولة (سويسرا)، قبل أن يدفن بمكة المكرمة -رحمه الله-، وله من الأبناء: "عبدالوهاب" و"صالح" و"إبراهيم" و"لولوا"، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

أسرة «آل فضل» مسيرة وطنية مميزة في السياسة والتجارة

من أشهر رجالات أسرة «آل فضل» الشيخ «محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله آل فضل»، وهو أحد مثقفي وأدباء المملكة، ولد في عنيزة وتلقى تعليمه في الكتاتيب على يد علماء عصره، إلى أن التحق بمدرسة «النجاح» بـ(جدة) عام ١٣٢١هـ، وهو من مثقفي وأدباء المملكة، وكان على علاقة وثيقة بالملك عبدالعزيز، وقد تقلد منصب وكيل الملك في الهند، وهو أحد أولئك الذين وقعوا على اتفاقية تسليم جدة للملك عبدالعزيز، مع نخبة من أهالي مدينة جدة، كما كان من ضمن الذين تم اختيارهم لعضوية مجلس الشورى في بدايات عمله، وكانت له كتابات أدبية وتاريخية بالصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، والتي كان معظمها ينشر في مجلة المنهل، ومن أصدقائه من العلماء الشيخ «محمد نصيف» و«عبدالله فيلبي» المؤرخ المستشرق-، والشيخ «عبدالله العلي العبدالله العبدالرحمن البسام»، وعيّن في ٥-٦-١٣٤٩هـ عضواً في مجلس إدارة جدة، كما عيّن بتاريخ ٢٨-١٢-١٣٦١هـ عضواً في مجلس الشورى إلى عام١٣٧١هـ.

كما أنّ أخوه الشيخ «إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله آل فضل» كان مسؤول المراسلات مع بيوت «آل فضل» بـ(الهند) و(البحرين) و(عنيزة) و(المدينة المنورة) و(جدة)، لبيع واستيراد المواد الغذائية، والألبسة، واللؤلؤ، وقد عيّن عضواً في مجلس الشورى اعتباراً من ٨-٥-١٣٤٩هـ، كما عيّن معاوناً ثانياً للنيابة العامة في ٢٤-٦-١٣٤٩هـ، ثم عضواً في مجلس الوكلاء بعدها بسنة، إلى أن تولى رئاسة الشعبة التي أوكل لها معالجة الأمور الخاصة بالحكومة ضمن صلاحيات النائب العام، كما كان من ضمن الوفد الذي أرسل إلى (أبها) و(جازان)، وقد أرسله الملك عبدالعزيز أيضاً إلى (اليمن)، وهي المهمة التي توفي بعدها وهو عائد في الطريق بين (أبها) و(الطائف). أما أخوهما (عبدالله بن عبدالرحمن آل فضل)، فكان من أوائل الطيارين الحربيين في المملكة.

ومن كبار بيت «آل فضل» الشيخ «عبدالله بن محمد بن عبدالله آل فضل»، والذي ولد عام ١٢٨٢هـ بمدينة (بريدة)، وكان المستشار والمعاون للملك عبدالعزيز في الحجاز منذ عام ١٣٤٤هـ، كما رافق الأمير محمد بن عبدالعزيز في المدينة المنورة، وقد عيّن في مجلس الشورى بصفته النائب الأول لرئيس مجلس الشورى، كما عيّن معاوناً للنائب العام في الحجاز اعتباراً من ٨-١٠-١٣٦٥هـ، وواصل نشاطاته وأعماله الحكومية إلى أن أحيل للتقاعد عام ١٣٦٨هـ، وتوفي -رحمه الله- في مدينة القاهرة بجمهورية مصر العربية في الثاني من شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨هـ.



ساهم أبناء أسرة آل فضل في تغيير مسمى المملكة



خطاب من الشيخ عبدالله آل فضل إلى الملك سعود



×البلاد زمان××البلاد زمان××البلاد زمان××البلاد زمان××البلاد زمان××البلاد زمان

البرقية المرفوعة إلى جلالة الملك المعظم

التماسٌ لتحويل اسم "مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها" إلى "المملكة العربية السعودية"

صور البرقيات التي أرسلت إلى جلالة الملك عبد العزيز

شارك آل الفضل في برقيات وضع نظام الحكم



منحه الرئيس المصري محمد نجيب وسام الاستحقاق

حين نفتقد الرجال العظام نستحضر سيرهم لنعيد الماضي إلى الحاضر ونمضي متفائلين نحو المستقبل

محمد حسين نصيف.. وجيه جدة ورجل الخير والكرم

■ يعد الشيخ "محمد حسين نصيف" أحد أبرز أعلام الحجاز وأثرى أثريائها، فقد ورث عن آبائه وأجداده مالاً وعقاراً أنفقها - محتسباً الأجر - في طباعة الكتب وتوزيعها بالمجان، وفي إكرام الضيوف من الملوك والعلماء والعامة.

تربى الشيخ "محمد نصيف" منذ نعومة أظفاره في بيت جده لأبيه عمر الأفندي أو كما يطلق عليه (وجيه جدة) الذي هيأ له كل أسباب التعلم، لا سيما أن القصر الذي نشأ فيه الشيخ محمد نصيف كان بيئة خصبة للتعلم والتزود بمختلف العلوم، وملتقى للعلماء والمثقفين، وكانت صلته بعلماء عصره سواء المقيمين أو القادمين مدعاة لتنمية حبه للقراءة والدرس، وكذلك تلقيه طلبة العلم وتضييفهم وإكرامهم.

وولد الشيخ الوجيه "محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن نصيف" في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في الثامن عشر من رمضان سنة ١٣٠٢هـ، وتوفي والده وهو طفل، فكفله جده لوالده "عمر نصيف" وكان كبير أعيان جدة، إضافة لكونه وكيل شريف مكة، كما أنه كان وكيلاً لكل من يتولى إمارة مكة من الأشراف، وكان على صلة كبيرة بالوالي التركي في الحجاز الذي كان يتخذ من قصر الأفندي "عمر نصيف" الشهير بجدة مركز إقامة له في فصل الربيع.

وعوداً على ذي بدء فقد تربى الشيخ "محمد نصيف" ونشأ في حضانة جده الكبير وكان الولد الوحيد لجده، فذرية الأفندي "عمر نصيف" جميعاً من البنات، إلا أنه بعد أن تزوج الزوجة الثانية رزق بمولود سماه "حسين" وهو والد الشيخ محمد، وقد توفي "حسين" في سن الشباب وترك ابنه "محمد" في رعاية جدة "عمر" الذي هيأ له جواً علمياً وبيئة صالحة للتعلم، حيث كان القصر بيئة خصبة للتعلم ومنتدى للعلماء ورجال السياسة؛ فحفظ القرآن مبكراً وحصل على عدد من الإجازات العلمية المختلفة في علوم الدين، كما كان يخص نفسه ببعض الوقت للنظر في المسائل العلمية التي تحتاج تأمل وبحث، ووقتاً لطلاب العلم، إضافة لاهتمامه الخاص بنشر كثير من الكتب السلفية التي كانت توزع بالمجان، كما كان له مجالس يحضرها كبار العلماء أمثال الشيخ "ابن عثيمين" والشيخ "عبدالرحمن السعدي"، وتعلم على يديه خيرة العلماء في زمانه.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

الملك عبدالعزيز تلقى بيعة أهل الحجاز في قصره واتخذه سكناً له سنوات عدة قبل أن يتحول إلى مزار





الشيخ محمد حسين نصيف أحد وجهاء جدة ورجل الخير والبر والإحسان



الملك عبدالعزيز سكن بيت نصيف واستقبل ضيوفه

محب للعلم ومجالسة العلماء وصرف ثروته على مكتبته التي تعد من أشهر المكتبات في الشرق الأوسط



الملك سعود في بيت نصيف

صفاته وشمائله

. وصفه المؤرخ "محمد بن علي مغربي" في كتابه (أعلام الحجاز- الجزء الأول) بأنه: "مستدير الوجه أبيض اللون واسع العينين أقنى الأنف أقرب إلى الطول منه إلى القصر، وسيم، جسيم، قوي البنية، متين الأركان، تزين وجهه لحية غلب فيها السواد على البياض، يرتدي الجبة والعمامة الحجازية، وكان له سمت خاص في لباسه فهو سلفي المذهب والشارة، وحينما تحول من الجبة والعمامة الحجازية إلى العباءة والعقال كانت عباءته بيضاء، ولم تكن مزدانة بالقصب الذي تتميز به العباءة العربية وعقاله أبيض خالص ويتخذ من سمات العلماء السلفيين ويرتدي ما يراه متفقا مع كرامة العلم ومقام العلماء". كما اتصف الشيخ "محمد حسين نصيف" -رحمه الله- بحسن السجايا وسعة الصدر، كريما ومتواضعا وأمينا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مشجعا للدعوة إلى الله، ولعل ما يميز الشيخ تنظيمه لوقته ومذاكرته لنفسه مخصصا لقراءة القرآن والاطلاع على أمهات الكتب في التفسير والحديث، فضلا عن ذلك فقد كان يخص نفسه ببعض الوقت للنظر في المسائل العلمية التي تحتاج تأمل وبحث، ووقتا لطلاب العلم.

قال عنه الشيخ محمد بن مانع -رحمه الله- مدير التعليم آنذاك: "لم نعلم في الحجاز رجلا يساويه في الكرم وحسن الخلق. وكان بيته ملتقى الفضلاء القادمين من مختلف البلاد"، وكتب أيضا الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في مجلة المنار مقالا مطولا عن كرم الشيخ -حينما حج وزاره في جدة - بعنوان "محمد نصيف نعم المضيف".

علومه ومعارفه

تعلم "محمد نصيف" كثيرا من العلوم التي كانت رائجة في عصره مبتدئا بالقرآن العظيم، ثم علوم القرآن والحديث، ومسيرته حافلة بطلب العلم وتعلمه وتمسكه بمذهب أهل السنة والجماعة، حيث يعتبر من أعلام الدعوة السلفية والحركة الإصلاحية في عصره متأثرا بأفكار أعلام الدعوة السلفية أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وكان شغوفا بطلب العلم، حيث عكف منذ صباه على جمع الكتب واقتنائها وتتبع النادر منها، كما كانت تربطه علاقات متينة مع علماء عصره، وكذلك تلقيه طلبة العلم واستضافتهم وإكرامهم وتوزيع الكتب العلمية عليهم مجانا التي كان يطبعها على نفقته الخاصة. وقد درس على العديد من العلماء والمشايخ المعروفين، منهم: الشيخ "عبدالقادر التلمساني"، والشيخ العلامة "أحمد بن إبراهيم بن عيسى"، والشيخ "أحمد النجار"، وغيرهم، وكان للشيخ -رحمه الله- مجالس يحضرها كبار المشايخ أمثال الشيخ "ابن عثيمين" والشيخ "عبدالرحمن السعدي".

العلماء يثنون عليه

وقد أثنى عليه -رحمه الله- الكثير من علماء الأمة والمفكرين، ومن ذلك قول الشيخ العلامة "عبدالعزيز بن باز" حينما سئل عن معرفته به قال: "أفيدكم بأني أعرف منه -رحمه الله- العناية بأهل العلم والفرح بزيارتهم له وإكرامهم مع حسن العقيدة وبذل المستطاع في إعانة طلب العلم".

وكذلك قول الشيخ العلامة "محمد بن صالح العثيمين" -رحمه الله-: "الحقيقة أن الشيخ محمد حسين نصيف -رحمه الله- كان مضرب مثل في الأخلاق التي جبله الله عليها فلقد كان -رحمه الله- حسن الأخلاق كريما بشوشا، وإن الكتابة عن أهل الخير والفضل فيها خير لأن الناس يقتدون بهم ويدعون لهم". كما قال عنه الشيخ العلامة "علي الطنطاوي": "كان نبيلا أصيلا لا متكلفا وكان طبعا فيه لا تطبعا، فلو أراد العدول عنه لما استطاع"، وقال أيضا: "كانت المائدة منصوبة كل يوم لا يسأل الداخل إليها عن اسمه، وكانت في داره غرفة معدة للمنام من زاره وشاء أن ينام فيها نام".

أما المؤرخ الشهير "خير الدين الزركلي"؛ فقد قال عنه: "عالم جدة وصدرها في عصره". وقول الشيخ "علي بن محمد الهندي" المدرس بالحرم المكي: فهو -رحمه الله- كما قال الشاعر:

لا تنقلوا الأقدام إلا إلى
من عنده لكموا فائدة
إما لعلم تستفيدونه
أو لكريم عنده مائدة

. وأثنى عليه الشيخ "عبدالرحمن الإفريقي" المدرس في المسجد النبوي، بقوله: "تمثلت فيه الأخوة الإسلامية بصدق وتعمقت فيه السلفية الصادقة بحق".

قصر نصيف

. يقع قصر نصيف في قلب مدينة جدة القديمة، وهو من أبرز معالمها، نزل فيه الملوك والأمراء والعلماء والوزراء، كما نزل فيه أمراء مكة من الأشراف، وكان كل من قدم إلى الحجاز من الملوك والأمراء والشخصيات الكبيرة والوجهاء ينزلون في القصر، إضافة إلى وفود وأعضاء السفارات الإسلامية أو العربية الذين كانوا يزورون جدة، ويلتقون بالشيخ "محمد نصيف" واستضافتهم في قصره.

ويذكر أنه لما توفي جده "الأفندي" عمر نصيف انحصر إرثه في بناته الست، وفي الشيخ "محمد نصيف" الذي كان القصر من نصيبه؛ لأنه الشخص الوحيد من الورثة القادر على إبقائه مستعدا لاستقبال الضيوف، ولقد أمر الملك فيصل بن عبدالعزيز بشراء قصر نصيف ومكتبته، وجعلهما ملكا للدولة وإبقائهما أثرا وتاريخا، يسميان باسم نصيف، ومازال الأمر كذلك إلى يومنا هذا، حيث كتبت لوحة في مقدمة القصر "وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم حاليا)- إدارة الآثار والمتاحف - مكتب الآثار بجدة - بيت نصيف".

مبايعة الملك عبدالعزيز

بعد أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز، وفي عام ١٣٤٤هـ، كان قصر نصيف بجدة هو منزل الملك حين دخوله لجدة للمرة الأولى، وفي هذا القصر كانت الوفود تصل لمبايعته ملكا على الحجاز، كما شهد القصر كل الاجتماعات التي كانت تعقد لترتيب أمور الدولة، وقد اتخذ الملك عبدالعزيز -رحمه الله- من هذا القصر مقرا له لسنوات طويلة كلما قدم إلى مدينة جدة، ثم انتقل إلى القصر الأخضر بالعمارية، ثم انتقل إلى قصر خزام بـ "النزلة" وهو القصر الذي بناه المعلم "محمد بن لادن" -رحمه الله-، واستمر جلالته يتخذ من قصر "خزام" مقرا له إلى حين وفاته.

وللشيخ محمد نصيف مكانة خاصة لدى الملوك، وكان الملك عبدالعزيز ومن بعده أبناؤه يقربون الشيخ "نصيف" وعائلته ويبالغون في إكرامه ويزورونه في بيته.

الأزمة العقارية

عرض الشيخ "محمد علي مغربي" في ترجمته للشيخ "محمد نصيف" تفاصيل الأزمة المالية التي ألمت به في فترة من الفترات، حيث يقول: "ولعلي لا أفشي سرا إذا قلت أن واردات الشيخ محمد نصيف من العقار الكثير الذي ورثه عن جده الأفندي عمر نصيف لم تكن تكفي دائما لمقابلة المصاريف الضخمة التي كان ينفقها في إبقاء قصره مفتوحا للضيافة طوال العام.. ولقد علمت بحكم صلة القرابة التي تربط أسرتنا به، أنه كان يبيع في بعض الأعوام من عقاره لسد هذه النفقات الطائلة التي كان يتكفلها كل عام، وخلال الخمسينيات وحين اشتداد الأزمة الاقتصادية العالمية، وهبوط قيمة العقار كان واضحاً أن الشيخ محمد نصيف أخذ يعاني من هذه الأزمة، وما إن علم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بذلك حتى أصدر أمرا بصرف قاعدة سنوية له كل عام، وكان الشيخ إبراهيم بن معمر قائم مقام جدة في ذلك الوقت هو الذي كتب للملك عبدالعزيز، ودون علم الشيخ محمد نصيف بذلك".

المنهج السلفي

اهتم الشيخ "محمد حسين نصيف" بكتب الشيخ "ابن تيمية" و"ابن القيم" وغيرهما من علماء السلف، فطبع ونشر الكثير من الكتب التي تبين حقيقة الإسلام وتحارب البدع والخرافات، نصحا للمسلمين على حسابه ونفقته الخاصة، حيث صرف معظم عوائد ممتلكاته في إكرام طلبة العلم وطباعة الكتب وتوزيعها بالمجان، كما كان يردد كثيرا قول الإمام مالك: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"، وعرف عنه -رحمه الله- بذله وجهوده المضنية للدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح، وعقيدة أهل السنة والجماعة.

مكتبة نصيف

كان الشيخ "محمد نصيف" مولعًا بالقراءة، كما كان يُعنى بجمع أمهات الكتب من المراجع والمخطوطات، حتى أصبحت مكتبته من أشهر المكتبات الخاصة في العالم الإسلامي لاحتوائها على أكثر من تسعة آلاف مجلد في مختلف العلوم، ومرجعا لأهل العلم، كما اهتم بنشر الكثير من الكتب السلفية التي كانت تطبع في الهند ثم مصر لتوزع بالمجان.

وقال المؤرخ "محمد المغربي" حينما كلفني الشيخ "محمد سرور صبان" بكتابة بحث عن تاريخ الماء في جدة (ماء العين بالعزيزية عام ١٣٦٧هـ) لم أجد مصدرا لهذه المعلومات سوى الشيخ "محمد نصيف"، وقد أجمع الناس على محبته لما كان يتحلى به من الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة، لا سيما وقد قال عنه صاحب كتاب (ملوك العرب) أمين الريحاني: "هو دائرة معارف ناطقة"، والسبب في ذلك هو امتلاكه لتلك المكتبة الضخمة التي تضم الكثير من المطبوعات والمخطوطات النفيسة والمفيدة حتى أن جريدة "الندوة" السعودية ذكرت في عددها رقم ٣٤٤٣ عام (١٣٩٠هـ) أن ثمنها يُقدر بأكثر من مليون ريال أي ما يقارب (١٠) ملايين ريال في الوقت الحالي أو أكثر، وقال الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله - يصف مكتبته: "وعنده مكتبه من أنفس ما عرفت من المكتبات، ولقد عرفت مكتبات أساتذتنا محمد كرد علي في دمشق وإسعاف النشاشيبي في القدس وأحمد تيمور باشا في مصر ومكتبة ندوة العلماء في لكنو في الهند ومكتبة الحاج حمدي الأعظمي في بغداد ومكتبات لا أحصيها فوجدت مكتبة الشيخ نصيف من أكبرها، وكانت مكتبته مثل مائدته مُفتّحة الأبواب لكل قادم". وفعلاً كان الشيخ نصيف مهتماً في مكتبته منذ صغره ويحرص كل الحرص أن يوفر لها المفيد والنادر من الكتب، لا سيما وقد طبع كثيراً من الكتب على نفقته الخاصة، وقد صرف -رحمه الله- حياته الطويلة في جمع مكتبة التي تعد من أثمن المكتبات في جدة، وأصبحت فيما بعد أحد مقتنيات جامعة الملك عبدالعزيز، بعد أن أهداها الشيخ "محمد نصيف" لأهل بلدته كوقف خيري لتزود منها طلاب العلم، وتضم المكتبة بين جنباتها عدداً من الكتب القيمة وخصوص في مجال علوم القرآن وتفسيره والمخطوطات النادرة، والوثائق التاريخية والرسائل العلمية التي كان مولعاً بها، إضافة إلى المجاميع الصحفية والمجلات الأدبية وغيرها، كما احتوت مكتبته على جملة كبيرة من المخطوطات النادرة التي تمت طباعتها لاحقا، وكان -رحمه الله- كثيراً ما يطرز كتبه ببعض الشروحات والتعليقات لتوضيح وشرح وتفسير بعض المسائل الغامضة أو ربطها باستدلالات أخرى لها قاسم مشترك مع عنوان الكتاب أو مؤلف الكتاب أو موضوع معين بالكتاب. وتعود قصة ضم المكتبة إلى جامعة الملك عبدالعزيز إلى عهد الملك فيصل -رحمه الله- الذي جعلهما ملكاً للدولة وإبقائهما أثراً وتاريخاً، يسميان باسم "بيت نصيف"، وقد أهدى أحفاد الشيخ "محمد نصيف" مخطوطات مكتبته إلى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وسلمت وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف سابقا) جميع محتويات مكتبة الشيخ "محمد نصيف" للمكتبة المركزية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وبموجب بيانات الجرد المستلمة بها الوزارة أصلا من ورثة الشيخ "محمد نصيف" -رحمه الله- وعددها ٥٣٨ صفحة تحتوي على ٨٠٣٠ كتاباً وعدد ١٤٥ صفحة تحتوي ٢١٧ مخطوطاً.



الشيخ محمد نصيف في مكتبته التاريخية

الشيخ ابن عثيمين

يروي الشيخ "علي بن محمد الهندي" المدرس بالحرم المكي -رحمه الله- بعض الطرائف مع الشيخ "نصيف"، قائلا: "كان بيت الشيخ محمد نصيف مأوى عام للملوك والعلماء ولطلبة العلم ولعامة الناس، وكان -رحمه الله- يحب النكت؛ فقد زرته أنا والشيخ صالح العثيمين ضحا فوجدنا عنده ثلاثة من الدكاترة فسأل الشيخ العثيمين الشيخ نصيف من هؤلاء؟ فقال الشيخ هؤلاء دكاترة فالتفت الشيخ العثيمين إلى أحدهم وقال: دكتور في أي شيء؟ قال: دكتور في النحو ثم سأل الثاني: دكتور في أي شيء؟ قال في التاريخ والمغازي، ثم سأل الثالث: دكتور في أي شيء؟ فقال: في الحديث وأصوله.

فسأل العثيمين الأول قائلا: أعرب البيت الآتي:

بثينة شأنها سلبت فؤادي
بلا ذنب أتيت بها سلاما

قال له ما الذي نصب بثينة؟ فأجاب بعد تفكير قائلا: لا أدري!

ثم سأل الثاني: ما الفرق بين الغزوة والسرية؟

فأجاب بعد التفكير قائلا: لا أدري!

ثم سأل الثالث: ما الفرق بين المرسل الخفي والمرسل المطلق في الحديث؟

فأجاب: لا أدري!

فاتجه الشيخ العثيمين إلى الشيخ نصيف وقال له: يا شيخ نصيف "دكتورا" فضحك الشيخ نصيف حتى استلقى على كرسيه، ثم قال الشيخ العثيمين: لا أقول هذا تنقصا من الدكاترة فكثير منهم أعلم منا وأفقه وأدين".

وفاته

. توفي الشيخ "محمد بن حسين بن عمر نصيف" رحمه الله عام (١٣٩١هـ) عن عمر ناهز التاسعة والثمانين عاما في مدينة الطائف، ونقل جثمانه إلى مدينة جدة في موكب لتشييع جنازته، يتقدمهم الأمير أحمد بن عبدالعزيز، والأمير فواز بن عبدالعزيز الذي أوفده الملك فيصل، وعدد كبير من الوجهاء والأعيان -رحمه الله رحمة واسعة-.



بيت نصيف في جدة التاريخية



بيت نصيف تحول اليوم إلى مزار شعبي ووجهة سياحية

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

جيل مضى وترك لنا إرثاً من "مواقف المرجلة" و"شهامة الفزعة" وروح التضحية للمليك والوطن

عبدالعزيز آل إبراهيم.. «ذراع ابن سعود» في تثبيت الأمن والتنمية في المناطق

حب الثقافة والأدب

ولد الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم في مدينة الرياض، سنة ١٢٩٧هـ، وقد تعددت الروايات حول تاريخ مولده، ولكن حسب جواز سفره الذي هو وثيقة رسمية لها مصداقيتها، ولد في عام ١٢٩٧هـ وهو التاريخ نفسه الذي ولد فيه الملك عبدالعزيز آل سعود –وفق روايات بعض المؤرخين-، وقد أورد هذا التاريخ «منير البديوي» في كتابه (المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود).

ووصف المستشرق الإنجليزي «عبدالله فيلبي» الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم»، قائلا: «كان الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم رجلا وقورا، ضخم الجثة مهيب الطلعة، له لحية بيضاء طويلة، وهو شيخ في منظره فتى في نشاطه، قوي في إرادته وأحكامه، مهيب في مجلسه حكيم في تصرفاته»، فيما ذكر «محيي الدين رضا» في كتابه (رحلتي إلى الحجاز) عام ١٣٥٣هـ «إذا دخلت على الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم رأيت رجلا في الستين من عمره، تبدو عليه إمارات الصلاح والتقوى، يغض البصر ويهبط بوجهه إلى الأرض، نحيف الجسم طويل اللحية، استولى البياض على شعراتها، فزاده وقارا وهيبة»، أما تعليمه وثقافته فقد كان محبا للأدب والثقافة، كما كان ملما بأحكام الشريعة الإسلامية، ويعد من مثقفي زمانه، فقد وعت ذاكرته كل ما درسه وما تلقاه على يد مشايخه في الرياض والأفلاج، إلى أن تولى زمام الأمور في إمارة المدينة المنورة فجعل من داره محفلاً من محافل الأدب والثقافة يرتاده الأدباء والمفكرون، وإن ما خاضه وأنجزه يدل على صفاته وميزاته، حيث أهله ذلك لأن يكون من مشاهير رجال الملك عبدالعزيز، ومن نخبة موظفيه، ولذا قال عنه «محيي الدين رضا» من كتابه أنف الذكر بأنه: «حلو الحديث إذا حدثك بالشؤون الدينية وإقامة الحدود، ويعجبك بسعة اطلاعه وغزير علمه، فهو يكلمك بنظام وترتيب في الحدود والفروض مرجعاً كل شيء إلى أصوله، يعنى بالزوار ويشدد على وجوب العناية براحتهم، وهو ملم بحوادث العالم العربي».

تولى مسؤوليات إدارة شؤون المدينة والطائف وعسير وكان قريباً من الناس ومحباً للعلم وأهله

خاتم ابن رشيد الخاص

وعقب أحداث حائل كان للأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم» دور بارز في توحيد الكلمة، وقد تجددت علاقة أسرة «آل إبراهيم» بالأسرة السعودية الحاكمة، حيث كان عبدالعزيز بن إبراهيم محل ثقة الملك عبدالعزيز، واختاره لمهام عديدة، ومن الشواهد الدالة على الثقة الكبيرة التي تمنح له من قبل أولئك الذين عمل معهم قصته مع الأمير «محمد بن طلال الرشيد» –رحمه الله-، حيث لم يكتف بأن أرسله مندوبا عند مقابلته السلطان عبدالعزيز، والتباحث معه حول شروط توحيد البلاد والكلمة، بل إنّ الأمير «محمد بن طلال» أعطى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم خاتمه الذي يوقع به المعاملات الرسمية، وقد أظهر هذا الموقف للسلطان عبدالعزيز مدى الثقة التي يضعها الأمير «محمد بن طلال» في «ابن إبراهيم»، حتى إنه أعطاه خاتمه وفوضه بالتوقيع نيابة عنه فيما يراه في صالحهم، وقد كان هذا الموقف نقطة تحول في حياة الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم»، حيث أعجب السلطان «عبدالعزيز بن سعود» به بعد هذه المهمة.

ثقة المؤسس

مكث «ابن إبراهيم» في (الرياض) بعد عودته من (حائل)، وفي عام ١٣٤١هـ أمره الملك بالتوجه إلى (عسير) ليعمل أميراً هناك، وكان أيضا من الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في رحلته التاريخية إلى مكة المكرمة، وقبل أن يتوجه الملك من ميقات الإحرام إلى مكة أرسل يستدعي «عبدالعزيز بن إبراهيم»، حيث أمره بعدم الإحرام وعينه أميرا على الطائف في عام ١٣٤٣هـ، وبعدها عينه وكيلاً لإمارة المدينة المنورة في سنة ١٣٤٦هـ، وكان أميرها الرسمي الأمير «محمد بن عبدالعزيز آل سعود»، وفي الثالث من صفر ١٣٥٥هـ تم تعيين الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم» عضواً بمجلس الوكلاء، الذي كان يقوم مكان مجلس الوزراء الحالي، إلا أنّ أطول فترة قضاها كانت في إمارة المدينة المنورة، حيث استمر هناك ما يقارب من عشر سنوات، وكانت هذه الفترة قمة نضجه السياسي والإداري، فالإنجازات الأمنية والاجتماعية التي تحققت خلال فترة إمارته، هي التي أظهرت قدرة ومكانة «عبدالعزيز بن إبراهيم»، الذي استحق بجدارة أن يكون شاهداً على حسن اختيار الملك عبدالعزيز لمعاونيه كما روى ذلك بعض الذين تناولوا سيرته.



عبدالعزيز بن إبراهيم



كان عبدالعزيز بن إبراهيم محل ثقة الملك عبدالعزيز

إمارة عسير

حين كان الملك عبدالعزيز يحاول ضم منطقة (عسير) وما حولها، كان «عبدالعزيز بن إبراهيم» يراقب الأحداث ويعيشها لحظة بلحظة، ولكن لم يخطر بباله أنه سيكون ذلك الرجل الذي سينتدبه السلطان أميراً على عسير، مكلفاً بضرورة المسارعة لاستتباب الأمن هناك، وما هي إلا أيام حتى نفذ «ابن إبراهيم» توجيهات الملك، واستعد للرحيل لاستلام زمام الأمور هناك، وكان «ابن إبراهيم» قد طلب –قبل مغادرته الرياض– من الملك عبدالعزيز، أن يسمح له بالعودة إلى (الرياض) بعد إنهاء مهمته، فكان الردّ بابتسامة تنم عن حسن التعامل الذي اشتهر به، فعلى إثر وفاة الأمير «ابن عفيصان»، أصدر الملك عبدالعزيز أمره بتعيين عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً على (عسير)، وكتب إلى الشيخ «عبدالوهاب أبو ملحة» في ١٠ شوال عام ١٣٤١هـ، يخبره باختيار «عبدالعزيز بن إبراهيم» للإمارة، وأوصاه بما يلزم في جميع الأمور، وقد صاحب هذا الفراغ توتر أمني في المنطقة قبيل وصول «ابن إبراهيم»، حيث تسلم مهام الإمارة وبدأ الناس يتوافدون إليه ويشتكون من انعدام الأمن في بعض النواحي، إذ كان عليه القيام بإصلاحات تعيد للناس أمنهم، وتهدئ من روعهم، حيث أسند إليه السلطان عبدالعزيز العديد من المهام، إضافة إلى إنقاذ (عسير) من الفتن وصرف اهتمام الناس إلى ما ينفعهم، وقد ذكر «د. محمد بن زلفة» في كتابه (عسير في عهد الملك عبدالعزيز): «لقد مرّ على هذه المنطقة عدة أمراء وقادة، ولم تحسم الأمور إلا في عهد الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم، الذي أثر تحقيق هذا الإنجاز دون إراقة دماء، وذلك باتباع السياسة والدهاء».

أول أمير للطائف

كان تعيين «ابن إبراهيم» أميراً على (الطائف) في يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ بعد فترة قصيرة من دخول الشريف «خالد بن لؤي» و«سلطان بن بجاد» -رحمهما الله- هذه المدينة، وهذا يعني أنّ «ابن إبراهيم» أول أمير لـ(الطائف) في عهد الدولة السعودية الثالثة -وفقا لما ذكره «إبراهيم بن محمد الزايد» في ترجمته لعبدالعزيز آل إبراهيم-، حيث كانت مسؤوليات «ابن إبراهيم» وهو يتسلم إمارة الطائف - تشمل جميع القبائل المحيطة بـ(الطائف) حتى بلاد «زهران» و«غامد» جنوبا، ولا شك أنّ طبيعة مهمته بالطائف تتناسب في واقع الأمر مع تجاربه وخبراته السابقة، ولذا فقد عمل هناك على ثلاثة محاور اشتملت على توطيد الأمن في البلدة، وفي كل القبائل التابعة لها، وقيادة الحملات العسكرية وإرسال المندوبين لإخضاع القبائل المجاورة، ومكث «عبدالعزيز بن إبراهيم» أميراً على (الطائف) أكثر من ثلاث سنوات، وقد حقق من خلالها ما كان يرمي إليه السلطان عبدالعزيز من وراء تعيينه أميرا عليها، حيث سعى إلى توطيد الأمن ومكافحة الجريمة.

عضو مجلس الوكلاء

تولى الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم» زمام إدارة الأمور في إمارة المدينة المنورة في العاشر من ربيع الأول سنة ١٣٤٦هـ، وحينها كانت خبرته السياسية والإدارية والأمنية مسبوقة بتجربتين مميزتين، بذل خلالهما الكثير من الجهود، وأنجز العديد من المهام، حيث أشار «د. عبدالباسط بدر» في كتابه (التاريخ الشامل للمدينة المنورة) قائلا: «عندما ظهرت الحاجة إلى من يدير أمور المدينة، ويهتم بمتابعة الجانب الأمني بين القبائل، أصدر الملك مرسوماً بتعيين ابن إبراهيم في منصب وكيل الأمير، وعين ياسين الرواف وكيل الحكومة في دمشق سابقا، معاونا له»، وبعد تشكيل الإدارات الحكومية الجديدة التي جاء بها العهد السعودي، سعت إدارة «ابن إبراهيم» في مواصلة العمل على شيوع الطمأنينة والأمن والاستقرار، وفعلاً تحقق لها ذلك حيث يعود الفضل -بعد فضل الله سبحانه- إلى تعاون أهالي وقبائل وسكان المدينة النبوية مع الإدارة الجديدة، كما كان ذلك في منطقة (عسير) ومدينة (الطائف) اللتين ساهم فيها الأهالي وبشكل كبير في تحقيق ربوع الأمن والاستقرار هناك، وقد أمضى «ابن إبراهيم» قرابة عشر سنوات في المدينة المنورة، ولما تقدمت به السن اشتد عليه المرض فطلب من الملك عبدالعزيز إعفاءه من منصبه فاستجاب له الملك -وفقاً لما ذكره «عبدالباسط بدر» في (التاريخ الشامل للمدينة)-، وبعد استقالته من إمارة المدينة المنورة أصدر الملك عبدالعزيز قراراً بتعيينه عضواً في مجلس الوكلاء، الذي كان مكانه العاصمة المقدسة برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز.

مسمى البلاد

كان الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم» من أولئك الذين رفعوا للملك عبدالعزيز بمقترح التسمية الجديدة للمملكة، حيث استبدال مسمى «مملكة الحجاز ونجد» إلى «المملكة العربية السعودية»، كما رفع للملك خطاب أعيان المدينة المنورة حيال المقترح نفسه -وفقا لما ذكره «الريحاني»-، كما نشرته صحيفة أم القرى في عددها رقم (٤٠٧) بتاريخ ٢٩-٥-١٤٥١هـ، وكان أهالي (مكة المكرمة) و(جدة) و(الطائف) قد رفعوا برقية مماثلة حول الموضوع نفسه، حيث المسمى الجديد للبلاد ونظام الحكم، وذلك باجتماعهم الشهير بمدينة الطائف.

تشجيعه للعلم ورجاله

اشتهر «ابن إبراهيم» بحبه للأدب وتشجيعه للأدباء والمثقفين، وأشاد أكثر المؤرخين والذين كتبوا عنه بمجالسه الأدبية حيث قال «عبدالقدوس الأنصاري» مشيداً به: «كان يحمل صدر هذا الأمير من حفاوة واهتمام بتقدم الحركة الأدبية الحديثة، حيث كان مجلسه يتحول في المساء إلى ندوة ثقافية، تعطرها أحاديث الأدب وقصص التاريخ التي كانت تجذب اهتمام الأمير»، ويحكى عن ذكائه: «أنّ سارقاً اتهم بسرقة كبيرة، ولم يتضح من بين مجموعة من الناس، فعمد إلى حيلة طريفة، حيث طلى العمود بصبغ طريّ، وأحضر المتهمين، وعلى كل واحد أن يلمسه بيده، فمن كان بريئاً لن يمسه أذى، ومن كان سارقاً سوف تمسكه الكهرباء، ومرّ الجميع علي العمود الحديدي، وبعد أن رأى أيديهم وجد أنّ واحدا ليس عليه صبغ من العمود، فهو لم يلمسه خوفا من عدم إفلاته منه، وبعد التحقيق معه اعترف بالسرقة».

وفاته

عندما تقدم الأمير «عبدالعزيز بن إبراهيم» باستقالته من عمله في (المدينة المنورة)، كان المرض قد تسلل إلى جسده، وبدأ -رحمه الله- يشعر باشتداد المرض عليه، فقرر السفر إلى (مصر) للعلاج، غير أنّه توفي في شهر رجب عام ١٣٦٥هـ، الموافق عام ١٩٤٦م، وقد ذكر هذا التاريخ الشيخ «حمد الجاسر» والأستاذ «عبدالله العلي الزامل»، وكان عمره حينها قد ناهز (٦٨) عاماً رحمه الله رحمة واسعة.



إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم حل مكان والده وحظي بثقة ولاة الأمر



عبدالعزيز بن إبراهيم بين ابن سعود وابن رشيد وعن يمينه طلعت حرب باشا



توفي ابن إبراهيم بعد استقالته من منصب وكيل إمارة المدينة المنورة



استطاع ابن إبراهيم إعادة الأمن إلى عسير بعد تولي إمارتها

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

واكب مرحلة التأسيس ووثق الأحداث التاريخية بمذكرات يومية وألف مجموعة من الكتب العلمية

حسين باسلامة.. مؤرخ الحرمين



■ كان الشيخ "حسين عبدالله باسلامة" أحد أبرز أدباء ومؤرخي القرن الماضي، وشاهد على مرحلة التأسيس وراصد للأحداث اليومية قبل نحو (٩٠) عاماً، وتولى عدداً من المناصب والمسؤوليات ابتداها بالتدريس، ومن ثم تولى مسؤوليات إدارية، ومهمات رسمية، وعينه الملك عبدالعزيز عضواً في مجلس الشورى، كما كانت عضويته أيضاً في اللجنة التي شكلت لوضع التعليمات الأساسية، وعيّن أيضاً عضواً في المجلس التشكيلي الذي شكل بجدة لترتيب دوائر الحكومة السعودية، وعضواً في لجنة الحج، وزيادة على ذلك فإنّ للشيخ باسلامة مجموعة من المؤلفات العلمية التي استفاد منها الكثير من طلاب العلم، حيث إنّه درس شيئاً من الأدب والشعر، مثل (الكامل) لـ"المبرد"، و(ديوان الحماسة) و(أدب الكاتب) لـ"ابن قتيبة"، و(ديوان المتنبي)، و(أمالي القالي)، و(مقامات الحريري)، وغيرها من الكتب والمؤلفات، وقرأ الحديث، والفقه، والتفسير، والعربية، وشد الرحال إلى (مصر) و(سورية) لمرات عديدة، واجتمع بكثير من العلماء، كما اجتمع بعدد من العلماء الذين كانوا يفدون إلى (مكة المكرمة) بقصد أداء فريضة الحج، وباحث معهم، وناظر، واستفاد وأفاد وأخذ عن كثير منهم شتى العلوم والفنون والمعارف.

جدير بالذكر أن الشيخ حسين عبدالله باسلامة قام بتدوين ورصد أحداث واكبت مرحلة التأسيس على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، وهي عبارة عن مذكرات صغيرة في كراسة يومية، جمعها نجله "د. عبدالله بن حسين باسلامة".

اختاره المؤسس عضواً في المجلس التأسيسي للحكومة وعيّنه عضواً في «الشورى»



كان الشيخ من شواهد تأسيس المملكة وأرخ وكتب عن المرحلة



الشيخ حسين باسلامة



ساعة الملك عبدالعزيز التي ورد ذكرها في إهداء الشيخ باسلامة

النشأة والتعليم

ولد الشيخ "حسين بن عبدالله بن محمد باسلامة آل باداس الكندي الحضرمي المكي" بمكة المكرمة في غرة شهر صفر عام ١٢٩٩هـ، وذلك -وفقاً لما ذكره المؤرخ "محمد بن علي مغربي" في كتابه (أعلام الحجاز)-، الذي ذكر أنّ الشيخ كان قد تعلم على أيدي أساتذة مختلفين في الكتاتيب البسيطة، ثم انتقل مع والده إلى (الطائف)، ودرس سنتين في "المكتب الرّشدي"، وهو المدرسة الابتدائية الرسمية للتعليم في العهد العثماني، ثم قرأ بعض كتب الفقه، ومبادئ التفسير، علي يد الشيخ "يوسف اليماني" -إمام مسجد الهادي بالطائف-، واضطر للانقطاع عن الدراسة لوفاة والده، فاشتغل بالتجارة ليعول نفسه وأسرته، ولكن الرغبة الشديدة في الدراسة لم تنقطع عنه، فجمع بين العمل وطلب العلم كلما أذنت له الفرصة، كما قرأ الفقه الشافعي ومبادئ التفسير على الشيخ "يوسف يماني" -إمام مسجد الهادي-، وقرأ على الشيخ "محمد عبيدالله أفندي- الجغرافيا، والتاريخ، والحساب، والفلك، ولازمه حتى نهاية ١٣٢٣هـ، وأجازه الشيخ "محمد شعيب الدوكالي المغربي"، بعد أن لازمه لمدة خمس سنوات، وقرأ عليه مصطلح الحديث، وعلم الحديث، والتفسير، وأصول الفقه.

ولما حضر الشيخ "الفوتي" لمكة المكرمة درس عليه الحديث، والتراجم، والتاريخ، إلى أن أجازه، ثم لما كان بمكة المكرمة الشيخ "عبدالجليل براده" عام (١٣٢٣-١٣٢٦هـ) درس عليه شيئاً من الأدب والشعر، مثل (الكامل) لـ"المبرد"، و(ديوان الحماسة) و(أدب الكاتب) لـ"ابن قتيبة"، و(ديوان المتنبي)، و(أمالي القالي)، و(مقامات الحريري)، وغيرها من الكتب والمؤلفات، ثم لازم السيد "حسين بن محمد الحبشي" -مفتي الشافعية بمكة المحمية- نحو (١٠) سنين، وقرأ عليه الحديث، والفقه، والتفسير، والعربية، وشد الرحال إلى (مصر) و(سورية) لمرات، واجتمع بكثير من العلماء، كما اجتمع بعدد من العلماء الذين كانوا يفدون إلى (مكة المكرمة) بقصد أداء فريضة الحج، وباحث معهم، وناظر، واستفاد وأفاد وأخذ عن كثير منهم شتى العلوم والفنون والمعارف.

وتعرف أيضاً في أثناء أسفاره أرباب الصحف والمجلات العربية في (الأستانة) و(مصر) و(سورية)، وكتب ونشر في تلك الصحف كثيراً من المقالات الاجتماعية، والعلمية، والسياسية، وتوصل إلى كثير منها، ونشرها في الحجاز في العهد العثماني، كما أنه درس شتى العلوم العصرية، شأنه شأن طلبة العلم المجدين في تحصيل العلوم والفنون والمعارف، وقد توجهت فكرته إلى درس التاريخ الإسلامي من عموم نواحيه درساً دقيقاً، سواء التاريخ القديم أو الحديث - وفقاً لما ذكره المؤرخ "محمد مغربي" -، الذي وصف الشيخ "حسين باسلامة"، قائلاً: "معتدل القامة، حنطي اللون، واسع العينين، كبير الأنف، معتدل الجسم، تزين وجهه لحية غلب البياض فيها على السواد، يرتدي العباءة العربية، ويضع على رأسه عقالاً، وهو صديق حميم للشيخ محمد نصيف، كبير جدة، وقد كتب له ترجمة مسهبة، نشرت كتعريف له في كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام".

مؤلفاته الشيخ

للشيخ "حسين عبدالله باسلامة" مجموعة قيمة من المؤلفات كان في صدارتها كتاب (الجوهر اللمّاع)، جمع فيه حكم الإمام الشافعي -رحمه الله- المنظوم منها والمنثور، وذلك في سنة ١٩٠٨م، وقد طبعه في تلك السنة بمصر، كما ألف كتاباً يتضمن ما وقع بين الأئمة الأربعة من الخلاف في الأوقات التي تكره فيها الصلاة، وأتى فيه بأدلتهم من كتب السنة، ثم ألف كتابا في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وكتاباً في وجوب الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في التشهد الأخير، وكتاباً في تحريم المتعة والرد على من أباحها، وكتابا في معنى كرامة الأولياء، ثم توقف عن تأليف الكتب نحو (١٥) عاماً، ثم شرع في تأليف كتاب (حياة سيد العرب. وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية) وجعله في خمسة أقسام، وكتاب (الإسلام في أعلام الغرب).

ومن مؤلفاته أيضاً (تاريخ عمارة المسجد الحرام) و(تاريخ الكعبة المعظمة)، ذلك الإهداء الذي قدمه إلى الملك عبدالعزيز، وأرفقه بخطاب ذكر فيه: "إن الذي دعاني إلى تقديمهما لجلالتكم هدية هو لأن الله تعالى قد خصكم بخدمة الحرمين الشريفين، وجعلكم حامين حمى بلده الأمين ومدينة نبيه سيد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقد حميتموهما من تعدي المعتدين وقطعتم دار المفسدين، وتظمتم الدوائر، وأمنتم السبل، وأصلحتم الطرق، حتى أصبحت وفود بيت الله الحرام يؤدون مناسكهم في أمان واطمئنان تحت رعاية الله تعالى، ثم رعايتكم، وكنتم أول من أسس دار معمل الكسوة بأم القرى، وكسوتم الكعبة المعظمة بكسوة محاكة بمكة على أحسن منوال، وأبدع تطريز، ولأنكم قمتم بعمارة كل ما وهى وتداعى إلى الخراب بالمسجد الحرام مرات عديدة، وعملتم المظلات بالمسجد الحرام وقاية لوفود بيت الله الحرام، الآوين إليه من كل فج عميق من حر الظهيرة، وأنشأتم السبيلين اللذين هما خارج زمزم، وجعلتموهما سقاية الحاج، وكنتم أول من رصف شارع المسعى بالحجر الصوان، بعد أن كان يتلوث من وحله وغباره كل من يتطوف بين الصفا والمروة من حاج ومعتمر، وأتيتم بأعظم ساعة ضخمة منبهة للمسجد الحرام لم يأت بمثلها أحد قبلكم أو بما يضاهيها، وقد قام جلالتكم بطبع ونشر كثير من كتب السنة، من تفسير، وحديث، وتوحيد، وفقه، ومناسك حج، وتاريخ، وغير ذلك، وشجعتم المصنفين وأعنتموهم ببذل المال على طبع ونشر مؤلفاتهم، بما جعلتموهم مدينين لاحسانكم مدى الزمان".

أما كتاب (الإسلام في أعلام الغرب) فإنّه يشتمل على ما قاله أعلام الغرب من أوروبيين وأميركيين في النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وفي القرآن المجيد، والتشريع الإسلامي، وعمران الإسلام، وكتابه الآخر (تاريخ الكعبة المعظمة) من يوم خلق الله السموات والأرض إلى العصر الحاضر، ويحتوي أيضاً على عمارتها، وكسوتها، وسدانتها، وبيان العمارات التي جرت فيها إلى العصر الحاضر، وجاء هذا التاريخ في (٤٠٠) صفحة من القطع الكبير، وضمنه (٢٧) صورة شمسية، واعتنى بطبعه وإتقانه كما ينبغي، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات، آخرها طبعة الدارة بمناسبة مرور (١٠٠) عام على تأسيس المملكة، أما كتابه (تاريخ عمارة المسجد الحرام)، وهو يحتوي على بيان أصل المسجد الحرام من عهد إبراهيم الخليل -عليه السلام- إلى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وبيان الزيادات الثماني التي زيدت فيه حتى بلغ هذه السعة التي هو عليها اليوم.



لأحد مؤلفات الشيخ حسين باسلامة

كتب الشيخ باسلامة عن مراحل عمارة المسجد الحرام عبر التاريخ

مرجعية للباحثين

وذكر المؤرخ "محمد مغربي" أنّ كتاب (تاريخ عمارة المسجد الحرام) يمكن وصفه بأنّه أول كتاب من نوعه، فهو يتحدث عن صفة المسجد الحرام قبل الإسلام، ثم يتحدث عن الزيادة الأولى التي أحدثها الخليفة الراشد أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"، ثم زيادة أمير المؤمنين "عثمان بن عفان"، فزيادة "عبدالله بن الزبير"، والزيادة الرابعة في عهد "الوليد بن عبدالملك"، فزيادة الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور"، ثم زيادة الخليفة "المهدي"، فزيادات الخلفاء العباسيين: "المعتضد" و"المقتدر"، موضحاً مقدار الزيادات التي زيدت فيها في المسجد الحرام، كما احتوى مؤلفه -رحمه الله- على معلومات هامة عن الخطبة في المسجد الحرام، حيث كان الخلفاء الراشدون وولاة مكة يخطبون قياماً على أقدامهم في المسجد تجاه الكعبة المعظمة، فلما ولي "معاوية بن أبي سفيان" الخلافة وكان جسيماً وضع له منبر صغير ذو ثلاث درجات، قدم به من الشام لما قدم للحج، فكان هو أول من خطب على المنبر في المسجد الحرام، وقد بقي هذا المنبر يخطب عليه الخلفاء كلما قدموا للحج، كما يخطب عليه ولاة مكة إلى أن حج الخليفة "هارون الرشيد"، فخطب على منبر منقوش عظيم، له تسع درجات أهدي إليه من عامله على مصر "موسى بن عيسى" فبقي هذا المنبر في مكة، ونقل منبر معاوية إلى عرفات، ثم أصبح الخلفاء والملوك يتنافسون في إنشاء المنابر العظيمة.

المقامات الأربعة

ومما ورد في كتابه (تاريخ عمارة المسجد الحرام) ذكره للمقامات الأربعة، حيث أنّ هذه المقامات منسوبة إلى المذاهب الأربعة، فلقد كان الناس قبل العهد السعودي يصلون جماعات أربعة، بل كانوا يصلون في بعض العهود خمس جماعات، بعد إضافة جماعة المذهب "الزيدي" -كما وصفه "ابن جبير" في حج ٥٨٨ هـ-، ويتابع المؤلف نقلاً عن "ابن جبير" فأول المقامات من الأئمة للإمام "الشافعي"، وهو يصلي خلف مقام إبراهيم -عليه السلام-، ثم "المالكي" وهو يصلي قبالة الركن اليماني، ثم "الحنفي"، وصلاته مع صلاة "المالكي" في حين واحد، ثم "الحنبلي"، وصلاته مع "المالكي" في حين واحد، وقد بذل الشيخ "باسلامة" جهداً مضنياً في كتابه (عمارة المسجد الحرام) حتى لقد تتبع عدد أساطين الرخام، والدعائم المبنية من الحجر الشمسي، والعقود المطوية، والقباب، وحتى القناديل التي كانت في عهده، وذكر عددها، وأنواعها، وفصل في خامات البناء، وقدّر المسافات، وبذل جهداً جباراً في وصفه لكل ما يحويه المسجد الحرام من بناء ومرافق.



عيّن الشيخ باسلامة عضواً في مجلس الشورى

أما كتابه (تاريخ الكعبة المعظمة) فيذكر المؤرخ "محمد علي مغربي" في (كتابه أعلام الحجاز) أنه مكمل لكتاب (تاريخ عمارة المسجد الحرام) وقد أصدره بعده بعام أو عامين، ثم أعيد طباعته مرة أخرى عام ١٤٠٢هـ، وقد علق "المغربي" على هذا الكتاب، قائلاً: "إنّ الشيخ حسين باسلامة قد سد فراغاً عظيماً بكتابه القيم، وحبذا لو توفر من المؤرخين من يقوم بإكمال ما بدأ به المؤرخ لعمارة المسجد الحرام والكعبة، من منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث تمت العمارة السعودية العظيمة للمسجد الحرام، والترميم للكعبة في السبعينيات والثمانينيات من القرن الثالث عشر"، مشيراً إلى أنّه رأى الشيخ "باسلامة" مع أعضاء مجلس الشورى في جلسة طويلة دعى فيها الشيخ "محمد سرور الصبان" رحمه الله- أعضاء المجلس جميعاً إلى عشاء في بستانه بالطائف، وكانت هذه لجلسة حافلة بالطرائف التي كانت تحفل بها مجالس الأعيان، والأفاضل من المكيين، وكان بعض الحاضرين يلح عليه في الأسئلة، وكان يجيب ببديهة حاضرة، وجرأة، وكان يشاركه تلك الصفة الشيخ "أحمد إبراهيم الغزاوي"، وللمعلومية فإن الشيخ "أحمد الغزاوي" يعد أحد تلاميذ الشيخ "باسلامة"، كما ذكر ذلك "د.عبدالرحمن بن علي الزهراني"، في كتابه (من رجال الشورى).

المناصب التي تقلدها

أول وظيفة باشرها الشيخ "حسين باسلامة" كانت سكرتير مجلس الشيوخ في حكومة الشريف "حسين بن علي" -رحمه الله- في عام ١٣٣٥هـ، كما التحق الشيخ "باسلامة" بالعديد من الوظائف والمناصب التي تقلدها طيلة مسيرته العلمية ومنها: التدريس بالمسجد الحرام، خلال الفترة ١٣٤٥-١٣٤٨هـ، ومُدرساً بالمدرسة الخيرية التي أسسها الشيخ "محمد حسين خياط"، وسكرتيراً لمجلس الشيوخ في العهد العثماني، وعضواً في المجلس التأسيسي في حكومة الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، كما كانت عضويته أيضاً في اللجنة التي شكلت لوضع التعليمات الأساسية، وعضواً في المجلس التشكيلي الذي شكل بجدة لترتيب دوائر الحكومة السعودية، كما عيّن أيضاً عضواً في المجلس الاستشاري، إضافة إلى عضويته في مجلس الشورى عام ١٣٤٥هـ، وعضواً في لجنة الحج، كما انتخب للمرة الثانية عضواً لمجلس الشورى عام ١٣٤٩هـ، وكذلك عضواً بمجلس المعارف عام ١٣٥٥هـ.

يوميات باسلامة

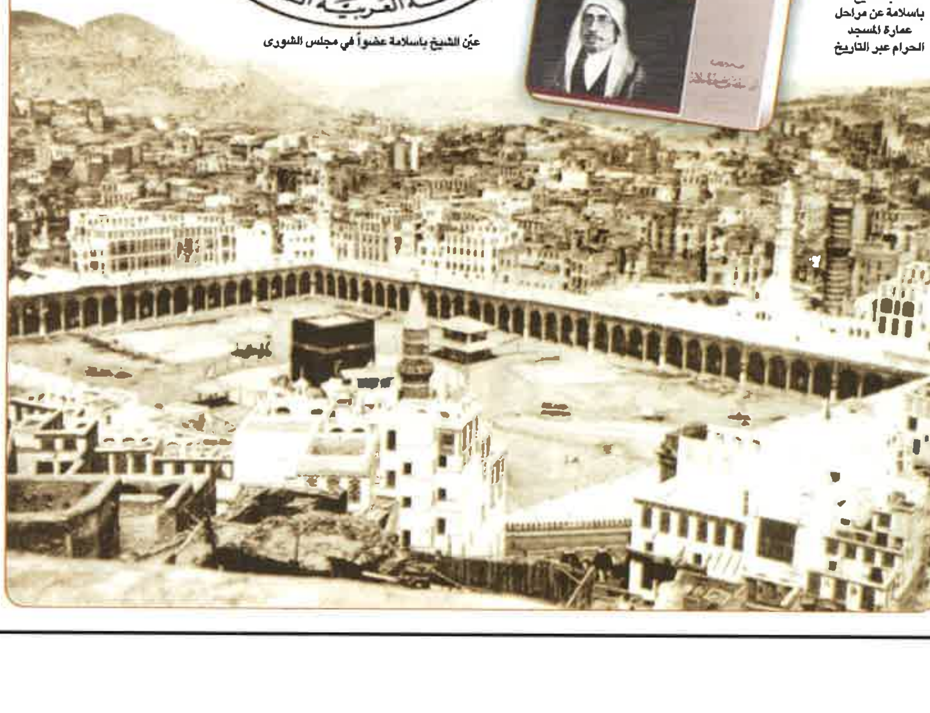
قام الشيخ "حسين عبدالله باسلامة" قبل (٩٠) عاماً بتدوين أحداث تاريخية واكبت توحيد البلاد، وكانت تلك التدوينات بشكل متقطع، بدأها منذ عام ١٩٢٥م، واستمرت لمدة عام تقريباً، كتبها بقلمه متتبعاً مشاهدته اليومية، والتي جاءت على شكل مذكرات صغيرة، وتكمن أهمية هذه المذكرات كونها واكبت مرحلة من أهم مراحل تأسيس المملكة العربية السعودية، وقد جاءت نحو (١٥) صفحة من القطع الصغير في كراسة يومية، ومن تلك هذه المذكرات -على سبيل المثال لا الحصر- قوله:

* في يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة الموافق ٧ يونيو ١٩٢٦م افتتاح المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة بثكنة جياد، الافتتاح الساعة (٢:٢٠) بالقرآن الكريم، ثم خطاب جلالة الملك ابن سعود يتضمن الترحيب بالوفود، وأعطاهم الحرية التامة في الرأي ما عدا الدخول في السياسة، وانتخب الرئيس الشريف "شرف عدنان" بأكثرية الأصوات عدد(٤٤)، ثم الرئيس الثاني السيد "سليمان الندوي"، ثم "ضياء الدين الروسي" عدد(٢٠).

* كما كتب يوم الثلاثاء ١٢ رجب الموافق ٢٦ يناير: "توجهنا من مكة المكرمة إلى جدة على السيارة الساعة (٩:١٥) وصلنا بحرة الساعة (١٠:٣٧)، وقمنا من بحرة الساعة (١١)، ووصلنا جدة الساعة (١٢) تماماً، ثم واجهنا جلالة الملك في بيت "محمد نصيف"، وتعشينا معه، وبعد العشاء أخبرنا أنّ المهمة التي دعينا إليها هي عمل ميزانية مالية الحكومة الحجازية عموماً، ونزلت عند "محمد نصيف".

وفاته

توفي الشيخ "حسين عبدالله باسلامة" -رحمه الله تعالي- في غرة شهر رجب سنة ١٣٥٩هـ بـ(الطائف) تاركاً من المؤلفات والعلوم، وكذلك من الأبناء من يحفظ تاريخه العامر بطلب العلم والاجتهاد، وخدمة الحرمين الشريفين -رحمه الله رحمة واسعة-.



سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

«أمير الجبل» استطاع وأبناء عمومته توطيد الأمن والحفاظ على استقرار البلاد

عبدالله بن رشيد.. رفيق الإمام «فيصل بن تركي»

■ يظل تاريخ الجزيرة العربية في عصره الحديث -لا سيما في القرون الثلاثة المتأخرة- محل اهتمام مجموعة من الباحثين والمؤرخين، الذين تفرغ البعض منهم لدراسة وتدوين الأحداث والأخبار، وسعى من خلال كتاباته للتعريف بالأيام والسنوات المشهورة، في حين أرخ البعض الآخر للوقائع والغزوات والمعارك، كما عكف فريق منهم على تدوين التراجم التي تحكي السير الشخصية لعدد من العلماء والقادة والأمراء، بل تجاوز ذلك إلى تراجم الأدباء والرحالة وكبار الشعراء، وكل هذا -بلا شك- ساهم وبشكل كبير في إثراء الموروث التاريخي، كما ساهم من خلال "طفرة التدوين" إلى تنوع المصادر التي يعود إليها الباحث في تاريخ مجتمعنا المحلي، لا سيما فيما يسميه الأقدمون "علم الرجال" الذي ترجم لعدد كبير من رجال المرحلة، والذين كان من بينهم الأمير والفارس والشاعر "عبدالله بن علي بن رشيد" -أمير منطقة الجبل والساعد الأيمن للإمام فيصل بن تركي-، والذي وصفه "ابن بشر" بأنه: "ذو رأي وشجاعة"، ووصفه "الفاخري" قائلا: "كان صارما مهيبا، أرجف الأعراب بالغارات حتى خافه قريبهم وبعيدهم"، وقال فيه "فالين" الذي أعجب بشخصية "عبدالله" وأخيه "عبيد": "أضف إلى ما تقدم ما ذكره من صفاته الشخصية الفريدة وشجاعته ورجولته وعدله وعلى قسوته أحيانا، والمحافظة على وعده وعهده، لم يعرف عنه أنه نكث وعدا أعطاه".

ساهم أبناء عمومته "آل علي"، في استتباب الأمن والحفاظ على استقرار البلاد، لا سيما في منطقة (الجبل) وما حولها، كسب ثقة الإمام "تركي بن عبدالله"، اختاره على رأس جيشه الذي أرسله للأحساء بقيادة الإمام "فيصل بن تركي بن عبدالله"، وفعلا كان "ابن رشيد" معاونا وساعداً أميناً للإمام "فيصل"، الذي تلقى هو ومن معه في الجيش أخبار مفجعة عن طريق "زويد" -الخادم الخاص بالإمام "تركي بن عبدالله"-، والذي استطاع الهرب من الرياض والوصول إلى الإمام "فيصل بن تركي" وإخباره بمقتل والده الإمام "تركي بن عبدالله"، وهو ما استدعى الإمام "فيصل" أن يوقف حملته في (الأحساء)، ويعقد اجتماعا خاصا مع قادة جيشه، وعلى رأسهم "عبدالله بن رشيد"، الذي وصفه "ابن بشر" بأنه: "ذو رأي وشجاعة"، وحينها أشار الجميع بضرورة العودة إلى "الرياض"، والقبض على قتلة الإمام "تركي بن عبدالله"، وتقديمهم إلى حكم الشرع، وفعلا عاد الجيش واستطاع "عبدالله بن رشيد" أن يقنع الإمام "فيصل" بأن يسمح له بقيادة الهجوم الفدائي، الذي أشرف عليه الإمام "فيصل بن تركي"، والذي من خلاله استتب الأمر له، فعاد للحكم بعد أن ظفر بقتلة والده، وبويع إماماً محله.

اختاره الإمام تركي بن عبدالله على رأس جيشه الذي أرسله للأحساء

نسبه

■ في عام ١٢٠٤هـ ولد الأمير "عبدالله بن علي بن رشيد بن خليل بن عطية من الربع -الربعية- من آل خليل من آل جعفر من عبدة"، سليل إحدى أكبر قبائل شمر التي تتفرع منها عدة بطون، كـ"أسلم" و"سنجارة" و"عبده"، التي منها أبناء العمومة "آل علي" و"آل رشيد"، وتتفرع أسرة "آل رشيد" إلى ثلاثة فروع هم "آل عبدالله" و"آل عبيد" و"آل جبر"، ويلتقي "آل علي" بأبناء عمومتهم "آل رشيد" في الجد الخامس "عطية"، حيث إن "علي" جد "آل علي" و"خليل" جد "آل رشيد" إخوان، و"عطية" من "الربع" من "آل جعفر" من "عبده"، إحدى أكبر قبائل شمر من قبيلة "طيء" العربية، التي تعود إلى "كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان".

مكانة والده لدى الإمام سعود

قال "د.عبدالفتاح أبو علية" في دراسته حول المخطوط التركي (الرحلة الحجازية لسليمان شفيق كمالي) إن "علي" والد الأمير "عبدالله بن رشيد" كان أحد المقربين من الإمام "سعود بن عبدالعزيز" -ثالث حكام الدولة السعودية الأولى-، حيث كان أحد رجاله الثقات، بل عيّنه الإمام سعود جابياً لزكاة البادية في شمال الجزيرة العربية.

وذكر "ضاري الرشيد" أنه كان صاحب ديانة وورع ودين وكرم ولم يكن يؤيد توجه ابنيه "عبدالله" و"عبيد" -رحمهما الله- في خلافهما مع ابن عمهم -أمير الجبل آنذاك- "صالح بن عبدالمحسن آل علي" -رحمه الله-، وكانا رهن أمر والدهما يسمعانه ويطيعانه، وبالتأكيد فإن "علي بن رشيد" لم يحصل على هذه المكانة عند الإمام "سعود" إلا لثقة الأخير به، بل ذكر صاحب المخطوطة التركية (الرحلة الحجازية) أن لـ"علي بن رشيد" أخا يدعى "جبر" عند الإمام "سعود" بـ(الدرعية)، وهو عم الأمير "عبدالله بن علي بن رشيد"، وقد ذكر المؤرخ "ابن بشر" أن "جبر بن رشيد" كان قد انتقل بعد سقوط (الدرعية) إلى (رأس الخيمة) -وفق ما ذكره "ضاري الرشيد في (نبذة تاريخية عن نجد)-.

وبيّن المؤرخ "محمد الزعارير" في (إمارة آل رشيد في حائل): "ويبدو أن جبر كانت له مكانة مرموقة عند سعود بن عبدالعزيز، إذ كان يكرمه إكراما زائدا"، مستشهداً بما ذكره "ابن بشر" حول ما قاله الإمام "سعود" لعماله في الأقاليم: "إذا ورد عليكم كتاب فيه اسمي وهو خط جبر بن رشيد يكون يعمل فيه ولو ما فيه مهر"، ولم يكن هذا إلا دليل على المكانة التي يتمتع بها كل من "علي بن رشيد" و"جبر بن رشيد" عند الإمام "سعود"، لاسيما وأن "ابن بشر" نفسه كان قد ذكر "جبر بن رشيد" مع من وصفهم بـ"أعيان المسلمين".

نسب ومصاهرة

ولم تقف هذه العلاقة على الآباء بل استمرت بين الأبناء، فالأمير "عبدالله بن علي بن رشيد" حين تولى إمارة (الجبل) بأمر من صديقه القديم الإمام "فيصل بن تركي"، اضطر إلى ترك الإمارة مع قدوم قوات "إسماعيل آغا"، من قبل الوالي العثماني في (مصر) "محمد علي باشا"، والسبب يعود لكونه أحد أبرز رجال الإمام "فيصل بن تركي"، ولكن وبعد مدة قصيرة استطاع الأمير "عبدالله بن رشيد" العودة لإمارة منطقة (الجبل)، وذلك مع قدوم قوات "خورشيد باشا"، كما أنه بعد أربع سنوات استقبل بكرم وترحاب عودة الإمام "فيصل بن تركي" إلى نجد قادما من (مصر)، وحينها زوج الإمام "فيصل" ابنته الجوهرة بـ"طلال" ابن صديقه "عبدالله بن رشيد"، كما كان لـ"ابن رشيد" وقفة صادقة مع الإمام "فيصل" في العودة إلى الرياض مرة أخرى.

ويذكر بعض الباحثين أن الأمير "عبدالله" تزوج بـ"الجوهرة" بنت الإمام "تركي بن عبدالله"، كما تزوج "عبدالله" ابن الإمام "فيصل بن تركي" من نورة بنت الأمير "عبدالله بن رشيد"، ثم من بنت ابن عمها "طريفة بنت عبيد بن رشيد"، ولما توفي عنها تزوجها شقيقه "محمد".

إمارة الجبل

سبق تولي الأمير "عبدالله بن رشيد" لإمارة (الجبل) أحداث يجدر بالباحث أن يطلع عليها، إذ مع نزوح بعض بطون "شمر" إلى (العراق) بقيادة شيخها "مطلق الجربا" -رحمه الله- عام ١٢٠٥م -وفقا لما ذكره "ابن غنام" في (تاريخ نجد)، وما ذكره "الفاخري" في (الأخبار النجدية)-، وعيّن الإمام "عبدالعزيز بن محمد بن سعود" الأمير "محمد بن عبدالمحسن بن فايز آل علي" أميراً على (الجبل) -وفقا لما ذكره "راشد بن علي الحنبلي" في (مثير الوجد في أنساب ملوك نجد)-، إلى أن قتل الأمير "محمد بن عبدالمحسن" -رحمه الله- أثناء حروبه مع قوات "إبراهيم باشا" عام ١٢٣٤هـ، وتولى بعده الأمير "صالح بن عبدالمحسن آل علي" في عهد الإمام "تركي بن عبدالله" -كما أورد ذلك "ابن بشر"-، ثم تولى الأمير "عيسى بن علي"، وكان الأمير "عبدالله بن علي بن رشيد" وأخوه "عبيد" قد تربيا مع "عيسى" ابن الأمير "محمد بن عبدالمحسن"، بل وتزوج الأمير "عبدالله بن رشيد" من ابنة الأمير "محمد بن عبدالمحسن" -وفقا لرواية "ضاري الرشيد"-.

وبعد أن أثبت الأمير "عبدالله" شجاعته في صد إحدى الهجمات التي تعرضت لها إمارة (الجبل) في عهد ابن عمه "صالح بن عبدالمحسن آل علي"، انحدر هو وأخوه "عبيد" إلى (العراق) -أثناء ولاية "داود باشا"- بعد أحداث يطول شرحها، حيث نزلا عند الشيخ "صفوق الجربا"، وكان الوالي العثماني لـ(العراق) "داود باشا" قد أهدى الأمير "عبدالله بن رشيد" غزالا من ذهب؛ نظير جهوده وبطولاته التي قاد فيها بعض الجيوش هناك، والتي حصل "داود باشا" من خلالها على حصيلة كبيرة من الغنائم، وقد أهدى "ابن رشيد" هذا الغزال للإمام "تركي بن عبدالله" عند عودته إلى (الرياض)، -كما ذكر "سليمان بن صالح الدخيل" في مخطوطه (القول السديد في أخبار إمارة الرشيد)، ومع "عودة عبدالله بن رشيد" إلى (الرياض) حظي بتكريم من الإمام "تركي بن عبدالله".

حصار الرياض

بعد التكريم الذي أبداه الإمام "تركي بن عبدالله" لـ"عبدالله بن رشيد" حرص الإمام "تركي" على تعيين "ابن رشيد" على رأس الجيش المتوجه إلى (الأحساء) و(القطيف) -كما ذكر "سليمان الدخيل" في كتابه (تحفة الألباء في تاريخ الأحساء)-، وكان الجيش تحت إمرة الإمام "فيصل ابن الإمام تركي بن عبدالله"، وفعلاً كان "ابن رشيد" معاونا وساعداً أميناً للإمام "فيصل"، الذي تلقى هو ومن معه في الجيش أخباراً مفجعة عن طريق "زويد" -الخادم الخاص بالإمام "تركي بن عبدالله"-، والذي استطاع الهرب من الرياض والوصول إلى الإمام "فيصل بن تركي" وإخباره بمقتل والده الإمام "تركي بن عبدالله"، وهو ما استدعى الإمام "فيصل" أن يوقف حملته في (الأحساء)، ويعقد اجتماعا خاصا مع قادة جيشه، وعلى رأسهم "عبدالله بن رشيد"، الذي وصفه "ابن بشر" بأنه: "ذو رأي وشجاعة"، وحينها أشار الجميع بضرورة العودة إلى "الرياض"، والقبض على قتلة الإمام "تركي بن عبدالله"، وتقديمهم إلى حكم الشرع، وفعلا عاد الجيش واستطاع "عبدالله بن رشيد" أن يقنع الإمام "فيصل" بأن يسمح له بقيادة الهجوم الفدائي، الذي أشرف عليه الإمام "فيصل بن تركي"، والذي من خلاله استتب الأمر له، فعاد للحكم بعد أن ظفر بقتلة والده، وبويع إماما محله.



اهتم المؤرخون كثيراً بتفاصيل الحوار بين الإمام فيصل وابن رشيد قبل اقتحام المصمك

حوار الحصار

تناول المؤرخون بأهمية بالغة الحوار الذي دار بين الإمام "فيصل بن تركي" والأمير "عبدالله بن رشيد"، وقد ذكر "ضاري الرشيد" في (نبذة تاريخية عن نجد)، هذا الحوار بالتفصيل، لا سيما وقد دل هذا الحديث المتبادل على متانة وعمق العلاقة بين الاثنين، حيث طلب "ابن رشيد" من الإمام "فيصل" أن يسمح له بتسلق أسوار (المصمك) مع بعض رجاله، لكن الإمام "فيصل" رفض أن يخاطر برفيق دربه، ولم يسمح له بذلك، بل قال له: "أنت رجل عزيز علي، وهو خطرية، ولا يسمح بالي أنك خطرية، والمسألة تبقى تهون على طول، لأن المحصور أضيق صدراً من الحاصر، والطالب أسبق من المطلوب"، فكان رد "ابن رشيد" أن قال: "أنا باذل نفسي بالذي فيه لك مصلحة وراحة للمسلمين، وإن شاء الله إنها تأتي بالتباشير"، وفعلاً تم اقتحام (المصمك)، وكان لـ"عبدالله بن رشيد" دور فاعل ومهم في نصرة زميله ورفيق دربه الإمام "فيصل بن تركي".

وكان "ابن رشيد" قد استأذن الإمام "فيصل بن تركي" في مفاوضة "سويد" -أمير جلاجل-، الذي وجده "ابن رشيد" في القصر المحاصر، وكانت بينهما صحبة سابقة، فما كان من الإمام "فيصل" إلا أن قال لـ"ابن رشيد": "أنت رجل عندي ثقة افعل ما ترى"، وفعلاً تم الاتفاق مع "ابن سويد"، فكان الحال -كما وصفه "ابن بشر"- بقوله "فأتوا إلى القصر وحزموا لهم الحبال فصعدوا إليهم، وهم أربعون من الرجال، مع الليث الشجاع والصارم القطاع عبدالله بن رشيد"، وفعلا اشتبك "عبدالله بن رشيد" بالخادم "حمزة" وهو أحد رجال القصر المتمرسين لشؤون القتال، ودار بين الاثنين عراك طويل، استطاع الخادم "حمزة" أن يصيب "ابن رشيد" بقطع غائر في يده، بيد أن العراك انتهى أخيراً بقتل "حمزة"، وكان الأمير "عبدالله بن رشيد" قد عبر عن هذه الخطر الذي تعرض له بأبيات من الشعر أوردها "شليويح العتيبي" في (نجد في العصور العامية)، وذلك حينما قال "ابن رشيد" يصف ما مر به أثناء اقتحام القصر:

شهودي بجلدي والعدو به بداله
والناس تدري بالجدايد والأسماك

وبالمناسبة فإن هذه القصيدة قيلت في عام ١٢٦١هـ -أي بعد هذه الأحداث بمدة-، ومناسبتها أن جيشاً للأمير "عبدالله" غزا بعض الأقاليم بقيادة أخيه "عبيد" وابنه "طلال"، ولما علم الإمام "فيصل بن تركي" غضب وأرسل لـ"ابن رشيد" يطلبه تفسير ما حدث، فما كان من "ابن رشيد" إلا أن أرسل مراسيله ومعهم هذه القصيدة، معتذرا وموضحا للإمام "فيصل" أن الطرف الآخر استولى على إبل له وطالبهم ردها، لكنهم لم يستجيبوا له، فاضطر إلى غزوهم واستشهد برجلين كان الإمام "فيصل" قد أرسلهما للوساطة في الأمر، وهما "فرحان" و"ابن سبيت" حيث يقول "ابن رشيد":

يوم الخطوط الفت وهو ما قراله
جاه المقري والحق الأول التال
ولا يطيع اللي بنصح حكا له
فرحان وابن سبيت ما القى لهم بال

ثم يوضح في آخر القصيدة صدق ولائه لصديقه الإمام "فيصل"، وأنه أول من يغزو أعداء الإمام، حتى لو كانوا أصدقاءه المقربين:

ومن خالف أمرك لو صديق فانا له
سم وطاعون على الكبد واسلال

العودة لحائل

في أوائل عام ١٢٥١هـ تم عزل الأمير "صالح بن عبدالمحسن آل علي" -رحمه الله- من إمارة (الجبل)، وعين مكانه "عبدالله بن رشيد"، وقد اختلف المؤرخون في الأسباب التي من أجلها تم عزل الأمير "صالح بن عبدالمحسن" رغم سيرته المحمودة، فمنهم من يرى أنّ عزله كان باتفاق بعض أهالي الجبل على ذلك لخلافات حدثت بين الأمير صالح وبعض الأعيان هناك، وفعلا استتب الأمر أخيرا للأمير "عبدالله بن رشيد" الذي كتب للإمام "فيصل" يشرح له حقيقة ما جرى، ثم أقره الإمام "فيصل بن تركي" على الإمارة، في حين أنّ هناك من يرى أنّ ذلك كان بقرار مباشر من الإمام "فيصل بن تركي"، الذي أراد بذلك مكافأة "عبدالله بن رشيد" بعد مواقفه السابقة والشجاعة معه.

لم تمر سنة على ولاية "عبدالله بن رشيد" على (الجبل) حتى جاءت جيوش "محمد علي باشا" مرة أخرى لاستعادة أقاليم (نجد) و(الأحساء) من حكم الإمام "فيصل بن تركي"، وذلك بقيادة "إسماعيل آغا" في عام ١٢٥٢هـ، وفعلا دخل "إسماعيل آغا" (الرياض) في السابع من شهر صفر عام ١٢٥٣هـ، وأعاد الأمير "عيسى بن علي" أميراً على (الجبل)، وكان "عبدالله بن رشيد" حين علم بقدوم عسكر الباشا خرج إلى (جبة)، ومنها إلى (قفار)، وهناك قال قصيدته الشهيرة:

قل هيه يالي لي من الناس وداد
ما ترحمون الحال يا عزوتي له

ونسب بعضهم إليها البيت الشهير:

لا صار ما مر يزغرد بالأكباد
ترى الموصي يسفه اللي موصيه

على أنّ البعض يرى أنه قال هذه القصيدة في خروجه الأول من (حائل) متجها لـ(لعراق)، مرورا بـ(جبة) ثم (الجوف).

ساق الذيب

استمر ابن رشيد في قفار إلى أن قدم "خورشيد" باشا مرسل من والي (مصر) "محمد علي باشا"، فما كان من "ابن رشيد"، إلا أن قابل الباشا الجديد في (المستجدة) -جنوب غرب حائل-، وقيل في (المدينة المنورة)، ودار بينهما نقاش طويل وتقديم للهدايا؛ مما دعا "خورشيد" أن يعيد "ابن رشيد" إلى (حائل)، حيث أرسل معه عساكر بقيادة الآغا "ساق الذيب" -كما تسميه بادية نجد-، وفي ذلك قال ابن رشيد:

ياشارح اركب فوق عوج المصاليب
فليا ركبته قدم الحمد لله
ابشر بساق الذيب جابه لك الذيب
حر جلي عمره على الترك واهداه

كان ذلك بعد خروج الأمير "عيسى" إلى (المدينة المنورة)، وحينها كتب "خورشيد" إلى "محمد علي باشا" في (مصر) ما نصه: "وقبل مدة قدم علينا ابن رشيد، وهو الشيخ الكبير المسموع الكلمة بين عربان جبل شمر"، ومع دخول "خورشيد باشا" إلى (نجد) عام ١٢٥٣هـ إلى خروجه منها عام ١٢٥٦هـ، مرت المنطقة بأحداث متواترة، وتقلبات بين القوى المؤيدة لوجوده والمناوئة له، وإلى عام ١٢٥٤هـ تم إجلاء الإمام "فيصل" إلى (مصر)، وبعدها خرج "الباشا" من (نجد) عام ١٢٥٦هـ، وطيلة هذه المدة استمر الأمير "عبدالله بن علي الرشيد" على علاقاته الطيبة مع كل من "خالد بن سعود"، الذي عينه الباشا حاكما بدلاً من الإمام "فيصل بن تركي"، وكذلك مع "عبدالله بن ثنيان" الذي رفض حكم "خالد بن سعود"، كما استطاع "ابن رشيد" أن يوسع حدود إمارته، ويسعى لإحلال الأمن والأمان في ربوع تلك البلاد التي دانت له، وفعلا تحقق له ذلك، حتى إن "الفاخري" وصفه قائلا: "كان صارماً مهيبا، أرجف الأعراب بالغارات حتى خافه قريبهم وبعيدهم".

عودة الإمام فيصل

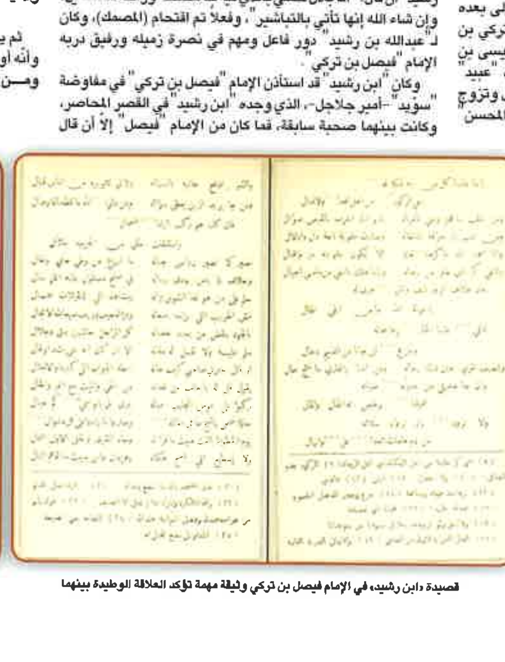
كان "ابن رشيد" يترقب ويتحرى أخبار صديقه القديم الإمام "فيصل بن تركي" وهو في (مصر)، حيث كان صدق الوعد والحفاظ على العهد من أبرز صفاته التي سجلها عنه، فهذا "فالين" الذي أعجب بشخصية "عبدالله" وأخيه "عبيد" لاسيما حين قال -وهو يصف "عبدالله"-: "أضف إلى ما تقدم ما ذكره من صفاته الشخصية الفريدة وشجاعته ورجولته وعدله وعلى قسوته أحيانا، والمحافظة على وعده وعهده، لم يعرف عنه أنه نكث وعدا أعطاه"، ثم راح "فالين" يصف ما كان عليه أمير (الجبل) من الكرم والسخاء، وكان (ابن رشيد) قد تلقى خبر استعداد قوات "خورشيد باشا" للجلاء من الجزيرة العربية بفرحة عارمة، فعلى الرغم من أنه استطاع أن يحتوي هذا القائد التركي ويسايره، إلا أنه أبدا لم يكن ليعينه على صديقه القديم الإمام "فيصل بن تركي"، بل لقد سارع إلى مساعدة "خورشيد" للرحيل إلى (مصر)، حيث قدم له (٧٠٠) من الجمال، و(٢٠٠) مطية -كما ذكر "ابن بشر"-، وفعلا برحيل "خورشيد" وهزيمة "محمد علي باشا" أمام قوات الخليفة العثماني والحلفاء، والتي بموجبها أجبر الباشا على سحب قواته من الجزيرة والشام وكافة المناطق التي سيطر عليها، على أن تبقى ولاية (مصر) له ولعقبه، ومن خلال هذه الأحداث استطاع الإمام "فيصل بن تركي" أن يعود إلى (نجد)، وفي طريق عودته نزل برفيق دربه القديم الأمير "عبدالله بن رشيد" ويصف لنا "ابن بشر" هذا اللقاء قائلا: "وأرسلوا إلى عبدالله بن علي بن رشيد يخبرونه بمجيئهم، فالتقاهم بالرجال والرحائل، ودخلوا بلدة حائل، فقابلهم بالتكريم والإكرام وعظمهم غاية الإعظام، وقال ابشروا بالمال والرجال، والمسير معكم والقتال".

وفاته

فعلاً استطاع الإمام "فيصل بن تركي" أن يستعيد حكمه في كل من (نجد) و(الأحساء)، ووقف معه صديقة الأمير "عبدالله بن رشيد" الذي استمر أميراً على منطقة (الجبل)، وإلى يوم الجمعة في جماد الأولى من عام ١٢٦٣هـ، توفي الأمير "عبدالله بن رشيد" بعد حياة حافلة بالأحداث وقيادة الجيوش، والتي استطاع من خلالها وبدعم مباشر من صديقه القديم الإمام "فيصل بن تركي" أن يساهم كما ساهم أبناء عمومته "آل علي"، في استتباب الأمن والحفاظ على استقرار البلاد، لا سيما في منطقة (الجبل) وما حولها، وكان قد ترك من الأبناء "طلال" و"محمد" من زوجته "منيرة الجبر"، و"متعب" من زوجته "سلمى العلي"، وكان عمره حين وفاته يناهز (٦٤) عاماً -رحمه الله رحمة واسعة-.



توطيد أمن وإستقرار الدولة بقوة السيف وهيبة الحاكم



قصيدة «ابن رشيد» في الإمام فيصل بن تركي وثيقة مهمة تؤكد العلاقة الوطيدة بينهما

مستشار المؤسس وأحد الأوائل الذين أُوفدوا إلى الخارج في مهمات سياسية..

حافظ وهبة.. أول سفير للمملكة في بريطانيا

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يعدّ "حافظ وهبة" أحد أبرز سفراء ومستشاري الملك عبدالعزيز -رحمهما الله-، عمل في الدولة منذ بدايات تأسيسها، وتنقل من بلد إلى آخر، عمل صحافياً في بداية حياته في "الحزب الوطني بالقاهرة"، وغادر (مصر) إلى (تركيا)، ومن ثم ارتحل إلى (الهند)، وقام بنشاط سياسي فيها، بعدها توجه إلى الخليج، حيث نزل في (الكويت)، وتوطدت الصداقة بينه وبين شيوخها وأمرائها، إلى أن استقر به المقام في ديوان الملك عبدالعزيز، فأوكل إليه العديد من المهام وكلفه بأمور تنظيمية ودبلوماسية عديدة، وكان مصدر ثقة ومحل أمان عند الملك المؤسس والأسرة الحاكمة.

نال الشيخ ثقة الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فقام بتعيينه في عدة مناصب، حيث كان مستشاراً للملك في الشؤون الخارجية عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٥م، ومساعداً للنائب العام الأمير فيصل عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م، وعيّن مديراً للمعارف عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م، ثم وزيراً مفوضاً لدى (المملكة المتحدة) عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م، بعد ذلك عيّن وزيراً مفوضاً في (هولندا) عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م)، ثم سفيراً لدى (المملكة المتحدة) عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٨م، ومثّل حكومة المملكة في (لندن) لـ"مؤتمر البريد الدولي" عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٩م، وهي الدولة التي نفته حكومتها من بلاده عند احتلالها لبعض الدول العربية، ليصبح رسميًا أول سفير سعودي في (بريطانيا)، كما ترأس وفد المملكة للقاء وزير الخارجية العراقي للتمهيد لعقد مؤتمر (لوبن) في الكويت عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م، إضافة إلى عضويته في وفد المملكة مع الأمير فيصل بن عبدالعزيز -وزير الخارجية آنذاك- لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٣م.

ويعدّ الشيخ "حافظ وهبة" من أوائل الذين أوفدوا إلى الخارج لافتتاح أول ممثليات سعودية، وقد دونت أسماؤهم في الكتب التي تناولت العلاقات السعودية الخارجية، وظل وفياً للمملكة ولقيادتها منذ عهد الملك عبدالعزيز إلى عهد أبنائه سعود وفيصل، حيث توفي -رحمه الله- في أواسط الثمانينات الهجرية من القرن المنصرم.

نال ثقة المؤسس وعيّنه في عدة مناصب واختاره مستشاراً وسفيراً ووزيراً مفوضاً

مسيرة حافلة

هو حافظ وهبة بن رفاعي وهبة ولد في عام ١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٩م، وفي رواية أخرى بأنّ ميلاده كان في عام ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩١م، كما جاء في معجم السفراء السعوديين أنّه مصري الأصل والمولد والمنشأ، تعلم مدة قصيرة بـ«الأزهر» و«مدرسة القضاء الشرعي»، ولم يكمل دراسته، وعمل في «صحافة الحزب الوطني بالقاهرة»، وغادر (مصر) إلى (تركيا)، واشترك بالكتابة في صحيفة «الهلال العثماني»، التي كان يصدرها «عبدالعزيز جايوش»، ثم ترك (تركيا) ورحل إلى (الهند)، وقام بنشاط سياسي فيها، وتعرف في (بومباي) على بعض تجار الجزيرة العربية هناك، ثم توجه إلى (الكويت) عام ١٩١٥م، وتوطدت الصداقة بينه وبين أمراء وشيوخ الكويت، فكان يحضر مجالسهم ومنتدياتهم التي يستقبلون فيها الزوار الرسميين والوفود الدبلوماسية، وهناك التقى بالملك عبدالعزيز -عند زيارته للكويت-، وكان حين تواجده في (الهند) قد تعرض لمطاردة الإنجليز، الذين اعتقلوه، كما كانوا يلاحقونه في (مصر) قبل هجرته منها، ولم يكن ذلك إلا لمواقفه النبيلة تجاه الاحتلال الإنجليزي لبعض المناطق والدول العربية.

كان «وهبة» قد التقى بالشيخ «عبدالرحمن القصيبي» في إحدى سفرياته، وكان القصيبي وكيل الملك عبدالعزيز في البحرين، وهو الذي اقترح على «وهبة» أن يكتب إلى -سلطان نجد آنذاك- عبدالعزيز آل سعود، وفعلا كتب «وهبة» للسلطان عبدالعزيز رسالة في ذي الحجة ١٣٤١هـ، عرض فيها بأدب جم رغبته في العمل بديوان الملك، وفعلا أعجب الملك بالخطاب والأسلوب والصيغة التي كتب بها، كما أعجب بجودة خطه وانتقائه للعبارات الرصينة، فدعاه للقدوم إلى (الرياض)، التي انتقل إليها عام ١٩٢٣م.

المناصب التي تقلدها

نال الشيخ «حافظ وهبة» ثقة الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فقام بتعيينه في عدة مناصب، حيث كان مستشارا للملك في الشؤون الخارجية عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٥م، ومساعدا للنائب العام الأمير فيصل عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م، وعيّن مديرا للمعارف عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م، ثم وزيرا مفوضا لدى (المملكة المتحدة) عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م، بعد ذلك عيّن وزيرا مفوضا في (هولندا) عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م)، ثم سفيرا لدى (المملكة المتحدة) عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٨م، ومثل حكومة المملكة في (لندن) لـ«مؤتمر البريد الدولي» عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٩م، وهي الدولة التي نفته حكومتها من بلاده عند احتلالها لبعض الدول العربية، ليصبح رسميًا أول سفير سعودي في (بريطانيا).

كما ترأس وفد المملكة للقاء وزير الخارجية العراقي للتمهيد لعقد مؤتمر (لوبن) في الكويت عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م، إضافة إلى عضويته في وفد المملكة مع الأمير فيصل بن عبدالعزيز -وزير الخارجية آنذاك- لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٣م، حيث كان الشيخ «حافظ وهبة» ضمن كوكبة مستشاري الملك عبدالعزيز، أمثال: «خالد الحكيم» و«القرقني» و«عبدالله الدملوجي»، الذين أوفدوا في مهمات سياسية إلى زعماء دول مجاورة أو صديقة، أو للمشاركة في مباحثات حدودية ونحوها، ويعدّ الشيخ «حافظ وهبة» من أوائل الذين أوفدوا إلى الخارج لافتتاح أول ممثليات سعودية، وقد دونت أسماؤهم في الكتب التي تناولت العلاقات السعودية الخارجية، خاصة بعد إنشاء وزارة الخارجية السعودية عام ١٩٣٠م، وتعيين الملك فيصل كأول وزير لها.

العلاقة ببريطانيا

وإبان تعيين الشيخ «حافظ وهبة» سفيرا للمملكة في (بريطانيا) تحت مسمى «وزير مفوض سعودي في لندن» في عام ١٩٣٠م، كان له بصمات واضحة في تطوير العلاقات بين الدولتين، وفق الإطار الدبلوماسي والسياسي، وتمكن من حل كثير من الإشكالات والمواقف السياسية من خلال الحوار والتفاوض، كما تمكن من الارتقاء بالتعاون السياسي والاقتصادي بما يخدم المملكة وقضايا الأمتين الإسلامية والعربية، كما كان «حافظ وهبة» من الأعضاء المؤسسين لـ«المركز الثقافي الإسلامي والمسجد المركزي» في (لندن) عام ١٩٤٤م، الذي يعد من أقدم وأضخم المراكز الثقافية الإسلامية في أوروبا، إلى حين تقاعده عن عمله الدبلوماسي عام ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م، أي قبل وفاته -رحمه الله- بسنة، -وفقا لما ورد في معجم السفراء السعوديين-.



أبناء الملك عبدالعزيز والشيخ حافظ وهبة



الشيخ حافظ وهبة

توثيق مرحلة التأسيس

وثّق الشيخ «حافظ وهبة» في كتابيه (خمسون عاما في جزيرة العرب) و(جزيرة العرب في القرن العشرين) حياة، وأعمال الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، ورحلاته، ولقاءاته الدبلوماسية، والرسمية، وكذلك حياة الملك سعود والملك فيصل -كما فعل كثير من مؤرخي تلك الحقبة-، وقد كان الشيخ «وهبة» مهتما بتوثيق رجالات الجزيرة العربية، كما عرف عنه شدة الملاحظة والدقة في انتقاء الكلمات والمفردات التي يعبر بها عن الأخبار ومجريات الأحداث التي حضرها وتعايش معها، وكان -رحمه الله- شاهداً على كثير منها، حتى أصبحت كتبه مراجع أساسية، ضمن مجموعة الكتب والمدونات التي عكف على إعدادها عدد من مؤرخي القرن الرابع عشر، والذين تناولوا في نتاجهم العلمي تاريخ المنطقة العربية على وجه العموم وتاريخ الجزيرة العربية بوجه خاص.



الشيخ حافظ من رجالات المؤسس المقربين

وقد أعاد طباعة كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) عدة مرات، وزاد فيه سنة ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م. وقد تحدث فيه عن بلدان وأقاليم الجزيرة العربية، كـ(الحجاز) و(نجد) و(الأحساء) و(البحرين) و(قطر) و(عسير)، من الناحية الجغرافية، والتاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وأسهب في وصف طبيعة البلاد وطرق المعيشة لدى السكان، ولأنّ من ضمن المهام التي أسندت إلى الشيخ حافظ وهبة -رحمه الله- القيام على برامج التعليم المنتظم في المملكة، فقد تحدث في مؤلفاته عن الصعوبات التي واجهت قطاع التعليم في بدايات تأسيس المملكة، كما تحدث عن تقدمه و تطوره من خلال قوله: «لم تكن توجد في البلاد مدارس تذكر في زمن الأتراك، وما وجد منها كان ابتدائياً قليل النفع، ففي إقليم الأحساء لم يؤسس بعد إعلان الدستور العثماني إلا مدرسة صغيرة واحدة»، ثم يصف البدايات في انتشار العلوم والمعارف من خلال نشر المدارس والمعاهد ومدارس محو الأمية.



مؤلفات الشيخ أصبحت من المراجع الرئيسة في تاريخ المملكة



الملك فيصل والملك خالد وحافظ وهبة

في أمريكا

في إطار البدايات الأولى للعلاقات السعودية الأمريكية أشار الملك عبدالعزيز في أحاديث له مع الوزير الأمريكي المقيم في (جدة)، ومع بعض المسؤولين الأمريكيين من شركة «ستاندارد كاليفورنيا العربية للبترول»، بأنّه ينوي أن يبعث بأحد أبنائه لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب، وعليه فقد رحبت حكومة الولايات المتحدة بهذه الزيارة دون انتظار لانتهاء الحرب، وكان ذلك عام ١٩٤٣م، حيث أصدر الملك عبدالعزيز قراراً بأن يقوم بالزيارة كل من الأمير فيصل بن عبدالعزيز -وزير الخارجية السعودية آنذاك-، والأمير خالد بن عبدالعزيز، والشيخ «حافظ وهبة» -الوزير المفوض السعودي في لندن-، وعندما وصل الوفد السعودي إلى واشنطن برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز عقدت عدة اجتماعات بمكتب قسم شؤون الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية، وفي باكورة هذه الاجتماعات حظر الشيخ «حافظ» بتنسيق مع الملك فيصل الاجتماع الأول، الذي حدد فيه الوفد السعودي مطالب السعودية، ورد المسؤولون الأمريكيون عليها، والتي كان من ضمنها ضرورة أن يكون تعامل المملكة العربية السعودية تعاملا مباشرا دون وسيط، وقد وافق الجانب الأمريكي على هذا الحل.

كما أثار الشيخ «حافظ وهبة» كذلك موضوع عدم وصول الحافلات اللازمة لنقل الحجاج إلى المملكة حتى ذلك الوقت، وذلك بناء على برقية بعث بها الملك عبدالعزيز وقد رد المستر «وينانت» بأنّه سيبعث ببرقية إلى المركز -مركز تموين الشرق الأوسط بالقاهرة- بهذا الخصوص، كما تقدم الشيخ «حافظ وهبة» بقائمة بأدوية طبية لازمة للمملكة، وجاء الرد الأمريكي بأن يقوم الشيخ «حافظ وهبة» بإرسال برقية إلى (الرياض)، ليتم تقديم الاحتياجات الطبية إلى المستر «موسى» -الوزير الأمريكي المقيم في جدة-، ليقوم بدوره بطلب هذه الاحتياجات من «مركز تموين الشرق الأوسط بالقاهرة»، الذي تتوفر لديه كميات كبيرة من هذه الاحتياجات الطبية، ومن ثم يمكن شحن هذه الاحتياجات الطبية من القاهرة إلى المملكة العربية السعودية.



الشيخ حافظ وهبة يقف بالقرب من الملك عبدالعزيز



الملك سعود مع حافظ وهبة

بعد ذلك أعاد الشيخ «وهبة» الحديث في قضية الاتصالات اللاسلكية التي تحتاجها المملكة، من أجل تحقيق الاتصال السريع بما يكفل مواجهة أية تهديدات للنظام والقانون داخل المملكة، ولكن المسؤولين الأمريكيين أوضحوا له صعوبة شحن وحدة اتصالات كاملة، ولكن يمكن إرسال أجزاء لإصلاح المعدات والأجهزة القائمة بالعمل فعلا، مع توفير خبير فني في إدارة وإصلاح هذه المعدات، وقد عبر الشيخ «حافظ وهبة» بموافقة الأميرين فيصل والأمير خالد أبناء الملك عبدالعزيز عن كل ما تمت مناقشته، وعن إدراكهما لوجهة النظر الأمريكية، ثم تتابعت الاجتماعات برئاسة الأمير فيصل -وزير الخارجية السعودية- وشقيقه الأمير خالد بن عبدالعزيز والشيخ «حافظ وهبة» -الوزير المفوض السعودي في لندن- مع الجانب الأمريكي لمناقشة عدد من البنود والاتفاقيات.

تصميم العلم السعودي

ربطت بعض الروايات بين الشيخ «حافظ وهبة» وتصميم العلم السعودي، حيث ذكر البعض أسبقية الشيخ في تصميم الراية السعودية، إلا أنّ المؤرخ «عبدالرحمن الرويشد» لا يرى ذلك، ويستدل بعلم الدولة السعودية الأولى والثانية، حيث شملت عبارة التوحيد، كما نفى ذلك «أ.د.عبدالله بن ناصر السبيعي» -المشرف على كرسي الأمير سلمان بن عبدالعزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية-، وذلك إثر تعقيبه على إحدى رسائل الجامعة التي تضمنت مسيرة الشيخ «حافظ وهبة» -رحمه الله-، الذي له أدوار تذكر فتشكر، لا سيما وأنّه أحد أبرز رجال مرحلة التأسيس والبناء ممن وثق فيهم الملك المؤسس، إلى درجة أنه -رحمهما الله- كان يقطع له اللحم في المائدة، وهذا العرف عند عرب الجزيرة دليل على عمق المحبة والثقة وصدق التكريم، مبيّناً أنّ نشأة العلم السعودي تعود إلى الدولة السعودية الأولى، حيث ذكرت المصادر أنّ الإمام «محمد بن سعود» كان يعقد الراية لأحد أبنائه أو يتولاها بنفسه.

وأشار «ابن بشر» وعدد من المؤرخين المعاصرين إلى أنّ الإمام «عبدالعزيز بن محمد بن سعود» كان يبعث بالرسائل إلى رؤساء القبائل، ويحدد لهم مكانا، وتتقدمهم الراية، فتنصب على ذلك المورد، فلا يتخلف أحد من رؤساء القبائل، وكذلك بالنسبة للإمام «سعود بن عبدالعزيز» والإمام «عبدالله بن سعود».

ولفت «ابن بشر» إلى أنّ الإمام «تركي بن عبدالله» كان يأمر بحمل الراية وتتقدم الجيوش، وكذلك فعل ابنه الإمام «فيصل»، وكانت الراية في الدولة السعودية الأولى والثانية خضراء مشغولة من «الخز» و«الإبريسم» كتبت عليها عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وكانت معقودة على سارية بسيطة، وفي عهد الملك عبدالعزيز تطورت الراية فأصبحت مربعة الشكل تتوسطها عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ويعلوها سيفان متقاطعان، ثم تغير شكلها فضمت سيفا واحدا تحت عبارة الشهادة، كتب تحتها «نصر من الله وفتح قريب»؛ لذا يتضح أنّ الراية السعودية مرت بأطوار ومراحل إلى أن وصلت إلى شكلها الحالي، كما يذكر بعض المؤرخين أنّ الأمير «عبدالله بن علي الرشيد» -أمير منطقة الجبل- من قبل الإمام «فيصل بن تركي» وبعض أبنائه كانوا يحملون ذات الراية في أزمنة متفاوتة مع تغيّر يطرأ عليها من فترة لأخرى.

وفاته

توفي الشيخ «حافظ وهبة» في مدينة (روما) عاصمة (إيطاليا) سنة ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م، عن عمر يناهز (٨٠) عاما، بعد نضال طويل وحياة علمية حافلة بالإنجازات السياسية والتنظيمية والعلمية، التي خدم فيها بلاده وأمته العربية والإسلامية، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



الشيخ حافظ من الرجال الأوائل الذين أوفدتهم المملكة للخارج



الشيخ حافظ خلف الملك فيصل

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

«قاضي القصيم» وقائد مقاومة أهالي «الرس» لقهر حصار «إبراهيم باشا» وجيش الغزاة

قرناس بن عبدالرحمن.. «ذيب وخطيب»

■ عُرف كأحد أشهر رجالات القرن الثالث عشر في وسط الجزيرة العربية، توفي والده وله من العمر سبع سنين، فتولى تربيته -أمير الرس آنذاك- «سعد الدهلاوي»، وذلك بوصية من أبيه الذي أوصى أيضاً أخته الكبرى به، وفعلاً قام الاثنان بتنفيذ وصية أبيه بصدق وأمانة، فنشأ نشأة طيبة في بيئة حسنة، وقرأ القرآن في كتاب (الرس)، ثم طلب العلوم الشرعية، وتميز بين أقرانه، كما عكف على علوم اللغة العربية، وقرأ على مشايخ عصره في (الرس) و(عنيزة)، وتنقل في مدن ومناطق (القصيم) يطلب العلم عند الشيوخ والعلماء، فدرس على تلاميذ الشيخ «عبدالله بن عضيب»، إلى أن سافر لـ(الدرعية)، بعدها عاد ليصبح قاضياً ومعلماً في عدة مدن، إلى أن جاء «إبراهيم باشا» بحملته العسكرية، فكان من أقوى وأذكى من تصدوا له -بشهادة الباشا نفسه-؛ ذلك هو الشيخ «قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس بن حمد بن علي بن محمد بن علي بن راشد المحفوظي»، من قبيلة «العجمان» من «يام»، الذي ولد في بلدة (صبيح) -إحدى بلدات القصيم- عام ١١٩١هـ.

قرأ على يد الشيخ «صالح بن راشد الحربي»، وكذلك قرأ على يد الشيخ «حمد بن معمر» و«عبدالله» و«علي» ابني الشيخ «محمد بن عبدالوهاب»، قال عنه المؤرخ «ابن ضويان»: «ابتدأ طلب العلم على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد قاضي الرس وعلى عبدالعزيز بن سويلم قاضي بريدة، ورحل إلى الدرعية عام (١٢١٦هـ) للتزود من العلم والاستفادة، فقرأ على علمائها»، كما قال عنه الباحث «قبلان بن صالح القبلان»: «لازمهم في الأصول والفروع والحديث ورجاله والتفسير، حتى نبغ في فنون عديدة، وقد وهبه الله فهماً ثاقباً، وكان قوي الفهم حاضر البديهة، ثم توجه إلى مكة للحج ثم جاور فيها، فقرأ على علماء المسجد الحرام في الأصول والفروع، والحديث والمصطلح، ثم رحل إلى المدينة فقرأ على علماء الحديث ورجاله والتفسير وتحصل على الإجازة بسند متصل».

نال ثقة الإمام «عبدالله بن تركي» فتولى عدة مناصب قضائية وأرسله الإمام سعود إلى جيوشه المرابطة في المدينة

رحلته في العلم

كان الشيخ "قرناس" عالماً فقيهاً قرأ على يد العلماء وتخرج من مدرسته عدد من المشايخ من أهل الفضل والعلم قال عنه المؤرخ "ابن ضويان": "ابتدأ طلب العلم على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد قاضي الرس وعلى عبدالعزيز بن سويلم قاضي بريدة، ورحل إلى الدرعية عام (١٢١٦هـ) للتزود من العلم والاستفادة، فقرأ على علمائها"، وكان الشيخ "عبدالعزيز بن رشيد" خالاً للشيخ "قرناس"، وهو الذي كان يتولى "قرناس" ويتابع تعليمه، ويحثه على متابعة العلم والعمل به، كما أنه قرأ على يد الشيخ "صالح بن راشد الحربي" الذي توفي بعد حصار (الدرعية) عام ١٢٣٣هـ، وكذلك قرأ على يد الشيخ "حمد بن معمر" و"عبدالله" و"علي" ابني الشيخ "محمد بن عبدالوهاب".

علاقته بمشايخه

وعن علاقة الشيخ "قرناس" بمشايخه يقول الباحث "قبلان بن صالح القبلان": "لازمهم في الأصول والفروع والحديث ورجاله والتفسير، حتى نبغ في فنون عديدة، وقد وهبه الله فهماً ثاقباً، وكان قوي الفهم حاضر البديهة، ثم توجه إلى مكة للحج ثم جاور فيها، فقرأ على علماء المسجد الحرام في الأصول والفروع، والحديث والمصطلح، ثم رحل إلى المدينة فقرأ على علماء الحديث ورجاله والتفسير وتحصل على الإجازة بسند متصل"، ونقل عن محمد ابن الشيخ قرناس قوله يصف والده "وكان يكتب كتابة حسنة ونسخ بيده عدة كتب وكانت له فراسة قوية في استخراج الحقوق وكان صلباً في الدين قوياً في تنفيذ الأحكام وانتشر صيته لانفراده أخيراً بعد أقرانه".

كما ذكره "ابن بشر" في (عدد قضاة الإمام تركي بن عبدالله) وأنه حينها كان قاضياً لكافة مدن (القصيم)، وذلك بقوله: "وعلى القصيم قرناس صاحب بلدة الرس"، وكان قبل حملة الباشا قد تولى عدة مناصب قضائية، وأرسله الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الجيوش المرابطة بالمدينة المنورة قال ابن بشر: "وأرسل إليهم -يعني الجيوش المرابطة بالمدينة- الشيخ العالم قرناس بن عبدالرحمن صاحب الرس المعروف بالقصيم، فأقام عندهم قاضياً ومعلماً، كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذلك".

خطوطه ووثائقه

وقد عرف عن الشيخ "قرناس" -رحمه الله- بحسن الخط، فكان ينسخ الكتب ويعلق عليها؛ مما أشغله عن التأليف والبحث، -كما قال عنه القبلان-: "كان حسن الخط جداً.. كما توجد وثائق بعقارات في المدينة بقلمه، وكان عمدة بالتوثقات فيها وفي الرس، أفنى عمره في الكتابة، خط كتباً كثيرة، وهمش عليها من تقارير مشايخه، ومما يمر عليه أثناء مطالعته"، أما "ابن بسام" فيصفه بأنه "يكتب كتابة حسنة، ونسخ بيده عدة كتب".

وقال عنه "القاضي" في (روضة الناظرين): "وكان حسن الخط جداً، وتوجد لدينا مخطوطات بقلمه النير الفائق"، مضيفاً "معظم هذه الكتب والشروحات النفيسة آلت إلى ابنه "محمد القرناس"، ثم آلت إلى ابنه "صالح"، ثم آلت إلى أبنائه -الذين ليس فيهم طلبة علم-، فتلفت بسبب الأمطار التي سقطت على (الرس) سنة ١٣٧٦هـ"، وهذه السنة هي ما يسميها أهالي (نجد) "سنة الغرقة" أو "سنة الهدام"، التي سقطت فيها الأمطار الغزيرة، لا سيما في (القصيم) و(سدير) ومعظم أقاليم "نجد"، وقد صورتها كاميرات الإعلاميين والهواة آنذاك، ولا زالت بعض صورها متناقلة بين الناس، لاسيما أنها كانت في عهد الملك "سعود"، حيث انتشرت عدسات المصورين مع بداية عهد بناء الدولة، وفعلاً كان للوديان وهدام البيوت صوراً مهولة، حيث ذكر "القاضي" أنه في هذه السنة "سقطت دار محمد، وهم في سفر، وبقي المنزل سنتين لم يحرك، وعند بناء البيت لم يهتموا بالمخطوطات التي تلفت، بل رميت مع النفايات".. والحقيقة أن جزءاً لا بأس به من هذه الوثائق والمخطوطات ظل -وما يزال- بيد بعض المهتمين بها، كما بقي جزء يسير لدى أحد أحفاد الشيخ.

مهام متعددة

عدد "ابن ضويان" في ترجمته للشيخ قرناس المهام التي تولاها قبل "حملة الباشا" على الجزيرة العربية، قائلاً: "..وفيها -أي عام ١٢٢٧هـ- ولي القضاء في الخبراء، ولم تطل مدته، ورجع إلى الرس، ولم يزل فيها إلى أن استولى عليها إبراهيم باشا عام ١٢٣٢هـ إلى أن بلغه أن الباشا توجه إلى القصيم -في طريقه إلى مصر-، فحينئذ استتر منه وانحاز إلى قرية النبهانية غربي القصيم، فكان يأوي إليها ليلاً، ويظل نهاره في غار في جبل -وهو جبل أبان الأسمر، والذي يعرف الآن بغار قرناس-، ولم يزل كذلك إلى أن سافر الباشا، وغابت عسكره، فرجع إلى وطنه، وصار قاضياً على القصيم كله، إلى أن تولى الإمام فيصل بن تركي، فعين أبابطين في قضاء عنيزة، فمن ذلك انفصلت عنه ثم انفصلت بريدة عن ولايته حينما ولي قضاءها تلميذ قرناس الشيخ عبدالله بن صقيه واستمر قرناس على قضاء الرس وملحقاته إلى أن توفي".

ومن هذا يتضح أن الشيخ "قرناس" عمل بعد إجازته وتمكنه من العلم في (المدينة المنورة) بتكليف من الإمام "سعود بن عبدالعزيز"، ثم ولي قضاء (الخبراء)، ثم (الرس)، ثم تولى الدفاع عن بلدته بعد أن جرح أميرها وحاصرها الباشا، إلى جانب السرية التي أرسلها الإمام "عبدالله بن سعود" لمساعدة المدينة المحاصرة بقيادة "حسن بن مزروع"، الذي رد على رسالة الباشا حين طلب تسليم المدينة، وهدد بأنه سيأتي ويأخذها عنوة إن لم تسلم له طوعاً، فما كان من "حسن بن مزروع" إلا أن رد عليه بقوله: "تعال خذها"، وبهذا أعلن هو وأمير البلدة والأمير "تركي الهزاني" -الذي كان أيضاً من أمراء السرية- التحدي أمام قوات الباشا، وبعد هذه الأحداث والبطولات التي سطرها الشيخ "قرناس" إبان حصار (الرس)، تم اختياره قاضياً لـ(القصيم) بأكمله، بأمر من الإمام "عبدالله بن تركي"، وذلك مع قيام الدولة السعودية الثانية.

حملة الباشا

ورغم تولي الشيخ "قرناس" القضاء في عدة مدن أبان الدولة السعودية الأولى، إلا أنه عرف بين الناس وذاع صيته في أحداث حملة "إبراهيم باشا" على أقاليم (نجد)، والتي كان أولها حصار مدينة (الرس)، التي تولى الشيخ "قرناس" زمام الدفاع عنها بعد أن أصيب أميرها أثناء محاولته إبطال مفعول إحدى القنابل "القبوس"، التي تجاوزت سور المدينة، فحملها الأمير "منصور" ليضعها وسط برك الماء التي حفرها الأهالي لهذا الغرض أثناء الحصار، وكان سكان البلدة قد استعدوا لهذا الأمر، فما إن تسقط قنبلة إلا ويسارعون إلى رميها بأحواض وبرك الماء، ويقال إن القنبلة انفجرت في أحشاء الأمير، فأصابته إصابة بالغة، تولى بعد ذلك الشيخ "قرناس" قيادة رجال بلدته والدفاع عنها ضد قوات إبراهيم باشا.

ووصف الباحث "قبلان القبلان" ما حدث أثناء الحصار، قائلاً: "وتولى قياد الدفاع عن الرس أيام حصار إبراهيم باشا للرس سنة ١٢٣٢هـ عند مرض أميرها الذي أبدى بسالة وشجاعة. فأبلى الشيخ بلاء حسناً في الشجاعة وسداد الرأي، حتى اضطر إبراهيم باشا للصلح، وقام الشيخ بالمفاوضة عن أهل الرس، وكان الشيخ إماماً وخطيباً للمسجد الجامع بالرس بالسوق القديم المعروف بالمفرق".

مثعاب الدم

وتظل قصص الشيخ "قرناس" إبان حصار الباشا لمدينة (الرس) مشهورة متواترة بين العامة وأهل الدراية والمؤرخين، ولعل أهمها تصديه للمحاولة الأولى لإبراهيم باشا والتي صدها المحاصرون بقيادة "قرناس"، حيث لم يقم الباشا -في بادئ الأمر- معسكراً لجنده؛ ظناً منه أنه سيقتحم المدينة بسرعة، وهو ما لم يحدث، حيث تكمن خطة الاقتحام باعتلاء السور، والقفز على سطح منزلٍ مجاور لإنزال الجنود فيه لفتح أبواب المدينة، إلا أن "قرناس" ورجاله تنبهوا لعسكر الباشا، فصعد "قرناس" وقلة من رجاله فقتلوا المتسلقين بالسيوف، حتى سال "ميزاب" ذلك المنزل من دم المقتحمين، وسمي ذلك المكان -ولا يزال- "مثعاب الدم"، وبقي موجوداً، وكان هذا المنزل عائداً لأسرة "الرشيد" من "آل محفوظ" حتى عام ١٣٨٤هـ، حيث بنيت على أنقاضه المدرسة المحمدية -وفق ما ذكره المؤرخ والباحث صالح بن محمد المزروع-.

وقد أبطل أهالي الرس بقيادة الشيخ "قرناس" المحاولة الثانية لاقتحام المدينة، حين رفع الباشا مدافعة فوق جذوع النخيل التي قطعت من البساتين والمزارع المحيطة بـ(الرس)، وجعلها قطعاً كالعجلات، وأصعد عليها المدافع، وحاول جنوده الاقتحام، وتجاوز الخنادق، والتسلق على الأسوار، إلا أن أهالي المدينة المحاصرين استطاعوا ببنادقهم القديمة "أم فتيلة" أن يقتلوا الجنود الذين سارعوا إلى الهرب، لا سيما وأن وابلاً من الرصاص هطل عليهم من فوق أسوار المدينة، وهو ما دعاهم إلى العودة لمعسكرهم، وقد استفاد الأهالي من ملح "الجريف" قرب البلدة، حيث كانوا يحشون بنادقهم، وهنا غضب الباشا -الذي كان يتابع المواجهة- غضباً شديداً، حتى إنه رفض عودتهم، وأمر برميهم بالرصاص، وعدم دفنهم؛ لكونهم لم يستطيعوا اقتحام السور الطيني.

كما تصدى الشيخ "قرناس" للمحاولة الثالثة، حيث عزم الباشا هدم سور المدينة عبر نفق حفره الجنود تحت الأسوار، إلا أن امرأة كانت تصلي صلاة الوتر آخر الليل سمعت ضرب الفؤوس وأخبرت الشيخ، الذي احتال مع عدد من أهالي المدينة بحيلة عجيبة، حيث حفروا نفقاً قبالة نفق الباشا، وأدخلوا فيه قطة في ذيلها فتيل مشتعل، فما إن توسط القط داخل النفق، إلا وانفجر البارود المعد لهدم السور بمن فيه من الجنود.

ذيب وخطيب

كان حصار (الرس) ثلاثة أشهر و(١٧) يوماً، كأطول مدة حصار منذ قدوم الباشا من (مصر)، وقد واجه فيها الجيش المحاصر أصنافاً من الانكسارات، حتى رضخ للصلح الذي تم في ١٢/١٢/١٢٣٢هـ وحينها قام "قرناس" ليخطب الجمعة فتعجب منه "إبراهيم باشا"، وقال عبارته الشهيرة: "ذيب وخطيب يا قرناس"، وحاول "إبراهيم باشا" -كما ذكر الباحث صالح المزروع- أن يمازح أحد أبناء "قرناس" الصغار وهم في ضيافة الشيخ، فناداه فلم يستجب له الصغير، وهرب بعد أن استنكر لباس الباشا وجنوده، الذين اكتظ بهم المجلس، وكان بعض مستشاريه من الفرنسين وأطبائه الطليان من ضمن أفراد جيشه، وهو ما دعا الباشا أن يحتال على الطفل بحيلة لطيفة، وكان الباشا حينها في (٢٦) من عمره، فقال لوالده أنا سأجعله يأتي، ورمى جنيهاً ذهبياً في آخر المجلس فالتقطه الطفل، ثم رمى له جنيهاً آخر وسط المجلس، فجاء الصغير لالتقاطه، فانقض عليه الباشا، وهو يضحك، فأمسك به وسط ضحكات الحضور، واستمر منزل "قرناس" باقياً إلى عام ١٤٠٣هـ، وهو المنزل الذي صيغت فيه شروط الصلح، ومنها أن لا يدخل الجيش مدينة (الرس)، وأن تبقى البلدة على الحياد ما لم تدخل جيوش الباشا (عنيزة).

غار قرناس

ولما أتم الباشا حملته على مدن (الوشم)، ودانت له باقي الأقاليم إما حرباً أو صلحاً، وبعد دخوله (الدرعية) عاد في طريقه إلى (مصر) ليقبض على الأمراء الذين قاوموه ولم يرضخوا لحكمه، وكان منهم الشيخ "قرناس" -رحمه الله-، الذي اختفى بغار عند جبل "أبان الأسمر"، قال العلامة "محمد العبودي": "التجأ إلى مكان يقال له النمرية بأبان الأسمر"، ولما وصل الباشا قريباً من (الرس) ولم يستطع رجاله أن يجدوا "قرناس" قال عبارته المعروفة: "قرناس مثل الجربوع، جحر يعرفه، وجحر ما يعرف"، وقد قرأت أن الباشا قال هذه العبارة حينما لم يجد "ابن مضيان" -شيخ قبيلة حرب-، فربما أنه أعادها، أو ربما أنها قيلت لأحدهم.

وقال ابن بسام: "انحاز الشيخ إلى النبهانية غرب القصيم، فكان يأوي إليها ليلاً، ويظل نهاره في غار في جبل أبان الأسود، ويعرف الآن بغار قرناس".. عاد "قرناس" بعد رحيل الباشا عن البلاد واستمر في التدريس والقضاء، وتولى عدة مناصب بعد أن ذاع أمر بطولاته ومقاومته لحصار الباشا، وقد استشهد الشيخ والشاعر "ابن دعيج" المعاصر للشيخ "قرناس" ببطولاته، قائلاً:

وشب نار الحرب فوق الرس
ثلث السنة يضربهم بالقبس
وصبروا وصبرهم قربانا
أصبر في الهيجاء من أبانا
رجال صدق في اللقاء والبأس
أعيانهم وشيخهم قرناس

كتابات المستشرقين

والقارئ لكتب المستشرقين الذين دونوا في كتاباتهم فصولاً واسعة عن حملة الباشا كالفرنسيين "فليكس مانجان" و"هارفرد جونز بريدجز" و"إدوردجوان"، والإنجليزي "سادلير"، وغيرهم، يلحظ عدم وصولهم إلى تفاصيل ما يدور داخل المدن المحاصرة، وهذا واضح فيما دونوه، من خلال سردهم لأحداث الحرب والحصار، ولذا كان معظم ما دون عن الشيخ "قرناس" من ما رواه مؤرخو المنطقة وشعراؤها، حتى إن كثيراً من مؤرخي العهد السعودي اكتفوا بالوثائق العثمانية والسعودية، وحتى المصرية التي ما زالت أصولها محفوظة في (إسطنبول) و(الرياض) و(القاهرة).

وفاته

استمر الشيخ "قرناس" في سلك القضاء حتى وافته المنية في ٢٦ من شهر رجب عام ١٢٦٢هـ، حيث قال الباحث "قبلان القبلان" أنه توفي وله من العمر سبعون عاماً، قضاها في التعلم، والتعليم، والقضاء، وله من الأولاد سبعة: "محمد" و"صالح" -قاضياً الرس بعده-، و"حمد" و"سليمان" و"عبدالرحمن" و"عبدالعزيز" و"عبدالله" -رحمهم جميعاً-، وكانت وفاته في عهد الإمام "فيصل بن تركي"، بعد عودته الثانية من (مصر) وخروج جيوش الباشا من كافة أقاليم الجزيرة العربية.. رحم الله الشيخ "قرناس بن عبدالرحمن" رحمةً واسعة.



بيت الشيخ قرناس الذي وقع فيه الصلح بين أهالي الرس وإبراهيم باشا



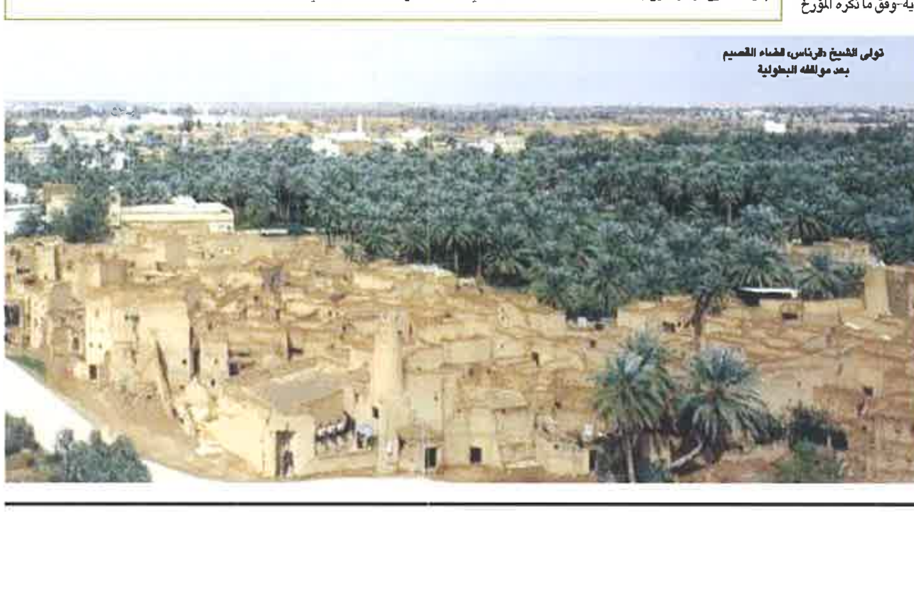
الغار الذي اختبأ فيه الشيخ واشتهر بـ«غار قرناس»



نقوش على «غار قرناس» تحكي القصة

سـرّ من قـرأ..

■ يتعرض الباحث في كثير من قراءاته لأسماء وبيانات وربما روايات متشابهة في رواياتها متقاربة في أحداثها وأزمنتها، وهو ما عزا كثير من الباحثين -منذ العصر العباسي- لاستدراك ما كتبه علماؤهم ومشايخهم في كتب تعقب أو توضح للقارئ بعض الأمور التي أشكلت عليهم أو أنها فهمت أو رويت بغير وجهها السليم، ولذا فقد يلجأ بعض الأدباء إلى محاولة الجمع بين الروايات المختلفة وتحليلها وفق منهج التحقيق الأكاديمي، ولأن الخوض في بحور التاريخ والتراجم والأنساب من شأنه الاستئناس بالروايات المتباينة أياً كانت، ما دام أنها في محصلتها النهائية ستصب في مصلحة البحث العلمي، لاسيما أنها في الغالب تعمد إلى تصحيح أو توضيح بعض المسائل الغامضة، وعليه ففي التقرير الذي ترجم لمسيرة الشيخ «عبدالله بن إبراهيم آل فضل»، في عدد (١٧٠٠٧) وتاريخ الجمعة ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ، ذكرت أن أسرة «آل فضل» الذين نزلوا الحجاز مع دخول الملك عبدالعزيز هم من «بني ثور» من «سبيع»، ورغم أنّ ما نشر في التقرير كان مستنداً إلى مشهد وروايات لأبناء الأسرة، إلا أنني تلقيت اتصالاً من بعض الأسر الكريمة في مدينة (عنيزة) و(روضة سدير)، وبعض المناطق الأخرى من ذرية «زهري بن جراح الثوري السبيعي»، تفيد بطلبهم التعقيب على هذه المعلومة، وذلك رغبة منهم بالقول بأن ما ذكر في التقرير مخالف للصواب، حيث لا يوجد ما يثبت هذا القول -وفقاً لما لديهم من مشجرات ووثائق تاريخية-، واستناداً لعرض وجهتي النظر فقد جرى التنبيه والتنويه بذلك.



تولى الشيخ «قرناس» قضاء القصيم بعد مواقفه البطولية



النفق الذي بناه جنود إبراهيم باشا وفجره «قرناس» بالقطة

صدق النوايا وإخلاص الرجال ساهما في بناء "الدولة الحلم" رغم تواضع الإمكانات

صالح بن عذل.. «الباشا»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ كان من وجهاء وأعيان وسط الجزيرة العربية، ترجم له الباحثون وكتب عنه المؤرخون، تقلد مكانة سامقة في بلدته وبين جماعته، كما حضي بذات المكانة في ديوان الملك المؤسس، لم لا؟ وقد كان من أوائل سفرائه وأقرب رجاله، بل إنّه كان محل ثقته في أكثر من مهمة داخلية وخارجية، ولا أدل على ذلك إلا تلك الألقاب التي حضي بها من قبل الملك عبدالعزيز والخليفة العثماني، الذي أهداه لقب "الباشوية"؛ نظراً لما كان يتمتع به من مكانة وقدرة على التفاوض، ذلك هو "صالح بن محسن العذل" سفير الملك عبدالعزيز وأحد أقرب مستشاريه الخاصين.

كان لـ"صالح بن عذل" نشاطاً ملموساً بجانب "ابن رشيد"، حيث اشترك معه في معركة "المليداء" الشهيرة، وبعد وفاة الأمير "محمد عبدالله بن رشيد" استمر في مكانته ومكانه، إلى أن استقرت الأمور بعد معارك "روضة مهنا" و"البكيرية" و"الشنانة" للملك عبدالعزيز، الذي رحب بـ"ابن عذل"، واختصه عنده كمستشار خاص له ينتدبه في مهام دبلوماسية متعددة، وكانت مهمته الدبلوماسية التي كلفه بها الملك عبدالعزيز للخليفة العثماني من أبرز الأعمال والمهام التي اشتهر بها، حيث كلّف من قبل الملك المؤسس بحمل رسالة إلى السلطان العثماني "عبدالحميد الثاني"، للتفاهم حول جلاء القوات العثمانية من (القصيم) بعد سيطرته عليها، كما أراد الملك من خلال هذا الاختيار إبراز مظاهر التكريم والتفاوض مع العثمانيين وتحسين العلاقة بين الجانبين، ولا شكّ أنّ هذا الاختيار لهذه المهمة الصعبة يعود إلى ثقة الملك الكبيرة بشخصية "ابن عذل" وقدراته، ولقد أهداه الخليفة لقب "الباشوية" تكريماً له وللسلطان "عبدالعزيز".

اختاره المؤسس مستشاراً خاصاً وانتدبه للتفاهم مع العثمانيين حول جلاء قواتهم من القصيم



صالح باشا العذل مع الملك المؤسس



منحه السلطان عبدالحميد الثاني لقب الباشوية

مولده ونشاته

هو "صالح بن محسن بن عذل بن جاسر بن ناصر بن حمد بن محمد -"أبا الحصين"- بن علي بن راشد بن محفوظ" من "العجمان" من "يام" التي تعود لـ"حاشد" من قبيلة "همدان الكهلانية القحطانية"، كان جده "جاسر" قد لقب بـ"العميل" بسبب بيت شعر قاله حين نزل إلى (الرس) ولم يشاهد زملاءه الذين يتعامل معهم في التجارة، وهم كذلك لم يعلموا بقدومه، وحينها قال بيته الشهير:

بت القوى وأنا عميل الثلاثة
علي الغفيلي وابن مالك وحسون

ولد صالح العذل عام ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٤م، ووالدته هي "أميضي بنت درهوم الغضيان"، وكانت نشأته الأولى خلال الفترة الثانية من حكم الإمام "فيصل بن تركي"، حيث شهدت نجد آنذاك استقراراً إدارياً وسياسياً، وقد نشأ "صالح بن عذل" في أسرة ميسورة الحال، حيث كان والده يمتلك العديد من الأملاك الزراعية -حسبما قال "د.خليفة المسعود"-، كما توضح الوثائق كثرة تعاملاته التجارية من بيع وشراء وبمبالغ جيدة بمقاييس تلك الفترة، ومن الواضح أنّ "صالح بن عذل" حين نشأ في تلك البيئة لم يخضع لبعض قيودها التقليدية، وهذا يوحي بمكانته الاجتماعية التي جعلته يحظى بتقدير الأعيان في البلدة واحترامهم، بل إنّ والده "محسن العذل" يُعدّ من أكبر وجهاء بلدته في زمنه، -وفقاً لما ذكره الباحث والمؤرخ "عبدالله بن صالح العقيل"-، الذي قال "وكان محسن يسعى لمصالح أهل بلدته ويحنو عليهم، ويقيم طعام إفطار للصائمين في شهر رمضان المبارك في منزله، ويوقف مبالغ وأوزاناً من التمر لمسجد البلدة وإمامه ومؤذنه، كما كان له قهوة مشهورة يرتادها الناس، ويكرمهم فيها، وكان الصوّام يفطرون بها، وكان يسهّل على المزارعين ويقرضهم، وله توجّه في أعماله في المجالات الخيرية، حيث ورد في مجموعة من وثائق الرس بأنّه كان يمتلك مجموعة من المزارع، وله تعاملات تجارية بالبيع والشراء بين الناس، كما كان له تعامل مع بعض القوافل التجارية، ضمن منظومة العقيلات داخل الجزيرة العربية وخارجها".

معارك فاصلة

لقد كان لـ"صالح بن عذل" نشاطاً ملموساً بجانب "ابن رشيد"، حيث اشترك معه في معركة "المليداء" الشهيرة سنة ١٣٠٨هـ، وبعد وفاة الأمير "محمد عبدالله بن رشيد" -رحمه الله- سنة ١٣١٥هـ تولى "عبدالعزيز بن متعب" الإمارة، فاستمر "ابن عذل" في مكانته ومكانه، إلى أن استقرت الأمور بعد معارك "روضة مهنا" و"البكيرية" و"الشنانة" للملك عبدالعزيز، الذي رحب بـ"ابن عذل"، واختصه عنده كمستشار خاص له ينتدبه في مهام دبلوماسية متعددة، وهنا بدأ تاريخه الشخصي يزخر بتجارب ومهام وجاهية وسياسية يكلفه بها الملك عبدالعزيز، وهي التي قدمته كأحد رجالات القرن المنصرم، ناهيك عن مكانته وموقعه عند الأمير "محمد بن رشيد"، في فترة شبابه الأولى.

اتصف "صالح بن عذل" بالوفاء الشديد لقائده؛ مما دفع به بعد معركة "الشنانة" وخسارة "ابن رشيد" إلى محاولة جمع بعض المبالغ المالية، أملاً في تحسن وضعه العسكري والسياسي، وبالطبع كان ذلك من مبدأ الوفاء والإخلاص في العمل، وهذا أبداً لم يكن ليغيظ الملك عبدالعزيز بقدر ما نال إعجابه وتقديره، حيث رأى أنّ ما فعله "ابن عذل" ما هو إلاّ موقف من مواقف الوفاء والصدق في الأمانة، وقد تكرر هذا الموقف من الملك "عبدالعزيز" مع كثير من خصومة السياسيين، لاسيما حين دخل (الحجاز) و(حائل) و(القصيم)، وسائر بلدات (نجد) و(الجزيرة العربية)، وموقفه هذا تكرر أيضاً مع الدبلوماسي الشهير "رشيد بن ليلى" الذي كان مندوب الأمير "متعب بن رشيد" للخليفة العثماني، في حين كان "ابن عذل" هو مندوب الملك عبدالعزيز للخليفة نفسه، وهذا ما جعل الملك عبدالعزيز يؤكّد أنّ "من يوفي مع معزبه سوف يوفي معه".

مهمته الدبلوماسية

كانت مهمة "ابن عذل" الدبلوماسية التي كلفه بها الملك عبدالعزيز للخليفة العثماني من أبرز الأعمال والمهام التي اشتهر بها، واكتسب من خلالها لقب "الباشوية"، حيث كلّف من قبل الملك المؤسس بحمل رسالة إلى السلطان العثماني "عبدالحميد الثاني"، للتفاهم حول جلاء القوات العثمانية من (القصيم) بعد سيطرته عليها، كما أراد الملك من خلال هذا الاختيار إبراز مظاهر التكريم والتفاوض مع العثمانيين وتحسين العلاقة بين الجانبين، ولا شكّ أنّ هذا الاختيار لهذه المهمة الصعبة يعود إلى ثقة الملك الكبيرة بشخصية "ابن عذل" وقدراته التي أبداها في المفاوضات السابقة مع القائد العثماني "سامي باشا الفاروقي"، ولقد أفرد المؤرخون صفحات طوال لهذا اللقاء الذي حصل "ابن عذل" من خلاله على لقب "الباشوية"، حيث أهداه الخليفة هذا اللقب تكريماً له وللسلطان "عبدالعزيز"، كما حصل على ذات اللقب الشيخ "رشيد بن ليلى" -سفير الأمير متعب بن رشيد لبلاط الخليفة في اسطنبول-.

وذكر "أمين الريحاني" في (تاريخ نجد الحديث): "أتيح لي الاجتماع بصالح باشا بن عذل يوم كنت في الرياض، فألفيته شيخاً جليلاً يحمل في أيام السلم عصا من الشوحط، ومثل أكثر أهل نجد لا يكثر الكلام، اجتمعت به في أبو مخروق يوم خرج عظمة السلطان -أي الملك عبدالعزيز- للنزهة وكنا في معيّته، وكان عظمته قد حدثني عن ذلك الوفد فرغبت في التعرف على أحد رجاله، ففاجأني عندما كُنّا جالسين في ذلك الغار قائلاً: هذا صالح العذل، ثم ناداه: يا باشا، يا باشا، تعال تعرّف على الأستاذ، جاء صالح باشا يبتسم، وجلس مثلنا على الأرض، فسألته إذا كان سُرَّ في إقامته بالإستانة؟ فأجاب موجزاً: ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحّلونا منها".

ممثلاً للملك بالإحساء

لقد سعى الملك عبدالعزيز جاهداً للسيطرة على (الأحساء)، فكان يترقب أخبارها ويتواصل مع أهلها وقبائلها لمعرفة موقفهم، ومدى استعدادهم للتعاون معه، ولتحقيق ذلك فضّل أن يرسل أحد رجاله لهذه المهمة، فكان اختياره لـ"صالح العذل" دليلاً آخر على مكانتة، ولا شك أيضاً أنّها شهادة لـ"ابن عذل"، حيث المهام الصعبة والتحولات السياسية تحتاج إلى استراتيجيات مدروسة، ورجال أكفاء، ولهذا فقد تم -فعلاً- اختيار "ابن عذل" ليكون ممثلاً للملك عبدالعزيز في (الأحساء)، بعد أخذ موافقة السلطان العثماني على هذا الأمر، وربما إنّ اختيار "ابن عذل" لهذه المهمة جاء نظير علاقته الجيدة مع السلطات العثمانية، منذ لقائه السابق بالخليفة في (اسطنبول)، الأمر الذي جعله محل ثقة العثمانيين.

مهام متعددة

في مهمة أخرى وقع اختيار الملك عبدالعزيز على "صالح بن عذل" ليكون مبعوثه الدبلوماسي إلى "جبل شمر"، ولعل هذا الاختيار أيضاً جاء بناءً على معطيات متعددة ترجح كفة "ابن عذل" لتولي تلك المهمة؛ ولعل ذلك عائد إلى علاقته الطيبة مع "بيت الإمارة" حيث "آل الرشيد"، الذي كان "ابن عذل" صادقاً ووفياً معهم، كما أنّ لحسن علاقته بالدولة العثمانية دور في هذا الاختيار، ناهيك عن خبرته وتمرسه في المهام التي كلف بها من قبل، حيث مفاوضته مع "آل رشيد" في حائل عام ١٣٣٠هـ، ومفاوضاته الأولى مع الشريف "حسين"، كما أرسله لمهمة سياسية في شمال (الحجاز) و(المدينة المنورة) عام ١٣٣٢هـ، إلى جانب مفاوضاته الثانية مع الشريف "حسين" سنة ١٣٣٤هـ، وأدواره التي كلفه بها في (المدينة المنورة) سنة ١٣٤٣هـ، وقد ناهز حينها (٧٣) من عمره.

إمارة الزكاة

كان "صالح بن عذل" ممن اختارهم الملك عبدالعزيز ليكون أحد أمراء الزكاة، لينضم إلى غيره في هذا العمل، إلاّ أنّه تميّز في هذه المهمة، وبذل فيها جهوداً مضنية، حتى إنّه تقدم لجباية بعض القبائل جنوب العراق، الأمر الذي أخاف السلطات البريطانية حتى أنها قبضت على "ابن عذل"، واعتُقلته في بغداد من ١٠ صفر ١٣٤٢هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٢٣م؛ مما أغضب الملك عبدالعزيز، وطالب السلطات البريطانية بسرعة الإفراج عنه، وفعلاً استجابت السلطات البريطانية عاجلاً لطلب الملك.

ذكر "د.خليفة المسعود" أنّ هناك وثائق تتضمن ممارسات "ابن عذل" مهامه "أميراً للزكاة"، يتراوح تاريخها بين ١٣٢٨-١٣٤٦هـ، أي أنّه عمل في هذه المهمة ما يزيد على (١٨) سنة، كان خلالها يكلف بمهام دبلوماسية وعسكرية أخرى، ولقد كان يجمع أحياناً بين مهمة إمارة الزكاة ومهامه الأخرى، كما اتضح حين أرسل لـ(الحناكية) أميراً لها ولزكاتها، وقائداً عسكرياً لحصار (المدينة المنورة)، مضيفاً: "إلا أن أبرز مراحل عمل ابن عذل وأشهرها في إمارة الزكاة جاءت مطلع سنة ١٣٤٢هـ، حين طالب بعض شيوخ قبائل شمال الجزيرة العربية من الملك عبدالعزيز إرسال من يأخذ زكاتهم تعبيراً عن الولاء والتبعية له، بعد أن تمكن من فرض سيطرته على معظم أرجاء الجزيرة العربية، وأصبح على مشارف الحجاز، وقد استمر ابن عذل في مهامه أميراً للزكاة، فبعد انتهاء مهمته العسكرية في المدينة المنورة، ومرافقة الملك عبدالعزيز في طريق عودته إلى الرياض سنة ١٣٤٥هـ، عاد مجدداً لإمارة الزكاة على الرغم من بلوغه السادسة والسبعين".



ابن عذل من رجالات الملك عبدالعزيز المقربين

مكانته

تظهر الرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز و"ابن عذل" طيلة (٢٦) عاماً مدى الثقة التي حضي بها "ابن عذل" عند المؤسس، لا سيما وأنّ هذه الرسائل تظهر عبارات التحايا والود، والسؤال عن الأهل والأحوال، كما تظهر قدر ثقة الملك بمستشاره ومندوبه الخاص، حيث يخوله ويفوضه في كثير من الأمور، بل يترك له الرأي وحرية التصرف فيما يراه مناسباً، وهذا بلا شك دليل على عمق الثقة، كما أنه دليل على حصافة وبراعة الملك في اختيار مستشاريه، الذين لا تخلو رسائله لهم من بعض العتاب، لا سيما إن تأخرت مراسيلهم عنه، ولا شك أنّ "ابن عذل" مع كونه مستشاراً وسفيراً للملك المؤسس، إلاّ أنه حين نزوله إلى (الرياض) يبقى أحد أقرب رجاله في الديوان، كما شهد بذلك أحد رجال ديوان الملك عبدالعزيز وهو "سعد بن عبدالعزيز بن رويشد"، الذي ذكر أنّ "ابن عذل كان من جلساء الملك عبدالعزيز القدماء الأوائل"، وفعلاً كان الملك لا يرد لـ"ابن عذل" طلباً، ولا أدل على ذلك إلاّ شفاعة "ابن عذل" حين أرسله أمير (الرس) لطلب الإفراج عن أحد أبناء عمومتهم، فما كان من الملك عبدالعزيز إلاّ أنّه استجاب لطلبهما، وافرج عن قريبهما، بل وزوج "ابن عذل" بزوجته "حصة بنت بتال" والدة ابنه "محمد" -رحمهم الله-.

كان "ابن عذل" قد تزوج من ثلاث زوجات، أولاهن "رقية بنت علي الجاسر الحربش"، وهي أم أبنائه "حمود" و"درهوم" و"ناصر"، والزوجة الثانية هي "موضي بنت الشيخ صالح بن قرناس القرناس" -قاضي القصيم الشهير-، وهي والدة ابنه "عبدالرحمن"، أما الثالثة فهي "حصة بن عبدالمحسن بن بتال" وهي والدة ابنه "محمد".

وأوردت الباحثة "حنان السيف" في ترجمتها للمستشار "صالح العذل" قصة طريفة، قائلةً: "توجه الملك عبدالعزيز بعد معركة السبلة إلى الرسّ بدعوة من صالح باشا، الذي طلب من الملك أن يزور بلدته وأن يتناول الغداء في بيته، تقديراً لأهالي القصيم؛ لأنّهم جاؤوا بمعجب الغذاري إلى الملك عبدالعزيز لما طلب إحضاره إليه، ووافق الملك على ذلك، وبعد أن وصل جلالته إلى الرسّ دعاه أميرها إلى الغداء، فاضطر الملك إلى الاعتذار، موضحاً بأنّه سبق وأن وافق على الغداء عند صالح باشا، وأنّه لن يقيم في البلدة إلا يوماً واحداً، فاغتم الأمير، وقال: إذا لم تقبل دعوتي فسأترك البلاد، ولن أعود إليها، فقرر الملك أن يحل هذه المشكلة بطريقة ذكية، واقترح أن يُعَدّ طعام الغداء من قبل صالح باشا، ويؤكل في بيت الأمير، ورضيا بذلك الحل الوسط".

أقوال المؤرخين

ذكر الباحث والمؤرخ "عبدالله بن صالح العقيل" عن "ابن عذل" أنّه تحدث عنه كل من "أمين الريحاني" في كتاب (نجد الحديث)، و"حسين خلف الشيخ حسين خزعل" في كتابه (تاريخ الكويت السياسي)، و"إبراهيم القاضي" في مخطوطته المودعة بالحرم الشريف، وكذلك تحدث عنه "مقبل الذكير"، ومدحوه وأثنوا على حنكته، ودبلوماسيته في التفاوض، وكرمه، ومروءته، كما ذكر "محمد المانع" في (توحيد المملكة) أنّ "صالح ابن عذل" كان مع الملك عبدالعزيز في "السبلة"، وقال إنّه كان أحد وجهاء (الرس)، بل ويعتبر من أعقل الرجال في نجد، مضيفاً: "وجدت للوجيه صالح العذل مجموعة ضمن وثائق الرس، من الشهادات التي تدل على ثقة الناس به، وحضوره معهم ومكانته بينهم، كما كان ابن عذل هو الذي يرعى بيت الخيل بالرس، إبّان حرب ابن رشيد في الرس والشنانة".

وفاته

بيّن "د.خليفة المسعود" أنّ صالح بن عذل ظل يعمل بجانب الملك عبدالعزيز بكل همة وإخلاص رغم تقدمه بالسن، وإذا كانت آخر نشاطاته في "إمارة الزكاة" تعود كما تدل الوثائق المتوفرة إلى منتصف عام ١٣٤٦هـ، إلاّ أنّه وحسبما يذكر الشيخ "محمد بن عبدالله بن مانع" -المترجم في الديوان الملكي- أنّه كان بجانب الملك عبدالعزيز في معركة "السبلة" بالقرب من (الزلفي)، ولم يمنع "ابن عذل" من كبر سنه حيث ناهز(٧٧) عاماً، وبعد أن بلغ الثمانين كان قد أصيب بالسرطان الذي لم يمهله طويلاً، حيث توفي -رحمه الله- في الرياض في العاشر من محرم سنة ١٣٥٠هـ الموافق ٢٩ مايو ١٩٣١م، ودفن في مقبرة العود -رحمه الله رحمة واسعة-.



قاد الجيش السعودي لمحاصرة الشريف حسين في المدينة



قاد صالح باشا وفود التفاوض ونجح بحنكته ودهائه في تحقيق ما يريد

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظا على وحدة وطنهم واستقراره.

إعداد - منصور العساف

رجال أخلصوا لدينهم ومليكهم ووطنهم رغم ظروف التأسيس الصعبة

حمزة غوث.. «الصحفي والمستشار والدبلوماسي»

■ بدأ حياته كأحد أبناء زمانه، حيث الدراسة على يد العلماء والمشايخ، الذين استفاد منهم كثيراً، لا سيما أنه كان من أهل "طيبة الطيبة" التي كانت -وما زالت- تزخر بكوكبة من العلماء ورواد العلم والفكر والأدب، الذين كانوا يجاورون الحرم النبوي الشريف، وتخرج على يديهم جملة من رجال الدولة والمجتمع، ودرس على يدهم السيد "حمزة بن إبراهيم غوث"، الذي تنقلت به المناصب والوظائف من العمل الإعلامي إلى المناصب المدنية والإدارية، وقبلها العمل الاستشاري في ديوان الملك عبدالعزيز، الذي اختاره من بين عدد من مستشاريه، ليكون سفيراً له في العراق، ومن ثم إلى إيران، حيث استمر بالعمل الدبلوماسي إلى حين تقاعده عام ١٣٨٤هـ.

وكان السيد "حمزة" قد تلقى السيد "حمزة" علومه الدينية في حلقات التدريس في الحرم النبوي على يد معلمين أكفاء، كان من بينهم الشيخ "محمد العمري" والشيخ "عبدالحافظ المصري" والشيخ "عبدالقادر الطرابلسي" -رحمهم الله-، وكان هؤلاء الأفذاذ من صفوة معلمي المدينة المنورة، وممن تخرج على يديهم عدد من العلماء والوجهاء والمسؤولين.

وساهم في انتفاضة أهل المدينة ضد محافظها التركي "عثمان فريد باشا"، الذي ارتأ عدد من أهل المدينة عدم أهليته لمنصبه، وكان السيد "حمزة" يجيد اللغة التركية، وهو ما ساعده على متابعة ما يكتب في الجرائد والصحف التركية، كما اعتبره الباحثون أول من مارس الصحافة من أبناء المدينة المنورة، وكان رئيساً لبلدية المدينة المنورة، وانتقل إلى "حائل"، حيث عمل مع الأمير "عبدالله بن رشيد"، واتجه بعد ذلك إلى (الرياض)، حيث عينه الملك عبدالعزيز مستشاراً له، وكلفه برئاسة الوفد المشارك في المؤتمر العربي بـ(الكويت) عام ١٣٤٢هـ، ورافقه في رحلته من (الرياض) إلى (مكة) عام ١٣٤٣هـ، ومنها إلى كافة مدن وقرى وبلدات الحجاز، وبعدها رافق الأمير "محمد بن عبدالعزيز" -حين دخوله (المدينة المنورة)-، حيث عين بعدها معاوناً لأميرها، ليعود إلى الرياض مستشاراً في معية الملك عبدالعزيز، إلى أن عين عضواً في مجلس الشورى، وبعد ذلك عاد ليكون مستشاراً للملك عبدالعزيز، حتى تم تعيينه كقنصل عام ووزير مفوض ومندوب فوق العادة للملك بـ(العراق)، بعدها انتقل إلى (إيران)، حيث عين سفيراً مفوضاً، وعميداً للسلك الدبلوماسي.


الملك سعود والملك فيصل و حمزة غوث


حمزة غوث من رجالات الملك عبدالعزيز المقربين

اختاره الملك عبدالعزيز مستشاراً وعضواً في مجلس الشورى وعيّنه سفيراً للمملكة في العراق وايران


الملك سعود يصل إلى طهران و حمزة غوث من مرافقيه


حمزة غوث


شاه إيران -خلال زيارته إلى المملكة- مع الملك سعود يتابعون عرضاً عسكرياً ومن خلفهم حمزة غوث

بيت مدني

وُلد السيد "حمزة بن إبراهيم بن عبدالكريم غوث" في المدينة المنورة عام ١٢٩٧هـ، وفي رواية أخرى أن ولادته كانت عام ١٣٠٠هـ، وسمّاه والده "حمزة" تيمنا باسم عم النبي -عليه الصلاة السلام- "حمزة بن عبدالمطلب" -رضي الله عنه وأرضاه-، نشأ السيد "حمزة" وولد من أب وأم مدينيان، وحصل على الشهادتين الابتدائية والإعدادية من "المدرسة الرشيدية"، التي عرفت فيما بعد بـ"المدرسة الناصرية"، على مقربة من مدرسة العلوم الشرعية، وكانت تقع على مقربة من باب "المجيدي" في شمال شرق المسجد النبوي الشريف، وقد أزيل مبناها في التوسعة الأولى للحرم النبوي عام ١٣٧٣هـ.

وتلقى السيد "حمزة" علومه الدينية في حلقات التدريس في الحرم النبوي على يد معلمين أكفاء، كان من بينهم الشيخ "محمد العمري" والشيخ "عبدالحافظ المصري" والشيخ "عبدالقادر الطرابلسي" -رحمهم الله-، وكان هؤلاء الأفذاذ من صفوة معلمي المدينة المنورة، وممن تخرج على يديهم عدد من العلماء والوجهاء والمسؤولين.

تقارير الأدلاء

يقول الباحث "خالد بن حمزة" في كتابه "رجال من المدينة المنورة" -الذي وثق سيرة وأعمال السيد حمزة غوث-: "كان لوالد السيد حمزة وأجداده شأن بعض أسر المدينة المنورة في ذلك الزمن، يحوزون عن طريق الشراء على صكوك امتياز استقبال وإيواء الزائرين، ويُطلق عليها التقارير، كما يطلق على أصحابها الأدلاء، ومفردها دليل مشتقة من الحديث النبوي الشريف: الدال على الخير كفاعله، وللأدلاء نظام خاص بهم، والتقرير -كما أسلفت- تحد فيه كل قرية أو مدينة جغرافيا وسكانياً نطاق امتياز الدليل، يصدر ويوثق لدى شيخ الحرم النبوي الشريف؛ درءا لأي نزاع ينشأ بين الأدلاء، وكان للسيد حمزة في ذلك الزمان ولآبائه من قبل تقارير تغطي عموم عرب شمر في سوريا، ومنطقة القامشلي، وماردين، وديار بكر، وأورفه في كل من سوريا، وتركيا، ومدينة إسطنبول، وكان امتيازه يغطي أيضاً عشرات القرى في شمال اليمن، ومدينة عدن، وكل ذلك موثق لدى القسم المختص بفرع وزارة الحج بالمدينة المنورة، وكانت من أولى مهام الأدلاء في ذلك الحين تفقدهم للزائرين من الحجاج في مدنهم وقراهم، وتوثيق علاقاتهم بهم، ما بين شهري صفر وشعبان من كل عام، والوقوف مسبقاً على حاجاتهم ورغباتهم عند قدومهم إلى المدينة المنورة، وقد استمر العمل بهذا التنظيم في خدمة شؤون الحجاج والزائرين قبل أن يتم إلغاؤه في التسعينات الهجرية من القرن الماضي، واستبدل بمؤسسة الأدلاء الحالية".

شخصيته وخلقه

عرف السيد "حمزة" بقوة شخصيته وميله للعمل والحياة الجادة، وتركه لمجالس الهزل واللغو والغيبة، وهو بطبعه لا يرتاح إلى المزاح الزائد أو المديح، وكان -رحمه الله- كارها للغيبة، عزوفاً عن مجالسها، تربى ونشأ على حسن المنطق والإصغاء للمتحدث، وكم كان حريصاً على سلامة اللغة والتقيد بآدابها، وهو الذي عرف بانتقائه لمجالس العلم والأدب وعلى الرغم من جدّيته وقوة شخصيته، فقد كان -رحمه الله- مبتسما شديد التواضع، دمث الخلق، محبوباً من قبل العامة والخاصة، كما عرف عنه حُسن الهندام، وسلامة اللسان، وطيب الحديث والكلام.

حياته العملية

استهل السيد "حمزة غوث" حياته السياسية بالإسهام في انتفاضة أهل المدينة ضد محافظها التركي عثمان فريد باشا الذي ارتأ عدد من أهل المدينة عدم أهليته لمنصبه، وكان السيد حمزة يجيد اللغة التركية وهو ما ساعده على متابعة ما يكتب في الجرائد والصحف التركية، وقد حرص السيد حمزة على أن يخدم قضايا مجتمعه وأبناء بلده بما يستطيعه، حيث قال عنه الباحث "خالد بن حمزة": "كان له موقفاً ناشطاً في خدمة الشأن العام في المدنية المنورة منذ فترة حكم المحافظ العربي علي باشا الركابي الذي تعين في عهده عضوا فاعلا في فرع جمعية الاتحاد والترقي بالمدينة المنورة، بعد استيلاء كيانها المركزي على مقاليد الحكم في الأستانة عاصمة دولة الخلافة، ومثلها في مقرها الرئيسي بمدينة سالونيك -اليونانية حاليا-، كما استمر السيد حمزة في نشاطه السياسي خلال فترة حكم الفريق بصري باشا، وقوي في عهد الفريق فخري باشا المتميز بصلاحيات أكثر شمولية من صلاحيات من سبقوه من المحافظين، فكانت بداية المرحلة العلمية لانخراط السيد حمزة في خدمة المدينة بشكل أكثر أهمية فقد أسند إليه فخري باشا مهمة تأسيس جريدة الحجاز ورئاسة بلدية المدينة بالإنابة، وقويت الصلة بينهما، وتوثقت تباعاً، إلى أن افترقا قبيل تسليم المدينة للشريف علي بن الحسين وأخيه الشريف عبدالله بن الحسين -رحمهم الله-".

رئاسة التحرير

في عام ١٣٣٤هـ ترأس السيد "حمزة" تحرير "صحيفة الحجاز"، ويعلق "خالد بن حمزة" على رئاسته لتحرير "صحيفة الحجاز"، قائلاً: "كان ذلك بمثابة مدخله الأول إلى العمل السياسي الأشد خطورة على حياته فيما بعد، وجسراً عبر عليه إلى دهاليز أرحب في عالم السياسة وتقلباتها، فكانت له فيه مواقف استعدت عليه بعض الحكام والمسؤولين، مثل: أتاتورك، والشريف الحسين بن علي، والإنجليز، وقربته من البعض الأخر كالشريف علي حيدر المنصب أميرا على الحجاز، وفخري باشا حاكم المدينة، وابن رشيد أمير حائل، وابن سعود سلطان نجد".

وذكر "د. عبدالرحمن الزهراني" في كتابه "من رجال الشورى" أن السيد "حمزة" أول من مارس الصحافة من أبناء المدينة المنورة، كما كانت رئاسته لبلدية المدينة المنورة بعد ذلك بعام، أي سنة ١٣٣٥هـ، وفي عام ١٣٣٨هـ انتقل إلى "حائل"، حيث عمل مع الأمير "عبدالله بن رشيد" -رحمه الله- إلى عام ١٣٤٠هـ، حيث اتجه في العام الذي يليه إلى (الرياض)، فعينه الملك عبدالعزيز مستشارا له، وهو الذي كلفه برئاسة الوفد المشارك في المؤتمر العربي بـ(الكويت) عام ١٣٤٢هـ، كما رافق الملك عبدالعزيز في رحلته من (الرياض) إلى (مكة) عام ١٣٤٣هـ، ومنها إلى كافة مدن وقرى وبلدات الحجاز، وبعدها رافق الأمير "محمد بن عبدالعزيز"، حين دخوله (المدينة المنورة)، حيث عين بعدها معاونا لأميرها وذلك عام ١٣٤٤هـ، وبقي إلى عام ١٣٤٦هـ، حيث عاد إلى الرياض مستشارا في معية الملك عبدالعزيز، إلى أن عين عضوا في مجلس الشورى من ١٣٤٩/٥/٦هـ إلى ١٣٥١/٥/٨هـ، وفي عام ١٣٥٧هـ عاد مستشاراً للملك عبدالعزيز، حتى تم تعيينه كقنصل عام ووزير مفوض ومندوب فوق العادة للملك بـ(العراق) من عام ١٣٦٠هـ إلى ١٣٦٧هـ، وقيل أنّ الملك عبدالعزيز -رحمه الله- قد منحه لقب وزير مفوض بموجب المرسوم الملكي رقم ٢/٥/١/١٧٧ وتاريخ ١٣٧١/٢/٢٠هـ، بعدها انتقل إلى (إيران) -كما ذكر "الزركلي"-، حيث عين سفيرا مفوضا، وعميدا للسلك الدبلوماسي، هناك من عام ١٣٦٧هـ إلى ١٣٨٤هـ، حيث وافق الملك فيصل -رحمه الله- على تقاعده غرة رجب من هذا العام.

زيارة الملك للمدينة المنورة

قدم الملك عبدالعزيز إلى (المدينة المنورة) في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٥هـ، حيث كان مشهد مواكب السيارات الملكية يُرى ولأول مره في المدينة المنورة، وقد وافق ذلك موسم حج عام ١٣٤٥هـ، وهو أول موسم يستقل فيه الحجاج السيارات بين (مكة) و(المدينة المنورة) -وفقاً لما ذكره خالد بن حمزة-، مبيّنا أنه غادر موكبه -رحمه الله- (المدينة المنورة) إلى (نجد) في اليوم الثالث من شهر رجب عام ١٣٤٥هـ، بعد أن أقام فيها أياما من أواخر شهر ربيع الثاني، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة كاملين وثلاثة أيام من شهر رجب، وهكذا أسس دعائم مملكته في مدن الحجاز: (مكة) و(جدة) و(الطائف) و(المدينة المنورة)، وأبقى السيد "حمزة" بعد ذلك في (المدينة المنورة) معاونا ونائبا لثلاثة من أمرائها "إبراهيم السبهان" و"مشاري بن جلوي" و"عبدالعزيز بن إبراهيم".

حوار مع الملك

وسرد "خالد حمزة" الحوار الذي تم بين الملك عبدالعزيز ومستشاره "حمزة غوث" -رحمهما الله-، وذلك بلسان حمزة نفسه، قائلا: "بينما كنت في معية الملك عبدالعزيز في أول رحلة له -رحمه الله- بالطائرة التي أهداها إليه فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، إذ به يستدعيني إلى حيث يجلس في مقدمة الطائرة، وقال لي: لقد قررت تعيينك سفيرا في إيران، فما قولك؟، وكانت مفاجأة إن لم تكن صدمة بالنسبة لي-، فأجبته: ما تقرره طال عمرك خير وبركة إن شاء الله، ولكني في واقع الأمر أفضل أن أعمل قريبا منك، وقريبا أيضا منك يا طويل العمر، ليكمل لذلك: وأعدك أن تكون معنا في الرياض ثلاثة أشهر في كل عام وثلاثة أشهر في المدينة، وستة أشهر في إيران، فصمت ثم اردف قائلا: "إنك تعلم أن علاقتنا بإيران مقطوعة بعد الأحداث (اللي إنت خابر)، والآن بعد انتهاء الحرب من مصلحة الجميع أن تعود العلاقات بيننا وبينهم، فماذا تقول؟، فأجبته -رحمه الله-: "إنّ الأمر لله، ثمّ لك في كل الأحوال، ولقد كرّمتني أطال الله بقاءك، وبأن لا ينقطع عملي بالقرب منك ثلاثة أشهر في كل عام".

وفاته

توفي السيد "حمزة" بـ(المدينة المنورة) مساء يوم الاثنين الثاني من شهر شوال عام ١٣٩٠هـ، ودفن في "بقيع الغرقد"، -رحمه الله رحمة واسعة-.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

وجاهة الحضور في ثقة الناس ومساعدتهم والإصلاح وتحمل المسؤولية والإخلاص في العمل

عبدالوهاب حلواني.. «المعني بشؤون الملك»

■ من أعلى سفوح جبال (الطائف) في (الهدا) و(الشفا)، وبين مروجه الخضراء، وخمائله التي تكتسي الجبال والوهاد، كان للكثير من أسر وأعيان هذه المدينة تاريخ جميل مع بداية توحيد وتأسيس المملكة، حيث ما زالت أقلام الباحثين تلتقط ما يرويه مؤرخو المدينة، وكيف كان الأهالي يستقبلون أفواج الحجيج وزوار بيت الله الحرام، حيث تفرش لهم الموائد، وتفتح لهم الدور والمساكن، لتقديم واجب من "مواجيب" الضيافة العربية الكريمة، التي عرف واشتهر بها أهالي تلك المدينة، التي يسعى أهلها بما يملكونه من مال وجهد لخدمة كل من يزور بلاد (وادي ثقيف)، التي تظل لوحة الشرف لأبنائها وأعيانها حبلى بالأسماء والرموز، الذين كان من بينهم "عبدالوهاب حلواني"، الذي خدم مدينته وبلاده أسوة بأقرانه وجيرانه أبناء (الطائف) المأنوس.

ونظراً لما كان يتمتع به من أخلاق حميدة فقد وثق به جيرانه ومعارفه، وأمنوه بضائعهم التي كانت تأتي من القرى المجاورة والمزارع البعيدة، إلى أن أسس حلقة الخضار والفواكه، حيث استلم إدارة بيت المال في (الطائف)، وكان مركزاً مالياً يدير جميع الأمور المالية في (الطائف) المتعلقة بالدولة السعودية، كما يشمل مكتبا ومجلسا عاما يتم فيه تداول الأمور الاجتماعية، والمالية، والحسابية، وكان من ضمن المحاسبين في بيت المال حينها عدد من أهالي وأعيان مدينة (الطائف)، وعندما دخل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مدينة (الطائف) عينه مسؤولا خاصاً عن شؤونه فيها، حتى كانوا يلقبونه بـ"المعني بشؤون الملك"، وكان "الحلواني" من أولئك الذين بايعوا الملك عبدالعزيز -رحمه الله- على تحويل "مملكة الحجاز ونجد" إلى "المملكة العربية السعودية"، وتحويل مسمى الملك عبدالعزيز من "سلطان الحجاز ونجد" إلى "ملك المملكة العربية السعودية"، وأقيمت لذلك الاحتفالات بتوحيد المملكة العربية السعودية بمزارع "الحلواني" في (وادي ليه).

«شيخ الدلالين» الذي اختاره المؤسس مسؤولاً خاصاً عن شؤونه في (الطائف)



الشيخ الحلواني مع الملك فيصل



عبدالوهاب حلوني



الشيخ مع أبنائه عبدالشكور وعثمان وإبراهيم وفي حضنه ابنه عمر



اختاره الملك عبدالعزيز قريباً منه وعينه على شؤونه في الطائف

شيخ الدلالين

ولد الشيخ "عبدالوهاب حلواني" عام ١٣١٢هـ في مدينة (الطائف) وهو الأخ الأكبر من بين ثلاثة أشقاء آخرين، وقد عرف عن والده الشيخ "محمد حلواني" حبه وولعه بالشعر "الحميني" أو الشعر الملحون في (الطائف)، وقد بدأ "عبدالوهاب" حياته في العمل بين المطاعم، ومحلات الحدادة، والعطارة، وحلقة الخضار والفواكه، التي اشتهر وسيطر فيها على عملية إدارة السوق، والدلالة، والتحريج على الخضروات والفواكه، ونظراً لما كان يتمتع به من أخلاق حميدة فقد وثق به أهل (الطائف)، وأمنوه بضائعهم التي كانت تأتي من القرى المجاورة والمزارع البعيدة، إلى أن أسس حلقة الخضار والفواكه، وأصبح "شيخ الدلالين"، حيث إنه في ذلك العهد كانت منطقة (نجد) و(الحجاز) تعتمد في التموين للخضار والفواكه طوال العام على مدينة (الطائف) وجنوب المملكة، وذلك لعدم وجود شاحنات وثلاجات حافظة في ذلك العهد، وأصبح التجار يأتون لعرض بضائعهم، كما أصبح أهل (اليمن) والجنوب و(الحجاز) و(نجد) يأتون إلى حلقة الخضار والفواكه، ويلتقون بالشيخ "عبدالوهاب حلواني" ويأخذ من صبيانهم ويعلمهم حرفة بيع الخضروات والفواكه، ثم يؤجرهم البسطات والمحلات، إلى أن فتح الله عليه، وأصبح بعد ذلك من كبار تجار ووجهاء المنطقة، حيث اشتهر في ذلك الزمان الشيخ "عرابي سجيني" في (مكة المكرمة) والشيخ "يوسف زينل" في (مدينة جدة)، وكانوا من خيرة أصدقاء الشيخ "عبدالوهاب حلواني"، ويأتون إليه في فصل الصيف، ويقيمون لديه، وكما عمل "الحلواني" -رحمه الله- في شراء الأراضي والعقارات.

واستلم "عبدالوهاب حلواني" إدارة بيت المال في (الطائف) عمل معه آنذاك كل من الشيخ "عبدالمغني أمين" والشيخ "عبدالحي قزاز" والشيخ "صالح أبو هليل العسيري" و"ابن حريب" -رحمهم الله جميعا-، وهو مركز مالي يدير جميع الأمور المالية في (الطائف) المتعلقة بالدولة السعودية، كما يشمل مكتبا ومجلسا عاما يتم فيه تداول الأمور الاجتماعية والمالية والحسابية، وكان من ضمن المحاسبين في بيت المال حينها عدد من أهالي وأعيان مدينة (الطائف)، ولعل منهم الشيخ الفاضل "محمد أبو الهطيل" و"أحمد حبيب" -رحمهما الله- ، وكان للمالية آنذاك دور كبير، وفعاليات اجتماعية، ففيها اجتماع القبائل في الصلح، وفي حالة عتق الرقاب، ومساعدة الضعفاء والمساكين، وتوفير المساكن والغذاء للحجاج، كما اشتهر بعتق الرقاب في ذلك الوقت أيضاً الشيخ "عبدالمغني أمين" والشيخ "عبدالواحد سندي".

احتفالات تاريخية

في عام ١٣٤١هـ دخل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مدينة (الطائف)، وصلى بها صلاة الجمعة بمسجد "عبدالله بن العباس" -رضي الله عنهما-، حين ذاك خرج له أعيان (الطائف)، وكان منهم الشيخ "عبدالوهاب حلواني"، الذي عينه الملك عبدالعزيز مسؤولا خاصا عن شؤونه في مدينة (الطائف)، حتى كانوا يلقبونه بـ"المعني بشؤون الملك"، وكان "الحلواني" من أولئك الذين بايعوا الملك عبدالعزيز -رحمه الله- على تحويل "مملكة الحجاز ونجد" إلى "المملكة العربية السعودية"، وتحويل مسمى الملك عبدالعزيز من "سلطان الحجاز ونجد" إلى "ملك المملكة العربية السعودية"، وأقيمت الاحتفالات بتوحيد المملكة العربية السعودية في مزارع "الحلواني" بـ(الطائف) في (وادي ليه)، وعندما كان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- يزور مدينة (الطائف) يقيم له الشيخ "عبدالوهاب حلواني" حفلات تاريخية -مازال أهالي (الطائف) يتذكرونها جيداً- في أراضيه بـ(وادي ليه)، بمزرعة "أبو حجارة"، وفي منطقة (الهدا) بالطائف، -كما ذكرت صحيفة أم القرى وصحيفة البلاد بتاريخ (١٨-٥-١٣٥١هـ)-.

وذكر "محمد عبدالحميد مرداد" في كتابه "رحلة عمر"، قائلاً: "كما دعا بعض أعيان الطائف، مثل الشيخ لبرويحي -مستشار ونائب الملك فيصل-، ومن بمعيته إلى ضواحي الطائف مثل ليه، والهدا، مرات عديدة"، مضيفاً: "ونحن بالطبع ضمن هذا المدعو وفي مقدمة الداعين الشيخ عبدالوهاب حلواني، وقد كانت الدعوة بأرض وادي ليه في بساتين الحلواني".

وقال "عيسى القصير" صاحب كتاب "أحلى اللطائف في منتجع الطائف": أنّ الشيخ "سافر إلى الرياض نيابة عن أهالي الطائف في مبايعة الأمير سعود وليا للعهد، فكان وفد الطائف برئاسة الشيخ عبدالله يسلم بصقر -رئيس بلدية الطائف-، وعضوية كل من أحمد بن محمد بن بكر كمال، ومحمد صالح بن حمدون، وعبدالوهاب حلواني، وصالح قزاز، وصالح قانديه".

توسعة الطرق

وقد أعجب الملك سعود بجهود الشيخ "عبدالوهاب حلواني" -رحمه الله-، ففي عام ١٣٧٤هـ قال "طالما أنّ النقبة الحمراء من جهد الحلواني سنأمر بتذليل الطريق لصيانته"، وأصدر أمره السامي الكريم بإنشاء وترسية مشروع طريق (الهدا) لـ"الحلواني"، وقد دعا المعلم "محمد بن لادن" -رحمه الله- للعمل على شق هذا الطريق، وكان العمل باتجاهين، الاتجاه الأول يبدأ في تعبيد وتوسعة الطريق وشقه الصاعد من النقبة الحمراء إلى ملف "الحلواني"، وقد شكلت لجان -آنذاك- برئاسة -نائب الملك سعود ولي العهد- الأمير "فيصل بن عبدالعزيز"، والأمير "ناصر بن معمر"، والشريف "شرف رضا" -رحمهم الله-، وغيرهم، وقد اعتذرت اللجنة على إنشاء هذه الطرق، وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التي حلت على البلاد -آنذاك-، وشاء الله سبحانه أن يبذل الشيخ "عبدالوهاب حلواني" جهوده لافتتاح الطريق وطرق أخرى، وفي ٢٠-١٢-١٣٧٧هـ وبعد زيارة الملك سعود -رحمه الله- مجدداً لـ(الطائف) أصدر -رحمه الله- مرسوما آخر عام ١٣٧٨هـ باستكمال الطريق، والبادئ من الاتجاه الآخر بدءا من (مكة المكرمة- عرفات- الهدا)، -وفقاً لما ذكر في صحيفة عرفات في عددها الثالث بتاريخ ٤-٦-١٣٧٨هـ- تحت عنوان (حلم يتحقق).

كما ساهم بجهود ودعم منه لافتتاح طرق أخرى في "وادي ليه"، -وفقاً لما ذكره الطيب الأنصاري في كتابه (الاتصالات والمواصلات خلال مئة عام)-، وفي "وادي نخب"، وغيرها، ومن الرجال الذين كانوا يرافقون الملك سعود ويحضرون إلى قصر "الدار البيضاء" الشيخ "ناصر أبو وهق"، الذي ذكر أنهم كانوا يحضرون إلى قصر "الدار البيضاء" حين كان "الحلواني" يدعو الملك سعود، كما اشتهر في تلك المنطقة أحد السدود البدائية المطورة، التي أعاد تأسيسها الحلواني وقد استحسنها الناس -آنذاك-، وقارنها الشيخ "عبدالله عريف" -رحمه الله- بسد وادي "عكرمة".

صرافة وقروض

كانت حلقة الخضار والفواكه أشبه بمركز (الطائف)، واستحدث فيها الشيخ "عبدالوهاب حلواني" نظاماً لـ"التحريج" على البضائع، ونظاماً لـ"الهوريات"، وهي الصناديق الخشبية التي ترص فيها الفاكهة والخضار، ونظاماً لـ"اللامة"، وهي نظام لجمع صناديق "الهوريات"، وقد اعتبر مكتبه الذي سمي "بيت المالية" أول مركز مالي تتم فيه تداول الأمور المالية، واستبدال العملة وصرفها بـ"الريال المجيدي" أو "الجنيه الفرنسي" أو الذهب والفضة، وكان أشبه ببنك تقوم فيه عمليات الصرافة والرهن، حيث يمنح الشيخ المزارعين قروضاً غير ربوية، أو آلات زراعية مختلفة الأنواع، من أدوات الحراثة، والسقي، والحفر، وغيرها، أو منحهم ورقة ضمان ليتسنى لهم الذهاب لمحلات الشيخ "محمد علي مغربي" -رحمه الله- لشراء "المواطير" الزراعية وغيرها، وفي مركز "الحلواني" يقبل الرهن من المزارعين والمحتاجين، فيرهن المزرعة، أو البنادق المستخدمة في "التعشير"، أو الأسلحة، أو غيرها لمن لا يتوفر لديه المال، أو لمن لا يتوفر لديه ما يصلح به أرضه، وقد بلغت قروض الشيخ "عبدالوهاب حلواني" حين وفاته أكثر من (١,٠٠٠,٠٠٠) ريال سعودي للمزارعين.

دكة الحلواني

حظي الشيخ "عبدالوهاب حلواني" بعلاقة قوية مع الملك فيصل -رحمهما الله- الذي كان ينزل بمزرعة "الحلواني" في "وادي ليه" العلوي، التي اشتهرت بمزرعة "بلاد سعيدة"، واتخذ منها مقرا للاحتفالات الشعرية، ولا زال أهالي المنطقة يذكرون ويتغنون بالقصائد والاحتفالات التي حصلت في تلك المزرعة، وكان الملك فيصل -رحمه الله- ينزل أيضا بكل من مزارع وقصور أهالي وأعيان (الطائف)، ومنهم "عبدالوهاب حلواني"، حيث مزرعته الموجودة بـ(الهدا)، وذلك حين إشرافه على الطريق المؤدي إلى (مكة المكرمة) في "قصر الدار البيضاء"، وقد اشتهر هذا المكان وعرف بـ"دكة الحلواني"، التي تقع بجوار "التلفريك" الآن، أما "دكة الحلواني الثانية" فهي بجوار "درب الجمّالة".

وقد شهدت "دكة الحلواني" العديد من الاجتماعات والاحتفالات، لاسيما اجتماع تسمية البلاد، حيث رفع أهالي (مكة المكرمة) و(جدة) و(الطائف) -وكان من بينهم "عبدالوهاب حلواني"- طلب تسمية مملكة الحجاز ونجد باسم المملكة العربية السعودية، كما اقترحوا أن يحوّل مسمى "سلطان الحجاز ونجد" إلى ملك المملكة العربية السعودية"، كما رفع بذلك أعيان (المدينة المنورة) في برقية رفعها الشيخ "عبدالعزيز آل إبراهيم" بعد اجتماع أهالي المدينة.

وفاته

يروي الشيخ "محمد الشافعي" -رحمه الله- للأستاذ "صالح حلواني" "أنه كان حاضرا حين نقل إليه "الطبيشي" في "قصر شبرا" خبر وفاة "عبدالوهاب حلواني"، فيما يروي الشيخ "عمر حلواني" أنّ والده كان عائدا من منطقة (الشفا) الذي شق بها الطريق إلى عقبة (الشفا)، ثم إلى بيت المالية بـ(الطائف)، وشعر بالإغماء، حيث إنه كان مريضا بداء السكري، فساعده "أحمد الفتة"، وطلب من المعلم "قاسم اليماني" أن يستدعي الطبيب وأبناءه، فذهب المعلم إلى بيت الصحة المجاور لبيت المالية، واستدعى الطبيب الخاص بالملك فيصل "د. رفعت السيد علي"، وحين قدم الشيخ "عمر حلواني" لوالده شاهده مستلقيا، وبجانبه "د. رفعت السيد علي" و"أحمد الفتة" و"قاسم اليماني" وأخوه "عبدالشكور حلواني"، وما هي إلا لحظات إلا ونطق -رحمه الله- بالشهادة وتوفي من ساعته، ووصل الخبر للملك فيصل الذي أوصى أبناءه بحضور العزاء، وأطلق لقب "كوبري الحلواني" على الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة من أعلى منطقة (الهدا) -الكر- ، وذلك وفاءً لجهود وأعمال "عبدالوهاب حلواني"، رحمه الله رحمة واسعة.



دكة الحلواني في أعلى عقبة في الهدا



كبري الحلواني مازال يحمل اسمه إلى اليوم



صورة البرقيات المرفوعة إلى جلالة الملك المعظم التماساً لتحويل اسم (...) إلى (المملكة العربية السعودية)
ووضع نظام للحكم ووراثة العرش

حلواني ممن رفعوا برقيات تغيير مسمى المملكة

رجال تكبدوا المشاق وسطروا مسيرة عطرة خلدت ذكراهم في التاريخ

فوزان السابق.. «عميد السلك الدبلوماسي»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

تنقل في رحلاته العلمية من وسط (نجد) إلى (الكويت) فـ(العراق) لينتهي به المطاف إلى شبه القارة الهندية، ليواصل بعدها رحلاته لإتمام فضيلة «طلب العلم»، وساعيا لتنفيذ أعمال ونشاطات تجارية في كل من (مصر) و(الشام)، لا سيما بعد أن كلف من قبل الملك عبدالعزيز بأعمال ومهام دبلوماسية وسياسية، كان للشيخ «فوزان» دور كبير في كسب ثقة الملك للاستمرار في أعماله المناطة به في منصبه، إلى حين تقاعده الذي استجاب له الملك المؤسس بعد إلحاح من الشيخ «فوزان»، وما زالت أعماله ومهامه السياسية والدبلوماسية لخدمة بلده وأمته محل احترام وتقدير من ولاة الأمر وحتى الباحثين والمؤرخين.

ولد «فوزان بن سابق بن عثمان بن فوزان آل عثمان» في مدينة (بريدة) بـ(القصيم) عام ١٢٧٥هـ الموافق ١٨٥٩م، وبدأ الشيخ «فوزان» مراحل تعليمه الأولى في مدينته (بريدة)، ثم واصل جهوده في طلب العلم في مدينة (الرياض)، ثم سافر إلى (الزبير) و(الكويت)، ونال نصيبا من العلم هناك على يد بعض مشايخ عصره، ثم سافر إلى (الهند) للدراسة على علمائها، وقد حفظ القرآن الكريم أثناء وجوده في بلده (بريدة)، وكان قد تلقى العلم على يد عدد من الشيوخ والعلماء من أشهرهم الشيخ «سليمان بن محمد بن سيف»، والشيخ «ناصر بن سليمان السيف» الذي تعلم على يديه القرآن الكريم والكتابة في كتاتيب (بريدة)، والشيخ «أمين الشنقيطي» الذي درس على يديه في رحلته إلى (الزبير) و(الكويت)، والشيخ «سليمان بن علي بن مقبل»، والشيخ «محمد بن عمر بن سليم»، والشيخ «محمد بن سليم»، والشيخ «عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ال الشيخ»، وقد درس عليه في مدينة (الرياض)، أما الشيخ «نذير حسين» -عالم الهند- فقد درس عليه الحديث ومصطلحه، والتفسير، في مدينة (دلهي) بـ(الهند)، والشيخ «سلامة الله الهندي»، والشيخ «حسين بن حمد الأنصاري»، ومن خلال رحلاته العلمية هذه زامل عددا من طلبة العلم الذين أصبحوا فيما بعد من علماء القرن الرابع عشر الهجري، مثل الشيخ «علي بن وادي»، الذي رافقه في رحلاته إلى (الرياض) و(الزبير) و(الهند)، والشيخ «عبدالله بن مفدى» و«سليمان بن سحمان» و«عبدالله بن حسن» و«محمد بن إبراهيم» و«عبدالعزيز المرشدي» و«سعد بن حمد بن عتيق»، الذي كان يدرس في (الهند).

وثق فيه الملك عبدالعزيز واختاره وكيلاً له في (الشام) ووزيراً مفوضاً في (مصر)



الشيخ فوزان مع علي ماهر باشا وفوزي باشا السعيد ومحمد النقراشي باشا وحمد باشا الباسل



الشيخ فوزان السابق



الشيخ حمد علي الطاهر والشيخ فوزان السابق معتمد الملك عبدالعزيز في مصر

جهود علمية

عيّن -رحمه الله- بالقاهرة بعد ولاية الملك عبدالعزيز على الحرمين، وكان لمكانته العلمية والأدبية أثر في تعريف علماء (مصر) بمعتقد السعوديين، وأنهم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع، وعلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرح هذا الشيخ "محمد حامد الفقي" -رحمه الله- في ترجمة للشيخ فوزان بعد وفاته ذكر فيها فضائله، وشيئاً من أعماله وصفاته، وكان الشيخ "حامد الفقي" هو الذي غسّل الشيخ "فوزان"، وكفنه -بوصية من الشيخ فوزان-، ويعد هذا دليلا على تقدير العلماء للشيخ "فوزان"، ومن ذلك ما ذكره "صالح السليمان العمري" في معرض ترجمته وحديثه عن الشيخ "فوزان".

رحلاته التجارية

استفاد الشيخ "فوزان" من رحلاته العلمية -عدا طلب العلم- معرفته لطبائع، وعادات، وأساليب، وأنماط المعيشة، في جميع الدول والأماكن التي نزلها، كما استطاع من خلال هذه الرحلات أن يحدد أوجه نشاطه التجاري الذي بدأ به، بعد أن أنهى رحلته الطويلة في طلب العلم، ولذا فقد شرع منذ عودته بممارسة تجارة الإبل والخيول، حيث يشتري الخيول من أسواق (نجد)، ويعرضها في (الشام) و(العراق) و(مصر)، وقد عرف عن الشيخ "فوزان" أنه أحد أكبر تجار "العقيلات" الذين لم تقف سفراتهم وتنقلهم على (الشام) و(العراق)، بل وصلت (مصر) وربما إلى (ليبيا)، ولذا فقد كان "أمير العقيلات" في كثير من رحلاتهم.

مهام دبلوماسية

اتصل الشيخ "فوزان" بالملك عبدالعزيز بعد دخول الملك لـ(الرياض) عام ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠٢م، واشترك معه في معركة "جراب" عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥م، وفي عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢١م كان الشيخ فوزان موجودا في (الشام)، وحينها كانت (سورية) تحت "الانتداب الفرنسي"، فاختاره الملك "عبدالعزيز آل سعود" -آنذاك- وكيلا له في منطقة (الشام)، حتى عُرف بعد ذلك بـ"وكيل عظمة سلطان نجد"، وبعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م أذن الملك عبدالعزيز للشيخ "فوزان السابق" بالسفر من (الشام) إلى (مصر)، وكلفه بأعمال وكالة مملكة الحجاز حينها، وأصبح مسماها حين تسلمها وكالة "مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها"، حتى تم توحيد المملكة تحت مسمى المملكة العربية السعودية، وذلك يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، ليصبح مسماها وكالة المملكة العربية السعودية في (مصر).

وكالة ومفوضية

وذكر المؤرخ "محمد بن عبدالرزاق القشعمي" أنه بعد إبرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية في عام ١٣٥٥ الموافق ١٩٣٦م تحولت الوكالة إلى مفوضية، وأصبح الشيخ "فوزان السابق" وزيرا مفوضا للمملكة العربية السعودية في (مصر)، وافتتح مقر المفوضية رسميا بحضور رئيس وزراء (مصر) الزعيم "مصطفى النحاس باشا"، وبحضور عدد من الشخصيات المهمة ورجال السياسة العرب والمصريين، وعيّن عدداً من الوكلاء لرعاية مصالح القادمين من السعودية من "العقيلات" تجار المواشي من الإبل، والخيول، في (غزة) بـ(فلسطين) ومنهم "عبدالعزيز بن عبيد" في (العريش)، و"عبدالعزيز بن جميعة" في (القنطرة الشرقية)، و"عبدالله وسليمان الرميح" في (الإسماعيلية)، و"حمد بن مسلم"، وإن كان هؤلاء الوكلاء يتولون الأعمال شرفيا، فقد كانوا يقومون على خدمة الرعايا السعوديين بكل جد ونشاط، وكان الشيخ "فوزان السابق" يمثل المملكة العربية السعودية في الاجتماعات الرسمية، وكان على رأس مستقبلي الملك عبدالعزيز في زيارتيه لـ(مصر) عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٥م، وعام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٦م، وهو الوزير المفوض والمندوب فوق العادة لدى الحكومة المصرية، وعندما توسعت أعمال القنصلية عُين الشيخ "عبدالله بن إبراهيم الفضل" قنصلا عاما، وزودت المفوضية بعدد من الموظفين.

وأورد "صالح السليمان العمري" في كتابه (علماء آل سليم وتلاميذهم وعلماء القصيم) أن أحد المعاصرين للشيخ "فوزان السابق" ذكر أنه طلب مرارا من الملك عبدالعزيز أن يُعفيه من منصبه، لكن الملك عبدالعزيز لم يوافق إلا بشرط، أن يختار من يحل محله، وأن يدرّبه على أعمال المفوضية، فاختار الشيخ "عبدالله بن إبراهيم الفضل" كأحد الرجال الموثوق بهم، وبعد أن تمرّس بالعمل، وافق الملك عبدالعزيز على إحالة الشيخ "فوزان" إلى التقاعد عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م وعمره حوالي (٩٠) عاما.

تعدد المهام

تعددت مهام وأعمال "فوزان السابق" في (مصر)، حيث المناشط الثقافية، والعلمية، والسياسية، والاجتماعية، وعليه فقد كان عميد السلك الدبلوماسي في (مصر) لأكثر من (٢٠) سنة، ولذا فقد سعى -رحمه الله- مع الملك عبدالعزيز بطبع عدة كتب مهمة مثل (المغني) و(الشرح الكبير) و(تفسير ابن كثير) و(تفسير البغوي) و(مجموعة التوحيد) و(مجموعة الحديث) و(مجموعة المتون) و(الرسائل والمسائل النجدية) و(البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير)، وغيرها من الكتب، وقد تولى طبع هذه الكتب والإشراف عليها الشيخ "محمد رشيد رضا"، وكان الشيخ "فوزان" -طوال مدة إقامته بالقاهرة- إذا علم بين أحد من أهلها نزاعا أو خلافا حل مشكلتهم برأيه وماله، وله هيبة عظيمة، وتقدير في نفوس الرعايا السعوديين، إذ كان عقيل تجار الخيل والإبل يرتادون (مصر) بالألوف سنويا، ويقيم بعضهم هناك عدة شهور للتجارة بالخيل، والإبل، والأغنام، -وفقا لما ذكره العمري-، كما نسخ، بخط يده، عددا من الكتب في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وطبع كتاب "قواعد ابن رجب" وعمل لتلك القواعد فهرسا منظما ومصوغا صياغة فقهية مفيدة، على نفقته، ناهيك عن الكتب الأخرى التي طبعها.

كما ذكر "القشعمي": "بل وأسس مكتبة في مدينة بريدة، ثم وضعها في جامعها، وقد ضمت هذه المكتبة إلى المكتبة العامة في مدينة بريدة، -وفق ما أورده إبراهيم المعارك في (أعلام القصيم)-، وقد جرت بيني وبين من ذكرتهم مباحثات عديدة في هذه المسائل التي هي أصل أصول الدين، وهي التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له".

خيل أصيلة

وعرف عن الشيخ "فوزان السابق" حبه وشغفه بتربية الخيول العربية الأصيلة، بل كان من أشهر مربي الخيل في (مصر)، ولعل قصة جواده المشهور (مهلهل) -الذي كان من مقتنيات إسطبله في "المطرية" بـ(مصر)- أكبر دليل على شغفه بالخيل وتربيتها، حيث ارتبط هذا الجواد باكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية، ويروي "محمد الفوزان" -نجل الشيخ فوزان السابق- قصة خيل والده (مهلهل)، قائلا: "في سنة ١٩٢٧م، حضر مستر كراين لزيارة الوالد، بتوصية من المفوض الامريكي بالقاهرة، وطلب أن يرى الجياد العربية التي يمتلكها الوالد، وقد استعرضت أمامه الجياد الموجودة في الإسطبل، وعندما وقف أمامه أحد الجياد صاح بأعلى صوته: يا إلهي! ما هذه العظمة؟، كان هذا الجواد اسمه مهلهل، ناصع البياض، وآية من آيات الله، جمال وقوة، فاز بجميع السباقات التي اشترك فيها، لم يتمالك نفسه، وهو يخرج دفتر شيكات من جيبه يوقع أحدها على بياض، تاركا للشيخ فوزان تقدير القيمة، وقد قال الشيخ فوازان للمترجم: قل للمستر كراين هو لك، وليدخل دفتر شيكاته في جيبه، فإن الحصان هدية مني له، حينها دهش المستر كراين لهذا التصرف من الشيخ فوزان، ولم يمض أيام حتى كان الحصان مهلهل على ظهر أحد المراكب المتجهة إلى أمريكا من ميناء الإسكندرية، وفي ١٠ يوليه سنة ١٩٢٨م تلقى الشيخ فوزان رسالة من المستر تشارلز كراين وصورة للجواد، جاء فيها: عزيزي الشيخ فوزان.. أرسلت إليك صورة الجواد الجميل، وعلى الرغم من أن ولاية فرجينيا تشتهر بالجياد الممتازة، إلا أن هواة الفروسية الذين سمعوا عن جوادك يسافرون لمسافات شاسعة فقط ليروا جوادك، ثم يبدون الإعجاب به، أضمن هذا الخطاب سلامي لزعيمكم العظيم عبدالعزيز آل سعود، ولك، وأماني لكم ولبلدكم بالرفاهية.. المخلص لك تشارلز ر كراين".

وذكر "القشعمي" أنه في إحدى زيارات "كراين" للشرق الأوسط قام بزيارة لمقر المفوضية وأبدى رغبته في زيارة المملكة، وقد تمت هذه الزيارة، ووصل المستر "تشارلز كراين" إلى ميناء جدة يوم الأحد ١٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ الموافق ١٦ أبريل ١٩٣١م، وكان يرافقه الأستاذ "جورج أنطونيوس" مؤلف كتاب (يقظة العرب) كمترجم، وكانت رغبة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- البحث عن مصدر للمياه في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، ومناطق الحج بصفة خاصة، وكان عطاء الله أكبر، حيث كان الجيولوجي "المستر كارل إس تويتشل"، أحد العاملين لدى "المستر كراين" في (اليمن)، في مهمة للبحث عن المياه، فأوعز له بالحضور إلى السعودية، ووضع خدماته تحت تصرف الملك عبدالعزيز، على أن تتكفل المملكة بتأمين تنقلاته، وتأمين إقامته ومعيشته، فكان البحث عن مصادر المياه يتم بطريقة علمية كثر الحديث عنها.

كرم حاتمي

عرف الشيخ "فوزان" "رحمه الله" بسخائه وعميم كرمه، ويكاد يشترك في هذه الخصلة مع عدد كبير من سفراء المملكة الذين عرفوا بخصال الجود والكرم، ولا شك حينها أن "فوزان السابق" و"محمد الحمد الشبيلي" كانا علمين بارزين في هذا الميدان، ويذكر الباحثون أن منزل الشيخ فوزان بـ(مصر) كان موئلا وملجأ لأهل (نجد)، وحيث كان يتفقد أحوالهم ويتلمس احتياجاتهم، ويذلل لهم الصعاب، بل ويساعد المحتاجين منهم، ويذكر أنه كان يخصص للفقراء والمحتاجين منهم مخصصات شهرية، حتى إنه حين توفي أدرك هؤلاء الذين يزورونه أنه كان يقدم لهم المساعدات من ماله الخاص، في حال علم أن ليس لديهم أوامر صرف رسمية.

وذكر "القشعمي" أن "ناصر السليمان العمري" أورد في كتابه (ملامح عربية) قصة بعنوان (تقديم المال دون العرض)، هي تدل على حكمة فوزان السابق، وعزة نفسه، جاء فيها: كان "فوزان السابق الفوزان" وجماعة من "عقيل" مسافرين في بادية (الشام)، فنزلوا ضيوفا لدى رجل من البادية، وأقاموا ليلة في ضيافة البدو، وفي الصباح الباكر تحرك ركب "عقيل"، وفي مقدمتهم "فوزان السابق الفوزان"، وأخذوا طريقهم مغربين، وبعد ساعة من تحركهم لحق بهم رجل يركب فرسا، وشعر به هؤلاء الرجال، فقال فوزان السابق لرفاقه: تقدموا وأنا انتظر صاحب الفرس، وصل صاحب الفرس إلى فوزان السابق وسلم، وقال لفوزان: بتم عندنا ففقدنا كيس ذهب، فسأله فوزان عن مقداره فقال: كذا جنيه، وكان "فوزان معتمد المؤسس في (مصر) السابق" يضع جنيهات في محزم يخفيه تحت ثيابه، فعد جنيهات تقابل جنيهات البدوي، وسلمها له وقال: هذا بعدد جنيهاتكم، ولا حاجة لسؤال جماعتي عن الذهب، فأخذها البدوي ورجع، ومضى فوزان وجماعته في رحلتهم التجارية، وبعد أيام جاء شاب بدوي من أهل الذهب إلى أهله، ومعه عدد من الإبل، فسأله أبوه من أين هذه الإبل؟ قال: اشتريتها من العراق، فقال له: ومن أين لك قيمتها؟، قال: الذهب الذي عندنا، فعرف الأب أن ولده هو أخذ الذهب، ولكن ما العذر من الشيخ "فوزان السابق" وجماعته؟، فركب الرجل في أثر "فوزان السابق"، فسلم وبادر إلى تقبيل أنف الشيخ "فوزان السابق" يعتذر، ويطلب العفو والمسامحة، وقص القصة على الشيخ "فوزان" وجماعته، فقبل "فوزان" عذره واستعاد ذهبه.

وفاته

يذكر أنه قد ولد للشيخ "فوزان" عدد من الأولاد، إلا أنهم توفوا جميعاً قبل البلوغ، وبعد كبر الشيخ وطار غراب رأسه ولد له ولد في ٢٢-٣-١٩٣٩م الموافق ١٣٥٩هـ سماه "محمد"، فلما بلغ الخبر الملك عبدالعزيز سعد بالخبر، وفرح به، ثم راح يداعب الشيخ فوزان، فأرسل له رسالة فيها: (سبحان من يحيي العظام وهي رميم)، وكان فوزان السابق قد طلب ولعدة مرات من الملك عبدالعزيز أن يعفيه من منصبه، بيد أن الملك لم يوافق إلا بشرط أن يختار فوزان من يحل مكانه، وأن يدربه على الأعمال المنوطة به، فاختار الشيخ "عبدالله بن إبراهيم الفضل"، الذي يعرفه الملك عبدالعزيز جيدا، ويعرف أسرته وعمومته الذين عملوا بكل جد مع الملك منذ عودته إلى (نجد)، ولذا فقد وافق الملك عبدالعزيز على إحالة الشيخ فوزان إلى التقاعد عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م، وكان عمره آنذاك تسعين عاما.

ويقال انه عندما أحيل الشيخ "فوزان" للتقاعد رفض الملك عبدالعزيز أن يخرج من دار المفوضية، وقال لمن سأله عن موعد استلام العمل فيها: "تخرج المفوضية إلى مكان آخر، ولا يخرج فوزان، فالبيت هدية له مني"، وبالفعل كلف "فوزان" بالبحث عن مكان آخر، ووقع الاختيار على (فيلا) مبنى في ميدان "الرماحة" بشارع "الجيزة" الرئيس، فكانت مقرّ المفوضية، ثم السفارة بعد ذلك، -حسبما روى القشعمي- الذي أكد اهتمام الملك عبدالعزيز بالشيخ، حيث كان يتفقد أخباره ويسأل عنه في كل مناسبة، بل إن الشيخ "فوزان" كان قد التقى بالملك عبدالعزيز قبل وفاة الملك في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، حيث جاء "فوزان" للحج، وقابل الملك في الطائف، وكان هذا آخر لقاء جمع الاثنين، حيث توفي الملك في شهر ربيع، وتوفي بعده الشيخ "فوزان" في الرابع من شهر جمادى الأولى ١٣٧٣هـ الموافق ٩ يناير ١٩٥٤م، ودفن بالقاهرة، وذلك عن عمر يناهز المئة عام (٩٨) سنة، وكان الشيخ "حامد الفقي" هو من تكفل بغسله وكفنه.



الشيخ فوزان أثناء توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار بين المملكة السعودية وإمارة شرق الأردن



الشيخ فوزان السابق في وداع فؤاد حمزة



الشيخ فوزان ضمن الوفد المشارك في اجتماع الإسكندرية الذي أدى لإنشاء جامعة الدول العربية

علم ومجدد بارز وأحد أبرز علماء المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري

محمد الطيب الأنصاري «الطيب التنبكتي»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ لا يغيب عن ذهن الدارسين والمحققين أنّ للكتابة عن الإعلام والأعيان ضرورة، بل شروط ومتطلبات من الأولى والأجدر أن يتقيد بها من استلم زمام الترجمة وكتابة السير، ولا شك -حينذاك- أنّ كل ما دُون أو يدَون في هذا المجال سوف يمر بمجهر النقد وعين الرقيب، ولا أدلّ على ذلك إلاّ ما خطّه وكتبه ودوّنه العلماء الأوائل من أفذاذ وعلماء العصور المتقدمة، الذين استلموا زمام كتب تراجم الأعيان والإعلام، الذين أشبعت كتاباتهم نقداً وتمحيصاً من طلابهم ومن خلفهم من علماء الأجيال اللاحقة، ولعلنا حين نكتب في تراجم هؤلاء الأفذاذ من رواد العلم والمعرفة، نقف على عدد كبير منهم بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث الحرمين الشريفين مهوى أفئدة أبناء أمة الإسلام وقبلة المسلمين، التي زخرت بعدد لا يحصى من مشايخ ورواد وعلماء الأمة، الذين كان من بينهم الشيخ والعلامة المدني محمد الطيب الأنصاري، الذي شرف عدد كبير من أقاليم ودول العالم الإسلامي بزياراته ومحاضراته، كما حظي طلبة العلم بالجلوس بين يديه والنهل من معين علمه الصافي، لم لا؟، والشيخ محمد الطيب الأنصاري هو ربيب مجالس العلم وأحد أبرز علماء المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري.

مجالسه العلمية مقصد الأدباء وأساطين العلم وتزخر بإرث كبير من بحور المعرفة



المسجد النبوي كان ولايزال مقصد الكثير من طلبة العلم



تلقى الشيخ الأنصاري العلم في حلقات التدريس على يد علماء بلده

مجتمع علمي

زخر المجتمع العلمي بطيبة الطيبة إبّان القرن الهجري المنصرم بنخبة من العلماء الرواد الذين كان لهم ولطلابهم أياد بيضاء على مجتمعنا وبلادنا، وذلك بفضل ما وهبهم الله من بضاعة العلم وصدق النية بالعمل، حتى لقد كان البعض منهم يجوب بلدان العالم الإسلامي حاملاً معه مصابيح العلم النقي الذي تلقاه من نخبة من علماء عصره ممّن زخرت بهم زوايا وأروقة الحرم النبوي الشريف، كما تكفل بعضهم بخدمة قضايا الأمة، التي كانت معظم شعوبها -حينذاك- ترزح تحت نير الاحتلال الأجنبي، وقد كان لعلماء المدينة المنورة دور حيوي وهام في الذود عن حمى البلاد الإسلامية، كما كان لهم دور في تثقيف وتعريف شباب العالم الإسلامي بهموم أمتهم وسبل النهوض بها، وفعلاً كان مجتمع العلماء في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة مرجعا لكافة علماء الأمة، ولا عجب حينها أن تجد العلماء الأفذاذ في شرق المعمورة وغربها تلاميذ عند هذا العالم المكي أو ذلك الشيخ المدني.

حضور فاعل

ويصف الدكتور عبدالله عسيلان لقاءات العلماء والأدباء في الجوامع والمجامع العلمية بالمدينة المنورة، فيقول: كانت تلك اللقاءات تعقد إمّا في النهار، في بستان من بساتين المدينة وتسمى (قيلة)، أو الليل وتسمى (ليلة)، وأذا تعذر الخروج إلى البستان عقدت القيلة أو الليلة في بيت أحدهم بالتناوب، وغالبا ما يرافق القيلة وجبة غداء والليلة وجبة عشاء، ومن أشهر البساتين بستان (المصرع) أو (خيف السيد) ويملكه آل مدني، وبستان (الزهرة) لآل محروس، ويقعان إلى الشمال من المدينة لا سيّما (الزهرة)، التي كانت تقع في منطقة (العيون) شمال جبل أحد"، ولا شك أنّ هذه المجالس والمنتديات العلمية كانت مهوى ومقصد العديد من الأدباء وأساطين العلم في ذلك الزمان حتى من خارج الجزيرة العربية، من أولئك الذين كان لهم مشاركات وحضور فاعل وبارز.

ووصف الأديب محمد حسين زيدان المجتمع العلمي في مدينة رسول الله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-، فقال: "إنّ هؤلاء الذين كثر وجودهم في المسجد من العلماء منهم من الذين ولدوا من أعراق قديمة فيها، كالسيد أحمد البرزنجي وابنه السيد زكي البرزنجي، والشيخ إبراهيم البري وابنه عمر البري، والشيخ عمر كردي الكوراني حفيد صاحب السند العالي إبراهيم الكردي الكوراني، الذي اتصل به شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أيام وجوده في المدينة المنورة، وقبل هؤلاء كان العلامة الجليل عبدالجليل براده وصديقه وصفيّه إبراهيم الأسكوبي، أمّا الذين أصبحوا من أهل المدينة حقا فأقاموا فيها يعمرون المسجد فأكثرهم من المغاربة -تونسيون وجزائريون ومراكشيون-، أمثال شيخ الشيوخ حمدان بن الونيس، الذي أخذ عنه الأمير شكيب أرسلان الكثير وأعجب به".

نسبه وبداياته

ينتسب الشيخ محمد الطيب إلى قبيلة الخزرج من الأزد من القبائل الكهلانية من قحطان، وهم وأبناء عمومتهم الأوس أنصار رسول الله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-، الذين قال فيهم: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار"، وهو محمد الطيب بن إسحاق بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي المدني مالكي المذهب، سلفي العقيدة، يقال له (الطيب التنبكتي) نسبة إلى المدينة التي ولد فيها وهي مدينة (تنبكتو) الزاخرة بالعلماء، وتقع على نهر النيجر المسمى نهر (الميز)، وهي بلدة بمنطقة المراقد ببلاد المغرب الأقصى، وتقع في أطراف الصحراء الإفريقية الكبرى، وكان مولده في العام (١٢٩٦هـ)، وهناك نشأ وتربى، ولما بلغ الثامنة من عمره توفي والده، فكفله خاله الشيخ مبارك وجماعة من أقاربه، فحفظ القرآن الكريم على يد خاله الشيخ محمد بن أحمد، وتلقى العلم في حلقات التدريس على يد علماء بلده، وارتحل في طلب العلم إلى العديد من الأقاليم؛ فأخذ العلم من علمائها، ويقال أنه جمع بين التعلم بالتلقي، والتعلم بالقدوة من الأهل والمعارف، خاصة والده وأخواله، لذا فقد اتصف بتنوع مشاربه ودراساته، كما اتصف بالذكاء والفطنة، حتى أنه كلف بمهام القضاء في بعض الجهات رغم صغر سنه، حيث أهله علمه وحلمه ورجاحة عقله لذلك.

الهجرة للمدينة

هاجر الشيخ محمد الطيب وبعض أقاربه إلى المدينة المنورة في العام (١٣٢٣هـ) بعد احتلال الفرنسيين للمناطق التي كان يسكنها، وكان من ضمن أولئك المهاجرين شيخه الشيخ محمود، وما لبث الشيخ الأنصاري بالمدينة إلا وانتقل إلى مكة المكرمة متفرغا للعبادة ومواصلة طلب العلم والاطلاع على ما تحتويه خزان (أم القرى) من كتب ومكتبات، وبعد أن نهل من مشارب العلوم الشرعية والمعارف المختلفة والتقى بعلماء مكة المكرمة، قرر -رحمه الله- العودة إلى المدينة المنورة، وكانت مدة إقامته بمكة لا تتجاوز العام الواحد، إلا أنه -يرحمه الله- استفاد من هذه المدة الوجيزة بأن زار بيت الله الحرام أولاً وعكف على طلب العلم ثانيا، وبعودته إلى المدينة المنورة عزم -رحمه الله- على أن يحظى بمشاركة أقرانه في نشر العلم في حلقات المسجد النبوي الشريف، لاسيما أنه كان يعمل من خلال منهجه العلمي بقول المصطفى -عليه الصلاة والسلام-: "من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"، وعليه فقد بدأ يدرّس العلوم العربية، كالنحو والصرف وبعض العلوم الشرعية، كالفقه والتفسير، وأقبل عليه -حينها- طلبة العلم من كل حدب وصوب، فكان يواصل التدريس بعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب حتى آذان العشاء، ثمّ يعود إلى المنزل بعد صلاة العشاء للمطالعة والمذاكرة مع بعض طلاب العلم الذين يرافقونه حتى بيته.

أبرز تلاميذه

تتلمذ على يد الشيخ محمد الطيب عدد من الطلاب ممّن أصبحوا فيما بعد من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وما أن حل العام (١٣٤١هـ) إلا وعين الشيخ محمد الطيب رئيسا لمدرسي المسجد النبوي، فزاد عدد طلابه وقصده الكثير من طلبة العلم، ثمّ التحق -يرحمه الله- بمدرسة العلوم الشرعية، وتولى رئاسة مدرسيها بناءً على طلب مؤسسها والمسؤول عنها السيد أحمد الفيض آبادي، وظل الشيخ بعدها عاكفا على التأليف والتدوين ومنشغلا بالتدريس ونشر العلم، حتى انشغل بما لديه من بضاعة العلم، لا سيّما أنه كان من العاملين به، ولذا فقد أعرض عن كثير من المناصب والمراتب العملية، وكان قد درس على يديه عدد كبير من طلاب العلم الذين اجتهدوا -كما اجتهد شيخهم- في نشر العلم والمعرفة، وقد برز عدد كبير منهم ممّن توزعوا في جامعات المملكة ومؤسساتها العلمية والإعلامية، كالشيخ إسماعيل حفظي والشيخ عمر بري والسيد علي حافظ والسيد عثمان حافظ والسيد عبيد مدني والسيد أمين مدني والأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، الذي كان الشيخ محمد الطيب خال والده، ورئيس رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن علي الحركان وأبو حمزة ضياء الدين رجب ومحمد عبدالله صاحب كتاب "الباز المنقض على من قال بكروية الأرض"، إضافة إلى ابنه البروفيسور عبدالرحمن الأنصاري المؤرخ وعالم الآثار المعروف، وغيرهم كثير.

ثناء تلاميذه

يصف عبدالقدوس الأنصاري أستاذه ومعلمه محمد الطيب، بقوله: "إنه أحد زعماء الإصلاح"، ويقول عنه: "إنه كان علم بارع ومجدد في عالم الفكر، وهب نفسه وفكره للتعليم والإصلاح"، بل كان يعده مماثلاً للسيد رشيد رضا والشيخ المراغي في عصره.

ويقول عنه تلميذه الأستاذ الأديب محمد حسين زيدان: "كان الشيخ الطيب (يقصد الشيخ محمد الطيب الأنصاري) ثالث ثلاثة تزينت بهم مدرسة العلوم الشرعية، التي أسسها الشيخ أحمد الفيض أبادي، لقد كان هؤلاء الثلاثة كباراً في علمهم وتعاملهم وحنانهم على التلاميذ، والغريب أنّ كلهم أفارقة، مغربيان هما: الشيخ محمد الأمين الليبي الزاهد التقي واسع المعرفة.. كأنه قد أنتزع من ذلك العصر.. عصر الموسوعيين، هو الأستاذ الذي أهدانا الصديق محمد عمر توفيق، والثاني هو الشيخ محمد بن عبدالقادر الكيلاني الخفي عن الكثير والبين كل الإبانة لدى من اختصه، لقد كان تونسيا صديقا لعبدالعزيز الثعالبي، ومصريا تلميذاً لمحمد عبده، وتركيا قاضيا في أزمير، ويونانيا رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى في كريت، ومدنيا أستاذا في دار العلوم الشرعية، أمّا الثالث فهو الشيخ الطيب الأنصاري، وكان أكثر من هذين تلامذة وتأثيرا".

لم يكن الشيخ محمد الطيب يستنكف أن يتلقى المعلومة ممّن هم أقل منه حضاً في العلم، بل كان يأخذ الحكمة والمعرفة من أيّ وعاء خرجت، فيعرضها لمجهر النقد الشرعي ويأخذ بها أو يدعها، ولا أدل على ذلك إلا ما رواه تلميذه الأديب محمد حسين زيدان من قصص حدثت له مع شيخه، فقد قال في إحداها: "ومرة وجدت ابنه الصديق الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في القماط وهو بجانبه، وقد كان وعكا مصابا ببعض الحساسية، فقلت للشيخ: لعلها الوراثة، فقال الشيخ: (لا أؤمن بالوراثة)، قلت: بل تؤمن بها (تخيّروا لنطفكم، فإن العرق دساس)، ولعله عرق انتزعه، فقال -بكل السماحة والرجاحة-: أهذه هي الوراثة؟، قلت: نعم، قال: آمنت بالوراثة".

موروثه العلمي

ترك الشيخ محمد إرثا كبيرا من بحور العلم والمعرفة تمثلت في عدد من الكتب والمحاضرات والندوات، التي ألقاها ودوّنها بعض طلبة العلم، ولا شك أنّ الشيخ منذ أن جلس لطلابه، سواءً في الحرم النبوي أو في وظائفه التعليمية حرص كل الحرص ألا يقف علمه على عدد من طلابه أو تلاميذه، ما دعاه إلى تدوين مناقشته لبعض المسائل والأحكام في عدة كتب، وكان من بينها كتابه "الدرة الثمينة في النحو"، التي وصفها الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري بأنها تتميز بجمال التعبير ووضوح الهدف وتحديد المراد، وقد ألفها لصغار طلابه في العام (١٣٢٥هـ) في المدينة المنورة ودرسهم إيّاها، والذي نظم فيه شذور الذهب لابن هشام وكذلك كتابه "اللآلئ المكينة شرح الدرة الثمينة"، و"البراهين المواضحات في نظم كشف الشبهات" في مسائل التوحيد، وطبع في مطبعة جريدة المدينة المنورة، وكتاب "تحبير التحرير في اختصار تفسير ابن جرير" في عدة مجلدات بدأ به أثناء تدريسه لتفسير ابن جرير في المسجد النبوي، والذي وصل فيه إلى سورة "قد سمع"، وكتاب "السراج الوهاج في اختصار صحيح مسلم بن الحجاج"، وكتاب "التحفة البكرية في نظم الشافية"، وهو كتاب في الصرف، أيّ شافية ابن الحاجب وسمّاها التحفة "البكرية" نسبة إلى تلميذه بالمسجد النبوي لاحقا الشيخ أبي بكر بن محمد السوقي.



منهجه التربوي

يصف الباحث والمؤرخ المدني محمد عسيلان الشيخ محمد الطيب بأنه ظل يعمل على تأصيل الخلق الفاضل في الناشئة، وقال: "قيل عنه الكثير، وكيف كان يحيل الخلاف إلى الفهم الإسلامي، كان في منهجه التربوي يجعل من الطلاب أصحاب وعي مدرك لتاريخ آبائهم الحامل بالعطاء، وأنه لا ينبغي أن يغيب عن ذاكرتهم أنه يعتمد على التفكير لا على التلقين، وهو بهذا المنهج إنما يزرع في فكر الناشئة منهجية هامة من مناهج العلم، جاءت البحوث الميدانية والتربوية بعدها لتقررها لنا، وكان -يرحمه الله- ينظر إلى العلم برؤية واسعة نادرة في جيله، فهو يؤمن بالتخصصات الأخرى ويشبّه المعرفة الإنسانية بشجرة لها جذع ضخم تسقي سائر الفروع بالماء.

شاعريته

ربما فات على بعض الدارسين لسيرة الشيخ محمد الطيب الأنصاري -يرحمه الله- أنه من أولئك الرواد الذين كان لهم حظوة في ديوان العرب، حيث كان ممّن يشجع البارزين من تلامذته في ميدان الشعر الجيد، وكان سماعه لهم سماع المهتم المتفهم لأغراض الشعر، كما ذكر ذلك محمد عسيلان، الذي يقول: "أمّا هو فإنني كما فهمت من الأديب الراحل الأستاذ عبد القدوس الأنصاري قوله أنّ محمد الطيب العلم كان يقرض الشعر في شبابه، وبعد أن كبر وتقدم به السن تركه، لكنه في أطواره العمرية قدّم نماذج شعرية في النظام العلمي الذي ساد تلك الفترة، أمّا الشعر العاطفي والوجداني، فأعتقد أنّ العلماء قد كان لهم موقف أخذوه من الشافعي الذي يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

وفاته

توفي -يرحمه الله- صبيحة يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة عام (١٣٦٢هـ) في المدينة المنورة، التي رفض أن يغادرها حتى حين علاجه، ودفن في "البقيع" في عصر ذلك اليوم، وصلّيَ عليه صلاة الغائب في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وفي الجامع الكبير بالرياض، رحمه الله رحمة واسعة على ما قدّم في خدمة العلم وطلاب العلم في طيبة الطيبة.



زار الشيخ أثناء إقامته القصيرة في مكة البيت الحرام وعكف على طلب العلم



حظيت لقاءات علماء وأدباء المدينة المنورة بحضور الأدباء وأساطين العلم

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

شارك في كثير من غزوات توحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار في ربوعها

تركي بن عبدالله الهزاني.. «أمير الحريق»

تظل الصفحات المشرقة في تاريخ القرن الثالث عشر الهجري في وسط الجزيرة العربية حبلى بعدد كبير من الأسماء اللامعة، التي حدثنا عنها المؤرخون ونقب عن أخبارها الرواة والباحثون، إذ لم تقف تراجم رجالات ذلك القرن وأعيانهم على العلماء والأئمة والأمراء وقادة الجيوش، بل تجاوزتها إلى توثيق سير الشعراء والبلغاء والرحالة والأدباء، كل في فنه ومجاله وعصره وزمانه.

ويظلّ الأمير تركي بن عبدالله الهزاني - أمير بلدة الحريق - من بين أعيان وأعلام نجد في القرن الثالث عشر الهجري، وقد ورث إمرة بلدته التي بناها جده الأمير رشيد بن مسعود الهزاني في العام (١٠٤٠هـ)، بعد أن اختط بيته وبئره ومزرعته وسط أرض فسيحة تحيط بها الأشجار والخضرة من كل جانب، ما دعاه إلى إحراق بعض هذه الأشجار لبناء منزله، لذا حملت البلدة اسم "الحريق" منذ ذلك العصر، على أنّ للحريق عدة أسماء عُرفت بين الناس قديماً وحديثاً، ومن هذه الأسماء "الوسيطا"؛ لكونها تتوسط الوادي، و"الفُرع" كناية عن تفرُّع شعابها ووديانها.

تولى إمارة الحريق ٦٦ عاماً وسطر مواقف مشرفة ضد عساكر «الترك» فترة الدولة السعودية الثانية

أمير الحريق

ولد الأمير تركي بن عبدالله بن رشيد بن حمد بن رشيد بن مسعود الهزاني، في بلدة "الحريق" سنة (١١٧٣) للهجرة - كما أورد ذلك صاحب امتاع السامر- ونشأ في بيت إمارة، فتعلم القرآن الكريم مبكراً، ثمّ درس أصول الدين واللغة العربية، وعُرف بين أقرانه وأهل زمانه بأنه كان فارساً كريماً خليق بالإمارة والسيادة، حتى قالت فيه الشعراء فأكثرت، ومدحته فاطنبت وأسهبت، يقول فيه "أحمد أبو عنقا":

وين سور الدار وين احزامها
وين ريف الضيف من جوع حداه
وين عمي تركي ذرب اليمين
وين من للضد يبحث عن كداه

وتولّى الأمير تركي إمارة بلدته "الحريق" خلفاً لعمه زيد بن رشيد، وبلغت فترة إمارته (٦٦) عاماً، وقد عاش الشاعر "محسن الهزاني" وقت إمارة تركي بن عبدالله الهزاني (٤٥) عاماً، وحينها بلغت "الحريق" في ذلك العصر أوج اتساعها ونشاطها العمراني والتجاري، وازداد عدد ساكنيها وقاصديها، وقد استشهد العلامة عبدالله بن خميس - رحمه الله - بما قاله فيها الشاعر سليمان بن عفالق:

بوادي نعام جعل يعتاد ريعه
حقوق الحيا من كل غراً ورايحه

ويُذكر أنّ للأمير تركي الهزاني مواقف حاسمة أيام الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام تركي بن عبدالله آل سعود وابنه الإمام فيصل بن تركي - رحمهم الله- فقد كان له ولأبناء بلدته وما حولها موقفٌ مشرّف في عهد الإمام فيصل بن تركي ضدّ عساكر "الترك" وأتباعهم وهزيمتهم الهزيمة العظيمة التي وقعت قرب بلدة "الحلوة" سنة (١٢٥٣هـ).

حركة علمية

عاشت بلدة "الحريق" في عهد إمرة تركي بن عبدالله الهزاني تقدما علميًا شهدت من خلاله حركة معرفية ونشاطا تعليميا حظي بمتابعة وإشراف عدد من علماء وقضاة ذلك العصر، وحينها أنشأ الأمير تركي بن عبدالله الهزاني المجمع الفقهي بجوار جامع "الحريق" الكبير لتعليم القرآن الكريم وأصول الدين، وكان يقوم بالتدريس فيه عدد من العلماء والقضاة، كالشيخ سعيد بن حجي، الذي توفي سنة (١٢٢٩هـ)، ثمّ الشيخ رشيد السردي، الذي اشتهر بغزارة علمه في الحديث والفقه وكان عالمًا ومحاربا، وقد وفد بصحبة الأمير تركي بن عبدالله الهزاني للمشاركة مع القوات السعودية في الدفاع عن "الدرعية" أثناء حصار "إبراهيم باشا" لها، وهو ممّن قُتل فيها سنة (١٢٣٣هـ)، وفق ما ذكره "ابن بشر".

كما كانت "الزراعة" من أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى سكان بلدة "الحريق"، لا سيّما زراعة النخيل، وقد اشتهرت "الحريق" و"نعام" بكثرة نخيلها وتمورها، ويستشهد العلامة "ابن خميس" بقول أحد الشعراء وهو يصف "الحريق" و"نعام" وبعض بلدات "نجد" و"اليمامة" وينعتها بخصوبة الأرض وكثرة النخيل وزراعة التمور:

يعوضك في هجر إلى قل تمره
وادي بريك وملهم ونعام

وكانت "الحريق" إحدى محطات القوافل في ممر الحجيج القادمين من "الأحساء" و"الخرج" وما حولها، لذا كانت مركزًا تجاريا يقصدها القاصي والداني، لا سيّما في فترة المواسم، ما جعل منها مركز قوة اقتصادية وتجارية تمتلك أهم مقومات الحياة الاقتصادية - آنذاك - ولا شك أنّها في عهد الأمير "تركي" كانت من أشهر حواضر نجد، وكانت الحياة فيها تعكس رغد العيش وطيب المقام.



كانت علاقة تركي الهزاني بالإمام تركي بن عبدالله قوية ومتينة



بلدة الحريق عام ١٣٩٤هـ

معارك الدرعية

مع قدوم محمد بن رشيد الهزاني - وهو عم تركي بن عبدالله الهزاني - إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، دخلت "الحريق" ضمن حكم الإمام محمد بن سعود، وذكر "ابن بشر" في تاريخه: أنّه في سنة (١١٨٨هـ) قدم الدرعية محمد بن رشيد الهزاني صاحب حريق نعام وأعلن انقياده وإيمانه بالدعوة، وبعد تولي تركي بن عبدالله الهزاني إمارة الحريق سنة (١١٩٥هـ) واصل المسير مع حكام الدولة السعودية الأولى، حيث شارك مع الإمام عبدالعزيز بن محمد في كثير من غزواته وتوحيد البلاد ثمّ مع الإمام سعود، إلى أن جاء عهد الإمام عبدالله بن سعود، فقد كان لتركي الهزاني مشاركاتٌ فاعلة ضدّ عساكر "الترك" حينما قدم "إبراهيم باشا" بجيوشه إلى البلاد.

وذكر "ابن البشر" أنّه في سنة (١٢٣٢هـ) أرسل الإمام عبدالله بن مسعود مرابطة مع تركي الهزاني صاحب حريق نعام وحسن بن مزروع لمشاركة أهل "الرسّ" حين حصار "إبراهيم باشا" لها، ووصف "ابن بشر" دفاع أهل "الرس" و"الحامية" التي أرسلها الإمام عبدالله لهم بأنها دافعت دفاعاً مستميتاً، وقال: "وقاتلوا قتال من حمى الأهل والعيال وصبروا صبراً ليس له مثيل" حتى نزل "الباشا" على شروطهم وتمّ الصلح معهم بعد ثلاثة شهور (١٧) يوماً من الحصار، وحين اقترب "الباشا" من "الدرعية" عاصمة الدولة - آنذاك - كان "الهزاني" في طليعة أمراء الأقاليم، الذين قصدوا "الدرعية" للدفاع عنها، وقد ذكر "ابن بشر" أنّه في عام (١٢٣٣هـ) كان تركي بن عبدالله الهزاني صاحب حريق نعام، ومعه عدة رجال من أهل "الحريق" ضمن القوات السعودية المرابطة حول "الدرعية" حين حصار "إبراهيم باشا" لها، وذكر أنّه قد قُتل في تلك المعارك عدد من أهل "الحريق"، وممّن قُتل بالقرابين والبنادق قاضي الحريق والحوطة "رشيد السردي".

استعادة الرياض

كانت علاقة تركي بن عبدالله الهزاني بالإمام تركي بن عبدالله علاقة قوية ومتينة منذ أيام الدفاع عن "الدرعية"، وعندما بدأ الإمام تركي بن عبدالله الاستعداد لتأسيس الدولة السعودية الثانية، وحينما كان في "عليه" قويت هذه العلاقة بينهما، فقد كان تركي الهزاني يُكنّ للإمام تركي بن عبدالله آل سعود - يرحمه الله - المودة وصدق العهد، وعندما بدأ الإمام تركي بن عبدالله يستعيد حكم أجداده ويؤسس لقيام الدولة السعودية الثانية كان الأمير تركي الهزاني حاضراً مع الإمام "تركي" في كثير من غزواته لتوحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار في ربوعها، وفي عام (١٢٤٩هـ) أمر الإمام "تركي" رعاياه بالمغزى مع ابنه "فيصل" إلى شرقيّ البلاد لتوطيد الحكم، فركب "فيصل" من الرياض ومعه أهل النواحي وقصد "القطيف"، وكان معه تركي الهزاني.

وذكر "ابن بشر" أنّه لمّا بلغ الإمام "فيصل" نبأ مقتل والده الأمير تركي بن عبدالله رحل من "القطيف" قاصداً "الأحساء"، وكان الأمير فيه من جهة أبيه عمر بن عفيصان، وجمع "فيصل" من كان معه من رؤساء البلدان، وهم عبدالله بن علي بن رشيد رئيس "جبل شمر"، وعبدالعزيز بن محمد بن



خطاب الملك عبدالعزيز متضمناً فيه عبدالله بن تركي أميراً على الحريق خلفاً لوالده تركي بن رشيد

حسن رئيس "بريدة"، وتركي بن عبدالله الهزاني رئيس "الحريق"، وحمد بن يحيى بن غيهب أمير بلدان "سدير"، ومعهم عمر بن عفيصان فأخبرهم بالأمر، وبيّن لهم "فيصل" ما ينوي عمله للثأر لأبيه، فلما سمعوا كلامه -أولئك الجماعة- قاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة فكانت -بإذن الله- كلمة مجتمعة على المسير والحرب معاً، فأمر بالتزود للمسير بالزهاب والزهبة والسلاح، ثمّ سار "فيصل" بجيوشه إلى الرياض وحاصر القصر الذي كان يحتمي فيه "مشاري"، وانتهت بمقتل "مشاري"، الذي لم يدم حكمه أكثر من (٤٠) يوماً، واستعاد "فيصل" ملك أبيه، ليتولى الإمامة بعد والده وذلك في العاشر من شهر صفر سنة (١٢٥٠هـ).

عساكر الترك

توجه خالد بن سعود وإسماعيل بك وعساكر "الترك" إلى الرياض في سنة (١٢٥٣هـ)، وقدم عليهم بعض رؤساء البلدان وتابعوهم وأرسلوا إلى تركي الهزاني ورؤساء أهل "الحوطة" يطلبون منهم المتابعة والقدوم إليهم، فأبوا عليهم وكتبوا إلى "خالد" معلنين رفضهم لحكم "الترك" واستعدادهم لمحاربتهم، فغضب "إسماعيل" وأتباعه وقالوا: لا نرضى إلا بقتل أهل هذه الناحية، فاستنفر "خالد" أهل بعض النواحي وسار هو و"إسماعيل" ومن تبعهم من الترك والعرب، وذلك في أول ربيع الآخر وقصدوا "الحلوة"، ويُقال إنّهم سبعة آلاف مقاتل من العسكر والعرب، فلمّا أقبلت تلك العساكر اجتمع أهل تلك الناحية وتعاهدوا على حرب الدولة وأتباعهم، وقد قام تركي الهزاني بحفر خندق من الجهة الغربية للحريق من الجبل الشمالي إلى الجبل الجنوبي، إلى جانب بناء سور موازٍ له جعل في هذا السور "مرابيع" للحراس، تحسُّباً لقدوم عساكر "الترك" من جهة "الحريق"، ولا يزال أجزاء من السور والمرابيع باقية حتى الآن، حيث تُعد من الآثار.

وكان عدد سكان "الحريق" في ذلك الوقت (١٢) ألف نسمة، منهم ثلاثة آلاف مقاتل، والبقية شيوخ وأطفال ونساء - كما أورد ذلك الدكتور المؤرخ منير العجلاني- وحينها استعد أهل الحوطة والحريق والحلوة ونعام لمواجهة خصمهم، وعمد الأمير تركي الهزاني - الذي استعد لهذه الحرب أيّما استعداد- إلى إبقاء (١٥٠٠) مقاتل مع ابنه "سعد" في "الحريق"، وسار أهل "الحريق" مع أميرهم تركي الهزاني، وأهل "نعام" مع أميرهم زيد بن هلال، وأهل "الحوطة" مع إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم وفواز بن محمد رئيس آل مرشد، وأهل "الحلوة" مع أميرهم عمر بن خريف، فلما نزلت عساكر "الترك" وأتباعهم بلدة "الحلوة"، وقف لهم أهل هذه البلده فجالدوهم وقاتلوهم ومنعوهم وقتلوا منهم عدد من العسكر والجند وقتل من أهل الحلوة (١٢) رجلاً.

وبعد ذلك أقبل تركي الهزاني بجمع عظيم وقصد ميمنة العساكر وفيه الخيالة والفرسان، كما أقبل إبراهيم بن عبدالله بجموع أهل "الحوطة" وقصد مسيرتهم، قال "ابن بشر": فحصل قتال شديد يشيب من هوله الوليد، فوقعت الهزيمة العظيمة التي ما وقع لها نظير في القرون السالفة ولا في الخلوف الخالفة على عساكر "الترك" وأعوانهم وهلكت تلك الجنود ما بين قتل وظمأ، وتفرقت الخيالة في الشعاب فهلكوا فيها ليس لهم دليل، وقد نجا "خالد" بنفسه ومن معه من أهل "نجد" لما رأوا الهزيمة انهزموا وحدهم وتركوا عسكرهم وجندهم، وتركوا جميع محلتهم وأمتعتهم فغنم أهل "الحوطة" وأهل "الحريق" ما معهم من الأموال والسلاح والخيام، وذلك منتصف ربيع الآخر، وعاد "خالد" مهزوماً ومعه "إسماعيل" إلى "الدلم"، ثمّ قصدوا الرياض ودخلوها.

إشادة الشعراء

سجل المؤرخون في "نجد" و"مصر" تفاصيل هذه المعركة الحاسمة، التي سمّاها "ابن بشر" ملحمة نجد الكبرى - كما نقلها الرواة وخلّدها لنا الشعراء - لا سيّما شعراء القرن الثالث عشر الهجري، بدايةً بالإمام فيصل بن تركي، الذي فرح بنتائجها وسعد بانتصار قومه على خصومة، وقال قصيدته الرائية الشهيرة:

الحمد لله جت على حسن الأوفاق
وتبدلت حال العسر بالتياسير

وكان للأمير الشاعر عبيد بن رشيد إشادة بهذا الموقف البطولي، كما ذكر ذلك العلامة ابن خميس حين قال "عبيد" في إحدى قصائده:

اللي عطى حق الديار الهزازين
وحنا إلى عدة علوم القبايل

أمّا الشاعر سعيد بن قرينيس، الذي انتقل من "الحريق" إلى "الكويت" وعاش هناك، فعندما سمع بهزيمة عساكر "الترك" في "الحلوة" أرسل هذه القصيدة إلى تركي بن عبدالله الهزاني يقول فيها:

سوى إن كلت أو ما كلت عندي واحد
والكبد تجمع زادها بمروره
لا شاكي جوع ولا شاكي ضما
ولكن لي ديرة محصورة
قم يا نديمي فوق هباع ورباع
ناب الفقار وهامته مزبورة

قتال شديد

بعد أن وصل الإمام "فيصل" خبر هزيمة العسكر في "الحلوة" وقتلهم وهو في "الأحساء"، قدم بعدده وعدته ورجاله وأعوانه لمحاربتهم، فلمّا وصل "الخرج" قدم إليه تركي بن عبدالله الهزاني ومن معه من أهل "الحريق"، كما قدم إليه أهل "الحوطة" -وهم أصحاب منعة ولهم يد طولى في المعارك-، كما قدم أهل "الخرج" وأهل تلك النواحي ونفروا مع الإمام "فيصل"، الذي سار إلى الرياض صوب عساكر "الترك"، فحصل قتال شديد بين الفئتين، كسبه الإمام "تركي" ومن معه وواصلوا المسير في ساقة جيش العسكر الذين دخلوا "منفوحة" فحاصرهم الإمام "فيصل" فيها، ثمّ نزل وجنوده عند الرياض وحاصرها، ثمّ انسحب الإمام "فيصل" إلى "الدلم" بسبب قدوم تعزيزات لقوات عساكر "الترك".

وفي سنة (١٢٥٩هـ) عاد الإمام "فيصل" من "مصر" ومعه أخوه "جلوي" وابن عمه "عبدالله بن إبراهيم" وابنه "عبدالله"، وأرسل الإمام "فيصل" رجالا بمراسلات إلى أمراء النواحي، وعندما وصلت مراسلات "فيصل" إلى تركي بن عبدالله الهزاني أمير "الحريق" استبشر بقدوم الإمام "فيصل" فأمر ابنه سعد بن تركي الهزاني أن يركب ومعه عدد من الرجال لاستقبال الإمام "فيصل" ومبايعته والمسير معه فوفد على الإمام "فيصل" مع كثير من أمراء البلدان ورؤساء العربان، ودخلوا معه الرياض ليستعيد الإمام "فيصل" الحكم للفترة الثانية.

إمارة آل تركي

استمرت إمرة بلدة "الحريق" في ذرية "الأمير تركي، حيث تولاّها من بعده ابنه سعد بن تركي، ثمّ ابنه ناصر بن سعد، ثمّ عمّه عبدالله بن تركي، ثمّ انتقلت إمرة البلدة من آل تركي إلى آل عبدالله "الدحاملة"، فتولّى الأمر عبدالله بن رشيد الهزاني، ومن ثمّ ابنه "محماس"، الذي شارك مع الملك عبدالعزيز في بعض معاركه، ثمّ عادت الإمارة إلى "آل تركي"، فتولاّها الأمير تركي بن رشيد حفيد تركي بن عبدالله، وتركي بن رشيد كان على تواصل مع الملك "عبدالعزيز" -رحمهم الله- منذ أن كان الملك في "الكويت" حتى استعاد مدينة الرياض، كما شارك مع الملك "عبدالعزيز" - رحمه الله- في كثير من مغازيه بعد دخوله الرياض، وهو صاحب القصر المعروف بقصر "العويضية" في "الحريق"، وقد أمضى في إمارة الحريق قرابة (٤٠) عاماً، حيث استلم الإمرة ابنه "عبدالله" عام (١٣٦٧هـ)، وكانت وفاة والده تركي بن رشيد عام (١٣٧٣هـ).

وفاته

يذكر المؤرخون أنّ وفاة الأمير تركي بن عبدالله الهزاني كانت في العام (١٢٦١هـ)، وكان له من الأبناء أربعة، هم: سعد، وعبدالله، وراشد، ورشيد، أمّا بناته فهنّ: الجوهرة، ومنيرة، ونورة، وموضي، والجوهرة هي زوجة الأمير محمد بن فيصل بن تركي بن عبدالله، وكان عمر الأمير تركي حين وفاته (٨٨) سنة، قضى منها (٦٦) عاماً أميراً لبلدته وجماعته.



شارك تركي الهزاني في كثير من غزوات التوحيد



أهالي الحريق شاركوا مع الهزاني في هزيمة عساكر الترك ببلدة الحلوة

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

عاصر بداية الدولة السعودية الأولى على يد الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب

«حسين بن سعيد بن حسين».. أمير بلدة عودة سدير

■ يجمع الكثير من مؤرخي وسط الجزيرة العربية، على أن القرن الثاني عشر الهجري يُعد بداية عهد التدوين والتأريخ، لاسيما في منطقة نجد، التي ظلت ولمدة طويلة -ربما تجاوزت الثمانية قرون- غائبة عن أعين وأقلام مؤرخي العصور الوسطى منذ القرن الرابع وحتى القرن الثاني عشر الهجري، على اختلاف واتفاق بين طول وقصر هذه المدة، إلاّ أن مجاهيل الأحداث والسنوات ظلتْ محصورة بين هذه القرون الثمانية، ولاشك أن ظهور أسماء لامعة في عالم الرصد والتدوين وكتابة التاريخ، بدأ أمراً أكثر وضوحاً مع حلول القرن الهجري الثاني عشر، فـ«الفاخري» و«ابن غنام» و«ابن عباد» و«ابن بشر» و«ابن لعبون» و«ابن يوسف» و«المنقور» وغيرهم كثير، ومن بعدهم من المتأخرين كـ«ابن عيسى» و«البسام» و«ابن عبيد» هم من ساهم في نقل أحداث وتواريخ المنطقة، فترجموا لرجالاتها ونقلوا لنا من خلال كتاباتهم، تحركات وهجرة القبائل، كما سلطوا الضوء على الحروب والمعارك والأحداث السياسية والكوارث الطبيعية، ورصدوا سنوات الرخاء ورغد العيش في مقابل رصدهم لسنوات المجاعة والقحط.

ومع بداية القرن الثاني عشر الهجري بدأ نقل الأخبار والمجريات التاريخية أكثر وضوحاً، على الرغم من ندرتها وصعوبة تتبعها، لاسيما تلك التي تعنى بتاريخ أمراء البلدات والمدن التي كانت «عودة سدير» إحداها، حيث ظلت أحداث إقليم سدير في متناول أقلام بعض المؤرخين، الذين دونت بعض كتاباتهم لمحات متناثرة من سيرة أمير بلدة عودة سدير «حسين بن سعيد بن حسين»، الذي عاصر بداية الدولة السعودية الأولى، وكان له قدم سبق في قيادة جيوش بعض الأقاليم -لاسيما في منطقة سدير- تحت لواء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وذلك في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.



إعداد - منصور العساف

اتصف بالكثير من الخصال التي أهلته لقيادة جيوش المنطقة في بعض المعارك


اتصف ابن حسين بالقيادة والفروسية والشجاعة


شارك في الأحداث السياسية التي مرّت على عودة سدير

آل شماس

«حسين بن سعيد بن حسين بن سلطان بن حسين بن شماس بن سابق»، من «آل سعيد» جد «أسرة آل حسين» في «عودة سدير»، وهم من «آل شماس» الذين يمثلون عشيرة كبيرة متحضرة من فخذ الوداعين من قبيلة الدواسر، كان «حسين بن سعيد بن حسين» أميراً لبلدة «عودة سدير» زمن الدولة السعودية الأولى، وقد رحل جده وجد «آل شماس» ومن معه من بلدتهم «العودة» في الفرعة العليا في وادي الدواسر، ونزلوا في «عودة سدير» التي كانت تسمى «النخلين»، ومنها تفرقوا في نواحي نجد، حيث استقروا في ثلاث مناطق هي «سدير»، «القصيم»، «المحمل»، وهم الآن يسكنون عدداً من المدن والقرى في تلك المناطق لعل من أبرزها «عودة سدير»، «الشماس»، «الشماسية»، «الصفرات»، «دقلة»، «القرينة»، كما انتقل بعضهم في العقود الأخيرة إلى عدد من المدن الكبرى في كافة مناطق المملكة.

عودة سدير

وكانت «عودة سدير» تعرف قديماً باسم «جمّاز»، وهي من بلدان سدير المشهورة ، وقد ذكر «الحسن بن أحمد الهمداني» في كتابه (بلاد العرب)، وصفاً لموقع «عودة سدير» بقوله: «ثم تقفز من العتك في بطن ذي أراط، ثم تسند في عارض الفقي، فأول قراه جمّاز، وهي ربابية ملكانية عدوية من رهط ذي الرمّة، ثم تمضي في بطن الفقي وهو واد كثير النخل والآبار»، ويقول: «وكذلك جمّاز سوق في قرية عظيمة أيضاً»، وربما يكون اسم «جمّاز» مأخوذاً من «جمّاز بن العنبر»، ويذكر أن «بنو العنبر» كانوا قد سكنوا وادي الفقي بعد هزيمة مسيلمة في اليمامة، ومن الأودية المحيطة بالعودة «وادي العتك»، الذي ذكره الشاعر العربي «غيلان ذو الرمة» في قوله:

فليت ثنايا العتك قبل احتمالها
شواهق يبلغن السحاب صعاب

و«وادي أراط»، الذي يسمى في الوقت الحاضر «وراط»، والذي يقول فيه «عمرو بن كلثوم»:

ونحن الحابسون بذي أراط
تسف الجلة الخور الدرينا

آثار مطمورة

وقد حدد «د. عبدالعزيز الفيصل» أحياء العودة كما يلي: «عودة سدير مدينة قديمة تشمل أحياء العودة الحالية، ومدينة غيلان، وجمّاز، والقرناء، ويعتبر «حي القرناء» أقدم الأحياء حيث يشتمل على آثار مطمورة تحت الأرض، ويلي القرناء في القدم جمّاز، وجمّاز الآن أطلال وأبنية متهدمة وأحجار متناثرة، وعلى مسافة ألف متر من جمّاز من الناحية الغربية تقع مدينة غيلان، وهي الآن ما تزال شامخة وتشتمل على قصر كبير يبلغ طوله مئة متر تقريباً، وعرضه سبعين متراً، يتبعه ملحقات خارج القصر، وجميعها مبنية بالحجارة، ومن الأحياء المندثرة مسافر الذي يبدو أنه لم يهجر إلاّ منذ ثلاث مئة سنة أو ما يقرب من ذلك».

ومدينة «غيلان» مشهورة منذ القدم وتشتمل على قصر كبير فيه بئر محفور في الصخر، وما زالت جدرانه الجنوبية والشرقية سليمة، ويحتمل أن القصر لـ«غيلان ذو الرمة»، الشاعر الأموي المشهور، ويقول «د. الفيصل»: «إنه في العصور الوسيطة عرفت العودة بالنخلين، ويبدو أنها عرفت بهذا الاسم منذ القرن التاسع أو قبله بقرن، وأول الوثائق التي تثبت النخلين اسماً لعودة سدير وثيقة تركية كتبت في القرن العاشر الهجري».

ست قرى

وفي القرن الثاني عشر ورد في شعر «خريف الخريف» بهذا الاسم «النخلين» حيث يقول:

تشطر من النخلين لا عمر جالها
ترى الجار فيها قالات حشايمه

وقد عاش «خريف» في آخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، وعندما انتقل إليها «آل شماس» أطلقوا عليها «العودة» على اسم بلدتهم في «الفرعة»، التي تشمل ست قرى هجرت اثنتان، «قرية آل شماس» -العودة-، و«قرية الخماسين» التي سميت باسمهم، وقد بقي الاسمان «النخلين» و«العودة» يطلقان على العودة بدليل ما نقل من أشعار «خريف الخريف» وغيره من الشعراء، وقد استمر اسم «النخلين» إلى ما قبل قرابة قرنين حيث غلب اسم العودة على الديار، بدليل ما قاله الشاعر «راشد بن دباس»، المشهور بـ«أبو دباس» الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري الذي ذكر اسم «العودة» صراحة في قوله:

تنشر من العودة على نور الأنفاس
عند الفجر والليل مقفي مريره

ومنذ ذلك الحين لم يعد للنخلين ذكر إلاّ في كتب التاريخ، فالعودة عرفت بهذا الاسم واشتهرت به إلى يومنا هذا.

ترأس الجيوش

ولم يحدد المؤرخون ولا النسابة ولا حتى كتاب التراجم والسير سنة ولادة «حسين بن سعيد بن حسين» إلا أنهم متفقون على أن حياته كانت في القرن الثاني عشر الهجري، حيث عاصر -رحمه الله- بداية الدعوة السلفية، وبداية الدولة السعودية الأولى، على يد الإمام «محمد بن سعود»، والشيخ «محمد بن عبدالوهاب» -رحمهم الله- ثم عاصر الإمام «عبدالعزيز بن محمد بن سعود»، وغزا مع الأمير «عبدالله بن محمد بن سعود» عددا من الغزوات، كما ترأس بعض الجيوش، وكان أميراً على بلدته «عودة سدير»، وشارك في الأحداث السياسية التي مرت على العودة منذ انضمامها تحت لواء الدولة السعودية الأولى، واتصف حينها بكثير من الخصال التي أهلته لسيادة قومه، كما أهلته لقيادة جيوش المنطقة في بعض تلك الفترات، كما قاد أهل بلدته في عدد من المغازي التي كانت منتشرة في ذلك الزمن، وبعد قيام الدولة السعودية الأولى كان من أولئك الذين ساهموا في معارك توحيد البلاد، حتى أن قصة مقتله التي رواها عدد من المؤرخين كانت دليلا على ذلك، حيث قتل -رحمه الله- في عام ١١٩٤هـ بعد عودتهم من إحدى المعارك التي خاضها الإمام «عبدالعزيز بن محمد»، وما إن تولى «حسين بن سعيد بن حسين» -رحمه الله- إمارة «عودة سدير»، إلاّ ودخل في مواجهات دفاعية وهجومية مع بعض القبائل والديار التي كانت على خلاف وصراع دائم نتيجة للخلافات على الأراضي والمراعي والمياه، وقد اكتسب خلال تلك الفترة سمعة أهلته لأن يكون أحد قادة الجيوش في عهد الإمام «عبدالعزيز بن محمد بن سعود».

أبناؤه والإمارة

وبوفاة أمير «عودة سدير» «حسين بن سعيد بن حسين» تعاقب أبناؤه وأحفاده إمارة بلدتهم وكان من بينهم «محمد بن حسين بن سلطان بن حسين بن سعيد الحسين» -رحمه الله- الذي تولى إمارة البلدة إضافةً إلى إمامة مسجدها حتى وفاته رحمه الله، وكان موصوفا بالدين والحكمة وقد رزق سبعة من الأبناء، تولى اثنان منهم إمارة «عودة سدير» بعد وفاته وهم: «زيد» و«سعد»، وكان ابنه «عبدالله» إماماً للبلدة وأحد أبرز علماء نجد في وقته، وكان «زيد بن محمد بن حسين بن سلطان بن حسين بن سعيد الحسين» -رحمه الله- آخر من تولى إمارة «عودة سدير» من آل حسين، ويذكر أنه كان يعد مناخاً كبيراً أمام منزله للضيوف وأبناء السبيل، كما كان له شعر وقصائد عذبه وللأسف أن الكثير منها لم يدون، ولعل أشهرها تلك القصيدة التي قالها عندما كان في المغزا الذي دام حوالي خمسة أشهر، حيث أرسل بعض الرسائل إلى «عودة سدير»، مع شخص يقال له «سليمان»، وأرفق معها هذه الأبيات التي يشير فيها إلى عدم تلقيه رداً على رسائله السابقة، ويقول فيها:

سليمان خبرهم ترانا نشبنا
من خمسة أشهر كلها في حرايب
إن عجل الله بالفرج وانقلبنا
ننكف سريع فوق عوص النجايب
ما شفت رد خطوطنا اللّيْ كتبنا
من عاقهن رزت عليه النصايب

أما «عبدالله بن محمد بن حسين بن سلطان بن حسين بن سعيد الحسين -رحمه الله-، فقد كان إمام بلدته وعالمها، اشتهر بحسن قراءته وجمال خطوطه وبلاشك أنه كان يصنف من كبار علماء النصف الأول من القرن الرابع عشر.

معركة عارضة

كان لوفاة «حسين بن سعيد بن حسين» قصة أوردها عدد من مؤرخي نجد تناقلوها بتواتر وبروايات متقاربة حيث قتل -رحمه الله- في معركة «عارضة» من قبل جيش «سعدون بن عريعر» في عام ١١٩٤هـ، عندما كان عائدا من إحدى الغزوات برفقة الأمير «عبدالله بن محمد بن سعود»، حيث عادت القلة المتبقية من جيوش سدير والوشم برفقة أمراء الغزو، فاعترضتهم جموع من جيش «سعدون بن عريعر»، وأطبقوا عليهم وقيل انهم كانوا نياما، فثارت الخيالة، إلاّ أن عنصري المفاجأة والكثرة كانت في صالح جموع «ابن عريعر» فتغلبوا عليهم وقتلوهم، ولم ينجُ منهم أحد، وكان عدد من قتل ثلاثين رجلا، منهم أميرا الغزو: «حسين بن سعيد بن حسين» -قائد جيوش سدير-، و«عبدالله بن سدحان» -قائد جيوش الوشم-، ويبدو أن وفاته كانت في «وادي أراط»، وموقعه بالتحديد حيث يلتقي «وادي الركية» بـ«وادي أراط»، في ضفة «الركية» الشرقية القريبة من «بطحاء أراط»، حيث حدد قبره هناك.


قاد الجيوش في العديد من الغزوات

ثلاثون رجلاً

وقد وردت حادثة مقتل «حسين بن سعيد بن حسين»، -رحمه الله- في أغلب التواريخ التي وثقت تلك الفترة من تاريخ نجد والجزيرة العربية ففي (عنوان المجد في تاريخ نجد) للمؤرخ «عثمان بن بشر» ورد في أحداث عام ١١٩٤هـ ما يلي: «وفيها غزا عبدالله بن محمد بن سعود الزلفي أيضاً وسبقه النذير فتأهبوا للقتال، فلما وصلهم حصل بينهم بعض القتال ثم رجع قافلا، فلما جاوز بلد رغبة أذن لأهل سدير وأهل الوشم يقفلون إلى أهليهم فقفلوا، فلما وصلوا إلى العتك المعروف بين المحمل وسدير عارضهم سعدون بن عريعر في جموع بني خالد، فأحاط بهم وقتلهم ولم ينج منهم إلاّ القليل، وممن قتل في تلك الوقعة عبدالله بن سدحان -أمير غزو أهل الوشم-، وحسين بن سعيد -رئيس العودة أمير غزو أهل سدير-»، كما أورد المؤرخ «حسين بن غنام» قصة وفاته كاملة وذكر أنهم بعد العودة من الزلفي وصلوا بلدة «رغبة» وقال: «فلما تجاوز رغبة أذن لأهل الوشم وأهل سدير بالعودة إلى مواطنهم، فبينما كانوا عائدين اعترضهم سعدون بن عريعر مع جموع بني خالد»، ثم ذكر أن من قتل من الجيش يقدرون بثلاثين رجلا وذكر منهم «حسين بن سعيد» أمير العودة، و«عبدالله بن سدحان» من كبار أهل شقراء.

وذكر المؤرخ «حمد بن لعبون» في عرضه لأحداث سنة ١١٩٤هـ ما يلي: «وفيها غزا عبدالله بن محمد بن الزلفي ولم يحصل على طائل، فلما جاوز رغبة أذن لأهل سدير، وأهل الوشم يسيرون إلى بلدانهم، فلما وصلوا العتك صادفهم سعدون بن عريعر في جموع بني خالد فأحاط بهم وقتلهم ولم ينج منهم إلا القليل، ومن القتلى أمراؤهم: عبدالله بن سدحان أمير أهل الوشم، وحسين بن سعيد أمير أهل سدير»، أمّا الشيخ «عبدالله بن عبدالرحمن بن بسام» فذكر أن جمع بني خالد برئاسة سعدون بن عريعر التقوهم وغزو أهل الوشم وسدير عند العتك شرقي سدير فأحاطت جموع بني خالد بالغزو وقتل سعدون غالبية أهل الغزو، وكانو أهل الوشم وسدير راجعين من غزوة للإمام «عبد الله بن محمد بن سعود» على الزلفي وممن قتل في تلك الوقعة «عبدالله بن سدحان» -أمير غزو أهل الوشم- و«حسين بن سعيد» -رئيس بلد العودة وأمير غزو أهل سدير-.

تباين الروايات

أمّا صاحب (تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق) المؤرخ «عبدالله بن محمد البسام»، فقال في معرض حديثة عن أحداث عام ١١٩٤هـ وبعد ذكره لأحداث الزلفي: «فلما وجدهم على أهبة القتال رجع عنهم، فلما جاوز بلد رغبة أذن لأهل عنيزة والوشم بالرجوع لأوطانهم فحين وصلوا إلى العتك الماء المعروف صادفهم سعدون بن عريعر ببني خالد، فأحاط بهم -أعني غزو الوشم وسدير- وقتلهم، ولم ينج منهم إلا القليل»، أما «عبدالكريم الوهبي» -صاحب كتاب بنو خالد وعلاقتهم بنجد-، فيروي القصة بعد عودة «عبدالله بن عبدالعزيز» من الزلفي على النحو التالي: «وفي طريق عودة عبدالله من حملته تلك وهو بالقرب من بلدة رغبة أذن لمقاتلي الوشم وسدير بالعودة إلى بلدانهم، وعند العتك التقى بهم سعدون بن عريعر الذي كان يجوب بقواته المناطق النجدية ففتك بهم ولم ينج منهم إلا القليل، إذ خسرت الدرعية ما يقارب الثلاثين مقاتلا على رأسهم حسين بن سعيد أمير العودة ورئيس قوات سدير، وعبدالله بن سدحان من أعيان شقراء ورئيس قوات الوشم».

وحدد «د. عبدالعزيز الفيصل» مكان «حسين بن سعيد بن حسين» بقوله: «وفي العشاشة قبر حسين بن سعيد أمير العودة في القرن الثاني عشر، وكان قد قتل من قبل جيش سعدون بن عريعر».

كما أورد القصة عدد من المؤرخين المعاصرين، ولا شك أن معظم الباحثين والمؤرخين نقلوا معظم هذه القصص ممن سبقهم كـ«ابن غنام» و«ابن بشر» و«ابن لعبون»، لذا فقد أوردها أيضاً علامة الجزيرة الشيخ «حمد الجاسر»، وعدد من المتأخرين، وقد تختلف المنقولات وتتباين الروايات إلا أن قصة مقتل «حسين ين سعيد» بن حسين و«عبدالله بن سدحان» ومن معهم تبدو متواترة في أحداثها ونتائجها، حيث اتفق الجميع على أن وفاته كانت في عام ١١٩٤هـ في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.


ابن حسين قتل أثناء عودته من إحدى المعارك


«عودة سدير» وتبدو المنازل القديمة


مقصورة تُمثل جزءاً من حوامي «عودة سدير»

ساهم في إنشاء أحد أشهر معالم سدير وقصائده محفوظة في الدواوين وعلى ألسنة العامة

رميزان بن غشام.. باني «سد السبعين»

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ تحفل كتب التاريخ والسير بأخبار المجتمعات البائدة، وقصص الأمم والدول في الأزمنة الغابرة، كما تحفل بالسير وتراجم الأعلام والأعيان، من الملوك والأمراء والشيوخ والعلماء، وليس ثمة شك بأن قراءة تاريخ الدويلات والأمم والمجتمعات، يمنح الباحث والمؤرخ فرصة أكبر لتحقيق الهدف الأسمى من قراءة التاريخ، حيث الاعتبار بالماضي ومعرفة الحاضر واستشراف المستقبل، وهو ما لن يتحقق ما لم يبحر المؤرخ في قراءة مآلات سيرورة الأيام وتعاقب الأزمان، والاطلاع على ما تدخره كنوز التاريخ وما تخفيه دهاليزه علم الآثار والتراث، التي نسلط فيها الضوء من خلال (سطور المشاهير) على بعض أعيان وأعلام مجتمعات وبلدات الزمن القريب والبعيد، التي لا يخفى على القارئ لتاريخ وسط الجزيرة العربية في القرون المتأخرة اسم رميزان بن غشام أمير بلدة روضة سدير، الذي عرف في كتب التراجم بعلاقاته الواسعة مع شريف مكة، كما اشتهر ببنائه لواحد من أكبر وأشهر سدود الجزيرة العربية، فضلا عن كونه أحد فرسان زمانه وشعراء عصره البارزين.

ولأن الجزيرة العربية هي مهبط الوحي ومنبع الرسالة المحمدية، وهي أرض العرب وديوان أجدادهم ومسرح أمجادهم، فهي ما زالت تحتفظ بمعالمها الأثرية المتعاقبة، التي تحكي للأحفاد ما كان عليه الأجداد، من الحجاز إلى هجر، ومن اليمن إلى أراضي الهلال الخصيب، ومع أن التاريخ القديم للجزيرة العربية كان أكثر ثراءً وإثراءً وتدويناً، إلا أن تاريخها الحديث بمعالمه وصروحه وآدابه وأشعاره، ما زال قائماً ومحفوظاً بمخطوطات منها ما تم تدوينه وتوثيقه، ومنها ما طالته يد الإهمال، فضاعت شواهده وغابت مدلولاته.



سد السبعين بني في عهد إمارة رميزان بن غشام

شيخة رميزان

عرف رميزان بن غشام التميمي أنه أحد أشهر أمراء بلدة (روضة سدير) في القرن الحادي عشر الهجري، وتجمع الروايات على أن إمارته لروضة (سدير) بدأت من عام ١٠٥٧هـ حيث يقول ابن منقور المتوفى سنة ١١٢٥هـ في تاريخه: "وفي سنة سبعة وخمسين وألف ظهر زيد الشريف ونزل الروضة.. وشاخ رميزان"، وهو بذلك يقصد قدوم الشريف زيد من الحجاز ودخوله روضة (سدير) وتولية رميزان لها، وقد عبّر ابن منقور -رحمه الله- بكلمة شاخ في أكثر من موضع في تاريخه بمعنى ولي أي أسند له ولاية الأمر في البلدة، وشاخ مأخوذة من مشيخة الرجل على أهل بلدته، ويقول الفاخري المتوفى سنة ١٢٧٧هـ في ذكره لهذه الأحداث: "وفي سنة ١٠٥٧هـ سار زيد بن محسن الشريف أمير (مكة) إلى (نجد) ونزل الروضة، ثم قال: وولى فيها رميزان بن غشام من آل أبي سعيد"، ولا تبتعد رواية المؤرخ الشهير ابن بشر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ عن ما ذكره سابقوه حيث يقول: وفي سنة سبع وخمسين وألف سار زيد بن محسن أمير مكة على نجد، ونزل الروضة البلدة المعروفة في سدير إلى أن يقول بعد حديثه عما قام به الشريف زيد: "وولي فيها رميزان بن غشام من آل أبي سعيد". أما ابن عيسى المتوفى سنة ١٣٤٠هـ فيقول: "وفي سنة ١٠٥٧هـ سار الشريف زيد بن محسن، شريف مكة المشرفة إلى نجد، ونزل روضة سدير"، ثم قال: "وجعل في بلدة الروضة أميرا رميزان بن غشام من آل أبي سعيد من تميم"، وتجمع الروايات على أن ابن معمر أمير العيينة كان على خلاف مع رميزان.

فيما يقول الدكتور سعد الصويان أن عبدالمحسن بن معمر في كتابه عن (العيينة) يخالف هذا الإجماع الذي يرى أن ابن معمر كان مناهضا لرميزان ويفسر عبارة المؤرخين المقتضبة والمبهمة عن إخراج ابن معمر لرميزان من "أم حمار" وهي قرية صغيرة كان رميزان يقيم فيها لفترة، بأنها تعني أن رميزان كان محاصرا وأن ابن معمر هب لمساعدته وتخليصه من الحصار، ويرى ابن معمر أن علاقة رميزان بحاكم العيينة كانت ودية، ويستدل على ذلك بأبيات لرميزان اقتبسها الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري من مخطوطة ابن لعبون وأوردها في كتابه "الإفادات عن ما في تراجم علماء نجد لابن بسام من التنبيهات" ويضيف الصويان أن رشيدان أخو رميزان وعضيده في حروبه ودروبه أوضح من خلال إحدى قصائده بعض أساليبهم في غزو خصومهم فيقول: إنهم أعملوا الحيلة لمباغتة عدوهم، وتتمثل الحيلة في عمل سرداب استغرق منهم حفره عشرين يوما قضوها كلها داخل السرداب، وهذه واحدة من التدابير الذكية التي اشتهر بها رميزان، وهذه الحادثة معروفة عند أهل الروضة، وأكد لي - والحديث للصويان - الشيخ محمد بن حمد الماضي أن آثار السرداب لا تزال باقية حتى الآن".

هجرة رشيدان

كان رشيدان أخو رميزان قد انتقل إلى (الأحساء) واستقر عند أميرها براك بن غرير وهناك راسله أخوه رميزان وخاله النسابة جبر بن سيار يطلبان منه العودة للروضة، وقد اختلف الرواة والمؤرخون في أسباب سفر رشيدان للأحساء، بل قد كثرت الأساطير والقصص المختلقة التي لا أصل لها حول سفر رشيدان للأحساء، كما تذكر بعض الروايات قصة رميزان مع الشريف وكيف أن الأخير كان يسمع للقصة كان يرويها رميزان ثم قطع الشريف حديث رميزان وسأله: ما أحسن الطعام يا رميزان؟ فأجاب رميزان على الفور: القرص يا سيدي، ثم تحدث الشريف بشأن آخر ولم يكمل رميزان قصته، وفي موسم حج العام التالي فاجأ الشريف رميزان وهو في مجلسه بأن سأله قائلا: بإيش يا رميزان؟ وعلى الفور فهم رميزان أن هذا السؤال هو امتداد لسؤال الشريف في العام الماضي فأجابه على الفور: بالسمن يا سيدي، واعتبر بعض المؤرخين أن هذه القصة وقصة الخيول التي وهبها الشريف لرميزان لتبقى عنده في مراعي نجد لحين موسم الحج من العام القادم، كل ذلك كان في نظر بعض المؤرخين أساطير بين الحقيقة والخيال ويستشهد الصويان ببعض هذه الروايات فيذكر أن الرواية الشعبية تقول إن أمير (الأحساء) براك سمح لرشيدان بالعودة قائلا "لو طلب رميزان خمسة من أولادي لكان أهون علي من التخلي عن رشيدان لكنني لا أريد أن أحول بين الأخ وأخيه". ويضيف أن المصادر التاريخية لم تتحدث عن وفاة رشيدان عدا ما ذكره مقبل الذكير الذي يؤكد في تأريخه لأحداث سنة ١٠٨٥هـ أن رشيدان بقي في (الأحساء) إلى ما بعد مقتل رميزان.

اختلاف الروايات

ويختلف المؤرخ "ابن يوسف" مع ما ذكره كل من "ابن منقور" و"الفاخري" و"ابن عيسى" و"ابن بشر" حين يذكر أن سنة دخول الشريف زيد إلى روضة سدير إنما جاءت في سنة ثماني وخمسين بعد الألف حيث يقول: "وفي سنة ثماني وخمسين وألف قضي (بمعنى دخل واستولى) رميزان الروضة" والمتفحص لهذه الروايات يدرك أنها منقولة بالتعاقب وربما نقل "الفاخري" و"ابن بشر" و"ابن عيسى" من مصدر واحد، ولعل هذا المصدر هو "ابن منقور" الذي ربما نقل هو الآخر من مصدر سبقه ولم يصلنا أما رواية "ابن يوسف" الذي عاش خلال القرن الثاني عشر وربما أدرك "ابن منقور" فتظل رواية معتبرة لقربها زمنيا من الحدث، إلا أنها تضعف أمام استشهاد من تلاه من المؤرخين برواية ابن منقور دون روايته.



أزقة وشوارع سدير تحتفظ بقصص ومواقف الشيخ رميزان البطولية

الجلاء من البلدة

وعن جلاء رميزان قبل عودته لروضة سدير بمساندة الشريف زيد يتفق كل من "ابن منقور" و"ابن يوسف" و"الفاخري" و"ابن عيسى" و"ابن بشر" على أن هذا إجلاء كان عام ١٠٥٢هـ وهي نفس السنة التي توفي فيها العلامة منصور البهوتي صاحب الروض المربع في مصر - ويذكر الفاخري وابن عيسى أنه جاء على يد أحمد بن عبدالله بن معمر رئيس بلدة العيينة، فيما يذكر ابن بشر أن اسمه حمد وليس أحمد. وكذلك يقول ابن خميس أما ابن لعبون فقال: وفيها قتل رميزان بن غشام راعي الروضة، وكذلك قال ابن بسام في تحفة المشتاق إلا أن كثيراً من هؤلاء المؤرخين متفقين على أن خروج رميزان وإجلاءه على يد ابن معمر لم يكن من روضة سدير بل من "أم حمار" وهي إحدى قرى وادي الفقي، وتقع أسفل من حوطة سدير، ويصفها ابن بشر في عهده قائلا: "خربت اليوم وليس بها ساكن". وكذلك قال ابن خميس، ولا شك أن إمارة الروضة استمرت لابن ماضي وهو ماضي بن محمد بن ثاري جد ماضي بن جاسر من الرواجح أبناء مزروع الحميدي التميمي، وكان جدهم مزروع أقبل من قفار القريبة من مدينة حائل.

إمارة رميزان

استولى رميزان على روضة سدير بمساعدة شريف مكة "رحمه الله" وحكم قرابة اثنين وعشرين سنة، وعرف بشجاعته وحنكته في الإدارة والسياسة والرياسة، مع كونه شاعرا ما زالت قصائده محفوظة في الدواوين وعلى ألسنة العامة، لاسيما تلك المساجلات التي دارت بينه وبين خاله النسابة الشهير "جبر بن سيار" أمير بلدة القصب وكان رميزان قد بنى خلال إمارته سد السبعين أحد أشهر معالم إقليم سدير في الماضي والحاضر، وقد قتل رميزان عام ١٠٧٩هـ، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ سليمان بن علي آل مشرف التميمي جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويقال: إن رميزان لم يعقب إلا أن إحدى قصائد خاله جبر تنفي هذه المقولة.

وقد اختلف الكثير حول شخصية رميزان، ففي حين يرى البعض ومنهم بعض بنو عمومته أن استيلاءه على بلدة الروضة إنما جاء بمساعدة من جند الأتراك الذين مع الشريف كما يستشهدون بفتوى الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن ذهلان المتوفى عام (١٠٩٩هـ) وهو غني عن التعريف ومعاصر لرميزان حين قال في إحدى تعليقاته: (وأما مثل سطوة المزاريع على رميزان فلا أشك في جوازه)، والمزاريع هم أبناء عمومة رميزان في النسب من تميم.

أما محبوه فيرون أن أعماله ومعاركه لبناء سد السبعين هي مآثر جليلة لرجل عرف بالفروسية والإمارة لاسيما أن طبيعة أهل ذاك الزمان أن الغلبة بالقوة، وإن لم يكن هذا تعليلا، إلا أن البعض رأى أن فتوى العلامة ابن ذهلان إنما جاءت بناءً على ما سمعه من بعض أعداء رميزان.

شعره

تميز شعر رميزان بما تميز به عموم شعراء العرب، وعليه فقد كان الحديث عن ضرورة التحلي بالأخلاق النبيلة والمروءات الجليلة، والحث على مكارم الأخلاق، التي لها عند العرب مقام سامق ومكانة مبجلة، كخصال الوفاء والعدل وحفظ حقوق الجار والفروسية والشجاعة ونصرة المظلوم، وهي خصال ترفع من أحساب العرب وتكرم أنسابهم، لا سيما وقد أقرها الدين الإسلامي ورفع من شأنها، وهكذا كان شعر رميزان عامراً بالحكمة والنصيحة الصادقة والزهد بالحياة الدنيا والسعي لرأب الصدع بينه وبين قومه وبنو عمومته، لا سيما بعد الصراعات السياسية التي حدثت بينهم، كما وجد الغزل في شعر وقصائد رميزان طريقا، لاسيما حين مساجلاته مع خاله جبر بن سيار، كما مدح الأشراف وبعض القبائل التي تحالفت معه، كما صور الأوضاع السياسية في عصره، وربما كان هذا أمراً طبيعياً لاسيما وأن رميزان عايش وتعايش مع المعترك السياسي، وكان من خلال قصائده يسعى لإصلاح التباين والخلاف على السلطة وإمرة بلدة الروضة، وهذا -أبداً- لم يمنعه من التفاخر بمعاركة مع خصومه ومنجزاته السياسية، ويظهر من بعض قصائده أنه حاول وربما بصعوبة منه أن يجاري بعض القصائد الفصيحة بل أنه قال قصائد عديدة غلبت عليها العبارات والجمل العربية الفصيحة إلا أن ذلك لا يستمر معه في كثير من القصائد، فيضطر إلى إدخال بعض المفردات العامية، لا سيما في قافية أبياته، ولأن المؤرخ مقبل الذكير انفرد دون غيره بنشر بعض قصائد رميزان، فإنه أيضا تحدث كثيرا عن بعض معاركة وبطولاته حتى كان يلقبه "البطل الضرغام".

دلل شعر رميزان أنه نال حظاً من العلم كما دلل على ثقافته الدينية وسعة إطلاعه فهو كثيراً ما يستشهد بقصص القرآن العظيم وأخبار الأنبياء والصالحين.

سد السبعين

تبقى المباني والصروح شاهدةً - في كثير من الأحيان - على حضارات وممالك ودول سادت واستقرت ردحا من الزمن لتصبح فيما بعد علامة تذكير وإخبار بأحوال الأمم يستشهد بها الجغرافيون وهواة التدوين، ويستدل ببقائها المؤرخون وكتاب المغازي والرحلات، ولا شك أن سد السبعين إحدى أهم الصروح العمرانية في إقليم سدير، حيث وما زال قائمة منذ ما يقارب الأربعة قرون لا يختلف المؤرخون على سبب بنائه بقدر اختلافهم على شخصية بانية وقصة دخوله إلى بلدته روضة سدير، وكما ذكرنا فإن سد السبعين الذي بناه رميزان بن غشام في بداية أمرته على الروضة تسبب في غضب بعض مدن وهجر إقليم سدير، لاسيما تلك التي تمر بها مياه وادي الفقي، وهذا أمر وارد إذ توقع أهالي هذه المدن انحسار مياه الوادي قبل وصولها لهم، إلا أن السد الذي بنى بناء محكما ومنيعا، وقدر ارتفاعه ما بين المترين إلى الثلاثة أمتار، لم يحجز مياه الوادي بصورة كاملة، بل جحره إلى منسوب معين، يستطيع أهل الروضة من خلاله سقيا أراضيهم، لاسيما وقد فتحوا ممرات وسواقي وقناطر لمزارعهم، وقد بني السد على شكل قناطر تتخلله فتحات تنساب منها مياه الوادي عند ارتفاع معين إلى مجرى الوادي الطبيعي، وفي حالات الأمطار الغزيرة تجتاز المياه السد من أعلاه.

من يشاهد سد السبعين يدرك مدى الجهد الذي بذله أهالي البلدة في بنائه، فهو مبني من الأحجار الكبيرة، والمرصوصة بشكل هندسي أخاذ ساهم على حجز الماء، وقد تحكي بعض الأساطير أن السبعين إنما سمي بذلك لأن أبراجه البالغ عددها سبعين برجا كانت تحمل جماجم سبعون رجلا من الذي رفضوا بناء السد، ودخلوا في حروب مع رميزان وأهالي الروضة، وكان أهالي سدير يقيسون السيل بتجاوزه لسد السبعين فيقال: (صبت السبعين)، ويقال إن رميزان بعد أن أنهى حروبه مع خصومه في سد السبعين قال قصيدته الشهيرة المرسلة لخاله جبر بن سيار من بني خالد، والتي يقول فيها:

لي ديرة يا جبر من فوق منشع
محالها بالليل يسهر رقودها
حكرنا لها وادي سدير غصيبة
بسيوفنا اللي مرهفات حدودها
جرى لنا في مفرق السيل وقعة
اللي حضرنا مالك الله يعودها

روضة سدير

وصف ابن خميس روضة سدير بأنها من اكبر واشهر بلدان سدير واقدمها، وأنها أعلى بلدة في وادي الفقي ما عدا قرية صغيرة تدعى (المعشبة)، ويقال: إن آل أبي راجح عمَروا سنة ١٠٧٦هـ في عهد رميزان منازل خاصة بهم أطلقوا عليها اسم الروضة، فغلب الاسم على البلدة، علما أنها سبقت هذا التاريخ بقرون، وعليه فقد سمّاها النسابة والجغرافي الشهير أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفي ٣٣٤هـ روضة الحازمي، وذكرها الأصفهاني بأنها منزل بني العنبر من تميم في حين قال ياقوت الحموي في معجم البلدان توفي٦٢٣هـ: إن الفقي ماء يسقي الروضة وأنه محارث لبني العنبر، ومن هذا يثبت تسميتها بالروضة قبل بناء آل أبي راجح لمنازلهم بقرون عديدة، وعلى الرغم من أن بني تميم عمروها بعد أن شاركوا الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه في حرب مسيلمة، إلا أن أسرها الحالية ونشاطها السكاني والتجاري زاد بعد أن نزل بها مزروع بن رفيع التميمي قادما من قفار قرب حائل سنة ٦٣٠هـ، واستقر بها أحفاده المعروفون بـ (آل أبو سعيد) و(آل أبو راجح) و(آل أبو هلال) و(آل سليمان).

وفاته

لم يقف المؤرخون على السنة التي ولد فيها رميزان، بيد أنهم توقعوا أنها كانت عام ١٠٠٧هـ على وجه التقريب في بلدته روضة سدير، وكان قد تولى شؤون الإمارة فيها عام ١٠٥٧هـ، وبقي في سدة الإمارة قرابة اثنين وعشرين عاما، وتوفي "رحمه الله" مقتول في عام ١٠٧٤هـ، وقيل أنه لم يعقب أبناء ذكورا في على أن ثمة روايات تخالف هذا الراي، وتستشهد ببعض قصائد خاله النسابة جبر بن سيار، الذي كان يكنيه في قصائده بـ "أبو مشاري".



اختلاف الروايات حول انتقال الشيخ رميزان إلى الأحساء

قائد الجيوش وصاحب المهمات الصعبة

عبدالله الحلوان.. «أبو السرايا»

■ يعدّ الفارس "عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله آل سلمان" المشهور بـ"عبدالله الحلوان" أحد رجال الملك عبدالعزيز وواحداً من أشجع قادته، خاض المعارك تلو المعارك مع المؤسس، واستطاع إخماد نار الفتن في أكثر من موضع، وترك بصمة ناصعة خلدها له التاريخ، ويعد الشيخ "عبدالله الحلوان" نموذج جلي في صبره على خوض المعارك، ولا غرابة حيث نهل من معية والده الشيخ "عبدالعزيز الحلوان" أحد رجال الإمام عبدالله بن فيصل، وأخذ عنه الصفات النبيلة والسجايا الحميدة وأخلاق الفرسان الرفيعة، وقبل هذا فقد حرص والده على أن يحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، كما حرص على تعلمه العلوم الشرعية والفقه والعلوم الأخرى، وشارك "عبدالله بن حلوان" في أغلب المعارك والغزوات مع الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فنال إعجاب الملك وحظي بثقته لما رأه من بطولته وحكمته، ولذا أسند إليه مهاما صعبة، ونصبه قائداً للجيوش والسرايا، إضافة لكونه ضمن كوكبة الحراسة الشخصية للملك وكانوا يسمون -أنذاك- "خبرة الحراسة" التي كان "ابن حلوان" أحد قادتها، وذلك لثقة الملك في قدراته وفروسيته وإخلاصه، ولذا فقد تم تعيينه كأول رئيس للموانئ في عام ١٣٣١هـ، في (العقير)، كما أرسله الملك عبدالعزيز للمشاركة في القضاء على الفتن وقمعها وتعقب وملاحقة المتمردين، ولقبه الملك عبدالعزيز بـ"عبدالله الحلوان" تيمناً بلقب والده عبدالعزيز الحلوان، وكذلك رجل المهمات الصعبة وأبو السرايا، وللشيخ عبدالله العديد من الرسائل بينه وبين الملك عبدالعزيز كتبت بخط يده.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

وثق به المؤسس واختاره من رجاله وعيّنه والياً على (العقير) ليكون أول رئيس للموانيء في المملكة

العلم والتجارة

ولد "عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله آل سلمان" المشهور بـ"عبدالله الحلوان" في (الرياض) عام ١٢٩٩هـ، من أسرة اشتهرت في خدمة الدولة منذ أيام الدولة السعودية الأولى، وتربى في أسرة يحرص أهلها على العلم، فحفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم الشرعية وتعلم الكتابة والقراءة في سن مبكرة، ونشأ في أحضان والده الذي كان أحد رجال الإمام عبدالله بن فيصل -رحمهم الله جميعاً-، وتعلم فنون الحرب والقتال والفروسية، وقد تأثر بالعديد من العوامل أبرزها مرافقته لوالده فالمعروف أن والده الشيخ "عبدالعزيز بن حلوان" رجل تسند إليه المهمات الصعبة والشاقة، وبطبيعة الحال فقد كان الساعد الأيمن لوالده ويقلده في تصرفاته وسلوكه، وكان يرافق والده إلى مجالس الإمام ومجالس أهل العلم، وكذلك يذهب معه ليتدرب على الرماية، ورحل الأب والابن مع الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي إلى الكويت واستقر فيها فترة، ثم أخذ يتنقل بين (الكويت) و(الأحساء) و(البحرين) و(نجد) للتجارة، وينقل للإمام ما يحدث في وسط الجزيرة، وبعدما استرد الملك عبدالعزيز الرياض رجع مسرعاً ليكون من أول المناصرين له، وحظي بثقة الملك عبدالعزيز بعدما رأى منه القدرة القتالية والإخلاص والشخصية القيادية المدركة، فنصبه الملك عبدالعزيز قائدا للجيوش والسرايا، كما ذكر في (موسوعة من رجال الملك عبدالعزيز) التي سلطت الضوء على بعض أعمال ومهام القائد "ابن حلوان".



عبدالله الحلوان

قيادة الجيوش

شارك "عبدالله الحلوان" في معظم المعارك والحروب إلى جانب الملك عبدالعزيز، وكان له دور كبير في قيادة الجيش، ومن أهم تلك المعارك: (الصريف، والدلم، وضم الوشم، والسر، وعنيزة، وروضة مهنا، والطرفية، كنزان، والبكيرية، والشنانة، والاشعلي، والحريق، وحومان، والمجصة، وجراب، وتربة، وضم حائل، وجده، والسبلة، ومعركة أم رضمة)، كما كلفه الملك عبدالعزيز بصد الأتراك الراجعين إلى (الأحساء)، بعد أن أجلاهم يوم استعادته لها، فقد أرسل الملك عبدالعزيز آنذاك سريتين أحداهما بقيادة "عبدالله بن حلوان" لضم (العقير)، إضافة إلى قيامه بشؤونها كأول والٍ على (العقير)، وأول رئيس لميناء للمملكة، كما شارك في حركة "بن رفادة" حيث أمر الملك "عبدالعزيز عبدالله بن حلوان" بقيادة سرية والتوجه إلى (ضباء)، إضافة إلى مشاركته في حرب (اليمن)،-وفق ما ذكره د.عبدالله العثيمين في كتابه (معارك الملك عبدالعزيز)-.

مهام خاصة

ولثقة الملك عبدالعزيز في الشيخ "عبدالله الحلوان" ولثباته في المشاهد والوقائع الحربية، أوكل إليه المهام الصعبة والكثيرة، نظراً لطول الفترة التي قضاها مع الملك عبدالعزيز لعل من أهمها تعيينه أول رئيس للموانئ في عام ١٣٣١هـ، في (العقير)، ولم يكن هذا إلاّ دليل على قدرته على بسط الأمن بما حباه الله سبحانه من قدرة ودراية وحكمة في إدارة الملفات الأمنية، كما كان المرسول أثناء حرب كنزان ليخطب للملك عبدالعزيز ابنة الأمير "برغش بن عريعر"، في الوقت الذي أرسله الملك عبدالعزيز لملاحقة بعض الجيوش حينذاك، كما شارك في القضاء على كثير من الفتن والاضطرابات التي تعرضت لها البلاد، وأشرف على تنفيذ كثير من الأحكام الشرعية بحكم سعة علمه ومكانته، إلى جانب إرساله للتوسط في حل المشاكل بين الناس، وكان الملك عبدالعزيز قد عينه قائدا لـ"حراسة الخبرة" وهو جهاز أمني يوازي جهاز الحرس الملكي الحالي، وقد أبلى "ابن حلوان" بلاء حسنا أثناء محاولة الاعتداء الفاشلة على الملك عبدالعزيز في ١٢/٢٠/ ١٣٥٣هـ، كما ذكر المؤرخ "عبدالرحمن الرويشد".

المهمات الصعبة

لقب "عبدالله الحلوان" بعدة ألقاب، منها ما لقبه به الملك عبدالعزيز بـ"حلوان" لما أبداه من شجاعة في معركة (السر) سنة ١٣٢١هـ، وإعجابه ببطولته، وتيمناً بوالده الملقب أيضاً "حلوان"، وهو أحد رجال الإمام "عبدالله بن فيصل"، فجرى عليه لقب "حلوان"، ومنذ ذلك اليوم وأحفاده وأبناؤه يحملون هذا اللقب، كما لقب بـ"صاحب المهمات الصعبة" في معارك (القصيم) سنة ١٣٢٢هـ، حيث أمره الملك عبدالعزيز بمحاصرة رئيس الحامية في (بريدة)، ولقب أيضاً بـ"أبو السرايا" في حرب "ابن رفادة" سنة ١٣٥١هـ، حيث كان القائد الأول والأكبر لسرايا الملك عبدالعزيز كما ذكر "عبدالعزيز بن محمد القباع".



جمارك ميناء العقير (١٩٣٠م)



قاد عبدالله حلوان جند الملك عبدالعزيز في مختلف السرايا

زوجته وأبناؤه

تزوج "عبدالله الحلوان" بـ"هيا بنت ناصر بن شهيوين"، وأنجب منها ثلاثة أولاد، ذكرين وأنثى، وهم "عبدالعزيز" و"عبدالرحمن" و"نورة"، أما عبدالعزيز أكبر أبنائه فقد شارك مع والده في موقعة (تربة) و(حصار جدة) و(موقعة السبلة) وغيرها، وأما "عبدالرحمن" فقد تربى تحت كنف والده، وتعلم منه الحياة الحربية، وحبه للعلم وأصبح من الملازمين لأبيه، ومن ثم توجه إلى أعمال التجارة.

منازل ابن حلوان

سكن "عبدالله بن حلوان" مساكن عدة في حال السلم والحرب، ففي الحرب كان ملازماً للملك عبدالعزيز، أما في السلم فقد سكن منزل أبيه عبدالعزيز الذي تربى فيه في الحلة الداخلية، وهي (حي مشهور) يقع شمال (دخنة)، وكانت أرقى أحياء الرياض أيام الإمام عبدالله بن فيصل؛ لأنها كانت قريبة من قصر الحكم، وبعد ذلك سكن في "الوسيطاء" -حلة عامرة تقع في قلب دخنة- وكان منزلا كبيرا يضم إسطبلاً للخيول ومراح الإبل الأصيلة، ولكون "عبدالله الحلوان" يعمل بالتجارة، فقد اشترى نخل "البيبي" وهو نخل معروف في (نجد) وموجود في (الدرعية)، وكما ورد في (موسوعة من رجال الملك عبدالعزيز)، فقد انتقل إلى (الدرعية) وبعد ذلك اشترى بيتاً في "المليحة"، وكان إذا ذهب إلى الرياض ينزّل فيه؛ لأنّه مكلف بحراسة الملك والقصر ضمن نظام خبرة الحراسة، وكان آخر منازله في حي السويلم بالرياض الذي توفي فيه -رحمه الله-.

إرث علمي

ونظراً لدخوله حلقات تحفيظ العلم وحفظه للقرآن الكريم والعلوم الأخرى، ونهله من مجالس أبيه التاريخ، والحوادث، والعبر، والمناقب الحسنة، وسير الرجال، وغير ذلك، فقد كان جامعاً للعلوم المختلفة، ورغم انشغاله بمهامه الحربية ولإدارية، إلاّ أنّ مكتبته احتوت ما يفوق الألف عنوان من أمهات الكتب في علوم القرآن والسنة وباقي العلوم، ومكن طلاب الشيخ "علي بن داوود" من الافادة من مكتبته التي خصص لها ثلاثة غرف في منزله، وكان يحث الطلبة والشباب ويشجعهم على طلب العلم، ويسعى لقضاء حوائجهم، ويعيرهم من مكتبته إذا احتاجوا إلى الكتب والمراجع، وبعد وفاته -رحمه الله- وزعت كتبه على طلبة العلم.

حبه للخيل

يمتلك "عبدالله الحلوان" عدداً من الخيول والإبل الأصيلة، ومن أشهرها حصانه (مسعود) وهو من الخيل المحببة إليه، ويروي "محمد بن عبدالعزيز بن حلوان" أنّ أحد وجهاء (الرياض) أراد شراء الحصان (مسعود)، فأخبره "عبدالله الحلوان" أنّ استطاع الركوب عليه فهو له، وما إنّ ركب فوق الحصان حتى رماه أرضا فأصيب إصابة بالغة.

مع الشعراء

ومن الشعراء الذين امتدحوا الملك "عبدالعزيز" ورجاله الشاعر "محمد بن ناصر الخليف"، حيث كتب قصيدة وذكر فيها بطولات "عبدالله الحلوان" ومن ضمنها تلك الأبيات:

تحـــلـــو بـــه الـــدنـــيـــا الملـــيـــك بـطــاعــة
فـــلـــذلـــك ســـــمـــي بـــاســـــمـــه (حـــلـــوان)

يقول فيها:

صـــحـــبـــت الملـــيـــك بـــحـــلـــه وبـــســـفـــره
أدنـــــــاه مـــــنـــــه مجـــلـــــس وطـــعـــــان

وثائق ابن حلوان

للشيخ "عبدالله بن حلوان" العديد من الوثائق التي خطها بيده، ومنها برقية مستعجلة من "عبدالله بن حلوان" و"ابن سلطان" إلى الملك عبدالعزيز يخبران فيها عن بداية المعركة، وكيف كانت؟، وما هي النتائج، والظروف التي حصلت عام ١٣٥١هـ وبرقيه أخرى من "عبدالله بن حلوان" إلى الملك عبدالعزيز مفادها تسلم الأغراض والأخبار بآخر المستجدات، وما حدث أيام توليه إمارة (العقير) بعد أن أرسل من الملك عبدالعزيز لـ(العقير) وتوليه شؤون الميناء، ويملك عدداً من الأسلحة، ومنها بندقية مكتوب عليها عبدالعزيز آل سعود أهداها له الملك عبدالعزيز، ومسدس حصل عليه إبان حرب (الرغامة)، وغيرها من الوثائق التي ما زال بعض أبنائه يحتفظون بها.

أقوال المؤرخين

تناول الكثير من المؤرخين السيرة العطرة للبطل "عبدالله بن حلوان"، ومن ضمنهم الشيخ "عبدالله بن محمد بن خميس" في كتابه (تاريخ اليمامة) فقد ذكر أنّ أسرة "آل حلوان"، هم رجال حرب ورياسة وإمارة، أما "عبدالله بن حلوان"، فهو أبرز رجال الملك عبدالعزيز وأشجعهم، وفي كتاب للمؤلف "إبراهيم بن عبدالرحمن بن خميس" (اسود آل سعود وتجربتي في الحياة)، ذكر أنّه نادر في الشجاعة والحكمة والبسالة، وفي كتاب (معجم اليمامة) عن أبطال الفداء ذكر منهم "عبدالله بن حلوان"، وفي كتاب للشيخ "عبدالرحمن بن سليمان الرويشد" حينما تحدث عن "عبدالله بن حلوان" قائلاً: "إنّه من الأسر المعروفة بنجد كان على رأس سرية تركها الملك عبدالعزيز في العقير بعد رحيل الأتراك، وهو قائد الحملة التي قضت على فتنة حامد بن رفادة عام ١٣٥١هـ ويعد من أشجع رجال الملك عبدالعزيز وأكثرهم بسالة"، إضافة إلى ما ذكره "عبدالله بن سليمان بن ابراهيم القيعان" -أحد رجال الملك عبدالعزيز-، قائلاً: "ابن حلوان هو رجل المصاعب كما يسمى، وكان معنا في حرب ابن رفادة وكان -رحمه الله- يسمى أمير فوق العادة، حيث أنّ الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كان يعتمد عليه في مثل هذه المواقف، فكان يتميز بشجاعة لا يصدقها إلا من يراه رحمهم الله جميعاً"، كما روى الشيخ "علي بن حريول" حينما سأل "عبدالله بن نفيسة" الشهير بـ"عمعوم" عن من أظفر منه في الشجاعة والقتال، أنّ قال "عبدالله بن حلوان".

وفاته

تأثر الشيخ "عبدالله الحلوان" بوفاة قائده الملك عبدالعزيز أيما تأثر، ووافق ذلك أنّه أيضاً كان يعاني المرض ما يقارب (١٠) سنوات، وساءت حالته، ولم يستطع الحركة، وأرسله الملك سعود على نفقته للعلاج إلى (لبنان) ولم تتحسن حالته، وبعد ذلك استضافه الملك فيصل -ولي العهد في ذلك الوقت- في (الطائف) عدة سنوات، إلى أن وافته المنية في بيته بـ(الرياض) في حي (السويلم) في ١٢/ ٥/ ١٣٨٢هـ، الموافق ١١ أكتوبر ١٩٦٢م عن عمر يناهز (٨٣) عاماً، رحمه الله رحمة واسعة.



شاطيء العقير كان عامرا بالبضائع من مختلف الدول



قوافل من الجمال في مرفأ ضباء قديما

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

وجد فيه الملك فيصل "الرجل المناسب في المكان المناسب"

عمر بن عباس السقاف.. «دبلوماسي الأيام العصيبة»

■ حفل القرن الهجري المنصرم بأعيان وأعلام بارزة في تاريخ بلادنا، ومما لا شك فيه أن النصف الأول من ذلك القرن شهد مراحل التوحيد وجمع الكلمة، فيما شهد النصف الثاني مرحلة البناء والتأسيس وإقرار وتثبيت مؤسسات الدولة، التي عملت جاهدة على تعليم أبنائها في الداخل والخارج، لتعتمد بعد توفيق الله سبحانه وتعالى على سواعد أبنائها الذين حصلوا على الشهادات العليا في ضروب العلم، لا سيما وقد تباينت بهم التخصصات العلمية والأدبية كلٌ وفق مبتغاه ورغبته، وهو بلا شك ما تم تهيئته وتوظيفه لصالح بناء الدولة، التي وجدت من سواعد أبنائها خير معين في مراحل البناء والتأسيس، كما فعلت في مرحلة التوحيد وجمع الكلمة، ولا أدل على ذلك إلا مخرجات العمل الحكومي والخاص، التي مازلنا بفضل الله ننعم بما حباه الله لنا من أمن مستقر ووحدة في المصير ولله الحمد، ولا شك أيضاً أن هذا الإثراء في الأداء الحكومي كان له -بعد توفيق الله- أسبابه وأدواته التي تمثلت في ما بناه الآباء إرثاً عن الأجداد، الذين تقلدوا المناصب العليا، وحضي كثير منهم بخدمة بلاده عبر أكثر من مرفق وموقع.

شهدت فترة عمله العديد من الأحداث والتقلبات الدولية عام ١٣٨٨هـ ووضع بصمته في العمل السياسي



عمر السقاف



الملك فيصل رحمه الله اعتمد على السقاف في كثير من الملفات الخارجية



كان السقاف الأول على مستوى المملكة في المدرسة الأميرية

■ ما أن يذكر العمل الدبلوماسي في تاريخ المملكة إلا ويحضر اسم الملك فيصل -رحمه الله-، الذي تخرج في مدرسته السياسية والدبلوماسية، ابنه الوزير المحنك الأمير سعود الفيصل، الذي استلم زمام أمر وزارة الخارجية في المملكة لمدة ٤٠ عاماً، ولأن طلاب الفيصل في العمل الدبلوماسي كانوا على قدر كبير من التمكن والخبرة، فإن أسماءهم وأعمالهم مازالت تذكر فتشكر، ولا أدل على ذلك إلا تاريخ التلميذ الأول للملك فيصل في العمل الخارجي معالي الوزير السيد عمر بن عباس السقاف، الذي شهد مع الفيصل فترة عصيبة في تاريخ الأمة والدولة، لا سيما في فترتي الثمانينات وبداية التسعينات الهجرية.

نبوغ مبكر

ولد السيد عمر بن عباس السقاف سنة ١٣٣٢هـ، والتحق بالكتاب حين كان في السابعة من عمره فحفظ القرآن الكريم، وأجاد العربية وتعلم العلوم الحديثة، وكان أثناء دراسته طالباً مميزاً ومتفوقاً على أقرانه، ويشهد له بذلك من عاصره ودرس معه، بل شهد أساتذته على تفوقه وذكائه ونبوغه، ويذكر أنه في الثانية عشرة من عمره حصل على الشهادة الابتدائية وكان الطالب الأول على مستوى المملكة، وذلك في المدرسة الأميرية الابتدائية بالمدينة المنورة، التي سميت فيما بعد ب "الناصرية"، حيث كان سكن والده في "العنبرية"، ويذكر أنه كان يساعد مدرسيه وأساتذته في بعض أعمالهم في رسم ووضع الجداول، ولذا فقد كان محل ثقتهم واهتمامهم، كما حظي بذات الثقة لدى والده الذي يعتمد عليه -بعد الله- في شؤون المنزل، ومتابعة إخوته الصغار، وكان والده -رحمهما الله- يتابعه وإخوته في تحصيلهم العلمي ويرتب لهم أوقاتهم وأعمالهم ومهامهم في جو أسري تغمره المحبة والألفة، كما شهد بذلك أستاذه عبدالحي بن عبدالسلام النقشبندي الذي يتذكر بدايات تلميذه حين كان طالباً في الابتدائية لا سيما وأنه أحد الشهود على تميزه ونبوغه.

ويروي عبدالحي قصته مع تلميذه بعد أن تحدث عن سفره وتركه العمل في المدرسة الابتدائية التي يدرس بها السيد عمر السقاف وبعد جولة قام بها النقشبندي داخل وخارج المملكة قال: "رجعت للمدينة أواخر سنة ١٣٥١هـ، وعلمت بعد رجوعي أنه سافر لبيروت (يقصد السقاف) في الجامعة الأمريكية ونال دبلوم الاقتصاد في التجارة وتوظف في الخارجية ويمثل المملكة في الكثير من المؤتمرات التي يتطلب فيها مشاركة مندوب من المملكة، وكان الأمير فيصل كوزير للخارجية يبعث المذكور، وبعد وفاة والده جاء للمدينة فذهبت مع الشيخ عبدالمجيد لتعزيته فقال له الشيخ: هذا الشيخ عبدالحق فقال: أتعرفني به وهو أستاذي وله الفضل علي وعلى جيل من الشباب الذين درسوا عليه فشكرته على تقديره".

مدرسة البعثات

تقول شقيقته فاطمة: لم تطل كثيراً فترة بقاء السيد عمر السقاف في المدينة المنورة حيث غادر إلى مكة المكرمة - بعد تخرجه من الابتدائية- للدراسة في مدرسة تحضير البعثات.. حيث مكث فقط أربع سنوات عاد بعدها إلى المدينة ثم إلى بعثته في الخارج، وتضيف السيدة فاطمة لم تطل فترة بقاء الطالب عمر السقاف في مدرسة تحضير البعثات فقد كانت الدراسة تنقسم إلى قسمين (القسم العام والقسم الخاص) وكانت الدراسة كما يقول الأستاذ خيرالدين الزركلي أربع سنوات للقسم العام، وخمس سنوات للقسم الخاص، وكانت المدرسة تدمج المرحلتين المتوسطة والثانوية في مرحلة واحدة لكن القسمين العام والخاص تحولا إلى القسم الأدبي والقسم العلمي، تخرج الطالب عمر السقاف من القسم العام بعد أربع سنوات وعاد إلى المدينة المنورة.

حرص السيد عباس السقاف على أن يعمل ابنه -حديث التخرج- معه في بعض أعماله التجارية، بيد أن الابن استطاع أن يقنع والده -برضا منه- بإكمال دراسته، وفعلا دأب الأب على أن يلتحق ابنه بإحدى البعثات فسافر إلى القاهرة، ثم ما لبث أن غادرها إلى لبنان وهناك أكمل دراسته، وكان يتواصل مع أهله ويزورهم في الإجازات، لاسيما بعد أن بدأت رحلات الطيران طريقها الجديد من جدة إلى بيروت.

كانت صحيفة أم القرى قد نشرت في عددها رقم (١٠٢٣) بتاريخ ١٣٦٣/١٠/١٩هـ الموافق ١٩٤٤/١٠/٦م بياناً بأسماء المبتعثين إلى مصر من مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة، وكان السيد عمر السقاف أحد أولئك المبتعثين.

كان الأديب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري قد كتب بمجلة المنهل مقالاً بعنوان "الفارس الذي سقط في الميدان" وكان ذلك بعد وفاة السيد عمر السقاف -رحمه الله- قال الأنصاري يصف معاصره: كان طالباً طموحاً منذ مطلع شبابه، ذا وعي وإدراك وثبات منقطع النظير، وحينما تخرج من المدرسة الابتدائية، كان الكثير من زملائه يكتفون بالدراسة وينتظمون في سلك الوظائف، أما هو فإنه أقدم على الرغبة في إكمال دراسته تباعاً، فانتظم في سلك مدرسة البعثات الثانوية بمكة فسافر إليها حتى تخرج منها، ثم طلب الالتحاق بالجامعة الأميركية في بيروت، وبعد تخرجه من الجامعة الأميركية نال دبلوم التجارة والاقتصاد التحق بوزارة الخارجية.





قصر السقاف التاريخي بمكة المكرمة شاهد على عمق العلاقة مع القيادة

العمل دبلوماسي

استلم السيد عمر السقاف عمله كوزير دولة للشؤون الخارجية من عام ١٣٨٨هـ إلى عام ١٣٩٤هـ، وهو العام الذي توفي فيه -رحمه الله-، وكان الملك فيصل -رحمه الله- بخبرته العميقة ومكانته لدى دول العالم، ومعرفته بشؤون الملف الخارجي هو من يدير (وزارة الخارجية)، ولا شك حينها أن الفيصل -رحمه الله- وجد في السيد عمر السقاف الرجل المناسب في المكان المناسب، فكان التكليف يأتي من الفيصل للسقاف مباشرة، وكان الأخير معروفاً بتفانيه وإخلاصه وأمانته، حتى أنه -رحمه الله- كان يفتح أظرف المعاملات بنفسه، حرصاً منه على سرية وخصوصية العمل.

تدرج السقاف في المناصب الإدارية والدبلوماسية في عمله بوزارة الخارجية حتى أنه ما كان ينزل في بلد إلا ويسافر لآخر، يحضر الندوات والمؤتمرات، ويمثل المملكة بتوجيه مباشر من الملك فيصل -رحمه الله-، يقول الأنصاري واصفاً بعض مهام الوزير السقاف الدبلوماسية: اشترك في المؤتمر الآسيوي الإفريقي الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٦٥ ورأس وفد المملكة في بعض الدول الأوروبية والآسيوية والولايات المتحدة لشرح قضية فلسطين، ورأس وفد المملكة إلى اجتماعات الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء العرب، وزار عدة دول عربية وإسلامية وآسيوية وإفريقية، وزار الأمريكتين.. حتى إن الدولة الكورية منحته الدكتوراه الفخرية الشرفية وقد انفردت مجلة "المنهل" بنشر ذلك مفصلاً من بين الصحف والمجلات، وذلك في العدد السادس الذي نشر في رجب سنة ١٣٦٤هـ.

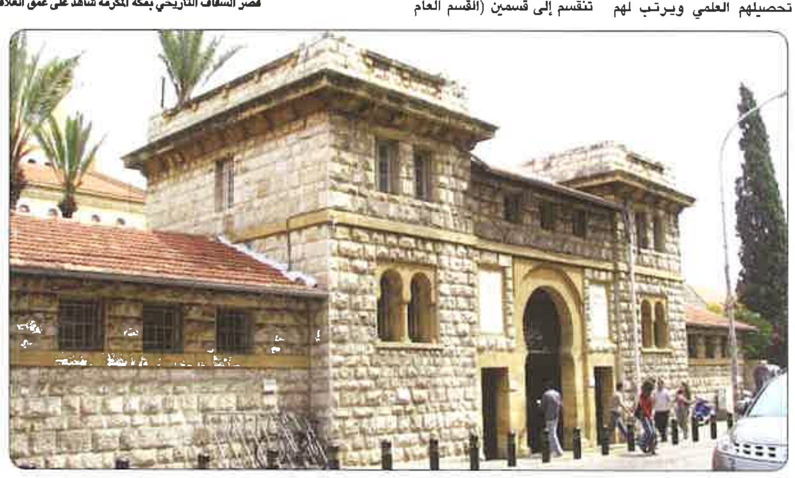
كان السيد عمر السقاف أول وزير دولة للشؤون الخارجية، وشهدت فترة عمله مع الملك فيصل -رحمهما الله- عدداً من الأحداث والتقلبات السياسية تمثلت في حرب الأيام الستة أو ما يسمى "النكسة" عام ١٩٦٧م ثم أحداث اليمن عام ١٩٦١م، وحرب "أكتوبر" عام ١٩٧٣م، كما شهد القرار التاريخي للفيصل -رحمه الله- بحظر النفط بصورة تدريجية عن الولايات المتحدة، وأيضا عاصر أثناء عمله كوزير دولة للشؤون الخارجية الأحداث الدامية بين الحكومة الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠م.

وزراء الخارجية

كان الملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- أول وزير للخارجية في تاريخ المملكة حيث تقلد الوزارة في عهد والده -رحمهما الله- وذلك من عام ١٣٤٩هـ إلى عام ١٣٨٠هـ، ثم في فترة ثانية بدأت من عام ١٣٨٢هـ إلى عام ١٣٩٥هـ، وكان معالي الأستاذ إبراهيم السويل قد تسلم الوزارة كثاني وزير للخارجية السعودية، حيث بدأ عمله عام ١٣٨٠هـ إلى ١٣٨٢هـ، وبعد عودة الفيصل للخارجية استمر وزيراً لها حين كان ولياً للعهد ثم ملكاً للبلاد وبعد وفاته -رحمه الله- تسلم عراب العمل الدبلوماسي الحديث في المملكة الأمير سعود الفيصل سدة الوزارة ليستمر وزيراً لها منذ عام ١٣٩٥هـ إلى عام ١٤٣٦هـ، تلاه مؤخراً الوزير عادل بن أحمد الجبير، وفي ١٣٧٧/٥/٢٣هـ كان الأستاذ محمد إبراهيم مسعود قد عين بأمر من الملك سعود وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى، ومفتشاً للسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية، أما الوزير حينها فكان الملك فيصل الذي كان ولياً للعهد حينذاك.

وفاته

تعرض السيد عمر بن عباس السقاف إلى أزمة قلبية -جلطة- حين كان في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة، حيث توفي -رحمه الله- على إثرها في يوم الخميس الموافق ٣٠ شوال من عام ١٣٩٤هـ، وذلك عن عمر يناهز الستين عاماً، قضاها في خدمة دينه ثم بلاده، وقد تلقى الملك فيصل حينها والشعب السعودي نبأ وفاة الوزير السقاف بعميق الحزن، ما دعا الفيصل إلى أن يأمر بسرعة نقل جثمانه إلى المملكة، حيث دفن -رحمه الله- في بقيع الغرقد، بعد أن صلي عليه في الحرم النبوي الشريف، وتلقى الديوان الملكي حينها سيلاً من برقيات التعازي في الفقيد، الذي كان ولا يزال اسماً وعلماً من أعلام العمل الدبلوماسي السعودي.



السقاف التحق بوزارة الخارجية بعد إكماله لدراسته



السقاف كان من ضمن من واصل تعليمه في مصر

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أحد وجهاء الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ويحضى بثقة الملك عبدالعزيز في رأيه ومشورته

صالح شطا.. أول مدير معارف في العهد السعودي

■ يُعدّ الشيخ صالح بن أبي بكر بن محمد زين الدين "شطا" المكي - الشهير بـ "صالح بكري شطا" - أحد وجهاء وأعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، وقد نشأ يتيماً فكفله أخوه، وحفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه على أيدي أعلام العلماء من أسرته ومن علماء مكة المكرمة، وتنقّل بين عدد من الدول والبلدان طلباً للعلم، وبعد أن أتمّ دراسته حصل على إجازة بالتدريس من هيئة العلماء بمكة المكرمة، فكان يُلقي دروسه في رحاب المسجد الحرام بباب الزيارة، كما أنّه كان يؤم المصلين في صلاة التراويح بالمسجد الحرام في عام (١٣٢٣هـ).

وكان "شطا" - رحمه الله - أحد أعضاء الحزب الوطني الذي تأسس في مدينة جدة، وذلك قبل دخول الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - الحجاز وتوحيد أقاليم المملكة، ويُذكر أنّه ذهب إلى الملك عبدالعزيز حين كان الملك بالرغامة قبل دخوله إلى جدة فرحب به الملك، ويستدل المؤرخون وكُتّاب التراجم أنّ هذه الخطوة كانت مغامرة منه، فالأوضاع الأمنية كانت حينها مضطربة والأجواء السياسية كانت متوترة، لاسيّما أنّ الخروج من المدينة للقاء الملك عبدالعزيز كان يُشكّل خطورة غير مضمونة النتائج.

وبعد أن أصبح الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ملكاً على الحجاز في عام (١٣٤٤هـ) عُيّن "شطا" عضواً بمجلس الشورى عن مكة المكرمة، وذلك في بداية تأسيس المجلس في عام (١٣٤٥هـ)، ثمّ عُيّن مديراً للمعارف، ليُصبح أول مدير معارف في عهد الملك عبدالعزيز، إلى جانب تعيينه معاوناً للملك فيصل النائب العام لجلالة الملك عبدالعزيز - رحمهم الله جميعاً - ما أكسبه الخبرات والمعارف، وذلك لتعدّد أسفاره ورحلاته مع الملك فيصل إلى مختلف الدول، إضافة إلى مناصب أخرى تولاها، فكان الرجل المناسب في المكان المناسب في جميع مناصبه.

لازم الملك فيصل في رحلاته الخارجية وكسب الكثير من الخبرات والتجارب

نشاته الأولى

وُلد الشيخ صالح بكري شطا في العام (١٣٠٢هـ)، وذلك بمكة المكرمة، وتوفي والده وهو في الثامنة من العمر، فكفله أخوه الأكبر السيد أحمد شطا المدرس بالمسجد الحرام، وحفظ القرآن في صباه وتلقى تعليمه على أيدي أعلام العلماء من أسرته ومن علماء مكة المكرمة، وبعد أن أتمّ دراسته حصل على إجازة بالتدريس من هيئة العلماء بمكة المكرمة، فكان يُلقي دروسه في رحاب المسجد الحرام بباب الزيارة، كما ذكر عمر عبدالجبار في "سير وتراجم"، والمعروف أنّ "آل شطا" من الأسر المكية العريقة، وورد ذكرهم في العديد من المؤلفات والتراجم، ومنها ما قاله شيخ المؤرخين أحمد السباعي في كتابة "تاريخ مكة": "إنّ قدوم جد آل شطا السيد محمد شطا زين الدين بن محمود بن علي الشافعي إلى مكة من بلدة دمياط كان في أواخر القرن الثاني عشر، فتصدر للتدريس في المسجد وأنجب أولاده السيد عمر والسيد عثمان والسيد بكري"، وزاد الشيخ عبدالله الغازي المكي في كتابه "عوائل مكة عبر العصور" أنّ جدهم كان عالماً فاضلاً متصدراً بالإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وتوفي -رحمه الله- بمكة المكرمة سنة (١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م)، ودفن بالمعلاة، وقد قارب عمره (٨٠) عاماً.

صفاته الشخصية

عُرف الشيخ صالح شطا بصفات يكاد أهل زمانه أن يتفقوا على وصفه بها، فهذا الأستاذ عمر عبدالجبار يصفه بأنّه: طويل فارع معتدل الجسم، أبيض اللون تشوب بياضه حمرة خفيفة، واسع العينين، أقنى الأنف، يضع على عينيه نظارة ذهبية، وكان في العهد الهاشمي يرتدي الجبة والعمامة الحجازية، وفي الخمسينيات ارتدى العباءة العربية والغترة البيضاء دون عقال، وهو الزي الذي يتميز به علماء الدين والقضاء، وكان -رحمه الله- لطيف المعشر وباسم الثغر وحسن الاستماع، ومن يشاهد صور الشيخ يقف على بعض سماته وارتساماته، فهو ذو وجه صبوح بشوش متناسق التقاسيم والملامح، ومع هذا فقد عُرف عنه -رحمه الله- أنّه كان شيخاً وقوراً سمتاً مبجلاً بين معارفه وأقرانه.

تلقيّه العلم

تلقى صالح شطا عن أخيه السيد أحمد شطا الصرف والنحو والأصول، كما تلقى العلم على جماعة من العلماء، فقرأ شرح نظم التحرير في الأصول والفلك على السيد عبدالله دحلان والسيد حسين الحبشي، إلى جانب تلقيّه عن مشايخ عصره التفسير والحديث وأصول الفقه والبلاغة، ومن هؤلاء: السيد حسين الحبشي ومحمد يوسف خياط وسعيد اليماني وأسعد دهان وعبدالرحمن دهان، وغيرهم، ويشار إلى أنّ الشيخ صالح شطا سافر إلى مصر وفلسطين والشام ولبنان في العام (١٣١٨هـ)، وإلى الهند والملايو في العام (١٣٢٧هـ) لتلقي العلم، وقرأ خلالها نفائس وكتب السلف الصالح وعلماء القرن السابع والثامن الهجري أمثال: ابن تيمية وابن القيم وبعض العلماء المتأخرين، كمحمد بن عبدالوهاب وجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.

محاضرات أسبوعية

يُذكر أنّه بعد عودته من رحلاته العلمية أجازه العلماء وأذنوا له بالتدريس في المسجد الحرام في العام (١٣٢٦هـ)، فكانت حلقة درسه في حصوة باب الزيارة، فدرس علوم اللغة العربية والفقه الشافعي والعلوم الشرعية، كما أمّ المصلين في صلاة التراويح بالمسجد الحرام في العام (١٣٢٣هـ)، وأمّ المصلين ذات مرة في صلاة المغرب بالمسجد الحرام في العهد السعودي، وذلك لتأخر الإمام الشيخ عبدالظاهر أبو السمح، الذي حضر بعد إقامة الصلاة -رحمهم الله جميعاً-، وكان السيد صالح شطا يُشجّع الكفاءات، خاصة الشباب الذين لم تُعرف أسماؤهم أو لم تظهر مواهبهم، وكان له محاضرات أسبوعية في جمعية الإسعاف بمكة المكرمة، لتثقيف الجمهور، وكانت تستدعي كبار العلماء والأدباء لإلقاء محاضراتهم فيها بعد صلاة العشاء، وكان الاعلان عن هذه المحاضرات يتمّ بالنشر عن ذلك في جريدة "صوت الحجاز" وفي لوحة تُرفع أمام مبنى الجمعية، الذي كان أمام الحميدية في أجياد قبل إدخاله في التوسعة الأولى للمسجد الحرام.

وكانت محاضرات وأماسيّ جمعية الإسعاف بمكة المكرمة -دون شك- ذكرى أدبية جميلة يزهو بها التاريخ المكيّ وأبناء قبلة الأرض، خاصة أنّها تُعدّ وتُقدّم من قبل نخبة من العلماء والمفكرين والأساتذة التي تزخر بهم "أم القرى"، التي كانت مدارسها -وما زالت- تُمثّل المَعين الذي لا ينضب في تخريج وتأهيل العلماء والرواد، وتؤكد التراجم على أنّ السيد صالح شطا من أبرز المحاضرين في جمعية الإسعاف، وكان الناس يحرصون على ألاّ تفوتهم محاضراته، لما عُرف عنه من صراحة وإخلاص، بل إنّ وفاته -رحمه الله- كانت قبل إلقائه إحدى هذه المحاضرات، ويُذكر أنّه قد تمّ جمع القسم الأول من هذه المحاضرات وطُبعت في كتاب صدر منه جزء واحد باسم "محاضرات جمعية الإسعاف".

لقاؤه بالملك عبدالعزيز

يُسهب المؤرخ محمد علي مغربي -رحمه الله- في الحديث عن الشيخ صالح بن أبو بكر شطا، وممّا ذكره أنّ السيد صالح شطا وفد بأسرته في أوائل الأربعينيات من مكة المكرمة إلى جدة خلال الأحداث المتوترة إبّان الأربعينيات الهجرية من القرن المنصرم، ونزل بدار الشيخ عبدالرحمن باجنيد، في شارع قابل أمام مسجد المعمار، وتطرّق المغربي إلى خبر لحاقه بمخيم السلطان عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- بالرغامة خارج مدينة جدة، وقد تحدث "شطا" إلى "مغربي" عن قصة لقائه بالملك، ويُشيد "مغربي" في ترجمته بشجاعة وبسالة صالح شطا، حيث أنّ الخروج من الأسلاك الشائكة التي تحيط بمدينة جدة أيام الحصار يُعدّ مخاطرة غير مضمونة النتائج، وهذه الحادثة تُظهر قوة شخصية "شطا" وشجاعته في اقتحام المخاطر، وفي سياق سرد "مغربي" لهذه الحادثة يقول ما نصه: "وقد اتصل بي ابنه الأخ السيد محمود شطا -عضو مجلس الشورى-، وأخبرني أنّ والده لم يلجأ إلى مخيم السلطان عبدالعزيز، وأنّه إنّما ذهب مع من ذهبوا من زعماء مكة وجدة لمقابلة السلطان عبدالعزيز بالرغامة لإبداء آرائهم فيما تتعرض له مدينة جدة من المخاطر، بما تضمه من الأهالي ورعايا الدول الأجنبية".

وكانت الأوضاع آنذاك مضطربة فعلاً، وكان للأعيان والعلماء كلمتهم في التوسط لحل الأمور، وقد وجد "مغربي" في كتاب "ماضي الحجاز وحاضره" للأستاذ حسين محمد نصيف -رحمه الله- ما يدل على أنّ السيد صالح شطا كان أحد أعضاء الحزب الوطني الذي تأسس في مدينة جدة أيام توتر الأوضاع في المنطقة، ومُبيّناً أوجه التوافق بين ما كتبه عن صالح شطا وحديث ابنه السيد محمود شطا.

مناصبه العملية

لا غرابة أن يكون "شطا" من أبرز رجال العهد السعودي في الحجاز بعد أن أصبح السلطان عبدالعزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية في العام (١٣٤٤هـ)، فقد تولى أول منصب مدير للمعارف في الثالث من شهر رمضان في العام (١٣٤٤هـ)، وفق ما ذكره عبدالله أبو رأس في كتابه "الملك عبدالعزيز والتعليم"، كما عُيّن عضواً بمجلس الشورى عن مكة المكرمة في بداية تأسيس المجلس من العام (١٣٤٦هـ) إلى العام (١٣٥٠هـ)، ثمّ عضواً في مجلس الوكلاء في العام (١٣٥٠هـ)، كما ذكر ذلك صالح الجودي في كتاب "دار التوحيد في ميزان التاريخ"، ثمّ رئيساً للشعبة الخاصة بمعالجة الشؤون الداخلية بالنيابة العامة في العام ذاته، ثمّ عضواً في مجلس الشورى مرةً ثانيةً من العام (١٣٥٥هـ) إلى العام (١٣٦٩هـ)، ترأس خلالها جميع الجلسات بصفته النائب لرئيس مجلس الشورى.

وكان تعيينه نائباً أول لمجلس الشورى قد بدأ اعتباراً من (١٦) من شهر جمادى الأولى في العام (١٣٦٨هـ)، كما أورد ذلك الدكتور عبدالرحمن الزهراني في كتاب "رجال من الشورى"، ويُذكر أنّه عندما تأسست النيابة العامة عُيّن الملك فيصل النائب العام لجلالة الملك في الحجاز، وعُيّن صالح شطا معاوناً للنائب العام بأمر ملكي كريم، ولعل ملازمته للملك فيصل في رحلاته الخارجية، خاصةً للأمم المتحدة قد أكسبه الكثير من التجارب والخبرات المتعددة، إلى جانب مهام ومسؤوليات أخرى تولاها "شطا"، وكان له في جميع المناصب مواقف حازمة تناقلتها الألسن وتحدثت بها المجالس، وكان موضع ثقة الملك الراحل -رحمهم الله-، كما ذكر ذلك عمر عبدالجبار في حديثه عنه.

إلغاء رسم الكوشان

عندما سمح الملك عبدالعزيز -طيّب الله ثراه- بدخول السيارات إلى الحجاز لأول مرة، فرضت الدولة رسماً مقداره (٣٤) قرشاً "ما يساوي ثلث الجنية"، وكانت العامة تسمّي أول سنة تمّ نقل الحجاج فيها بالسيارات الحديثة "سنة السيارات"، وكانت هذه الرسوم مُعدّةً للسفر إلى مكة المكرمة، إلى جانب وجود رسم آخر مقداره جنيهين للسفر إلى المدينة المنورة، وبعد توحيد أرجاء المملكة بقيت هذه الضريبة، وكان أول من طالب بإلغائها في المدينة المنورة هو المرحوم الشيخ سعود دشيشة نائب المدينة المنورة في مجلس الشورى، حيث خاطب الملك عبدالعزيز فلبّى الملك عبدالعزيز هذا المقترح، على الرغم من أهمية هذا الرسم بالنسبة للدولة لاختصاصها بالمدينتين المقدستين، وما أن سمع السيد شطا بإعفاء الرسوم على المدينة المنورة حتى بادر وذهب إلى الملك عبدالعزيز يطلب باسم أهالي مكة المكرمة الإعفاء من الضريبة، أسوةً بأهل المدينة المنورة، وقد استجاب الملك عبدالعزيز لطلبه، فألغيت هذه الضريبة أو ألغي رسم "الكوشان" عن الأهالي وبقي مفروضاً على الحجاج، إلى أن تمّ إلغاؤه في أواخر عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في العام (١٣٧٠هـ).

وتُشير التراجم إلى أنّ هذه الجاهة التي قام بها صالح شطا ذات دلالة على أنّه -رحمه الله- كان أحد أعيان وأعلام مكة المكرمة، التي كثيراً ما وصف المؤرخون ثقة الملك المؤسس بآرائهم ومشورتهم، حتى أنّ الملك عبدالعزيز أوضح ذلك في خطابه الشهير حين أسس مجلس الشورى، حيث صرح -رحمه الله- بعميق ثقته بأبناء شعبه، وكان كثيراً ما يستأنس ويستشير برؤيتهم ومشورتهم، ولا شك أنّ "شطا" -رحمه الله- كان من أبرز الشخصيات في مكة المكرمة، كما أنّ الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كان رُغم مناصبه العظيمة يعيش مع الناس يتحسس آلامهم ويتفهّم مشكلاتهم، وكانت داره مفتوحة لاستقبال الناس، كما أنّ الوافدين لا يصده عن لقائهم حجاب، وإنّما يجدون صدراً رحباً ووجهاً كريماً باشاً، وله في مكة المكرمة ذكريات وأعمال جليلة، لاسيّما أنّ مكة المكرمة ومدينة الطائف شهدتا اللبنات الأساسية للقرارات الإدارية الحاسمة لتوحيد كافة أقاليم البلاد.

وفاته

تُوفي الشيخ صالح بن أبو بكر بن محمد شطا -رحمه الله- في (٢٩) من شهر صفر سنة (١٣٦٩هـ)، وحزن على وفاته كافة طبقات المجتمع الذين يعرفونه بمحاضراته وكتاباته وإدارته لكثير من ملفات الأجهزة الحكومية، لاسيّما في التعليم والشورى، وفقدت البلاد برحيله أحد رجال البناء والتأسيس ممّن عُرفوا بحميد الخصال، ويُذكر أنّه كان قبل وفاته يُعدّ لإلقاء محاضرة في جمعية الإسعاف بمكة المكرمة تحت عنوان "الإسلام والدعوة القومية"، غير أنّ الأجل المحتوم وافاه قبل إلقاء المحاضرة، فألقيت نيابة عنه، وكان عمره حين وفاته (٥٦) عاماً.



صالح شطا مُرتدياً الجُبّة والعمامة الحجازية في العهد الهاشمي



صالح شطا



الشيخ صالح شطا يُلقي دروسه في رحاب المسجد الحرام



وثيقة تعيين الشيخ صالح شطا أول مدير للمعارف



برقية موجهة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ صالح شطا



خطاب صالح شطا وعدد من أهالي مكة يبايعون فيه الملك عبدالعزيز



أمّ الشيخ صالح شطا المصلين في صلاة التراويح بالمسجد الحرام في العام ١٣٢٣هـ



أحد الشوارع بمدينة جدة تمّ تسميته على اسم والد الشيخ صالح شطا

ألّف مجلة الأحكام الشرعية.. وموروثه العلمي وإنتاجه الفكري ظلا علامة بارزة تميزه عن معاصريه

أحمد القاري.. معاون أمين الفتوى

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ عالم جليل وشيخ وقور، وهب نفسه للعلم، ومسيرته حافلة بالإنجازات العلمية، سيما الفقهية منها، فمنذ نعومة أظفاره كان الشيخ أحمد القاري حاد الذكاء سريع التعلم والحفظ فنبغ في سن باكرة، ولفت انتباه المدرسين بمدرسة الصولتية بجدة، فعين مدرساً بالمدرسة وهو طالب!، ولي الشيخ أحمد القاري القضاء في العهد الهاشمي والعهد السعودي وتقلد وظائف علمية كثيرة، من ضمنها تعيينه عضواً بمجلس الشورى في مكة المكرمة، وكذلك عين رئيساً للمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة، إضافة إلى تعيينه عضواً في رئاسة القضاء - هيئة تمييز الأحكام حالياً - وتوج الشيخ أحمد هذه الحصيلة العلمية الكبيرة من خلال تأليف عمل ضخم وبمجهود فردي وهو «مجلة الأحكام الشرعية» وهي تجربة رائدة، وأول عمل علمي حديث في الفقه الحنبلي والفقه الإسلامي، والمجلة سفر ضخم يقارب من ٦٨٠ صفحة، ويحتوي على ٢١ كتاباً شملت الأحكام الشرعية لكثير من المسائل الفقهية، وتعد مرجعاً ومصدراً علمياً استفاد منه الفقهاء والقضاة، حيث استطاع المؤلف من خلاله صياغة المواد والأحكام وحبك عباراتها في صورة يمكن اعتبارها قاعدة قانونية، محطات كثيرة في حياة العالم الفاضل الشيخ أحمد بن عبدالله القاري نستعرضها في التقرير التالي:

درس بالحرم المكي ثم بالمدرسة الصولتية عام ١٣٣٤هـ ثم عين معاوناً لأمين الفتوى بمكة المكرمة عام ١٣٣٦هـ، وفي عام ١٣٣٩هـ تم تعيينه عضواً بهيئة التدقيقات الشرعية، إلى جانب عمله السابق، بعدها تولى القضاء في مدينة جدة عام ١٣٤٥هـ، كما عين -رحمه الله- مدرساً للعلوم الدينية بمدارس الفلاح، وحينها كان يلقي دروسه ويدعو الناس في مسجد عكاش بجده - كما ورد في (موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مئة عام)- إلى أن عين عضواً بمجلس الشورى من عام ١٣٥٠هـ، إلى العام الذي يليه - كما ذكر الدكتور عبدالرحمن الزهراني في كتابه (مسيرة الشورى).

ولاه الملك عبدالعزيز إعداد مرجعية معتمدة للقضاة يُستقى منها الأحكام من جميع المذاهب



الشيخ أحمد القاري



أمر الملك عبدالعزيز بتأليف مرجع معتمد للقضاة في عهده

نشأته

ولد الشيخ أحمد بن عبدالله القاري بـ(مكة المكرمة) عام ١٣٠٩هـ، وحفظ القرآن الكريم وجوده على يدي والده شيخ القراء الشيخ عبدالله القاري، والتحق بالمدرسة الصولتية بـ(مكة المكرمة) وتلقى علومه بها، وكان متميزاً بين صحبه وأقرانه، وإضافة إلى مواظبته على حضور وتلقي الدروس بالمسجد الحرام، فقد عرف بحرصه على الانقطاع للعلم، كما كان لنبوغه المبكر تأثيره في نفوس أساتذته، حتى إنه انضم إلى سلك المدرسين بالمدرسة وهو طالب بها، وكان هذا التقليد من الوسائل التشجيعية التي تتبعها المدرسة الصولتية مع تلاميذها النابهين.

وينحدر الشيخ من أسرة عرفت واشتهرت بشغفها بالعلم والتعليم، فوالده الشيخ عبدالله القاري كان شيخ القراء بـ(مكة المكرمة)، إلى جانب اشتغاله بطلب العلم في المسجد الحرام والمدرسة الصولتية، وكان أستاذاً لمئات التلاميذ، وعمه الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاري كان من العلماء المشهود لهم بالفضل، وكان مدرسًا بالمدرسة الصولتية، وقد سافر إلى (الهند) لنشر علم القراءات والتجويد فمكث بها طيلة حياته وأخواه حامد بن عبدالله القاري والشيخ محمود بن عبدالله القاري وهما كذلك من رجال التعليم.

أمين الفتوى

كان الشيخ أحمد قد درس بالحرم المكي ثم بالمدرسة الصولتية عام ١٣٣٤هـ ثم عين معاوناً لأمين الفتوى بـ(مكة المكرمة) عام ١٣٣٦هـ، وفي عام ١٣٣٩هـ تم تعيينه عضواً بهيئة التدقيقات الشرعية، إلى جانب عمله السابق، بعدها تولى القضاء في مدينة (جدة) عام ١٣٤٥هـ، كما عين -رحمه الله- مدرساً للعلوم الدينية بمدارس الفلاح، وحينها كان يلقي دروسه ويدعو الناس في مسجد "عكاش" بـ(جدة) - كما ورد في (موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام - إلى أن عين عضواً بمجلس الشورى من عام ١٣٥٠هـ، إلى العام الذي يليه -كما ذكر الدكتور عبدالرحمن الزهراني في كتابه (مسيرة الشورى)-، كما عين في ذات العام ١٣٥٠هـ رئيساً للمحكمة الشرعية الكبرى بـ(مكة المكرمة)، وفي سنة ١٣٥٧هـ عين عضواً في رئاسة القضاء حتى وفاته.

تمكن من العلم

كان القاري وفق وصف الباحث والمؤرخ محمد بن علي مغربي يرتدي الجبة والعمامة الألفي الحجازية، ومن تحتها الشاية وهي زي العلماء في ذلك الزمان، ثم تحول إلى العباءة والغترة بدون عقال وهو زي رجال الدين في العهد السعودي، مبيّناً أنّ هناك علاقة شخصية تربطه بالشيخ أحمد القاري، حيث كان أحد تلاميذه ومعرفته به عن قرب خلال النصف الأول من الأربعينيات بمدرسة الفلاح بـ(جدة)، وكان يدرس العلوم الدينية بالفصول العليا من المدرسة، وتبدأ من السنة السابعة إلى التاسعة، إضافة إلى الأصول والتفسير.

وأشاد مغربي بذكاء الشيخ أحمد القاري وتمكنه من العلم ومهابته، حيث لا يجرأ الطلبة على إزعاجه، كما أنه ذو شخصية محببة تجمع بين الوقار واللطف، موضحاً أنّ الطلاب كانوا يشعرون أن للشيخ شخصية مستقلة، فلم يكن يخالط نفسه ببقية الأساتذة، وإنما كان يأتي في الوقت المحدد للحصة ومن ثم يجلس في غرفة الانتظار مع كبار المعلمين أو يجلس لوحده، مضيفاً: "وتبدو عليه أمارات الاتزان في حركاته وفي حديثه في غير اعتداد بالنفس أو تعال على الآخرين"، وكان الشيخ القاري يتقاضى مرتباً ضخماً من مدرسة الفلاح مقداره (١٥) جنيهاً، وذلك كان أعلى مرتب تصرفه المدرسة، وبعد الأزمة المالية التي مرت بها مدرسة الفلاح، قدم مبادرته للعمل تطوعاً دون مقابل واستمر على ذلك، علماً بأن الشيخ القاري لم يكن صاحب تجارة أو صاحب عمل، إنما وهب حياته للعلم حتى وصل إلى القضاء.

اهتمامه بطلابه

ويسرد المؤرخ مغربي رحمه الله قصة أول حصوله على عمل حيث لقي الشيخ أحمد القاري ذات يوم وهو في طريقه إلى مدرسة الفلاح، بينما هو في طريقه إلى مالية (جدة) إذ كان يعمل "ملازماً"، والملازم تحت التجربة ويتدرب للالتحاق بوظيفة حكومية شاغرة لاحقا ولا يتقاضى مرتباً، فأوقف الشيخ القاري للسلام عليه، واستفسر الشيخ عن سبب انقطاعه عن المدرسة، حيث أوضح له مغربي رغبة أهله في حصوله على عمل، وبعد فترة قابله مرة أخرى، وشفع له بوظيفة معاون لمأمور الحوالات، وكانت هذه أول وظيفة يحصل عليها الشيخ محمد علي مغربي، وكان سنه آن ذاك دون الخامسة عشر سنة، ويشيد باهتمام الشيخ القاري بتلاميذه وحسن تعامله معهم.

مجلة الأحكام الشرعية

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، أنشئت في تركيا المحاكم النظامية، ونقل إليها بعض اختصاصات المحاكم الشرعية، ولم يكن قضاة هذه المحاكم من الفقهاء المتمرسين بالفقه، فأمرت (إدارة سلطانية) كما يطلقون عليها بتأليف لجنة من مشاهير الفقهاء برئاسة وزير العدلية لوضع هذه المجموعة، وأتمت اللجنة عملها في ثماني سنوات، وقد وضعت اللجنة مجموعة من الأحكام منتقاة من فقه المذهب الحنفي، ورتبت مباحثها على الكتب والأبواب الفقهية المعهودة، وقد جاءت في (١٨٥١) مادة، وعندما ضم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أقليم الحجاز عام ١٣٤٣هـ، دعا القضاة في منطقة الحجاز بأن يكون لهم مرجع معتمد للقضاة يعتمدون عليه غير مجلة الأحكام العدلية العثمانية، فأمر بتكوين لجنة فقهية لتأليف ذلك، وعهد إلى خيار العلماء والفقهاء في ذلك الزمن هذه المهمة، فنشط الشيخ القاضي أحمد بن عبدالله القاري لهذه المهمة العظيمة، وألف كتابه (مجلة الأحكام الشرعية)، إلاّ أنّه عين في عام (١٣٥٠هـ) رئيسا للمحكمة الشرعية الكبرى بـ(مكة المكرمة)، فانشغل بالعمل عن طباعتها وإخراجها، وتوفي -رحمه الله- قبل إصدارها بحلتها النهائية، فقيض الله تعالى الشيخ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان -عضو هيئة كبار العلماء- لتحقيقها وإخراجها بداية هذا القرن، وهي تعد مصدراً ومرجعاً شرعياً للعلماء والفقهاء والقضاة، وذات فائدةٌ عظيمةٌ للقضاة والمفتين، إذ لا غنى عنها عند الرجوع للأحكام الفقهية.



وقد جعل مجلته حذو مجلة الأحكام العدلية العثمانية مراعياً ترتيب الموضوعات وفق ترتيب الحنابلة، مضيفاً إليها كتاب الوقف، وقد استخلصها من الكتب المعتمدة في المذهب الحنبلي، كما استخلص مجموعة من القواعد الفقهية من كتاب القواعد لابن رجب الحنبلي، واشتملت على (٢٣٨٢) مادة، وواحد وعشرين كتاباً، ويعلق مغربي على هذه التجربة المتفردة مفيدا بأن هذا العمل الجبار يضطلع به عادة جماعة من أفاضل وكبار أهل العلم وكل منهم يختص بنواح معينة، ويتفرغ كل عالم وفقيه لجانب فقهي واحد كأن يختص أحد بأمور التجارة والبيع والشراء بمختلف أنواعه، وآخر في العقار والشركات والمسائل الأخرى.

تقويم المجلة

وعلق العالمان الفاضلان الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان والدكتور محمد إبراهيم أحمد علي اللذان قاما على مراجعة وتحقيق مجلة الأحكام الشرعية، مبيّنان أنّ الملك عبدالعزيز -رحمه الله- اعتزم تأليف لجنة من خيار العلماء المتخصصين لوضع مجلة للأحكام الشرعية تستقي الأحكام من جميع المذاهب الشرعية بما تراه في صالح المسلمين مدعمةً بأقوى الحجج، ولكن الملك تيقن أن هذا الأمر يقتضي الوقت الطويل والجهد الكبير، فاكتفى بتعيين المراجع الشرعية التي يرجع إليها في القضاء بين الناس، وبين المحققان تحت عنوان (تقويم المجلة)، أنها أول عمل علمي حديث في الفقه الحنبلي، حيث استطاع المؤلف من خلاله صياغة المواد والأحكام وحبك عباراتها في صورة يمكن اعتبارها قاعدة قانونية.

وأكدا أنّ المجلة بما لها وما عليها تجربة رائدة في المذهب الحنبلي وعمل جليل في الفقه الإسلامي، والمجلة سفر ضخم يتكون من (٦٧٩) صفحة، ويحتوي على (٢١) كتاباً شملت الأحكام الشرعية للبيع، وأنواعه، وأحكامه، والإجارات وأنواعها، والوديعة، والحجر، والإكراه، والصفح، والإبراء في الشركات، وفي القضاء، والشهادة، وخلافها، وكل كتاب من هذه الكتب يحتوي على فصول كثيرة صيغت فيها مواد الأحكام الشرعية في تفصيل وتحقيق عظيمين، وبلغ مجموع المواد التي صيغت فيها الأحكام (٢٣٨٢) مادة.

ويذكر أن المجلة الشرعية التي ألفها الشيخ أحمد بن عبدالله القاري -رحمه الله- كانت حبيسة خزانته حتى توفي -رحمه الله-، فقام أخوه العالم الفاضل الشيخ حامد بن عبدالله القاري بحفظها والمحافظة عليها حتى آن لها الظهور، وقامت "تهامة" بطبعها وإخراجها للناس ينتفعون بها في كل زمان.

وفاته

توفي الشيخ رحمه الله في مساء يوم الأربعاء التاسع من شهر شعبان عام ١٣٥٩هـ بمدينة الطائف، وفقاً لما ذكرته صحيفة أم القرى في عددها رقم (٨٢١) وذلك بعد معاناة مع المرض، ودفن في المقبرة الملاصقة لمسجد ابن عباس، ولم يكن حينها قد بلغ سن الخمسين من عمره، وعلى الرغم من صغر سنه إلا أن موروثه العلمي وإنتاجه الفكري ودروسه المحفوظة والمدونة لدى طلابه في مكة المكرمة ومدينة (جدة) وكافة مناطق وبلدان المملكة، ظلت علامة بارزة وفارقة تميزه عن بعض معاصريه وأقرانه، حيث عرف -رحمه الله- بانقطاعه لخدمة العلوم الشرعية والقضاء وهو ما حفظه له تلاميذه الذين تقلد العديد منهم مناصب رفيعة في السلم القضائي والتعليم بشقيه العام والعالي.



طلاب العلم في المدرسة الصولتية



طلاب في المدرسة الصولتية



مدرسة الفلاح التي عمل بها القاري



تولى القاري القضاء في جدة

تحملت المشاق وأثبتت صدق مؤازرتها لزوجها الإمام عبدالرحمن الفيصل

الأميرة سارة السديري.. والدة المؤسس

سطور المشاهير

سيرة من وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يُخلّد التاريخ ذكر الأحداث والمعارك والدول والرجال، لكنه في الغالب يُغيب أسماء وأمجاد ومآثر النساء حتى الشهيرات وذوات الشأن العظيم منهن، وإن كان التاريخ القديم قد تجاهل -في كثير من عصوره- شهيرات النساء، فإن التاريخ الحديث أكثر تعتيماً لذوات الشأن والريادة، لذا فقد نال نساء الجزيرة العربية ما نال غيرهن في كافة أقطار المعمورة، فبقيت الأسماء اللامعة منهن غائبة عن توثيق التاريخ، لاسيما حين أوشكت هذه الظاهرة أن تطال الجميع حتى الرجال، لولا أن بريق بعض الأسماء اللامعة ظل ساطعاً إلى أن اقتبس منه المؤرخون والرحالة وحملة الأقلام معلومات، استطاعوا من خلالها أن يدونوا في كتبهم بيانات مقتضبة عن بعض النساء الشهيرات في بلادنا من ربات الحكمة ورائدات الشعر، ولعلنا هنا نذكر الأميرة سارة بنت أحمد بن محمد السديري زوجة الإمام عبدالرحمن الفيصل ووالدة المؤسس الراحل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن -رحمهم الله- ، التي ذكر "خير الدين الزركلي" في كتابه (شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز)، أنها كانت من أكمل نساء زمانها عقلاً وتدبيراً، رغم أنها لم تتلق أي قدر من التعليم.

زرعت في الملك عبدالعزيز ضرورة إعادة حكم آبائه وأجداده فتحقق ذلك على أرض الواقع

شموخ وثقة

ذكر مصطفى الحفناوي في كتابه (ابن سعود) أن الأميرة سارة عُرفت بالحكمة وتحمل الصعاب، فقد عاشت مع زوجها الإمام عبدالرحمن الفيصل أصعب الظروف وأحلكها، لاسيما حين خروجه من الرياض وتوجهه إلى بادية المنطقة الشرقية ثم إلى البحرين فقطر وأخيرا الكويت، إلى أن استعاد ابنها الملك الظافر عبدالعزيز بن عبدالرحمن -طيب الله ثراه- مدينة الرياض، وشرع في تأسيس المملكة العربية السعودية، موضحاً أنه يكاد يجمع المؤرخون على أن والدة الملك عبدالعزيز كانت من أوائل أولئك الذين زرعوا في الملك المؤسس ضرورة إعادة حكم آبائه، بل كانت كما ذكر إبراهيم عبده في كتابه (إنسان الجزيرة) أن من فضائلها ثباتها في المواقف التي عصفت بأسرتها بعد "موقعة المليداء" عام ١٣٠٨هـ- ١٨٩١م، وقد رقت بشمائلها وتقواها غير آبهة بزينة الأميرات فكفلت زوجها في ترحاله، كما أنها لم تغفل في تلك الفترة عن أبنائها إذ عملت على تربيتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة وأعدتهم الإعداد الملائم لتحمل تبعات مستقبل الأيام.

تحمل المشاق

ووصف خير الدين الزركلي خروج الإمام عبدالرحمن من الرياض حتى وصوله إلى الكويت وصفاً دقيقاً استفاد منه "بيار روفايل" في كتابه (صقر الصحراء) وصوّر هذا الأخير حجم المعاناة والصعاب التي واجهت الأميرة سارة، بل لقد كتب بشكل روائي جذاب ثبات الأميرة مع زوجها وتحملها المشاق في مواقف تثبت مؤازرتها وصبرها وصدقها مع زوجها الإمام عبدالرحمن الفيصل، وقد ألمح لهذه الرحلة الشاقة كثير من المؤرخين والرحالة، ومنهم الجغرافي الشهير "لوريمر" في كتابه (دليل الخليج العربي) كما ذكر الحفناوي أنها عاشت مع زوجها الإمام عبدالرحمن وأبنائها أبان هذه الرحلة في بعض البلدان بمنزل يتكون من ثلاث غرف.

وداع شجاع

وذكر المؤرخ إبراهيم العبدالمحسن في كتابه (تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان) أن الأميرة سارة قد طلبت من زوجها الإمام عبدالرحمن أن يسمح لابنهما الملك عبدالعزيز أن يعود ليكرر المحاولة لدخول الرياض، بعد أن فشلت محاولته الأولى في "معركة الصريف"، سيما وقد لمست منه إصراره وعزيمته وهي بين عاملين: حب الابن والإشفاق عليه من تلك المغامرة، أو النزول على طلبه، لفتح الباب له على مصراعيه، وذكر الحفناوي أن الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- حين أكمل استعداداته للمسير نحو الرياض ذهب إلى أمه ليودعها فجاش في صدرها حنان الأم، وتغلب عليها الخوف عليه فبكت بكاءً حاراً، وحاولت أن تثنيه عن قصده غير أن أخته نورة شجعته، ويتجلى تأثر الملك عبدالعزيز بوالدته وفضلها في توجيهه كما ذكر الحفناوي والزركلي وفؤاد حمزة بما كان يذكره الملك عبدالعزيز نفسه من فضل والدته عليه في كل مناسبة.

والدها وإخوتها

وذكرت د. دلال الحربي في كتابها (نساء شهيرات من نجد) وهو احد أهم الكتب الحديثة التي فتحت لبعض نساء الجزيرة صفحات من التاريخ، أن الأميرة سارة ولدت على وجه الترجيح في العقد السابع من القرن الثالث عشر الهجري في الأحساء نظراً لأن والدها أحمد بن محمد السديري كان أميراً عليها من قبل الإمام فيصل بن تركي حتى وفاته عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٨م، وكان والدها قبل توليه إمارة الأحساء قد تبوأ مناصب إدارية أخرى، كما كان له إسهامه العسكري، وتتجلى في سيرته المواقف الجليلة، والشجاعة الفائقة والخدمات الإنسانية ورعاية الأدب خاصة الشعر منه. وأضافت أن إخوتها محمد وتركي وعبدالمحسن وعبدالعزيز وسعد وعبدالرحمن ساروا على سيرة والدهم عملاً وخلقا، فكان لبعضهم إسهام في خدمة الدولة السعودية الثانية في مواقع إدارية مختلفة بين جهات عمان والأحساء وسدير والقصيم، إضافة إلى مشاركتهم العسكرية.

أخواتها وأبناؤها

وأوضحت د. دلال الحربي أنه بالنسبة لأخواتها فقد وقفت على اسم اثنين منهما هما نورة وفلوة، وقد أنجبت فيصلاً ثم نورة، ثم أنجبت عبدالعزيز سيد جيله، ومنيرة، وهيا، وسعد.

وذكر الأستاذ عبدالرحمن الرويشد أن الملك عبدالعزيز تربطه علاقة من ناحية الأم بالشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ وأنهما أبناء خالة، مشيراً إلى أن وفاة أخي الأميرة سارة، ويسمى محمد في "معركة طلال" أثرت عليها كثيراً، وتوفيت -رحمها الله- بعده في سنة ١٣٢٦هـ، في حين ذكرت د. دلال الحربي أن وفاتها كانت في أواخر عام ١٣٢٧هـ أوائل ١٩١٠م، رحمها الله رحمة واسعة.

مركز سارة

واستقبلت الباحثة السعودية خبر إنشاء مشروع مركز الأميرة سارة بنت أحمد السديري لأبحاث المرأة بفرحة عارمة، حيث يواجه الباحثون والباحثات معاناة أزلية تمثلت في ندرة المواد والموروثات العلمية والوثائقية التي تحكي تاريخ المرأة في جزيرة العرب، لاسيما في القرون المتأخرة، وكان الدكتور فهد بن عبدالله السماري -المستشار بالديوان الملكي والأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز- قد أوضح في حديث له أن مركز الأميرة سارة بنت أحمد السديري -والدة الملك عبدالعزيز- قد أنشئ من أجل تحقيق أهداف محددة له سلفاً، فهو مع كونه يحمل اسم والدة الملك المؤسس عرفاناً بما قامت به من دور مشهود في تثبيت وتشجيع موقف ابنها الملك عبدالعزيز في استعادة حكم آبائه، وصبرها على المشاق والمتاعب التي واجهتها من أجل تحقيق ذلك، فهو أيضاً يهدف إلى تحقيق محورين هامين؛ الأول استظهار تاريخ المرأة السعودية منذ تأسيس المملكة العربية السعودية وتوثيق إنجازاتها وأدوارها الحضارية في مختلف المراحل التاريخية، والثاني احتضان الباحثة السعودية وغيرها من الباحثات وخدمتها وتقديم سبل العون، والعمل لتسهيل أبحاثها العلمية التاريخية وكل ما يتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية، لاسيما ذلك التاريخ المتعلق بموروث المرأة وتاريخ الجوانب النسائية في الجزيرة العربية، كما أن هذا المركز يأتي امتداد لمركز الباحثات، الذي قدم خدماته للباحثة، واهتم بالنشاطات العلمية والوطنية النسائية في كافة مناطق المملكة العربية السعودية، تقديراً منه لحجم المعاناة التي تواجهها الباحثة السعودية، وذلك نظير صعوبة تنقلها وظروفها الاجتماعية التي قد تحد من نشاطها الكامل.

خدمات بحثية

وقال الباحث د. عبدالله العسكر أن مركز الأميرة سارة بنت أحمد السديري يأتي امتدادا لمركز الباحثات الذي أسسته دارة الملك عبدالعزيز منذ عقد من الزمن لخدمة الباحثات، وقد اكتسب مركز الباحثات خبرات متعددة، وقدم خدمات بحثية، ونشر عددًا من البحوث والكتب الرائدة لمؤلفات سعوديات.

وكانت الأميرة حصة بنت سلمان قد ذكرت أن والدها الملك سلمان -حفظه الله- لا يغفل أعلام النساء السعوديات، وأنه هو من اقترح على الملك عبدالله -رحمه الله- إطلاق اسم: الأميرة نورة شقيقة المؤسس على جامعة البنات، وهو من اقترح مركزاً متخصصا لدراسات المرأة يحمل اسم والدة الملك عبدالعزيز، وكلتا المرأتين لهما مكانة في قلب المؤسس وعقله، فضلا عن مكانتهما الاجتماعية والاستشارية لدى الملك عبدالعزيز، كما ذكر ذلك د. عبدالله العسكر.

وتتطلع الباحثات أن يهدف المركز إلى احتضان الباحثة السعودية وغيرها من الباحثات، ويقدم لهن يد العون في كل ما من شأنه خدمة واقع المرأة والطفل والأسرة، في كافة الميادين.

إنشاء مركز الأميرة سارة السديري لتوفير الموروثات العلمية والوثائقية التي تحكي تاريخ المرأة


الإمام عبدالرحمن الفيصل (رحمه الله)


الملك عبدالعزيز وجد مساندة قوية من والدته للعودة إلى الرياض

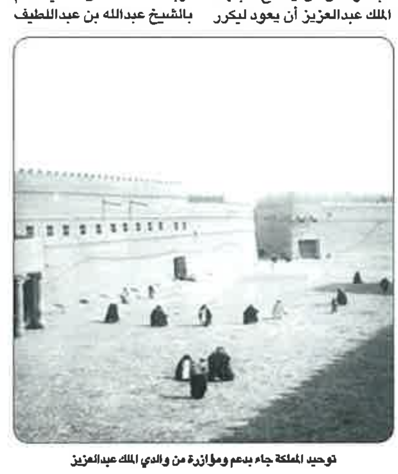

فروسية الملك عبدالعزيز كان وراءها دعم من والدته الأميرة سارة


الملك عبدالعزيز انطلق من الرياض ليوحد مناطق المملكة


شخصية الملك عبدالعزيز اتسمت بالشجاعة جراء تربيته على يد أم شجاعة


الأميرة سارة تألمت لمغادرة ابنها إلى الرياض لكنها كانت على ثقة بعودته منتصراً


الوصول إلى الملك كان خلفه رحلة شاقة وحروب شرسة


توحيد المملكة جاء بدعم ومؤازرة من والدي الملك عبدالعزيز


الملك عبدالعزيز حقق نجاحات كبيرة تعكس تربيته المؤثرة


انتصار المؤسس في معركة الرياض جمع الناس على صف واحد

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

دخل الرياض مع الملك عبدالعزيز وقاد كثيراً من المعارك البطولية ..

حزام العجالين.. نصير المحتاجين

■ الشيخ حزام العجالين.. من شيوخ قبيلة الدواسر المعروفين، ومن أشهر شيوخ قبائل الأفلاج في منتصف القرن الماضي، وهو سليل بيت مشيخة عريقة، كان له أدوار بارزة في خدمة وطنه وتثبيت سبل الأمن والاستقرار في البلاد، لذا ظلت هذه القبيلة سامقة بجميل أفعالها وصدق مواقف رجالها، وكان حزام -رحمه الله- موصوفاً بمواقفه البطولية وشدة إقدامه وكرمه وحرصه على مساعدة الفقراء والمحتاجين، وقد عُرف بين المؤرخين بأنه من أشهر الرماة المعدودين والفرسان، ترجم أعماله إلى مواقف بطولية، حيث دخل الرياض مع الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-، وكان من ضمن الذين تسوروا قصر المصمك، كما تولى قيادة الكثير من المعارك التي تلت استرداد الرياض، فكان النصر حليفه في كثير منها، إضافةً إلى أنه كان مهتماً بتجهيز الجيوش وتنظيمها، لذا فقد بذل الغالي والنفيس دفاعاً عن استقرار البلاد بتوجيهات مباشرة من الملك المؤسس، إلى جانب أنه ذاد عن حياض الوطن بكل بسالة ورفعة، بل كان من المقربين من الملك عبدالعزيز وذلك نظير ما قدمه من بطولات وتفان وإخلاص في مهامه التي كُلّف بها، وكان مادة ثرية للكثير من المؤرخين والرواة الذين سعوا إلى تحري أخباره وتتبع ما روي عنه..

سطّر اسمه ضمن كوكبة الأبطال الشجعان الذين أسهموا في بناء كيان الوطن وجمع كلمته



حزام بن خزام رافق الملك عبدالعزيز عند استعادة الرياض



تولى قيادة عدد من المعارك بعد استرداد الرياض

كرم وشجاعة

وُلد الشيخ حزام بن خزام بن سعد العجالين الفرجان الدوسري بالأفلاج عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وبها ترعرع منذ نعومة أظفاره، وهناك نهل من معين العلوم الشرعية ونشأ على مكارم الأخلاق، والعادات العربية العريقة، وسار على نهج أسرته المحافظة على حمى الشريعة، والملتزمة بالتقاليد العربية الأصيلة، والأخلاق الرفيعة، لذا فقد اشتهر الشيخ حزام بن خزام -رحمه الله- بالشجاعة والكرم وحسن الضيافة، إذ عرف عنه أنه لا يرد سائلا ويبذل قصارى جهده في تحقيق رغبات المحتاجين ومساعدة المعوزين، وهو بين هذا وذاك كريم بطبعة "فزوع" في أعراف قومه وجماعته، تقضى على يده حاجات، ويسعى بنفسه لتحقيق الأماني والرغبات، لاسيما لذوي الفقر والفاقة، ويذكر أنه لا ينتظر ليحرج سائله بطلبه ويعرضه لسؤاله، بل يبادره بما يحتاج ويقدم خدماته قبل أن تطلب منه، وهو بالكرم مفطور على السلوك العربي الحميد، حيث كان بيته عامرا بالضيوف وأبناء السبيل.

استقبال واحتفاء

كان حزام العجالين يرسل خادمه إلى السوق لدعوة الضيوف القادمين إلى منزله، وكان يوصي رجاله ويحرصهم على استقبال الضيوف والاحتفاء بهم سواء كان موجودا أو خارج القصر، وحين تقدمت به السن ولازمه في جسده الضعف والوهن، التزم -رحمه الله- بجميل مكارمه وحميد شمائله التي نشأ وحرص على العمل بها، فضل باب داره مشرعا على مصراعيه، يستقبل الناس ويقضي حاجات من استطاع منهم، حتى أن من حضر منزله كان يشاهد كيف كان حرصه على الكرم والشمائل الحميدة، من خلال توصياته المستمرة لخدمه بأن يقدموا لضيوفه كبار الصحون، بل أنه ترك مزرعته التي تسمى "أم الذيابة" مضيافا لأبناء السبيل و"الطرقية" من الحاضرة والبادية، وأوصى أن لا يباع شيء من ثمرها، لذا فقد كان للشعراء وقفة في الفخر بما يقدمه ابن عجالين، فهذا الشاعر أبو سواحه الهوامله -رحمه الله- يقول فيه:

عند الضحى شرفتنا في نايف
في راس رجم من علاوي شروفها

إلى أن قال:

تنصى حزام مشبع الضيف بالقسى
له كرمة ما تنعرف لي وصوفها
راعي صحن لا غابت الشمس جره
ما تنعرف لي حيلها من خروفها

هيف المواحيل

ولُقب الشيخ حزام بـ"هيف المواحيل"، وذلك لما عُرف عنه من الكرم والاحتفاء بالضيوف، حتى أن الشاعر ناصر بن شنار الخضران -رحمه الله- ذكر هذا اللقب في إحدى قصائده حين قال:

يا راكبا فوق ست كلها حيل
تشدى لُجول القطا والعد خالي
تلفي بسلامي على ربعي العجالين
تكفون يا أهل النضى ردو سلامي

إلى أن قال:

يا رب سلم لنا هيف المواحيل
يا جعلنا ما نجي والقصر خالي

أما الشاعر سعد بن سالم بن سويحل الخضران -رحمه الله- فقد ألمح في قصائده إلى مشاركة الشيخ حزام في استرداد الرياض وذلك حين قال:

ما احدن جهل تاريخكم يا العجالين
تاريخكم يعرف وتقرى سطوره
تاريخكم معروف من أول وهالحين
واسماكم اللي بالصخور محفوره
اسماكم اللي خلدت يا الشريفين
بالمصمك اللي كل وفد يزوره
دخلوا مع صقر الجزيرة ملبتين
وحزام يعرف من رجال أخو نوره

ثناء الكتب

ودوّن الكثير من المؤرخين في كتاباتهم في الثناء عليه، ومن ضمن هؤلاء ما ذكره عبدالله بن عبدالعزيز الجذالين في كتابه (تاريخ الأفلاج وحضارتها) من أن حزام بن خزام العجالين رجل حكيم وقائد مدبر كان ذا رأي سديد وتفكير صائب، يعرف زمن الإقدام وقد شارك مع الملك عبدالعزيز آل سعود -طيب الله ثراه- في فتح الرياض عام ١٣١٩هـ، وكان كريما مساعدا للآخرين، وفي سياق آخر امتدح المؤرخ عبدالله بن محمد بن خميس الشيخ حزام في كتابه (تاريخ اليمامة)، مبينا أنه من الأربعين الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في دخول الرياض، وهو ضمن كوكبة رجالات الأفلاج العلماء والأكفاء الذين أسهموا في بناء كيان هذا الوطن وجمع كلمته، وأسهب ابن خميس في الحديث عن الأسر الشهيرة التي تسكن اليمامة قائلا: إن أسرة العجالين من خيرة الأسر من قبيلة الدواسر من أهل الأفلاج، وممن صحبوا الملك عبدالعزيز منذ انطلاقته، فمنهم حزام بن خزام العجالين، ومنهم البطل الشهير ثلاب بن حمد العجالين، ومنهم عبدالله بن شنار الدوسري، ومنهم عبدالعزيز بن حزام العجالين، ومنهم مشعان بن حزام بن حزام وهو أمير لواء بالحرس الوطني، وبالجملة فهذه الأسرة من عددنا منهم ومن لم نعد أسرة كريمة مجاهدة عاملة ذات شجاعة ومروءة ومكارم أخلاق -انتهى كلامه-.

ولاء وإخلاص

وفي (مجلة التعليم) ورد ذكر الشيخ حزام بوصفه أحد رجال الملك عبدالعزيز المقربين حيث قالت: وقد هيأ الله للملك عبدالعزيز رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أحسن اختيارهم فكانوا نعم الرفاق والجند في الولاء والإخلاص والطاعة والتضحية، وقد رافقه رحمه الله من أهالي الأفلاج حزام بن خزام العجالين، وشارك مع الملك عبدالعزيز في استرداد الرياض، وذلك عندما علم عزم الملك على استرداد ملك آبائه وأجداده، وقد استشهد الشاعر محمد بن عبدالله بن مرضي العجالين بكتب التاريخ في مدحه للشيخ حزام حين قال:

والمجد صرحه عاليا واعتلابه
قبل يجي عصر انتخاب وتزوير
في منهج التعليم كل قرابه
حزام بن خزام ضمن المشاهير



عبدالله بن خميس



عبدالكريم الحقيل



عبدالعزيز بن حزام

التحام المصمك

واشتهر حزام العجالين -رحمه الله- بقيادة العديد من الغزوات، وكذا كان ابن عمه ثلاب بن حمد العجالين أحد أبرز القاد المشاهير، له في الكتب سطور وصفحات، وله في الميادين مآثر وصولات، وكان الرجلان حريصين كل الحرص على الالتحاق بالملك المؤسس، ولهما عنده ذات المكانة والجاه، وكان من شهامتهما أن كل واحد منهما يقدم صاحبه ويبرزه احتراما وتقدير لأواصر القرابة والرحم، واستمر على هذا أبناؤهم وأحفادهم، فالثناء على أحدهما ثناء لكليهما، لاسيما وأن الاثنين خاضا عددا من المعارك والغزوات، وساهما بما حباهما الله من الشجاعة والإقدام في تحقيق سبل الأمن في كثير من المواقع والبلدان، وقد عرف عن حزام أنه من الرماة المعدودين -القناصة- ومن أهم مشاركاته مع الملك عبدالعزيز -رحمه الله- هي استرداد الرياض، وهو ضمن الطليعة الذين اقتحموا "قصر المصمك" عام ١٣١٩هـ.

وذكر المؤرخ عبدالله بن عبدالعزيز الجذالين أن الشيخ حزام عندما علم بنية الملك عبدالعزيز دخول الرياض عام ١٣١٩هـ، ذهب إليه في منطقة يبرين خلال شهر رمضان المبارك وطلب من الملك عبدالعزيز التوجه معه إلى الأفلاج، وأكد له أن رجال الأفلاج مستعدون للمشاركة وبقي معه حتى توجهوا للرياض، وبعد دخول الرياض أرسله الملك عبدالعزيز ليجمع له رجالا من الدواسر وينزل بهم في الخرج، وبالفعل تمكن من جمع الرجال وسافر بهم الخرج وشاركوا بالمعارك -انتهى كلامه-، كان الشيخ حزام يروي لجلسائه بعض هذه الأحداث، ويذكر أن الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- لجأ إلى صلاة الاستخارة قبل دخوله الرياض.



وقعات حربية

وكان الشيخ حزام قد تولى بعد استرداد الرياض قيادة عدد من المعارك، وكانت رسائل الغزو تتوافد له حيث كانت هذه الرسائل شفوية نظرا لقلة من يجيد الكتابة آنذاك، ويشير المؤرخ عبدالله بن زايد الطويان أن الشيخ حزام كان من رؤوس القيادات التي شاركت المؤسس في استرداده للرياض، حيث يقول: "فقد كان من الطليعة الذين رافقوا الملك الهمام في اقتحام قصر المصمك فجر الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، وكان ممن تسور حيطان المصمك تلك الليلة"، وبيّن الطويان أن حزام العجالين كان ملاصقا للملك عبدالعزيز ولقادته البارزين، واشترك في عدد من الوقعات الحربية التي تلت استعادة الرياض، وكان يقوم بتجهيز الغزو من الأفلاج للمشاركة في الحروب، كما ذكر المؤرخ عبدالكريم بن حمد بن إبراهيم الحقيل حزام العجالين قائلا: "حزام العجالين من مشاهير الجزيرة العربية، ومن الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في فتح الرياض عام ١٣١٩هـ".

تكريم حزام بن خزام بوسام الرواد من الملك فهد رحمه الله

معارك التوحيد

وأشارت رواية الشيخ محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ أن حزام العجالين معدود ضمن الرجال الذين دخلوا المصمك، ويعد ضمن الرجال الذين أبقاهم الملك عبدالعزيز في بستان قرب بوابة الظهيرة خارج سور الرياض بقيادة أخيه الأمير محمد بن عبدالرحمن، ثم استعان بهم في الدخول واقتحام المصمك، شارك مع الملك عبدالعزيز في عدد من حملات ومعارك توحيد المملكة، وهو أحد الرجال الذين التحقوا بالملك عبدالعزيز عند خروجه إلى الرياض لاستردادها عام ١٣١٩هـ ١٩٠٢/ ١٩٠١م، أما ابن عمه ثلاب العجالين الدوسري فله قصة بطولية شهير سيرد ذكرها في حينه بإذن الله، وتذكر بعض الروايات أنهما قدما لمدينة حايل للمفاهمه مع الأمير عبدالعزيز بن رشيد حول بعض الأمور، ويبدو أنهما اختلافا معه، وفي طريق عودتهما ذهبا إلى الكويت والتحقا بالملك عبدالعزيز.

تقدير متبادل

وروى الشيخ راشد بن خضير بن شامان الهواملة أنه كان للشيخ حزام حب وتقدير واحترام وإعجاب عند معظم القبائل بما أشتهر به من صفات الكرم والشجاعة والفروسية لدرجة أن قبيلة "آل مرة" أسموا خمسين رجلا على اسم الأمير حزام لحبهم واحترامهم له -رحمه الله-، وكان لهذه التسمية قصة يطول شرحها، مفادها أن قبائل الجزيرة العربية في السابق والحاضر كانت تتعاون على مكارم الأخلاق، وتحرص أشد الحرص على التمسك بالمواجيب والسلوم العربية العريقة، التي لاشك أن قبائل آل مرة والدواسر كانتا على قدر كبير منها، لذا فقد ظل الوصال والتقدير بين أبناء هاتين القبيلتين متوارثا من الأجداد إلى الأحفاد.

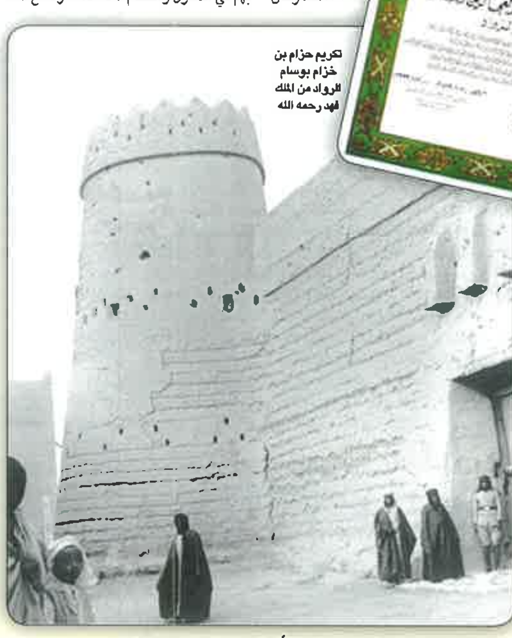
مكانة حزام

وللشيخ حزام ابن خزام مكانة وتقدير لدى الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- لما قام به من أعمال بطولية جليلة واقتحامه مع الملك عبدالعزيز قصر المصمك وتجهيزه للغزو ومساعدته للآخرين، وقد ساهمت هذه الوجاهة في أعمال خيرية جليلة حيث المساعي الخيرة في فك الرقاب إخراج السجناء ومساعدة المعوزين، كما هي مساعي وجهاء بني عمومته في هذا الميدان، حتى لقد قال الشاعر سعد بن سالم بن سويحل الخضران -رحمه الله في الشيخ حزام:

يوم المواقف هي مواقف سلاطين
وحزام يعرف وين رايه وشوره
حزام يعرف عند تالي المخلين
وترى العلوم موثقه ومخبوره
وحزام يعرف عند فك المساجين
فك السجين اللي توثق وسوره

وسام الرواد

يشار إلى أن الشيخ عبدالعزيز بن حزام حظي بالمكانة والتقدير التي حظي بها والده حزام، فقد تم تكريمه من قبل الملك فهد -رحمه الله- بـ"وسام الرواد"، وله مكانة وتقدير خاصة عند أبناء الملك عبدالعزيز، وكانت وفاة الشيخ حزام بن خزام في مدينة الأفلاج عام ١٣٦٥هـ، بعد أن عاش عمراً أفناه في طاعة الله، ثمّ في خدمة الوطن وأهالي الأفلاج، وذاع صيته بالكرم والشجاعة والمواقف البطولية، ووفاء للشيخ حزام بن خزام فقد سميت عدة شوارع باسمه في مدينة الرياض والطائف، كما نفذت جائزة باسم حزام الدوسري في سباق الفروسية، وتكرر اسمه في كتب تاريخ المملكة رحمه الله رحمة واسعة.



قصر المصمك سيبقى شاهداً على شجاعة الملك عبدالعزيز ومرافقيه



وشارع آخر سمي باسمه تقديراً لجهوده



الأفلاج خرّجت كوكبة من الرجالات الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الوطن



تسمية شارع باسم حزام نظير إخلاصه ووفائه



عُرف حزام العجالين بين الناس بالكرم والشجاعة والرأي السديد

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

قضى جل حياته في خدمة العلم وترك بصمات فكره في سماء الأدب والثقافة

محمد العامودي.. أديب الحجاز ورائد مثقّفي الرعيل الأول

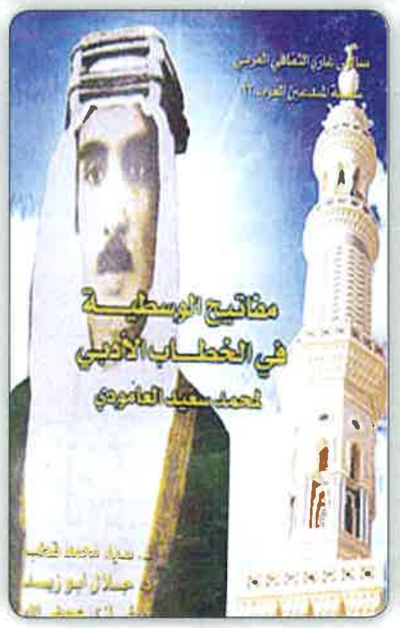
■ محمد سعيد العامودي أحد رواد الأدب في الجزيرة العربية، في العصر الحديث، وهو في تاريخ المملكة يعتبر من الرعيل الأول الذين قضوا وقتا من حياتهم في خدمة العلم والأدب والثقافة، ولا شك أنه أحد أعلام الحجاز الذين اشتهروا برفعة أدبهم وغزارة إنتاجهم وعطائهم، فقد كان قارئاً مطلعا أديبا عارفا بفنون الأدب وتفرعاته كما عرف بين أقرانه وجملة أحبابه وجيرانه أنه ناضج الفكر، صاحب همة عالية وطموح سامق، حتى عرف عنه زهده بالماديات، وانصرافه عن المناصب والسباق المحموم على الوظائف، بل إنه كان يتقاضى مبلغا زهيداً إزاء رئاسته لمجلة الحج، وإشرافه المباشر على كافة الملفات والمقالات الداخلية، حينذاك طلب لعدد من الوظائف التي لم تشغله عن ساحة العلم والأدب كاختياره عضواً بمجلس الشورى لمدة ثلاث سنوات، كما أشرف على تحرير جريدة صوت الحجاز، إضافة إلى توليه رئاسة مجلة رابطة العالم الإسلامي، واستمر فيها حتى تقدمت به السن، لا سيما أنه كان كثيراً ما يسافر ويشد الرحال لنيل المعرفة وطلب العلم حتى وهو في سن متقدمة؛ لذا فقد زار عدداً من الدول وحرص على الإلمام بثقافة الشعوب المختلفة، والتقى خلال زياراته بكبار الأدباء والمثقفين في مختلف المجالات حتى أصبح -رحمه الله- علما بارزاً من علماء وأدباء المملكة، بل لقد قام برحلات عديدة أثناء عمله الوظيفي والصحافي فسافر إلى القاهرة، وتونس، وإيران، والجزائر، كما اختير مرتين لعضوية المجلس الأعلى للعلوم والآداب.

وكان من الأعضاء المؤسسين في لجنة مشروع القرش، ولجنة النشر والتأليف، ولجنة نشر مخطوطات التواريخ الحجازية، ومن نتاجه الفكري ديوانه الشعري «رباعياتي»، ومجموعة وحي الصحراء، وكذلك مجموعة قصص للناشئين بعنوان: «رامز وقصص أخرى»، ويذكر أن المؤرخ محمد علي مغربي -رحمه الله- كان من أكثر من كتب عنه وترجم لحياته ومسيرته العلمية والوظيفية بل أن معظم ما نقل وكتب عن حياة العامودي -رحمه الله- كان مما سطرته يد المؤرخ المغربي الذي ذكر أنّ للعامودي عددا من المؤلفات الأدبية والتراجم منها: «من تاريخنا »، ومن حديث الكتب»، ومن أوراقي »، إلى جانب عدد من البرامج واللقاءات الإذاعية التي تحدث فيها عن تجربته مع الكتب وعرض من خلالها عددا من الأماسي والقصص الأحاديث الأدبية، وله برنامج (من حديث الكبار) عبر إذاعة جدة والرياض، كان لهذا البرنامج من ذكريات جميلة لأبناء ذلك الجيل الذين ما زالوا يحنون إلى إعادة تلك الحلقات الماتعة.

ترأس مجلتي الحج والرابطة وأشرف على تحرير صوت الحجاز وعين عضواً بالشورى عام ١٣٧٢هـ



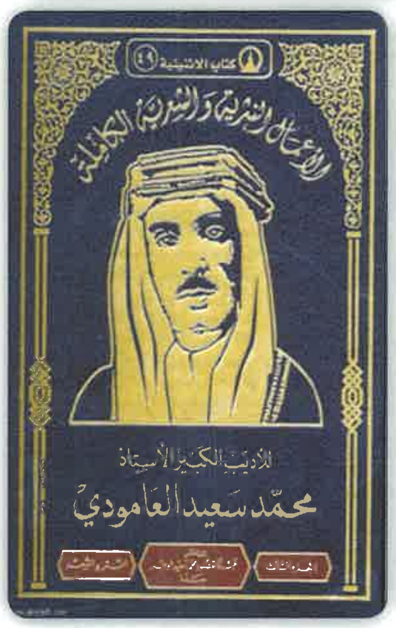
محمد العامودي



من مؤلفات العامودي



ترأس العامودي تحرير مجلة الحج



الأعمال الكاملة للعامودي

وقار واتزان

ولد الشيخ محمد سعيد بن عبدالرحمن العامودي بمكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ، والتحق بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، كما درس في الحرم المكي على يد عدد من علماء عصره من أمثال الشيخ محمد أمين فودة والشيخ أحمد ناضرين -كما ذكر ذلك الدكتور عبدالرحمن الزهراني في ترجمته له-، وقال عنه مصطفى إبراهيم حسين في "أدباء سعوديون": "أنه كان كثير الاطلاع والقراءة واجتمعت لديه مكتبة حافلة بشتى فنون العلم والمعرفة، وخاصة كتب الدين والأدب والتاريخ"، وبعد تخرجه منها عمل مع والده الذي كان يزاول تجارة بيع الأقمشة ولديه دكان في "السويقة" التي أدخلت في المسجد الحرام في توسعته الأولى، كما يذكر محمد بن علي مغربي الذي وصف العمودي بأنه كان "طويل القامة أسمر اللون أقرب إلى النحافة منه إلى الامتلاء أقنى الأنف ساجي النظرات تلمح في وجهه سيماء الحياء المشوب بالوقار والإتزان".

ثقافة وأدب

بعد عمله مع والده في التجارة التحق الشيخ محمد سعيد العامودي بعدد من الوظائف الكتابية والإدارية ففي عام ١٣٤٦هـ عمل في إدارة عين زبيدة، ثم في عام ١٣٤٧هـ عمل بإدارة الطبع والنشر، ثم عين عام ١٣٤٩هـ سكرتيراً لهيئة التحقيق والتفتيش، كما عمل في رئاسة ديوان التحرير بمصلحة البريد والبرق العامة بمكة المكرمة عام ١٣٥٠هـ، كما اختير مشرفا على رئاسة تحرير مجلة صوت الحجاز إبان صدورها عام ١٣٥٢هـ، إلا أن عمله الحكومي في إدارة البرق والبريد لم يسمح له بالاستمرار بالمجلة، فبقي فيها لفترة قصيرة، إلى أن أحيل للتقاعد عام ١٣٧٥هـ، وكان قد اختير مرتين من قبل وزارة المعارف لعضوية المجلس الأعلى للعلوم والآداب، كما قام بإدارة ورئاسة تحرير مجلة الحج منذ عام ١٣٦٩هـ إلى نهاية عام ١٣٩١هـ.

وكان -رحمه الله- قد عين عضواً بمجلس الشورى من عام ١٣٧٢ إلى عام ١٣٧٤هـ حيث مكث ثلاث سنوات، إضافة إلى ذلك فقد عمل في رئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الإسلامي خلال الفترة من ١٣٨٥-١٣٩٨هـ، وكان له دور بارز في الإنتاج الأدبي خلال حقبة رواد الأدب الأوائل، ومشاركات أدبية واجتماعية أخرى، وقد قام -رحمه الله- برحلات عديدة أثناء عمله الوظيفي والصحافي إلى القاهرة وتونس وإيران والجزائر، وكان من الأعضاء المؤسسين في لجنة مشروع القرش، ولجنة النشر والتأليف، ولجنة نشر مخطوطات التواريخ الحجازية، كما شارك في الدورة الثقافية التاسعة ضمن وفد وزارة المعارف للجامعة العربية التي عقدت في سنة ١٣٧٤هـ.

رسالة نبيلة

الذي يعرف الشيخ محمد سعيد العامودي يدرك جيداً أنَّه لم يكن يسعى من خلال هذه المناصب والمحافل لتحقيق أمر دنيوي، أو ظهور إعلامي أو مجتمعي، بل كان -رحمه الله- صاحب رسالة نبيلة ومطامح سامية، تتضح من خلال مرتبه الذي كان يتقاضاه من وزارة الحج ومقداره (٣٠٠) ريال مقابل رئاسة تحرير مجلة الحج، كما استشهد بذلك معاصروه، بل يؤكد ذلك ما قاله علي مختار -وكيل وزارة الحج آنذاك- أنّ محمد سعيد العامودي "كان يقوم بإصدار مجلة الحج، وكان هو الذي يتولى كل شيء في المجلة من رئاسة التحرير إلى جمع المقالات، وترتيب الملفات، والإشراف على الطبع والتوزيع، وكان ما يتقاضاه من وزارة الحج ثلاثمائة ريال لمجلة شهرية من الألف إلى الياء"؛ لذا فقد مضى محمد سعيد العمودي -رحمه الله- بالقيام بأعباء المجلة قرابة (٢٣) عاما، وكما هو معلوم بأن وزارة الحج هي من تصدر المجلة، وكان بإمكانه -رحمه الله- طلب ميزانية ضخمة لها وتقاضي راتب أكبر فهو رئيس تحريرها، ولكن هدفه - كما يذكر معاصروه - لم يكن ماديا، بل كان لإيصال فكر لأبناء مجتمعه.

وقد كان يعتاش هو وأسرته من عمله الحكومي في إدارة البرق والبريد العامة وفي مجلس الشورى، وكانت مجلة الحج بالنسبة له واجباً أدبياً يؤديه بكل سرور، فقد كان -رحمه الله- ذا همة عالية فبالإضافة إلى توليه رئاسة مجلة الحج تولى رئاسة تحرير مجلة العالم الإسلامي، واستمر في مجلة الرابطة إلى نهاية عام ١٣٩٨هـ بعد أن تقدمت به السن وأقعدته الشيخوخة، ولا غرابة إذا ما علمنا أنه كان رائدا وعالما أديبا ملما بثقافة المجتمع المحلي ومعرفته الثقافية والأدبية التي ألم بها خلال رحلاته الخارجية في الداخل والخارج خاصة في فصل الصيف، إضافة إلى أنه حاز جائزة الريادة في الأدب، وذلك في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي أقامته جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة في ربيع الأول ١٣٩٤هـ، ويعتبر هذا التقدير بمثابة مكافأة لبعض جهوده وأعمال.

معارك أدبية

والمتتبع لسيرة محمد سعيد يجد أنه يتمتع بالعديد من الميزات فهو كما جاء في تراجم "أعلام الحجاز" بعيد كل البعد عن المهاترات والنقاشات غير المجدية والتي لا تخدم الأدب العربي، فقد كان -رحمه الله- ينأى بنفسه عن الضجيج، فلم يعرف عنه أنه شارك بقلمه في معركة من المعارك الأدبية التي كان بعض أدباء الجيل يخوضونها، وكان كثير القراءة، ولا يتحدث إلا عما يعجبه من الكتب ومن قراءاته، وكان يكتب عما قرأه ويختار بدقة وعناية، ويلخصه جيدا، عرضاً جيداً في أسلوب جميل وفي لغة سهلة ومبسطة؛ مما يسهل على قارئه البحث في التلخيص أو يدفعه لقراءة الكتاب إن كان من هواة القراءة، أو يخرج منه بفكرة معينة، ولا يخفى أن تلخيص الكتب لا يجيده إلا ماهر في الكتاب عميق الفكر واسع الإدراك وهذا ما تميز به محمد سعيد العامودي، الذي استطاع الإحاطة بمحتويات الكتب كما يقول المغربي، إضافة إلى ذلك فقد كان له حديثا إعلاميا يتحدث بما لديه من خلال منظوره الصحفي، وله برنامج (من حديث الكبار) عبر إذاعة جدة والرياض، يظهر فيه مجموعة من المؤلفات الدينية والمصنفات الفكرية والكتب الأدبية في عروض بيانية وكتابات فصيحة وثقافات متنوعة، وبلغ عدد الكتب أكثر من (٦٠) كتاباً لمؤلفين معروفين كعباس محمود العقاد ومحمد الغزالي ومحمد عبدالله السمان، الذين كتبوا في الدين والأدب والعلم.

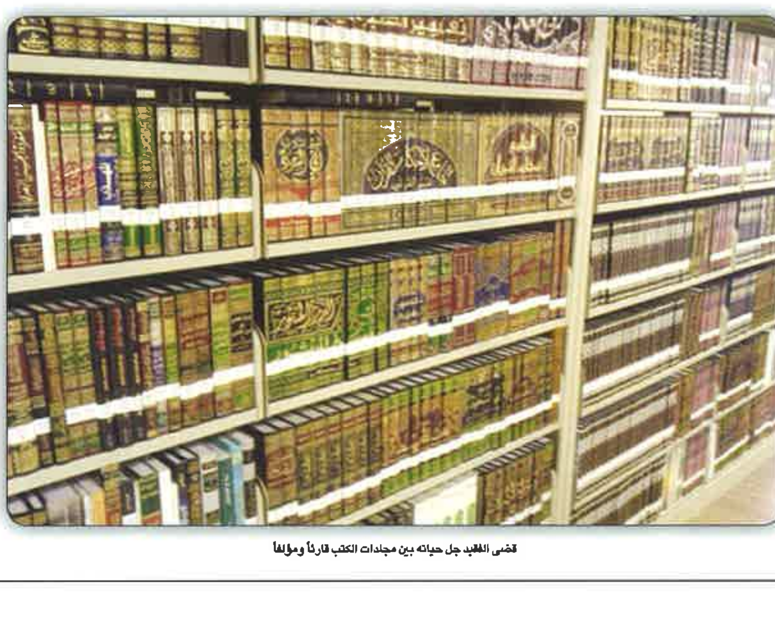
وقد استمرت إذاعة جدة والرياض في إذاعة هذه الأحاديث في فترة السبعينيات ومطلع الثمانينيات الميلادية، كما نقل العامودي أحاديث كتبه إلى جريدة الندوة تصدر ظهر كل أسبوع في ملحق الأدب والثقافة، وسار الكاتب العامودي في هذه الصحيفة مسيرته في الإذاعة، وللعامودي في الإذاعة السعودية أناشيد وطنية مثل نشيد الشباب، ومن أشهر كتبه "أعلام المكيين منذ العصر الإسلامي إلى العصر الحديث"، و"رؤوس أقلام" وغيرها كثير سيدن ذكرها في حينه.

رحلاته العلمية

وتحدث الأستاذ فاروق صالح باسلامة عن رحلات الأستاذ محمد سعيد العامودي إلى كل من مصر وتونس وسوريا وإيران، وذلك في الستينيات الميلادية من القرن الماضي، ومبينا أن زميله الأديب الرائد أحمد العربي كان يصحبه إلى إيران، وقد مثل المملكة عدد من المحافل هناك، كما كان يزور مصر سنويا في فصل الصيف يتواصل خلالها مع زملائه العرب أمثال أنور الجندي ومحمد رجب البيومي وعاتكة الخزرجي ووديع فلسطين وسواهم من أدباء مصر والعرب، وانضم إليهم من أعلام الحجاز كالأستاذ عبدالقدوس الأنصاري حيث يجتمع الزوار والمواطنون في مجلس العامودي وغالباً ما يكون استيطانه وجلوسه في القاهرة في حي الدقي، ويذكر باسلامة أبياتا شعرية جميلة للعامودي عن هذه الزيارات منها:

عـيـون المـهـا بـين الـزمـالـك والـدقـي
يـصـيـرن كـل الـنـاس في الأسـر والـرق
بـلـى أنـا شـيـخ ولـكـنـي عـاشـق
ضـعـيـف أمـام الـحـسـن أمـنـحـه عشـقـي

وتجول الذكريات في سرد باسلامة لأيامه مع محمد سعيد العامودي.. ويتذكر أنّه كان يزوره في داره بعد عودته إلى مكة المكرمة، ويهديه بعضا من الكتب، ويصفه باسلامه بقوله "رقيق الحس وسريع البديهة عندما يتخاطب مع الآخرين عمليا يعلمه أدبيا بحديثه كريما بطبعه، وهذا ما عرفته من أدب الشيخ الأستاذ محمد سعيد العامودي، وله مواقف مع بعض زملائه الأدباء والمثقفين كموقفه من بعض الإنتاج الأدبي الذي كتبه عن أحداث تاريخية في الحج ونشره الأستاذ أحمد جمال باسمه في مجلة الفيصل وكنت رسولا بين الأدبين في هذه الإشكالية، ومعي الأستاذ علوي الصافي رئيس تحرير المجلة المذكورة؛ مما أطفأ حدة التوتر بين الأدبين، وبالفعل اعتذر الأستاذ أحمد جمال في عدد الأربعاء من جريدة المدينة في صيف عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، وهو موقف أدبي وإنساني وثقافي لا ينسى للرجلين"، ومما ذكره باسلامة أن العامودي رجل فكر يتصف بإنسانيته ودينه وخلقه، ويدرك ذلك من تعامل معه حتى في أبسط الأمور في حياته الإنسانية والاجتماعية، مبيّناً أنّ ذلك نابع من تمسكه بالقيم الحميدة والمبادئ الرشيدة كالتواضع والإيثار، والآراء والأفكار المتزنة، وذلك لاستقامة هذا الرجل ووضوح أسلوبه في حياته.



قضى الفقيد جل حياته بين مجلدات الكتب قارئاً ومؤلفاً

الإنتاج الشعري والأدبي

للأستاذ محمد سعيد العامودي ديوان شعري بعنوان "من رباعياتي" ١٩٨٠م، وله قصائد منشورة في مجموعات شعرية ومن ضمنها: مجموعة "أدب الحجاز" - جمع وترتيب محمد سرور الصبان، مطبعة مكة المكرمة، ١٩٢٦م، ومجموعة "وحي الصحراء" -جمع محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير- مطبعة مكة المكرمة، ١٩٣٧م، واحتوى ديوانه على رباعيات، تعكس تجربة شعرية مكثفة وناضجة، وتنوعت أغراض الشعر في نصوصه فمنها النصيحة، والحكمة، والأخلاق، والتعليم، ومنها الوجداني، واحتوت رباعياته أيضا آلام الوطن العربي، فيذكر مأساة العرب إثر هزيمة يونيو ١٩٦٧م، ويرفض صمتهم وشتاتهم ويطالبهم بالثأر.

ويضاف إلى إنتاجه الفكري والأدبي كذلك مجموعة قصص للناشئين بعنوان: "رامز وقصص أخرى"، وله عدد من المؤلفات الأدبية والتراجم منها: "من تاريخنا"، وتحقيقه لكتاب "المختصر من كتاب نشر النور والزهر"، بالاشتراك مع الأستاذ أحمد على أسد الله و"نادي الطائف الأدبي"، و"من حديث الكتب"، و"من أوراقي".

وفي مقالة له أشاد الدكتور محمد رجب البيومي -عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة- بنظم الشاعر العامودي لهذه الرباعيات، مبيّناً بأنّ حقيقتها الفنية "خواطر موجزة مركزة، تضغط في أبيات موحية لتجلو عبرة مستترة، أو تصور خالجة غامضة لذلك تستقل الرباعية في كثير من الحالات عن أخواتها السوابق واللواحق لأنها كائن حي له خصائصه الذاتية، والشاعر الكبير الأستاذ محمد سعيد العامودي أديب موهوب ذو تاريخ حافل في المجال الأدبي نثراً وشعراً، وقد زاول القصائد الطويلة في إنتاجه الكثير فكشف عن قوة قادرة، وعن شاعرية مطبوعة، ثم عنّ له أن ينظم بعض الرباعيات استجابة لإيحاء قوي يركز الخواطر، ويبلور الانفعالات"، وفي عام ١٣٥٢هـ نال جائزة مجلة الهلال المصرية في مسابقة شعرية.

من رباعيات العامودي

قلتُ للنفس: ما الذي يحفز الغرَّ -إلى الاعتساف في كل أمر؟
أهو ومض الذكاء، أم هو إحساس، يُريه أن النُهى في الشرِّ؟
قالت النفس: في سؤالك ما يُومي إلى ما ترومه من سرٍّ..
إنها -يا أخي- الغرارة، فلتشفق، ولا تعجبنْ من أي غرِّ!
قال لي صاحبي: وما الرأي في هذا الذي جرَّه عليك الوفاءُ؟
ما الذي قد صنعته من شرور حتّمت أن ينالك الإيذاءُ؟
ما الذي يبتغي، وقد كان منك الود صفواً، وكان منه البلاءُ؟
قلت: لا رأي يا صديقي، وهل أنت ترى أن تفيدنا الآراءُ؟
الحبُّ ما أحلاه، والسِّلمُ ما أجملهُ.. يسودُ بين البشرْ!
لكنَّها أمنيَّةٌ لن يراها الناسُ في دنياهمُ تستقر
في عالم ما زال يصبو إلى أن يغزوَ الغيرَ وأن ينتصر!
في عالمٍ يرومُ للحرب لا للسِّلم أن يرتقي للقمر!

وفاته

ظل الشيخ محمد بن سعيد بن عبدالرحمن العامودي بجوار بيت الله العتيق في مكة المكرمة، ينهل من معين العلم والمعرفة والأدب، إلى يوم السبت الثاني من شهر شعبان عام ١٤١١هـ، حيث توفي رحمه الله رحمة واسعة عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، قضى معظمها بين مجلدات الكتب وأرفف المكتبات التي احتضنته صغيراً واحتفت به كبيراً ورائداً من رواد أدباء المملكة المشار إليهم بالبنان.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أحد وجهاء مكة المكرمة.. عرف بسعة الاطلاع وعمق الثقافة.. وأسس أول مطبعة لخدمة طلبة العلم

محمد كردي.. «الشخصية المعرفية»

■ يعد الشيخ محمد بن ماجد بن صالح كردي، أحد وجهاء مكة المكرمة، وأحد النخب الوطنية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، عرف بسعة اطلاعه وشغفه بنشر العلم، وحرصه على تأمين الكتب والمجلدات وتهيئتها لطلاب المعرفة في كافة المراحل، كما عرف بكونه أحد الرواد الأوائل الذين ساهموا في نشر المطابع والمكتبات، لا سيما في مكة المكرمة ومدينة جدة.

وهو - رحمه الله - من مواليد مكة المكرمة عام ١٢٩٤هـ، حيث تلقى تعليمه على أيدي عدد من علمائها، وحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وكان شغوفاً بعالم الكتب والمعرفة حريصاً على نشر العلوم والمعارف، حتى إنه عمل على جمع عدد من الكتب والمخطوطات، ليعرف بين أقرانه بريادته وعلو كعبه في مجال التعليم بالحجاز، ولذا لقبوه بالشخصية المعرفية، نظير ما يتمتع به من ثقافة واسعة، لا سيما أنّه يمتلك واحدة من أكبر المكتبات الثقافية بمكة المكرمة، وتزخر مطبعته - التي سماها "الماجدية" - بأندر المخطوطات والكتب، إضافة إلى توليه عدداً من المناصب التعليمية وإسهامه بدفع عجلة التعليم في المملكة، من خلال إرسال أول بعثة علمية من أبناء المملكة للدراسة في معاهد مصر ومدارسها.

حوّل منزله إلى منتدى علمي وأدبي لضيوف الرحمن.. وتوفي محرماً يوم عرفة



محمد كردي



في الحج تتحول دار الكردي إلى منتدى علمي وأدبي

المطبعة الماجدية

كان الشيخ محمد بن ماجد كردي أحد أعلام الحجاز، ومن رواد التعليم بالمملكة، لقب بالشخصية المعرفية لما عرف من سعة الاطلاع وعمق الثقافة، وارتباطه بالكتب والمخطوطات العلمية والأدبية النادرة، وكان قد تفرغ للعلم منذ نعومة أظفاره، بعد تلقيه العلوم على أيدي كبار العلماء في مكة المكرمة، ولشغفه بالدراسة والنهل من المعارف المختلفة، وحرصه على تنوع الثقافات والعلوم الدينية والأدبية، فقد اتخذ قراراً جريئاً من خلال تأسيسه مطبعة لطباعة الكتب والدوريات العلمية والأدبية، قيل إنها الأولى من نوعها بمكة المكرمة وذلك عام ١٣٢٧هـ، وأطلق عليها اسم "المطبعة الماجدية"، وفعلاً خدمت هذه المطبعة طلاب العلم ورواد المدارس والمعاهد العلمية، وكانت الحل الأنجع لتوفير الكتب والكراريس لطلاب التعلم في تلك الفترة، لا سيما أن أعداد الطلاب آنذاك كان في تزايد مضطرد، كما أن الإنتاج العلمي أصبح أكثر غزارة.

وبدت الحاجة ماسة لتوثيق وطباعة مدونات العلماء والمشايخ، ولا شك حينها أن طلاب العلم كانوا أكثر المستفيدين من هذه المطبعة التي أنشأها الشيخ محمد كردي، وذلك لتزايد أعدادهم عاماً بعد عام، وحاجتهم إلى الكتب المدرسية في وقتها، بدلاً من انتظار قدومها من الخارج، إضافة إلى كثرة الزائرين والعلماء والأدباء من خارج المملكة الذين يفدون إلى مكة المكرمة حيث البيت العتيق، كما أن هذه المطبعة ومن بعدها المكتبة ساعدتا على تلبية حاجة طالب العلم ووفرت له المصادر المتعددة والمتنوعة.

تبادل المعارف

وإضافة إلى كون الشيخ ماجد كردي من محبي الأدب والمعرفة، ومن الأوائل الذين فكروا في تأسيس المطابع في الحجاز وفي مكة، فإنه أيضاً كان على تواصل مع طلاب العلم والعلماء الذين يفدون لأرض الحرمين يبادلهم المعارف فيتلقى من علمائهم ويعلم طلابهم، إلى سنة ١٣٢٧هـ حيث أسس مطبعته "الماجدية" التي يذكر أنها أول مطبعة في مكة المكرمة، وبتأسيسها احترف الطباعة وتجارة الكتب، واجتمعت له مكتبة خاصة من أفخم المكتبات في الحجاز، وذلك للحاجة الماسة بسبب تزايد الطلاب عاما بعد آخر، خصوصا بعد انتشار المدارس، وكانت الطريقة التقليدية تعتمد على نسخ الناسخ أو نسخ طلبة العلم أنفسهم، ويذكر أنه قام بشراء مطبعة "شمس الحقيقة" الموجودة بمكة المكرمة، وزودها بأدوات كثيرة، وأنفق عليها أموالاً طائلة، ولأن المطبعة كانت قديمة وتحتاج إلى فهرسة وإعادة تقويم من جديد ورغبة منه - رحمه الله - في جعلها مرجعاً ومقصداً لطلاب العلم ورواد المدارس والمعاهد، فقد قرر نقل هذه المطبعة، ليعيد تأسيسها من جديد وفعلاً تم له ذلك لكنه واجه مصاعب ومشاق في عملية النقل حيث لا توفر آنذاك وسائل النقل الحديثة.

كما أن الكتب كانت كبيرة الحجم ثقيلة الوزن، فضلاً عن حرصه على حفظ المخطوطات لا سيما النادرة، وهي التي تتطلب عناية فائقة من حيث تخزينها أو نقلها حيث تتأثر بالرطوبة والغبار وعوامل الطقس والمناخ بسبب قدمها وضآلة حجم أوراقها.

ولأن وسائل النقل آنذاك كانت تقتصر الرواحل من الأنعام كالجمال والخيول والبغال فقد عمد على اختيار البغال لقوتها ومقدرتها حمل الأثقال، إلاّ أنّ حجم المطبعة كان أقوى وأثقل من طاقة البغال كما يقول المؤرخ "محمد علي مغربي" الذي وصف هذه الرحلة بقوله: "في طريق صحراوي رملي غير معبد فكانت البغال تنوء بحملها الثقيل، وبعضها يضعف عن مواصلة الحمل وبعضها ينفق تحت وطأة هذه الحمولة الثقيلة فيستبدل به غيرها من البغال، وهكذا تم النقل على مراحل وفي عناء شديد ولولا رغبته الشديدة في أنشاء المطبعة في مكة المكرمة لكانت الصعوبات كافيه في إثنائه عما يريد، وهكذا كان الشيخ محمد كردي بهمته العظيمة وبحبه الكبير لنشر العلم مثالاً فريداً في قوة الإرادة وفي البذل لبلوغ الهدف الذي يريد".

طباعة تجارية

وضرب الشيخ محمد بن ماجد كردي مثالا وأنموذج تربويا في حسن تربيته لأبنائه من خلال إلحاقهم بالعمل ميدانيا بالمطبعة، حيث وجههم بأن يتعلموا صف الحروف وإدارة آلات وأجهزة المطبعة الضخمة وعلى الرغم من ثرائه ومكانته الاجتماعية إلا أنه حرص أن يعمل أبناؤه بأيديهم ما يحقق لهم القرب والالتصاق أكثر بعالم العلم والمعرفة، وفعلا تخرج الأبناء من مدرسة أبيهم الرائدة فتعملوا صف الحروف ضمن طاقم عمالة استقدمهم الشيخ لهذا الغرض، وبدؤوا مع والدهم يشرفون على أعمال مطبعتهم ويتعلمون كل ما من شأنه أن يعجل ويسرع ويطور عمل المطبعة، حتى استطاعت مطبعة الماجدية بفضل من الله أن توفر الكتب لمدارس الحجاز بدلاً من انتظار قدومها من الخارج، الذي ربما تتعطل أو تتأخر الدراسة بسببه وبالتالي تتعطل الدراسة وكان تأخر قدومها للمملكة لظروف طبيعية أو اقتصادية أو غيرها، الا أن "الماجدية" لم تقتصر على طباعة الكتب المدرسية.

وحرص الشيخ كردي أيضاً على طباعة المطبوعات التجارية والكتب المتنوعة لتوفيرها لطلاب العلم والمطلعين وتزويد مكتبته التي أنشأها فيما بعد، ويذكر أن من أهم ما طبعته كتاب مطبعة الماجدية كتاب (تاريخ مكة - للأرزاقي) في مجلدين الذي قام بتحقيقه الأستاذ رشدي محلس - رحمه الله.

تأمين الكتب

ضرب الشيخ ماجد كردي أروع الأمثلة في مواجهة الصعاب والتحدي، وذلك عندما قرر نقل كتبه إلى مكة المكرمة على ظهور البغال التي عجزت عن حملها، نظرا لثقل محتوياتها وكثرة عددها، غير أنه أصر على نقلها رغبة في عموم نفعها، وحينها لم يقتصر دور الشيخ كردي على نشر العلوم والفنون الأدبية المتنوعة والمعارف، كما لم يقصر نشاطه على افتتاح المطبعة فقط، بل سارع في أوائل شبابه لإكمال ريادته في هذا المجال العلمي وذلك بتأسيسه "المكتبة الماجدية" التي تعد أكبر المكتبات الخاصة آنذاك، لما تزخر به من كتب ومجلدات من مختلف العلوم، وقد حرص على أن يضم إليها نوادر المطبوعات ونفائس المخطوطات إسهاماً منه لحفظ علوم التراث ونشر المعرفة وتنوع مصادر العلم وتوافرها بين الناس.

وكانت "الماجدية" تحوي كتب الفقه واللغة ودواوين الشعر وكتب التراث، ومجموعات قيّمة في التفاسير والأحاديث النبوية، وقد أنفق الشيخ عليها الأموال الطائلة، كما أعطاها من جهده ووقته شيئاً كثيراً، لذا كان منزله مكتظاً بالزوار على مدار العام وخصوصاً في موسم الحج، حيث كان الناس يفدون إلى داره العامرة في "القرارة" وداره بمنى حيث يقام فيهما منتدى علمي وأدبي في موسم الحج، فتعقد الندوات ويستمع الناس إلى قراءة القرآن الكريم من كبار القراء، كما تتضمن تلك الندوات تفسيرا للآيات القرآنية الكريمة وطرح الأبحاث الدينية، كما يتنافس الشعراء والأدباء في مجالهم الأدبي، حيث الأشعار والخطب والفنون الأدبية الرفيعة.

وكان الشيخ كردي يقتني الكتب المطبوعة والمخطوطة، ويضمها إلى مكتبته وكان على اتصال بأصحاب المكتبات وعشاق الكتب في جميع أنحاء العالم الإسلامي، حيث يستورد كل جديد ونادر من الكتب المخطوطة والمطبوعة ويضمها إلى مكتبته الفريدة القيمة، التي أطلق عليها أيضاً اسم المكتبة "الماجدية" وربما كان ذلك تقديراً وإجلالاً منه لوالده - رحمهما الله - ولأن الشيخ من أثرياء مكة المكرمة فقد سخر هذا المال لخدمة الدين وطلب العلم.

كما حرص على نشر الثقافة والمعرفة بين الشباب والدارسين والمهتمين، وذلك من خلال شراء واقتناء الكتب المتنوعة التي تزخر بها المكتبة، وكان يهدف من ذلك أيضا إلى مساعدة المهتمين بنوادر العلوم والأدب ومساندتهم وتوفير المصادر لهم، حتى أنه جمع عددا كبيرا من الكتب القيمة والنافعة، بل قام بشراء الكتب المخطوطة والمطبوعة وضمها إلى المكتبة الماجدية بغية الاستفادة منها، كما ضمت المكتبة إصدارات مطبعته الماجدية، إضافة إلى ما تصدره المطابع المحلية وما يرد إليها من الخارج من مصر، وتركيا، والجمهوريات الإسلامية (آسيا الوسطى)، وبلاد الهند.

وكان موقع المكتبة في الصف الأيسر من الساحة الكبيرة لباب السلام على يسار الخارج من الحرم الشريف.

ويذكر أن الشيخ أحمد حلواني - رحمه الله - كان قد خلف الشيخ كردي فيها، ولم يقتصر الشيخ محمد كردي على ما تقدم بل ألف كتباً ورسائل مخطوطة لم يتم طباعة أكثرها، منها معجم كنز العمال، ومعجم التخاميس في الشعر، والمنتخبات الماجدية، والفهرس العام لمحتويات مكتبته الشامل لعدد من المؤلفات، ويذكر أن عضو مجلس الشيوخ المصري آنذاك الأستاذ محمد طلعت حرب باشا الملقب بـ "أبو الاقتصاد المصري" اطلع على هذه المكتبة وأبدى لأصحابها أنجال الشيخ محمد كردي عن رغبة ملحة منه في ابتياعها منهم لينقلها إلى مصر، ودفع لهم مبالغ طائلة لكنهم أحجموا عن أجابته إلى طلبته، واعتذروا منه رغبة منهم في نشر العلم واستبقاء هذا التراث القيم الذي ورثوه عن والدهم.



ختم المطبعة الماجدية



فهرس لكتاب ممهور بختم المطبعة الماجدية

دار عامرة

وفي أوائل العهد السعودي عين مديراً للمعارف تقديراً لمكانته العلمية، ثم أسندت إليه مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة، ويذكر أن في عهده تم إرسال أول بعثة علميه من أبناء المملكة للدراسة في معاهد مصر ومدارسها وكان هذا في الأربعينات من القرن الرابع عشر الهجري، ومع تعدد مهامه ومشاغله إلا أنه وصف من قبل معاصريه أنه سخر منزله أيضاً لخدمة رواد العلم، فقد قال المغربي إن منزله كان بيت كرم وجود وعلم ومعرفة، فقد احتوى وأجاد وأنفق وأفاد، وساهم بفعالية في نشر العلم والمعرفة، وكان يستضيف أعلام الأدب ورجال الفكر الذين يفدون إلى مكة المكرمة، فيجدون في داره حسن الضيافة وطيب المقام، ويتنافس الشعراء والأدباء فيما بينهم لتقديم ما لديهم من إبداع وفكر وأدب وبكل ما هو طريف ومفيد. وكانت هذه الأماسي امتداداً للحوارات العلمية التي تدور في مكتبته وعليه فقد كانت الندوات والمحاضرات والجلسات العلمية تتضمن تفسيرا للآيات القرآنية الكريمة وطرح الأبحاث الدينية والعلمية التي يستفيد منها الحضور، أما الدور الأكبر فقد كان من نصيب داره بمنى إذ كانت تؤدي غاية داره بالقرارة نفسها ولكن على نطاق أوسع، فقد كان يعقد فيها في ليالي التشريق هذه الندوات ومن أشهرها الندوة الخطابية التي يقيمها شباب مكة المكرمة وأدباؤها كل عام للوافدين من حجاج بيت الله الحرام، وكان يحضرها نخبة من علماء ومفكري العالم الإسلامي.

وفاته

توفي الشيخ محمد بن ماجد الكردي في صعيد عرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة عام ١٣٤٩هـ، وهو في لباس الإحرام مع حجاج بيت الله الحرام، ودفن حاجاً ملبياً في عرفات، وكانت لوفاته - رحمه الله - أثراً كبيراً على طلابه ورواد مكتبته ومجالسه العلمية، حتى رثاه بعضهم وتقبل طلاب العلم العزاء فيه كما تقبله أبناؤه، الذين لطالما عملوا مع والدهم في خدمة العلم والعلماء، وكان عمر الشيخ حين وفاته خمس وخمسين سنة رحمه الله رحمة واسعة.



المطبعة الماجدية وفرت الكتب والكراريس لطلاب العلم

حظي بمنزلة وتقدير الملك عبدالعزيز فأبقاه في القضاء طويلاً وكلّفه بتدريس العلوم الشرعية

عبدالله العمودي.. القاضي والمصلح

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يعد العلامة القاضي والمؤرخ الشيخ عبدالله بن علي العمودي أحد أشهر أعلام جازان، وأحد أعلام وأعيان منطقة جازان، وصاحب مسيرة حافلة بالدعوة والوعظ، تنقل بين قرى ومدن جازان طالبا للعلم، ونهل من أبرز علمائها، وسافر إلى مصر لتلقي العلوم في الأزهر الشريف، وله الكثير من المؤلفات المتنوعة التي بحث فيها العلوم الدينية والأدبية والتاريخية والشعرية، وبذل جهودا كبيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء بين الناس، وكان محل ثقة الأهالي لاسيما وقد تولى عددا من المناصب التي عرفه الناس من خلالها كالتدريس والإمامة والقضاء والإرشاد، إضافة إلى دوره في بعض القضايا ذات الطابع الإصلاحي والمشاركة في الوفود للتفاوض الداعي إلى الإصلاح بين الخصوم ووأد الخصومات، وفي العهد السعودي حظي العلامة العمودي بمنزلة وتقدير لدى الملك عبدالعزيز فأبقاه في القضاء مدة طويلة إلى أن شعر الشيخ أنه غير قادر على مواصلة العمل نظراً لكبره وتقدمه بالسن، فتم له التقاعد مع صرف مستحقاته المالية الشهرية فعاش بقية عمره محاطاً بأهله ومحبيه وطلبته إلى حين وفاته رحمه الله.

تولى الإمامة والتدريس والقضاء في جازان ومكتبته تزخر بكتب الدين والأدب والتاريخ


تلقى العمودي العلم في الجامع الأزهر


سعى العمودي كثيراً للإصلاح بين الناس

ولد الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله باسند العمودي البكري بمدينة أبي عريش، واختلف في عام ميلاده فقد أرخ الوشلي أن القاضي العمودي ولد عام ١٢٩٩هـ، ووافقه المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه (نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر) إلا أنه ذكر في كتاب (تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع) أن مولده -عام ١٢٩٥هـ، أما والده فقد توفي وهو صغير السن فنشأ الشيخ في حجر أمه يتيم الأب، وذكر القاضي عبدالله العمودي أن من قام بتدبير شؤون العائلة شخص يسمى مبارك وهو أحد موالي والده، وكان رجلا وفياً أمينا صادقاً، فقد رعى شؤون الشيخ وعائلته واجتهد في قضاء احتياجاتهم وقام رحمه الله برعايتهم خير قيام، وعمد إلى بناء (سقيفة) صغيرة لهم على طريق سوق المدينة الأسبوعي، واستثمرها لهم لتساعدهم على تكاليف المعيشة، فجعلها كاستراحة للمتسوقين وجهزها بما يحتاجون إليه من المياه العذبة وغيرها وهيأ لهم المكان، وكان يقوم بصرف المردود على متطلبات العائلة، مما زاد تعلقهم به واحترامه له، حتى كانوا ينادونه بالأب مبارك وأطلق الناس عليه اسم (مبارك العمودي).

نسب آل العمودي

ذكر المؤرخون أن آل عمودي -وهي أسرة علم وشرف-، وقال بعضهم إنهم من سيبان من حمير، إضافة إلى ما ذكر عن نسبه في رسالة (نبذ في الأنساب لمن سكن بحضرموت وفي أنساب عدنان وقحطان) وذكر ذلك المؤرخ إسماعيل الوشلي، وسعيد الخطيب القيدوني في كتابه «عرائس الوجود «والسيد محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي» والعلامه السيد صالح بن علي الحامد» تاريخ حضرموت «واحمد بن حسن العطاس عن «نور الأبصار» والعلامة والمحقق الشهير علوي بن طاهر الحداد «الشامل» وغيرهم، وكان الشيخ سعيد بن عيسى العمودي الذي ينتسب إليه مشايخ آل العمودي بحضرموت والمولود عام ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) في مدينة (قيدون) أحد روافد وادي دوعن، قد أسس أحفاده إمارة في تلك النواحي وقد ذاع صيت الشيخ في دوعن وماحولها فقد كان شيخاً عالما ناسكا قيل أنه لقب بالعمودي لكثرة صلاته (لكون الصلاة هي عماد الدين) وقد تمكن الشيخ سعيد من الجمع بين البادية وأهل الحضر، وكما ذكر با مخرمة فقد سكن الشيخ عبد الله العمودي «الخريبة» بدوعن وقد سعى للإصلاح بين الناس وجمع كلمتهم واستمرت إمارة أحفاده عدة قرون إلى أن دخلت هذه في صراع مرير مع القوى السياسية المنافسة في المنطقة، وفي القرن الرابع عشر كان الضعف قد أخذ منها مأخذه، نتيجة لتلك الصراعات المتواصلة، إلى أن انتهت الأمور بمساع نحو اتحاد يجمع الدولة القعيطية والدولة الكثيرية في حضرموت لولا تدخلات القوى الغربية والشرقية في ملف المنطقة.

تنقلاته لطلب العلم

حفظ الشيخ عبدالله بن علي العمودي القرآن الكريم منذ صغره في أبي عريش، ومن ثم التحق بحلقة آل عاكش المشهورة في المنطقة، التي تولاها العلامة إسماعيل بن حسن عاكش منذ وفاة والده العلامة الحسن بن أحمد عاكش في سنة ١٢٩٠هـ، فدرس على يديه الفقه، والتفسير، والحديث، واللغة العربية، وغيرها. وهي من أشهر الحلقات في المنطقة خلال تلك الفترة، حيث كانت مقصداً للكثير من طلبة العلم، ورافقه في تلك الحلقة العلامة العاكشي الإمام محمد بن علي الإدريسي (١٣٤١هـ)، وذكر العمودي إنه استفاد منه في مبادئ بعض العلوم، وكذلك العلامة محمد بن حيدر القبي النعمي (١٣٥١هـ) كما هاجر إلى بعض المراكز العلمية المشهورة في تهامة اليمن، التي كان يؤمها طلبة العلم من كل مكان فوصل إلى ميناء الحديدة في سنة ١٣١٥هـ، وأخذ العلوم الشرعية عن أبرز علمائها ومن ضمنهم العلامة محمد باري بن عبدالقادر الأهدل (١٣٢٦هـ)، ومفتي الحديدة في تلك الفترة عبدالله بن يحيى مُكَرّم (١٣٢٩هـ)، والعلامة فرج بن محمد الحوكي (١٣٢٦هـ) وبعد أن أمضى في الحديدة ما يقارب العام انتقل إلى قرية (المراوعة) - شرق الحديدة ولازم علمائها المشهورين مثل العلامة محمد طاهر بن عبدالرحمن الأهدل (١٣٤٧هـ)، والعلامة حسن بن عبدالله بن معوضة الأهدل (١٣٥٢هـ)، والعلامة عبدالله بن محمد بن عبدالباري الأهدل، الملقب بالجمالي، والعلامة حمزة بن عبدالرحمن بن حسن الأهدل، وقد أجازوه في مختلف العلوم إلا أن أكثر ملازمته كانت للعلامة محمد بن عبدالرحمن بن حسن الأهدل (١٣٥٢هـ)، حيث درس على يديه مختلف العلوم الشرعية، من تفسير وفقه وحديث، والعربية، من نحو وصرف، ونحو ذلك، وأجازه إجازة عامة في كل تلك العلوم كما ارتحل رحمه الله إلى مدينة زبيد - العاصمة التاريخية لمنطقة تهامة اليمن - وأخذه عن علمائها، ومنهم العلامة محمد بن عبدالله بن زيد الشنقيطي الذي أعجب بنجابته فأولاه عناية خاصة وفي سنة ١٣٢٠هـ، اتجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، والتقى بعلمائها وأخذ عنهم العديد من العلوم ، كما تردد على مكة مرارا واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم وأخذوا عنه (تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع)، وسافر الشيخ إلى مصر لتلقي العلم بالجامع الأزهر، ومن ثم عاد إلى أبي عريش، وأثناء مروره على بلدة ميدي التقى بالإمام محمد الإدريسي فأوكل إليه قضاء ميدي وتوابعها إلى عام ١٣٤٤ هـ، ثم تولى قضاء أبي عريش مدة طويلة وإلى قرابة عام ١٣٦٠هـ انتقل لقضاء (الحقو) واستمر قاضيا بها حتى عام ١٣٦٥هـ حيث طلب الإعفاء من القضاء فأعفي وكلفه الملك عبدالعزيز بتدريس العلوم الشرعية.

حياته العملية

تنقل الشيخ عبدالله بن علي العمودي في أكثر من مكان، فهو معروف من أعيان وعلماء المنطقة، واشتغل في القضاء، والتدريس، والوعظ والإرشاد لذلك فقد غادر مدينة أبي عريش إلى ميدي، والتقى هناك بالسيد محمد بن علي الإدريسي صديقه وزميل دراسته فكلفه الإدريسي بتولي القضاء في تلك المدينة وما جاورها، والإمامة والتدريس في جامعها وأجازه الإدريسي في (العقود اللؤلؤية في الأسانيد الدينية)، واستمر العمودي بوظائف القضاء، والإمامة، والخطابة، والتدريس، والوعظ والإرشاد في ميدي وتوابعها طوال عهد محمد بن علي الإدريسي، وعهد ابنه من بعده علي بن محمد الإدريسي، وفي عهد السيد الحسن بن علي الإدريسي تولى القضاء في مدينة جازان، وكان الشيخ عبدالله قد كلف ولعدة مرات بمبادرات إصلاحية وسياسية كما كان له حضور ومشاركات فاعلة في وفود التفاوض مع شيوخ وأعيان القبائل لإصلاح ذات البين، وكان وفياً مع الجميع الذين يبادلونه -بدورهم- صدق المحبة والوفاء، وفي العهد السعودي استمر في التدريس والقضاء والوعظ والإرشاد في «الحقو» وأبي عريش، والقرى المحيطة حتى عام ١٣٦٥هـ، إذ تقدم به العمر وأصبح شيخا كبيرا فطلب من الملك عبدالعزيز رحمه الله إعفاءه من وظيفة القضاء فلبى طلبه مع استمرار صرف رواتبه.

وللقاضي العمودي منزلة وتقدير لدى الملك عبد العزيز، فقد أشاد بإحدى القصائد التي هنأ الملك فيها بالعيد وحظي بعناية الملك.

مؤلفاته وإرثه الأدبي

وذكر المؤرخون أن القاضي عبدالله العمودي رحمه الله ألف العديد من الكتب، وتميز بوفرة انتاجه حيث تنوعت مؤلفاته واشتملت على العلوم الدينية، والأدبية، والتاريخ والتراجم والأنساب، والرحلات، إضافة إلى شعره ومقاماته ورسائله ومن ضمن تلك المؤلفات تاريخ أسماه (اللامع اليماني في تاريخ المخلاف السليماني) تحدث فيه عن تاريخ جازان منذ العصور القديمة وحتى العهد السعودي وكذلك تاريخ المنطقة بشكل عام، إضافة إلى كتاب «الرحلة التعزية» يتحدث فيه عن رحلته التي قام بها إلى مدينة تعز والأحداث التي واكبت تلك الرحلة وكان يقصد بها مقابلة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ووصف ديوان الإمام ومجلسه وموظفيه وقصائد مديح قيلت فيه، وكتاب رحلة الأسفار فيمن لقيت من الأنظار: وخصصه العمودي لمشايخه، وأسانيده، وكذلك كتاب (المد الصيملي الفرق لفتوي الصيلمي) وهو عبارة عن مناظرة علمية شرعية بينه وبين بعض العلماء، وكتاب (المرشد والبيان المفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، وكتاب (الدر النفيس في ولاية الإمام محمد بن علي بن إدريس)، إضافة إلى مجموعة من المؤلفات الأخرى المتنوعة، ولم تقتصر كتاباته «رحمه الله» على التاريخ وبحوره كعلم إنساني كالتوثيق الأحداث والتراجم والأنساب، بل له ديوان رسائل وقصائد شعرية ، واشتمل أدبه على المقامات والكثير من الكتابات النثرية ، ومن شعره وصية لأولاده في مرضه منها هذه الأبيات:

ابني إن أوصي أوصي إليكم
بخصال لا زلتم لها بتمسك
الدين والتقوى وترك مآثم
وحذار من كذب يشين بعرفك
والصدق زين للفتى فاسموا به
فالزمه حقاً لا عدمت هنالك
الضيف لا تهمل مباشرة له
وابسط له الوجه البشوش لزورك
وصل المقاطع ما قطعك وصاله
لتكون أفضل من غدا بقطاعك
وأغمض عيونك عن عيوب غيرك
تبقي الصديق وكذا التغافل فاسلك
واحفظ صلاتك في جماعة إنه
حال الرجال العارفين هنالك
ولا تنسوا لي من الدعاء حقا لنا
بالميت محتاج لذا من ناسك

وفاته

تقدمت السنون والأعوام بالشيخ عبدالله بن علي العمودي رحمه الله حتى ضعف بصره، وداهمته الأسقام والآلام وتعرض لأمراض الشيخوخة فلازم الفراش مدة من الزمن حتى توفي في أواخر القرن الهجري المنصرم عام ١٣٩٨هـ، في مدينة أبي عريش في منطقة جازان بعد مشوار طويل من التنقل والترحال في طلب العلم والإصلاح بين الناس وقد عُمّر إلى ما يزيد على مئة عام قضاها في سبيل مرضاة ربه جل وعلا، رحمه الله رحمة واسعة.


للعمودي العديد من المؤلفات المتنوعة أدبياً ودينياً وتاريخياً


ولد الشيخ العمودي في أبو عريش


كانت للشيخ العمودي بصمة في المجال الدعوي والأدبي في جازان


كان مجال الدعوة والوعظ والصلح بين الناس أحد المجالات التي عمل فيها الفقيد

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أمر الملك عبدالعزيز بطباعة تاريخه على نفقته..و لايزال مرجعاً موثوقاً في تفاصيل الأحداث

حمد بن لعبون.. شيخ المؤرخين النجديين

■ إرث عظيم أضافه الراصد والمدون والمؤرخ النجدي الشهير حمد بن لعبون للمكتبة العربية من خلال ما جمعه ودونه عن تاريخ المنطقة والجزيرة العربية، حيث رصد في كتابه المعروف بـ"تاريخ ابن لعبون" الأحداث والوقائع التاريخية خلال حقبة من الزمن اعتبرت في نظر كثير من المؤرخين نقلة نوعية في كتابة تاريخ نجد والمنطقة حيث امتاز ابن لعبون بمبدأ فريد في كتاباته وأسلوبه التلقائي في تغطية الأحداث والمشاهد بالزمان والمكان حيث يعرضها بلغة سهلة واضحة ومباشرة، حتى اعتبر تاريخه المصدر الرئيس للمعاصرين له ولمن جاء بعده، وهو ما أهله لحمل لقب "شيخ المؤرخين النجديين" وذلك لما اشتملت عليه كتاباته من مصداقية، وجرأة في الطرح ووحدة في الموضوع.

وقد عرف ابن لعبون بكثرة تنقلاته في إقليم نجد التي قلما غادرها إلا لأداء مناسك الحج والعمرة، ووصفه من عاصره ومن جاء بعده من المؤرخين بأنه كان كثير الاطلاع واسع المعرفة، لديه مكتبة كبيرة حوت أمهات الكتب في الأنساب والتاريخ والأدب وهو سليل أسرة ذات سيادة وعزة، تولى بيت المال في سدير وأيضا خطابة وإمامة جامع التويم، وكان لاهتمامه بالأنساب والتاريخ الدافع الرئيس وراء تدوينه لتاريخ المنطقة، وقد ذكر ذلك هو بنفسه.

ويشار إلى أنّ كتاب "تاريخ ابن لعبون" المطبوع في مطبعة أم القرى بمكة المكرمة، هو أول كتاب في موضوع التاريخ طبع في مطابع الحكومة، ولا شك أنّ هذا الكتاب القيّم غاب عن أنظار الباحثين ردحاً من الزمن لكنه وجد في الأونة الأخير من يعتني بترتيبه وتحقيقه تحقيقاً علمياً أكاديمياً ساهم في شرح الغامض من نسخه المتواترة والتي كان للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون دور وجهد كبير في تنقية وتنقيح الأخبار المتعلقة بهذا السفر الضخم والتعريف به وبمؤلفه -رحمه الله-.

وثق تاريخ الدولة السعودية وتميزت كتاباته بالمصداقية والوضوح والجرأة في الطرح



محمد بن لعبون



تاريخ ابن لعبون الشهير



عبدالله البسام



المؤرخ الروسي إليكسي فاسلييف

بيت المال

المؤرخ والنسابة حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان الملقب بـ"لعبون" بن ناصر المدلجي الوائلي، من مواليد بلدة حرمة -إحدى بلدات إقليم سدير، ويروى أنها بلدة أسسها جده إبراهيم بن حسين ابن مدلج- حيث كان مولده قبيل عام ١١٨٢ هـ الموافق ١٧٦٨م وهو العام الذي توفي فيه والده محمد بن ناصر ابن عثمان المعروف بـ"لعبون"، أما زوجته فهي "هيا بنت زيد بن راجح" وأولاده هم: محمد -الشاعر المعروف-، وزامل، وعبدالله، وناصر، وله خمس بنات ذكر منهن رقية، وموضي، وسارة، ولا شك أنّ شهرة ابنه محمد أطبقت الأفاق، إذ كان أحد أشهر شعراء الأدب الشعبي في الجزيرة العربية، ونقل المؤرخان إبراهيم بن عيسى وعبدالله بن محمد بن بسام، ما أسنداه إلى "ابن لعبون" عن سبب تسمية جدهم بـ"مدلج" وخطه "ابن لعبون" بقلمه، قائلاً: "إن غزوا من آل مغيرة يبلغ عددهم حوالي (٥٠٠) وزعيمهم مدلج الخياري، استضافهم عند مرورهم بأشيقر وأكرمهم ولما رحل زعيمهم ترك صرة كبيرة بها مال تحت وسادته، وعندما وجدها أبو علي -الجد حسين- ركب فرسه وسلمها إلى مدلج، الذي رفضها وقال: إنها هدية لك على مروءتك، ورجع أبو علي، وكانت زوجته حاملا فقال: إذا رزقنا الله ولدا أسميناه مدلج، فولدت مدلج مؤسس بلدة تويم".

ولم تكن وفاة حمد ابن لعبون مؤرخة، ويرجح أنها كانت في بلدة تويم سنة ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م، وذكر "ابن لعبون" في كتابه الأنساب أنّ "أول من سمي لنا من أجدادنا حسين أبو علي وهو من بني وائل ثم من بني وهب من الحسنة، وكان أبو علي قد نزل في بلدة أشيقر واشتهر بالسخاء والمروءة وإكرام الضيف.

ويشار إلى أنّ "لعبون" لقب عثمان بن ناصر، ويتضح من سيرة حمد ابن لعبون -بحسب ما أورده المؤرخون- أنه من أسرة ذات سيادة وعزة وأنفة، كثير التنقلات وعاش ميسور الحال وله أملاك وعقارات كثيرة، كما أن لديه مكتبة كبيرة حوت أمهات الكتب في الأنساب والتاريخ والأدب، إضافة إلى مناصرته الدعوة السلفية، وتوثيقه لتاريخ الدولة السعودية، وتوليه بيت المال في سدير، وأيضا خطابة وإمامة جامع التويم، وكانت تربطه علاقة متينة بابن عمه التاجر المعروف ضاحي بن محمد بن إبراهيم المدلجي الوائلي، وكان لاهتمامه بالأنساب ومجريات الأيام والتواريخ الدافع الرئيس وراء كتابة "ابن لعبون" في التاريخ، وقد ذكر ذلك بنفسه.

وقد تقلد حمد ابن لعبون عدة مناصب في الدولة السعودية منها: ولاية بيت مال سدير، وقد ذكر خالد بن محمد الفرج أن حمد بن لعبون تولى بيت المال في سدير للإمام سعود الكبير وابنه الإمام عبدالله ابن سعود، كما ذكر المؤرخ الفاخري أن حمد بن لعبون تولى الإمامة والخطابة في جامع التويم.

رحلاته وتنقلاته

تشير التراجم أن حمد بن لعبون لم يذكر سوى اليسير من تنقلاته ورحلاته المتعددة، ومنها خروجه مع معظم شخصيات ووجهاء بلدة الحرمة، فذهب معظمهم إلى الزبير، أما حمد بن لعبون، وعمه فراج بن ناصر بن لعبون، فقد ذهبا إلى بلد القصب، وفي عام ١١٩٤هـ أدى حمد بن لعبون فريضة الحج، ثم انتقل من بلدة القصب إلى بلدة ثادق، وذلك عام ١٢٠٥هـ الموافق ١٧٩٠م -وهي بلدة في المحمل عمرها آل عوسجة سنة ١٠٧٩م-، كما ذكر ذلك "ابن لعبون" نفسه في تاريخه، وفي تلك السنة ولد ابنه الشاعر المعروف محمد ابن لعبون، وفي عام ١٢٢٣هـ الموافق ١٨٠٨م أدى "ابن لعبون" حجته الثانية ثم واصل تنقلاته وارتحل من ثادق إلى حوطة سدير، أما عمه فراج وأولاده فقد عادوا إلى حرمة، وسكن حمد ابن لعبون في الحوطة، ثم بعد ذلك أقنعه الأمير فوزان بن حمد بن مفيز بالذهاب معه إلى التويم، فانتقل إليها واستقر بها عام ١٢٣٨هـ الموافق ١٨٢٢م، وعدها بلده وفيها توفي -رحمه الله- عام (١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م) على الأرجح.

ابن لعبون الشاعر

ما أن يذكر المؤرخ حمد بن لعبون إلا ويذكر ابنه الشاعر محمد الذي حمل اسم جده، ربما لأنه كان أكبر أبناء المؤرخ حمد، وقد ولد الشاعر محمد -كما ذكرنا- حين نزول والده في بلدة ثادق عام ١٢٠٥هـ -وقيل غير ذلك- وتوفي بالكويت عام ١٢٤٧هـ، وقد أرخ الأب وفاة ابنه وكتب عنه أنه في هذه السنة توفي ابننا محمد وذكر بعض صفاته -رحمهما الله-، ولا شك أن الابن استفاد أيما فائدة من ثقافة والده وعلمه ومكتبته، حيث عرف عن الشاعر محمد بن لعبون مقدرته على مجارات القصائد الفصحى ومحاكاتها، بل أنه تأثر بها واقتبس منها وأخذ من بعضها كما فعل في قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

سقى صوب الحيا مزن تهامي
على قبر بتلعات الحجازي

وقد أخذها من قصيدة باللغة العربية الفصحى للشاعر المدني ابن معصوم في قوله:

سقى صوب الحيا أرض الحجازي
وجاد مراتع الغيد الجوازي

وقول ابن معصوم في ذات القصيدة:

ليالي مشربي في الحب صفو
وثوب اللهو منقوش الطراز

وقول ابن لعبون:

ليالي مشربي صافي المداما
وثوب الغي منقوش الطراز

وهذا لا يقلل من هامة وقامة أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، بقدر ما يدل على سعة علمه واطلاعه وثقافته في الموروث الشعري العامي والفصيح وهذا نادر بين أبناء زمانه وجملة أقرانه من الشعراء، كما أنه يدلل على علو كعبه على من سبقه في العامية والفصحى، لاسيما وأنه أدخل أسلوب النظم "الزهيري" وكثيراً ما كان يستعرض مهاراته ومقدرته الشعرية ليثبت وبلا جدال مكانته كأمير لشعراء عصره، لاسيما وقد تنوع في أساليبه وقصائده، فتارة ينهج الطرق التقليدية في الشعر، وتارة يغرق في التعجيزات والبدائع الشعرية والتلاعب اللفظي ونظم "المهملات"، وهي القصائد الخالية من الحروف ذات النقط، كما كان شعراء العربية في حقبة -ما يسمى- عصر الانحطاط حيث ينظم الشاعر قصيدته كاملة من دون نقط، أو يلزمها البداية بأحرف اسم من الأسماء أو يخليها من حروف معينه أو يبدأ بها أبجدياً، وعرف عند الأدباء أن هذا النهج "لزوم مالا يلزم" غالباً ما يأتي على حساب المعنى وإيصال الفكرة، بيد أنه مع "ابن لعبون" لم يكن كذلك بل لقد أعطى "ابن لعبون" الشكل والمعنى نفس القوة، حتى بلغت به قدرته وموهبته الشعرية أنه كان يملي كاتبين في وقت واحد كل واحد منهم يكتب قصيدة منفصلة فإذا جمعت أصبحتا قصيدة واحدة.

تاريخ "ابن لعبون"

تميز تاريخ "ابن لعبون" بشموليته وتدوينه لأحداث تهم الأمة بشكل أعم، واتساع نطاق نقله للأحداث الذي لم يقتصر على منطقة نجد وما جاورها، بل شمل عدة مناطق خارجية، ولذا فقد لقب بشيخ المؤرخين النجديين وهو اللقب الذي لم يأت من فراغ إذا تبعه عدد من المؤرخين الذين نهلوا من معين علمه وفيض معلوماته، بل أن بعضهم نقل عنه نصا وحرفا دون الإشارة إليه، وهذا ما أثار استغراب عدد من المؤرخين والمحققين والباحثين، لاسيما وأنه رصد ووثق وقائع معاصرة لفترة حياته ولم يتطرق لها المؤرخون السابقون له ولا حتى معاصريه، ما جعل من تاريخه مرجعاً ومصدراً للمعلومات النادرة والغامضة، لا سيما وأنه مع توثيقه للأحداث والوقائع التاريخية كثيراً ما يربط التراجم بالأنساب.

واعتبر -عند كثير من المؤرخين- مؤرخ الدولة السعودية الحنفية، وذلك لمعاصرته الدولة السعودية الأولى والثانية، إضافة إلى أن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أمر بطباعة تاريخه الشهير على نفقته كأول مطبوع تاريخي تتولى الدولة طباعته، أما كتابه في الأنساب فقد نشرت مقدمته على أنها كتاب التاريخ وقام حمد الجاسر بتحقيق ما ذكره "ابن لعبون" حول نسب آل مدلج وبنو وائل ونشره في مجلة العرب، وبالتالي فإن "ابن لعبون" هو مؤرخ هذه الدولة وهو أول من أطلق عليها تسمية الدولة السعودية الحنفية، ويعزو المحققون في التاريخ أنه قصد نسبتها إلى وادي حنيفة، أو نسبتها إلى بني حنيفة أو نسبتها إلى الشرع الحنفي السمح.

نقلوا عنه

وتوصل الباحثون من مؤرخين ودارسين إلى نتائج مؤكدة لتاريخ ابن لعبون، واعتبروا تاريخه نقلة نوعية في توثيق تاريخ المنطقة بأسرها، من حيث المنهجية وأزمنة وجغرافيا الأحداث، ويعد المصدر الرئيس للمعاصرين، وتناقلوا عنه الأسلوب في الطرح، كما يعد عدد من الباحثين الشيخ حمد بن محمد بن لعبون بأنه "شيخ المؤرخين النجديين" ودللت الوثائق والمخطوطات أن المؤرخين أخذوا منه وتجاهلوا ذكره، وفي ذلك يقول إبراهيم بن عيسى في مجموعه المخطوط "أن تاريخ عثمان ابن بشر منقول من تاريخ "ابن لعبون" بل، هو بعينه أعطاه إياه زامل بن حمد ابن لعبون خفية من والده"، أما عبدالله بن عبدالرحمن البسام فقد وصف في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون" "تاريخ ابن لعبون"، مبيّناً أنه ألف تاريخا عن نجد يعد من أحسن التواريخ، ولا يزال مخطوطا، وأكثر ما فيه لم يذكره مؤرخو نجد".

ويستدل المؤرخون بأن ابن بشر كان ينقل من "ابن لعبون" من خلال كتابات "ابن لعبون" عن العلماء والأدباء والمؤرخين من خارج نجد، ويسجل لوفياتهم فيجدون أيضا ذكرهم عند ابن بشر، وعندما أخطأ "ابن لعبون" تبعه ابن بشر بنفس الخطأ فقد أرخ "ابن لعبون" لوفاة عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي صاحب التاريخ الموسوم "سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي" أخطأ حين ذكر أن وفاة العصامي كانت سنة ١١٠٨م، تبعه ابن بشر ليقع في نفس الخطأ، والصحيح أن وفاة العصامي كانت سنة ١١١١م، أما خالد الفرج فقد ذكر في كتابه "الخبر والعيان" عن المؤرخ عثمان بن بشر، وكتب على الهامش "أن أصل ما كتبه ابن بشر مذكرات كتبها معاصر للشيخ محمد بن عبدالوهاب اسمه حمد بن لعبون وهو والد الشاعر المشهور محمد بن لعبون وآلت هذه المذكرات إلى الشيخ بن بشر فرتبها وزادها وأوصل سنواتها إلى عصره".

كما أشاد الدكتور عبدالله بن إبراهيم العسكر -أستاذ التاريخ في جامعة الملك سعود- بتاريخ "ابن لعبون" المطبوع وقال عنه "إنه شيخ المؤرخين النجديين" بلا منازع فقد تميز بكونه مدرسة تاريخية ذات طابع محلي صرف، وتميز تاريخه بالصدق والدقة وحسن التعليل والتحليل والاختصار غير المخل"، مضيفاً أنّ تاريخ "ابن لعبون" نبع لا ينضب للمؤرخين من بعده، مبيّنًا أن المؤرخين المعاصرين لابن لعبون ومن جاء من بعدهم اعتمدوا على تاريخه بدرجات متفاوتة ولكن معظمهم لا يذكرونه ولا يشيرون إلى كتاباته!

مصدر رئيس

وأيد المؤرخ أحمد بن عبدالعزيز البسام أستاذ التاريخ في جامعة القصيم، ما ذكره المؤرخون من مكانة "ابن لعبون" التاريخية، معتبرا "ابن لعبون" أول مؤرخي الدولة السعودية، إضافة إلى اهتمامه بالأنساب وكتابة التاريخ الإسلامي ما يميزه عن المؤرخين النجديين السابقين له، كما استنتج المحقق عبدالله بن محمد المنيف من خلال تحقيقه لكتاب "سوابق عنوان المجد في تاريخ نجد" "أن ابن بشر اعتمد على منهجية ترسيمات "ابن لعبون" وتعرف على المصدر الرئيس لابن بشر فقال "تم في هذا العمل التعرف إلى المصدر الرئيسي الذي كان ينقل منه المؤلف "ابن بشر" ولم يذكره مباشرة وهو "تاريخ "ابن لعبون"، مبيّناً أن ابن بشر تابع "ابن لعبون" في كثير من المواضيع، فإن أخطأ "ابن لعبون" تابعه ابن بشر من غير تمحيص أو تصحيح.

وربط المنيف في استنتاجاته بين "ابن بشر" و"ابن لعبون" وعلاقتهما بتاريخ "ابن غنام" الذي اجتهد "ابن لعبون" كثيرا في تجريده من السمة الغالبة عليه وهي السجع الممل، وهناك من ذهب إلى أن ابن بشر هو من فعل ذلك والصحيح -كما يقول المنيف- أن "ابن لعبون" هو الذي جرد تاريخ ابن غنام، كما يؤكد المؤرخ الروسي المعروف "إليكسي فاسلييف" أن جميع المعاصرين لابن لعبون وأولهم ابن بشر ومن جاء من بعده من المؤرخين هو عالة على "ابن لعبون".. ولحيادية الطرح فقد ذهب المؤرخون لربط العلاقة الوثيقة لتاريخ ابن بشر بتاريخ "ابن لعبون" إلى ثلاثة آراء، منهم من صرح بذلك صراحة، وآخرون ألمحوا إلى ذلك تلميحا، وقسم ثالث استنتجوا ذلك استنتاجا بعد الإطلاع والدراسة والتدقيق.

شيخ مؤرخي نجد

ويوصف تحرير "ابن لعبون" للأحداث الخاصة بالدعوة ونشأة الدولة السعودية وغزواتها الأولى، بأنه تلقائي، وقد استفاد "ابن لعبون" من المؤرخين الذين سبقوه، مثل: تاريخ محمد بن عبدالله بن سلطان (ت١٠٩٩هـ) وتاريخ أحمد بن محمد المنقور(١٠٦٧-١١٢٥هـ) وتاريخ محمد بن ربيعة العوسجي (ت١١٥٨هـ) وتاريخ محمد بن حمد بن عباد (ت١١٧٥هـ) وأحمد بن محمد بن عبدالله البسام (ت ١٠٤٠هـ تقريباً)، وحسين بن غنام (١٢٢٥هـ الموافق ١٨١٠م)، وتميزت أساليب "ابن لعبون" في نقله للأحداث والوقائع عن من سبقوه من مؤرخي نجد فهو ملتزم منهج مأطر ومحدد، من حيث سرد الأحداث وفقاً للسنوات أو ما يسمى منهج الحوليات كما كان يفعل مؤرخون المسلمون كالطبري والمسعودي وابن كثير على أنه كان حريصاً على الاختصار وإيصال ونقل صلب الأحداث مع حرصه على التسلسل الزمني، وإن كان تميز عن غيره بندرة المفردات العامية في كتابته إلا أنه جمع في كتابه بين الفصحى والعامية، وهو كعادة المؤرخين الأوائل اهتم كثيرا بتغطية أخبار المجاعات والحروب والمعارك وذكر سنوات الوفاة للبارزين والأعيان، كما أولى بعض التراجم اهتماما موجزا وتتبع سنوات نزول المطر والأعوام التي انتشر فيها الجدب أو الأمراض المعدية كما اهتم بظهور وأفول الأنواء، ورخص الأسعار وارتفاعها، كما تميز تاريخه معلومات لا توجد في مصدر آخر معاصر له، بالإضافة إلى كتاباته التاريخية عن أحداث نجدية عاصرها أو سمع عنها، فقد شملت أيضا مناطق بعيدة عنه، كالحجاز والعراق والكويت وشرق الجزيرة العربية ومصر واستانبول بل إنه أسهب في نقل ما وصل له من أخبار غزو نابليون لمصر واحتلالها على الرغم من صعوبة وصول هذه الأخبار لمعاصريه في نجد أو حتى من جاء بعده.



بلدة التويم القديمة حيث تولى ابن لعبون الإمامة هناك



ابن لعبون ذهب إلى بلدة القصب عام ١١٩٤هـ



حوطة سدير قديماً حيث تولى ابن لعبون بيت المال هناك

شارك في معارك التوحيد والتأسيس وحظي بثقة ولاة الأمر

عبدالمنعم بن ناقي.. أمير القرين

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ عرف الشيخ عبدالمنعم بن ناقي السليمي بأنّه شيخ شمل ولد سليم من حرب، وأحد شيوخ قبيلة حرب التي تنتشر في فضاء الحجاز ونجد، ونظراً لما يتمتع به من مكانة بين عشيرته وأبناء قبيلته، فقد كان له دور مشهود ومذكور في عدد من معارك توحيد البلاد، لا سيما وقد عاصر معظم مراحل توحيد المملكة العربية السعودية، إذ كان من الأعيان والمعدودين والمشايخ البارزين في القرن الهجري المنصرم، حيث كانت مكاتباته ومراسلاته للملك عبدالعزيز تجد قبولاً واستجابة من الملك المؤسس، الذي كان يثق بالشيخ عبدالمنعم بن ناقي ويحرص على تلبية طلباته وعلى دعمه، خصوصاً وأنه من أولئك الذين خاضوا مع الملك المؤسس العديد من المعارك، كضم حائل عام ١٣٤٠هـ، وأبرق الرغامة التي قاد فيها ابنه متعب جيش جماعته، ومعركة السبلة التي حمل فيها ابنه عبدالله راية "ولد سليم" تحت قيادة الملك عبدالعزيز، (وواقعة الحرث وضم المدينة) ومهام أخرى في شمال وغرب ووسط المملكة حيث ينتشر أبناء قبيلته.

وكما يذكر التاريخ عن سفره وتنقلاته حيث انتقل من المدينة المنورة إلى شمال غرب نجد وبالتحديد في بلدة القرين التي هي إحدى مراكز منطقة القصيم وأكبر بلدة تتجمع بها قبيلة ولد سليم التي كانت ولا تزال إحدى بلدات نجد الشمالية التي يستشهد بها المؤرخون وببعض البلدات، والهجر كونها إحدى اللبنات الأولى لتوطين البادية، على الرغم من أنّ الشيخ عبدالمنعم بن ناقي كان يسكن وأبناؤه قرب حواضر المدينة المنورة، إلا أنّه ساهم بانتقاله إلى شمال غربي نجد في توطين بعض أبناء عمومته من خلال إعماره لهجرة القرين بدعم مباشر من الملك عبدالعزيز.

اشترى له المؤسس أرض «القرين» وشهد مرحلة بناء الدولة في ثلاثينيات القرن الماضي

بحث عن استقرار

يعدّ الشيخ عبدالمنعم بن ناقي السليمي الحربي -رحمه الله- من ولد سليم من حرب أحد أبرز شيوخ قبيلته، وهو شيخ شمل ولد سليم وكبير أسرته التي كانت تقطن المدينة المنورة، التي هاجرها بمعية أبنائه وبعض أبناء عمومته إلى بلدة دخنة جنوب مدينة الرس بمنطقة القصيم في حدود عام ١٣٣٨هـ، قبل أن يستقر به المقام في بلدة القرين التي اشتراها من الشيخ عبدالله بن بليهد، وقد ولد الشيخ عبدالمنعم بن ناقي قرب المدينة المنورة في حدود عام ١٢٦٩هـ، ثم رحل لبلدة دخنة الواقعة جنوب الرس، وكان يبحث عن مكان يستقر فيه مع أبنائه وجماعته، فوقع اختياره على أرض القرين، وكان يملكها الشيخ عبدالله بن بليهد هبة من الملك عبدالعزيز، ثم اشتراها عبدالمنعم بن ناقي من ابن بليهد في ٩/٥/١٣٤١هـ بموجب التذييل الموضح في وثيقة الإقطاع الذي أملاه الملك عبدالعزيز يثبت الشراء، ونص ذلك ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى من يراه، السلام، وبعد ذلك: أمضينا للشيخ عبدالله بن سليمان البليهد الأرض المسماة أرض القرين بين رياض الخبرا وبين الدليمية شمالي وادي الرمة من حد فوق قصور الجنبة من القرين إلى العقلة شمالاً ومن العبيل شرقاً إلى شفا الدليمية، أقطعناها إياه إقطاع تمليك ولا أحد من أهل البلدان عليها تعلق شيء من الأمور فأمرها منا إليه يكون معلوما.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، حرر ذلك (١,٢٤ سنة ١٣٣٩).

وقد ذيّلت الوثيقة بتصديق الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

إقطاع الإمام المذكور صحيح ثابت به الملك وعمارته وإحياؤه تقرر ذلك في الحكم الشرعي.

قاله وأملاه عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن وكتبه عن أمره صالح بن سليمان بن سحمان.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (١,٢٥ ١٣٣٩).

وورد في نص الوثيقة الأصلية مصادقة ومباركة الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- على بيع ابن بليهد للشيخ عبدالمنعم بن ناقي عام ١٣٤١هـ وكان الملك المؤسس هو من قام بشراء القرين للشيخ عبدالمنعم بن ناقي.

استراتيجية التوطين

وذكرت المراجع التاريخية أن بلدة القرين كانت ضمن الهجر المقرة لتوطين البادية، وفيها كل مقومات المعيشة، وكان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- هو الذي اشترى الملك المذكور من الشيخ عبدالله بن بليهد لعبدالمنعم بن ناقي ودفع الثمن بموجب وثيقة كتبها مطوّع القرين محمد بن عبدالعزيز بن محمد الهندي عام ١٣٤١هـ، جاء نصها على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عندي غازي بن صايل فشهد بالله على نطق عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، وأنه قال من جهة ملك القرين أنا ياعبدالعزيز قد اشتريت لعبدالمنعم بن ناقي ما ملك به ابن بليهد شريته بسبع عشرة مائة قبضهن الشيخ حاضر كتب شهادة غازي من نطقه محمد الهندي (٩/٥/١٣٤١).

وقصة شراء الشيخ عبدالمنعم بن ناقي لأرض القرين جاءت بعد أن كان الشيخ يبحث عن مكان يستقر فيه مع أبنائه وجماعته، فوقع اختياره على أرض القرين، وكان يملكها الشيخ عبدالله بن بليهد هبة من الملك عبدالعزيز، ثم اشتراها عبدالمنعم بن ناقي من ابن بليهد عام ٩/٥/١٣٤١هـ، بموجب التذييل الموضح في وثيقة الإقطاع الذي أملاه الملك عبدالعزيز يثبت الشراء، ومصادقة المؤسس في ذلك ذلك ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى من يراه بعد ذلك من قبل، هذا الذي أمضينا للشيخ ابن بليهد وكتب عليه الشيخ عبدالله فحنا ممضينه وبيع ابن بليهد على ابن ناقي بيع صحيح ما له معارض يكون معلوما ٤/ ٦/١٣٥٤هـ.

توافد العشيرة

وبعدما اشترى عبدالمنعم القرين نزله مع جماعته وأبنائه وصار رئيسا عليهم مدة وبعد ما استقر الشيخ عبدالمنعم بن ناقي بالقرين توافد عليه أبناء عشيرته من ولد سليم من حرب وبدأ يقطعهم الأراضي الزراعية والسكنية، ثم أناب عنه ابنه متعب رئيساً لجماعة القرين، وبقي فيهم أربعة أعوام ثم توفي في حدود عام ١٣٤٢هـ، وكان أخوه عبدالله بن عبدالمنعم آنذاك يسكن الخويلص في منطقة حائل فاستدعاه والده إلى القرين ليحل محل أخيه متعب، وبعد حضوره عيّنه والده رئيساً لأهل القرين لمدة سنتين ثم شارك في معركة السبلة عام ١٣٤٧هـ ضمن جيش الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه، وتوفي فيها -رحمه الله-، ويذكر أن الملك عبدالعزيز قال حين علم بوفاته: "حزنت على عبدالله لأنه رجل طاعة ودين"، وكانت مدة إمرته لجماعته تقدر بخمسة أعوام.

توطين البادية

وفي عام ١٣٤٩هـ عاد الشيخ عبدالمنعم بن ناقي لمنصبه أميراً لجماعته في القرين رغم كبر سنه وإلى عام ١٣٦٤هـ، حيث توفي الشيخ عبدالمنعم بن ناقي -رحمه الله- حينذاك صدر أمر إمارة القصيم بتعيين الشيخ ناقي بن عبدالمنعم الناقي أميراً للقرين وكان يوصل أصوات أبناء عشيرته ومطالبهم لولاة الأمر، وقام بإقطاع أبناء البوادي من عشيرته عملا باستراتيجية توطين البادية، لاسيما أولئك الذين كانوا يقصدون بلدة القرين للسكن وكان الشيخ ناقي يحظى بثقة ولاة الأمر لاسيما وأنه من أوائل من شاركوا هو وجماعته في مغزى ضباء، بل إن ابن عمه الشيخ عواد بن ضاحي الحويفي هو من نقل بشرى انتصار الجيش للملك عبدالعزيز على لسان ابن ناقي.



الشيخ ناقي السليمي



الشيخ موسى بن عبدالمنعم



الشيخ عيسى بن عبدالمنعم



الشيخ عبدالعزيز السليمي



الشيخ ضيف الله بن ناقي



بدر الحويفي

وكان الشيخ ناقي يحظى بالتقدير والطاعة من أبناء قبيلته وتزوج من عدة نساء من ضمنهن صاحبة السمو الأميرة موضي بنت عبدالمحسن بن مشاري بن جلوي آل سعود، وامتدت رئاسته للقرين بحدود (٣٦) عاما حيث توفي -رحمه الله- في ٤/٤ / ١٤٠٠هـ وهو رئيساً القرين، وبعد وفاته عين أخوه الشيخ موسى بن عبدالمنعم الذي وُلد عام الرغامة ١٣٤٤هـ رئيساً للقرين وبقي فيه لمدة ثمانية وعشرين عاماً، كان قبلها يعمل عمدة للبلدة، ثم مديراً لبريدها، وهو أول رئيس للبلدة بعد تشكيل نظام المناطق، حتى تقاعد وعين ابنه الشيخ عبدالمنعم بن موسى عام ١٤٢٨هـ بموافقة إمارة منطقة القصيم، وهو يشغل حالياً رئيس مركز القرين وما يزال كبار مشايخ هذه البلدة عيسى بن عبدالمنعم بن ناقي، والشيخ سعود بن عبدالله بن ناقي، والشيخ ضيف الله بن ناقي الناقي، وغيرهم من أبناء عمومتهم يتذكرون جيداً مغازي آبائهم مع الملك المؤسس -طيب الله ثراه- وحجم المصاعب التي واجهها في سبيل توحيد هذه البلاد.

بلدة القرين

تبعد بلدة القرين عن مدينة الرس (٢٠) كلم شمالاً، وعن مدينة رياض الخبراء (٢٠) كلم غرباً، ويحد القرين من الغرب شفاء الدليمية، ويمر بالبلدة الطريق المعبد المتجه من القصيم إلى المدينة المنورة، وهي تبعد عن بريدة (٩٠) كلم، وورد في كتاب (الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز) أنّ القرين معدودة ضمن الهجر التي أرادها الملك عبدالعزيز -رحمه الله- موطناً لأبناء البادية حتى يتسعان بهم في مرحلة التأسيس، وقد قامت الهجرة بداية على جهود الشيخ عبدالمنعم بن ناقي وأبنائه وجماعته، كان عبدالمنعم يتردد على علماء بريدة ويطلب منهم أن يوفدوا إلى القرين من يقوم بتعليم أبنائها وإرشادهم وإمامتهم في الصلاة، ثم ذُكر له المطوّع محمد بن عبدالعزيز الهندي في حائل، فأرسل إليه ابن عمه الشيخ عواد بن ضاحي الحويفي، وطلب منه أن ينتقل إلى القرين من أجل إمامة مسجدها وتعليم أبنائها فوافق على ذلك، ومنذ ذلك الحين وهو يعمل إماما فيها ومعلماً لأبنائها ومرشداً لهم حتى توفي -رحمه الله- في الستينيات الهجرية.

تحفيظ القرآن

وكان الشيخ محمد بن عبدالعزيز الهندي شيخاً عالماً ومربياً فاضلاً قدم جدة من بلاد الهند لأداء فريضة الحج واستقر في الحجاز وظل يتنقل بين المدن والهجر يعلم الناس ويدرسهم كتاب الله وأصول العقيدة والفقه وكان الرجال والشباب والأطفال يجتمعون حوله يقرأ لهم كتاب الله، فيحفظونه، ويقص عليهم قصص الأنبياء والرسل، وكذا كانت زوجته وبناته يعلمن النساء والفتيات حتى فتح الله على يديه وأبنائه وبناته باباً واسعاً من الأجر، حيث تعليم أبناء القرين رجالهم ونساؤهم القراءة والكتابة، وقبل ذلك حفظوا من كتاب الله ما يتيسر لهم.

أما المؤذن حينها فكان حمود بن فواز الحربي وهو ممن عاصروا قيام هجرة القرين مع الشيخ عبدالمنعم بن ناقي، وكان عدد الذين هاجروا من دخنة إلى القرين معه قرابة عشرة أشخاص، هم: أبناؤه متعب وعبدالله وناقي وصلاح، إضافة إلى عواد بن ضاحي الحويفي، وغازي بن صائل الحربي، وعواد بن مشفي بن هايس السليمي، وزيدان بن إبراهيم السليمي، وصلاح بن خضير، وزيد بن إبراهيم، وغيرهم من جماعة الشيخ عبدالمنعم، واستمر أهل القرين في الزراعة وإصلاح الأراضي، إلى أن عمرت وأصبحت اليوم مركزاً إدارياً من فئة (أ) مرتبطاً إدارياً بإمارة منطقة القصيم.

مندوب الملك

كان الشيخ عواد بن ضاحي الحويفي متكفلاً بإيصال صوت جماعته للمسؤولين آنذاك وعلى رأسهم الملك عبدالعزيز، وكان الشيخ عبدالمنعم يثق بقدراته على إنجاز مهام جماعته بالوقت المناسب، فكان كثيراً ما يرفع الشيخ ابن ناقي للملك عبدالعزيز ببعض المطالب التي تخص القرين، حيث يجتمع الأهالي ليحددوا مطالبهم واحتياجاتهم ليتكفل عواد بن ضاحي بالذهاب بها للملك، وعواد بن ضاحي هو والد الشاعر المشهور بدر الحويفي، وكان الشيخ ابن ناقي حين يريد أن يكتب خطابا للملك المؤسس يطلب عواد الحويفي ويقول:

عواد مد القلم مده
مد القلم يا ولد ضاحي

وعواد بن ضاحي هو صاحب البيت الشهير الذي يضرب به المثل في الكرم، وذلك حين نزل بجبل ثلبوت واستنكر قلة الضيوف و"الطرقية"، حيث كان يضع واجهة منازله تجاه القبلة رغبة منه باستضافة زوار البيت العتيق والحرم المدني، ولما لم ينزل به أحد في قاع جبل ثلبوت قال قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

في قاعة الثلبوت بيتي لحالي
أدق نجري ما يجيني مسايير

أما زيدان بن إبراهيم فهو والد عبدالعزيز بن زيدان المعروف بـ"عزيز البدوي" الذي عرف أنّه من أوائل التجار الذين ادخلوا مهنة صيانة السيارات لمدينة الرياض، وكان "عزيز البدوي" محل ثقة الأمراء ورجال الأعمال بمدينة الرياض الذين يرسلون سيارات الـ"كاديلاك" والـ"مرسيدس" له، حيث كانت ورشته من نوادر الورش في العاصمة، وكان لعبدالعزيز الزيدان رحلات وتنقلات وقصص لم يروها لنا الباحثون في التاريخ الاجتماعية إبان منتصف القرن الهجري المنصرم، كما أنّه رافق الملك المؤسس في عدد من رحلاته للحج والعمرة، وهو الذي نزل مدينة سكاكا في متقبل عمره فكتبت له والدته مشتاقة له:

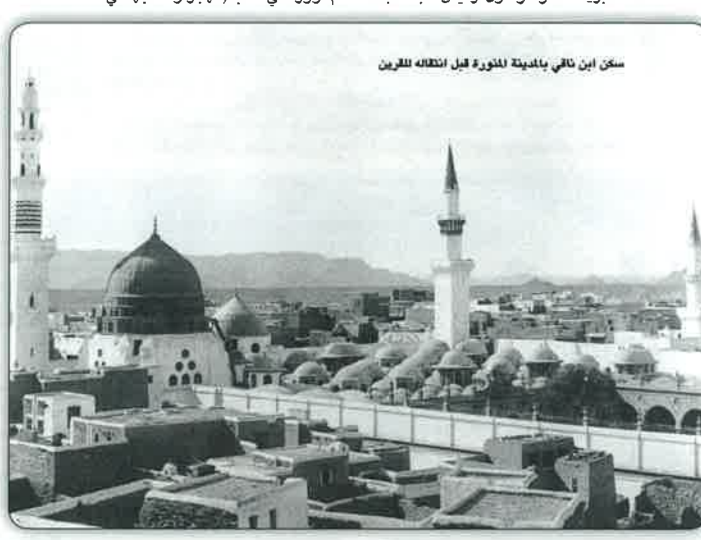
يا راكب اللي تنسف الكور وتغير
وتجيب لي رد الخبر من سكاكا

ملاحم التوحيد

لم تكن مشاركة أهل القرين في ملاحم توحيد البلاد مقتصرة على ما ذكرناه من معارك الملك المؤسس -طيب الله ثراه-، بل شاركوه مرحلة التأسيس ففي حرب أبرق الرغامة عام ١٣٤٣هـ، قاد الشيخ متعب بن عبدالمنعم بن ناقي جيش جماعته، في حين كان والده الشيخ عبدالمنعم بن ناقي يقود جيش أبناء عشيرته ومعه جماعة من ولد سليم عام ١٣٤٠هـ حين ضم مدينة حائل، وفي السبلة حمل عبدالله بن ناقي عام ١٣٤٧هـ راية جماعته، أما في موقعة الحرث فقادهم فيها الشيخ متعب بن عبدالمنعم بن ناقي وهي التي تسمى غزوة الشمال الأولى ١٣٤٠هـ، كما شارك الشيخ عبدالمنعم بوفد الرياض عام ١٣٤٧هـ ومعه جماعته من ولد سليم.

وفاته

توفي الشيخ عبدالمنعم بن ناقي -رحمه الله- بعد أن أدرك جميع معارك التأسيس بل إنه شهد أيضا مرحلة البناء والإعمار التي بدأت منذ ثلاثينيات القرن الهجري المنصرم، بيد أنها تشكلت بصورة أوضح بعد توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ، وكانت وفاته في العاصمة الرياض عام ١٣٦٤هـ، وعمره حينها قارب (٩٥) عاما -رحمه الله- رحمة واسعة.



سكن ابن ناقي بالمدينة المنورة قبل انتقاله للقرين



ساهم ابن ناقي وأبناؤه في حملات توحيد البلاد



تحولت القرين إلى هجرة بعد أن سكنها الشيخ ابن ناقي

ألقى خطاباً بين يدي الملك عبدالعزيز وناضل في سبيل نشر التوحيد والعقيدة

أبوبكر خوقير.. رائد العلم والدعوة

■ الشيخ أبوبكر خوقير -رحمه الله- قامة علمية جليلة، لم تكن تأخذه في الحق لومة لائم، وكان رابط الجأش قوي العزيمة، نافذ البصيرة بما حباه الله من علم وحكمة، ولا غرابة إذا ما علمنا أن الشيخ أبوبكر ينحدر من أسرة ذات علم ووجاهة، ومكانة في البلد الحرام، سافر إلى الهند وجلب أثمن كتب السلف ونشرها في مكة المكرمة، التي عرف عن علمائها الأفذاذ تنوع مشاربهم ودراساتهم الفقهية في إطار المذاهب السنية الأربعة، إذ قلما تجد عالماً أو قاضياً أو مفتياً لم يطيل الجلوس في طلب العلم عند هؤلاء الرواد، الذين لطالما كان لهم قدم السبق في وأد البدع والمذاهب المنحرفة حتى فتح الله على يدي علماء مكة المكرمة باباً واسعاً لنشر مذهب أهل السنة والجماعة في كل أرجاء المعمورة، ولم يكن الشيخ أبوبكر خوقير إلاّ واحداً من هؤلاء العلماء الرواد الذين جاهدوا وناضلوا من خلال رحلاتهم ومؤلفاتهم لينشروا مصابيح العلم الشرعي، فيعلموا الناس العلوم الشرعية من ينابيع صافية عذبة، ويجتهدوا فيما فيه خلاف بين العلماء من مبدأ «سددوا وقاربوا».

نشأ الشيخ أبوبكر خوقير نشأة علمية واشتغل بطلب العلم منذ الصغر، وكان شغوفاً بقراءة كتب الحديث وأئمة العقيدة السلفية، وساعده في ذلك بيئته ومحيطه الأسري والاجتماعي، لاسيما أنه في بلد الله الحرام، حيث يكثر العلماء ويتوافدون من مختلف الأقطار، فسهلت له الظروف الإقبال على طلب العلم بعد توفيق الله.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أسس مكتبة في باب السلام بمكة وعُيّن مدرساً بالحرم وسخّر مكانته العلمية ومؤلفاته لخدمة الدين

دراسة العقيدة

درس أبوبكر خوقير وتعلم وتنقل وارتحل وألف مجموعة من كتب العقيدة، بعد أن درسها على يد علماء البيت الحرام، وكانت دعواه إلى التوحيد وتصحيح العقيدة الإسلامية هدفه ومبتغاه الأسمى، فحارب مع أقرانه من علماء مكة المكرمة كافة أنواع البدع، لاسيما تلك التي كانت رائجة بين بعض وفود الحج سنويا، وذلك من خلال دعوتهم الصريحة إلى توحيد الربوبية والألوهية، وكان للشيخ أبوبكر خوقير مكتبة خاصة بمنزله كما جرت العادة عند علماء مكة المكرمة، وكان رحمه الله يعمل مدرساً في المسجد الحرام، تحدث عنه الكثير من المؤرخين وأشادوا بمكانته العلمية وجهاده في سبيل تنقية العلوم الشرعية من بعض ما علق فيها ومراجعتها وتدقيقها، حيث قدم علماء مكة المكرمة -عليهم رحمة الله- جهوداً مضنية ومضاعفة في هذا الباب.

طلب العلم

كان الشيخ الجليل أبوبكر بن محمد عارف بن عبدالقادر بن محمد علي خوقير، من بيت اشتهر بالعلم والمكانة الاجتماعية في مكة المكرمة، والده هو الإمام بالمقام الحنفي الشيخ محمد عارف، وجدّه العلامة الكبير الشيخ عبدالقادر بن الشيخ محمد علي خوقير، وولد الشيخ أبوبكر خوقير بمكة المكرمة عام ١٢٨٤هـ، وهناك روايات أخرى بأن مولده كان ١٢٨٢هـ ونشأ نشأة علمية واشتغل بطلبه للعلم منذ صغر سنه، وكان شغوفاً بقراءة كتب الحديث وأئمة العقيدة السلفية، ساعده على ذلك بيئته ومحيطه الأسري والاجتماعي، لاسيما أنه في بلد الله الحرام، حيث يكثر العلماء ويتوافدون من مختلف الأقطار، فسهلت له الظروف الإقبال على طلب العلم بعد توفيق الله، كما أن الشيخ أبوبكر لم يكتف بمن لاقى من العلماء بمكة المكرمة، على علو مكانهم بل ارتحل في طلب العلم، وأخذ عن كثير من العلماء الأجلاء خارجها، وعكف على كتب السلف وشغف بالاستفادة منها وإدامة النظر فيها فجمع وحصل واستفاد ونفع الله بعلمه الكثير من العباد.

وقال عنه الشيخ عبدالستار الدهلوي -رحمه الله-: "وقرأ القرآن وجوده واشتغل بطلب العلم حتى أدرك كبار أهل عصره من أهل بلده، وارتحل إلى البلدان الشاسعة وأخذ عن أفاضلها"، وتمعن الشيخ أبوبكر خوقير وقرأ مؤلفات علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة وقابل علماء العراق والشام ومصر والهند، وقرأ كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب واشتغل في مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام.

مكانته الأسرية

أسرة خوقير من البيوت الشهيرة بمكة المكرمة، حيث عرفت بالوجاهة والثراء، وجاء في كتاب (الرحلة الحجازية) أن بيت خوقير من البيوت التي توطنت مكة منذ زمن بعيد، وأوضح زكريا بيلا في ترجمته للشيخ عبدالقادر خوقير مدى حرص أبناء هذه الأسرة على طلب العلم الشرعي وفقا لمقتضى سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقد قال بيلا يصف العلامة عبدالقادر خوقير -جد الشيخ أبوبكر- ما نصه: "الشيخ عبدالقادر بن محمد علي خوقير -جد أبي بكر خوقير- ولد بمكة وطلب العلوم على يد علمائها الكرام ودرس في المسجد الحرام، وتوفي باسطنبول سنة ١٣٠٤ هـ، وسبب مبارحته لمكة هو أنه كان يجاهر بالنصيحة ولا يبالي بذوي المناصب الرفيعة، كما أنه ورد ذكر الشيخ عبدالقادر خوقير ضمن خطباء ومفتي المقام الحنفي المكي لعام ١٣٠٣هـ.

رحلاته العلمية

ويذكر أن الشيخ أبوبكر خوقير سافر إلى الهند، وكان يجلب كتب السلف المطبوعة وينشرها في مكة المكرمة، حتى يطلع عليها طلبة العلم، إضافة إلى ذلك التقى علماء الهند فنهل منهم واستقى من علمهم، فعلم وتعلم وكان محل ثقة لديهم، لاسيما وهو قادم من جوار بيت الله العتيق، حيث مجمع العلم والعلماء، كما كانت له رحلات إلى مصر حيث التقى ببعض علمائها وأخذ عن بعض مشائخها.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله-: "وكان -رحمه الله- قد اعتاد الاتجار بالكتب منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف، وكان يدعو للشريف عون بالرحمة لإلجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم فكان يسافر إلى الهند يحمل إليها من مطبوعات مصر ومكة ويعود منها ببعض مطبوعاتها".

وقد روى الشيخ أبوبكر خوقير عن مشائخ معروفين مشهورين بعلو الإسناد منهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني، والقاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى، والشيخ محمد الأنصاري، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الهاشمي الجعفري الهندي، وأحمد دحلان، والشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة، كما درس على جده عبدالقادر خوقير وأخذ عن عدد من العلماء الذين يفدون إلى مكة المكرمة.



إقبال العلماء على بيت الله الحرام ساعده على التزود بالعلم



الشيخ أبوبكر خوقير ألقى خطاباً أمام الملك عبدالعزيز عام ١٤٤٣هـ



اشتهرت أسرة خوقير في مكة المكرمة بطلب العلم الشرعي

جهوده الدعوية

عُرف عن الشيخ أبوبكر خوقير -رحمه الله- حرصه على نشر التوحيد والعقيدة السليمة فعمل على شرح علوم توحيد الربوبية، وكذلك شرع يبين ويوضح للناس توحيد الألوهية، وبيان عبادة الله التي شرعها للناس كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة، وكان رحمه الله شديد الإنكار على الذين يشدون الرحال للأولياء ويقدمون النذور لهم ويتمسحون بالمقابر، ونهج الشيخ أبوبكر خوقير نهج العلماء مذكراً بالله في قوله وعمله وسمته، وقد قال زكريا بيلا في ترجمته للشيخ: "إني رأيته يرتدي جبة وعمامة كعلماء زمانه يدرس عند باب المحكمة جلست عندها استمع إليه"، ويذكر أنه يوصي بقراءة صحيح البخاري ويقول: "إني قرأت البخاري وعرفت شرح الحديث بعضه ببعض، كما استفدت من مسند إمامنا أحمد بن حنبل وروايته مع مراجعة الغريب وضبط اللفظ، ويقول لطلابه أنه يكفي الطالب المبتدئ بلوغ المرام وعمدة الأحكام، وللطالب المنتهي المشكاة والمنتقى فإنهما جمعا ما في الكتب الصحاح مع بيان الصحيح من السقيم، وأسهب في توضيح الصفات والإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث بما وصف الله به نفسه من صفات على حقيقتها دون التعرض لها بشيء من التكييف والتمثيل والتشبيه والتأويل والتحريف والتعطيل، كما كان مهتماً بتفسير كتاب الله، عالما بمعانيه وممن أخذ منهم هذا العلم الجليل الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة -رحمه الله-، وقد قرأ الشيخ أبوبكر خوقير على مشايخه في فنون عده فمن ذلك قراءته على الشيخ القاضي أحمد ابن عيسى -رحمه الله-، وكذلك قرأ على جده الشيخ عبدالقادر خوقير.



كتاب ثبت الاثبات الشهيرة

كتب ومؤلفات

ومن مؤلفات الشيخ كتاب (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال)، طبع بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٣هـ ويقع في ٧٢ صفحة، وكتاب (مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف)، طبع في شركة نوابغ الفكر، وكتاب (ما لابد منه في أمور الدين على طريقة السلف الصالح ومذهب الإمام أحمد بن حنبل في العقائد) وطبع في مطبعة التمدن في القاهرة بمصر سنة ١٣٣٢هـ يقع في ١١٨ صفحة، وكتاب (مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل) طبع بالمطبعة المنيرية بدمشق سنة ١٣٤٩هـ يقع في ٤٠ صفحة، وكذلك كتاب (تحرير الكلام عن سؤال الهندي في صفة الكلام) ويوجد في مكتبة جامعة الرياض مخطوطا بقلم المؤلف فرغ منه عام ١٣٣٧هـ، إضافة إلى كتاب (التحقيق فيما ينسب لأهل الطريق) يوجد في مكتبة جامعة الرياض بقلم المؤلف سنة ١٣٣٤هـ، وذلك وفقا لما ذكره المؤرخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، إلى جانب كتاب (ثبت الإثبات الشهيرة).

مكانة علمية

ويذكر الزركلي في الأعلام أن الشيخ أبوبكر خوقير فقيه حنبلي، من أهل مكة، مولداً وسكنا ووفاة، وعين مفتيا للحنابلة سنة ١٣٢٧، واشتغل بالاتجار في الكتب، فأسس مكتبة له في باب السلام بمكة، وفي ذات السياق فقد قال الشيخ محمد رشيد رضا في ترجمته للشيخ أبوبكر خوقير: "وقد جلست إليه في مكتبته في باب السلام غير مرة وكان مهذبا رقيق الطبع حسن المعاشرة على شدته في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، حتى أن مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة ونكت أدبية وتاريخية"، كما عُيّن مدرساً بالحرم المكي في العهد السعودي، واستمر إلى أن توفي رحمه الله، كما ترجم له أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي، ووصف الشيخ أبوبكر خوقير بقوله: "إنه عالم فاضل ومدرس الحرم المكي نادرة العصر وأعجوبة الدهر بلا حصر"، ومشيراً إلى أنه حفظه لكتاب الله تعالى واشتغل بطلب العلم، وسطع نوره فأتقن ثم درس بالمسجد الحرام المكي فنفع الخلائق، وعرف بفضله الكامل اللائق ومع ذلك مشتغل بالأسباب كما هو شأن السلف الأنجاب مع الجد والاجتهاد، فهو في مصالح المسلمين دائماً.

وعن مكانته العلمية قال عنه الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمي: "رحم الله الشيخ أبوبكر خوقير، حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده وأوذي في ذات الله فما ضعف وما استكان والله يحب الصابرين"، وقال عنه الشيخ عثمان القاضي: "كان في علم الحديث وكان من أخص زملائنا في مكة وله شهرة وصيت ذائع رحمه الله"، وذكره الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ عبدالستار الدهلوي والشيخ منير الدمشقي والشيخ محمد نصيف والشيخ عبدالرحمن آل الشيخ -رحمهم الله- وتحدثوا عن مكانته العلمية وإنجازاته الكبيرة، لخدمة الدين والعقيدة السلفية الصحيحة.

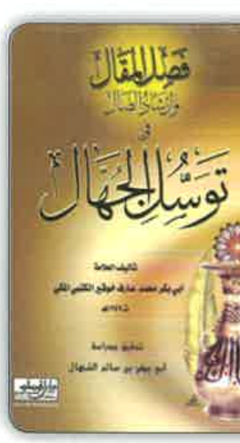
خطاباته ووفاته

ألقى الشيخ أبوبكر خوقير خطابا بين يدي الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- بحضور أعيان ووجهاء البلد كما ذكرت جريدة أم القرى في عددها ٦٢ بتاريخ ١٣٤٣/٨/٢٠هـ، كما ألقى خطاباً عام ١٣٣٠هـ، خلال حفل المدرسة الصولتية الذي يقام نهاية كل عام دراسي يجتمع فيه أهل العلم من منسوبي المدرسة بغيرهم بهدف النهوض بالمستوى التعليمي للمدرسة.

وتوفي الشيخ أبوبكر خوقير -رحمه الله- بالطائف عام ١٣٤٩هـ وكانت بعض المصادر أكثر دقة، فذكرت أن وفاته وافق يوم الجمعة غرة ربيع الأول، عن عمر يناهز السابعة والستين إثر إصابته بإحدى الأمراض الباطنية بعد رحلة طويلة مع العلم والتدريس والتعلم، رحم الله الشيخ العلامة المكي أبوبكر خوقير رحمة واسعة.



أسّس خوقير مكتبة لنشر الكتب الدعوية



كتاب فصل المقال وإرشاد الضال



طبع عدداً من كتبه في مصر

سلّمه الملك عبدالعزيز قيادة أركان الجيش السعودي وعيّنه مديراً للعمليات الحربية

محمد الأفريقي.. قائد سريّة الإنقاذ

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

إعداد - منصور العساف

■ «النمر الأسود» و«الزعيم الأفريقي» و«البطل الجسور» ألقاب وكنى ومسميات أطلقت على ذلك المناضل الذي عرف بـ«طارق الأفريقي»، والذي لم يخلف من الأبناء سوى ابنته الوحيدة «نعمات» عاشت وتزوجت في المملكة وهي امرأة فاضلة حفظت للمؤرخين وللتاريخ جزءاً كبيراً من حياة والدها المناضل، وهي التي طالما كتبت وتحدثت وفاخرت بأبيها الذي جاب العالم العربي والإسلامي في رحلاته النضالية ضد القوات المحتلة سواء دول المحور أو الحلفاء في الحرب العالمية، كما ساهم من خلال قراءاته المتعددة واطلاعه الواسع وخبرته العريضة بتزويد المكتبة العربية ببعض الكتب والمقالات والكتابات، التي أثرت العلم والمعرفة في المكتبة العربية والعالمية، حيث صاغ مذكراته وبعض آرائه وتوجهاته، لا شك أن كاتبها ومعدها رجل خاض التجربة وخالط الشعوب المختلفة وتحدث بلغات متعددة، وكان حريصاً أشد الحرص على النهوض بالقطاعات العسكرية وتطويرها في كافة البلدان الإسلامية والعربية، لم لا وقد شاهد هذا المناضل الكبير تكالب الدول الكبرى إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، على البلدان العربية التي كان للزعيم «طارق الأفريقي» وزملائه قدم السبق في مواجهتها والوقوف أمام أطماعها التي نتج عنها تحرير معظم البلدان العربية من وطأة الاحتلال الأجنبي.

عمل مع المؤسس في قصر شبرا وكرّس خبراته لتنظيم الجيش وتدريب الألوية العسكرية

رحلة البداية

محمد عبدالقادر الأفريقي أو النيجيري الملقب بـ"طارق الأفريقي" أو "النمر الأسود" سمي بالنيجيري لأن أمه نيجيرية، أما والده فهو ليبي الأصل والمنشأ، ولد في نيجيريا عند أخواله الذين كان متعلقاً بهم، وكانوا يرعونه في غياب والده لكنه عاش في ليبيا ودرس فيها الابتدائية، ثم أكمل دراساته في كل من سورية وتركيا وألمانيا وعاش مع والده ووالدته لحين توفي الأب وهو في طريقه للحج وكان بصحبة ابنيه طارق وأخيه وبعد وفاة الأب أكمل ابناه طريقهما لأداء المناسك وهناك تعرفا على أحد "البشوات" إبان الدولة العثمانية وقد أعجب بهما وطلب منهما أن يلحقاه إلى إسطنبول، وفعلاً وافق الاثنان وارتحلا معه إلى تركيا وهناك سلك وأخوه مسارهما في التعليم بالمدارس التركية والتحقا بكلية الحرب وتخرجا فيها، حينذاك قرر الذهاب إلى سورية وكان العالم حينها يعيش أحداث الحرب العالمية الأولى وبقي أخوه في تركيا وتزوج من امرأة تركية.

أما طارق فانتقل إلى سورية والتحق مع وهيب باشا بإحدى القطاعات العسكرية التي حصل بعدها على الجنسية السورية وهناك واصل نضاله العسكري وتحصيله العلمي فكتبت عنه الصحف العربية لاسيما صحيفة "الأيام" الدمشقية وكذلك الصحف الغربية المناوئة لإيطاليا والحلفاء وارتقت به المراتب، وكانت المنطقة تمر بمطامع استعمارية من قبل عدد من الدول ولذا فقد خاض طارق وزملاؤه العديد من المعارك وجاهد وقاتل في عدة ميادين وبعد أن خرجت القوات المحتلة ظل "الأفريقي" ورملاؤه المحاربون القدماء يتابعون أوضاع الأمة ويقدمون خدماتهم الاستشارية الصادقة لقادة البلدان العربية وفعلاً كانت المنطقة تمر بمرحلة متقدمة من الشعور والتلاحم الإسلامي والقومي.

ثقافة واسعة

كان "الأفريقي" عسكرياً محنكاً وضابطاً واسع الثقافة والاطلاع وكان يجيد بجانب اللغة العربية أكثر من أربع لغات "التركية والألمانية والفرنسية" ولغة أخواله "الهوساوية"، كان يقرأ بنهم ويتابع المستجدات في العالم العربي لاسيما السياسية منها والاجتماعية، كما كان يحفظ القصائد والأشعار والملح والنوادر، وكان رجل علم ومعرفه عرف بحدة ذكائه وسرعة فهمه، كما وصف بحرصه على قراءة الكتب الدينية والأدبية ونظراً لكونه يجيد أكثر من أربع لغات فقد كان ملماً بكثير من عادات وتقاليد الشعوب الأخرى ويعرف عنه التزامه بقراءة القرآن العظيم وكتب السلف بل انه كان من المتحمسين لإقامة ونشر تعاليم السنة النبوية، وكان أميناً صدوقاً نزيها تثبت سيرته المروية والمنقولة عن لسان صحبه وزملائه صدق نواياه وحسن سريرته ولا أدل على ذلك إلا قصة عودته بالأموال الطائلة التي زودته بها الدولة العثمانية لإيصالها لجبهة القتال في ليبيا ضد القوات المحتلة، وحيث انتهت الحرب قبل وصول الزعيم طارق اضطر هذا الأخير إلى العودة من مصر إلى اسطنبول لتسليم المبالغ التي بحوزته ومواصلة الجهاد ضد القوات الغازية.

منهج السلف

وجد الزعيم "طارق الأفريقي" إبان إقامته بالحجاز وقبلها في سورية فرصة لنشر بعض مقالاته وكتبه التي تدافع عن منهج السلف وتنقية المجتمعات الإسلامية من بعض الصور والعادات التي لا أصل لها في الدين الإسلامي، ولعل من أهم كتبه كتاب "المبتدعات في الدين" وكتاب "الحرب في الحبشة" وكتاب "الدولة السعودية في الجزيرة العربية" وكتاب "الحرب في فلسطين"، وربما أنه نحى فيها منحى المذكرات أو المشاهدات التي عايشها، مع العلم أن له كتابات ومقالات نشرت في عدة صحف كذلك كانت له كتابات مدونة ومتناثرة بيد أنها للأسف لا زالت مفقودة وكان على الرغم من جديته وانضباطه في العمل صاحب نكتة وطرافة، ووصف بأنه خفيف الظل أنيساً مؤنساً في مجلسه وصحبته، وهو بهيئته وصورته رجل ممشوق القوام جبر العظام طويل القامة مهيباً في قوامه مهذب في حديثه وكلامه.

الجيش السعودي

ذاع صيت "الأفريقي" في مواطن العرب ووافق ذلك أن الملك عبدالعزيز كان يبحث عن بعض العساكر المدربين والمهيئين لإعادة إنشاء وتكوين الجيش السعودي وفق المدارس والمراسم العسكرية الحديثة وقد بحث -طيب الله ثراه- عن عسكري محنك ذي خبرة عريضة لإنشاء وتدريب وقيادة هذا الجيش، فكان أن أشار عليه البشير السعداوي -وكان عند الملك عبدالعزيز- بالزعيم طارق الأفريقي وكانت الألوية العسكرية السعودية بقيادة عدد من الفرقاء والجنرالات كسعيد كردي وسعيد جودة وإبراهيم الطاسان وغيرهم من الرعيل الأول في قيادات الجيش السعودي، ومع قدوم الزعيم طارق تسلم قيادة أركان حرب الجيش السعودي كما ذكر عبدالله بلخير في مذكراته التي أعدها الدكتور خالد باطرفي.

وقال المؤرخ عبدالرحمن الرويشد عن بدايات الجيش السعودي ان الملك عبدالعزيز وكل -في بداية الأمر- "قائدا يعرفه حق المعرفة هو صديقه سليمان شفيق باشا أحد الضباط الذين تولوا ولاية عسير في العهد العثماني وكان القائد سليمان شفيق باشا قد استبقاه الملك عبدالعزيز في الحجاز، وطالبه بتكوين الدفعة الأولى من الجيش السعودي، غير أن الشيخوخة قد أدركت الجنرال وتقدمت به السن فتنحى عن العمل واعتذر من صديقه الملك عبدالعزيز عن المواصلة، فما كان من الملك عبدالعزيز إلا أن كتب إلى صديقه الزعيم السوري الوطني الرئيس شكري القوتلي قبل أن يتولى منصب الرئاسة يستشيره في أن يستقدم القائد طارق الأفريقي لأداء مهمة تأسيس رئاسة أركان الحرب في الجيش الذي يزمع إنشاءه، فأطراه شكري القوتلي، كما أشار إلى استقامة الرجل وشخصيته العسكرية البارزة وأشار إلى جهاده وخوضه غمار الحروب، وقدم ذلك القائد إلى المملكة، وتولى تدريب الألوية العسكرية وتسلم رئاسة أركان حرب الجيش.. فكان له أثره الذي لا ينسى في تاريخ تطور الجيش السعودي من حيث إعادة فتح المدارس العسكرية وسن النظم والرتب العسكرية.

وأضاف الرويشد أن الملك عبدالعزيز "بدأ في تأسيس هذا الجيش بتشكيل عسكري بسيط ربطه بقائد الأمن العام عبدالعزيز بغدادي، ثم استقدم بعض الضباط من أقاليم عربية أخرى مثل العقيد محمد مراد الاختياري الذي وضع أسس التشكيلات العسكرية الإدارية، كما استقدم نبيه العظمة من سورية فاستمر في إدخال التحسينات الممكنة في قطاعات الجيش يساعده القائد الشهيد فوزي القاوقجي، تم كل ذلك قبيل سنة ١٣٥٨هـ وهو العام الذي استقدم فيه الزعيم طارق الأفريقي وعين في رئاسة أركان الحرب".



محمد الأفريقي



الأفريقي الملقب بالزعيم بالزيّ العسكري



حضرة الهمام المحترم السيد محمد طارق الأفريقي

خطاب تعيين الأفريقي رئيساً لأركان حرب الجيش العربي السعودي

مدير العمليات

وتحكي "نعمات" -الابنة الوحيدة للقائد طارق الأفريقي- عن رحلة والدها للمملكة وتقول "قرر الملك عبدالعزيز أن يأتي بطارق وكان لوحده لم أكن أنا ووالدتي معه، كان أول مكان يصل إليه هو مكة المكرمة حيث كان موقع الجيش، وطلب منه الملك أن ينظم الجيش وأن ينقله من مكة إلى الطائف بحكم مساحة المنطقة وقربها من مكة وكان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- قد رأى فيه شخصا جديرا بالاحترام والتقدير وحبه للعمل وقربه إليه ولكن حصل بينه وبين بعض من يعملون معه اختلافات في وجهات النظر فقرر طارق ترك العمل والعودة إلى سورية إلى مقر عمله الأصلي بعد أن أمضى ما يقارب خمس سنوات في المملكة وعاد طارق إلى سورية وشارك في الحرب ضد اليهود وقاد "سرية الإنقاذ" التي ضربت وقتل جميع أفرادها ماعدا القائد طارق وسائقه الخاص عاد بعدها إلى سورية وواصل جهاده وبعد مدة زار الأمير مشعل -وزير الدفاع حينذاك- سورية فعلم طارق بقدومه وذهب لزيارته وهناك طلب منه الأمير العودة للمملكة وفعلاً رحب الزعيم طارق بذلك ومع عودته تم تعيينه مديراً للعمليات الحربية وكان يداوم في قصر شبرا مع الملك عبدالعزيز بالطائف، كما تقول ابنته نعمات.



أحد مؤلفات الأفريقي عن الحرب الحبشية الإيطالية

مرضه وتقاعده

بقي مقرباً من الملك عبدالعزيز وأبنائه وقدم عملاً رائعا في تنظيم الجيش إلى أن أصيب بجلطة ألزمته دخول مستشفى الهدا بالطائف ونتج عنها شلل رباعي، نصحه الأطباء بأن يعيش في منطقة غير الطائف؛ لأنه يعاني من ارتفاع في ضغط الدم، حينها قرر أن يعود هو وزوجته إلى سورية، ولما علم الملك عبدالعزيز برغبته أمر أن يصرف تقاعده ووجه الشيخ محمد سرور الصبان بشراء منزل له في سورية وتأثيثه، وبالفعل تم ذلك وقد توفي -رحمه الله- بعد عودته بحوالي ست سنوات.

وكان الزعيم طارق قد تزوج من والدة ابنته نعمات -سورية الأصل والإقامة- إبان إقامته بسورية ولم ينجب منها سوى ابنته الوحيدة، حيث أصيبت الأم بمرضٍ حرمها من الإنجاب ومع هذا ظلت -كما تقول ابنتها نعمات- وفية له، لاسيما حين أقعده المرض، وعاشت بعد وفاته ما يقارب عشر سنوات.

رحلات النضال

رحلة طارق الأفريقي مع الجهاد والنضال رحلة طويلة بدأها من مشاركته في حرب البلقان وشرق أوروبا مع الدولة العثمانية ضد قوات الحلفاء وفي موطنه وموطن آبائه وأجداده قاوم "الزعيم الأفريقي" القوات الإيطالية إبان احتلالها لليبيا، كما قاتل ضد الفرنسيين حين احتلالهم الأراضي السورية، وقاتل الإنجليز في مصر والطليان في الحبشة التي رحبت به حين نزل مظلياً من طائرة كانت تقله في احتفال مهيب، كما قاتل مع المجاهدين والثوار الجزائريين ضد فرنسا وكذلك في تونس ومالي وأخيراً في ساحات فلسطين ضد المحتل اليهودي أواخر الأربعينات الميلادية قبل وفاته بسنوات قليلة.

مناصبه وأعماله

أما أعماله أثناء قدومه للمملكة فقد بدأ بتأسيس رئاسة أركان الجيش السعودي، وشارك في تأسيس الجيش النظامي، وتدريب الألوية العسكرية، والمساهمة في إعادة فتح المدارس العسكرية في المملكة، وتشكيل الفرقة الأولى للفرسان، وتوحيد الزي العسكري للجيش، وهو من استبدل الغترة والعقال بـ(الطاقية العسكرية) للأفراد والضباط في القوات المسلحة والجيش، إضافة إلى سن النظام العسكري للجيش، أما وظائفه فهو أول رئيس أركان حرب لجيش الملك عبدالعزيز، كما أنه مستشار ومدير العمليات العسكرية بالجيش السعودي، وكان يطلق عليه الزعيم وهو لقب عسكري يساوي لقب الـ"جنرال"، وعليه عرف طارق بالزعيم الأفريقي.

وفاته

كتب عن "الزعيم طارق" عدد من الباحثين والمؤرخين كعبدالرحمن الرويشد وعبدالله بلخير، كما كتب عنه عدد من الصحفيين والكتاب، إلا أن الدكتور محمد بن سعيد القشاط أفرد للزعيم الأفريقي كتابا مستقلا، حكا فيه قصته وسيرته الطويلة مع الجهاد والعسكرية والكتاب، وذكر المؤرخون أن الزعيم "طارق الأفريقي" قد توفي في حدود عام ١٣٧١هـ بعد قرابة خمس سنوات عانى فيها من الشلل الذي أصابه بعد أن تعرض لجلطة مفاجئة في منتصف ستينيات القرن الهجري المنصرم، حين كان رئيساً لأركان الجيش السعودي، وحينها طلب من الملك المؤسس -طيب الله ثراه- التقاعد عاد إلى سورية ومكث بقية حياته هناك ودفن رحمه الله بدمشق، وبقيت ابنته الوحيدة "نعمات" التي زوجها والدها أحد أبناء مكة المكرمة من منسوبي وزارة الدفاع المفتش إبراهيم بن عبدالله بلقين لتنتقل مع زوجها لمدينة الرياض وتروي لنا قصة والدها الذي ظلت صفحات التاريخ -إلى وقت قريب- تجهل الكثير عن حياة هذا الزعيم المناضل رحمه الله رحمة واسعة.



أسهم الفقيد في تأسيس رئاسة أركان الجيش السعودي



ساهم الأفريقي في فتح المدارس العسكرية بالمملكة



شارك في الحرب ضد اليهود وقاد سرية الإنقاذ



استبدل الأفريقي الزي العسكري القديم المكون من الغترة والعقال بالطاقية العسكرية

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

سجلت موقفاً بطولياً في مقاومة جيوش «الباشا» في «تربة» وحركت همم قومها في المعركة حتى تحقق النصر

غـالية البقمية.. المرأة الحديدية

■ قبل قرنين من الزمان تواترت الأنباء والقصص والروايات بين عدد من مؤرخي «الاستانة» العثمانية وقلعة محمد علي باشا مفادها أن امرأة من وسط الجزيرة العربية قاومت وبضراوة جيوش الباشا بين الحجاز ونجد واستطاعت قبيلتها أن تصد الحملات المتتالية المدججة بأكفأ الأسلحة وأحدثها أنذاك، حتى كتب عنها المؤرخون الفرنسيون والأوربيون، فقد ضربت هذه المرأة الباسلة أروع نماذج الوفاء دفاعاً عن مبادئها وأرضها وبلادها، فكانت محراباً للنضال ومنبر للأنفة والمقاومة، ولم تكن هذه المناضلة إلاّ غالية البقمية التي اشتهرت بدورها البطولي في مقاومة حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، وبدأت بطولاتها بعدما أخفت خبر وفاة زوجها الشيخ حمد بن عبدالله بن محي، عامل الدولة السعودية الأولى على مدينة تربة البقوم، وأصبحت تصدر الأوامر والتوجيهات لقادة الجيش وللقبيلة على لسانه، وتجتمع بزعماء القبيلة وتناقشهم في الأمر في قصر زوجها حمد بن محي؛ ما سهل مهمتها لتوجيه قادة الجيش والمرابطين، واستطاعت تحريك همم قومها وأبناء بلدتها للقضاء على الجيوش التي غزت المنطقة أنذاك بكامل عدتها وعتادها، حتى قال عنها أعداؤها إنها ساحرة ودجالة ومشعوذة، وهذا ما تناقله كثير من المؤرخين الفرنسيين الذين أرخوا لحروب الباشا في الجزيرة العربية، بينما أطلق عليها في بلادها لقب (الأمير) لعلو مقامها ومكانتها الاجتماعية.

ورد ذكر غالية البقمية في كتابات مؤرخي العراق ومصر والحجاز وكذلك في كتابات الرحالة والمستشرقين، وشبهها الفرنسيون ببطلتهم (جان دارك) التي اشتهرت ببطولتها الخارقة في محاربة الإنكليز الذين احتلوا قديما جزءا من فرنسا، وعلى الرغم مما كتبه مؤرخو أوروبا وبعض البلدان العربية عنها، إلا أن ذكرها في بعض المراجع التاريخية المحلية، بدا شحيحا ونادراً قياساً بما قدمته هذه المرأة المناضلة.

ضربت أروع نماذج الوفاء بين سيدات عصرها وكتب عنها المؤرخون والمستشرقون الأوروبيون

بسالة وشجاعة

هي غالية بنت عبدالرحمن بن سلطان بن غربيط الرميثانية البدرية الوازعية البقمية، من قبيلة البدارا البقوم الساكنة على حدود الحجاز ونجد إحدى أعرق قبائل جزيرة العرب حسبا ونسباً، وهي زوجة حمد بن عبدالله بن محيي، عامل الدولة السعودية الأولى على مدينة تربة البقوم في غرب الجزيرة العربية، وأنجبت منه ابنا اسمه هندي توفي صغيراً، كما أنجبت ابنة أسمتها (زملة) من مواليد عام ١٢١٤هـ، ثم بعد وفاة زوجها تزوجت "بخيت بن جنيح" أمير الهملة من الموركة عام ١٢٢٩هـ، واشتهرت غالية البقمية ببسالتها وشجاعتها بعد أن أبلت حسنا في مواجهة القوات التي أرسلها محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية وذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، ويرجح بأنّ ميلادها كان في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، ويشير بعض المؤرخين إلى أنها في متوسط العمر خلال حملة الباشا على تربة، ويقال إن محمد علي باشا قال بعد معاركه الطويلة هناك وأثناء مروره بتربة في طريق رنية وبيشة وأبها مقولته الشهيرة: "أمست دار غالية خالية"، وذلك بعد أن زود بأحدث أنواع الأسلحة لحسم المعارك هناك.

الدور البطولي

تتلخص قصة غالية في بطولاتها ومقاومتها لحملات محمد على باشا التي كانت تستهدف القضاء على الدولة السعودية الأولى ويسرد المؤرخ المصري "عبدالرحمن الجبرتي تفاصيل الأحداث ودور غالية البقمية وكيف كانت سدا منيعا حال دون تقدم قوات الباشا وتحقيق مآربهم بمؤازرة بشوات مصر، حيث ذكر أنّه وبعد وفاة الأمير حمد بن عبد الله بن محيي زوج الأميرة غالية، اضطرت إلى إخفاء وفاته عن الجميع بالاتفاق مع هندي بن محيي والشيخ رشيد بن جرشان الفارس المعروف، والذي كانت له مكانة كبيرة في ذلك الوقت حتى لا تثبط معنويات قبيلتها، وبعد فترة قام عثمان المضايفي (أمير الطائف حينها) بإرسال اثنين من الفرسان يخبرون البقوم بأن جيش الباشا قادم إلى تربه، وهم في طريقهم إلى الدرعية، فاجتمع البقوم في قصر الأمير حمد بن محيي لبحث الطريقة التي سيواجهون بها الترك، وبصفة غالية زوجة الأمير حمد بن عبدالله بن محيي، فقد كانت تتحاور معهم وتناقشهم في الأمر، وتبدى آراءها وتستمع إليهم، إضافة إلى ذلك فإن جميع مفاتيح قصور ابن محيي المملوءة بالسلاح وبالتمور في حوزتها، ولديها أعداد كبيرة من الخدم والخيل، وبعد مرور نحو أسبوع من المرابطة وحالة التأهب لم يأت إليهم أحد، وتفرق القوم، ثم إنهم أرسلوا فارسين للوجهة التي يتوقع قدوم الترك منها، فعاد الفارسان بعد ذلك منذرين، يحملون أخبارا مرعبة حيث يتقدم نحوهم جيش جرار تسير صفوفه على وقع الموسيقى العسكرية والتي تجر معها المدافع الضخمة عبر عربات مسطحة تسير على العجلات، وهنا صاح منادي الحرب في أبناء قبيلة البقوم ورددت القصائد والأشعار الحماسية.

واجتمع أبناء القبيل مرة أخرى، وقد تسللت استخبارات الباشا بين أفراد الجيش المدافع ورأوا المناضلة غالية وهي توجه خدمها وتوزع السلاح والتمور على رجال قبيلتها وتشجعهم وتزيد من حماسهم وتدفعهم إلى التحرر من سطوة الجيش الغازي وتمد جيشها بالمال والمشورة، فاعتقدت استخبارات الباشا أن غالية هي رئيسة القوم وأن أمر الجيش بيدها، ولذا فقد كانوا يخافونها ويحيكون القصص والروايات التي تتحدث عن سطوتها وقدرتها على صد الجيوش الغازية، حتى نقل بعض أفراد جيش الباشا أنها ساحرة وخارقة للعادة، لما شاهدوه من طاعة أفراد الجيش المدافع لمشورتها حتى كان مجرد اسمها يثير الرعب بين أفراد الجيش الغازي، الذي عاد أدراجه أمام جيش المدافعين، وهذا ما حكاه الجبرتي الذي كان يتتبع أخبار حال وصولها إلى مصر عن طريق المراسلات التي تصل من وإلى الباشا ومن الباشا إلى "الإستانة في إسطنبول.

كتابات المستشرقين

وصلت أنباء جيش غالية إلى فرنسا حيث اعتبرها الفرنسيون بطلة قومية، إذ يقول المؤرخ غوان إنّ "غالية كانت في نظر المصريين ساحرة تعطي الجنود سرا يحصنهم من الهزيمة فلا يستطيع أحد أن يغلبهم بينما يغلبون هم كل من يقاتلهم"، كما قال بعض مؤرخي فرنسا "إنها ساحرة وإن الجن في خدمتها بل شبهها الفرنسيون ببطلتهم (جان دارك) التي اشتهرت ببطولتها الخارقة في محاربة الإنجليز الذين احتلوا قديما جزءا من فرنسا، ويعود اهتمام الفرنسيين بشأن الشرق بعد احتلال "نابليون لمصر وهو الذي اجلي عنها قبل هذه الأحداث بسنوات قليلة.



محمد علي باشا



طوسون باشا

ويتابع الجبرتي تفاصيل انتصاراتها، ومما قاله "في حوادث صفر ١٢٢٢هـ - وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج إلى مصر، وسبب حضوره أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة والمتأمر عليها امرأة، فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة، فخنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل، ومما ذكره أيضا في حوادث جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ، "وصلت هجانة من ناحية الحجاز، وأخبر المخبرون أن طوسون باشا وعابدين بك ركبا بعشائرهما على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية، فوقعت بينهما حروب ثمانية أيام، ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل"، كما وصف بطولتها وشجاعتها محمود فهمي المهندس في كتابه (البحر الزاخر) في حروب سنة ١٨١٢م موضحاً أن البقوم في تربة كانوا أكثر جراة وأشد مقاومة من بين قبائل العرب القاطنين بقرب مكة، ومما قاله ". وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب، وقائد العربان في ذلك الوقت امرأة أرملة، اسمها غالية كان زوجها من أشهر رجال هذه الجهة، وكانت هي في غاية من الغنى، ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك".

كما تحدث عنها الرحلة السويسري "يوهان لويس بوركهاردت"، الذي زار المنطقة في تلك الفترة، ومما ذكره "أنه كانت لديها ثروة تفوق ما لدى أية أسرة عربية في منطقتها، فأخذت توزع نقودا ومؤنا على فقراء قبيلتها الذين كانوا على استعداد لقتال الأتراك، وكانت مائدتها دائما معدة لكل المخلصين الذين يعقد زعماؤهم مجالسهم في بيتها"، ولا غرابة في أن تشتهر غالية البقمية بالبسالة وسداد الرأي والمعرفة بأمور القبيلة وما جاورها من القبائل الأخرى، خصوصا بعد أن لمع نجمها وذاع صيتها منذ انتصارها على مصطفى بك قرب تربة.

تشابه تاريخي

تعددت الروايات حول قصة غالية وبطولاتها، إلا أن مضمونها بالمجمل هو انتصاراتها على جيش الباشا، وهذا لم يختلف عليه أحد، ولا شك أنّها عاصرت في بعض مراحل حياتها فترة توتر وفوضى، ففي عام ١٢٢٨ هـ قام طوسون ابن والي مصر محمد علي باشا بالغارة على مدينة تربة بين الحجاز ونجد ومعه عساكر كثيرون جدا، في هذه الأحداث كان الأمير ابن محيي مريضا، وكانت غالية هي التي توصل خطط المعركة لقادة البقوم في بيت الأمير، وتم النصر للبقوم وانهزم طوسون ومن معه، وقتل أكثر جنده، وفي عام ١٢٢٩هـ عاد مصطفى بك وبقيادة طوسون باشا وعابدين بك وغزوا تربة، ووصلت الخطط للقادة زعماء ومشايخ البقوم ودامت المعركة ثلاثة أيام هزم على إثرها طوسون وعابدين بك هزيمة مدوية، وكان زوج غالية قد توفي عند بداية المعركة الثانية سنة ١٢٢٩هـ، فأخفت خبر وفاته عن الجيش، وبدأت تصدر الأوامر على لسانه حتى تم النصر للبقوم.

وهذا شبيه إلى حد التطابق مع ما حدث للسلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي دخل المعركة الفاصلة مع لويس التاسع الذي غزا مصر في الحملة الصليبية السابعة فوقف له الملك الصالح نجم الدين أيوب بجيوش المسلمين وفي خضم أحداث المعركة وافت المنية السلطان نجم الدين الذي كان حينها مريضا فأخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته واستمرت ترسل الأوامر والمراسيم من خيمة السلطان وتدير الأمور باسمه وتوقيعه نظرا لصعوبة الإعلان عن وفاته حينها الذي ربما يحد من عزيمة الجيش في مواصلة القتال وهو شبيه بما حدث لغالية البقمية مع قومها حيث أخفت خبر وفاة زوجها ومن خيمته كانت تصدر الأوامر والمراسيم لقيادات الجيش والقبيلة.

وذكر الأستاذ عمر رضا كحالة في الكتاب الحافل أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام أن غالية كانت (سيدة من البقوم من بادية ما بين الحجاز ونجد، واشتهرت بالشجاعة ونعتت بالأميرة، كانت أرملة رجل من أغنياء البقوم من سكان تربة على مقربة من الطائف من جهة نجد، ولأهل تربة مواقف معروفة بين النجديين.

تجاهل المؤرخين

وذكر (بركهارت): "إن عرب البقوم -سكان تربة- بدو فلاحون، وكان الشيخ (خرسان) رئيسهم اسما، ولكن زعيمتهم الحقيقية كانت (غالية) أرملة أحد كبار تربة وكانت هذه المرأة، لعقلها وحكمتها وكمال معرفتها بشؤون العشائر، مسموعة كلمتها، مطلوبة مشورتها، وكانت تحكم قبيلة البقوم وتوجهها وقال عنها: إنها لم تكتف بالدفاع عن بلدتها عندما هاجمها- رجال الترك عام ١٢٢٨هـ بقيادة طوسون وهم في طريقهم للدرعية-إنما خرجت على رأس فريق من رجالها، بعد أن خطبت فيهم واستثارت نخوتهم، فقاتلت العساكر ووصف القتال بأنه قتالا شديدا حتى انهزموا هزيمة منكرة، وهربوا لا يلوي أحد على أحد تاركين خيامهم وأمتعتهم وأكثر مدافعهم".

وقال الباحث والمؤرخ محمد بن عبد الرزاق القشعمي: ومعروف أن زوجها الأمير هندي بن محيي شيخ محاميد البقوم كان مريضا ومات أثناء المعركة، فأخفت خبر وفاته من أجل ألا يتسرب اليأس إلى قومها فينهزمون، فكانت تصدر الأوامر كأنها من أميرهم المتوفى، مستشهدا بقول المؤرخ الفرنسي "دريو" إن هزيمة المصريين في تربة أمام "غالية كانت ضربة قاصمة لسمعة محمد علي وابنه طوسون؛ لذلك أسرع محمد علي في السفر من مصر إلى الحجاز لتدارك الأمر وربما أن "دريو أغفل جانبا أو سببا مهما لعودة محمد علي باشا إلى مصر وتركه جيوشه في الجزيرة العربية على أنه أقرب للأحداث فهو فرنسي يدرك ما كانت تمر به فرنسا إذ ترتبط عودة محمد علي بأسباب لعل من أهمها عودة "نابليون من منفاه في جزيرة "ألبا إلى فرنسا وإسقاطه حكم "آل بربون مرة أخرى بعد أن أسقطته الثورة الفرنسية ليتأهب "نابليون لمحاربة الحلفاء الذين هزموه في معركة "واترلو الشهيرة فكانت قاصمة الظهر له واستسلم حينها للعرش الإنجليزي، موضحاً أن المؤرخ الفرنسي الآخر (غوان) قال عنها: "إن غالية كانت في نظر المصريين، ساحرة تعطي الجنود (سرا) يحصنهم من الهزيمة، فلا يستطيع أحد أن يغلبهم، ولهذا شبهوها ببطلتهم (جان دارك) التي اشتهرت ببطولتها الخارقة في محاربة الإنجليز الذين احتلوا قديما جزءا من فرنسا، ويرى القشعمي أهمية إضافة مادة للمقررات الدراسية عن دور هذه البطلة التاريخي، موضحا أن من كتب عن هذه المرأة هم قلة (مناحي القثامي) والدكتورة دلال الحربي، وبعدهم الكاتب مشعل السديري، وقبلهم الأستاذ منير العجلاني في كتابه عن العهد السعودي الأول)، مبيّناً أن هناك شارعا فرعيا صغيرا منزويا لا يزيد على ٢٠٠م في (حي الروضة) بمدينة الرياض يحمل اسمها، متسائلا: "ألا يجدر بنا أن نعطيها حقها وننزلها منزلتها اللائقة بها".

غالية في كتاباتهم

وفي إطار الحديث عن غالية البقمية جاء للدكتور فهد السماري في مقالة له عن صلة المؤرخ عبدالله بن خميس بالتاريخ وأبرز مؤلفاته، وذلك بمناسبة تكريمه في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ويشير فيها إلى مقالة تاريخية للأديب ابن خميس عن غالية البقمية ومما قاله: "يظهر ابن خميس جانباً مهما في تاريخنا لم يحظ بالاهتمام المطلوب والكافي وهو دور المرأة في أحداث تاريخ الجزيرة العربية وذلك عندما كتب عن غالية البقمية وقصتها في نحر جيوش طوسون بن محمد علي التي جاءت للقضاء على الدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية.

وأضاف "وأورد ابن خميس ما كتبه بعض المؤرخين المصريين عن قصة غالية وشدة بأسها وشجاعتها حتى تمكنت من التأثير على رجال قبيلتها لصد جيوش طوسون الغريبة على المنطقة عددا وعتادا، وأطلق ابن خميس على هذه المرأة اسم "غالية الوهابية مخاطبا أولئك الذين ينعتون الدعوة وأتباع الدولة السعودية بالوهابية سلبا، مشيراً إلى تأثر هذه المرأة ورجال قبيلتها بالدعوة السلفية ودفاعهم عنها بالنفس والنفيس.

وتابع السماري في مقالته "يقول ابن خميس: "تلكم هي غالية الوهابية وهذا طرف من خبرها. إنها المرأة العربية المؤمنة نزعت إلى أصالة أخواتها ومجدهن في القرون المفضلة الأولى فأعطت الصفة الحقيقية والنموذج الأمثل وصدقت ما خلده التاريخ وردته الأمم، وللمؤرخ خير الدين الزركلي إفادة جميلة عن بطولة هذه المرأة العربية وكان مما ذكره غالية البقمي، التي قادت جيش ضد الأتراك في ثلاث معارك عامي ١٢٢٨ و١٢٢٩، بما عرفت به من القوة والشجاعة والحزم والذكاء، منذ ٢٠٠ عام!.

قال محمد علي باشا عندما مر بتربة في طريقه إلى رنية وبيشة وأبها: "أمست دار غالية خالية، كما جاء في "تاريخ القبائل والأسر العربية أنّ غالية من بادية ما بين الحجاز ونجد، اشتهرت بالشجاعة، ونعتت بالأميرة. كانت أرملة رجل من أغنياء البقوم من سكان تربة على مقربة من الطائف، من جهة نجد، إلى ذلك فقد وصف هذه المرأة الشجاعة محمود فهمي المهندس في كتابه البحر الزاخر ومما قاله لم يحصل من قبائل العرب القاطنين بقرب مكة مقاومة أشد مما أجراه عرب البقوم في تربة، وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب، وقائد العربان في ذلك الوقت امرأة أرملة، اسمها غالية كان زوجها من أشهر رجال هذه الجهة وكانت هي في غاية من الغنى، ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك.

مؤلف خاص

وذكرت د. دلال بنت مخلد الحربي في مؤلفها (غالية البقمية: حياتها ودورها في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة) الصادر عن دارة الملك عبدالعزيز، والحاصلة على جائزة الكتاب والمقالة العلمية ومنحة الملك سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، في دارة الملك عبد العزيز ضمن أسماء الفائزين والفائزات بالجائزة والمنحة في دورتها الثالثة عام ٢٠٠٨م. وما ذكرته في كتابها عن هذه المناضلة "أن غالية البقمية لم تكن في سن متقدمة وقت هذه الحملة المصرية/ العثمانية على تربة، كما يشير بعض المؤرخين.

كما رجحت الدكتورة دلال أن تكون غالية البقمية زوجة لأحد شيوخ البقوم فتوفي، وخلفه ابنه، وتشير إلى أنها بعد معركة بسل وسقوط تربة ١٢٣٠هـ لجأت إلى البدو في حرة البقوم لوعورتها وصعوبة مسالكها التي جعلتها بعيدة عن غارات حملة محمد علي، فلما هدأت الأوضاع وانسحب محمد علي من شبه الجزيرة عادت للإقامة مع ابنتها (زملة) في وادي كراء. وذكرت دارة الملك عبد العزيز "أن هذا الكتاب يمهد بالتعريف بغالية البقمية ويحاول تحديد تاريخ ميلادها المجهول ويشير إلى نشأتها وصفاتها وزواجها وحياتها قبل الحملة المصرية العثمانية، ويبين إسهاماتها العسكرية في التصدي لحملة مصطفى بك سنة (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) في تربة غرب المملكة، حيث اتخذت من منزلها مقرا للقيادة العامة تعقد فيه الاجتماعات. وأسهم ذلك في هزيمة تلك الحملة، كما تصدت لحملة أحمد طرسون في السنة التي تليها على تلك المدينة، إلى أن سقطت تربة بعد معركة بسل، وقال محمد علي قولته المشهورة: أمست دار غالية خالية، فيما تشير المصادر إلى أن الإمام عبدالله بن فيصل آل سعود كان يعرف قدر غالية البقمية، ويعلي شأنها وذلك لأثرها البارز في التصدي للحملات العسكرية العثمانية المصرية.

حزم منيف

كما تناولت سيرتها الكاتبة حنان بنت عبد العزيز آل سيف، مبينة أن "هذه المرأة استطاعت القضاء على جيش كامل العدة، مكتمل العتاد، وأعطيت لقب (الأميرة)، والأمير في عرف الأقدمين هو لقب رئيس الجيوش، موضحة أنّ غالية البقمية كانت في قمة الغنى والثراء وكان قصرها المعروف باسم (قصر غالية) والذي ما زال طلله متساميا متطاولا قبل سنين عدة وأسمته (حزم منيف) مقصد خواص الناس وعوامهم، بل كان قلب وبؤرة القاعدة السلفية السياسية العسكرية، حيث يجتمع فيه زعماء الدولة السلفية ويناقشون مهامهم الحربية وكانت في مقدمة الصفوف لحكمتها وحنكتها ورويتها وتعقلها".

معركة بسل

وقعت هذه المعركة بين قوات الدولة السعودية الأولى بقيادة الأمير فيصل بن سعود ومعه البقوم بقيادة رشيد ابن جرشان وبن شكبان بأهل بيشه وغامد وزهران وغيرهم، وبين قوات الترك بقيادة محمد علي باشا وكان النصر حليف القوات السعودية في البداية ولكن احتال القائد محمد علي، حيث استخدم مدافع جديدة وكانت الهزيمة وتفرق جيش الأمير فيصل بن سعود واتجه إلى تربه ولكن الناس تفرقت كل لناحيته، -كما ذكر ذلك الدكتور منير العجلاني في الجزء الرابع من كتابه (الدولة السعودية الأولى عهد الأمام عبدالله بن سعود)-، وقد أظهرت الأميرة غالية -رحمها الله- شجاعة فائقة ومواقف بطولية فذة، حيث قامت بتفريق أموالها، على رجال العشائر والقبائل الراغبين في القتال ضد العدو وزودتهم بالأسلحة ومقتنيات الحرب، وهزموا الغازي، وكان تاريخ هذه المعركة في شهر ذي الحجة من عام (١٢٢٨هـ-١٨١٣م).

وعندما بلغ محمد علي باشا خبر هزيمة ابنه طوسون، وفشل قواد جيشه من أمثال: مصطفى بك، وتوماث كث الإسكتلندي، قرر قيادة المعركة بنفسه فجهز جيشا كبيرا على مستوى عال من العدة والعتاد، فأرسلت غالية رسالة للإمام (عبد الله بن سعود) حاكم الدرعية آنذاك، مفادها أن محمد علي باشا والي الدولة العثمانية على مصر، قد جهز جيشا كبيرا لا طاقة لنا به، وهو في طريقه إلينا على رأس مئة ألف مقاتل، وعلى الفور فقد أرسل الإمام عبدالله بن سعود شقيقه فيصل بن سعود الكبير على رأس جيش محارب، ويتكون هذا الجيش من عشرين ألف مقاتل من أهل نجد والفوارس الشجعان، ومن عشرين ألف مقاتل من أهل الجنوب وتهامة البواسل الفرسان، ووقعت المعركة، وتمت الهزيمة في معركة (بسل) الشهيرة، وكان ذلك في عام (١٢٣٠هـ).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فقد اختلف المؤرخين في مصير غالية وما آل إليها أمرها، منهم من قال إنها ذهبت إلى الدرعية وقاتلت بها، وسارت قافلتها على ثمانية وعشرين جملا محملين بالزاد والذهب والفضة، ومنهم من قال إنها عادت إلى مسقط رأسها تربة وأقامت في قصرها الواقع على طريق تربة الطائف، وهكذا تنتهي الأخبار المتواترة عن المرأة الحديدية التي ملأت قلوب خصومها رهبة وخوفا بعد أن جندلت الكتائب الغازية والجيوش الغازية.



أطلال القصر يقال إنه لغالية البقمية



نخيل القصر كانت قوت جنود غالية



سوق رمادان في تربة البقوم

عاصر الدولة السعودية الأولى والثانية ووثق بـ«أرجوزته» التاريخية أحداث حملة الباشا على وسط الجزيرة

أحمد بن دعيج.. شاعر التاريخ والأدب

■ يكاد المؤرخون المعنيون بتاريخ وسط الجزيرة العربية خلال الثلاثة القرون المنصرمة أن يجمعوا على أنّ حركة العلم والتدوين زادت عما كانت عليه في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، ولا شك أنّ أسماء كل من الفاخري، وابن لعبون، وابن بشر، والضويان، وابن عبيد، والبسام، وابن عيسى، والذكير، وغيرهم من مؤرخي نجد كانوا قد دونوا تاريخ الجزيرة العربية وتوسعوا في كتابة التاريخ والتراجم وأيام الناس، ومع حجم المخطوطات التي ضاع واندثر معظمها، بقي للباحث المعاصر ثروة معلوماتية في ما دونه هؤلاء المؤرخون، الذين كان من بينهم الشيخ أحمد بن دعيج الذي دون تاريخ عصره من خلال أرجوزة شعرية بقيت شاهداً تاريخيا لتلك المرحلة التي زامنت النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

وتلك الأرجوزة التاريخية التي صورت ونقلت لنا أحداث ومجريات حملة إبراهيم باشا على وسط الجزيرة العربية، وامتازت هذه الأرجوزة مع تنوع وغزارة مفرداتها بنقل موثق لتاريخ الحملة وتداعياتها، لا سيما وأنّ ناظمها كان معاصراً للأحداث وشاهداً للتطورات والنتائج التي خلفتها. فما كان من الشيخ -رحمه الله- إلا أنّ كتب هذا النظم المشهور عند العرب باسم «الرجز»، وكثيراً ما كان علماء العصور المتقدمة ينظمونه لحفظ القواعد الفقهية والتعاليم الشرعية وقواعد اللغة أو تسجيلاً لأحداث التاريخية، كما أنّ كثيرا من العلماء ختموا كتبهم وموسوعاتهم التاريخية بـ«الأراجيز» التي تلخص مجمل ما دون في الكتاب كما فعل السيوطي في «تاريخ الخلفاء»، غير أنّ أرجوزة الشيخ أحمد بن دعيج -رحمه الله- اختصرت على التاريخ المحيط بحملة إبراهيم باشا على نجد ووثقت بعض أحداث النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ولذا فقد بقيت هذه المنظومة الشهيرة في تاريخ الأحداث الجارية في عصره.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عمل في القضاء وتبحّر في دروب العلم والمعرفة واشتهر بغزارة المفردات الأدبية

■ قال عنه الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»: هو الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن عبدالله بن راشد بن علي بن علي أيضاً بن أحمد بن إبراهيم بن موسى بن دعيج، الكثيري نسباً، المرائي -بفتح الميم- بلداً، الحنبلي مذهباً، هكذا نسبه من خط يده، فهو من آل كثير، القبيلة الشهيرة في نجد، والتي ينتهي نسبها إلى بطن كبير من بني لام، القبيلة الطائية القحطانية التي انتقلت من جنوب الجزيرة العربية، ونزلت في جبلي طيء: أجا وسلمى، وتفرع من طيء: بنو لام، وآل كثير، والفضول؛ والفضول كانوا بادية نجد فنزحوا إلى العراق، ولم يبق منهم في نجد إلا أسر متحضرة.

وُلد المترجم في بلدة (مرات) إحدى أشهر بلدات الوشم، وهي بلدة الشاعر الأموي «ذي الرمة»، وقد وردت كثيرا في قصائده وأشعاره كما وردت في قصائد بعض معاصريه من شعراء العرب، وكانت ولادة الشيخ أحمد بن دعيج في عام ١١٩٠هـ، فنشأ في بلدته مرات وأخذ العلم عن بعض علمائها وعلماء نجد ممن أدركهم، وكان متذوقا للشعر بل أنه أصبح منذ شبابه ناظما وشاعرا سخر لسانه للنظم الرفيع حيث دون مجريات التاريخ في عصر وانتهج بقصائده نهج علماء القرن الهجري الثاني حيث نظموا القصائد والأشعار لحفظ قواعد الشريعة واللغة، وقد حفظت بعض قصائدة ومنظوماته بيد أن الكثير منها للأسف طالته يد الإهمال فضاع مع مجمل ما ضاع من كتاباته ورسائله.

توليه القضاء

يقول المؤرخ سليمان الخراشي «لما قتل قاضي مرات: الشيخ إبراهيم بن حمد بن مشرف في (الماوية) موارد مياه بين المدينة والقصيم عام ١٢٣٢هـ، في المعركة التي وقعت بين الإمام عبدالله بن سعود وإبراهيم باشا، واستولى إبراهيم باشا على بلدان نجد، وصار كل بلد يحكم نفسه، بسبب اضطراب البلاد: عينه جماعته أهل مرات قاضيا، فلما عاد حكم آل سعود مرة أخرى بإمامة تركي بن عبدالله، ثم الإمام فيصل بن تركي، أبقياه على عمله، قال الشيخ محمد بن عثمان القاضي -رحمه الله- في كتابه «روضة الناظرين» في ترجمته للشيخ أحمد بن دعيج «وُلد المترجم له في بلدة مرات من بلدان الوشم، نسبة لامرئ القيس، لأنها كانت بلده، وكان الشعراء يتغنون بها، ومنهم ذو الرمة، وكانت ولادة ابن دعيج سنة ١١٩٠هـ، فتربى على يد أبيه تربية حسنة، وحفظ القرآن على مقرئ في بلده، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط، فقرأ على علماء الوشم، ثم رحل إلى سدير، فقرأ على علمائه، وكان نبيها قوي الحفظ، سريع الفهم، فنبغ في فنون عديدة، وله الباع الواسع في الأدب والتاريخ، ويقرض الشعر، وله أرجوزة طويلة وذكر فيها نكبة الدرعية سنة ١٢٣٣هـ»، كما أنّ له نظما في « الدر الثمين عقيدة الموحدين» في الأصول.

وقال عبدالرحمن المغيري في كتابه: «المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب»، وكان شاعرا لسناً، وله في مدح الإمام فيصل قصائد يصفه بالعفة والصلاح، ومن قوله ينبئ أنه من بني لام:

وما بداتُ النظمَ إلا محبةً
وما كان مقصودي بذاك التنوُّلا
لأن إله العرش قد سدَّ فاقتي
وعارٌ لغير الله أن اتذللا
لأني من قوم كرام أعزة
بني لام حقاً مجدُها قد تأثلا

أرجوزة ابن دعيج

من أشهر أعمال الشيخ ابن دعيج تلك الأرجوزة التاريخية التي صورت ونقلت لنا أحداث ومجريات حملة إبراهيم باشا على وسط الجزيرة العربية أو الرجز بحر معروف من بحور الشعر، وتسمى قصائده الأراجيز واحدتها أرجوزة، ويسمى قائله راجزا، وقد امتازت هذه الأرجوزة مع تنوع وغزارة مفرداتها بنقل موثق لتاريخ الحملة وتداعياتها لا سيما أن ناظمها كان معاصراً للأحداث وشاهداً للتطورات والنتائج التي خلفتها، فما كان من الشيخ -رحمه الله- إلا أن كتب هذا النظم المشهور عند العرب باسم «الرجز»، وكثيرا ما كان علماء العصور المتقدمة ينظمونه لحفظ القواعد الفقهية والتعاليم الشرعية وقواعد اللغة أو تسجيلا للأحداث التاريخية كما أن كثيرا من العلماء ختموا كتبهم وموسوعاتهم التاريخية بـ«الأراجيز» التي تلخص مجمل ما دون في الكتاب كما فعل السيوطي في «تاريخ الخلفاء»، غير أن أرجوزة الشيخ أحمد بن دعيج -رحمه الله- اختصرت على التاريخ المحيط بحملة إبراهيم باشا على نجد ووثقت بعض أحداث النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ولذا فقد بقيت هذه المنظومة الشهيرة في تاريخ الأحداث الجارية في عصره والتي وصفها الشيخ بلسانه: «فاستخرت الله تعالى على ذكر القوقعة الكبرى التي قصمت الظهور، وفصمت العرى، وفرقت البوادي وأهل القرى».

وكانت القصيدة من باب الرجز الطويل وهي لم تخل من الخلل في الوزن والإعراب وربما أنّ هذا الخلل جاء من جراء النقل المتكرر أو من النساخ الذين نسخوا القصيدة بمخطوطاتهم، حيث أنّ الشيخ ابن دعيج -رحمه الله- كان لغويا موغلا في بحور الأدب العربي، وقد وجدت هذه الأرجوزة اهتماما من قبل بعض الباحثين والمؤرخين في العصر الحاضر، ولعل من أكثر من كتب عنها هو الأستاذ سليمان بن صالح الخراشي، الذي أفرد لهذه الأرجوزة وصاحبها مؤلفا فريدا، وكان الشيخ أحمد قد بدأ هذه الأرجوزة بقوله:

الحمد لله على ما انعما
حمداً به يجلو عن القلب العمى
ثم الصلاة بعدُ والسلام
على نبيٍّ دينه الإسلام
يقول عبدٌ أصله من ماء
الحنبلي المذهب المَرائي
بفتح ميمٍ أصح لا تضمَّها
فضمُّها يا صاحِ غاية ذمِّها

والشيخ في البيت الأخير يوضح أنه من بلدة مرات والنسب لها يكون «مرائي» بفتح الميم لا بضمها، حيث يدل الضم على خلق ذميم أبعد ما يكون عنه الشيخ رحمه الله، ثم يبدأ الشيخ بسرد مجريات الأخبار في عصره مستهلا بقوله:

فاسمع وخذ تاريخ قرنٍ ثالث
وما جرى فيه من الحوادث
منه ثلاث مع ثلاثين مضت
من قرننا المذكور والبلوى دهت
من بعد ألفٍ قد مضى وقد جرى
من هجرة شرّفها خير الورى
بنجدٍ أنكرْ ما جرى تجميلا
ومقفلا يا صاح للصغيرة
وأتركْ التبعيض والتفصيلا
وواسماً للمحنة الكبيرة
وهي العساكر مع وزير مصرا
اضرمْ على نجدٍ بنار حمرا
وقبله كأنها عروس
والخير في أرجائها يميس

جهود مضنية

ويذكر د. عبدالله الزيد الذي عني واهتم بتدوين وتوثيق سيرة وترجمة الشيخ في كتابه (قاضي الوشم.. الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن دعيج.. ومسيرة ثمانين عاما من العطاء)، مبيّنا أنّ الأرجوزة بلغت قرابة سبعمائة بيت لم يصلنا منها إلا مائة وتسعة وعشرين بيتا عكست الحصيلة اللغوية ودقت السرد والتتبع للأحداث والأخبار والمستجدات في شأن الحملة، وكان د. محمد الشويعر قد بذل جهودا مضنية في جمع وترتيب وتدقيق هذه الأرجوزة الفريدة، لا سيما أنه وجد فيها بعض الأخطاء التي ربما أنها كانت من نقل النساخ والوراقين الذين نقلوها، حيث لم يعثر على نسخة واحدة خطت بيد الشيخ نفسه، وقد تصدى لها الشويعر ونشرها في مجلة الدارة عام ١٤٠٣هـ.

تراث علمي

لم يكن الشيخ أحمد بن دعيج -رحمه الله- ليقف عند حد معين من العلم الشرعي وعلوم اللغة العربية بل إنه ومنذ صغره حاول جاهدا التفرغ لطلب العلم وأن يهب جل وقته للدراسة والتتلمذ على يد عدد كبير من علماء عصره الذين تعلم الشيخ العلم على يدهم بل إنه تبحر في دروب العلم والمعرفة بشغف منه حتى صار عالما من علماء بلدته مرات وحيث لم يقف بل واصل طلبه للعلم مع كونه عالما بارزاً يشار إليه بالبنان فعلى الرغم من الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها الشيخ إبان شبابه والمتمثلة بحملات محمد علي على الجزيرة العربية بدءًا من الحجاز فعسير ثم نجد، إلاّ أنّ الشيخ ظل يرتقي بعلمه وعمله فقد كان ينسخ الكتب وينظم الأشعار وحتى بعد نهاية الحملة التركية أصبح قاضياً لبلدته «مرات» كما كان معلماً ومفتياً وخطيباً ووجيهاً يسعى للإصلاح بين الناس ويوفق بين الخصوم وأهل النزاع.

وقد جمع د. الزيد بعض أخباره وخطبه ورسائله، ورغم كثرة مشاغله وأعماله ومهامه لم يتوقف الشيخ عن النسخ والتدوين والتأليف فقد ترك رحمه الله بعد وفاته عددا من المخطوطات والمؤلفات والكتب القيمة ككتاب «الدر الثمين في عقيدة الموحدين» وآخر يشابهه في العنوان وربما يقاربه في المضمون وهو «الدر الثمين في عقيدة الموحدين» ثم كتابه «الرطب الجني» وكتاب «الفرق الجلي المقتبس من مشكاة النبي العربي».

سهام الوشاة

وكان الشيخ أحمد -رحمه الله- قد مر كغيره من العلماء بمحن وأزمات وجد فيها بعض الوشاة طريقا لمحاولتهم للنيل منه، إذ عرف بصدق ووضوح منهجه، حيث وجه بعض معاصريه رحمهم الله سهام نقدهم للشيخ حول إحدى فتاويه، بيد أن هذا لم يقلل من ثقة الناس وولاة الأمر بالشيخ حيث عرف منهجه العقائدي ومسلكه الفقهي.

وفاته

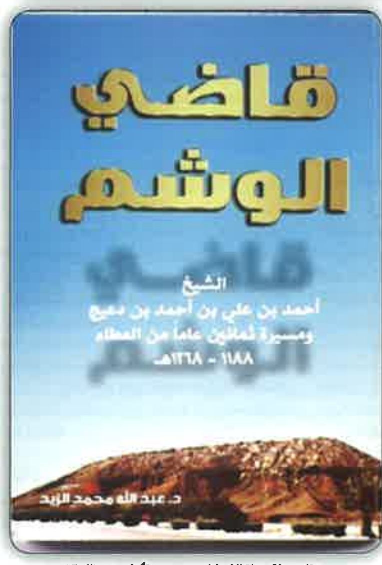
أدرك الشيخ أحمد بن دعيج أوج الدولة السعودية الأولى كما عاصر فترة سقوطها وحالة الفوضى التي خلفتها حملة الباشا على وسط الجزيرة العربية، كما أدرك وعاصر قيام الدولة السعودية الثانية وعودة الإمام عبدالله بن تركي، ومن ثم عودة ابنه الإمام فيصل بن تركي الذي أبقى الشيخ أحمد في قضاء بلدته كما فعل والده الإمام تركي، وقد استمر قاضياً لبلدته مرات ومرجعا من مراجع العلم والفتيا إلى عام ١٢٦٨هـ، حيث توفي الشيخ رحمه الله رحمة واسعة بعد حياة حافلة بالعلم والعمل في القضاء والتدريس.



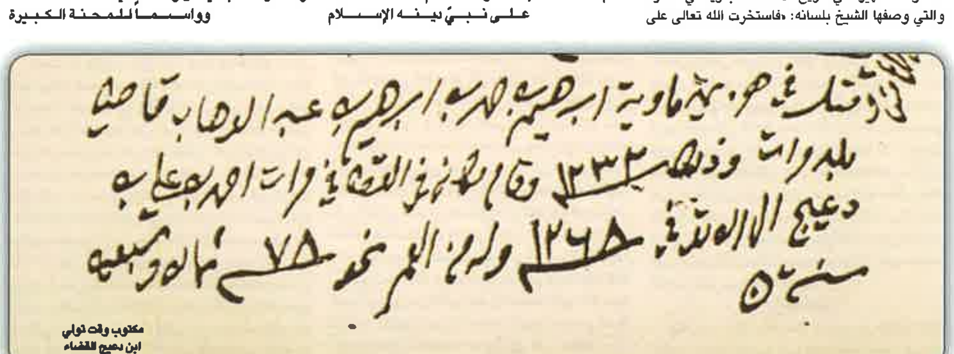
ميمية ابن القيم بخط ابن دعيج



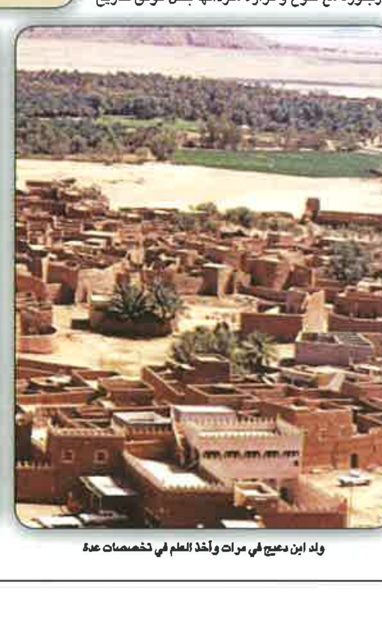
أحد الكتب التي تناولت أرجوزة ابن دعيج



كتاب يوثق حياة الشيخ ابن دعيج من تأليف د.عبدالله الزيد



مكتوب وقت تولي ابن دعيج القضاء



ولد ابن دعيج في مرات وأخذ العلم في تخصصات عدة



غدير كميت في مرات بلدة الشيخ ابن دعيج

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

اختاره الملك عبدالعزيز ليدرّس أنجاله وعيّنه مديراً لمدرسة الأمراء في الرياض وإماماً للمسجد الحرام

عبدالله خياط.. معلّم رجال الدولة

■ من كبار علماء القرن الرابع عشر الهجري، عاش مجاوراً لبيت الله الحرام وترعرع في كنف العلماء، نشأ في بيت علم وأدب فكان لوالده إلمام واطلاع في الفقه الحنفي والتفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف.

تتلمذ على يد العلماء ونهل من مشارب العلم المتعددة، فنشأته في مكة المكرمة ساعدته على الالتقاء بأكبر عدد من علماء العلم الإسلامي، الذين يزورون الحرم المكي الشريف ويمكثون فيه يطلبون العلم الشرعي ويتعلمون.

كما حظي بعناية ورعاية خاصة من ولاة الأمر، فعلم ودرس أبناء العلماء والأمراء وتخرج على يده عدد كبير من المشايخ والمسؤولين وصناع القرار.

ذلك هو ابن مكة المكرمة وجار المسجد الحرام الذي لطالما أصغت وخشعت المسامع والمدامع لسماع صوته وهو يتلو كتاب الله العزيز عبر منابر الحرم المكي الشريف أو من خلال أثير إذاعة صوت الإسلام من مكة المكرمة، ذلك هو القارئ والمربي والمعلم الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط.

تتلمذ على يديه الأمراء والعلماء والقضاة وكتبه تملأ أرفف المكتبات العربية والإسلامية

ثقافة دينية

ورد اسم الشيخ خياط وظروف نشأته وبدايات تعليمه في مذكراته الشهيرة حيث قال: إنه أبو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالغني بن محمد بن عبدالغني بن إبراهيم خياط، ينتهي نسبه إلى قبيلة قضاعة، ولد في مكة المكرمة في التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٦هـ ونشأ في بيت علم وكان أبوه مثقفاً ثقافة دينية وله إلمام بالفقه الحنفي والتفسير والحديث، وقد تلقى -رحمه الله- تعليمه الابتدائي في مدرسة الخياط بمكة المكرمة والتي تخرج منها عدد من علماء ذلك الزمان ودرس الشيخ المنهج الثانوي بالمدرسة الراقية على عهد الحكومة الهاشمية، كما درس على يد علماء المسجد الحرام وحفظ القرآن الكريم كاملاً في المدرسة الفخرية، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة وتخرج منه عام ١٣٥٠هـ.

طلب العلم

تتلمذ -رحمه الله- على يد كل من سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز، كما تتلمذ على يد الشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح إمام المسجد الحرام وخطيبه والمدرس فيه، كما درس على يد الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة إمام المسجد النبوي وخطيبه والمدرس فيه ثم في المسجد الحرام، وقد صاهره الشيخ ولازمه وهو صاحب الفضل على الشيخ -بعد فضل الله عز وجل- في نصحه لقبول العرض الوظيفي المتمثل بتدريس أبناء الملك عبدالعزيز في الرياض، وتوفي الشيخ رحمه الله وهو يذكرها لشيخه ووالد زوجته، حيث أصبح الشيخ مع ماله من المكانة والرفعة عند الملك عبدالعزيز وأبنائه، وأصبح بتدريسه لمجموعة من الأمراء قريباً أكثر من الملك المؤسس وأبنائه الذين لم يردوا له طلباً أو يتأخروا في السؤال عنه واستشارته، وهذا لا شك ساهم مع الجهود التي قام بها العلماء والتربويون في التوسع أكثر في بناء وافتتاح المدارس والمعاهد العلمية والجامعات، ولأنّ «المستشار مؤتمن» فقد استطاع الشيخ -رحمه الله- أن يجعل من مكانته وحظوته عند ولاة الأمر فرصة لخدمة دينه ثم وطنه وبلادة لاسيما في مجال خدمة الحرمين الشريفين ونشر العلم والتعليم.

كما درس الشيخ على يد الشيخ المكي المعروف أبو بكر خوقير المدرس بالمسجد الحرام، وكذلك درس على يد كل من الشيخ عبدالله السندي المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ سليمان الحمدان المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ محمد حامد الفقي المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ المحدث مظهر حسين المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ إبراهيم الشورى مدير المعهد العلمي السعودي والمدرس فيه، والشيخ محمد بن علي البيز المدرس بالمعهد العلمي السعودي، والشيخ بهجت البيطار المدرس في المعهد العلمي السعودي، والشيخ تقي الدين الهلالي المدرس بالمسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي، والشيخ حسن عرب المدرس بالمدرسة الفخرية، والشيخ محمد إسحاق القاري مدير المدرسة الفخرية والمدرس بها، أما تلاميذه فأكثر من أن يحصروا بمقال عابر أو تقرير يختزل نتاجه العلمي وسيرته المحمودة، حيث تتلمذ على يده -رحمه الله- العلماء والقضاة والأمراء والساسة والوزراء ورجال الدولة وصناع القرار.

أعماله:

في عام ١٣٤٦هـ صدر الأمر الملكي بتعيين الشيخ عبدالله خياط إماماً في المسجد الحرام، وكان خلالها يساعد الشيخ عبدالظاهر أبو السمح في صلاة التراويح وينفرد بصلاة القيام آخر الليل، وفي الثامن عشر من شهر محرم عام ١٣٤٧هـ عين -رحمه الله- عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب الأمر الملكي الصادر في ذات التاريخ، وبعدها بقرابة خمس سنوات أي في تاريخ ١٢ /١٣٥٢/٢هـ عين مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة بموجب



الشيخ عبدالله خياط رحمه الله

خطاب مدير المعارف في ١٣٥٢/٢/١٢هـ، اختاره الملك عبدالعزيز ليكون معلماً لأنجاله وكان الملك يجله ويقدره، وقد عينه مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض عام ١٣٥٦هـ واستمر في هذا العمل حتى وفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عام ١٣٧٣هـ، وله في هذه المدرسة ذكريات وأيام جميلة أفرد لها الشيخ صفحات طوال في مذكراته الشخصية.

وكان الأمراء الذين تبوأوا في ما بعد مناصب قيادية يجلون الشيخ عبدالله ويقدرونه ولا يردون له طلباً، بل إنّ الملك المؤسس نفسه كان يلتمس حاجات ورغبات ومطالب الشيخ وزملائه المدرسين والمعلمين ويسارع بتلبيتها لهم، وحين كان الشيخ يحضر بعض مجالس الملك المؤسس يسارع الملك لجعله وزملائه على يمينه مباشرة، ويسمع لهم ويزورهم في المدرسة ويطلب منهم أن يزودوه بمتطلباتهم، ويرفض إن حضروا مجلسه أن يخرجوا دون أن يتناولوا وجبة العشاء أو الغداء معه، وكل هذه القصص والحكايات ذكرها الشيخ عبدالله بمذكراته، وكان -رحمه الله- يثني على الملك المؤسس ويتذكر حسن معاملته معه ومع زملائه المدرسين.

مناصب ومهام

بعد وفاة الملك عبدالعزيز انتقل الشيخ إلى الحجاز وعين مستشاراً للتعليم في مكة المكرمة بموجب الأمر الملكي رقم ١٣٧٣/٣/٢٠هـ في ١٣٧٣/٤/٧هـ، ثم في عام ١٣٧٥هـ أسندت إليه إدارة كلية الشريعة بمكة المكرمة بالإضافة إلى عمله مستشاراً، كما عين إماماً وخطيباً للمسجد الحرام بموجب الأمر السامي رقم ١/٨٣٦ وتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ، بعدها صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بناء على ترشيح من سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -يرحمه الله- وذلك في عام ١٣٨٠هـ، بيد أن الشيخ -رحمه الله- اعتذر عن ذلك وطلب الإعفاء لظروف خاصة كان يمر بها، بعدها اختير الشيخ ليكون عضواً في مجلس إدارة كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة وكان ذلك بموجب خطاب وزير المعارف رقم ٤٠٩٥/٥/٣/١ في ١٣٨٢/١١/٢٧هـ.

ولم يكن -رحمه الله- ممن يبخلون بوقته أو جاهه، لاسيما في نصرة وخدمة قضايا بلده وأمته فهو على الرغم من شفاعاته وخدماته الجليلة لأبناء الوطن، فقد عمل -رحمه الله- على تسهيل مهام المسلمين من الحجاج والمعتمرين في المشاعر المقدسة، بل إنه عمل جاهداً في نصرة قضايا أمته حيث عين رئيساً لمجلس إدارة الحديث المكية وعضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي، كما تم اختياره عضواً في اللجنة المنبثقة من مجلس التعليم الأعلى لوضع سياسة عليا للتعليم في المملكة بموجب خطاب رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣١٤٣ في ١٣٨٤/٥/٢٧هـ، كما تم اختياره مندوباً عن وزارة المعارف في اجتماعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بموجب خطاب وزير المعارف رقم ٥١٥٠/٣/٢/١ في ١٣٨٤/١٠/١٣٨هـ، وفي الثامن من شهر رجب عام ١٣٩١هـ صدر الأمر الملكي باختياره عضواً في هيئة كبار العلماء حيث أسست في هذا التاريخ، كما تم ترشيحه عضواً في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في ١٣٩٣/٧/٢٧هـ، وفي ١٣٩١/٦/١٨هـ صدر الأمر الملكي باستثنائه من النظام وعدم إحالته للتقاعد مدى الحياة.



عيّن الفقيد إماماً للمسجد الحرام عام ١٣٤٦هـ

كتبه ومؤلفاته

عرف عن الشيخ عبدالله خياط غزارة الإنتاج العلمي فعلى الرغم من كثرة الوظائف والأعمال والمهام الموكلة إليه وعلى الرغم أيضاً أنّ جل أعماله ومناصبه كانت في مجلات دقيقة وعلمية وخدمية تتطلب الأمانة والمراجعة المستمرة والوقوف على تقييم الأداء، إلا أنّ الشيخ -رحمه الله- استطاع بما حباه الله من العلم والمعرفة أن يثني الركب هذه المرة لتفريغ ما وهبه الله من نور العلم مصداقاً لقوله -عليه الصلاة والسلام- «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، وعليه فقد خلف الشيخ بعد وفاته إرثاً علمياً ضخما تمثل في عدد كبير من الكتب العلمية النافعة والتي من أهمها «التفسير الميسر» في ثلاثة أجزاء، وكتابه «الخطب في المسجد الحرام» في ستة أجزاء، و«دليل المسلم في الاعتقاد»، وكتاب «اعتقاد السلف»، و«ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه»، و«المصدر الثاني للتشريع الإسلامي».

ولا شك أن القارئ لكتب الشيخ يلحظ تعدد مشاربه من العلم حيث يكتب في العقيدة والفقه والحديث والسيرة، كما في كتابه «حكم وأحكام من السيرة النبوية»، و«تأملات في دروب الحق والباطل»، و«صحائف مطوية»، و«لمحات من الماضي»، وكتاب «الفضائل الثلاث»، ثم كتاب «الرواد الثلاثة»، و«على درب الخير»، ثم كتابه عن «الربـ في ضوء الكتاب والسنة»، و«الحدود في الإسلام» و«تحفة المسافر» و«البراءة من المشركين» و«قصة الإيمان».

وقد تلاحظ أيضاً أنّ للشيخ كتبا في الأدب والسير والمذكرات والتراجم كما في كتابه «شخصيات إسلامية»، و«عندما ينعكس الوضع» وكتاب «قال لي محدثي» و«التربية الاجتماعية في الإسلام»، وكتاب «الخليفة الموهوب»، و«مبادئ السيرة النبوية»، و«دروس من التربية الإسلامية» وكتاب «حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر»، هذا بالإضافة إلى مشاركات علمية ودعوية متعددة في مختلف وسائل الإعلام، كما كان للشيخ محاضرات وندوات ودروس وقراءات مسجلة من المصحف الشريف في الإذاعة، ما زالت المسامع تخشع بتلاوته لها وترددها الإذاعات العربية والإسلامية.

وفاته

أمد الله بعمر الشيخ عبدالله -رحمه الله- حتى شاهد نتاج علمه وعمله فكتبه العلمية والأدبية ملأت المكتبات العربية والإسلامية، بل تسابق عليها العلماء واحتفى بها طلاب العلم في بقاع العالم الإسلامي، أما في مجال التدريس فقد كرم الله الشيخ عبدالله خياط لأن يرى تلاميذه وطلابه يملؤون فضاء الجامعات والكليات والمعاهد العلمية والأدبية، وفي صباح يوم الأحد السابع من شهر شعبان عام ١٤١٥هـ، وفي أقدس بقاع الأرض حيث مكة المكرمة توفي الشيخ الجليل عبدالله بن عبدالغني خياط عن عمر يناهز التاسعة والثمانين بعد عمر حافل بالعلم والعمل.

وفي أم القرى شيعه خلق كثير من طلابه وتلاميذه وعامة المسلمين، وصلوا عليه في المسجد الحرام الذي لطالما شرفه الله بإمامة المصلين فيه كما شرفه الباريء في أن يقضي السنوات الطوال من عمره بين أروقة البيت العتيق تلميذا وإماماً ومعلماً إلى أن توفاه الله وهو قريب من الحرم الكبير رحمه الله رحمة واسعة.



الشيخ خياط مع عدد من زملاء مهنة التدريس



اختير عضواً في مجلس إدارة كليتي الشريعة والتربية بمكة



الفقيد في إحدى المناسبات الخارجية



الشيخ خياط يؤم المصلين

عينّ إماماً للمسجد الحرام ورئيساً للمحاكم الشرعية بالمدينة.. وقضى حياته في خدمة الدين والوطن

محمد كتبي.. موسوعة العلم والقضاء

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ زخرت مكة المكرمة بكوكبة رائدة من رجال العلم والتعليم كما زخرت بأبنائها من العلماء والمفكرين والشعراء، الذين مازالت كتب التاريخ والسير والتراجم تتحفنا بسير الأفذاذ والرواد الذين كان لهم ولمن سبقهم فضل كبير بعد توفيق الله عز وجل على الحركة العلمية والنهضة الحضارية في بلادنا، وكم كانت ساحات الحرم المكي الشريف تزخر بطلاب العلم بقدر ما كانت تمتلئ جنباتها بالمصلين الذين وفدوا لها من كل فج عميق.

وكان الشيخ محمد نور بن إبراهيم كتبي سليل أسرة علم شرعي، ما زال أبناؤها يحفظون حق آبائهم وأجدادهم، لا سيما وقد ارتبط اسم الأسرة بخزانة الكتب والمكتبات، حتى إنّ مكتبة الشيخ محمد نور إبان تعيينه بالمدينة النبوية كانت محل ارتياد كبار العلماء وطلبة العلم، وما زالت إلى اليوم محفوظة باسم مؤسسها الشيخ محمد نور كتبي، الذي حفظ له ولاة الأمر مكانته ومقامه فكان نعم العالم الصادق في خدمة دينه ثم وطنه.

اهتم عدد من المؤرخين بسيرة الشيخ محمد نور كتبي وترجم له عدد من العلماء والباحثين المعنيين بعلم التراجم والسير، كما تحدث عنه أبناء زمانه وأقرانه العلماء والأدباء والمشايخ، وكانت له -رحمه الله- صداقات وروابط حميمة بعدد من علماء المملكة والعالم الإسلامي.

أمر الملك عبدالعزيز بمنحه «عمارة المالية» ليبقى قريباً من المسجد الحرام.. ورفض الملك فيصل قرار نقله للشرقية تقديراً له



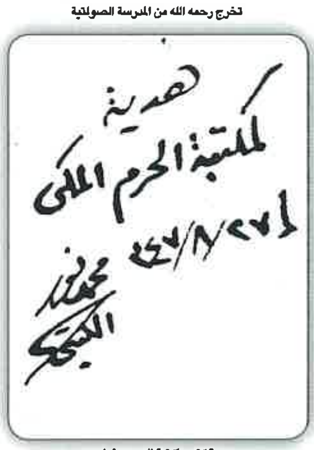
اشتهر محمد كتبي بالسعي للإصلاح بين الناس وسعة الاطلاع في المذاهب والتأليف



تخرج رحمه الله من المدرسة الصولتية



محمد كتبي



هدية كتبي لمكتبة الحرم بخط يده

مولده وصفاته

ولد الشيخ محمد نور بن محمد بن إبراهيم بن محمد عبدالله الكتبي في مكة المكرمة عام ١٣٢٧هـ وقيل عام ١٣٢٣هـ والأولى أقرب، ونشأ -رحمه الله- في مدينة مكة المكرمة، وترعرع بها في حارة جبل هندي، وكانت ولادته في بيت علم وفضل، وكان والده العلامة والمحدث محمد بن إبراهيم كتبي من كبار علماء البلد الأمين، وصفه ابن أخيه الدكتور زهير كتبي بأنه ذكي، لماح، يرتدي الكوفية والغترة، ولا يضع على رأسه عقالاً، ويلبس العباءة العربية، تزين وجهه لحية بيضاء، يتسم بنظرة رقيقة حانية، فيه سماحة نفس وهدوء طبع أن يجمع القلوب حوله فأحبه الناس والتفوا حوله، فكانت داره كما كان مكتبه يزدحم بالناس والمراجعين وأصحاب الحوائج، تتجلى فيه روح الإخلاص، صريحاً يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم، عرف بسعيه للإصلاح بين الناس، وإعانته لهم، متواضعاً لا تفارقه الابتسامة.

وقال عنه الأديب المدني سعود الحجام: "ذلك الرجل الذي يعد علماً من أعلام المدينة النبوية، فهو أحد قضاة المحكمة الشرعية بها، عرف بجنوحه للسلم في كل ما يعرض عليه من قضايا، فكم من قضية لعوائل كريمة تتعلق بطلاق أو خلافات زوجيه قد تفضي إليه تراه يجري الاتصالات ببعض رجالات المدينة من الذين عرفوا بحبهم لفعل الخير بأن يصلحوا ذات بينهم، فمتى ما تحقق له ما أراد سر له غاية السرور، وهو كذلك بالنسبة لقضايا الحقوق الخاصة كالديون والمواريث وغيرها، فإنّ له بصمات لا تمحى في قضايا بين أخوة وذوي رحم يكون له فيها دور فاعل كي لاتصل الأمور بها إلى أحكام شرعية، فتراه يلملم شعث خلافهم ويحاول جاهداً على ألا يكون لذلك الخلاف إي رواسب نفسية قد تؤثر على علاقاتهم الأسرية".



النُخبة المُعتبرة من مناسك الحجّ على المذاهب

طلب العلم

حفظ الشيخ محمد نور القرآن الكريم مع تجويده على يد الشيخ عبداللطيف قارىء وهو خال أمه، وعلمه والده الشيخ إبراهيم كتبي أصول الفقه، كما تلقى على يديه التفسير والحديث، وألم بعدد من القراءات، والتحق بالمدرسة الصولتية عام ١٣٣١هـ وبعد تخريجه منها واصل تعليمه في علم الفقه على يد الشيخ عمر بن حمدان، والشيخ الرواس وأخيراً على يد الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ صديق والده الحميم، وكان قد تخرج من القسم العالي في المدرسة الصولتية في أواخر سنة ١٣٣٧هـ، كما درس على يد علماء الحرم الشريف، ونهل من ينابيع علماء السنة والجماعة إلى أن أصبح فيما بعد أحد الأعلام البارزين الذين كتبوا في علوم الفقه وأصول الدين، لا سيما في المذاهب السنية الأربعة.

ويذكر أنّ الشيخ محمد رحمه الله عين إماماً للمسجد الحرام عام ١٣٤٠هـ، وفي شهر رمضان كان يؤم المصلين في صلاة التراويح في محراب المذهب الحنفي، كما عين رحمه الله عام ١٣٤٧هـ بمرسوم ملكي مدرساً ومراقباً للدروس بالحرم المكي الشريف، واستمر إلى عام ١٣٧٣هـ، وانتخب حينذاك عضواً في المجلس الإداري بالمدينة المنوّرة، وعُيّن مستشاراً شرعيًا لإدارة الأوقاف، ثم في عام ١٣٤٩هـ عين عضواً بهيئة التمييز، وفي عام ١٣٥٥هـ عين عضواً في مجلس المعارف بالمملكة، وفي ربيع الأول من عام ١٣٥٧هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً للمحاكم والدوائر الشرعية بالمدينة المنورة، كما عين مدرساً ورئيساً لهيئة العلماء والمدرسين بالحرم المدني الشريف، ورئيساً لكلية الشريعة في المدينة النبوية، كان بعد تخرجه من المدرسة الصولتية يدرس طلاب في الحرم المكي الشريف ويراقب الدروس، وفي عهد الملك عبدالعزيز وبعد توحيد إمامة المسجد الحرام أصبح الشريف محمد إماماً رسمياً، وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٥٧هـ عين رحمه الله قاضي للمدينة المنورة ثم رئيساً للمحاكم.

وذكر الدكتور زهير كتبي أنّ والده أبلغه أن الشيخ أم المصلين في المسجد النبوي الشريف، كما كان الشيخ يحرص على التدريس في حلق المسجد النبوي وله مكتبة كبيرة متنوعة العلوم والمراجع، وقد أوقفها ورثته بعد وفاته في مكتبة الحرم المدني الشريف، ولا تزال موجودة باسمه -رحمه الله- إلى يومنا هذا، ويقول ابن أخيه الدكتور زهير محمد كتبي أن عمه الشيخ محمد نور عين بعد تخريجه من الصولتية بترشيح من الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة وكان مقرها ما بين باب الصفا وباب أجياد.

مهامه وأعماله

وكان الشيخ محمد نور كتبي من المقربين للشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وزامل حينها الشيخ سليمان الصنيع والشيخ عبدالله خياط يرحمهم الله، وفي عام ١٣٤٩هـ عين الشيخ محمد نور كتبي عضواً بهيئة تمييز الأحكام الشرعية، ولما علم جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله أنّه من أئمة المسجد الحرام ويسكن بعيداً عن المسجد الحرام أصدر أمره السامي الكريم أول عام ١٣٥٥هـ بمنحه العمارة العائدة لوزارة المالية، وانتقل إليها الشيخ محمد نور كتبي، وفي عام ١٣٧٢هـ التقى ولي العهد -حينها- الأمير سعود بن عبدالعزيز، فقدم لسموه طالباً إحالته على التقاعد فصدر أمر سموه الكريم بإحالته على التقاعد بكامل الراتب لما قدمه من خدمات جليلة لدينه ثم لوطنه.

وحينما عين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز رحمه الله أميراً للمدينة المنورة فعينه عضواً من أعضاء مجلس الإدارة، وفي عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وزيراً للعدل، فقد عمد الشيخ محمد نور كتبي لتولي القضاء في مدينة القطيف، وعند عرض الأمر على الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله رفض وأمر بأن يعين الشيخ في الحرمين، لا يكلف بالانتقال بعيداً عنها.

وبعد مضي شهر من ذلك -أيضاً- صدر الأمر السامي الكريم بتعيينه مستشاراً شرعياً لإدارة أوقاف المدينة في عهد معالي الشيخ حسين عرب وزير الحج والأوقاف، ومع كل هذه الأعمال والمهام الجسام فإن الشيخ لم يقف أبداً عن طلب العلم والتعليم، كما كان يستثمر أوقات فراغه من أعماله في تدوين وتأليف الكتب، حيث ترك عدداً من المؤلفات والمراجع العلمية التي تدلل على سعة علمه واطلاعه في المذاهب السنية الأربعة، ولعل من أهمها كتابه النُخبة المُعتبرة من مناسك الحجّ على المذاهب.

كتبوا عن سيرته

اهتم عدد من المؤرخين بسيرة الشيخ محمد نور كتبي وترجم له عدد من العلماء والباحثين المعنيون بعلم التراجم والسير، كما تحدث عنه أبناء زمانه وأقرانه العلماء والأدباء والمشايخ، وكانت له صداقات وروابط حميمة بعدد من علماء المملكة والعالم الإسلامي، وقد ورد ذكره في عدد كبير من المجلات الدورية والرسائل العلمية والكتب، كما ترجم له كل من المؤرخ يوسف بن محمد الصبحي في "وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء المسجد الحرام"، وعبدالله العلاف في "أئمة الحرمين" والأستاذ محمد خير رمضان "في تتمة الأعلام للزركلي"، والشيخ عبدالله الزاحم في "قضاة المدينة"، والشيخ الدكتور صالح بن حميد في "تاريخ أمة في سيرة أئمة"، والشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم في "تراجم أئمة الحرمين الشريفين"، وابن أخيه الدكتور زهير محمد جميل كتبي في "رجال من مكة"، وكذلك المؤرخ عبدالله بن منسي العبدلي في "المسجد الحرام في قلب الملك عبدالعزيز"، والأستاذ أنس كتبي في "أعلام من أرض النبوة"، كما ترجم له الدكتور عبدالله بن أحمد آل علاف الغامدي والأستاذ عبدالله الزهراني في كتاب "أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه"، وكتب أخرى يطول عن المقام ذكرها ويصعب في المقال حصرها.

وفاته

في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٢هـ، انتقل الشيخ محمد نور كتبي -رحمه الله- إلى وجه ربه، وقد ناهز حينها الخامسة وثمانين من عمره، قضاها في العلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل الجاد في حل الخصومات والنزاعات بين الناس، وكان رحمه الله محل ثقة العامة والخاصة، وكان ولاة الأمر يجلونه ويقدمونه حتى أن الملك فيصل رحمه الله رفض تعيينه قاضياً في المنطقة الشرقية، وقال لمن أصدر الأمر بتعيينه إن الشيخ محمد رجل خدم دينه ثم وطنه عمل في الحرمين الشريفين وأمضى جزءاً كبيرا من حياته في القضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الآن في سن متقدم فلا يجب أن يكافأ إلا بما يليق به وبمكانته فهو قد خدم الحرمين ولا بد أن يعين قريب منها، وكان الشيخ لا ينساها للملك الراحل -رحمهما الله-، وكان له من الأبناء عشر بنات وابن واحد هو عبدالرزاق محمد نور كتبي، رحم الله الشيخ العلامة محمد نور كتبي رحمة واسعة.

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين أمام التحديات.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

تصدى لحملات الباشا وأعوانه وضرب أروع الأمثلة في صلابة الموقف وقدرات المقاتل

بخروش بن علاس.. قائد معارك الجنوب

■ بخروش بن مسعود العلاسي القرشي الزهراني أحد أشهر رجالات المنطقة الجنوبية الغربية من جزيرة العرب إبان النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، اختاره الأمير عثمان المضايفي -أمير مدينة الطائف من قبل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود- ليكون أميراً على بلاد زهران وما حولها، وذلك عام ١٢١٨هـ، وقد ورد اسمه في الكتابات والمخطوطات التاريخية وعبر الروايات الشفهية المتواترة باسم "بخروش بن علاس" إلا أن بعض الدراسات تروي أنّ اسمه بخروش بن مسعود العلاسي البخروشي القرشي الزهراني، والذي برز واشتهر في عام ١٢٢٦هـ، حيث تقدمت جيوش محمد علي باشا إلى عسير، حيث القائد طامي بن شعيب المتحمي أمير عسير الذي طلب الدعم من المدن والأقاليم المحيطة، واستطاع هذا الثنائي من صد حملات الباشا الواحدة تلو الأخرى، على الرغم من أن الإمدادات التي كانت تصل للجيش التركي تميزت بتنوع الأسلحة وحداثتها.

وغاب اسم ابن علاس عن المؤرخين والباحثين وحضر في رسائل خصومه، كما تناثرت أخباره ومآثره فلم نقف على باحث أفرد لسيرته مؤلفا خاصا أو رسالة علمية، ما أبقى سيرته وأخباره مقصورة في كثير من صورها على الرواية الشفهية المتواترة والتي وجدت في الكشف عن رسائل محمد علي باشا للخليفة العثماني مؤخرا شهادة موثقة لتلك الروايات التي كانت ومازالت تدور على ألسنة مؤرخي منطقة جنوب الطائف والباحة.

استجاب لنداء رفيقه لدحر جيوش العدو المتجهة نحو عسير وتخلص من الأسر وتحدث عن بطولاته الرحالة والمؤرخون

هزيمة طوسون

برز اسم بخروش بن علاس عام ١٢٢٦هـ حينما تقدمت جيوش محمد علي باشا وابنه "طوسون" إلى الجهات الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، وحين ذاك كان القائد عثمان المضايفي أميرا لمدينة الطائف من قبل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ومن بعده ابنه سعود ومع بداية الحملة التركية -أواخر عهد الإمام سعود- كان المضايفي قد استعد لمواجهة حملة بدعم مباشر من الدرعية التي سيرت جيشاً قوامه (١٥,٠٠٠) فارس بقيادة عبدالله ابن الإمام سعود لمؤازرة الجيوش السعودية هناك، كما انضم للجيش السعودي حين وصوله القائد المشهور طامي بن شعيب المتحمي أمير عسير وقد استطاعت هذه الجيوش هزيمة "طوسون" باشا الذي استعاد تنظيم جيوشه في عام ١٢٢٨هـ، بعد أن وصله الدعم من والده ليتمكن مصطفى بك رئيس فرسان محمد علي باشا وصهره من دخول مدينة الطائف.

ومن هنا بدأت معارك الكر والفر بين الجيشين السعودي والتركي وأصبحت مناطق جنوب الطائف ميداناً ساخناً بين الفريقين، واستمر حينها القائد طامي بن شعيب في مواجهة جيش الباشا بعد أن أسر الأمير عثمان المضايفي في العاشر من رمضان عام ١٢٢٨هـ، وكان محمد علي باشا حريصاً على أن يستولي على المناطق الجنوبية الغربية لإخضاعها لحكمه وقطع الطريق على القيادة في الدرعية.

محارب جسور

وبعد ذلك كتب الباشا للخليفة العثماني بإسطنبول ما نصه "وكما تعلم جيداً أن هذه -أي عسير- هي المصدر الرئيسي للدرعية وهي قلب قوتها، وإذا ما قدر لنا وللقانون أن يُخيم في ربوع هذه الجبال سيكون من السهل واليسير حل مشكلة الدرعية والقضاء عليها"، هنا وصلت جيوش الباشا إلى القنفذة وطلب حينها القائد طامي بن شعيب المتحمي الدعم من المدن والأقاليم المحيطة، وهنا يبرز اسم القائد بخروش بن علاس الوالي المعين من قبل الأمام عبدالعزيز على تلك النواحي منذ عام ١٢١٨هـ.

وفعلاً استطاع هذا الثنائي من صد حملات الباشا الواحدة تلو الأخرى وعلى الرغم من أن الإمدادات التي كانت تصل للجيش التركي تميزت بتنوع الأسلحة وحداثتها إلا أن الأمير والقائد بخروش بن علاس استطاع من جهته أن يعيد هذه السرايا من حيث أتت، بل إنّه أرسل رسالة تحد سخر فيها من جيش الباشا الذي أعاده بخروشْ من حيث أتى، أما القائد طامي بن شعيب فظل يناضل ويصد الحملات التي تحاول التقدم نحو إقليم عسير، وكان التعاون بين الأميرين غاية في الوفاء والإيثار فكل يذود عن صاحبه فمثلاً أثناء معركة القنفذة عام ١٢٢٩هـ استطاع الأميران طامي وبخروش أن يهزما جيش "حسن أغا" و"أسيوم أوغلو" بشهادة المؤرخ "جيرالد دو غوري"..

من جانبه فقد استطاعت جيوش القائد بخروش أن تصيب طوسون باشا والقائد عابدين بك وحينها دوت نتائج هذه المعارك في سماء الصحف العربية والتركية وظل الولاة العثمانيون يتناقلون أخبار تقهقر الحملة العثمانية ما أوقع محمد علي باشا في حرج كبير لا سيما بعد أن تلقى رسالة بخروش الساخرة إضافة إلى إصابة طوسون ابن الباشا، وقائده في هذه المعارك وفي حين كان القائد بخروش يقود الجيوش السعودية هناك، والتي كانت مكونة من أبناء القبائل في منطقة الباحة وجنوب الطائف كان القائد طامي بن من آثار قلعة يقال إنها تعود للقائد بخروش شعيب المتحمي يقود قبائل عسير في معارك ضارية، كما كانت قبائل البقوم ومن حولها بمدينة تربة تتأهب للمواجهات الحاسمة مع جيش محمد علي، وهنا اضطر الأخير لجلب أعداد إضافية من المقاتلين من جبال أطلس الذين اعتادوا على القتال في الجبال بالإضافة إلى المقاتلين الأرنؤوط "الألبان" الذي ينحدر منهم الباشا نفسه، فهو تركي عاش أسلافه في ألبانيا.

سر العودة

هنا فات على كثير من



بخروش بن علاس

المؤرخين أمران بالغا الأهمية الأول يتعلق بعودة محمد علي باشا إلى مصر بعد أن حقق انتصارات وتقدم في إقليم الحجاز، وقد احتار المؤرخون بسبب هذه العودة المفاجئة رغم أنّ مصلحته تتطلب بقاءه بجانب جيوشه المتقدمة، والحقيقة أن سبب عودته عائد إلى هروب الإمبراطور الفرنسي "نابليون بنابورت" من منفاه في جزيرة "ألبا" وعودته لفرنسا ليخوض معركته الأخيرة مع الحلفاء الذين هزموه في معركة "واترلو" الشهيرة والتي استسلم بعدها الإمبراطور الفرنسي للعرش الإنجليزي، وكان "نابليون" قبلها بقرابة عقد ونصف العقد من السنين قد غزا مصر واحتلاها، ولذا فقد جاءت عودة الباشا لهذا السبب.

أما الأمر الآخر والذي لم يلحظه الكثير من المؤرخين هو إصرار محمد علي باشا على مواصلة توغله في مناطق عسير والزحف على اليمن، وقد علل ذلك للخليفة العثماني بما ذكره في رسالته أعلاه بيد أن الحقيقة أنّ الباشا محمد علي كان حريصاً على الوصول لليمن من أجل السيطرة على حقول البن ودخول مدينة "مخا" اليمنية التي عرفت بجودة محصولها من البن، وكذلك إقليم خولان وكان الأتراك يصدرون هذا النوع من البن الوارد من مدينة "مخا" إلى أوروبا تحت مسمى "موكا" كما ينطقها الأتراك، ومن المعروف أنّ محمد علي حين صباه كان يبيع القهوة وسجائر الدخان الذي يسميه الأتراك "تتون" وذلك حين كان صبياً في ألبانيا.

حرب نفسية

بالعودة إلى تقدم محمد على واستعداده للزحف لمنطقة الباحة فقد استعدت قبائل المنطقة بقيادة الفارس بخروش بن علاس الزهراني لصد حملات الباشا وفعلاً استطاع بخروش أن يصد الحملة تلو الحملة وانفردت بعض كتب التاريخ بتفصيل المعارك المستمرة بين الجيشين لا سيما حين داهم رجال بخروش جيوش الباشا وسط الجبال وقطعوا عليهم الطرق ورموهم بالصخور واستمر الكر والفر من قبل الجيش التركي الذي أصبح عاجزاً عن التقدم، حيث لم تقف مقاومة بخروش ورجاله على القوة العسكرية بل عملت على بث الأخبار المرعبة للجيش التركي من خلال حيلة هي أشبه ما تكون بالحرب النفسية في استراتيجيات المعارك والحروب الحديثة، حيث طلب بخروش من بائعي العسل والبضائع الذين يرتاد الجيش التركي مباسطهم أن ينقلوا ويصوروا للأتراك خطورة غزو الجبال التي تسكنها الجن وربما أرشدوهم إلى طرق وعرة تزيد من تمكين جيش بخروش منهم، وكانت مثل هذه الأخبار تنتشر بين جنود الباشا انتشار النار بالهشيم.



آثار قلعة تاريخية يعتقد أنها لابن علاس

معركة بسل

خرج محمد علي من معاركه جنوب مدينة الطائف بانكسارات كبيرة ومكاسب قليلة متواضعة جعلت تقدمه نحو الشرق والجنوب بطيء إلى حد كبير وإلى حين معركة بسل الشهيرة، حيث تجمعت الجيوش السعودية جميعها في هذه المعركة الفاصلة والتي برزت فيها أسماء لامعة في الجيش السعودي كطامي، بن شعيب وبخروش بن علاس، وغالية البقمية، وجميعهم ضمن قوات الأمير فيصل بن سعود بن عبدالعزيز.

ويقول المؤرخ محمد بن عايض القرشي الزهراني في وصف هذه الأحداث "وحشد الباشا جيشا عداده ٢٥ ألف مقاتل تقريبا، ووصلوا إلى جدة بواسطة الاسطول البحري، ومنها إلى وادي بسل ووادي كلاخ، وكلاهما جنوب شرق الطائف بحوالي ٦٠كم، وهناك بنى الباشا استحكاماته في تلك المنطقة، التي تعتبر استراتيجية لوجود المياه فيها، وأيضا التلال ذات اللون الوردي، والتي تصلح لاختباء الجنود، ثم استدرج الجيوش المتحالفة وهي (الجيش السعودي- وجيش بخروش- وجيش طامي من عسير) والتي كانت متمركزة في وادي غزايل، وكان معه سلاح فتاك في ذلك الزمن، وهو مدافع الهاون والبنادق "العصملي"، بينما العرب لا يملكون إلاّ البنادق المقاميع والسلاح الأبيض، وعزم ألا يغادر ذلك الموقع، لأنّه رآه استراتيجيا، حيث المؤن ميسرة تنقلها القوافل من جدة إلى بسل وكلاخ، وأسطوله البحري يواصل المد إلى جدة يومياً من السويس وميناء القصير على شاطئ البحر الأحمر، وقد ذهب تفكير العرب المتحالفين في غزايل، إلى أن الباشا سيهجم عليهم في أي لحظة، في حين أنّه لم يفعل حسب خطته التي أصر من خلالها على أن يبقى مكانه في بسل، حيث بنى استحكاماته هناك، وحدث أن العرب المتحالفين في غزايل قد انتهت مؤنهم الغذائية، وكان عددهم حوالي ٣٠ ألف مقاتل، وطال انتظارهم للمعركة، فقرروا الهجوم على الباشا وجيشه المتمركز في بسل وكانت تلك غلطة عظيمة دفعوا ثمنها".

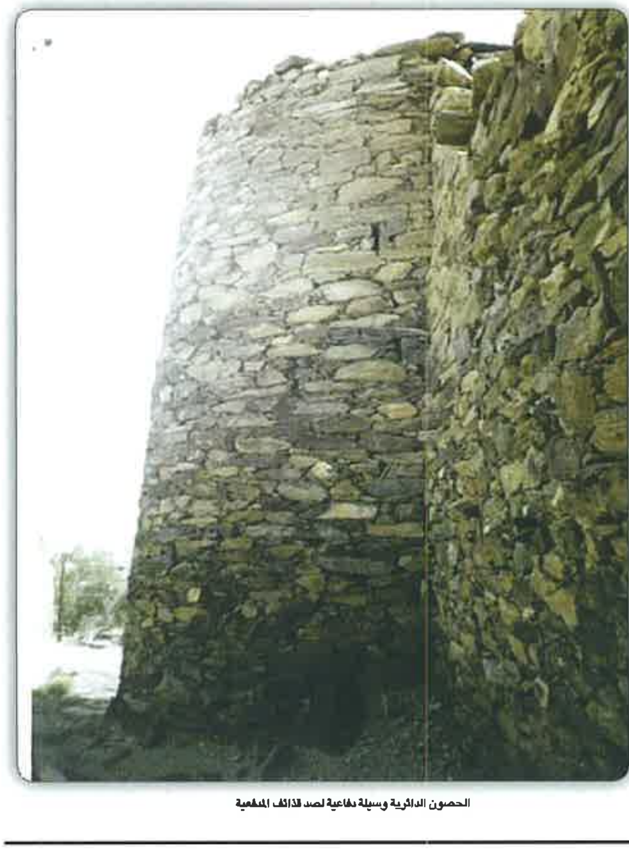
جيوب دفاعية

شكلت خسارة معركة بسل تحولاً في ميزان القوى حيث تمكن محمد علي باشا من المنطقة وظلت الجيوش المدافعة تقاوم على شكل جيوب دفاعية فكل قبيلة تهاجم وتدافع وتقاتل في أرضها، وكان القائد بخروش بن علاس يقود قبائل زهران التي أرهقت وبددت جيوش محمد على وابنه طوسون، حينها ظل بخروش يقاوم من جهته إلى أن تم أسره أخيراً من قبل جيش محمد علي بعد أن ضرب أروع الأمثلة في صلابة القتال، كما أسر صديقه القائد الفذ طامي بن شعيب المتحمي وأرسل إلى مصر ثم إلى إسطنبول، أما بخروش فقد استطاع أن يفتك بآسريه ويفك قيده ويهرب من السجن، إلاّ أنّ رجال الباشا تابعوه، واستطاعوا القبض عليه، ولما سأله الباشا لماذا تقتل الجند، رد عليه بخروش "ما دمت طليقا أعمل ما شاء"، عندها أمر الباشا بهذا البطل فقتل -رحمه الله- ودفن جسده في تهامة زهران، وحمل رأسه إلى مصر ثم أسطنبول مع القائد الشهير طامي بن شعيب، الذي أسر هو الأخر في ذات المعارك، حينها أرسل الباشا للخليفة العثماني يخبره بالتفاصيل حيث يقول: "استمر زحفنا إلى ديار بخروش رئيس قبيلة زهران وكان أميرهم في القلعة مع بضعة آلاف من رجاله"، ثم يضيف: "حاصرنا القلعة لمدة أسبوع ثم قمنا ببعض التفجيرات"، وبعد أن تحدث عن نهاية القائد طامي بن شعيب واصل حديثه عن القائد بخروش بقوله: "علاوة على ذلك، فإن بخروش الرجل الآخر القوي الذي منحناه العفو والأمان حاول الهروب في إحدى الليالي بعد قتل حارس سجن، تبعناه وألقينا القبض عليه".

حكم بخروش

في المناطق المتاخمة لمدينة الباحة هناك مثل سائر بين الأهالي مفاده الثناء والإعجاب بما قدمه الأمير والقائد بخروش، حيث سار على ألسنة العامة مثل يقول "حكم بخروش" يراد به الإشارة إلى الأحكام الصارمة والجائرة أحياناً -كما تقول الرواية- مستشهدين بقصة شكوى قدمها بعض الأفراد من جماعة بخروش للشريف في مكة المكرمة يتذمرون فيها من بعض الأحكام التي يطلقها بخروش والتي وصفوها بالجائرة، والحقيقة أنّ المثل عائد إلى "قراقوش" خادم صلاح الدين الأيوبي ونائبه على مصر والذي اتهم بأحكامه الجائرة، لا سيما حين ألصقها به أسعد مماتي الذي توفي عام (٦٠٦هـ) والذي ألف كتابه "الفاشوش في أحكام قراقوش" ليتهم "قراقوش" بهذه الفرية التي هو منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، حيث تثبت كتب التاريخ والتراجم حسن سيرة النائب "قراقوش"، الذي ربما كان لقرب اسمه من اسم بخروش سبباً في الخلط بين القائد بخروش والنائب قراقوش، فلم يذكر التاريخ برواياته المتواترة أن القائد بخروش كان حاكما جائراً أو مستبداً كما لم يكن "قراقوش" كذلك، بل أن بخروش عرف في التاريخ أنه مناضل قاتل قتال حمى الأهل والأوطان، وربما أن هذا المثل إنما سار بين ألسنة العامة من باب الثناء على بخروش.

واستدلالاً على هيبته وجسارته قال عنه المؤرخ الإيطالي الذي رافق غزو محمد علي باشا في تلك الديار "جيوفاني فيناتي": "لم يشهد العرب أشجع من بخروش في زمانه"، كما قال "جيرالد دو غوري" -صاحب كتاب "حكام مكة"- نقلاً عن المؤرخ السويسري "بوركهات" الذي حضر مقتل بخروش وكان شاهد عيان على حروبه ومعاركه، "فبعد أن وقع بخروش في أسر محمد علي باشا تمكن بخروش من الهرب، وحين تم القبض عليه أمر الباشا بقتله ببطء"، وهنا يقول "بوركهات" في وصف مقتله "وظلوا عاكفين عليه هكذا إلى أن هلك، دون أن يشتكي"، وكان ذلك في عام ١٢٣١هـ حيث وفاته رحمه الله رحمة واسعة.



الحصون الدائرية وسيلة دفاعية لصد القذائف المدفعية



رغم الحصار ظلت قلاع الجنوب صامدة أثناء معارك القرن الثالث عشر

شخصيتها القوية غرست الطموح في ابنها عبدالله بن رشيد لتولي إمارة حائل

علياء الشمرية.. المرأة المناضلة

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز وطنهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة الوطن واستقراره.



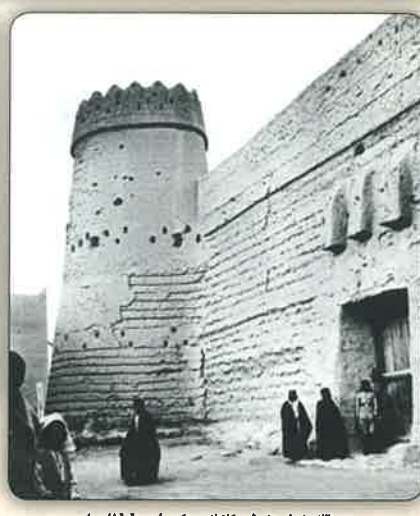
إعداد - منصور العساف

■ ظلت مآثر وتاريخ المرأة في الجزيرة العربية -لا سيما في القرون المتأخرة- حبيس ما ينقل لنا عن طريق الرواية الشفهية، كما ظلت الموروثات الأدبية والصور النضالية للمرأة تائهة في بحر المجاهيل، إذ من الصعب أن تجد كتاباً أو مخطوطاً عني بتاريخ وحياة وأدب المرأة في معظم بلدان الجزيرة العربية، ولا شك أن المكتبة العربية الحديثة، لاسيما في المملكة قد شهدت في السنوات الأخيرة طفرةً لا بأس بها في مجالي البحث العلمي والتحقيق والتدوين الأكاديمي لكل ما هو معني بتاريخ المرأة في الجزيرة العربية، ولا شك أن علم التراجم والسير كان ولا يزال أحد أهم هذه العلوم التي توثق حياة ومجتمع المرأة، والتي كان للدكتورة دلال الحربي السبق في عطائها الفريد في هذا المجال، من خلال كتابها "نساء شهيرات"، في حين كان للأديب والمؤرخ الراحل سعد بن جنيدل -رحمه الله- عطاؤه المتميز الذي حفظ لنا من خلاله جزءاً لا بأس به من أدب النساء وأشعارهن لاسيما نساء القرنين المنصرمين، والذي لاح من بين نجومه وأقماره اسم علياء بنت عبدالعزيز آل حميّان زوجة الوجيه علي بن رشيد ووالدة الأمير عبدالله بن علي بن رشيد الصديق الحميم للإمام فيصل بن تركي بن عبدالله وأول أمير من أسرة آل رشيد.

نشأت وترعرعت في حائل وتزوجت علي بن رشيد أحد المقربين من الإمام سعود بن عبدالعزيز وعرف ابنها عبدالله بصداقته القوية مع الإمام فيصل بن تركي



حائل قديماً حيث نشأت وترعرعت علياء الشمرية



عبدالله بن علي بن رشيد كان له دور كبير في موقعة المصمك



قصر برزان في حائل

نشأتها ونسبها

تزوجت علياء بنت عبدالعزيز آل حميّان الشمرية من علي بن رشيد بن خليل بن عطية من الربع -الربعية - من آل خليل من آل جعفر من عبدة"، وبهذا فأسرتها وأسرة زوجها من آل جعفر من عبدة، وهما بذلك سليلا إحدى أكبر قبائل شمر التي تتفرع منها عدة بطون، مثل "أسلم" و"سنجارة" و"عبده"، التي منها أبناء العمومة "آل علي" و"آل رشيد"، وحيث تتفرع أسرة "آل رشيد" إلى ثلاثة فروع هم "آل عبدالله" و"آل عبيد" و"آل جبر"، فإن "آل علي" يلتقون بأبناء عمومتهم "آل رشيد" في الجد الخامس "عطية"، حيث إنَّ "علي" جد "آل علي" و"خليل" جد "آل رشيد" إخوان، و"عطية" من "الربع" من "آل جعفر" من "عبده"، إحدى أكبر قبائل شمر من قبيلة "طيء" العربية، التي تعود إلى "كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان".

ويرجح الباحثون أن علياء نشأت وترعرعت في مدينة حائل حيث مقر قبيلتها غير أنَّ خلافاً دب بين ابنيها الأمير عبدالله وأخيه عبيد من جهة، وأمير حائل آنذاك صالح بن عبدالمحسن بن علي (١٢٣٤-١٢٥١هـ) من جهة أخرى، سعى خلاله الأمير صالح بن عبدالمحسن إلى إبعادها وابنيها إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل، كما روى ذلك ضاري بن فهيد الرشيد في رسالته (نبذة تاريخية عن نجد) التي أملاها على وديع البستاني، ويبدو أن الخلاف لم يكن يتوقف على ابني علياء الأمير عبدالله بن علي وأخيه عبيد، بل كان أيضاً مع أسرة علياء نفسها، حتى أنهم ساندوا - فيما بعد - أسرة آل رشيد ممثلين بالأمير عبدالله بن علي وأخيه عبيد في خلافهما مع الأمير صالح بن عبدالمحسن.

تزوجت علياء بعلي بن رشيد، وقد عرف عن زوجها مع شجاعته التحلي بالحلم والتؤدة، وقد وصفه المؤرخ فهد المارك بـ "التقي والورع" وترجح الدكتورة دلال الحربي أن زواج علياء بابن عمها علي بن رشيد كان عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م؛ لأن ولادة ابنها عبدالله كانت في عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م وفقاً لما أوضحه أبو عقيل الظاهري في "ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد".

حكم حائل

أنجبت علياء من زواجها بعلي بن رشيد كلاً من عبدالله الذي أصبح فيما بعد أميراً على حائل، وهو أول من تولى الإمارة في أسرة آل رشيد، وهو الذي عرف بصداقته الحميمة مع الإمام فيصل بن تركي، حيث كان بصحبته يوم أن علم الأخير بمقتل والده تركي بن عبدالله، وحينذاك كان الإمام فيصل بن تركي في الأحساء، فعاد بمشورة كبار رجاله الذين منهم الأمير عبدالله بن علي بن رشيد الذي كان له دور كبير في اقتحام حصن المصمك، وهو ما لم ينسه له الإمام فيصل، وقد وصف "ابن بشر" الأمير عبدالله بأنه: "ذو رأي وشجاعة"، ووصفه "الفاخري" بأنه: "كان صارماً مهيباً، أرجف الأعراب بالغارات حتى خافه قريبهم وبعيدهم"، أما "فالين" الذي كان معجباً به وبأخيه "عبيد" فقال في وصف الأمير عبدالله "أضف إلى ما تقدم ما ذكره من صفاته الشخصية الفريدة وشجاعته ورجولته وعدله وعلى قسوته أحياناً، والمحافظة على وعده وعهده، لم يعرف عنه أنه نكث وعداً أعطاه"، وهذه صفة تجلت كثيراً في بنيه.

كما أنجبت علياء من علي بن رشيد كلاً من "عبيد" العضد الأيمن لأخيه عبدالله الذي لازمه في حله وترحاله ومعاركه وإمارته ودون ملاحمه في قصائد منشورة مشهورة على ألسنة العامة، أما الابن الثالث فكان عبدالعزيز الذي شهد مع أخيه عبدالله معركة في الحلة بالعراق وتوفي بها عام ١٢٢٩هـ كما ذكر ذلك أحمد بن فهد العريفي فيما عنونه بـ "ملاحظات على كتاب رحلة إلى بلاد نجد"، وربما كان ذلك حين انحدر الأمير عبدالله وأخوه "عبيد" إلى (العراق) - أثناء ولاية "داود باشا" - بعد أحداث يطول شرحها، حيث نزلا عند الشيخ "صفوق الجربا"، وكان الوالي العثماني لـ (العراق) "داود باشا"، ثم أن علياء أنجبت ابنتها نورة التي يعتزي بها آل رشيد والتي تزوجت من آل جرباء كما يذكر ضاري في نبذته التاريخية.

تباين وتخالف

وقد أضاف أبو عقيل الظاهري لأبناء علي بن رشيد من زوجته علياء كلاً من "سليمان" و"رشيد"، أما سليمان الدخيل فذكرهم في مشجرة آل رشيد المعنونة بـ "القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد" أنهم ثلاثة هم: "عبدالله" و"عبيد" و"رشيد" في حين ذكرهم حمد الجاسر في "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد" على النحو التالي "عبدالله" و"عبيد" و"جبر"، أما أحمد بن فهد العريفي الذي ناقش هذا التباين والاختلاف بين هذه الروايات فقد خلص إلى القول إن أبناء علي بن رشيد من زوجته علياء هم: "عبدالله" و"عبيد" و"عبدالعزيز" فقط.

وتقول الدكتورة دلال الحربي وفقاً لما ذكره العريفي في "ملاحظات على كتاب رحلة إلى بلاد نجد" إن ثمة روايات لبعض الباحثين تزعم أن علياء تزوجت بزوج آخر من أسرة آل جراد التميمية النسب، وأنجبت له ولداً قتل في معركة بقعاء عام ١٢٥٧هـ، وتقول "غير أن هؤلاء الباحثين لا يحددون إن كان زواجها هذا كان قبل زواجها من علي بن رشيد أم بعد وفاته"، مضيفة "أن علياء وأسرتها المكونة من زوجها وأبنائها عاشوا في بداية أمرهم - كما يبدو - حياة بسيطة".

القرب من الإمام سعود

قال "د. عبدالفتاح أبو علية" في دراسته حول المخطوط التركي (الرحلة الحجازية لسليمان شفيق كمالي) إنَّ "علي" والد الأمير "عبدالله بن رشيد" كان أحد المقربين من الإمام "سعود بن عبدالعزيز" - ثالث حكام الدولة السعودية الأولى- حيث كان أحد رجاله الثقات، بل عيّنه الإمام سعود جابيا لزكاة البادية في شمال الجزيرة العربية.

وذكر "ضاري الرشيد" أنه كان صاحب ديانة وورع ودين وكرم ولم يكن يؤيد توجه ابنيه "عبدالله" و"عبيد" - رحمهما الله - في خلافهما مع ابن عمهم - أمير الجبل آنذاك - "صالح بن عبدالمحسن آل علي" - رحمه الله - وكانا رهن أمر والدهما يسمعانه ويطيعانه، وبالتأكيد فإن "علي بن رشيد" لم يحصل على هذه المكانة عند الإمام "سعود" إلا لثقة الأخير به، بل ذكر صاحب المخطوطة التركية (الرحلة الحجازية) أنّ لـ "علي بن رشيد" أخاً يدعى "جبر" عند الإمام "سعود" بـ (الدرعية)، وهو عم الأمير "عبدالله بن علي بن رشيد"، وقد ذكر المؤرخ "ابن بشر" أنّ "جبر بن رشيد" كان قد انتقل بعد سقوط (الدرعية) إلى (رأس الخيمة) - وفق ما ذكره "ضاري الرشيد في (نبذة تاريخية عن نجد).

ويقول المؤرخ "محمد الزعارير" في (إمارة آل رشيد في حائل): "ويبدو أن جبر كانت له مكانة مرموقة عند سعود بن عبدالعزيز، إذ كان يكرمه إكراماً زائداً"، مستشهداً بما ذكره "ابن بشر" حول ما قاله الإمام "سعود" لعماله في الأقاليم: "إذا ورد عليكم كتاب فيه اسمي وهو خط جبر بن رشيد يكون يعمل فيه ولو ما فيه مهر"، ولم يكن هذا إلا دليل على المكانة التي يتمتع بها كل من "علي بن رشيد" و"جبر بن رشيد" عند الإمام "سعود"، لاسيما أنّ "ابن بشر" نفسه كان قد ذكر "جبر بن رشيد" مع من وصفهم بـ "أعيان المسلمين".



قصيدة ابن رشيد في الإمام فيصل بن تركي تؤكد العلاقة الوطيدة بينهما

طموح وتطلع

وتقول الدكتورة دلال الحربي: "ونستقي من مجموع المعلومات التي وقفنا عليها والمتعلقة بعلياء، أنها كانت وراء ذلك الطموح والتطلع إلى الإمارة عند ولديها، ولعل ما كان يدفعها إلى ذلك موقف أسرتها من آل علي"، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن عبدالله بن علي بن رشيد كان يتقوى بموقف أخواله -أيضا - مع موقف أسرته في مناوأته أبناء عمومته الذين كانوا في سدة الحكم.

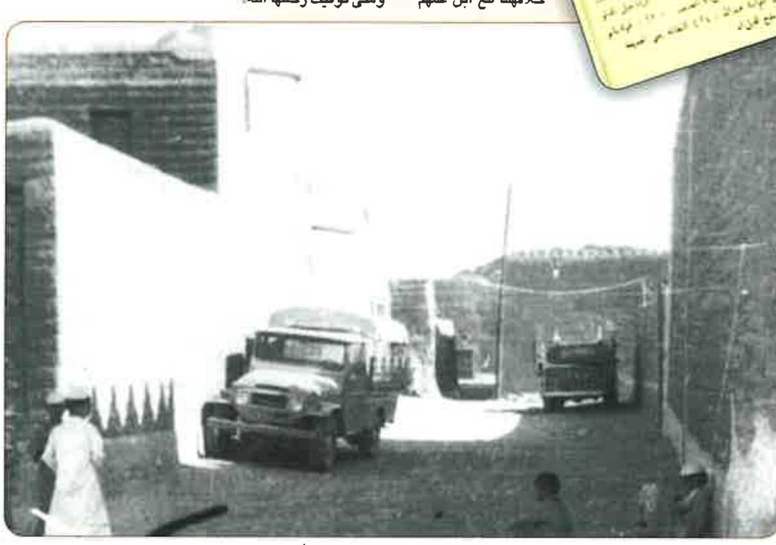
ويذكر مسعود الرشيدي في "التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية" أن الأمير عبدالله بن رشيد عندما كان مختفياً في أطراف حائل عن الأمير صالح بن عبدالمحسن بن علي جعل من زوجته رسولاً بينه وبين والدته، ويبدو أن والدته علياء كانت شريكا أساسا في بناء شخصيته وإمارته فيما بعد، بدليل أن الأمير صالح بن عبدالمحسن شدد الرقابة عليها، كما يقول مسعود الرشيدي، بل إنه أخرجها خارج مدينة حائل، طبقاً لما ذكره ضاري الرشيد، ولعل من أبرز الصور التي توضح قوة شخصية هذه المرأة ورغبتها الأكيدة في أن يتولى ابنها الإمارة قولها في إحدى قصائدها:

عسى يجي عدل وممشاه قادي
وتكثر عذار اللي يدور التحاويش

ولا شك أن علياء كانت امرأة مناضلة وشاعرة لها قصائد وأشعار، لو أنها حفظت لاستطعنا الوقوف أكثر على ظروف حياتها ومعيشتها، التي لم تقل لنا الكتب ولا حتى الروايات الشفهية، كيف ومتى توفيت رحمها الله.



عرف زوج علياء بالشجاعة والحلم



قدمت علياء ابنها لتولي إمارة حائل قديماً

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز وطنهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة الوطن واستقراره.



إعداد - منصور العساف

نشأ محباً للعلم والبحث والشعر وعكف على التدوين وتبحره في تاريخ طيبة

عبيد مدني.. مؤرخ المدينة النبوية

■ عُرف السيد عبيد بن عبدالله بن حمزة المدنيّ بلقب "شاعر المدينة" بل ومؤرِّخها الذي خلف ما يقارب (١٢) مؤلفاً عن تاريخ مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فهو الذي قضى سنوات طويلة من عمره في البحث والتدوين لاسيما انه عاصر ثلاثة عهود مختلفة، حيث أدرك أواخر العصر العثماني في المدينة المنورة ثم الحكم الهاشمي، ثم عاش معظم حياته في العهد السعودي.

ولأنه نشأ يتيماً في منزل والده الذي كان أحد وجهاء المدينة ورجالها البارزين، ويقال إنّه أول من بنى فندقًا أو نزلاً في المدينة المنورة، وقد عاش السيد عبيد حياة اليتم وقد عوضته والدته -رحمها الله - فقد والده فعكفت على تعليمه وتربيته، حتى نشأ محباً للعلم وللعلماء وعاكفاً على التدوين والبحث العلمي، كما منحه فقد والده شعوراً بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، فنشأ راشداً يدير أعمال أسرته وأعمال والده، التي لم تقطعه - أبداً - عن طلب العلم والبحث.

عيّن عضواً في مجلس الشورى وفي العديد من اللجان الرسمية وكانت له صلات بالمؤسس وأبنائه سعود وفيصل

ولد السيد عبيد بن عبدالله بن محمد مدني بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٤هـ، وكان جده السيد محمد مدني قد تولى خلافة قاضي المدينة، كما كان أمين ديوان المحكمة، وكان وجيها من وجهاء البلدة وهو الذي بنى قصر الصالحية بالشونة وبعد وفاته سكن عبدالله (والد عبيد) بسويقة، وكان أحد أعيان المدينة المنورة وكان من رجال الأعمال البارزين وله أعمال واستثمارات تجارية مشهورة لعل من أهمها الفندق الكبير خارج الباب المجيدي الذي نزل به عدد من القادة والزعماء في ذلك العصر، وقد باعه ابنه السيد عبيد -فيما بعد- للمعلم محمد بن لادن، ولم تكن هذه الأعمال التجارية لتصرف السيد محمد عن أعمال الخير والأعمال الإنسانية، فالذين عاصروه وكتبوا عنه لم يغفلوا هذه الأعمال الجليلة التي كان يقدمها السيد محمد لخدمة الفقراء وحجاج بيت الله الحرام، على الرغم من أنه -رحمه الله- كان يخفيها عن الأنظار، ويحتسبها عند الله.



عبيد مدني



د. غازي عبيد مدني



د. نزار عبيد مدني

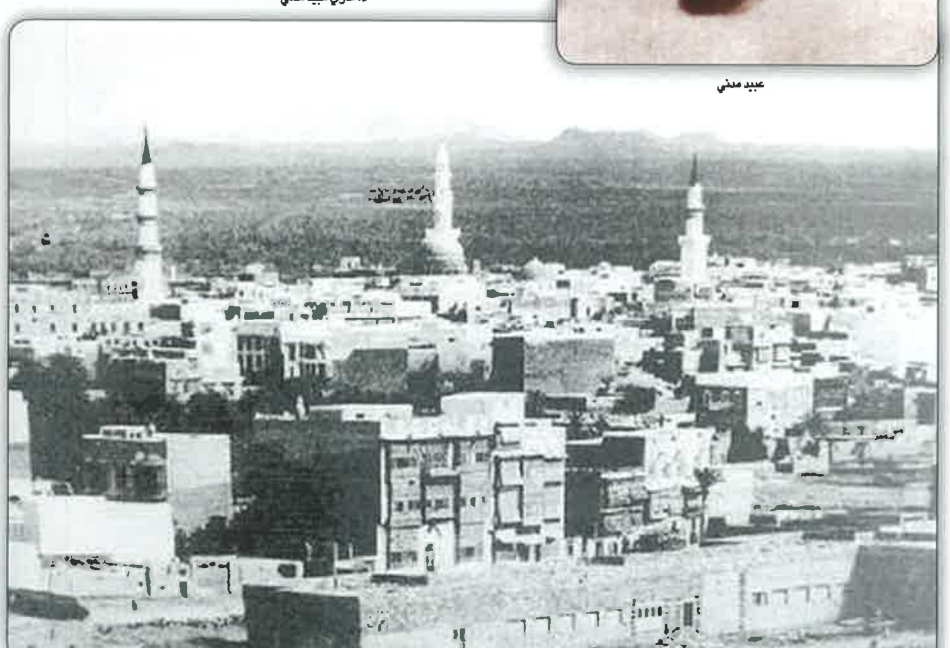
النشأة

تزوج السيد عبدالله من صفية كريمة السيد أحمد البرزنجي، وحين ولد له ابنه "البكر" عبيد فرح بولادته، وأنفق وتصدق بكثير من الأموال حمداً وشكراً لله سبحانه، وحين بلغ الابن "عبيد" السابعة من العمر توفي والده عبدالله-رحمه الله-، ويذكر الأستاذ عبدالحق بن عبدالسلام النقشبندي لمحات من طفولة زميله وصديق عمره السيد عبيد مدني حيث قضيا أيام الصبا سوياً، حيث يأتيهم السيد عبيد من "سوق القماشة" إلى "زقاق الكبريت" وكم حملت أزقة المدينة المنورة وأحياؤها القديمة ذكريات وأحلاماً لا تنسى لذلك الجيل الذي عاصر أحداث الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣هـ، وتداعيات الثورة العربية الكبرى وبناء سكة الحديد من قبل الدولة العثمانية من الشام إلى المدينة المنورة، وهي المرحلة التي أمر فيها حاكم المدينة العسكري فخري باشا بإجلاء سكان المدينة المنورة إلى الشام والأناضول كما يروي ذلك المؤرخ عبدالحق النقشبندي، إلاّ أن السيد عبيد بقي بالمدينة المنورة بجوار والدته لحين انتهاء الحرب وعودة سكان المدينة المنورة لها عام ١٣٣٧هـ.

كان السيد عبيد مدني قد درس في المدرسة الفيصلية فتخرج منها وقيل انه لم يكمل دراسته فيها ثم التحق بالمدرسة الراقية بالمدينة المنورة التي لم تستمر سوى بضعة شهور بعدها اتجه للدراسة بالحرم الشريف حيث درس في حلقة الشيخ محمد الطيب الأنصاري عام ١٣٢٧هـ، وأبحر حينها في دراسة الأدب وكان شغوفاً به وقد استفاد من مكتبة والده، وكان يستغل مكوثه في منزله بالدراسة ومراجعة الكتب ويزوره هناك عدد من أساتذته فينهل من علمهم ومناقشاتهم العلمية.

الأعمال والوظائف

على الرغم من أعماله التجارية والاستثمارية إلا أن السيد عبيد التحق بالعديد من الوظائف الرسمية في الحكومة وقد عين عضواً بالمجلس الإداري بالمدينة المنورة ووفدها بالمؤتمر الوطني بمكة المكرمة عام ١٣٥٠هـ، بدلاً من الأستاذ سعود دشيشة ثم مديراً لأوقاف المدينة



تبحّر عبيد مدني كثيراً في تاريخ المدينة ومساجدها

كما يظهر ذلك في صحيفة "صوت الحجاز في عددها التاسع والثلاثين كما عين عضواً في مجلس الشورى اعتباراً من ١٣٥٥/١١/٥هـ حتى إحالته إلى التقاعد في ١٣٧٣/٨/٢٦هـ، ناهيك عن إسهامه في تأسيس صحيفة المدينة ومجلة المنهل وقد كانت له صلات واتصالات بالملك المؤسس عبدالعزيز وأبنائه الملك سعود وفيصل -رحمهم الله-.

كما أنه شارك في العديد من اللجان رئيساً وعضواً من أهمها عضواً في المؤتمر الوطني الأول للأدباء، ورئيساً لجمعية الدفاع عن فلسطين، وعضواً في مجلس الأوقاف الأعلى، وعضواً في جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين، وعضو الوفد الذي مثل مكة المكرمة عند لقاء الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بالطائف عام ١٣٦٠هـ، وعضو الوفد السعودي المشارك في احتفالات استقلال سورية برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز عام ١٣٦٥هـ، وقد تقاعد عن أعماله الحكومية عام ١٣٧٣هـ بناء على طلبه للتفرغ لأعماله الحرة ونتاجه الأدبي والعلمي.

مؤلفاته

عرف السيد عبيد -رحمه الله- بإنتاجه الأدبي حيث يعد رائداً من رواد الأدب الحديث في المدينة المنورة، وقد حفظت له قصائد غاية في الروعة والبيان حيث عرف بتمكنه وثروة مخزونه اللغوي وكان ممن يبادل الأدباء والشعراء في العالمين الإسلامي والعربي المراسلات والمساجلات الشعرية لا سيما وأنه -رحمه الله- كان يلتقي بمعظم هؤلاء الشعراء والأدباء ورواد الأنشطة الأدبية والعلمية حيث يستغل تواجد هؤلاء الرواد في المدينة المنورة حين أدائهم مناسك الحج والعمرة.

تميز شعر السيد عبيد مدني بالمتانة والوضوح كما عرف بغزارة إنتاجه الشعري والنثري، فهو -كما وصفه الدكتور عبدالرحمن الزهراني- رصين العبارة، منسجم التفكير له العديد من المؤلفات التاريخية، ولعل من أعماله "المدنيات الكبرى" وكذلك "المدنيات الصغرى" وكلاهما في الشعر، أما كتابه الضخم "تاريخ المدينة المنورة" فقد أخذ منه جهداً ووقتاً طويلا حتى أخرجه في ستة مجلدات، وهو يختلف عن كتابه التاريخي الذي خصصه لتاريخ المساجد في المدينة المنورة وسماه "تاريخ مساجد المدينة".

ولا شك أنه بهذه المؤلفات فتش عن بعض الجوانب أو المراحل التاريخية التي خالطها الغموض حيث استشهد في الكتابات السابقة واجتهد من خلال معرفته بالمدينة المنورة على تقصي الحقائق المروية والروايات الشفهية، ولا شك أنه اتبع هذا النهج أيضاً في كتابه "تاريخ المدينة المنورة" وعلى الرغم من غزارة المعلومات والمؤلفات والدراسات السابقة حيال المواضيع والتواريخ التي استقصاها وبحث فيها، إلا أنه حاول بجهود واضحة على إضافة ما توصل إليه من معلومات ومقاربات ومشاهدات وقف عليها هو بنفسه، لاسيما تلك التي تبحث في تاريخ المدينة المنورة ومساجدها ولعل بدايتها كانت في بحوثه حول المسجد النبوي الذي أفرد له السيد عبيد مؤلفاً خاصا سماه "تاريخ المسجد النبوي".

قراءة وتبحر

ولم يقف إنتاج السيد عبيد عند هذه التواريخ بل تتبع تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها فهو من خلال قراءاته وتبحره في تاريخ المدينة النبوية استطاع أن يتعرف أكثر على أولئك المؤرخين الذين تركوا من بعدهم إرثاً تاريخياً يوثق بالأيام والأحداث والأسماء والشخصيات لتاريخ المدينة المنورة، والتي نهل منها السيد عبيد معظم معلوماته التي دونها في مؤلفاته عن تاريخ المدينة وعمارتها، كما أنها ساهمت في إثراء معلوماته عن أسماء ومراجع المؤرخين السابقين له والذين لم ينس فضلهم عليه حتى أنه وضع فيهم كتابه "تواريخ المدينة المنورة ومؤرخيها"، وعرف من خلال كتب التراجم ومنتديات الشعر والأدب بأنه أحد الأدباء الكبار في تاريخ المملكة العربية السعودية، بل انه يعتبر من الرواد الأوائل على نطاق المدينة المنورة والمملكة على وجه العموم، بيد أن التعريف بالسيد عبيد غالباً ما يأتي بكونه أديباً وشاعراً من الشعراء الرواد في المملكة على الرغم من أن شخصيته وصفته كمؤرخ وباحث متمكن في تاريخ المدينة النبوية مجهولة لدى البعض على الرغم من أن معظم إنتاجه العلمي كان في علوم التاريخ والبحث التاريخي لا سيما في المدينة المنورة عمارتها ورجالها وتاريخها.

وفاته

توفي في القاهرة يوم الخميس الموافق ١٣٩٦/١١/١١هـ، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة حيث دفن في بقيع الغرقد، وكان -رحمه الله- حريصاً على تعليم أبنائه وتأهيلهم المؤهلات العلمية السامقة حتى ان معظمهم تقلد مناصب رفيعة في الدولة كمعالي الدكتور نزار عبيد مدني وزير الدولة للشؤون الخارجية، ومعالي الدكتور غازي عبيد مدني مدير جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ورئيس مجلس إدارة صحيفة المدينة.



كان للفقيد لحد الأدباء والمؤرخين الكبار في عصره



ولد الفقيد في المدينة واهتم بكل ما يخصها وتتبع تاريخها

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز وطنهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظا على وحدة الوطن واستقراره.



إعداد - منصور العساف

رجال خلّفوا وراءهم إرثاً علمياً متنوعاً في كتاباته وتدوينه وحفظوا تاريخهم

عبدالله البسام.. مؤرخ نجد

■ حين تبحث في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، سوف تقف على عدد من علماء نجد الذين عني معظمهم بتدوين تواريخ المعارك والحروب بين القبائل والخصومات والنزاعات بين البلدان والهجر الصغيرة بعضها ببعض، كما اهتم المؤرخ النجدي بالمواسم وسقوط الأمطار ورغد العيش ورخص الأسعار، وأرخ لسنوات القحط والجراد والجوع والغلاء أو انتشار الأوبئة والأمراض، واهتم أيضاً بذكر وفيات الأعلام والأعيان في معظم البلدان التي استطاع الحصول على أخبارها، وكل ذلك يأتي وفق منهج الحوليات، حيث تذكر أحداث كل سنة على حدة، وربما أن انعزال وسط الجزيرة العربية عن بعض الدول العربية كان له دور كبير في ندرة المعلومات التي ترد للمؤرخ النجدي عن بعض الأقاليم العربية كاليمن ومصر والشام والعراق، إلا أن من يقرأ كتابات المؤرخ عبدالله بن محمد البسام – رحمه الله– ربما لا يشعر بهذه الندرة في أخبار بعض الأقاليم كما هي الحال مع المؤرخ حمد بن لعبون، بيد أن من يرون تنوع أخبار ابن بسام وشموليتها لقرون ذلك لكثرة تنقلاته ورحلاته في طلب العلم والتجارة حيث يقف القارئ لكتب المؤرخ النجدي عبدالله بن محمد البسام على تنوع فريد في المصادر ما كان له أن يتوفر لأقرانه ومعاصريه من علماء نجد.

عاصر الملك عبدالعزيز الذي وصفه بأنه من «العارفين المدققين»

ولادة المؤرخ

هو العالم والمؤرخ والنسابة عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم البسام من الوهبة من بني تميم، اختلف في سنة ولادته حيث ذكر العلامة عبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب "علماء نجد في أربعة قرون" أن ولادة "ابن عمه" كانت عام (١٢٧٥هـ)، في حين ذكر الباحث عبدالكريم المنيف الوهبي في كتابه "بنو خالد وعلاقتهم بنجد" أنّ ولادة المؤرخ ابن بسام كانت عام (١٢٦٨هـ)، وقد رجح الأستاذ الباحث إبراهيم الخالدي في تحقيقه لكتاب المؤرخ المعنون "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق"، ما ذكر صاحب "علماء نجد في أربعة قرون"، حيث الولادة عام (١٢٧٥هـ).

ولأن سيرة ابن بسام غابت كثيراً عن أقلام ومسودات المؤرخين والمعنيين بعلم التاريخ والسير والتراجم فقد ظلت حياته وأخباره غامضة مجهولة عن كثير ممن قرأوا كتبه ومؤلفاته، لولا أن مقتطفات ومعلومات ضئيلة أوردها المؤرخ أمين الريحاني عنه في كتابه "تاريخ نجد الحديث" وكذلك العلامة عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابة الكبير "علماء نجد في ثمانية قرون" ويكاد يكون الأخير صاحب الفضل –بعد الله سبحانه– في بقاء سيرة المؤرخ الذي شابهه في الاسم واسم العائلة، وربما أن القرب الزماني بين صاحب الترجمة عبدالله بن محمد البسام، وابن عمه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن البسام كان له دور كبير في الحصول على كثير من المعلومات عن صاحب "التحفة"، والذي لا شك أن عبدالله بن عبدالرحمن البسام استطاع أن يحصل على هذه المعلومات من أسرته التي ربما أنها ما زالت تحفظ بعض مآثره ومخطوطاته، وهي –بلا شك– على علم بمسيرته الحياتية وتنقلاته في سبيل العلم والتجارة.

أهل علم

يكثر الخلط كثيراً –حتى لدى بعض المؤرخين– بين ثلاثة أسماء من أسرة البسام عرفوا جميعاً بطلب العلم حتى أصبحوا منارات وقامات سامقة في مجالهم، لا سيما في البحوث الشرعية وعلوم التاريخ، وأول هؤلاء هو القاضي والمؤرخ أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام الذي ولد في حدود عام ٩٥٥هـ في بلدة أشيقر، وانتقل عام ١٠١٠هـ إلى بلدة القصب، وأصبح قاضياً فيها ثم انتقل إلى بلدة ملهم، وأصبح أيضاً قاضياً فيها، ثم انتقل عام ١٠١٥هـ إلى العيينة ويقال إنه –أيضا– ولي القضاء فيها ثم توفي عام ١٠٤٠هـ، وهو جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأمه، كما يوضح ذلك المؤرخ فائز بن موسى البدراني الحربي، وقد كان للقاضي والمؤرخ أحمد بن محمد بن بسام مخطوط تاريخي شهير تناقلته العامة عرفه صاحبه بـ "نبذة في تاريخ نجد".

أما العَلامة الثاني مؤلف كتاب تحفة المشتاق فهو –صاحب الترجمة– عبدالله بن محمد البسام والأول "أحمد البسام"، وهو جده السادس وتوفي عبدالله صاحب التحفة عام ١٣٤٦هـ، وهي السنة التي ولد فيها المؤرخ الثالث من عائلة البسام عبدالله بن عبدالرحمن البسام العلامة الشهير صاحب "علماء نجد في ثمانية قرون".

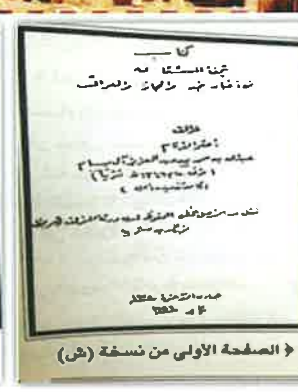
نتاجه العلمي

ترك المؤرخ عبدالله بن محمد البسام إرثاً علمياً متنوعاً فهو في كتاباته وتدوينه لم يقف أبداً عند علوم التاريخ والأنساب والتراجم، كما لم يقف عند الأشعار والأخبار وأيام الناس، بل توسع إلى اكبر من ذلك فكتب في الحكم والآداب ودوّن بعض مذكراته ومشاهداته ولعل من أهم ما تركه من المؤلفات والكتب كتابه المشهور "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق"، وظلت مخطوطة من هذا الكتاب تنتقل بين الباحثين ولم تكن واضحة، إلا أنّ أستاذاً مصريا اسمه محمد نور الدين آل شريبة قام في عام ١٣٧٥هـ باستعارة النسخة الأصلية للمخطوطة، ونسخها بخط الرقعة الواضح حين كان مدرساً بالمدرسة الثانوية بعنيزة، وهي النسخة المتداولة بين الناس، وكان بعمله هذا قد قدم خدمة جليلة يشكر عليها رغم أخطائه التصحيفية –غير المقصودة– لا سيما في أسماء بعض القبائل والأشخاص، وكذلك كتابه "الدليل المفيد لمن هو للدين والدنيا مريد" كما ترك كراريس في التاريخ والأنساب والأشعار وأخبار الناس وكراسة أخرى في التراجم معينة بوفيات بعض الأعلام والأعيان، وكل هذه حصرها الأستاذ الخالدي في ترجمته له في كتابه "تحفة المشتاق".

ولا شك أن البسام استفاد من تعدد المصادر التي كانت ترد إليه من الحجاز وبعض المدن في نجد، وكذلك في الأحساء كما كان لسفرياته دور في توسعة أفقه وثقافته وتبصره بأدوار الدول والأمم المجاورة، وكان معاصراً للمؤرخ النجدي الشهير إبراهيم بن عيسى، وتشابهت كتاباتهما وتدويناتهما لبعض الأحداث، إلاّ المتوقع أن ابن بسام تفرغ لتدوين قراءاته المتعددة في آخر عمره حيث عاد إلى مدينة عنيزة، على الرغم من أنه كان قد بدأ بها حين كان في الهند، ولا شك أنّه كان ولا يزال أحد أكبر وأشهر مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، حتى إن الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وصفه بأنه من "العارفين المدققين"، كما استفاد منه أمين الريحاني حينما نزل بمدينة عنيزة.



عبدالله البسام كان رحمه الله من أعلام عنيزة



نسخة مخطوطة الكتاب التي نسخها نور الدين شريبة



نسخة مخطوطة الكتاب التي نسخها عبدالله العبيد



غلاف كتاب «تحفة المشتاق»

أحداث شخصية

وحفظت له بعض الأبيات الشعرية والتي ضمن كتابه "تحفة المشتاق" النزر اليسير منها، إلا أنه لم ينقل لنا في معظم كتبه نبذة عن حياته الشخصية وأسرته وأجداده وحاله هنا حال معظم المؤرخين الذين يكتفون بجزء يسير عن حياتهم الشخصية وتنقلاتهم العلمية والعملية حين ينوهون ببعض المقتطفات عن آبائهم أو أبنائهم كتحديد زمن الولادة والوفاة، وقد عمل بذلك المؤرخون الأوائل مثل المسعودي وابن كثير وكذلك الأواخر كمحمد بن لعبون حيث أشار إلى ولادة بعض أبنائه ووفاة ابنه الشاعر محمد لعبون، إلا أن ابن بسام الذي ذكر نزراً يسيراً عن أخبار إخوته وسنوات وفاتهم وبعض تنقلاتهم لم يشر إلى أي معلومة عن تاريخ ومكان ولادتهم كما لم يذكر أخباراً أو معلومات عن والده ربما طلباً في الحياد والتزاما بأدبيات البحث العلمي.

وهذا أبداً لا ينفي ذكره لبعض أخبار عائلته في عنيزة وقبيلته والأسر التي تنحدر منها - كما ذكر ذلك الأستاذ إبراهيم الخالدي- الذي حمل على عاتقه دراسة وتحقيق كتابه "تحفة المشتاق" الذي نقل عن صاحب "علماء نجد في ثمانية قرون" أنّ والد عبدالله بن محمد البسام صاحب "تحفة المشتاق" كان قد توفي في عام ١٢٧٩هـ وهي التي تسمى "وقعة المطر" وعلى الرغم من أن صاحب الترجمة قد أسهب في ذكر تفاصيل هذه النسخة إلا أنه لم يتطرق لوفاة والده فيها وبهذا يكون عمر صاحب الترجمة حيث وفاة والده –عشر سنوات– وقد خلف والده أربعة أبناء "حمد وعبدالعزيز وعبدالله ونورة" أما الابن الرابع فكان حملاً جنينيا ولد بعد وفاة والده بأشهر قليلة.

بوفاة والده استلم الابن الأكبر مهام الأب فبدأ في التجارة بين عنيزة وسوق الشيوخ –كما يقول الخالدي– وحين كبر إخوته أشركهم معه ففتحوا "بيت تجارة" بمدينة جدة، وتوسعوا في أعمالهم في كل من البصرة والهند وأقام عبدالله في الهند مدة ليست بالقصيرة مع أخيه عبدالعزيز حيث يتناوب الإخوة فيما بينهم..

ولا شك أن هذه التنقلات والسفريات ساهمت بشكل كبير في سعة الاطلاع لدى عبدالله الذي نشأ في أسرة علم وتجارة لا سيما وأن أجداده كانوا في حل وترحال بين بلدات نجد لأسباب المناصب القضائية والرحلات العلمية التي اشتهرت بها أسرته التي انتقلت لمدينة عنيزة في عهد جده الثاني حمد بن إبراهيم عام ١١٧٩هـ وقيل قبلها بأربع سنين.

وفاته

تقدم العمر بالمؤرخ عبدالله بن محمد البسام وحين بلوغه الرابعة والخمسين من العمر فضل العودة لبلدته عنيزة والاستقرار فيها، وفعلا عاد وبنى له بستاناً "المويهرية" وهي التي قصدها في أبياته التي ذكرها صاحب "علماء نجد" والتي تقول:

رجوتُ رحيماً واستعنت بعونه
كمستمطر يرجو المنى من غمامه
على حفر بئر فاق ما كان قبله
فجاء نميراً يُستقى من جمامه
ولما استتم البئر، قلت مؤرخاً:
"حمدتُ كريماً منّ لي بتمامه"

وبعد قرابة خمسة عشر عاماً قضاها المؤرخ ابن بسام في بستانه "المويهرية" بعنيزة توفي – رحمه الله – في بستانه في ضحى يوم الأحد ٢٥ محرم عام ١٣٤٦هـ عن عمر يناهز (٧٠) عاماً، وصلي عليه في جامع عنيزة بعد صلاة العصر- رحمه الله رحمة واسعة-.



ارتحل المؤرخ وتنقل بين البلدان طلباً للعلم والرزق



كتب – رحمه الله – عن حال الناس ووثّق حياتهم

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العسّاف

اشتهر بالشجاعة في حروب التوحيد وعرف بالعدل والحزم

الأمير عبدالله بن جلوي.. رفيق المؤسس

■ ارتبط اسم الأمير عبدالله بن جلوي ابن الإمام تركي بن عبدالله بالصرامة واليقظة والسهر على استتباب الأمن وملاحقة ومطاردة قطاع الطرق والسراق، وشهدت حياة الأمير عبدالله بن جلوي مراحل تأسيس وبناء وتوحيد المملكة، حيث شارك المؤسس -طيب الله ثراه- أثناء دخوله مدينة الرياض، كما شاركه المعارك والوقائع التي تلتها، كما تقلد منصب الأمارة في عدد من المدن والأقاليم منذ عام ١٣٢٨هـ إلى حين وفاته -رحمه الله- عام ١٣٥٤هـ بعد حياة ومشوار طويل قضاه مع المؤسس الذي طالما أشاد ببطولاته وإقدامه وتضحياته لا سيما وأنه كان ملازماً له منذ أيام الطفولة إلى أن توفي رحمهما الله.

على الرغم من أنه كان يكبر المؤسس إلا أنه كان صديقه ورفيق صباه فقد ولد الأمير عبدالله بن جلوي بن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود في عام ١٢٨٧هـ، وبدأ تعليمه في مدينة الرياض حيث تعلم في كتاتيبها إلى أن اضطر إلى السفر هو وإخوته مع عمه الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي حين خروجه من الرياض واستقراره في الكويت حمل والده «جلوي» هذا الاسم إبان «جلوة» والده -الإمام تركي بن عبدالله- أي خروجه من مدينة وهو ما عرف به هذا الفرع من أبناء الإمام تركي بن عبدالله وأحفاده.

تولى إمارة القصيم.. وولاه المؤسس الأحساء والمنطقة الشرقية وكان صارماً مهيباً



الملك المؤسس يرقص العرضة السعودية في الرياض بعد استردادها



الأمير عبدالله بن جلوي



حضر الأمير عبدالله المعارك في عنيزة و"بريدة" و"البكيرية"

استعادة الرياض

صحب عبدالله بن جلوي الملك عبدالعزيز أثناء قدومه لاستعادة مدينة الرياض حيث بدأ التحرك منذ خروجه من الكويت وفي المنطقة الشرقية التفت عليه القبائل فبدأ تحركاته نحو الرياض لولا أن التهديدات التي وصلت إلى هذه القبائل من قبل الدولة العثمانية وبعض القوى اضطرت بقاء الملك عبدالعزيز هناك إلا أنه قرر المسير نحو الرياض بقرابة ستين رجلاً كان من بينهم عبدالعزيز بن جلوي وأخواه الأصغر منه فهد وعبدالله وابن أخيهم عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي وكلهم من السبعة الذين اقتحموا حصن المصمك ولكل منهم قصة تروى وحديث مفصل.

ليلة المصمك

أثناء اقتحام المصمك أطلق الملك عبدالعزيز على الأمير عجلان بن محمد أمير الرياض آنذاك رصاصة أخطأته بيد أن رصاصة الأمير عبدالله بن جلوي أصابته بمقتل -رحمهم الله جميعاً- في ذات الوقت أخطأت حربة أخيه فهد بن جلوي هدفها فانغرست على باب المصمك وما يزال أثرها موجوداً إلى يومنا هذا.

وكان الملك عبدالعزيز أثناء روايته لدخول الرياض قد فصّل في المهام التي قام بها أبناء عمه من أبناء وأحفاد الأمير جلوي بن تركي بن عبدالله حيث قال "ومشينا ونحن سبعة رجال أنا وعبدالعزيز بن جلوي وفهد وعبدالله بن جلوي" كما قال "ثم دخل عبدالله بن جلوي والنار تنصب عليه".

يكاد يكون الأمير عبدالله بن جلوي هو الوحيد من بين أخويه عبدالعزيز وفهد الذي استمر نسله حيث كان أخوه الأكبر عبدالعزيز المعروف بتدينه والتزامه مشاركاً - كما ذكرنا - في ليلة المصمك وقد استمر مع الملك عبدالعزيز في معاركه التي تلت دخوله الرياض حيث حضر المعارك في عنيزة و"بريدة" و"البكيرية" وأخيراً معركة "الشنانة" ووقعة "روضة مهنا" التي انطلق بعدها - عبدالعزيز بن جلوي - لينقل الأخبار - بأمر من الملك عبدالعزيز- لحاكم الكويت آنذاك الشيخ مبارك الصباح بيد أنه قتل في الطريق في موقع يقال له روضة "الخمة" عام ١٣٢٤هـ.

أما أخوه فهد فقد ولد في عام ١٢٨٦هـ ما يعني أن عبدالله كان أصغر الثلاثة وكان فهد ممن حضروا ليلة المصمك وهو صاحب الحربة التي انغرست قرب "خوخة" الباب الذي دخل منه الأمير عجلان وهو ما أشار إليه الملك عبدالعزيز نفسه في حديثه عن ليلة اقتحام المصمك والذي نقله مستشاره فؤاد حمزة، وكان الأمير فهد قد توفي في السنة التي تلت دخول الرياض أي عام ١٣٢٠هـ أثناء معركة مع إحدى القبائل.

استرداد الرياض

وكان الأمير عبدالله بن جلوي ممن دخلوا الرياض مع الملك المؤسس، والذين عدّهم الأستاذ الباحث عبدالرحمن الرويشد:

الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، ومحمد بن عبدالرحمن، وعبدالعزيز بن جلوي، وفهد بن جلوي، وعبدالله بن جلوي، وعبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وناصر بن سعود، وعبدالعزيز بن عبدالله بن تركي، وسعود بن ناصر، وفهد بن مشاري، وثلاب العجالين، وعبدالله بن صنيتان، ومسلم بن مجقل السبيعي، وحزام بن حزام العجالين، وعبداللطيف المعشوق، ومحمد المعشوق، وفهد المعشوق، وعبدالله بن شنار الدوسري، وإبراهيم النفيسي، ومنصور بن حمزة، وصالح بن سبعان، ويوسف بن مشخص، وسعيد بن بيشان، وفرحان آل سعود، ومطلق بن عجيبان، وعبدالله بن عسكر، وماجد بن مرعيد، وعبدالله بن عبدالرحمن الهزاني، وسعيد بن عبيد، وعبدالله بن جريس، ومعضد بن خرصان الشامري، وطلال بن عجرش، وسعد بن نجيفان، وعبدالله بن مشخص عويبيل، وفهد بن عبدالعزيز بن معمر، وعبدالله أبو دريب السبيعي، وشايع بن شداد السهلي، ومحمد بن قماع، وعبدالله الجطيلي، وإبراهيم بن محيذيف، وعبدالله بن خنيزان، ومنصور بن فريج، ومسعود آل مبيريك، وسعد بن بخيت، وناصر بن شامان المليحي، وفهد بن الوبير العجمي، ومحمد بن هزاع، وزيد بن زيد، ومحمد بن شعيل، وسطام أبا الخيل، وفيروز آل عبدالعزيز، وسالم الأفيجح، وعبيد أخو شعوا، وسطان العبدالعزيز، وحترش العرجاني، وسعد بن هديب، ومطلق بن جفال، وزايد البقشي، ومناور العنزي، ونافع الحربي، وعبدالله بن مريعيد، وحشاش العرجاني، وخليفة بن بديع، ومطلق المغيربي.

آل جلوي

أما الشاب الآخر من أسرة "آل جلوي" فكان عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن الإمام تركي بن عبدالله الذي ولد في مدينة الرياض عام ١٢٩٩هـ -كما يقول المؤرخ عبدالرحمن الرويشد-، فيما قالت الدكتورة دلال الحربي نقلاً عن حسن سليمان أنه ولد عام ١٣٠٢هـ ولعل هذا هو الأقرب، حيث ذكر الرويشد أن عمره حين اقتحام المصمك كان سبعة عشر عاما كان عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي قد خرج مع والده وأعمامه الثلاثة بصحبة عمهم الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي إلى الكويت وهناك توفي والده ومع خروج الملك عبدالعزيز لاستعادة الرياض اصطحبه الأمير عبدالعزيز بن مساعد مع أعمامه الثلاثة وكان حينذاك شابا في السابعة عشر من عمره وكان له قصة -هو الآخر- إبان اقتحام المصمك حيث كانت والدته جوهرة بنت ناصر بن فيصل آل سعود، ترسل له الهدايا من الرياض للكويت وذات مرة أرسلت له مع "سعد بن بخيت" ثوبين أبيضين وغترة صوف وشماغ ونعلين -كما أورد ذلك حسن سليمان في كتابة "الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومأثرة"-.

وأثناء دخول الملك عبدالعزيز -كما يروي الأمير عبدالعزيز بن مساعد نفسه- عن ليلة المصمك والمجموعة التي معه من شارع دخنه مروا أمام منزل والدته فنظر من كوة الباب فرأها تحمل مصلاها وسراجها ولأن الأمر الذي هم بصدده لا يحتمل التوقف رمى الشاب عبدالعزيز -داخل منزل والدته- نعليه كي يخبرها بقدومه، وفي الصباح شاهدت والدته نعليه مع سماعها أصوات الرصاص، حينها أدركت أن ابنها مع الفئة المهاجمة فضلت تدعو وتترقب الأخبار إلى أن دخل عليها ابنها بعد الغداء الذي أقامه لهم أحد أعيان الرياض.

ويقدر الله سبحانه أن يعمر هذا الشاب ويتولى بعد دخول الرياض عدة مناصب بعد أن شارك الملك عبدالعزيز في عدة وقائع فهو قائد معركة "حجلا" في عسير وفي عام ١٣٣٩هـ تولى إمارة القصيم بعد عمه عبدالله ثم تولى إمارة حايل عام ١٣٤١هـ ثم أصبح حاكما وقائدا عاما لمنطقة عسير عام ١٣٥١هـ ثم عاد إلى حائل وبقي فيها إلى عام ١٣٩١هـ وتوفي - رحمه الله - عام ١٣٩٧هـ ومن أبنائه عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد أمير الحدود الشمالية -رحمه الله- وجلوي بن عبدالعزيز أمير منطقة نجران حاليا وابنته العنود - رحمها الله- زوجة الملك فهد -رحمه الله- ومنيرة زوجة الأمير سلطان -رحمه الله- والجوهرة زوجة الأمير نايف -رحمه الله-.

إمارة المناطق

تولى الأمير عبدالله بن جلوي للملك عبدالعزيز إمارة القصيم عام ١٣٢٨هـ خلفه عليها ابن أخيه الذي شارك أيضاً في اقتحام المصمك الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي -آنف الذكر-، بعدها تولى إمارة الأحساء والمنطقة الشرقية وكان صارما مهيبا قضى على المفسدين وقطاع الطرق والسراق وعمل جاهدا على استتباب الأمن في ربوع البلاد وكان قد تولى إمرة المنطقة الشرقية قرابة ثلاث وعشرون عاماً من عام ١٣٣١هـ إلى عام ١٣٥٤هـ حيث وفاته، وبعد دخول الرياض كان الملك عبدالعزيز قد كلفه بقيادة عدد من السرايا والجيوش، وقد خلفه أبناؤه بعد وفاته في إمارة المنطقة الشرقية سعود وكذلك عبدالمحسن.

قصر مزنة

وتذكر الروايات أن والدته هي الأميرة رقية بنت منصور المطرودي من أمراء بني خالد، ومنصور هو أمير بلدة العوشزية بعنيزة وقد تزوجها والده بعد وفاة شقيقتها مزنة صاحبت القصة الشهيرة في طرد اللصوص الذين اقتحموا البلدة حين كان والدها وجماعته في صلاة الجمعة في عنيزة وبعد وفاة مزنة التي ضرب بها المثل في الشجاعة "الله يرحم مزنة" تزوج الأمير جلوي رحمه الله من شقيقتها رقية والدة الأمير عبدالله بن جلوي.

يعتبر قصر مزنة من المعالم الأثرية المهمة في مركز العوشزية التابع لعنيزة، وقال الأستاذ عبدالرحمن بن محمد المقبل -أمين لجنة تطوير مركز العوشزية-: مزنة منصور المطرودي هي خالة الأمير عبدالله بن جلوي آل سعود رحمها الله وزوجة أبيه حيث تروجها الأمير جلوي وبعد وفاتها تزوج من أختها رقية منصور المطرودي والتي أنجبت الأمير عبدالله بن جلوي شريك مسيرة التوحيد مع جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه وهي صاحبة القصة الشهيرة حيث استطاعت وحدها استعادة ماشية أهالي قرية العوشزية بعد أن سرقها عدد من اللصوص في غياب من رجال القرية. والقصر كان مقراً لأمراء العوشزية السابقين ومنهم الشيخ علي المحمد المطرودي حيث استقبل فيه الرحالة اللبناني أمين الريحاني عندما زار المنطقة عام ١٣٤١ه. وكذلك زاره في مناسبة أقدم الرحالة الفرنسي شارل هوبر عندما زار العوشزية عام ١٢٩٧هـ.

ويتميز القصر الذي يعود تاريخ بنائه إلى حدود العام ١٢٥٠هـ بكبر الحجم واتساع الفسح ولقد بُني من دورين ويقف المسجد الخاص بالقصر مستقبلاً زوار هذا القصر من جهة القرية وكغيره من قصور الطين التي تهدمت فلقد تعرض القصر لعمليات هدم بسبب الأمطار ولكن معالمه الأساسية والكثير من جدرانه مازالت بحالة جيدة. وله إطلالة رائعة على مزارع النخيل التي ما يزال الكثير من كبار السن يتذكر جمالها وخضرتها وإنتاجها الوفير من مختلف أنواع التمور ولقد استغلت لجنة تطوير مركز العوشزية وجود هذا الكنز التراثي القيّم في القرية وقررت الاستفادة منه حيث يجري العمل حالياً على إعادة بنائه وتحويله إلى متحف يستعرض تاريخ القرية والمنطقة والقصر بجهود مالكه الشيخ ثامر بن علي المطرودي وجهود اللجنة بإذن الله.

وفاته

عاش الأمير عبدالله بن جلوي -رحمه الله- إلى أن شاهد وأدرك توحيد أقطار وأقاليم المملكة وتسميتها بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ، وبعد توحيد البلاد بثلاثة أعوام أي عام ١٣٥٤هـ انتقل الأمير عبدالعزيز بن مساعد إلى الباري الأعلى عن عمر يناهر الرابعة والستين قضاها في مراحل ومعارك توحيد المملكة رحمه الله رحمة واسعة.



المربي الفاضل والشيخ المتواضع والمؤلف والمترجم النادر

أحمد الكاظمي.. أحد أبرز علماء ورواد الحركة العلمية في القرن الماضي

سطور المشاهير

سيرة رجال وقفوا مخلصين خلف منجز «عبدالعزيز» وأبنائه.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ زخرت مكة المكرمة -حرسها الله- في القرن الهجري المنصرم -ومازالت- بالعلماء والمشايخ وطلبة العلم الذين يؤمون قبلة الإسلام لأداء مناسك الحج والعمرة، والنهل من فيض العلوم الشرعية في أروقة وساحات المسجد الحرام، الذي تتوزع بين ساحاته وباحاته وجنباته حلق العلم والتعلم في الشريعة السمحاء والسنة النبوية المطهرة وعلوم اللغة العربية والأدب والتاريخ الإسلامي، وكم كان التنوع والتجانس بين الأساتذة وطلابهم متوائماً ومتسقاً ومتجانساً مع مضامين هذه الدروس العلمية التي خرجت للأمة وللمملكة جيلاً من الأساطين والرواد الذين حملوا على عاتقهم -بعد توفيق الله- نشر التعليم في المملكة وبناء المؤسسات والمعاهد وحتى الجامعات السعودية التي حفظت ومازالت تحفظ في ذاكرتها الاجتماعية والرسمية أعمال وجهود هؤلاء الرواد الأوائل الذين كان من بينهم الأستاذ والمربي الفاضل أحمد بن علي بن أسد الله بن علي بن أحمد بن علي الكاظمي، أحد أبرز علماء ورواد الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية إبان القرن الهجري المنصرم.

أورث مكتبة زاخرة أفادت الجهات الثقافية والعلمية

النشأة

ولد الشيخ أحمد بن علي الكاظمي عام ١٢٢٥هـ في مكة المكرمة، حيث نشأ بجوار المسجد الحرام ودرس مع أخويه محمد وعبدالحميد بالمدرسة الصولتية بمكة لمكرمة عام ١٣٣٣هـ، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى وقيام الشريف حسين -رحمه الله- بالثورة ضد جمعية الاتحاد والترقي التي هيمنت على سدة الحكم في اسطنبول ودعت إلى تتريك العرب وسط تجاذبات وصراعات سياسية تسببت في إغلاق الكثير من المدارس لا سيما في مكة المكرمة إضافة إلى موجة الكساد التي واجهت كثير من التجار آنذاك ما قلل وبشكل كبير دعم المدارس الأهلية والخاصة التي كانت تقوم على دعم كبار رجال الأعمال، كل هذه الظروف ساهمت في انتشار ظاهرة التدريس في المنازل بل وزادت من عدد الطلاب الذين يؤمون الحرم المكي بغية الجمع بين العبادة وطلب العلم، ولذا فقد عكف الطالب أحمد الكاظمي وإخوته عند والدهم ينهلون من معين علمه وفيض ثقافته المتعددة المشارب، وذلك من خلال محاضراته المنزلية حيث درسوا على يد والدهم -رحمه الله- القرآن الكريم واللغة العربية ومبادئ اللغة الفارسية والخط الفارسي، كما التحق الشيخ أحمد بالشيخ المحدث مظهر حسين -رحمه الله- الذي كان ينزل مكة آنذاك مجاوراً للبيت العتيق حيث درس على يده علوم الحديث ومبادئ النحو والصرف، وقد استعان والده لتقويته وإخوانه في الثقافة بشكل عام بجريدة القبلة وجريدة الفلاح فكان يشتري هاتين الجريدتين أسبوعيا ويطلب منه ومن إخوته قراءتهما ومن ثم يطالبهم بتلخيص ما ورد في هذه الصحف من الأخبار الداخلية والأخبار الدولية كما يطالبهم بالتعليق عليها وتحليلها، كما يعتبر الشاعر الحجازي عبد المحسن الصحاف-رحمه الله- أستاذا له ولإخوانه فقد كان صديقا لوالده وكان مرجعه فيما يصعب عليهم في علوم اللغة والمسائل الأدبية واللغوية، فكان -رحمه الله- يشرح لهم الدروس ويعلمهم ما يشكل عليهم، كما درس الكاظمي على يد فقهاء وشيوخ مكة المكرمة والحرم الشريف وتلقى جوامع العلوم من كبار العلماء الذين يؤمون المسجد الحرام.

مشواره العلمي

ما أن حل عام ١٣٤٤هـ إلا والتحق الشيخ أحمد الكاظمي بالمعهد الإسلامي السعودي حديث النشأة، فدرس به سنة كاملة قبل إغلاقه ليلتحق بعدها - إي في عام ١٣٤٥هـ- بالمدرسة الابتدائية بالمسعى وذلك استجابة منه لنصيحة مدير المعهد حينذاك الشيخ بهجت البيطار -رحمه الله- حيث كانت المدرسة الحكومية الأولى في مكة المكرمة، ومع عودة نشاط المعهد الإسلامي عام ١٣٤٧هـ سارع بالانضمام إلى طلابه إلى أن تخرج منه عام ١٣٤٩هـ مع أول دفعة من خريجي هذا المعهد، ما أهله لتولي مهمة التدريس، وإلقاء المحاضرات مبدئياً بعد إجازته من قبل عدد من الأساتذة.

وعلى الرغم من رغبة الشيخ بمواصلته طلب العلم إلا أنه استجاب لمقترح الأستاذ أمين فودة -رحمه الله- وبدأ التدريس بالمدرسة الابتدائية بالمسعى، كمدرس مستجد تحت التجربة، منتهزاً فرصة فراغه لإكمال دراسته بحلقات الحرم المكي الشريف، ومواصلة بعض العلوم العصرية كعلوم اللغة الإنجليزية وعلوم الجبر والهندسة والرياضيات كل مادة يدرسها على أحد أساتذتها في مكة، حيث غالباً ما يزورهم في منازلهم وبيوتهم.



الشيخ أحمد الكاظمي مع الشيخ عبدالله خياط

أساتذته

لازم الشيخ خلال تدريسه بالمدرسة الابتدائية عددا من العلماء والمشائخ والفقهاء الذين يتزاحم طلاب العلم على دروسهم وحلقاتهم كالشيخ عبدالظاهر أبو السمح، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة ، والشيخ بهجت البيطار، والشيخ محمد علي التركي، والشيخ محمد حامد الفقي والشيخ عبيد الله السندي . والشيخ محمد الفرائضي.

وبعد ما يقارب من سنة تم تعيينه من قبل مديرية المعارف مدرساً بالمدينة المنورة ثم أستاذاً بمدرسة (حارة الباب التحضيرية) بمكة المكرمة، وفي عام ١٣٥١هـ انتقل إلى وظيفة مدير مدرسة المعابدة التحضيرية (المحمدية فيما بعد) ، وفي صيف ١٣٥٥هـ انتدبته مديرية المعارف للعمل مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة ، وفي نهاية عام ١٣٥٥هـ انتدب أيضاً إلى المدرسة العزيزية الابتدائية لتدريس اللغة الإنجليزية لعدم وجود أستاذ بها.



الشيخ الكاظمي حينما كان مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة

مدرسة الأنجال

في عام ١٣٥٦هـ تم تعيينه أستاذاً بمدرسة الأمراء (أنجال الملك عبدالعزيز) وكان ذلك بترشيح من رفيق دربه الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط - رحمه الله - مدير مدرسة الأمراء حينذاك، وقد كتب الشيخان (الكاظمي وخياط) مذكراتهما ويومياتهما -كل على حدة- في وصف هذه المرحلة، وإلى عام ١٣٥٦هـ حيث تمت ترقية الشيخ إلى وظيفة معاون مدير مدرسة الأمراء ما يقرب من (١٨ عاماً)، وفي عام ١٣٥٧هـ تزوج الشيخ من فاطمة ابنة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة -رحمه الله- إمام وخطيب الحرم المكي الشريف المتوفى عام ١٣٩٢هـ - وله منها ولدان وست من البنات.

في عام ١٣٧٣هـ انتقل الشيخ إلى وزارة المعارف على وظيفة مفتش فني بدرجة (أ)، ثم انتقل بعد عام واحد للعمل بإدارة الترجمة بالوزارة ثم كلف مع عمله في إدارة الترجمة بإدارة مدرسة اللغة الإنجليزية الليلية بمكة المكرمة كما كان يدرس اللغة بمكة، إلى عام ١٣٧٦هـ حيث صدر قراراً بتعيينه مساعداً لمدير كلية المعلمين التي كان يديرها آنذاك الشيخ عبدالله الساسي -رحمه الله- إلى عام ١٣٧٧هـ حيث عين عميداً لكلية الشريعة بمكة المكرمة.

ظل الشيخ أحمد علي عميداً لكلية الشريعة حتى عام ١٣٨٥هـ إلى أن انتقل إلى وظيفة كبير المفتشين بوزارة المعارف ثم أحيل إلى التقاعد في ١٣٨٨/٧/١هـ، بيد أن قراراً صدر من مجلس الوزراء عام ١٣٨٨هـ يقضي بتمديد خدماته مدة خمس سنوات وعليه فقد تم التعاقد معه في ذات الوزارة ليستمر في عمله، إلى أن طُلب في عام ١٣٩٦هـ من قبل معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن ابن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله- للعمل بوزارة التعليم العالي وذلك عن طريق ندب خدماته من وزارة المعارف إلى وزارة التعليم العالي للعمل بجامعة الملك عبدالعزيز فرع الجامعة بمكة المكرمة (جامعة أم القرى حالياً) في مجال البحوث والتأليف وأن يكون متفرغاً لذلك فقط، إلى أن استكملت إجراءات نقل خدماته إلى وزارة التعليم العالي عام ١٣٩٧هـ فاستقر عمله مستشاراً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي التابع لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية آنذاك.

وفي عام ١٣٩٩هـ نقل من وظيفة مستشار بمركز البحوث بكلية الشريعة بمكة إلى وضيفة مستشار لجامعة الملك عبدالعزيز فرع الجامعة بمكة المكرمة واستمر عمله كمستشار للجامعة حتى عام ١٤٠٢هـ.

موروث علمي

علاوة على الجهود العلمية والمحاضرات والدروس التي كان الشيخ أحمد يلقيها لطلابه وتلاميذه في كل من مكة المكرمة والرياض، فقد تميز الشيخ الكاظمي بحضوره الأدبي والثقافي، وذلك من خلال كتاباته المتعددة في صحف كصوت الحجاز وقريش وعرفات والبلاد السعودية وغيرها من الصحف لاسيما في المنطقة الغربية كصحيفة المدينة المنورة والندوة عكاظ وصحف المنطقة الوسطى كالجزيرة واليمامة والرياض، أما المجلات فكان له مقالات ومشاركات علمية في مجلات الرائد والمنهل والحج وكذلك مجلة الخليج، أما في مجال الترجمة فكان يندر آنذاك هذا التخصص لا سيما في الجزيرة العربية التي كان الشيخ الكاظمي أحد كبار المترجمين فيها لاسيما بعد أن ترجم كتاب (البلاد السعودية) للمستشرق (توتشل) من الإنجليزية إلى العربية وقد نشر على شكل حلقات في مجلة المنهل، كما ترجم كتاب (حكام مكة) للمستشرق (ديجوري) ونشر أيضاً في مجلة الحج، كما نشر ترجم لـ (ديجوري) كتاب آخر عن البلاد العربية السعودية وقبيلة عنزة العربية تم نشره في صحيفة اليمامة، وكان الشيخ -رحمه الله- قد ترك علاوة على ذلك كتابه (تاريخ عن آل سعود) وكتاب (ذكريات)، وكتاب (رحلة إلى الغرب) أما كتاب (رحلة إلى الشرق) فما زال ينتظر طريقه للطباعة، كما يبدو أن الشيخ كان مهتماً بعلم تحقيق الكتب والموروثات العلمية حيث له مبحث عن تحقيق المخطوطات شاركه به صديقه الأديب الأستاذ محمد سعد العامودي - رحمه الله - وكان ذلك عن طريق مخطوطة الشيخ عبدالله مرداد الخير - رحمه الله - المعنونة بـ (نشر النور الزاهر).

كان للشيخ -رحمه الله- مكتبة ضخمة احتوت على ما يزيد على ٨ آلاف كتاب ودورية وقد خصص لها -رحمه الله - ملحقا خاصا بمنزله بمكة المكرمة، وسعى أبناؤه وأحفاده من بعده على نشر الفائدة من هذا الموروث العلمي الضخم ولمعرفتهم بحرص والدهم -رحمه الله- على نشر العلم فقد سعى الأبناء بمبادرة منهم لإهداء ما يقارب من (٦٨٨٤ كتابا) و (٢٥٧٨) و(٢٠) مجلد لبعض الدوريات والمجلات الثقافية المتنوعة إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة في أواخر شهر محرم عام ١٤١٦هـ، بعد أن تم إعادة تأهيل المكتبة بالكامل وصيانتها وحفظ المتهالك والتالف والمكرر.



الشيخ أحمد مع عدد من أعضاء هيئة التدريس والطلبة بكلية الشريعة



الشيخ كان بارعاً في الترجمة

وفاته

توفي الشيخ أحمد علي الكاظمي بين أبنائه وأهله وأقاربه وذلك بعد صلاة العشاء من يوم الأحد ١٤١٣/٥/٢٨هـ بمكة المكرمة وقد بلغ من العمر (٨٨) عاماً وصلي عليه صلاة الميت بعد صلاة الفجر الاثنين ٢٩ /١٤١٣/٥هـ بالمسجد الحرام ثم ووري جثمانه الثرى بمقابر المعلاه بمكة المكرمة، ولعل زميله وصديقه معالي د. راشد الراجح الشريف قد اختزل لنا سيرة الشيخ الفقيد في كلمته التأبينية إبان العزاء في وفاته -رحمه الله- حيث قال عنه: كان الفقيد -يرحمه الله- على جانب كبير من الأدب الجم والتواضع وصفاء النفس وحب الخير للجميع وهو الشخص الذي قيل عنه أنه قدم إلى ربه ولم يؤذ أحد من خلق الله، وقد شهد بهذه الخصال التي كان يتمتع بها الشيخ أحمد -رحمه الله- عدد كبيراً من معاصريه ومحبيه وزملائه، رحمه عاماً رحمه الله رحمة واسعة.

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

ظلت محل اعتزاز أبنائها وأحفادها وأصبحت عشيرتها من أنصار الإمام في معارك استعادة حكم آبائه

هويدية آل زميكان.. «سند» الإمام تركي بن عبدالله

■ حفظ التاريخ أسماء المعارك والحروب والمغازي كما حفظ لنا أسماء الأبطال والقادة والأمراء، وهو في أخباره ورواياته لم ينس أعلام النساء اللائي شهد لهن التاريخ بنصوصه وآدابه ملاحم ومساجلات لم تقف أبد عن المنقولات التاريخية الروايات الأدبية ولا شك أن كثير من تاريخ أمهات الرجال ضاع من آذان المستمعين وأقلام الكتاب والمؤرخين حيث ظل تاريخ المرأة حبيس الرواية الشفهية التي لطالما ضاعت بتعاقب الأجيال وطول الآجال وعلي الرغم من أن التاريخ المنسي للمرأة أيا كانت وفي أي حضارة ظل مطلب القراء ومحل شغف الباحثين إلا أن الروايات المتناثرة هنا وهناك ربما أنها أروت عطش هؤلاء الذين ما زالوا يدونون ويبحثون في تاريخ المرأة وموروثها الأدبي والنضالي .

هويدية بنت غيدان آل زميكان من قبيلة يام الهمدانية كانت ديار قبيلتها العجمان تقطن شرق شبه الجزيرة العربية، وبعد زواج الإمام تركي بهويدية أصبحت عشيرتها من أنصار الإمام تركي ودخلوا معه في عدة معارك رغبة منه في استعادة حكم آبائه ولعل معركة « السبية » عام ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م إحدى هذه المعارك التي كان لعشيرة هويدية يد فيها حيث ساهموا وبقوة في مناصرة الإمام تركي ضد خصومه.

ابنها جلوي أحد أشهر رجال الإمام فيصل بن تركي وساعده الأيمن



أصبحت عشيرة هويدية من أنصار الإمام تركي في المعارك التي خاضها آنذاك



الرياض قديمًا حيث سكنت هويدية الرياض مع الإمام تركي

قصة زواجها

هويدية بنت غيدان بن جازع بن علي آل زميكان من آل شامر من العجمان من قبيلة يام الهمدانية، وذكر ابن بشر أن والده شيخ قومه من آل شامر، وحيث كانت ديار قبيلتها العجمان تقطن - كما ذكر حمزة فؤاد في حكاية "قلب جزيرة العرب" - شرق شبه الجزيرة العربية وتتوغل في الشتاء حتى الزلفي والقصيم والخرج، وكان "آل شامر" الذين يترأسهم غيدان بن جازع والد هويدية ينزلون قرب " جبل علية " الذي يبعد عن الرياض ما يقارب ١٣٠كم وذلك حين سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣-١٢٣٤هـ وهو ما وافق حادثة الجلاء حيث أجلى الباشا بأمر والده محمد علي باشا الإمام عبدالله بن سعود وأبناء عمومته وعدد من أعيان ومشائخ البلاد بيد أن الإمام تركي بن عبدالله استطاع حينها الخروج من الدرعية والنزول بجبل "علية" آنف الذكر حيث لجأ إلى غار في علية هذا الجبل وهناك كانت قصة زواجه من هويدية التي كانت ترعى أغنام والدها عند ذلك الجبل وقد شاهدت ذات مرة الإمام تركي بن عبدالله وهي لا تعرفه وتكثر الروايات حول زواج الإمام تركي بهويدية بيد أن هذه الروايات تجمع على أنه شاهدها وهي ترعى أغنامها فطلب منها أن تسقيه من حليب أغنامها، فهذا إبراهيم بن عبدالرحمن آل خميس يوضح أنه أثناء كان الإمام تركي في مخبئه في غار جبل علية كان ينزل ليلاً للمساعدة في مساندة جيوب المقاومة التي ما زالت تقاتل جيوش الباشا في أطراف نجد وذات مرة تأخر في عودته على الصباح حيث شاهد هويدية ترعى أغنامها قرب جبل "علية" وخاطبها بلهجة قومها كي يقلل من وحشتها ويبدد عنها إمارة الخوف والشك، وفعلاً أدركت هويدية حاجته للماء والطعام فاسقته من حليب أغنامها واستمر الحال هكذا عدة أيام ويقال إنه كان يتنحى بعيداً عنها إلى أن تحلب له الشاة وتضع إناء الحليب له فوق إحدى الصخور ثم تبرز عنه بعيداً لحين شربه الحليب وذهابه لغاره الذي اعتاد النزول به، كما أن ثمة روايات مفادها أن هويدية أخفت خبر الإمام تركي لحين شعرت والدتها بنقص حليب أغنامها وظنت أن هناك من يجبر ابنتها على حلب الأغنام ما دعاها أن تخبر والدها، بيد أن الروايات المتوارثة تذكر أن هويدية أخبرت والدها بشأن الرجل فذهب معها وقابل الإمام تركي وهو لايعرفه فتعارفا، ويذكر ابن خميس ان الإمام تركي تزوج من "هويدية" بعد أن دخل الرياض وأعاد حكم آبائه ويدل على ذلك قوله: "فلما تبين نصرة خطبها تركي من أبيها" كما أيده حسن بن حسن سليمان في كتابه عن الأمير عبدالعزيز بن مساعد "حياته ومآثره" حيث ذكر هو الآخر أنه لما تحقق النصر للإمام تركي عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م لم ينس ان هويدية ولدت للإمام تركي ابنه جلوي أثناء جلوة والده وهذا يتناقض مع ما ذكره آنفاً من أنه تزوجها بعد أن حكم الرياض، وعلى الرغم من أن رواية ابن خميس وحسن حسن سليمان كانت قد تتبعت قصة جلوة الإمام تركي بن عبدالله من الدرعية على جبل "علية" إلا أن رواية المؤرخ عثمان بن بشر في "عنوان المجد في تاريخ نجد" وكذلك ذكر عبدالله فيلبي "هاري سنت جون فيلبي" تذهب إلى القول بأن الإمام تركي قد تزوج من هويدية أثناء خروجه من الدرعية وقبل عودته حاكماً للرياض ويقدر "فيلبي" ولادة جلوي حيث قدر أنه في أوائل عام ١٨٣٦م أي عام ١٢٥٢هـ كان عمره خمس سنوات، وتقول الدكتورة دلال الحربي تعليقاً على ذلك ما يعني "أن ولادة جلوي كانت في فترة ما بين عام ١٨١٩م (١٢٣٥هـ) وبداية عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) وهي الفترة التي شملت بقاء تركي بن عبدالله بعيداً عن الدرعية، ثم قدومه إليها مناصراً لمحمد بن مشاري بن معمر".



غار الإمام تركي في جبل علية

معارك استعادة الحكم

وترجح معظم الروايات رواية زواج الإمام تركي بن عبدالله بهويدية أثناء خروجه من الدرعية وقبل أن يحكم الرياض ولا أدله على ذلك إلا تسميته ابنه جلوي الذي جاء اسمه بسبب جلوة أبيه والإمام عبدالله ومن معه عن الدرعية، وبعد زواج الإمام تركي بهويدية أصبحت عشيرتها من أنصار الإمام تركي ودخلوا معه في عدة معارك رغبة منه في استعادة حكم آبائه ولعل معركة "السبية" عام ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م - كما يذكر ابن بشر - إحدى هذه المعارك التي كان لعشيرة هويدية يد فيها حيث ساهموا وبقوة في مناصرة الإمام تركي ضد خصومه.

وجلوي ابن الإمام تركي من هويدية أحد أشهر رجال أخيه الإمام فيصل بن تركي وساعده الأيمن والذي عرف أبناءه الذين يمثلون فرعاً رئيسيا من فروع الأسرة الحاكمة "آل سعود" عرفوا بـ "آل جلوي" وإن كانت المصادر التاريخية وحتى الروايات الشفهية لتواريخ تلك الفترة لم تزود الباحث بأخبار ومغاري الأمير جلوي ابن الإمام تركي بن عبدالله إلا أن الروايات تواترت في أخبار أبنائه وأحفاده من "آل جلوي" لا سيما أبنائه عبدالعزيز وفهد وعبدالله وحفيده عبدالعزيز بن مساعد وكلهم شاركوا الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن في دخوله للرياض بل كانوا من السبعة الذين اقتحموا المصمك وكان لهم دور بارز في تلك الإحداث.

معركة الرياض

وتذكر الدكتورة دلال الحربي نقلاً عن إبراهيم بن خميس أن هويدية ظلت محل اعتزاز وفخر لأبنائها وأحفادها مستشهدة بموقف الأمير عجلان بن محمد عامل الأمير عبدالعزيز بن متعب بن رشيد "رحمهم الله" على الرياض حيث كان الأول ينادي الأمير عبدالله بن جلوي باسم جرته وخلال عملية استعادة الرياض عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م استطاع الأمير عبدالله بن جلوي اللحاق بالأمير عجلان الذي كان يردد "دخيلك يا عبدالله بن جلوي" وتجمع المراجع التاريخية أن الأمير عجلان توفي من جراء إطلاق النار عليه من قبل عبدالله بن جلوي الذي كان يفاخر بجدته هويدية رحمهم الله جميعا.

وتذكر بعض الروايات أن الأميرة هويدية كانت شاعرة ولها بعض القصائد التي قالتها في مناسبات متعددة غير أن هذه الروايات لم تنقل لنا ولو جزءاً يسيراً من هذه القصائد التي ربما صورت لنا بعض أطوار حياة الأميرة هويدية "رحمها الله" والتي تذكر الروايات أنها حين تزوجها الإمام تركي سكنت معه في مدينة الرياض وحدث ذات مرة أن زارها بعض أبناء عشيرتها ولم يجدوها فقال بعضهم

يـالـلـه يـالـلـي جـعـلـت لـهـويـديـة بـيـت
إنــك تــرد هــويــديــة في غـنـمـهـا

تسمية حي باسمها

ورغم الضعف والاختلاف في رواية هذا البيت إلا أنه إن صح نسبه لهذا القصة فإنه يعبر عن رغبة وحنين بعض أفراد عشيرتها وأهلها لأرضهم ومرابعهم حيث الحنين إلى الذكريات والأيام الخوالي، بل يذكر بعض الدارسين لتاريخ العمران في مدينة الرياض أن أحد أحياء الرياض القديمة كان يسمى "هويدية" نسبة إلى الأميرة هويدية آل زميكان من آل شامر حيث كان هذا الحي موقع لنخل قديم للأميرة هويدية وجماعتها والتي لم تذكر لنا المراجع التاريخية عن السنوات التي قضتها في مدينة الرياض كما لم تذكر عمرها أو تاريخ وفاتها رحمها الله رحمة واسعة.



كانت هويدية ترعى الغنم وقت بقاء الإمام تركي في جبل علية



كان الإمام تركي في الدرعية قبل زواجه من هويدية

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يـروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

احترف فنون التجارة واستيراد السلع وكافح في بداية حياته لطلب الرزق متنقلاً بين نجد والشام وفلسطين والأردن

محمد الشويرخ.. «الصيرفي» وتاجر العقيلات

■ شهدت المملكة بعد توحيدها على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - نهضة اقتصادية واجتماعية ومناخاً آمناً للجميع بفضل الله حيث وفرت سبل الأمن والرخاء الاجتماعي فرصة' لرجال الأعمال والمستثمرين لتنويع نشاطاتهم وحفظ ممتلكاتهم، حتى أصبحت المملكة آنذاك مهوى ومقصد كبار المستثمرين العرب والأجانب حيث أتاح نظام الوكالات في البداية على دعم رجال الأعمال من المواطنين وحفظ العامة من انفراد الشركات الأجنبية بالسوق المحلية، حتى بدأ تجار ذلك الجيل يمارسون نشاطهم ويزاولون مهنهم داخل بلادهم دون أن يضطروا للهجرة أو التنقل من بلد لآخر كما كان حال تجار الؤلؤ في الحجاز والمنطقة الشرقية والعقيلات في نجد، الذين كان من بينهم الشيخ محمد العلي الشويرخ أحد تجار مدينة بريدة والذي مارس وزاول مهنه والده وأعمامه منذ مقتل شبابه حيث بدأ حياة التنقل والترحال من نجد إلى مرن وبلدات الشام، كما اعتاد أبناء جيله، إلى أن أصبح فيما بعد صاحب من أوائل ملاك المصارف في مدينة الرياض قبل أن تتطور تجارته وتتوسع لتشمل أنشطة مختلفة كالتصدير والاستيراد والبيع والشراء بالجملة .

استأجر بيتاً بأربعين ريالاً ودكّاناً بعشرين ريالاً في السنة في بداية تجارته.. ووضع بصماته الخيرية داخل وخارج الوطن



الشيخ محمد الشويرخ رحمه الله



ومع أبنائه في مزرعته بدمشق عام ١٣٨٨هـ



الشويرخ يركب سيارته بالقصيم عام ١٣٩٠ه

نشأته

في مدينة بريدة عام ١٣٢٠هـ ولد الشيخ محمد العلي الشويرخ وهناك نشأ وترعرع وبدأ كأبناء جيله يطلب العلم على يد المشايخ والعلماء حيث حفظ ما تيسر له من كتاب الله ودرس العلوم الشرعية وبعض علوم اللغة والحساب، بيد أنه وفي مقتبل شبابه التحق بالعمل مع والده علي وعمه صالح حيث كانا ممن احترفا مهنة التجارة والبيع والشراء داخل وخارج بريدة، وهو ما فتح الأفق واسعاً أمام الشيخ محمد الشويرخ للسفر خارج نجد حيث سعى كما كان يفعل أبناء زمانه لتنويع تجارته وتجارة والده وأسرته لا سيما وأنه بسفره إلى أقاليم ومدن الشام الكبيرة كفلسطين والأردن وأخيراً دمشق الشام، أصبح اسماً بارزاً وتاجراً معروفا في مدينة بريدة وإقليم نجد على وجه العموم، وقد مهدت له سفراته وتنقلاته كأحد كبار تجار العقيلات في زمانه أن يعيش حياة الغربة والتنقل وأن يكيف نفسه للتعايش مع المجتمعات التي يحل بها لا سيما وأنه حينها كان يضطر إلى الإقامة في بعض هذه المدن مدة طويلة ربما تتجاوز السنة أو السنتين.

تجارته

عرف الشيخ محمد بن علي الشويرخ بأنه أحد النخبة من التجار الموقعين على المذكرة المرفوعه لوزير التجارة في اليوم لسادس من شهر ربيع الآخر عام -١٣٨١هـ- وذلك لإنشاء الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، كما كان من أوائل الصرافين في مدينة الرياض وكان مصرفه في وسط الرياض في القديم يحكي ذكرى خاصة لرجال الأعمال الأوائل في العاصمة، حيث لا يغيب مصرف محمد الشويرخ عن الذاكرة الاجتماعية والحياة التجارية إبان الأربعينيات والخمسينات من القرن الميلادي المنصرم، وكانت علاقة كبار رجال الأعمال في العاصمة السعودية بمصرف الشيخ محمد علاقة ثقة واستثمار آمن، وعليه فقد كان التبادل التجاري والتنوع الاستثماري أحد الفوارق التي تتميز بنشاطات الشيخ محمد العلي الشويرخ الذي بات تجارته في مدينة الرياض مع نزولهم بحي المعقيلية حيث استأجر له بيتاً بمبلغ أربعين ريالا وغير بعيد عنه دكان صغير بعشرين ريالاً في السنة بجوار قيصرية ابن كليب بعد أن كان عائداً ذات مرة من إحدى سفراته إلى الشام وقد اشترى ثلاث شاحنات من مخلفات الاحتلال الفرنسي وحملها ببعض البضائع من المشغولات النحاسية وفي طريق عودة القصيم التقى ببعض "العقيلات" الذين أخبروه بأن بضاعته مطلوبة في مدينة الرياض وبأسعار عالية وحينها توجه إلى الرياض وبدأ بتوسيع تجارته في استيراد السلع والبضائع من الشام ولا شك أن سفراته وتنقلاته إبان فترة شبابه وقبلها مع والده وعمه في التجارة ساهمت جميعاً في تمرسه في فنون البيع والشراء والمفاوضات التجارية، ومع قدومه إلى العاصمة الرياض كان رجلاً خبيراً ناضجاً تجاريا يجيد فن التعامل مع أقرانه التجار ويملك معرفة تامة بأنواع وصرف العملات كما كان لديه خبرة في عمليات الجرد ومسك الدفاتر، ولذا سعى منذ قدومه إلى مدينة الرياض إلى فتح محل صغير للصرافة تعامل حينها وفقاً لإمكانيات ذلك الجيل وسعى مع الأيام لتوسيع العمليات المصرفية وتطويرها حتى عرف بين أهالي الرياض بـ "الصيرفي" وبدأ يتعامل مع التجار داخل وخارج المملكة فبدأت حوالاته ومعاملاته التجارية تصل إلى معظم دول العالم العربي وبحلول عام ١٣٧١هـ كان مصرف محمد العلي الشويرخ يتلقى العديد من الحوالات حتى أن البنك الأهلي التجاري الذي كان اسمه آنذاك "مؤسسة الكعكي وسالم محفوظ" كان يرسل له رواتب موظفي بريد الرياض.

توسع النشاط

وكان الشيخ الشويرخ شغوفاً بكتابة الرسائل ومراسلة الأقارب وأصحاب العلاقة من التجار ملاك المصارف ويذكر أنه جعل من مصرفه مقراً لجمع الرسائل والطرود حيث كان الناس يراسلون أهاليهم وذويهم في بعض المدن والأقاليم في الداخل والخارج عن طريق متجر الشيخ محمد الشويرخ دون أي رسوم مالية.

وتوسعت تجارة الشيخ محمد الشويرخ وأصبح من كبار تجار العاصمة الرياض ما دعاه حينها أن يواكب هذا التوسع بالأنشطة والاستثمارات المالية بحضور اجتماعي مواز لها فكان أن اشترى بعض القصور له والعائلة كان احدها داراً عامرة في "حوطة خالد" وسط الرياض وبنزوله حرص على جميع جيرانه واصحابه على مأدبة أعدها بمناسبة نزوله منزله الجديد ولكي يعطي المناسبة حجمها حرص على دعوة الملك سلمان بن عبدالعزيز الذي كان حينها أميراً لمنطقة الرياض وبعد انتهاء المناسبة مازحه الملك سلمان قائلاً: " بكم تبيع هذا المنزل يا محمد "؟ فرد عليه: "إذا كنتم ترغبون - طال عمرك - أن يكون سكناً، فأرجو من سموكم قبوله هدية، ولكن إذا كنتم ترغبون بأن يكون استثماراً تجاريا فأنا رجل قصيمي أبيع وأشتري، فضحك سموه وشكر الشويرخ على حسن الضيافة" .



مصرف الشويرخ وسط الرياض عام ١٤٠٢هـ

المسؤولية الاجتماعية

وتوسعت تجارة الشيخ محمد الشويرخ وتوسعت منازله ومقار إقامته حتى أصبح في الثمانينات الهجرية ينتقل بجميع أفراد عائلته إلى دمشق وبعض مدن الشام للسياحة والوقوف على بعض أعماله ونشاطاته وكان حريصاً في جميع تعاملاته المالية على اتباع الاستثمار الآمن شرعاً فكان رحمه الله يستشير العلماء وطلبة العلم عن كل ما يشكل عليه فإن أفتو بجوازه عمل به وإلا تركه، كما عرف عنه التزامه بزيه ولباسه الوطني في أعماله الرسمية ورحلاته الاستجمامية وحتى في إقامته وسفره وتنقلاته لا يفارقه العقال والمشلح على الرغم من أن الأنشطة والأعمال التجارية في الأربعينات والخمسينات لم تكن آنذاك لتعرف ما يسمى الآن في علم الإدارة الحديث "المسؤولية الاجتماعية" إلا أن أنشطة البر والأعمال الخيرية ما كانت تنقطع أو تغيب عن اهتمامات تجار تلك المرحلة احساساً منهم بواجبهم الإنساني وتقيداً بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف وكان للشيخ محمد العلي الشويرخ أوجها وأنشطة خيرية عديدة وإن كان يخفي معظمها إلا أن بعضها ما يزال مذكوراً ومحفوظاً باسمه على غير رغبة منه ومن أولئك التجار الذين شاركوا في بناء هذا العمل أو ذاك إلا أن ضرورة التوثيق وسعي وسائل الإعلام آنذاك للتتبع المستجد من الأخبار جعل من الصعوبة بمكان إخفاء هذه الأسماء ولا دل على ذلك إلا مساهمات الشويرخ الفاعلة في دعم جمعية البر حين إقرارها وكذلك دعم المشروعات الخيرية في فلسطين والمساهمة في تشكيل اللجنة الخاصة بتخفيض قيمة المهور إبان الثمانينات الهجرية ناهيك عن المساهمة في دعم إنشاء جامعة الملك عبدالعزيز في جدة.

وفاته

فجع الشيخ محمد العلي الشويرخ بوفاة كثير من أبنائه وعلى الرغم من تعدد زوجاته وأبنائه إلا أنه تلقى ولعدة مرات أخباراً محزنة في وفاة الكثير منهم كان آخرها وفاة ابنه الأكبر سليمان الذي كان عضده الأيمن في جميع أعماله وتجارته وقد أثرت وفاة أبنائه لا سيما الأخير الذي جاءه على كبر في نفس الشيخ محمد الذي توفي في يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩١هـ عن عمر يناهز الثانية والسبعين عاماً جراء مرض لم يمهله طويلاً حيث دفن في مقابر العود رحمه الله رحمة واسعة.



الشويرخ في إحدى رحلاته لدمشق



من اليمين حسن العجاجي ومحمد العلي الشويرخ وفهد العجاجي وعبدالله العجاجي

أحد رجال الملك عبدالعزيز المخلصين.. خدم وطنه وأمته في مرحلة عصيبة وناضل للدفاع عن قضاياها

فهد المارك.. قائد الفوج السعودي لإنقاذ فلسطين

■ المناضل العربي فهد المارك أحد رجالات القرن الهجري المنصرم، بدأ حياته في كنف أبيه حيث كانت تعيش الجزيرة العربية وكافة بلاد العرب مرحلة انتقالية بين حركات توحيد البلاد وتطهير العالم العربي من يد الاحتلال الأوروبي، كان الشعور القومي حينها ملهما ومحفزا لحركات ومنظمات الجهاد والنضال الإسلامي والعربي، كانت حينها أرض فلسطين تعيش تحت الاحتلال البريطاني وكانت الحركات والمخططات الصهيونية في طريقها لتنفيذ ما سمي فيما بعد بـ «وعد بلفور».

في هذه الأجواء ولد المناضل العربي الشهير فهد بن مارق بن عبدالعزيز، الذي عرف فيما بعد بـ « فهد المارك » الذي ولد ونشأ وترعرع في مدينة حائل وتلقى فيها مبادئ التعليم إلى أن رحل إلى أرض الكنانة مصر حيث المد القومي والإسلامي فتلقى هناك حصة وافرة من التعليم ثم عاد إلى الرياض فأكمل تعليمة إلى أن التحق في منتصف القرن الهجري المنصرم بدار التوحيد بمدينة الطائف ليتخرج منها وهو محصن بعدد وافر من المعارف والعلوم التي لا تقف عند مذهب معين أو مدرسة بعينها.

هذه الأجواء وهذه الظروف كان لها أثرها في نشأة وشخصية المناضل العربي الشهير فهد المارك حيث ظل هذا المناضل الشاب يجاهد بقلمه ولسانه نثرا وشعرا للذود عن قضايا أمته العربية والإسلامية، ومن خلال تواصله المستمر مع وسائل الإعلام كان المارك متابعا لمستجدات قضية أمته، حيث الأراضي الفلسطينية والجهاد العربي والإسلامي هناك، والذي كان للمارك شرف ترؤس أول فوج سعودي للجهاد ضد المحتل الإسرائيلي مع الأفواج العربية في كل من مصر والشام والعراق وكافة القطاع والأقاليم العربية آنذاك.

سطور المشاهير

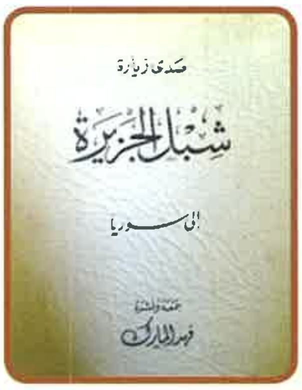
سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عيّن مندوباً لمكتب مقاطعة إسرائيل في دمشق وكُرّم من عدد من القادة والزعماء العرب


الملك فهد رحمه الله ومعه المارك عام ١٣٩٧هـ



كتابه عن زيارة الملك سعود لدمشق حين كان ولياً للعهد


فهد المارك - رحمه الله-

حياته ومهماته

المجاهد والمناضل العربي والأديب والشاعر المؤرخ والدبلوماسي الراوية فهد بن مارك بن عبد العزيز الذي ولد في مدينة حائل عام ١٣٣٠هـ ١٩١٠م، تعلم منذ صغره والتحق بدار التوحيد بمدينة الطائف وكان زميلا للعلامة عبدالله بن خميس كان قارئا نهما وباحثا ومحققا كثير الاطلاع، تميز بسماعه وجودة نقله فمن يقرأ له سوف يقف على جميل الأشعار وغريب العلوم والأخبار، ونظرا لتعدد مشاربه وسعة اطلاعه فقد تميز عن أقرانه بأنه كان كاتبا وباحثا موسوعيا يوثق التواريخ وينقل الأخبار وينظم الأشعار ويناقش ويحلل في دهاليز وشؤون السياسة والعلوم العسكرية والمراسم الدبلوماسية، وبتعدد مشاربة واهتماماته تعددت مناصبة ومهماته، فهو مع كونه كاتبا صحفيا ومحللا وناشطا اجتماعيا كان أيضا قائدا مناضلا وعسكريا ميدانيا، عينه الملك عبدالعزيز قائدا للفوج العربي السعودي ضمن جيش الإنقاذ في فلسطين عام ١٩٤٨م، كما شارك في معارك المالكية في شمال فلسطين، هذا إلى جانب كونه أول مندوب سعودي لمكتب مقاطعة إسرائيل في مقره الرئيسي بدمشق وفي عام ١٣٧٠هـ عمل مستشارا بالسفارة السعودية في كل من تركيا وسورية وليبيا، كما كانت له رحلات وتنقلات عديدة في العواصم العربية والإسلامية والعالمية، كما مثل الملك فيصل - رحمه الله - بالاتصال مع منظمة فتح الفلسطينية كما أنه أسس عام ١٩٥٠م في مدينة دمشق جمعية خيرية لرعاية الأيتام والعجزة والأرامل السعوديين المقيمين في سورية وذلك بدعم كبير من الحكومة السعودية ورجال الأعمال السعوديين، ونظرا للمواقفة البطولية المشهودة والمشهورة حيال القضية الأولى للمسلمين والعرب المتمثلة في الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية فقد كرمته الحكومة الفلسطينية قبل بضع سنوات بتسمية إحدى الشوارع الرئيسية في مدينة طولكرم باسمه، كما منحه الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى ومنحه فخامة الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات - رحمة الله - وسام القدس الشريف، وهو أعلى وسام فلسطيني وذلك عام ١٩٩٥م، كما نال وسام الاستحقاق السوري عام ١٩٤٨م، وأمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حين كان أميرا على الرياض بتسمية احد شوارع الرياض باسمه، كما حملت كثير من شوارع المدن في المملكة اسم فهد المارك لاسيما في مدينة حائل أرض أبائه ومقر ولادته.

التطوع

كان لفهد المارك نشاط ودور فاعل في الجهاد ضد قوات الاحتلال الإسرائيلية التي خلفت الاحتلال البريطاني في الأراضي العربية، حيث يذكر هو في كتابه سجل الشرف أنه عندما أعلن الإسرائيليون عن عزمهم على قيام كيان محتل للأراضي الفلسطينية باسم دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥م، أستأذن الملك عبدالعزيز للجهاد في الأراضي المقدسة، فبارك الملك تطوعه، فتوجه إلى سورية للمشاركة مع مواطنيه السعوديين وهناك علم أنه لا يوجد فوج باسمهم أسوة بغيرهم فقام بجمعهم وقيادتهم في فوج سعودي بقيادته مع البطل المصري أحمد عبدالعزيز والعقيد فوزي القاوقجي، وبعد عودتهم كرم الملك عبدالعزيز هؤلاء المجاهدين واحتفى بهم المواطنون في كل مكان.

الأديب المؤرخ

على الرغم من المشوار الطويل الذي قضاه المناضل فهد المارك في جهاده ضد قوى الاحتلال الإسرائيلية وعلى الرغم أيضا من تزاحم أعماله وكثرة مهماته ومشاغله إلا أن هذا كله لم يبعده - أبداً - عن أنيس وحدته وسمير غربته حيث الكتاب والتدوين وقرض الشعر، فقد عرف عن الأديب والشاعر فهد المعارك غزارة الإنتاج ودقة النقل والتثبيت في المعلومة ويكاد يجمع من قرأ لمدوناته وكتبه ومخطوطاته أنه رجل سبق زمانه وفاق أقرانه في تعدد مشاربه وتنوع مؤلفاته وكتاباته وهو بعيد عن كونه ناظما وشاعرا يشار له بالبنان، فقد انفرد الأديب والمؤرخ فهد المارك بتوثيق مرحلة تاريخية عايشها وعاش في كنفها حيث أرّخ لمجريات وحوادث القرن الرابع عشر الهجري، ولم يقف على ذلك فحسب بل كثيرا ما عمد إلى تأصيل بعض الشواهد والظواهر التاريخية والروايات الشفهية ما انفرد به عن غيره حيث عنى وبشكل كبير في نقل أخبار عامة الناس وخاصتهم ونقل الصور الاجتماعية كما هي مطعما ذلك بنوادر الأشعار وصحيح الأخبار، ولم يقف قلمه على ما يرغبه أو يميل إليه، وهو حين يسوّد القرطاس يستلهم من حيث يشعر أو لا يشعر- أمجاد أمته التليدة وحضارتهم المجيدة لم لا ؟ وهو عربي حتى النخاع يتراقص قلمه مع أحساب العرب ومروءاتهم، ويستفيض شعره ونثره في وصف التقاليد المحمودة والأعراف النبيلة لأجداده الفاتحين، ولذا فقد صبغت عناوين كتبه بالمعاني والمثل العليا كالشهامة والمروءة والكرم والحلم والوفاء، حتى لكأنه يُشعر القارئ أنه ولد في غير زمانه، لا سيما حين ينقل لهذا القارئ أو ذاك انزعاجه من بعض الظواهر والمواقف السياسية والعسكرية التي يشاهدها في بعض البلدان العربية لا يعزيه فيها إلا قول الشاعر:

كل من لاقيت يشكو دهره ... ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

كما كانت له - رحمه الله - عدة كتابات ومقالات صحفية أشهرها تلك التي أودعها صفحات مجلة "اليمامة" أثناء وبعد إشراف العلامة حمد الجاسر عليها.

ومن قصصه ونوادر أخباره أن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان -حين كان أميرا لمنطقة الرياض- سأله في مناسبة دعاهم لها الأمير نايف -رحمه الله- بمزرعته بمحافظة الخرج: هل الكريم أفضل أم الشجاع؟ فأجاب إجابة الفطن المتبحر بعلوم وشيم العرب فقال: يعود الأمر إلى منزلة المرء الاجتماعية، فإذا كان جنديا أو يشبه الجندي فينبغي منه أن يكون شجاعا، وإذا كان الجبن ممقوتا من الجندي، فإن البخل ممقوت أكثر من الأمير.." وكان رحمه الله يقول "اتق شر من أحسنت إليه بمزيد من الإحسان"، أما في الشعر فهو شاعر مطبوع متمكن في الشعر العربي بيد أن كثيرا من قصائده شعبية يتناقلها رواة الشعر وهواة القصيد، وهي قصائد متنية جزلة المعاني يصبها كأنما تنحدر معه من رؤوس الجبال فهو حين تمتلكه مشاعره ينطلق بها سابحة في وصف ما يشاهده وسرد ما يجول بخاطره ولاسيما وقد شاهد ذات مرة مدينة حائل من الطائرة وكان بجواره الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عندما راح يسرد للزعيم الفلسطيني تاريخ مدينته وروعة أرضها وجبالها وبطولات أهلها ورجالها وهو القائل يصفها:

عسى الحيا في حايل حاير ماه ..
يسقيك يا دار بها الجود ما جود
عساه كل أسبوع تجري شعاياه ..
آمين يا فرد على الخلق معبود

وكان - رحمه الله - يناشد المثل العليا والخلق الرفيع وله في ذلك أقوال مأثورة وحكم منقولة ولاسيما وهو القائل "إذا أردت أن تعرف خلق إنسان فانظر لحيائه وحلمه "وقوله" أربعة رجال ليس لهم ضمير، السجان، والجلاد، والجاسوس على بني قومه، والكاتب المنافق" ولذا فهو يصف نفسه في إحدى كتاباته فيقول "أكتب وأنا مؤمن بما أكتب فيه، واثق بأن عظامي ستبلى، ولكن كتاباتي سوف تظل شاهدة بما كتبت، وحجة لي إن وصلت وصدقت، وحاكمة عليّ إن أخطأت وشططت".


المارك مع إبراهيم السبهان

قال عنه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز "يعد الأستاذ فهد المارك من رجال الملك عبدالعزيز المخلصين له ولبلاده وقدم جهودا طيبه لخدمة وطنه وقضايا أمته العربية والإسلامية.

اسم والده

كان المارك أمينا في كتاباته وقد تحدث عن حياته الخاصة ووالده الذي كان أحد رجال الأمير محمد العبد لله الرشيد، وكان والده قد أصيب بيده اليمنى فشلت وله صور فوتوغرافية نادرة كما تحدث هو عن تغير اسم والده حيث كان الاسم "مارق" وربما أنه كان ينطق بقلب " القاف " زاي" كما ينطقها أهالي نجد إلا أنه عمد بنفسه إلى قلب "القاف " كاف" وقال في إحدى مؤلفاته " والحقيقة هي أن كنيتي الأساسية هي المارق - لا المارك - وهذا الاسم ليس غريبا بالنسبة للأسماء العربية وخاصة ذات الطابع البدوي لأن المعنى من المارق أي النافذ والماضي وقد ذكر ابن عبدربه صاحب (العقد الفريد) أن هناك قبيلة يقال لها بنو مارقة كما جاء من شعر البحتري بمدحه لأحد رجالات العرب كقوله:

نجيح مليح أخو مارق يكاد يخبر بالغائب

أما لماذا غيرت الاسم من مارق إلى مارك؟ فالسبب هو أنني شعرت بأنه عندما أحضر بعض الاجتماعات ومن ثم ياتي بعض الإخوان ليقدمني باسمي الكامل أجد هذا المقدم يخجل ويتردد عندما يحاول أن يلفظ الحرف الأخير، ولكي لا أحرج إخواني اضطررت أن أبدل القاف بالكاف، بحكم أن الحرفين قريبين من بعضهما وذلك في عام ١٣٧١هـ-١٩٥١م، وكم كنت أتمنى أنني بدلته لكي يحمل معنى من المعاني العربية أما الكاف فإنه لا يحمل أي معنى.

قال بعضهم "ان فهد المارك حين كان يعمل في السلك الدبلوماسي لم يكن ليجد حرف القاف في جهاز البرقية فكان ذلك إحدى دواعي تغييره للاسم" ، كما قيل ان ذلك تم بنصيحة من بعض العلماء ولا شك أن رواية فهد المارك نفسه كافية لإيضاح ما استشكل عند البعض لاسيما وأنها وردت بقوله وبكتبه وقد كررها عدة مرات، ويذكر أن علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - قال له ذات مرة "إن اسم أبيك قد يكون المروق الذي يراد به التخلص من السوء" ، فاستحسن ذلك وربما أنه كان إحدى أسباب أسفه على تغيره.

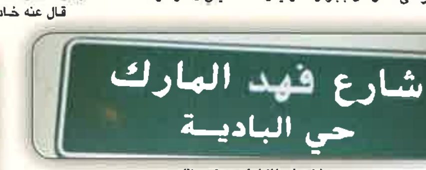
مؤلفاته

كان للمارك مؤلفاتٌ عديدةٌ بعضها مطبوع متداول، وبعضها ما يزال مخطوطا لم يرَ النور، ومن أشهر مؤلفاته المطبوعة:

"من شيم العرب"، يقع في أربعة أجزاء، نال شهرة كبيرة وواسعة جدا حتى خارج المملكة العربية السعودية، وقد كانت الطبعة الأولى له في دمشق سنه (١٣٧٥هـ) وكتاب "افتراها الصهاينة وصدقها العرب" وجاء في الطبعة الثالثة سنة (١٣٨٥هـ) ويحكي عن كذبة بيع الفلسطينيين أراضيهم لصالح تجار اليهود، وكتاب "سجل الشرف أو ذكرى الخالدين" ، طبع في بيروت سنة (١٣٨٥هـ) يذكر فيها أسماء الشهداء في مختلف المعارك في فلسطين، كما يذكر فيه أسماء المتبرعين بالمال للمجاهدين، وكتاب "صدى زيارة شبل الجزيرة إلى سورية" ، عبارة عن رصد لما قالته الصحف عن زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - حين كان وليا للعهد، وكتب أخرى كـ (صدى زيارة شبل الجزيرة إلى لبنان وكيف ننتصر على إسرائيل ولمحات من التطور الفكري في جزيرة العرب في القرن العشرين وهكذا يكون الإصلاح وهكذا نصلح أوضاعنا الاجتماعية وفهد بن سعد ومعرفة ٣٠ عاما والهدامون والبناؤون وبين الفساد والإصلاح)، أما كتبه المعدّة للطباعة وفي حكم المخطوطة فهي: (تاريخ جيل في حياة رجل - جيل يتهم جيلا - الجهاد الصامت - مقاومة المقاومة - من الطفولة إلى الكهولة - من لا حاضر له لا ماضي له - أيام في الجزائر الثائرة - من ثوار ١٤ تموز - من شيم العرب ج٥ - العصامي الذي بنى مجدا لذويه - من وحي الواقع (شعر - كيف هزمنا)، ويقول في كتابه الشهير "من شيم العرب": ونحن إذ نفتخر بكرم حاتم ونترنم بوفاء السموأل ونعتز بحلم الأحنف، ونتباهى بشجاعة عنترة، فإننا نؤكد بهذا السفر بأن شيم العرب الأصيلة، لم تدرس - لم تزل - ولم ينطمس أثرها بذهاب أولئك القوم.

وفاته

بعد مشوار طويل مع النضال والحضور الثقافي والدبلوماسي والإعلامي، نشرت وسائل الإعلام في كافة أصقاع العالمين العربي والإسلامي خبر وفاة المناضل الكبير فهد المارك في العشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨/٤/٢٨م وهو الذي كان طيلة حياته مطاردا من الاستخبارات المعادية حيث توفي رحمه الله أثناء مداولات اتفاقية "كامب ديفيد" التي لطالما وقف ضدها بضراوة، وقدر الله سبحانه أن يتوفى قبل إبرامها وإتمام عهودها، رحمه الله رحمة واسعة.



شارع فهد المارك في مدينته حائل


والده (مارك) الثالث من اليمين



مدخل مدينة طولكرم باسم فهد المارك تقديراً لجهوده



شارع باسم فهد المارك في حي الواحة بالرياض

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يسروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أجرى حوارا مع الملك عبد العزيز وعايش التحولات السياسية في المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى

محمد صالح نصيف.. رائد الصحافة في الحجاز

■ ما أن تقرأ لتاريخ المطبوعات والصحف في بلادنا إلاّ وستجد الاسم البارز في عالم المطبوعات والجرائد والصحف الأسبوعية ومن ثم اليومية، الأستاذ والرائد الإعلامي محمد بن صالح نصيف، أحد عمداء رئاسة التحرير في المملكة العربية السعودية، حيث كانت علاقته بصاحبة الجلالة قد بدأت منذ الحرب العالمية الأولى، وربما كانت له كتابات ومشاركات قبل هذه المرحلة، بيد أن عمله كإداري ومؤسس وكاتب ومحرر بدأ في عهد الشريف حسين –رحمه الله-، حيث أصدر صحيفة بريد الحجاز التي حلّت محلها صحيفة أم القرى، ثم أصدر في عهد الملك عبدالعزيز –طيب الله ثراه- صحيفة "صوت الحجاز" التي سميت فيما بعد "البلاد السعودية".

وعلى الرغم من جلالة أعماله وكثرة أشغاله وتنقلاته، إلاّ أن المناصب الإدارية والأعمال الإشرافية زاحمت عشقه القديم في العمل في المطبوعات والصحف، حيث اقتضت ثقة ولاة الأمر أن يتقلد عدداً من المناصب الإدارية والإشرافية التي لم تحجبه أبداً عن سماء العمل الصحفي في مهنة المتاعب.

وانفرد الأستاذ محمد بن صالح نصيف بحوار صحفي شهير مع الملك عبدالعزيز –طيب الله ثراه- إبان توحيد البلاد تحت مسمى المملكة العربية السعودية.

أصدر صحيفة «بريد الحجاز» و«صوت الحجاز» وعين عضواً بمجلس الشورى ورئيساً للأوقاف

رأي وفكر

وُلد محمد صالح بن حسن نصيف في مدينة جدة عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، وتلقى تعليمه في الكتاتيب، ثم واصل تعليمه مع عدد من علماء عصره، فكان يحضر الحلق والندوات والمحاضرات ويتواصل مع المشايخ والعلماء، ويقضي ساعات طويلة في المكتبات ودور العلم حتى حفظ القرآن الكريم، ويقول خير الدين الزركلي عن ولادته في كتابه "الأعلام" انها كانت عام (١٣١٣هـ – ١٨٩٥)، وكذلك جاء في "معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة"، في حين أن مؤرخ الحجاز الشيخ محمد بن علي مغربي ذكر في كتابه الشهير "أعلام الحجاز": أنه ولد عام ١٣١٠هـ، وهو الذي وصفه بأنه كان طويلا فارعا ممتلئ الجسم، حنطي اللون، حسن الملامح، تزين وجهه لحية كاملة، كان مشهوراً ومعروفاً لدى جميع الأقارب والأصدقاء والجيران بسعيه للإصلاح بين المتخاصمين، أياً كان نوع الخلاف، حيث كان الكثير يلجؤون إليه للاستعانة برأيه، وفكره ودوره في إقامة الصلح، فقد كانوا يدعونه بـ"الشيخ صالح" كاختصار لاسمه الأول المركب "محمد صالح"، ويقول عنه المؤرخ محمد القشعمي –رحمه الله-: لم يكن يتساهل أبداً في أي أمر يتعلق بالدين أو الأخلاق الحميدة أو السلوك القيم، لأي من أبنائه أو جلسائه، وكغيره كان مهتماً بالوضع العربي عامة، فقد كان عضواً في لجنة إعانة منكوبي فلسطين وشرق الأردن عام ١٣٤٦هـ، كما كان من اهتماماته بالمجتمع والشباب، وشارك في إنشاء "جمعية الطيران العربية" كناد لهواة الطيران.

عُرف عنه –رحمه الله- أنه كان متعاوناً ومقبلاً على الجميع فرغم جديته واستقامته وحرصه الشديد على الأصالة والتقيد بمكارم الخلق والفضائل، إلاّ أنه –رحمه الله- كان ودوداً محبوباً يأنس الأهل والأقارب والجيران بوجوده بينهم، كما عُرف بحرصه الشديد على استشارة والدته في معظم أموره براً منه بها وإيماناً منه بحكمتها ورجاحة عقلها، وهي التي كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب –رحمها الله-.

عضو شورى

كان من أعيان الحجاز الذين طالبوا الشريف حسين –رحمه الله- بالتنحي عن الحكم لصالح ابنه الشريف علي، وكان له حضوره السياسي والفكري، لاسيما وقد عايش التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة بُعيد الحرب العالمية الأولى، وقد أُختير –رحمه الله- لرئاسة ماليات وجمارك جازان في عهد وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان، وانتقل إلى هناك لعدة سنوات، ثم عاد إلى الحجاز، وكان قبلها رئيساً لبلدية مدينة جدة إبان العهد الهاشمي، كما أصدر في ذات العهد صحيفة "بريد الحجاز" بمدينة جدة أيضاً، وذلك عام ١٣٤٣هـ، وكان هو من يتولى إدارتها ويرأس تحريرها، وفي العهد السعودي تولى رئاسة الأوقاف ثم عُين عضواً لمجلس الشورى أكثر من مرة، كما أسس المطبعة السلفية في مكة المكرمة عام ١٣٤٧هـ، لاسيما وأنه زامن وعاصر الشيخ محمد بن حسين نصيف الذي كان أحد أبرز علماء السلفية في عهده، وكانت أسرة نصيف من الأسر التي تنفق في سبيل العلم والمعرفة ونشر العلوم الدينية، وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٣٥٠هـ الموافق للرابع من أبريل عام ١٩٣٢م أنشأ الشيخ محمد صحيفة صوت الحجاز بذات المبادئ التي أنشأ من خلالها صحيفة بريد الحجاز، بل إن البعض يعتبرها امتداداً لها، وكان نصيف المؤسس وصاحب الامتياز، وقد رأس تحريرها الأستاذ عبدالوهاب آشي.



أجرى الفقيد حواراً صحفياً مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٥١هـ



محمد صالح نصيف

بريد الحجاز

ولكونه يعتبر رائداً من رواد الصحافة في الحجاز، ومن السباقين إلى إصدار الصحف في الحجاز، فقد كان إصداره لجريدة (بريد الحجاز) في عهد الشريف علي بن الحسين من عام ١٣٤٣– ١٣٤٤هـ، يقول عنها الأستاذ جواد علي الطاهر في "معجم المطبوعات العربية": "كانت صورة صادقة للانفعالات التي كانت مسيطرة على نفوس الحجازيين في ذلك الحين، كما كانت تفيض بالأدب الحي الثائر".

وفي العهد السعودي عين عضواً في مجلس الشورى عام ١٣٤٧– ١٣٤٨هـ، ثم عين مديراً لمالية منطقة الأحساء، وكان قد أنشأ المكتبة والمطبعة السلفية، وهي التي كانت في القاهرة باسم مطبعة المنار، وقد باعها الشيخ رشيد رضا إلى أصحاب المطبعة السلفية بمكة المكرمة، وهما الشيخ محمد صالح نصيف وعبدالفتاح قتلان.

قال عنه عبدالقدوس الأنصاري في تاريخ مدينة جدة: "إنه أحد أعيان جدة في أيام الهاشميين، تسلم رئاسة بلديتها، وأسس البنك المركزي الهاشمي، وحين تولى السعوديون الحكم ولي رئاسة الأوقاف، وكان أحد الذين طالبوا الشريف حسين –رحمه الله- بالاستقالة".

وعن الهدف من إنشائه صحيفة بريد الحجاز يقول نصيف: "إن الفكرة التي جعلتني أقدم على إصدار الصحيفة المشار إليها، ممثلة في صوت الحجاز هي الرغبة في تزجية الفكر العام إلى الأمام، فالصحافة هي المنبر الشعبي الذي ينهض بالمستوى الخاص والعام، وقد لاحظت أن تقدماً حصل في ثقافتنا، وأنه يمكنني أن أعمل شيئاً يمكنني من المضي قدماً".

صاحب امتياز

يقول المؤرخ محمد القشعمي –رحمه الله-: إنه بحسب ما تدونه جريدة البلاد في أعدادها المتتالية في الوقت الحاضر، فهي تعتبر محمد صالح نصيف رئيساً لتحرير صوت الحجاز في الفترات التالية: من ٢٩/ ٢/ ١٣٥١هـ إلى ١/ ٩/ ١٣٥١هـ، ومن ١٣/ ١٠/ ١٣٥٢هـ لمدة ثلاثة عشر يوماً، إضافة لكونه مؤسسها وصاحب امتيازها ومديرها المسؤول، أما الدكتور عبدالرحمن بن علي الزهراني فيقول في كتابه "رجال الشورى في المملكة العربية السعودية": عُين محمد صالح نصيف عام ١٣٥٥– ١٣٥٧هـ، مرة أخرى عضواً بمجلس الشورى، وعُين مديراً لمالية وجمارك منطقة جازان، ثم عُين عضواً بمجلس الشورى للمرة الثالثة اعتباراً من ١٩/ ١١/ ١٣٦٣هـ وحتى ٢٦/ ١١/ ١٣٧٦هـ، حيث أحيل إلى التقاعد.

خدمة الأدب

كان محمد صالح نصيف قد حدد أطر وسياسات صحيفته الجديدة "صوت الحجاز"؛ لتخدم الأدب والأنشطة الثقافية، والتي يقول علي الطاهر: "إنها احتجبت كسائر الصحف السعودية عن الصدور منذ ٢١ يوليو ١٩٤١م حتى ٤ مارس ١٩٤٦م، حيث عادت إلى الصدور باسم جديد هو (البلاد العربية) بسبب الحرب العالمية الثانية وشحّ الورق".

ووصف نصيف صحيفته بأنها ذات توجهات أدبية، وقال في افتتاحها: "لا أستطيع أن أصف لكم شعوري عندها، فقد كان شعور الغبطة بميلاد عهد جديد، وإني الآن لأستذكر أولئك الأدباء الذين ساعدوا وسهروا في سبيل إبراز الفكرة إلى حيز الوجود، وفي مقدمتهم سعادة الشيخ محمد سرور الصبان، حيث حضر إلى محل الطبع، واشترك عملياً مع إخوانه الأدباء في إصدار أول عدد عملي"، وقال بعد أن تحول اسمها إلى "البلاد السعودية": "وقد كان من جملة آمالي أن تتحول (صوت الحجاز) الأسبوعية إلى جريدة يومية، وأرجو أن يتحقق ذلك على يد الشركة العربية للطبع والنشر، وما كنت أخال إلاّ أني سأمضي في إصدارها حقبةً طويلةً من الدهر، والحمد لله، فقد سدّ الفراغ فما زالت صوت الحجاز تصدر حتى اليوم، وإن تبدل اسمها إلى البلاد السعودية"، وقد صارت تصدر كل نصف أسبوع وصارت ملكاً للشركة المشار إليها.

ثلاث مراحل

وكانت صحيفة البلاد الحالية قد مرت بثلاثة مراحل منذ إصدارها، المرحلة الأولى حين أصدرها الشيخ محمد صالح نصيف عام ١٣٥١هـ حتى ١٢ محرم ١٣٥٤هـ، تلتها المرحلة الثانية حيث انتقل امتيازها للشركة العربية للطباعة والنشر التي يرأسها معالي الشيخ محمد سرور الصبان –رحمه الله- في ١٩ محرم ١٣٥٤هـ، واستمرت حتى ١٥/ ٧/ ١٣٨٧هـ، ويعتبر العدد رقم ٢٩٦١ هو آخر عدد من جريدة البلاد السعودية وذلك بعد صدورها بالرقم ١ حيث دمجت مع جريدة عرفات باسم "جريدة البلاد" ثم انتقل امتياز الجريدة في المرحلة الثالثة من الشركة العربية للطبع والنشر إلى ذات الشركة بمشاركة الأستاذ حسن عبد الحي قزاز مالك صحيفة عرفات سابقاً، ثم –أخيراً- انتقل امتياز الجريدة من الشركة العربية للطباعة والنشر والأستاذ حسن قزاز إلى مؤسسة البلاد للصحافة والنشر في يوم الأحد ٢ ذي القعدة ١٣٨٣هـ، وذلك بعد صدور مرسوم المؤسسات الصحفية الصادر في ٢٣ جمادى الثاني من نفس العام.

حوار شهير

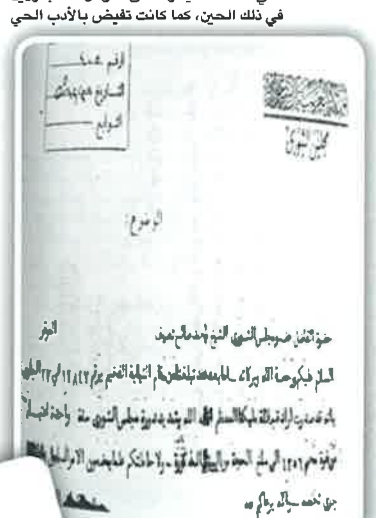
وقد انفرد الأستاذ محمد بن صالح نصيف بحوار صحفي شهير مع الملك عبدالعزيز –طيب الله ثراه- إبان توحيد البلاد تحت مسمى المملكة العربية السعودية، وقال المؤرخ محمد بن علي المغربي يصف هذا اللقاء: وقد وجدت عند تتبعي لأعداد صوت الحجاز عدة إشارات على كتاباته، فمثلاً قد أجرى مقابلة صحفية مع جلالة الملك عبدالعزيز –رحمه الله- في العدد (٢٣) في الأول من شهر جمادى الأولى ١٣٥١هـ، كما كتب في العدد (٤٠) وتاريخ ١٣ من رمضان ١٣٥١هـ موضوع (بيان حقيقة عتاب وجواب)، إضافة لموضوع ثالث (طرائف عربية) في العدد (٧١) بتاريخ ١ من جمادى الأولى ١٣٥٢هـ بتوقيع (م.ن) والمرجح أنه الحروف الأولى من اسمه، إضافة للافتتاحيات التي لا توقع بأسماء، أو الحروف الأولى من أسماء كتابها، كما هو في أعداد كثيرة.

تاريخ وفاته

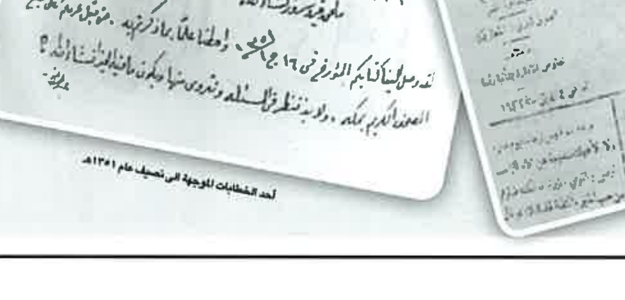
وذكر علي جواد الطاهر في (معجم المطبوعات العربية): انه قد توفي في جدة عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، أما في معجم الأعلام للزركلي، وفي معجم الكتاب والمؤلفين السعوديين فقد توفي عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، وبذلك قال ابنه عثمان: إنه قد توفي يوم الخامس من رمضان ١٣٩٣هـ، الأول من أكتوبر ١٩٧٣م، عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين، قضاها في خدمة دينه ووطنه، والملوك الذين تعاقبوا في حياته رحمهم الله جميعاً.



صحيفة بريد الحجاز



خطاب موجه لعضو مجلس الشورى محمد صالح نصيف من رئيس المجلس



أحد الخطابات الموجهة الى نصيف عام ١٣٥١هـ



العدد الأول من جريدة صوت الحجاز



خطاب من الملك عبدالعزيز إلى محمد نصيف

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

تجربة عائلته التجارية تعود لأكثر من ١٧٠ عاماً وحققت الريادة بالحصول على أول سجل تجاري في المملكة

محمد علي زينل.. تاجر اللؤلؤ

■ الشيخ الحاج «محمد علي» ابن الحاج زينل بن «علي رضا» أحد أعمدة بيت زينل التجاري، أفنى حياته في خدمة العلم والتعليم، وافتتح العديد من المدارس، عمل مع والده في الحجاز ثم سافر إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف لمواصلة طلب العلم، ثم ارتحل إلى الهند حيث كانت انطلاقته التجارية هناك واتسع نشاطه التجاري وافتتح مكاتب تجارية في الهند ولندن وباريس وبومباي، ولقب بـ«ملك اللؤلؤ» إذ كان يقوم بشراء اللآلئ من الموانئ الخاصة في موسم الصيد في البحرين ودبي، ثم يصنف هذه اللآلئ بعد ثقبها وصقلها في عقود وحلي وبيعها حسب أصنافها في العواصم العالمية، وكان رحمه الله يصرف على مدارسه بسخاء مما تدر عليه أرباح اللؤلؤ، ولم يقف دوره عند هذا الحد بل ابتعث الكثيرين لمواصلة دراستهم بالخارج وأصبح لهم شأن لاحقا، وبالرغم من انهيار تجارة اللؤلؤ الطبيعي واستبدالها بالصناعي إلا أن الحاج محمد علي بن زينل رفض إشهار إفلاسه وأصر على سداد ديونه كاملة للبنوك كما تحمل خسارة مئة من كبار تجار اللؤلؤ الطبيعي، وبالرغم من خسارته لأكثر من ٩٠٪ من ثروته فقد كان يقترض ليستمر في الإنفاق على ملاجئ الأرامل والأيتام وتحمل مصاريف التعليم في مدارس الفلاح وطلاب الابتعاث، كما أن الحاج محمد علي زينل كان عضوا في الحزب الحجازي الوطني الذي أدار شؤون الحجاز بعد حكم الأشراف عام ١٩٢٦م.

ارتبط بعلاقات وطيدة مع زعماء العالم وتجاوز خسارته لـ٩٠٪ من ثروته لينطلق في تجارة «الوكالات العالمية»



الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مع الحاج عبدالله بن علي رضا عام ١٩٢٥م



الملك سعود -رحمه الله- مع يوسف علي رضا في إحدى المناسبات



الملك فيصل -رحمه الله- مع محمد عبدالله علي رضا

عائلة زينل

في بدايات القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري كان زينل -الذي جاء اسمه اختصاراً لزين العابدين- يسكن أرض الحجاز كما كان أجداده الذين يروي عميد الأسرة السابق يوسف بن زينل بن "علي رضا" أنهم يعودون إلى قبيلة سهم القرشية، بيد أن "علي رضا" بن زينل الأول الجد الأكبر لآل "زينل" انتقل بحكم تجارته إلى السواحل الجنوبية الغربية لجمهورية إيران على سواحل الخليج العربي حيث القبائل العربية هناك، وأقام في بلد يقال له "بستك" على الحدود الغربية القريبة من مدينة المحمرة - لعلها هي ما يعرف الآن بإقليم "خوزستان او عربستان" - وكان يحكمها حاكم عربي اسمه خزعل، وقيل إنهم سكنوا شط العرب لسنوات طويلة.

وكان علي رضا على علاقة مع حاكم الولاية التي يقطن فيها، بيد أن العلاقة توترت فيما بين الاثنين ما دعا حاكم الولاية للقبض على "زينل" الابن البكر لعلي رضا حتى استطاع والده بعد مدة أن يحتال لإخراج ابنه من الحجز الذي فرضه عليه حاكم الولاية، وفعلاً تم له ذلك فسارع لإرساله وأخويه عبدالله وحسين مع قافلة بحرية متجهة إلى الحجاز بمعية رجل الأعمال "علي الزاهد"، وهناك بدأ زينل تجارته مع الزاهد وتصاهرا وارتبطت الأسرتان بروابط الرحم والتجارة، وذكر محمود رضوان في كتابه "قالوا عن محمد علي زينل مؤسس مدارس الفلاح" أن أسرة آل زينل شافعية المذهب تعود بجذورها إلى قبيلة سهم القرشية - كما قال بذلك صالح العمودي في بحث له عن هذه الأسرة- وكان زينل بن "علي رضا" والد "محمد علي" مشهورا بالفضل والإحسان وبإعمال البر وأمه هي آمنة بنت علي الزاهد امرأة صالحة تربت في بيت علم وتجارة وعرفت هي أيضا بأعمال البر ومساعدة أصحاب الحاجات، وكان اسمه مركباً على عادة أهل الحجاز وكثير من المسلمين.

تجارته

كان لقب الحاج يطلق على كل من يقصد الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولذا فقد لقب زينل بن "علي رضا" بهذا اللقب، لاسيما وأن أبناءه عادوا لسكنى الحجاز واستقروا به حيث كان لـ "علي رضا" من الأبناء كل من "زينل" -وهو اختصار لزين العابدين- و"عبدالله" و"حسين" أما زينل فكان صاحب السبق في تجارة العائلة وهو مؤسس البيت التجاري لها منذ عام ١٨٤٥م، حين قدومه للحجاز، وقد بدأ "زينل" تجارته بالأقمشة و"الأرزاق" حيث يستورد البضائع من "مومبي" بالهند إلى أن أسس له مكتباً تجاريا هناك لتزويد تجارته بالحجاز، كما استقطب بعض الوكالات البحرية التجارية وأنشأ ما يعرف بـ"الكبانية" وهو المكان الذي يعد مقراً للتعاملات مع السفن التي تنزل في جدة، وقد تميز زينل عن منافسيه بأن لديه موظفين من الإنجليز، ولذا فقد كان بعض منافسيه يجتمعون عنده في "الكبانية" للحصول على ترجمة البرقيات التي تصلهم، ولذا فقد سارع "زينل" في توظيف عدد من الأفراد لخدمة هؤلاء التجار كنشاط تجاري مكمل لعمله وعمل منافسيه، ويذكر أن "زينل" كان يتحرى الأمانة والدقة وحفظ أسرار التجار إلى حين توفي -رحمه الله- عام ١٣٤٨هـ، وبوفاته حولت المسؤولية التجارية باسم الحاج عبدالله وكان يصغر أخاه زينل بخمسة عشر عاماً، أما أبناء زينل فهم "محمد علي" ثم "قاسم" ثم "يوسف" الذي تولى مسؤولية العائلة أو رئيس لمجموعة زينل إلى حين وفاته وصلى عليه الملك سعود بالحرم المكي الشريف وكان له من الأبناء كل من إبراهيم الممثل التجاري لحكومة المملكة في عدد من الدول، كما كان له من الأبناء محمد وأحمد وحمود وكلهم تقلدوا مناصب حكومية وتجارية خاصة، أما "محمد علي" -محل البحث- فهو الابن الأكبر لزينل صاحب مدارس دار الفلاح، وأما قاسم فكان مبعوث حكومة الأشراف في البرلمان التركي، وبالعودة إلى الجد الأكبر "علي رضا" فقد كان له اثنان من الأبناء "زينل" سالف الذكر، وعبدالله وهو شقيق زينل وقد تبادل الأخوان مهامهما بحيث كان زينل متفرغاً لتجارة العائلة أما عبدالله فقد كلف بالمهام والوظائف الرسمية داخل الحكومة وقد تقلد منصب قائم مقام جدة في عهد الأشراف وقد أقره الملك عبدالعزيز في منصبه مع دخوله مدينة جدة هو الذي فاوض الملك عبدالعزيز وسلم له مفاتيح جدة بمشورة أعيان ووجهاء البلدة، بل إن الملك عبدالعزيز عينه مستشاراً له مع بقائه بمنصبه، واستطاع عبدالله أن يطور ويتابع أعمال شقيقه حيث أسس للشركة هيكلها التجاري وهي إلى الآن تحمل اسم "شركة الحاج عبدالله علي رضا" في حين عرفت العائلة باسم "عائلة زينل"، وقد توفي الحاج عبدالله "رحمه الله" في الطائف وقد ناهز السبعين وصلى عليه الملك عبد العزيز في جامع ابن عباس بالطائف ودفن هناك بمقبرة ابن عباس وكان له من الأبناء محمد وهو أول من أنشأ فكرة الغرفة التجارية كما أنه أول من انتخب كرئيس لاتحاد الغرف التجارية بالمملكة، ثم أصبح أول وزير للتجارة في عهد الملك سعود كما عمل سفيرا للمملكة في فرنسا، وفي محيط العائلة فقد كان محمد بن عبدالله بن علي رضا رئيساً لمجموعة آل زينل إلى حين وفاته عام (١٩٨٢هـ)، أما الابن الثاني لقائم مقام جدة عبدالله بن علي رضا فهو "علي" الذي عين وزير دولة في عهد الملك سعود، كما أنه رافق الملك فيصل في كثير من رحلاته الدولية، وكان سفيراً للمملكة في الولايات المتحدة الأمريكية، أما الابن الثالث والأخير للجد "علي رضا" فهو "حسين" الذي يصغر أخويه "زينل" و"عبدالله" بالسن بيد أنه يشاركهما الطموح والنجاح، وإن استقل بتجارته حيث أنشأ شركة متخصصة ووكالة للسيارات والمعدات عرفت باسمه وباسم أبنائه وأحفاده إلى يومنا هذا.

أول سجل تجاري

تعود تجربة عائلة زينل التجارية إلى أكثر من ١٧٠ عاما، وكان لها السبق والريادة في الحصول على السجل التجاري الأول في المملكة حيث أسّس الحاج زينل علي رضا أول شركة تجارية في جدة عام ١٢٨٦هـ، كما أنها سجلت في عهد الدولة السعودية بسجل تجاري رقم ١، وكانت الشركة تقوم بإدارة ميناء جدة وكبرى شركات الملاحة البحرية في ذلك الوقت، وبعد وفاة الحاج زينل تم تحويل الشركة إلى اسم أخيه الحاج عبدالله علي رضا بعد موافقة أفراد العائلة، وقد قام الحاج عبدالله بإدارة الشركة مع أخيه الحاج حسين، إلى أن قرر الأخير الانفصال وتأسيس شركة الحاج حسين علي رضا المعروفة إلى وقتنا الحاضر.

نشأته وتعليمه

ولد الحاج "محمد علي" زينل في جدة عام ١٣٠١هـ، ونشأ في بيئة محافظة متمسكة بآداب الدين والفضيلة، وهناك قرأ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الفقه والعلوم الشرعية، كما تعلم القراءة والكتابة، وبعد أن عكف والداه على تعليمه دربه والده على التجارة كبقية أفراد الأسرة، فأرسله وهو في مقتبل العمر إلى الهند لإدارة بعض أعمالهم التجارية هناك، ولكنه لم ينسجم مع هذا العمل، فقرر الذهاب إلى القاهر للالتحاق بالأزهر الشريف، لرغبته في مواصلة تعليمه، وفي القاهرة وقبلها في جدة نال حظا وافرا من العلم، وكان يخطب باللغة العربية الفصحى ويجيد اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والأوردية، كما كان -رحمه الله- حريصاً على مساعدة الفقراء وسد احتياجاتهم، وداعماً للأعمال الخيرية والتوعوية، ولذلك فقد أسس أول ناد بالمفهوم العصري ويسمى "نادي الصلاة"، يشرف مع أخيه عبدالله علي رضا وكبار رجال جدة على الأنشطة المتمثلة في صلاة الجماعة والشعر والأدب والتاريخ ومتابعة الأعمال الخيرية، وكذلك رياضة رمي الجلة حتى أطلق عليه حينها لقب "أبو الفقراء".



الملك فهد -رحمه الله- خلال احتفال آل زينل بتسلمه مقاليد الحكم

ملك اللؤلؤ

عرف "محمد علي" زينل منذ العهد العثماني بتجارة اللؤلؤ فقد كان يشتريها من الموانئ العربية بمواسم الصيد، ثم يقوم بصقلها ونظمها في عقود وحلق وأساور ويبيعها في العواصم العالمية حتى لقب بملك اللؤلؤ، وبظهور اللؤلؤ الصناعي "الياباني" تعرض الحاج "محمد علي" لخسارة كبيرة أفقدته ما يقارب من ٩٠٪ من تجارته، بيد أنه رفض إعلان إفلاسه، واستمر في التنوع التجاري والاستثماري، ليبدأ في تسديد ديونه شيئاً فشيء حتى أنه كان تحمل خسارة مائة تاجر من كبار تجار اللؤلؤ، واضطر في بعد الأوقات للقروض لسداد ديونه، وهو مع هذا مستمر قدر ما يستطيع في الإنفاق على أعماله الخيرية والتعليمية المنتشرة في عدد من البلدان العربية والعالمية، وفي بحث أعده الإعلامي والمؤلف صالح العمودي ذكر فيه أن الحاج "محمد علي" زينل كان قد أرسل بعض الطلاب النابهين إلى الدراسة في الهند وتكفل بمساعدة أسرهم على المعيشة سواء في جدة أو مكة، وأشار إلى أن الحاج انطلق براتب لا يزيد على ١٠ روبيات ليصنع إمبراطورية تجارية واسعة في تجارة اللؤلؤ والألماس والأحجار الكريمة،وقد امتدت علاقاته التجارية إلى الهند مركز بيع وتصدير اللؤلؤ ثم إلى أنحاء العالم، وافتتح له مكتباً دائماً في فرنسا في عام ١٩٢٠ م ، يدير من خلاله تجارته في تسويق وبيع اللؤلؤ.



الحاج محمد علي زينل

علاقات واسعة

وصفه محمد علي مغربي في كتابه "أعلام الحجاز" الحاج محمد علي زينل بأنه رجل "قوي الشخصية وهبه الله مهابة وأسبغ عليه محبة، وهو معتدل الجسم وسط بين الرجال لا بالطويل ولا بالقصير مستدير الوجه ابيض اللون واسع العينين أقنى الأنف، يضع نظارة ذهبية على عينيه ويرتدي الجبة والعمامة الحجازية وقد احتفظ بلباسه هذا حتى في زياراته الكثيرة إلى أوروبا، وكان للحاج محمد علي زينل علاقات واسعة مع أصحاب القرار والنفوذ في مختلف دول العالم وهذا ما تؤكده المراجع حيث تربطه علاقات وطيدة بكل من الشريف حسين والملك عبدالعزيز، والملك فاروق، والرئيس جمال عبدالناصر، والملك فيصل الأول ملك العراق، والملك عبدالله ملك الأردن، والملك أمان الله ملك أفغانستان، ثم الملك نادر شاه وإمبراطور إيران رضا بهلوي وسلطان حضرموت القعيطي، والرئيس الهندي أبو الكلام آزاد، والرئيس العراقي عبدالرحمن عارف وكافة أمراء الخليج العربي، كالشيخ محمد الخليفة، والأمير عبدالله السالم الصباح والشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم الذي استقبله ذات مرة بـ (٢١) طلقة احتفاء بزيارته، ويعتبر الحاج محمد علي زينل في الوعي الهندي، "التاجر العربي الذي ساهم في تنمية الهند القومية" إذ كان صديقا شخصيا لـ "جواهر لال نهرو" أول رئيس وزراء في الهند، إضافة إلى تأسيسه جمعية الصداقة العربية الهندية التي قدمت الدعم للجمعيات والهيئات التعليمية والاجتماعية في أرجاء الهند.

مدارس الفلاح

أوردت المصادر بأن الشيخ الحاج "محمد علي" زينل أسس مدارس الفلاح في جدة عام ١٩٠٥ م ، وهي نواة التعليم النظامي بالجزيرة العربية، واستمر في الصرف عليها إلى حين تكفلت بها وزارة المعارف فيما بعد، ومنذ إنشائها كان التعليم بها مجانيا للجميع وقد ألحقها الحاج "محمد علي" بفروع في كل من مكة المكرمة عام (١٩٠٩م)، ثم في البحرين وبومباي ودبي وحضرموت وكان لهذه المدارس السبق -بعد حلقات الحرمين الشريفين- في تخريج جيل الرواد من العلماء والأدباء والمفكرين وكبار موظفي الدولة في العهد السعودي، إضافة إلى كبار الدبلوماسيين والتجار والمستشارين وأعضاء مجلس الشورى، وقد جاءت فكرة إنشاء هذه المدارس بعد الشعور بحاجتها الملحة حيث قام الحاج "محمد علي" زينل باستئجار حجرة في إحدى المنازل وجعلها نواة لمدارسه التي قام بتأسيسها فيما بعد، ومن ضمنها مدارس الفلاح في كل من جدة ومكة المكرمة، وقد تكفل الشيخ محمد علي زينل وأصحابه عبد الرؤوف جمجوم ومحمد صالح جمجوم ويحيى السالم ومحمد صالح أنور بمهمة إيصال الأبناء من وإلى منازلهم، في أجواء تعاونية وتكافل اجتماعي يحتذى به، وبعد مدة ليست بالقصيرة تقدم هؤلاء الرواد بطلب تصريح للمدرسة وفعلاً تم الحصول عليه ما دعاهم إلى إظهار نشاطهم أمام العلن ما زاد من توسع المدارس وزيادة المصاريف التي تجاوزت ميزانية الحاج "محمد علي" الشخصية التي لم تكن تتعدى العشرة جنيهات -في بادئ الأمر- والتي كان يقبضها من والده نظير مساعدته في التجارة، بيد أنه حين وجد المبنى المناسب الذي يكون مقراً لمدارسه قد عرض للبيع سارع في البحث عن المال الذي يكفيه لسداد الإيجار، ولما علمت زوجته وهي ابنة عمه خديجة بنت عبد الله علي رضا بادرت إلى بيع مجوهراتها وقدمتها له ليشترى المبنى،وبعد مدة سافر "محمد علي" إلى الهند ونجح في تجارة اللؤلؤ، وأصبح اسمه يقارع أسماء كبار التجار بل أنه لقب بـ "ملك الؤلؤ" وكل هذا عاد على مشروعه التعليمي بالخير الجزيل فبدأ بسداد ديونه وتوسع في مدارسه فأصبحت تستقبل أعداداً أكبر من طلاب العلم وهيأ لها الخدمات والمرافق الخاصة والمكملة، ثم قام بتأسيس مدرسة الفلاح في مكة المكرمة سنة ١٣٣٠هـ، وقام أيضا بتأسيس فروع أخرى، في بومباي سنة ١٣٥٠ هـ ، وعدن ودبي سنة ١٣٤٧ هـ ، والبحرين.

وابتعث الحاج محمد علي زينل أوائل المتخرجين إلى الهند، وقدّم لهم رواتب مغرية في سنة ١٣٤٨هـ وقد بدأ ببعثتين من خريجي مدارس الفلاح بمكة المكرمة وجدة بعثهما إلى بومباي- مقر عمله الرئيسي- إحداهما تجارية لدراسة الشؤون التجارية عملياً، والأخرى علمية للتخصص في علوم الدين الإسلامي، وقد نظم من المبعوثين مدرسة عليا تحت إشرافه المباشر ببومباي وتعاقد مع علماء كبار متخصصين جلهم من الشام والبلاد العربية والإسلامية ليقوموا بواجب تعليمهم وتثقيفهم ثقافة إسلامية وعصرية، وكان يخالط الطلاب ويتعامل معهم كأبنائه وفي نيته أن يوالي البعثات العلمية دائماً بطريقة منتظمة ومستمرة إلا أن ظروفه المالية لم تساعده، بعد انهيار سوق اللؤلؤ الطبيعي كما ذكرنا، ويروى أنه حين علم الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- بالصعوبات المالية التي تعرض لها الحاج محمد علي زينل بعد انهيار سوق اللؤلؤ، أمر بفرض رسم جمركي بنسبة ١٪ على جميع الطرود الواردة إلى موانئ المملكة لتكون حصيلة ذلك لصالح مدارس الفلاح، وعرف ذلك بمشروع "قرش الفلاح".

وفاته

توفي الحاج محمد علي بمدينة "مومباي" الهندية في الثاني من شعبان عام ١٣٨٩ هـ عن عمر يناهز التسعين عاماً، تاركاً ثلاثاً من البنات هن حفصة وآمنة ومريم، وكان الملك فيصل قد أرسل له طائرة لنقل جثمانه لولا أنه -رحمه الله- كان قد أوصى أن يدفن بالأرض التي يتوفى بها رحمه الله.



بيت آل زينل القديم بشكله الحديث بالنزلة اليمانية خلف مبنى التلفزيون اليما



حسين علي رضا مؤسس الشركة التي تعرف باسمه حاليا في وكالة السيارات

قاسم زينل علي رضا

زينل علي رضا مؤسس البيت التجاري لعائلة زينل

عاصرت جميع معارك الملك عبدالعزيز وأحاطها بمشاعر الود والمحبة وأصبح يعوّل عليها في إدارة الشؤون الداخلية لقصره

وضحى آل عريعر.. أم الضعفاء والمحتاجين

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ حرص الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- على جمع أبناء القبائل والأسر وزيادة القرب والألفة بينه وبين مختلف أمراء وشيوخ ووجهاء المجتمع، حيث أشار المؤرخون إلى أن المؤسس كان يهدف من تعدد زوجاته إلى هذا الهدف وهو الجمع بين أبناء القبائل وزيادة أواصر الألفة والقرب مع مختلف أمراء وشيوخ ووجهاء المجتمع، وقد ألمحت إلى ذلك صحيفة «الديلي اكسبريس» الانجليزية.

وقال جون فانيس في كتابه (أقدم أصدقائي العرب): كان الملك عبدالعزيز يطلق زوجة ليأخذ بأخرى، وغرضه مصاهرة القبائل وقد أورد المؤرخ عبدالرحمن الرويشد مجموع زوجات الملك عبدالعزيز في مصنفاته التاريخية حول الأسرة السعودية، فذكر أن المؤسس -طيب الله ثراه- تزوج للمرة الأولى وكان عمره سبعة عشر ربيعاً، حيث خطب له والده فتاة يقال إنها من البادية، وقد عاشت تلك الفتاة مع أسرة عبدالعزيز، ولم تعمر طويلا، حيث توفيت بعد ستة أشهر من زفافها إليه، وكان ذلك في حدود عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، وأشارت دراسة لمجلة الدارة بأن اسم تلك الفتاة (شريفة بنت صقر الفجري) من بني خالد.

ومن زوجاته -رحمه الله- الأميرة وضحى بنت محمد بن حماده بن مشاري بن حسين بن محمد بن حماده بن عريعر بن دجين بن سعدون آل عريعر، وكانت من شيوخ قبيلة بني خالد، وهي والدة الملك سعود -رحمه الله- وقد تزوجها الملك المؤسس حين كان في الكويت.

أوصت بثلث مالها للفقراء كصدقة جارية وخصصت دخل مزارعها لأعمال البر

أول الأنجال

كانت الزوجة الثانية للملك المؤسس من شيوخ قبيلة بني خالد، وهي والدة الملك سعود -رحمه الله- وقد تزوجها الملك المؤسس حين كان في الكويت وهي الأميرة وضحى بنت محمد بن حمادة بن مشاري بن حسين بن محمد بن حمادة بن عريعر بن دجين بن سعدون آل عريعر، وقد أنجبت الأميرة وضحى مولودها البكر من الملك عبدالعزيز وهو الأمير تركي، الذي يكنى به الملك عبدالعزيز والذي ولد عام (١٣١٨هـ - ١٩٠٠م) وقيل قبل ذلك وقد توفي- رحمه الله- في عام (١٣٣٧هـ) وهي السنة المعروفة بنجد باسم سنة الرحمة حيث انتشرت حينذاك الحمى الأسبانية التي يقال: إن انتشارها جاء مع تفشي الأوبئة التي خلفتها الحرب العالمية الأولى حيث انتشار الموت والجثث في معظم أقطار العالم.

أنجبت الأميرة وضحى كلاً من الأمير عبدالله والأمير خالد والأميرة منيرة وقد توفي ابنيها عبدالله وخالد في سن الطفولة أما منيرة فقد توفيت في عهد جدها الملك عبدالعزيز وترجح الدكتورة دلال الحربي أن وفاتها كانت عام (١٣٦٠هـ) اعتمادا على إحدى الوقفيات التي أشير فيها إلى أن والدتها الأميرة وضحى أوقفت على ابنتها منيرة منزلا وخصصت لها فيه أضحية سنوية، في حين أن وفاتها -رحمها الله- كانت - وهي حامل- في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة عام (١٣٥٨هـ) وفقا لما نشرته صحيفة أم القرى والذي أفاد بأن الأميرة منيرة توفيت "بعد مرض دام قرابة أسبوع".

فهد الأول

كان الأمراء تركي وعبدالله وخالد والأميرة منيرة أشقاء للملك سعود الذي أصيب مع إخوته في مقتبل شبابه بذات المرض الذي أصابهم بيد أنه شفي منه كما يذكر فؤاد حمزة في (البلاد العربية السعودية)، كما أن الأميرة وضحى احتضنت الأمير فهد ابن الملك عبدالعزيز بعد وفاة والدته من عائلة الدخيل من مدينة بريدة وقد توفيت والدته وهو رضيع فاعتنت به الأميرة وضحى مع أبنائها، وقد توفي الأمير فهد بن عبدالعزيز مع أخيه تركي شقيق الملك سعود في سنة الرحمة (١٣٣٧هـ) وبعد وفاته بقرابة سنتين ولد فهد الثاني ابن الملك عبدالعزيز.

حب ووفاء

وعلى الرغم من أن الأميرة وضحى انفصلت عن الملك عبدالعزيز إلا أن الملك المؤسس كان يكن لها الاحترام والتقدير، ويثمن مواقفها المشرفة معه وكان يحيطها وأبناءها بمشاعر الود والمحبة ويسكنهما معه أينما حل وارتحل، لا سيما وأن وضحى هي أولى زوجات الملك عبدالعزيز اللائي لحقن به حين استعادته مدينة الرياض، حيث وصلتها مع والده الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي، وكانت الأميرة وضحى وشقيقة الملك (نورة بنت عبدالرحمن) ممن يعول عليهن الملك المؤسس في إدارة شؤون قصره الداخلية.

الانتقال للكويت

أما والدة الأميرة وضحى فهي عبطاء السرداح وقد اشتهرت -رحمها الله- بجلدها وصبرها وقوة شخصيتها، وقد عاشت أواخر عمرها مع ابنتها في الرياض وتوفيت بعد معركة السبلة عام (١٣٤٧هـ) وقد تزوج الملك عبدالعزيز بوضحى حين إقامته بالكويت وكانت أخت وضحى "حصة" قد تزوجت لاحقا بالشيخ مبارك الصباح أمير الكويت حينذاك، وكان السبب في قدوم وضحى للكويت أنه بعد وفاة والدها محمد بن حسين العريعر انتقلت والدتها "عبطاء" إلى القطيف حيث أخويها "نهار" و"طلمس" وبقدوم ابن عم ابنتيها حمادة بن عبدالله بن الحسين آل عريعر من الكويت، والذي كان على علاقة وطيدة مع الملك عبدالعزيز بحكم إقامته بالكويت ومعرفته بالشيخ مبارك الصباح، انتقلت العائلة إلى الكويت وهناك تزوج الملك المؤسس بالأميرة وضحى.



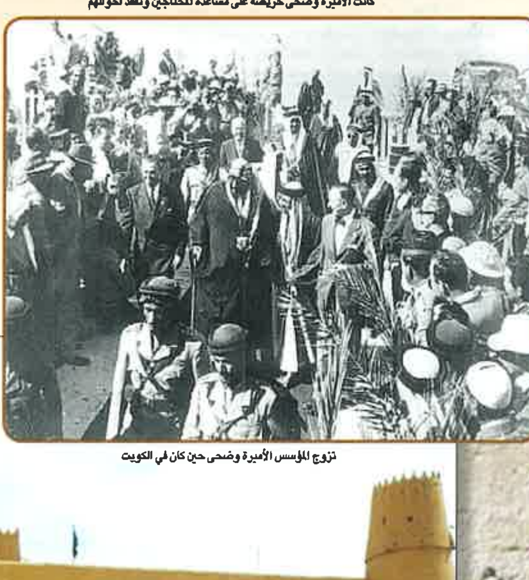
الملك عبدالعزيز مع الملك سعود رحمهما الله

زوجات الملك

تزوج المؤسس بعدد من النساء فبعد زواجه من الأميرة وضحى تزوج بالأميرة سارة بنت عبدالله بن فيصل عام ١٣١٨هـ ولم تنجب منه، ثم تزوج بعد استعادته للرياض مباشرة إحدى بنات الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وتسمى طرفة، فأنجبت له فيصلاً (الملك) الذي ولد عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وكانت قد أنجبت قبل فيصل بنتا اسمها نورة عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وقد توفيت الأميرة طرفة والدة الملك فيصل -رحمهما الله- عام ١٣٢٤هـ وعمر فيصل لا يتجاوز بضعة أشهر، ثم تزوج المؤسس بـ(الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود)، وقد أنجبت له ولداه محمد، وخالد (الملك) والأميرة العنود، وقد توفيت الأميرة الجوهرة زوجة الملك عبدالعزيز عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م، أي في سنة الرحمة وقد حزن عليها الملك حزناً عميقا، ثم تزوج الأميرة (حصة بنت أحمد بن محمد السديري)، فولدت للملك ولداً سماه سعداً، توفي صغيراً، فطلقها الملك عبدالعزيز، وتزوجها بعده أخوه الأمير محمد بن عبدالرحمن، حيث ولدت له الأمير عبدالله بن محمد، ثم طلقها، وتزوجها الملك عبدالعزيز بعد طلاقها من أخيه، وأنجبت له فهد (خادم الحرمين الشريفين) وسلطان، وعبد الرحمن، وتركي، ونايف، وسلمان (خادم الحرمين الشريفين)، وأحمد، وبنتا سميت فلوة، وبنتا أخرى سميت شعيع توفيتا صغيرتين، ثم أنجبت موضي، ولولوة، ولطيفة، والجوهرة، وجواهر، وقد عاشت بعد الملك عبدالعزيز، ثم وافتها المنية عام ١٣٨٩هـ. بعد وفاة زوج الأميرة الجوهرة الأمير سعد أخو الملك عبدالعزيز في وقعه كنزان عام ١٣٣٣هـ، تزوج الملك عبدالعزيز بـ(الجوهرة) وأنجبت له عدداً من الأولاد الذكور هم سعد، عبد المحسن، ومساعد، وابنتين هما الأميرة حصة والأميرة البندري، ثم توفيت -رحمها الله- في حياة الملك عبدالعزيز، بعد وفاة الجوهرة تزوج الملك عبد العزيز بالأميرة (فهدة بنت العاصي بن شريم) من شيوخ قبيلة شمر، فأنجبت له خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله والأميرة صيتة والأميرة نوف، ثم توفيت في حياة الملك عبدالعزيز، تلا ذلك زواجه بالأميرة (هيا بنت سعد السديري)، فأنجبت للملك عبدالعزيز الأمير بدر والأمير عبدالإله والأمير عبدالمجيد، وابنتين هما، الأميرة نورة والأميرة مشاعل، وقد توفيت -رحمها الله- شهر صفر عام ١٤٢٤هـ، وكان الملك عبدالعزيز قد تزوج قبل ذلك بفتاة من العجمان هي الأميرة (لجعة بنت خالد بن حثلين)، فولدت له الأميرة سارة فقط، كما تزوج -رحمه الله- بالأميرة (نوف بنت ابن شعلان) حفيدة الشيخ نوري الشعلان شيخ قبائل (الرولة)، وذلك عام ١٣٥٤هـ، وقد أنجبت له كلا من الأمير ثامر والأمير ممدوح والأمير مشهور، وتزوج أيضاً بـ (لولوة بنت صالح بن نخيل) من أهل بريدة من الدواسر، وقد أنجبت له (فهد الأول) بلغ سن الفتوة، ثم توفي عام ١٣٣٧هـ أي في (سنة الرحمة) وهو الذي احتضنته الأميرة وضحى العريعر بعد وفاة والدته، فتربى معها كأحد أبنائها وتوفي مع ابنها البكر تركي، ثم تزوج الملك عبد العزيز ب (هيلة بنت صالح بن إبراهيم الربدي) من مشاهير الأسر في منطقة القصيم، ولم تنجب، كما تزوج بـ(هيا بنت حسن بن مهنا) من أمراء بريدة سابقا، ولم تنجب، وتزوج (نورة بنت حسن السليمان) من القصيم كذلك، ولم تنجب أيضا، كما تزوج (موضي آل منديل) من مشاهير قبيلة بني خالد، وهي والدة الأميرة شيخة بنت عبدالعزيز، ولم تنجب غيرها، ثم تزوج -رحمه الله - زوجة أخرى من مشاهير بني خالد، وهي الأميرة (شاهة بنت حزام الخالدي) والدة الأميرة دليل بنت عبدالعزيز، بعدها تزوج بامرأة من القصيم، انجبت له الأميرة الجوهرة الأولى التي تزوجها الأمير خالد بن محمد بن عبدالرحمن، كما تزوج الملك عبدالعزيز بفتيات أخريات أنجبن له العديد من البنين والبنات، منهن الأميرة (بزة الأولى)، وقد أنجبت له الأمير ناصر بن عبدالعزيز من مواليد ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م، ولم تنجب غيره، ومن زوجاته الأميرة (شهيدة) والدة الأمير منصور والأمير مشعل والأمير متعب والأميرة قماشة، وقد توفيت -رحمها الله- في قصر المربع عام ١٣٥٨هـ، وهي من كبريات نسائه ومن أشهرهن تدينا وعطفا على المحتاجين ومساعدة الفقراء والمعوزين، ومن زوجاته أيضا الأميرة (بزة الثانية) المتوفاة سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م، وقد أنجبت للملك عبدالعزيز كلاً من الأمير بندر والأمير فواز، وكذلك الأميرة (منيّر) -تصغير منيرة - والدة الأمير طلال والأمير نواف والأميرة مضاوي، وقد توفيت بعد الملك عبدالعزيز بزمن طويل، وتعد من مشاهير زوجاته، وتنضم إلى زوجاته أيضا الأميرة (بشرى) والدة الأمير مشاري بن عبدالعزيز التي لم تنجب غيره، ومن زوجاته أيضا الأميرة (موضي) والدة الأمير ماجد والأمير سطام والأميرة سلطانة، والأميرة هيا والأميرة جوزاء، وقد توفيت بعد الملك عبدالعزيز بمدة طويلة، وقد عرفت بين مواطنيها بالبر والصلاح، وكان الملك عبدالعزيز يسميها أم الفقراء، ومن زوجات الملك عبدالعزيز الأميرة (سعيدة) والدة الأمير هذلول المولود عام ١٣٦١هـ. كما أنجبت الأميرة عبطاء من مواليد ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٤ م، أما زوجته الأميرة (بركة) فقد انجبت له الأمير مقرن وهو من مواليد عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م، في حين أنجبت له الأميرة (فطيمة) الأمير حمود بن عبدالعزيز الذي ولد عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ولعله كان أصغر أبنائه رحمه الله، كما أن من زوجاته المعروفات الأميرة (الجازي بنت ابن حثلين) أخت خالد بن حثلين من العجمان، وكذلك الأميرة (نورة بنت سعد العريفي) أمير مزعل من أهل القويعية، والأميرة (موضى بنت سلطان بن منديل) الخالدية والدة الأميرة شيخه بنت عبدالعزيز، و(جواهر بنت محمد بن طلال بن رشيد)، ولم تنجب منه.



كانت الأميرة وضحى حريصة على مساعدة المحتاجين وتفقد أحوالهم



تزوج المؤسس الأميرة وضحى حين كان في الكويت

أوقافها ووفاتها

عاصرت الأميرة وضحى جميع معارك زوجها الملك عبدالعزيز وأدركت وفاة جميع أبنائها وتوفيت -رحمها الله- بعد وفاة الملك سعود بأربعين يوما في مدينة الرياض في (١٧ صفر ١٣٨٩هـ) حيث توفيت -رحمها الله- بعد أن تجاوزت التسعين من العمر، وقد وصفت بأنها امرأة صالحة اشتهرت بالكرم ولين الجانب والعطف على الضعفاء والمحتاجين حتى أنها أوصت بثلث مالها للفقراء والمساكين كصدقة جارية كما أوصت باستثمار هذه الأموال بعد وفاتها كأوقاف للأعمال الخيرية والإنسانية، وقد وجد الباحثون عدداً من المخطوطات والوثائق النادرة التي أوصت من خلالها الأميرة وضحى -رحمها الله- بالصرف على أوجه الخير ودعم المحتاجين وعتق الأرقاء، كما كانت تسير الحملات إلى الحج من مالها، وكانت تراقب أحوال ذويها وأقاربها وتساعد الضعيف والمحتاج منهم وتخصص نخل مزارعها في الخرج والأحساء لأعمال البر، وقبل وفاتها أوصت بثلث مالها لصرفه على الأوقاف والأعمال الخيرية رحمها الله رحمة واسعة.



الأميرة وضحى أولى زوجات المؤسس اللائي لحقن به بعد استعادة الرياض



والدة الأميرة وضحى عاشت أواخر عمرها مع ابنتها في الرياض

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

قاوم ظروف المعيشة الصعبة ليصنع إمبراطورية الوكالات ويؤسس الكهرباء والهاتف وعدداً من الشركات العالمية

عبدالله الجفالي.. رحل عن عنيزة على ظهر «ناقة» وعاد إليها بـ«المرسيدس»

■ لم يدر في مخيلة عبدالله بن إبراهيم الجفالي الذي ولد في مدينة عنيزة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري أي في عام ١٢٩٧هـ، وقيل عام ١٢٩٤هـ والأخيرة أقرب، أن حياة الطفولة بظروفها الصعبة ستدفعه وهو في سن المراهقة أن يضرب أكباد الإبل، ويرحل عن ديار أهله وذويه، جرياً على ما اعتاد عليه أبناء جيله، فالحياة وظروف المعيشة الصعبة ألزمته السفر إلى العراق، وربما كان ذلك مع تجار نجد المعروفين بـ«العقيلات»، إلا أن هذه الشاب الفتى ما برح أن عاد بعد ستة أشهر إلى نجد وبالتحديد إلى مدينة عنيزة؛ حيث كانت الظروف السياسية -مطلع القرن الهجري الرابع عشر- تموج في صراعات محلية وإقليمية في معظم أرجاء الجزيرة العربية، لاسيما في منطقة نجد، هنا وجّه الشاب عبدالله الجفالي خطام ناقته إلى قبلة الإسلام؛ حيث مكة المكرمة ولم يك حينها يعلم أنه بفضل الله عليه سيعود لمدينة عنيزة أو ربما بعض أبنائه بعد عدة عقود بسيارة المرسيدس الفارهة.

نزل الشاب عبدالله بن إبراهيم الجفالي مكة المكرمة وسكن في حي الجودرية وسط مكة وهو آنذاك ما يزال صغير السن ربما لم يبلغ سن الرشد، واستأجر هذا الشاب منزلاً صغيراً واستقطع منه محلاً تجارياً تركه لعاديات الزمان وكم كان يمني النفس أن يفتح الله له من خلال هذا «الدكان» الصغير أبواب الاستثمار والتجارة على مصراعيها، وفعلاً أحب هذا الفتى أسلوب العمل في المدينة المقدسة، كما أحب أهلها الذين عرف عنهم التعاون والتآزر فيما بينهم وانفتاحهم مع الجميع ناهيك عن حرصهم على التنوع في المال والعمل وطرق الاستثمار.

منحه المؤسس الثقة في تشكيل أول مجلس للشورى وبعثه في مهمة تفقد أوضاع المواطنين



علي بن عبدالله الجفالي



أحمد بن عبدالله الجفالي



أسس أبناء الجفالي عدداً من الشركات التي تولت عدداً من المشروعات الخدمية



استأجر الجفالي منزلاً صغيراً وسط مكة واستقطع منه محلاً تجارياً

ثقة المؤسس

شكل عبدالله الجفالي مع مجموعة من أصدقائه من مكة المكرمة ومن نجد تجارة متبادلة وبدأ هذا الشاب بتوسعة نشاطه التجاري فسلك مسلك التجار المستثمرين حيث لا تقف تجارته على نشاط معين أو خدمة بعينها، وما حل عام (١٣٤٣ - ١٣٤٤هـ) حيث انضمام إقليم الحجاز إلى باقي أقاليم "مملكة الحجاز ونجد" التي سميت فيما بعد وبمبادرة من أعيان مكة المكرمة والمدينة المنورة وأهالي الطائف باسم المملكة العربية السعودية، حينها كان عبدالله بن إبراهيم الجفالي اسماً بارزاً وعلماً من أعلام تجار مكة المكرمة وأعيانها الذين منحهم الملك المؤسس ثقته في تشكيل أول مجلس للشورى في تاريخ المملكة العربية السعودية "مملكة الحجاز ونجد آنذاك" وشمل اختيار الملك المؤسس كلاً من "صالح شطا وأحمد سبحي وعبدالله الزواوي ومحمد يحيى عقيل وعبدالوهاب عطار بالإضافة إلى كل من عبدالله الجفالي وعبدالعزيز بن زيد " كممثلين لأهالي نجد، كما يضيف البعض أسماء أخرى قد تزيد وقد تنقص كعبدالله الفضل النائب الأول لرئيس مجلس الشورى، إلا أن كثيرا من الأسماء المتبقية إنما جاءت تباعاً بانتخاب الأهالي آنذاك حيث خولهم الملك عبدالعزيز ــ طيب الله ثراه ــ حرية النقاش فيما يرون فيه صالح البلاد والعباد ليرفعوه له شخصياً كي تتم عليه الموافقة النهائية، وذلك بعد أن ترأس المجلس الأمير فيصل "الملك" الذي كان حينها نائباً للملك في الحجاز.

استثمار آمن

قرب الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه- كافة النخب من الساسة والعلماء والمفكرين والتجار وأعيان البلدان والأقاليم والقبائل ومنح كافة الصلاحيات للنخب المتعلمة في إدارة ملفات التعليم والخدمات وسهل – بفضل من الله – للتجار والمستثمرين فرص العمل في مناخ آمن وواضح وسط رقابة صارمة تحقق العدالة وتمنع الاحتكار، وهو ما ساهم وبصورة كبيرة في نمو فرص النجاح للمستثمرين الذين كان من بينهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم الجفالي الذي ساهم عبر شركاته المتعددة في تعبيد أول طريق يربط بين مكة المكرمة ومدينة جدة، كما أسس أول شركة كهرباء في المملكة وكان ذلك في مدينة الطائف عام (١٩٤٧م) إلى أن توسعت فشملت كلا من مكة المكرمة، وحتى بعد وفاة مؤسسها الشيخ عبدالله الجفالي استمرت في تأسيس شركات كهرباء في كل من المدينة المنورة وجدة والإحساء، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين أرجع بداية ظهور الكهرباء إلى مدينة الطائف إلا أن البداية الأولى كانت في مكة المكرمة حيث دخلت المولدات الكهربائية إلى بلادنا بعد (أربعين) عاماً من إنشاء أول محطة توليد للطاقة الكهربائية في العالم، حيث أنشأ المخترع الأميركي الشهير توماس أديسون أول محطة صغيرة لتوليد الطاقة الكهربائية في "نيويورك" عام (١٢٩٩)، لتنتشر بعدها المولدات في أصقاع المعمورة شرقاً وغرباً.

تاريخ الكهرباء

كانت إضاءة الشوارع في كافة مدن وقرى المملكة مقصورة على القناديل و"المسارج" التي تُشعل بوقود "القاز"، كما انتشر في مكة المكرمة وبعض مدن الحجاز ما يسمى "القمرية"، كما عرفت بعدها "الأتاريك" التي كان لها مع شوارع مكة المكرمة حكاية لطالما تاق واشتاق لذكرياتها كبار السن في أزقة حي "أجياد" و"الشبيكة"، و"سوق الليل"، وكان ضوء "الأتاريك" أبيض يضاهي ضوء الكهرباء، ووفق ما أوضحه "محمد أستموني" أن "الأتاريك" دخلت إلى مكة عام -١٣٣٥هـ- حيث أضيء المسجد الحرام بها، ودخلت أول ماكينة كهرباء لإنارة المسعى عام ١٣٣٨هـ-، كما تم شراء ماكينة أكبر عام -١٣٤٠هـ- لإتمام إضاءة المطاف وبعض نواحي الحرم الشريف وكان ذلك بأمر من "الشريف حسين" -رحمه الله-، وكانت هذه "الأتاريك" صينية الصناعة، أما دخول الكهرباء فقد جاء بالتدرج بدءاً بالمولدات التي وضعت على جنبات الحرم الشريف، وقد ذكر كل من "الغازي" و"حسين باسلامة" أن بدايات الإضاءة الحديثة كانت حين أمر الشريف حسين -رحمه الله- بإضاءة الحرم الشريف بالقناديل، وكذلك "الأتاريك" سنة (١٣٣٥هـ)، ثم أدخل عام (١٣٣٨هـ) مولداً كهربائياً قوته (ثلاث كيلو وات)، وضع في "مدرسة أم هاني" أمام دار الحكومة "الحميدية" بعدد من اللمبات يقدر بـ(١٠٥)، وبقوة (خمس وعشرين شمعة) وبعضها بقوة (خمسين) إلى سنة ١٣٤٠هـ حيث أمر بماكينة أخرى قوتها (ست كيلو وات ونصف) وبـ"ماطور" بقوة (١٣) حصانا وضعها في أجياد، وإن كان دخول الكهرباء إلى بلادنا قد سبق هذا التاريخ كما يقول الشيخ "حسين باسلامة" في كتابه "تاريخ المسجد الحرام"، حيث ذكر أن الدولة العثمانية قد أضاءت المسجد النبوي بالمدينة المنورة بالكهرباء عام (١٣٢٨هـ) أي قبل المسجد الحرام بعشر سنوات، وربما كان للسياسة التي اتبعها العثمانيون من خلال القطار العثماني دور في هذه الأولوية.

وكان أحد تجار الهنود واسمه "داود أتبا" من أهل "رانكون" قد تبرّع للحرم المكي بماكينة كبيرة ذات (ثلاثين كيلو وات) عام (١٣٤٦هـ) إلى أن أمر الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- بشراء ماكينة أخرى عام (١٣٤٩هـ)، كما أمر بـ"ستة شمعدانات" على جدار حجر إسماعيل من النحاس الأصفر، ولا زالت فكرتها باقية إلى يومنا هذا، كما هي فكرة الرخام الذي بُني به حجر إسماعيل -عليه السلام- منذ عهد الخليفة العباسي المهدي وابنه الرشيد، إلى أن جاء عام (١٣٥٣هـ)، حيث أهدى المسجد الحرام الحاج "سر محمد مزمل الله خان" ماكينة كهرباء عظيمة بكامل آلاتها وأدواتها.

كهرباء مكة

بدأت المرحلة الثانية من مراحل تطور إنتاج الطاقة الكهربائية في بلادنا مع إصدار الدولة نظام منح امتياز صناعة توليد الطاقة الكهربائية عام ١٣٥٢هـ الذي شجع المستثمرين ورجال الأعمال على التقدم بمشروعات أكثر تنظيماً لصناعة توليد الطاقة الكهربائية، وقد حصل كل من "محمد عبدالله رضا" و"إبراهيم شاكر" على امتياز مشروع إنارة مدينة جدة، وأسسوا شركة مساهمة باسم "شركة كهرباء جدة" عام (١٣٥٤هـ)، كما حصل "إبراهيم الجفالي وإخوانه" على امتياز مشروع إنارة مدينة الطائف وضواحيها، وقيل انه حصل أيضاً على امتياز مشروع مكة المكرمة، وتمكن حينها من تأسيس "شركة كهرباء الطائف" عام (١٣٦٨هـ)، في حين حصل "عبدالعزيز الخريجي" على موافقة مجلس الشورى على تسجيل شركة مساهمة باسم "الشركة السعودية لتوليد الكهرباء بالمدينة المنورة" عام (١٣٦٦هـ)، وفي المنطقة الشرقية تولت "شركة أرامكو" تغطية كافة مرافقها ومجمعاتها الإدارية والسكنية في "الظهران" و"رأس تنورة" بالطاقة الكهربائية، وفي الثمانينات الهجرية قدّمت الدولة دعماً كبيراً لقطاع الكهرباء ومنحت القروض والتسهيلات والإعانات لدعم هذه الطاقة كما أصدرت نظام حماية الصناعات المحلية وتشجيعها عام (١٣٨١هـ) والذي منح القطاع الخاص حوافز وتسهيلات كبيرة.

ولا شك أن شركة الكهرباء التي أسسها أبناء الجفالي كانت إحدى أهم وأكبر الشركات المعنية بالطاقة الكهربائية وهي تمثل لدى (آل الجفالي) نقطة تحول في نشاطهم التجاري والاستثماري حتى أن "عبدالمنعم الغلامي" ذكر في كتابه "الملك الراشد": "ان أول شركة عربية ساهم فيها أبناء المملكة وحدهم برأس مال قدره مليون جنيه هي (شركة الكهرباء السعودية) التي بدأت باكورة أعمالها بإضاءة مدينة الطائف بأول تيار كهربائي، وقد رفع نجاحها الباهر من مركزها في محيط الاقتصاد السعودي وارتفعت أسهمها خلال أربع سنوات من تأسيسها إلى ثلاثة أمثال قيمتها الأصلية"، سخّرت بعدها الشركة الأيدي العاملة والعقول الجبارة والكفاءات الفنية الممتازة إلى العمل في مشروع إنارة مكة المكرمة والحرم المقدس بالكهرباء التي وصفها "الغلامي" قائلاً: "كان مشروع إضاءة الكعبة المشرفة والحرم الشريف بأنوار (الفلورست) قد بلغ أقصى ذروة من الروعة والإبداع، وجرى على أحدث ما ابتكره العلم الحديث فشملت هذه الإضاءة الأعمدة المقامة حول ساحة الكعبة ومداخل أبوابها الأربعة والعشرين والساحة المباركة التي جُعل فيها ثمانية وعشرون مصباحاً كشافاً على أعمدة من الخرسانة والمآذن السبعة تشع منها الأضواء ذات اللون الأزرق، وقد بلغ عدد أجهزة الإضاءة لإنارة البواكي من الداخل (٢٢٥) جهازاً محلياً، كل جهاز منها بحُلية معدنية حوت أنابيب زجاجية تبدو فيها حروف لفظ الجلالة (الله)، ثم أنشأت "شركة الكهرباء السعودية" محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في مكة المكرمة وأطلقت عليها محطة (أم القرى) بقوة توليد تقدر بـ(خمسة آلاف كيلو وات)"، وذكر "الغلامي" أنه جرى بعد ذلك بفترة وجيزة إنشاء مولد آخر يزيد من قوة التيار إلى (عشرة آلاف كيلووات) وقد حرص أبناء عبدالله الجفالي ممثلين بشركة إبراهيم الجفالي وإخوانه على التوسع في مجال الطاقة الكهربائية ليشمل إنشاء وتأسيس عدة شركات واستلام عدد من المشاريع في كثير من مدن وقرى المملكة.

عضو شورى

بدأت عضوية الشيخ عبدالله الجفالي في مجلس الشورى من عام ١٣٤٦هـ إلى عام ١٣٥٤هـ حيث وفاته رحمه الله، وفي عامي ١٣٥٠هـ و ١٣٥١هـ بعثه الملك عبدالعزيز مع هيئة تحقيق، للنظر في أوضاع المواطنين في بلاد غامد وزهران وبناءً على تقرير الهيئة المشتمل على توصياتها المرفوعة للملك عبدالعزيز، أمر – يرحمه الله – بفصل المنطقة إدارياً عن منطقة الطائف، وتأسيس إمارة خاصة بها مقرها مدينة الباحة كما ذكر ذلك الدكتور عبدالرحمن الزهراني في كتابه (من رجال الشورى في المملكة العربية السعودية) ولم تقف مع هذه المهمة أعمال ومهمات الشيخ عبدالله حيث كان –رحمه الله- قريباً من الملك فيصل الذي كان حينها نائباً لوالده في منطقة الحجاز، هذا مع الأعمال والمهام التي يكلف بها من موقع عمله بمجلس الشورى.

توسع استثماري

حرص الشيخ عبدالله الجفالي حين كان في مكة المكرمة على تعليم أبنائه إبراهيم وعلي وأحمد وسليمان -الذي توفي في حياة والده- وابنته الوحيدة نورة فعلى الرغم أنه حين صغره قد تعلم القراءة والكتابة في كتاتيب مدينة عنيزة إلا انه حرص ألا يفوّت على أبنائه فرصة التعليم التي فاته جزء منها حين كان شاباً يبحث عن مستقبل أبنائه، ما دفعه إلى إلحاقهم بمدارس الفلاح التي أسسها الحاج محمد علي زينل، كما انتقل هو وأبناؤه إلى شعب عامر القريب من مركز تجارته في الجودرية حيث اشترى منزلاً واسعاً عام ١٣٣٨هـ وقد امتدت شركاته لتشمل المضاربة بالأراضي العقارية وشركات الأسمنت كشركة إسمنت الإحساء وإسمنت المنطقة الشرقية كما تعهد هو ومن بعده أبناؤه باستلام عدد من الوكالات التي كان من أهمها وكالة مرسيدس الألمانية وتأسيس شبكة الهاتف السعودي الآلي، وقد كان الأبناء قد حفظوا تجارة والدهم بعد وفاته واستمروا على نهجه في التوسع بالأعمال الاستثمارية، لاسيما وأن المملكة حينذاك كانت تعيش مرحلة التأسيس والبناء للمؤسسات الحكومية والوكالات التجارية الخاصة حيث اتفق الأبناء على تسمية الشركة بشركة إبراهيم الجفالي وإخوانه التي بدأت نشاطها في مكة المكرمة ومن ثم الطائف ثم توسعت في مكاتبها وفروعها في كافة مدن ومحافظات المملكة واليوم أنشأت شركة إبراهيم الجفالي وإخوانه عدداً من المصانع لتصنيع المنتجات التي كانت تستوردها فيما مضى، كالشركة الوطنية لصناعة السيارات، وإنتاج الشاحنات بالتعاون مع شركة "مرسيدس-"بنز" الألمانية"، والشركة السعودية لصناعة المباني الحديدية بالتعاون مع شركة "بتلر الأمريكية"، والشركة السعودية لصناعة الثلاجات، والشركة السعودية لصناعة المكيفات، والشركة العربية الكيماوية لإنتاج المواد العازلة واللاصقة، والشركة السعودية لصناعة الـ"تراكتورات"، كما أن لها عدة شراكات مع عدد من الشركات العالمية لعل من أبرزها "مرسيدس-بينز" و"سيمنس وآي بي إم" و"ميشلان".

وكان لمكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة عنيزة والأحساء حظوة عند آل جفالي، الأولى والثانية لمكانتهما المقدسة ثم لكون مكة المكرمة مستقر العائلة وتمثل باكورة أعمال والدهم التي منها انطلق إلى عالم التجارة والاستثمار، أما مدينة عنيزة فلأنها مدينة والدهم ووفقاً لما ذكره الدكتور عبدالرحمن الشبيلي فإن والدة أبناء الشيخ عبدالله الجفالي كانت من الإحساء وكان ابنه إبراهيم بن عبدالله الجفالي قد توفي عام ١٩٨٣م بمدينة الرياض قد ترك ابنة وحيدة هي "فوزية" التي استلمت أعمال والدها الخيرية في مكة المكرمة في حين كان شقيقه علي بن عبدالله الجفالي عضواً في مجلس الشورى في دورته الأولى من عام (١٩٩٤-١٩٩٨م) ليعيد ذات الدور الذي تقلده والده قبل هذا التاريخ بسبعين عاماً، وهو الذي عرف بأعماله الخيرية كجمعية الخدمات الإنسانية ومركز غسيل الكلى بعنيزة وقد توفي -رحمه الله- في السابع عشر من شهر شوال عام ١٤٣٦هـ تاركاً أربعة أبناء هم حاتم وأمين وسامي وأيمن وبنتاً واحدة هي منى، في حين كانت وفاة أحمد بن عبدالله الجفالي عام ١٩٩٤م في مدينة جدة بعد أن أسس عدداً من المراكز والمؤسسات الخيرية كمركز "العون" لذوي الظروف الخاصة بجدة ومركز غسيل الكلى بمستشفى الملك سعود بعنيزة وكان لأحمد ثلاثة أبناء هم وليد وخالد وطارق وبنت واحدة هي مها.

وفاته

توفي الشيخ عبدالله بن إبراهيم الجفالي في أواخر شهر رمضان الكريم من عام ١٣٥٤هـ الموافق ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥هـ، وذلك في حادث سيارة حيث يذكر الشيخ سعد بن عبدالعزيز الرويشد أن الجفالي كان في طريقة من مكة المكرمة إلى مدينة جدة متوجهاً لاستقبال الملك فيصل الذي كان حينها نائباً لوالده في الحجاز، حيث وقع له حادث مروري بعشيرة شمالي مدينة الطائف توفي على إثره ليستقبل أبناؤه برقيات الملك عبدالعزيز معزياً في وفاة واحد من رجال الدولة وكبار رجال الأعمال، كما استقبل أبناؤه الملك فيصل معزياً في رفيق دربه في مجلس الشورى لتنقل صحيفة أم القرى الخبر المحزن في عددها (٥٧٧) في ١٩٥٣/١٢/٢٥ م ولم يبلغ حينها الستين، حيث كان في أواخر العقد السادس من عمره رحمه الله رحمة واسعة.



ولد عبدالله الجفالي -رحمه الله- في عنيزة أواخر القرن الثالث عشر الهجري



نزل الجفالي مكة وسكن حي الجودرية في بداية حياته العملية

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عمل سائق أجرة في نيويورك مطلع القرن الماضي وتنقل بين الشام ومصر طلباً للتجارة

عبدالله الخليفة.. تاجر الغربة!

■ لم تكن رحلة القاضي العباسي ابن فضلان من الغربة والعجب بما كانت عليه رحلة بعض العرب المتأخرين، ولا شك أن رحلة هذا القاضي العباسي ظلت في بحر المجاهيل، حتى وهو يقف على رجل من أبناء جلدته «الخياط البغدادي» الذي كان يعيش في أصقاع الجليد في جزيرة أيسلندا، والذي فرح الغربيون بالمخطوط الذي يتحدث عن هذه الرحلة التي كلف بها الخليفة المقتدر العباس القاضي ابن فضلان قرابة عام ٣٠٠هـ ليعود بعد سنوات بتجربة نقلت للغربيين كيف كان حال شمال أوروبا آنذاك، حيث قلة وندرة المراجع التي تتحدث عن تلك الحقبة وهذا الجزء من الأرض حيث تم اخراج الفيلم السينمائي «المحارب الثالث عشر» ليتحدث عن رحلة ابن فضلان لأقصى شمال أوروبا حيث قبائل الفايكنق.

وعلى الرغم مما قاله الرحالة والأمير العربي أسامة بن منقذ -عن الشعوب الغربية- أنها ترق أخلاقهم وتحسن طباعهم باستيطانهم الشرق ومعاشرة المسلمين، وقوله ان من هو قريب العهد ببلاد الإفرنجة أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين، وعلى الرغم من طول المسافات وصعوبة المغامرات التي يتكبدها المسافر إلى الجزر المنسية والخوض في جزر الهند الشرقية أو المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات كما يسميه العرب والمسلمون الأوائل الذين تتواتر الروايات بنزولهم إلى الأراضي الشرقية من أميركا الشمالية عبر رحلات عديدة تتبعها الرحالة المسلمون ودونوها في كتبهم ورحلاتهم التي مازال الكثير منها مخطوطاً في مكاتب أوروبا، لاسيما ما يعرف لدى المؤرخين بقصة «الفتية المغررين»، الذين قطعوا بحر الظلمات من سواحل «لشبونه» وجزر الخالدات «جزر الكناري» قرابة القرن الرابع الهجري في رحلة طويلة رصد تفاصيلها «أنستاس ماري الكرميلي» في مقال له بمجلة المقتطف العدد الثاني بعنوان «عرف العرب أمريكه قبل أن يعرفها أبناء الغرب»، نقلاً عما دونه الرحالة العربي المسلم الأدريسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، كما أشار إلى هذه الرحلة الأديب شكيب أرسلان في كتابه «الحلل السندسية»، وتتبع أخبارها كل من الأستاذ عبدالحميد العبادي والدكتور زكي محمد حسن في كتابه «الرحالة المسلمون في العصور الوسطى»، والذي تحدث أيضا عن رحلة الأمير محمد بن قو سلطان «مالي» بوسط أفريقيا وذلك قبل عام ٧٢٤هـ والتي رواها ابن عمه السلطان منسا موسى أبي بكر لحاكم مصر السلطان قلاوون ونقل خبرها المؤرخ ابن خلدون بينما نقل القلقشندي القصة كاملة في كتابه «صبح الأعشى».

ولأن الحديث عن نزول العرب إلى أميركا حديث جدلي طويل ربما يسوقنا إلى الاستشهاد برحلات أخرى كثيرة ليس هذا مقام الحديث عنها إلا أن القول بوجود الهنود الحمر كان دليلاً على نزول بني البشر بهذه الجزر البعيدة منذ آلاف السنين، وفي القرن الهجري المنصرم ورد اسم العقيلي -أحد تجار العقيلات- عبدالله الخليفة في رحله الرحالة الانكليزي الكابتن (وليم شكسبير)، حيث ذكر في رحلته أنه وصل إلى بريدة في ٢٨ مارس ١٩١٤ م وأنه قابل فيها عبدالله الخليفة، وذكر شكسبير أن ابن خليفة يتكلم الانكليزية بلهجة أميركية؛ لأنه كان قد عاش في مدينه نيويورك لمده ست سنوات وعمل سائق أجرة فيها قبل رجوعه إلى بريدة، وهو ما لم يوافقه فيه عميد الرحالين الشيخ محمد العبودي، إلا أن جميع الباحثين المعاصرين يتفقون على صدقية رحلة الشيخ عبدالله الخليفة التي استمرت قرابة ست سنوات وكانت في مطلع العقد الثالث من القرن الهجري المنصرم.

بدأ في تجارة الخيول والملابس الجاهزة والأقمشة وكان ثالث تجار العقيلات الذين نزلوا أمريكا



بدأ عبدالله الخليفة تجارته من مصر في الخيول العربية



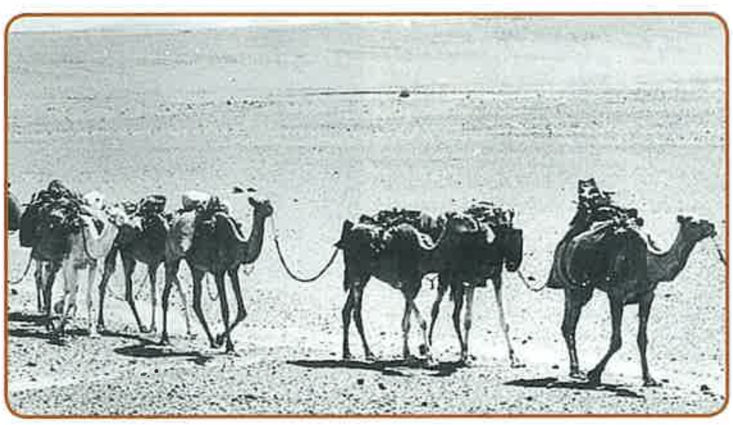
انتقل من الإسكندرية إلى نيويورك ليبدأ تجارة الملابس

تاجر خيول

ولد عبدالله بن خليفة بن سعيدان الخليفة في مدينة بريدة عام ١٢٩٠هـ، وكان والده من رجال العقيلات الذين يتاجرون بالمواشي في بلاد الشام، وقد لحق الابن بوالده وأصبح يعمل معه وهو حين ذاك في أواخر العقد الثاني من عمره، أي أنه لم يبلغ العشرين عاماً، وبعد وفاة والده ظل عبدالله في تجارته يتنقل بين مدن وأقاليم الشام، كما ارتحل إلى مصر مع صديق له هو حمود المطلق، الذي كان يمتلك اصطبلا للخيول فعمل عبدالله معه في تجارة الخيل العربية، وتعلم من خلال عمله هذا على أنواع الخيول وصفاتها وبلدانها، وبحلول عام ١٣٢٧هـ يعيش الشيخ عبدالله الخليفة النقلة الفارقة في حياته ومسيرته الشخصية حيث نزل بمصر بعض التجار الأميركان راغبين بشراء عدد من الخيول العربية وكان بصحبتهم مترجم لبناني، وبعد شراء الأميركان لعدد من الجياد العربية الأصيلة -لعل معظمها من عند ذلك التاجر الذي يعمل معه الشيخ عبدالله الخليفة- حرص هؤلاء الأميركان على أن يستفيدوا من مهارة ودراية الشيخ عبدالله بهذا النوع من الجياد، ولذا فقد عرضوا عليه فكرة مرافقتهم لإيصال هذه الخيول إلى الاسكندرية ومن ثم إلى برشلونة وبعد موافقة عبدالله الخليفة على العرض أبحرت الباخرة بالجميع إلى سواحل الاسكندرية ومن ثم إلى برشلونة وهناك ووفقا لما ذكره الأستاذ إبراهيم بن سليمان الوشمي فقد حرص الأميركان على تجديد الصفقة مع عبدالله الخليفة لما رأوا من أمانته وإخلاصه في عمله، فاتفقوا معه مرة أخرى على مبلغ جديد كي يسير معهم إلى حيث السواحل الأميركية الشرقية ومن ثم إلى مدينة نيويورك وهناك شكره التجار الأميركان وسلموه المبلغ الذي اتفقوا معه وحجزوا له -حسب طلبه- للعودة بعد بضعة أيام إلى الاسكندرية.

الاستثمار في أمريكا

وصل عبدالله الخليفة لأميركا وكان غريباً لا يعرفه سوى التجار الأميركان الذين أوصل بضاعتهم، وفي الأيام القلائل التي قضاها عبدالله في "نيويورك" بانتظار موعد رحلة العودة إلى بلاد العرب حيث السفر إلى مدينة الاسكندرية، تفاجأ ذات يوم برجلين عربيين سمعهما يتحدثان باللسان العربي الذي افتقد سماعه منذ فترة طويلة، وكم ادخل هذا الحديث السرور إلى قلب هذا الشاب المغترب حيث اعتاد ألا يسمع إلا اللغة الانجليزية التي لم يتسنَ لعبدالله الخليفة معرفتها لقصر إقامته في بلاد الغرب، اقترب عبدالله الخليفة من هذين الرجلين وعرف أنهما من نصارى لبنان وكم كانت المشاعر العربية حينذاك متقاربة ومتآلفة بحكم التضامن العربي والمصير المشترك والدعوات الشعبية والثقافية والرسمية في البلدان العربية وبلاد المهجر بضرورة إحياء وبعث الوحدة العربية، وهو شعور كثيراً ما تعايش معه الغرباء العرب الذين يلتقون في بلاد الشرق والغرب.



كان والده من رجال العقيلات الذين تاجروا في بلاد الشام

شراكة الغربة

تعرف عبدالله الخليفة على الرجلين اللبنانيين وبعد أن دعياه لوجبة الغداء، أشارا عليه أن يستغل وجوده في هذه البلاد ويبدأ العمل بالتجارة حيث إنها فرصة ما دام أنه قطع كل هذه المسافة في سبيل التكسب والاستثمار، ويبدو أن هذا المقترح وجد قبولا لدى هذا الشاب العربي المغترب في أصقاع العالم الغربي حيث عرض عليه مضيفاه استغلال تواجده في أميركا لبيع بضاعة بعض التجار العرب والتكسب من خلالها بنسبة السعي، كما عرض عليه أحدهما في البداية أن يعمل معه في بيع الملابس الجاهزة، فوافق عبدالله واستمرا في تجارتهما.

يقول عبدالله الخليفة وهو يروي قصته: عندما ذكرت لهما أن أجرتي من الجنيهات الذهبية معي، استغربوا ذلك وقالوا: ربما يسرق منك، فأعطيتها أحدهما ليحفظها لي أمانة عنده، وقد فعل، ولكنه قال: إن الأفضل أن تبيع بها وتشتري، ولما كنت لا أعرف البيع والشراء في أميركا اشترى لي أحدهم بضاعة من الملابس وهو صاحب محل كبير لبيع الملابس الجاهزة، وأعطاني معها أيضا من عنده أبيعها بالسعر.

وفاء متبادل

لاشك أن عبدالله بن خليفة كان صاحب مهارة وخبرة بأساليب البيع والشراء، وكان أميناً صادقاً مخلصاً وجاداً في عمله، كما كان زميلاه اللبنانيان أوفياء معه، ولذا فقد استمر ابن خليفة في تجارته، وحرص صديقه اللبناني على بقائه معه، بل كان يترك له الدكان ليبيع بدلاً عنه، وذات مرة طلب زميله اللبناني الآخر منه أن يشاركه ويساعده في تجارته، وفعلاً تم ذلك بموافقة الزملاء الثلاثة، ووفقاً لما روى عميد الرحالين محمد العبودي الذي نقل قصة هذه الرحلة من لسان صاحبه فقد بدأ الاثنان ببيع "السقط" كما يسميها أهل نجد وهي العقاقير العشبية وحصلا من خلالها على مبالغ طيبة واستمرا في هذه التجارة، وقيل ان ابن خليفة توسع بمحل خاص يبيع فيه هذه العقاقير وبعد مرور ستة سنوات على بقائه في أميركا عاد عبدالله الخلفية إلى بلاده عام ١٣٣٣هـ حيث كانت نجد تشهد تفاصيل معركة جراب والعالم حينها يعيش مقدمات الحرب العالمية الأولى، وقد كان طريق عودة عبدالله الخليفة من ناحية الشرق حيث طريق الهند ثم البحرين إلى أن وصل إلى نجد وقد حمل معه جملة من البضائع التي اشتراها من جزر الهند كالأقمشة التي أصبح يملك خبرة في أنواعها وكيفية تطريزها وتفصيلها، جراء عمله مع صديقه اللبناني في "نيويورك" كما اشترى كمية من العطور الشرقية.

العودة والاستقرار

يذكر عميد الرحالين محمد العبودي أن عبدالله الخلفية رأى ذات مرة حين كان في أميركا والدته في المنام وهي تطلب عودته كي تراه قبل أن تفارق الحياة وهو ما دعاه على وجه السرعة أن يبدأ الرحلة من أميركا إلى نجد وبالتحديد مدينة بريدة حيث والدته وجماعته، وذلك بعد أن قضى ستة سنوات في أميركا، وقيل بل أنه عاد برغبته الشخصية حيث حقق ما كان يصبو إليه في التجارة ليستثمر ما يملكه هناك بين أهله وذويه، ويضيف العبودي أن العامة من أهالي بريدة كانوا يحيكون القصص والخرافات حول ما جرى لابن خليفة في بلاد الغربة في أميركا معلقا على هذه القصص بأنها أساطير وتهاويل جرت على ألسنة البعض، وربما كان أن اخترعوها كانوا قد سمعوا بقصيدة لابن خليفة هي وحيدة قالها -بالعامية طبعا- لشدة تأثره بالغربة وعدم وجود مسلمين ظاهرين في "نيويورك" في تلك العصور ولم يحفظ منها الرحالة العبودي إلا عجز بيت الذي قال فيه الخليفة: في ديرة فيها الكنايس ترن.

تجارة العقيلات

وبالحديث عن تجارة العقيلات وأول من نزل إلى أميركا الشمالية حيث الولايات المتحدة الأميركية يقدم لنا الباحث والمؤرخ الأستاذ خالد بن سليمان الخويطر تأصيل وسرداً تاريخياً لأولئك الأوائل الذين هاجروا من العقيلات إلى حيث الولايات المتحدة الأميركية حيث تظل البدايات مجهولة ولا يسلم بها حتى الآن، إذ ربما ترد للباحثين معلومات ومصادر جديدة تقف على معلومات كانت مغيبة، إلا أنه وفقاً للمعلومات المتوفرة حالياً فإن البداية كانت مع محمد الرواف الذي رحل إلى أميركا عام ١٨٩٣م - ١٣١٠هـ حين اختير ضمن طاقم فريق مرسل من الدولة العثمانية للإشراف على جناح يخص الجياد والإبل العربية في معرض واحتفال عالمي أقيم بمدينة شيكاغو بمناسبة مرور أربعة قرون على "رحلة كريستوفر كولومبس" وقد التقى الرواف بالمستشرق البريطاني وليم شكسبير الذي نقل لنا جزء من قصة الرواف إلى أميركا، في حين كان الرحالة الثاني هو علي العساف من أهالي عيون الجواء حيث ارتحل إلى أميركا عام ١٣١٥هـ ومكث هناك ما يقارب ما بين (١٤) إلى (١٧) سنة وتوفي بعد عودته عام ١٣٤١هـ وهو الذي عرف بدعمه وحرصة على تشجيع الطلاب لطلب العلم، في حين كان عبدالله الخليفة -موضوع البحث- هو ثالث عقيلي ينزل بالولايات المتحدة الأميركية، تلاه جار الله العساف من الشماسية الذي ارتحل إلى أميركا قرابة عام ١٣٢٢هـ وعاش (٦٥) سنة في الغربة حيث سجن هناك قرابة خمسة عشر عاماً بسبب مضاربة حصلت في إحدى المطاعم بين عدد من الأشخاص الذين كان من بينهم بعض العرب.

وعلى الرغم من أن جار الله لم يتدخل في بادئ الأمر إلا أنه وجد نفسه مداناً بما حدث حيث توفي رجلان جراء هذه المضاربة الجماعية، وبعد خمسة عشر عاماً في السجن وغربة تقدر بخمسة وستين عاماً ومع بداية الحرب العالمية الثانية خشي بعض المهاجرين والمغتربين أن تؤول نتائج هذه الحرب على سلامتهم الشخصية فغادر الكثيرون منهم إلى بلادهم وكان من بينهم جار الله العساف الذي كان حيث تواجده في أميركا يقرض المزارعين والتجار والفلاحين ويضارب في صفوف التجارة والاستثمار، وقد عاد إلى نجد وعمره ثمانون عاماً وتوفي بعد وصوله بمدة قليلة بعد أن عانى جراء عودته من جزر الهند الشرقية من طول الطريق، ووفقاً للجهود التي بذلها الأستاذ خالد الخويطر في توثيق أوائل الرحالة الذين نزلوا أميركا من تجار العقيلات كان خليل الرواف خامس عقيلي من أهالي نجد يسافر إلى أميركا.

وفاته

عُرف عبدالله الخليفة بالصلاح والتقوى، وكان محافظاً على فروضه وواجبات الدينية، كما عرف بالأمانة والصدق والكرم والرغبة الجامحة في خدمة الفقراء والمعوزين، حتى لقبه أهل بريدة بأبي المساكين، وابن خليفة يقول عنه الرحالة العبودي: "كان رغم قوة شخصيته ومعرفته باللغة الانكليزية متواضعا للفقراء والمساكين والمحتاجين، فكان يشب النار كل يوم بعد صلاة الظهر يصنع القهوة لمن يأتيه وأحياناً يحضر معها التمر في وقت كان لا يفعل ذلك إلا ثري سخي؛ ويفتح بابه يدخل إليه من شاء طيلة دهره فيشرب فيه القهوة أو يتدفأ بالنار في الشتاء ، وفي عودته إلى مدينة بريدة نزل عبدالله الخليفة بمنزل والدته وافتتح دكاناً يتاجر من خلاله ويبيع سلعه التي جلبها معه وبعد استقراره بمدة تزوج وخلف -رحمه الله- ثلاثة ذكور هم كما يذكر الأستاذ إبراهيم الوشمي- أحمد وخليفة وعلي ومن البنات نورة وهيلة ومنيرة.

وفي عام ١٣٧٢هـ توفي الشيخ عبدالله الخليفة -رحمه الله- بمدينة الرياض، وكان قد نزل بها قبيل وفاته لطلب العلاج، بيد أن المنية أدركته هناك، حيث توفي ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة.



تميز عبدالله الخليفة عن غيره بإتقانه أساليب البيع والشراء بمهارة



عاد من نيويورك ليستثمر ما يملكه بين أهله وذويه



عُرف في بريدة بالصدق والكرم والرغبة في مساعدة الفقراء

عاصر حقبة تاريخية مهمة وحفظ للأجيال جزءاً من تاريخ الجزيرة العربية وأحداثها

إبراهيم القاضي.. مؤرخ القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ برز اسم الشيخ إبراهيم بن محمد القاضي كأحد المؤرخين الذين أدركوا القرن الثالث والرابع عشر الهجري، وقد ترك كراسة في التاريخ اطلع عليها المؤرخ قبل الذكير واستشهد ببعض ما ورد فيها، كما اطلع عليها الشيخ حمد الجاسر عن طريق صديقة المؤرخ محمد بن عثمان القاضي وكانت بخط عبدالعزيز بن محمد بن حمد القاضي صاحب (القصيدة العنيزية) وهي قصيدة تستعرض بعض الحوادث التي مرت بها مدينة عنيزة وتبرز اهتمام صاحبها بقراءة أحداث التاريخ وكم كانت هذه النسخة التي تناقلها مؤرخو آل القاضي ثمينة؛ حيث بقيت إلى حين انتشار المطابع ودور النشر لا سيما وقد انتهت بوفاة صاحبها المؤرخ إبراهيم القاضي وينقل العلامة حمد الجاسر الجملة الأخيرة من هذا الكراس الثمين حيث ورد فيه "انتهى بوفاه صاحبه -رحمه الله تعالى- سنة (١٣٤٦هـ) ثم يعلق على الخط الذي كتبت فيه الجملة الأخيرة من الكراسة بأنه مغاير للخط الذي كتبت به الكراسة، ولا شك أن هذه الجملة إنما جات متأخرة بعد وفاه المؤرخ إبراهيم وربما أنها كتبت بيد أحد أبنائه أو طلابه المهتمين بتدوين انتاجيته العلمية، مع العلم أنه بدأ كتابة تاريخه من عام ١٢٩٠ وأعرض عن نقل الأخبار التي تسبق هذا التاريخ لأنه رأى أنه سيلجأ للنقل ممن هم قبلة وبهذا لن يضيف معلومات جديدة، وهو ما دعاه إلى أن يؤرخ للسنوات التي عاصرها كي ينقل أحداثها لمن يأتي بعده كونه معاصراً وربما شاهداً على أحداثها، كما أنه مع حرصه على نقل الأشعار والقصائد كان يحرص -رحمه الله- على نقل أخبار البادية ويتتبع أحوالها وسرد ما جدّ من تحركاتها وأدابها ومغازيها.

دوّن أحداث عصره شعراً وكتابةً وحرص على نقل أخبار البادية وتتبع أحوالها

توافق علمي

من يقرأ عن اهتمام المؤرخ ابراهيم بن محمد القاضي بالشعر العامي وبتراجم كبار الشعراء فإنه يرى حرصه على سرد ترجمة عدد من شعراء عصره ومن سبقه ، ذلك أن كثيرا من المؤرخين فات عليهم أن الشاعر النجدي المشهور محمد بن عبدالله القاضي إنما هو والد المؤرخ إبراهيم القاضي وبذلك يكون اسم مؤرخنا الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن آل قاضي الأسرة الوهبية التميمية..

ولعل هذا التزاوج بين الشعر والتاريخ يذكرنا أيضاً بأبناء « آل لعبون» حيث المؤرخ الكبير حمد بن لعبون هو والد الشاعر ذائع الصيت محمد بن حمد بن لعبون ، وفي أسرة آل لعبون كان الأب هو المؤرخ في حين كان الابن هو الشاعر المعروف وعلى النقيض من ذلك كانت أسرة آل قاضي حيث الأب هو الشاعر والابن هو المؤرخ ، لكن ثمة ملمح آخر مهم لمن يُعنى بالمنهج التاريخي والأدبي وهو أن الابنين في كلتا الأسرتين نهلا من معين أبويهما، فالشاعر محمد بن لعبون عرفت قصائده بعمقها وشواهدها التاريخية، كما عُرف بمحاكاته ومجاراته لبعض القصائد العربية الفصحى كما في قصيدته :

سقى صوب الحيا مزن تهاما
على قبرن بتلعات الحجازي

التي أخذها من قصيدة ابن معصوم المدني في قوله :

سقى صوب الحيا أرض الحجازي
وجاد مراتع الغيد الجوازي
ليالي مشربي في الحب صفو
وثوب اللهو منقوش الطراز

في حين قال ابن لعبون :

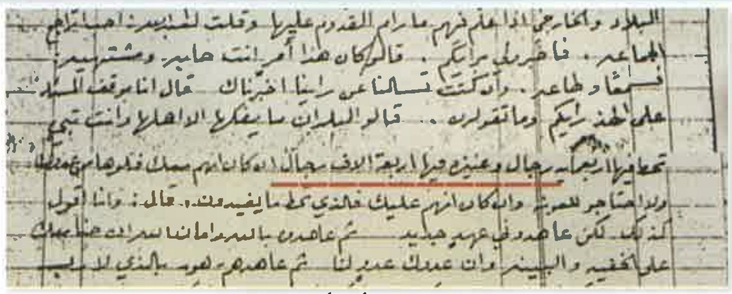
ليالي مشربي صافي المداما   وثوب الغي منقوش الطراز

أما في أسرة آل قاضي فكانت الحال على النقيض حيث تأثر المؤرخ إبراهيم بأدب والده الشاعر محمد القاضي ولذا ستجد اهتماماً بالغاً من قبل المؤرخ إبراهيم القاضي بالقصائد العامية وبتراجم أصحابها كما هو موضحٌ أعلاه .

البسام والقاضي

كما أن هذا التوافق في توارث أبناء أسرة آل قاضي مهمة في تدوين وتأريخ أحداث القرون وهو ما الأخيرة يذكرنا بأسرة آل بسالم التي استلم عدد من أبنائها زمام كتابة التواريخ المعاصرة لا سيما تواريخ وسط الجزيرة العربية حيث يظهر لنا اسم كل من القاضي أحمد بن محمد بن عبدالله البسام المؤرخ الذي ولد في حدود عام ٩٥٥هـ في بلدة أشيقر، وانتقل عام ١٠١٠هـ إلى بلدة القصب، وأصبح قاضياً فيها ثم إلى بلدة ملهم، وأصبح أيضاً قاضياً فيها، ثم انتقل عام ١٠١٥هـ إلى العيينة ويقال إنه أيضاً ولي القضاء فيها ثم توفي عام ١٠٤٠هـ، وهو جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأمه، كما يوضح ذلك المؤرخ فائز بن موسى البدراني الحربي، وقد كان للقاضي والمؤرخ أحمد بن محمد بن بسام مخطوط تاريخي شهير تناقلته العامة عرّفه صاحبه بـ» نبذة في تاريخ نجد».

أما العَلامة الثاني مؤلف كتاب تحفة المشتاق فهو عبدالله بن محمد البسام والأول « أحمد البسام»، هو جده السادس وتوفي عبدالله صاحب التحفة عام ١٣٤٦هـ، وهي السنة التي ولد فيها المؤرخ الثالث من عائلة البسام عبدالله بن عبدالرحمن البسام العلامة الشهير صاحب «علماء نجد في ثمانية قرون» .



نص لإبراهيم القاضي يورد فيه عدداً تقريبياً لسكان عنيزة عام ١٣٢١هـ

المؤرخون من آل قاضي

أما المؤرخون من أسرة آل قاضي فهم باستثناء المؤرخ إبراهيم بن محمد القاضي، يتناوبون تاريخياً مهام تدوين التاريخ على غير اتفاق مسبق حيث يأتي أيضاً المؤرخ صالح بن عثمان بن محمد القاضي الذي يقول عنه حفيده محمد بن عثمان بن صالح القاضي في كتابه : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين «وقد جمع تاريخاً حافلاً يتضمن حوادث نجد والحجاز وما حولها ووفيات مشاهيرها ، وهو رؤوس أقلام، وقد ابتدأ فيه أول القرن الثالث عشر إلى سنة ١٣٥٠هـ» ويقول العلامة حمد الجاسر: وقد نشر حفيده الشيخ محمد له عام (١٤١٤هـ) كتاباً باسم « تاريخ نجد وحوادثها » الجزء الأول « لا يعدو أن يكون نُتفاً موجزة ، وبعضها غير محرر، مما لا يتلاءم مع ما عرف عن الشيخ صالح – رحمه الله – من منزله علمية رفيعة، ولعل ناشره الشيخ محمد بن العثمان قدمه للطبع ولم ينظر فيه أولاً ولا بعد ذلك عند إعداده للطبع، إذ فيه من الأخطاء ما يجل قدر الشيخ صالح وحفيده عن عدم إدراكه،



محمد عثمان القاضي صاحب كتاب «روضة الناظرين»

يبدو أن الشيخ صالح تصدى – كغيره من العلماء – لتدوين ما يعنُّ له من الفوائد في مختلف العلوم ، على أمل أن يعود إليها بالتنسيق والترتيب، فعاجلته المنية قبل ذلك ثم ذكر كيف آلت الحال ببعض مخطوطات الشيخ صالح والتي لم تدون في الكتاب الذي نشره حفيده المؤرخ محمد بن عثمان القاضي حيث بقيت هذه المخطوطة مع مجموعة من الكتب في إحدى حجر الحرم المكي الشريف بيد أنها احترقت مع أحداث الحرم المكي الشريف في اليوم الأول من شهر محرم عام ١٤٠٠هـ وقد أوضح الجاسر أنه استفاد من هذه المخطوطة في كتابة «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد».

كما كان حفيد الشيخ صالح بن عثمان القاضي مؤرخاً مشهوراً في عصرنا الحاضر وهو محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي صاحب المؤلفات الغزيرة والكتب الشهيرة والتي من أشهرها كتابه التاريخي «روضة الناظرين» الذي صدر عام ١٤٠٠هـ وختمه بأحداث هذه السنة التي توقف كثير من المؤرخين عند أحداثها المتعاقبة حيث أرخ لاقتحام الحرم المكي في بداية مطلع هذه السنة (مطلع القرن الهجري الجديد) ثم أورد في آخر أخبار حادثة طائرة الترايستار في مطار الرياض.. وعلى الرغم من أن العلامة حمد الجاسر ذكر أن الكتاب صدر عام ١٤٠٠هـ إلا أنني اطلعت على أخبار في الصفحات الأخيرة من هذه الكتاب وافقت عام ١٤٠٣هـ لعلها كانت في الطبعة التي طبعتها الأولى والتي كانت قد صدرت عام ١٤٠٠هـ وبلا شك أنها ستكون في آخر السنة لأن حادثه « الترايستار » كانت في الثامن من شوال عام ١٤٠٠هـ



عاصرَ القاضي أحداثاً مهمة في عصره ودونها للأجيال القادمة

وكان محمد بن عثمان القاضي صديقا للعلامة حمد الجاسر، وقد ولد القاضي هذا في السنة التي توفي فيها المؤرخ إبراهيم القاضي، وهذا أيضاً توافق عجيب بين المؤرخين من اسرة آل قاضي والبسام حيث توفي في هذه السنة (١٣٤٦هـ) المؤرخ الثاني من أسرة آل بسام عبدالله البسام صاحب «التحفة» وولد فيها المؤرخ الثالث من أسرة البسام «عبدالله بن عبدالرحمن» صاحب (علماء نجد في ثمانية قرون) وكذلك توفي ابراهيم القاضي في هذه السنة

(١٣٤٦هـ) التي ولد فيها المؤرخ محمد القاضي وإن كان جد محمد بن عثمان القاضي أحد المؤرخين المشاهير فوالده أيضاً كان من علماء نجد وقد ترجم لهما ابنهما محمد في «روضة الناظرين» كما أن للمؤرخ محمد مؤلفات في العلوم الشرعية والأدب كـ«مقتطفات الأدب» و«الحديقة اليانعة» كما أن له كتباً في التاريخ والأنساب أما عبدالعزيز بن محمد بن حمد القاضي فهو أحد المهتمين والمعنيين بكتابة التاريخ وهو من ذكرناه آنفاً بصاحب «القصيدة العنيزية » التي نشرت في عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٧م في مطبعة الصباح في بغداد في ٢٢ صفحة كما ذكر الجار .

شاعريته

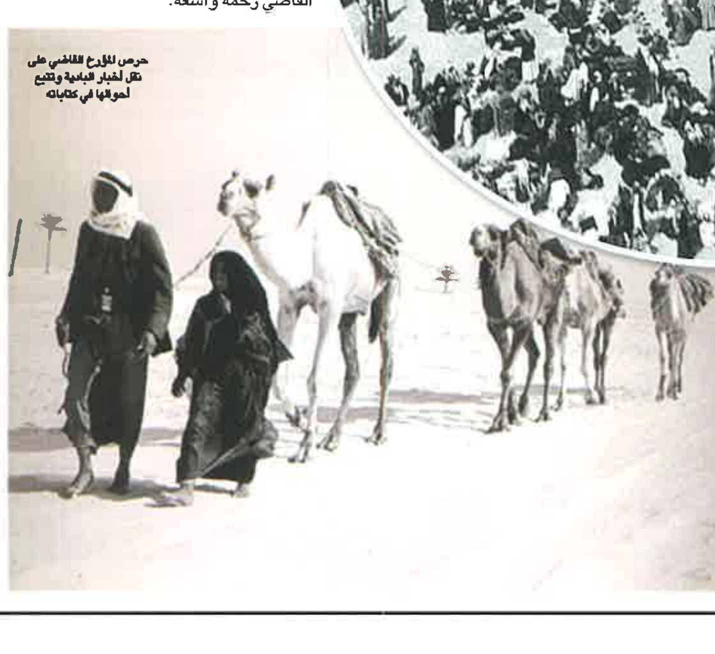
كان المؤرخ إبراهيم بن محمد القاضي من شعراء عصره وكان أثناء كتابته التاريخ يستشهد بالأشعار والقصائد العامية، وتدل أشعاره على سعة ثقافته، كما أن له أشعاراً يحث فيها الملك عبدالعزيز على بعض المغازي كما يقول حمد الجاسر الذي يضيف «وقد علمت من ابنه الأستاذ عبدالرحمن القاضي أن جميع أوراقه – بما فيها ما جمعه من تاريخ ومشجرات لنسب أسرة آل قاضي – كان في حوزة الشيخ محمد بن حمد بن محمد بن عبدالله القاضي المتوفى في البحرين قبل بضع سنوات، والشيخ محمد هو ابن أخي الشيخ إبراهيم».

وكان المؤرخ إبراهيم القاضي يعزز معلوماته والحوادث والأخبار التي ينقلها بما يحضره من شواهد الشعر العامي بل إنه يرتبها ويسردها على تتابع السنين، ولذا فقد ألحق كتابه هذا بمجموعة من القصائد العامية تلاهما عدة صفحات خصصها لتراجم عدد من شعراء نجد خلال القرون الأربعة الأخيرة من عصره أي من أول القرن الحادي عشر الهجري إلى المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر.

وفاته

توفي الشيخ المؤرخ إبراهيم بن محمد القاضي في العام الذي ولد فيه المؤرخ محمد بن عثمان القاضي وهو عام ١٣٤٦هـ بعد أن حفظ للأجيال اللاحقة جزءًا مهماً من تاريخ الجزيرة العربية، لا سيما في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين حيث عاش المؤرخ إبراهيم جزءًا من هذه الحقبة التاريخية، وعاصر أحداثها ليدوّنها عن قرب في الزمان والمكان.

رحم الله المؤرخ الشيخ إبراهيم بن محمد القاضي رحمة واسعة.



حرص المؤرخ القاضي على نقل أخبار البادية وتتبع أحوالها في كتاباته



كان القاضي يعزز معلوماته عن الأحداث التي ينقلها بشواهد من الشعر العامي

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أسس أول فرقة موسيقية لتقديم الأناشيد الوطنية وأسهم في تأسيس الإذاعة وأنشأ أول مجلة للأطفال وترأس تحرير البلاد

طاهر زمخشري.. الأديب والشاعر والإعلامي

■ كاتب من رواد الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز في فترة نهضته الفكرية والأدبية، يعد أحد المبدعين البارزين في مجال الأدب لاسيما الشعر العربي الفصيح، كان إبداعه يتجلى في المملكة وفي منطقة الحجاز تحديداً، إذ يعد الشاعر والإعلامي والكاتب طاهر بن عبدالرحمن الزمخشري أحد الذين أسسوا حراكاً إبداعياً في المملكة من الجيل الأول، سواء في المجال الأدبي أو الإعلامي، ويعتبر أيضاً من أوائل الأدباء والإعلاميين الذين كتبوا للطفل نثراً وشعراً بل إنه تفرغ أيضاً لكتابة الدراما والأعمال الفنية للأطفال وكان يقدم ويشرف على العديد منها منذ وقت مبكر إبان العهد الأول للإذاعة السعودية حتى عرفته الأجيال في تلك الفترة بـ"بابا طاهر" اللقب الذي اشتهر به ولم يفارقه حتى فارق الحياة -رحمه الله-.

ولد الشاعر والأديب والإعلامي طاهر زمخشري في مكة المكرمة عام ١٩٠٦م وأنهى دراسته في مدارس الفلاح عام ١٣٤٩هـ وعمل منذ ١٣٥٠هـ في الوظائف الحكومية حتى استقر به الحال في دار الإذاعة، لُقب بـ"بابا طاهر" وذلك نتيجة لاهتمامه بأدب الأطفال، كما قدم برنامجاً إذاعياً يحمل ذات الاسم. كما أنشأ أول مجلة أطفال سعودية حملت اسم مجلة الروضة، وكان أول عدد لها في تاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٥٩م، لكنها لم تستمر طويلاً إذ توقفت بعد ٢٧ عدد بتاريخ ١٢ مايو ١٩٦٠م، نال جائزة الدولة السعودية التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ولم يكن نجاحه منحصراً في ثنايا المحلية فقط بل كانت إبداعاته ونجاحاته تطال العالم العربي فقد مُنح وساماً رفيعاً في حفل تكريمه في الجمهورية التونسية، فلم يكن رحمه الله تعالى مستقراً في حياته بل كانت حياة الغربة من نصيبه، إذ أقام طويلاً في مصر ثم انتقل إلى تونس حيث نال التكريم أيضاً هناك.

نال وساميّ الاستقلال والثقافة وجائزة الأدب ووضع اسمه ضمن رواد الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز

مشواره الإعلامي

كان طاهر زمخشري من المساهمين في تأسيس الإذاعة السعودية ومن أهم العاملين بها في عام ١٣٦٩هـ فعمل مذيعاً ومعداً ومراقباً، وكان برنامجه "بابا طاهر" الموجه للأطفال من أكثر البرامج شهرة آنذاك كما في برنامجه "روضة المساء"، كما قام بتأسيس أول فرقة موسيقية في المملكة ساهمت بتقديم الأناشيد الوطنية والموسيقى بالإذاعة، وحظي بتشجيع من الملك فهد-رحمه الله-، كما أصدر أول مجلة ملونة متخصصة في المملكة وهي مجلة الروضة والتي صدرت في عام ١٩٥٩م، وترأس الزمخشري تحرير جريدة البلاد السعودية التي تعتبر أقدم الصحف اليومية المتواجدة حتى الآن وكانت مدة ترؤسه لها سنة واحدة.

شعره :

يقول في إحدى قصائده :

أبكي وأضحك والحالات واحدة
أطوي عليها فؤاداً شفه الألم
فإن رأيت دموعي وهي ضاحكة
فالدمع من زحمة الآلام يبتسم

وقال في قصيدته إلى المروتين والتي نشرت في عام ١٣٧٧هـ :

أهيم بروحي على الرابية
وعند المطاف وفي المروتين
وأهفوا إلى ذكر غالية
لدى البيت والخيف والأخشبين
فيهدر دمعي بآماقيه
ويجري لظاه على الوجنتين
ويصرخ شوقي بأعماقيه
فأرسل من مقتلي دمعتين
أهيم وعبر المدى معبد
يعلق في بابه النيرين
فإن طاف في جوفه مسهد
وألقى على سجفه نظرتين
تراءى له شفق مجهد
يواري سنا الفجر في بُردتين
وليس له بالشجا مولد
لمغترب غائر المقلتين
أهيم وقلبي بدقاته
يطير اشتياقاً إلى المسجدين
وصدري يضج بآهاته
فيسري صداه على الضفتين
على النيل يقضي سويعاته
يناغي الوجوم بسمع وعين

قصيدة "الموعد المنتظر"

حديث عينيكِ قد أفضى به الخفرُ
لما تأود في أعطافك الخفرُ
يا منية النفس قد طاف المراح بنا
فراح ينشر من أفراحنا السمر
فبادليني الهوى فالبحرِ موجته
عنا تحدث لإ ما ينقل الخبر
وفي الشواطئ للأصداء هينمة
يضمها في شفوف الفتنة السحر
والليل أغفى فأرخى من غدائره
سودا تهادى على أطرافها العمر
والصمت يسكب في سمع الدجى
نغما الحب صداحه والخافق الوتر
أن أحلامنا في الشط غافية
وفي الحنايا لهيب الشوق يستعر
والذكريات رؤاها كلما هتفت
بنا استراحت إلى آمالنا الصور
فيا طيوف المنى.. فاض الحنين بنا
وزادنا شجناً أن النوى قدر
ولا نزال على الأثباج من لهب
يسري بنا شوقنا والوعد ينتظر



طاهر زمخشري رحمه الله

قالوا عنه

عاصر الأديب والشاعر طاهر زمخشري كوكبة من أقرانه الشعراء والأدباء لاسيما في مكة المكرمة والحجاز لكنه مع ذلك لم يغب أبداً عن أقلام الصحفيين والأدباء الذين هم من جيل طلابه وتلاميذه، كما كان للكتاب والنقاد جهود وأعمال متنوعة ومتباينة في دراستها لأدب الشاعر طاهر زمخشري إذ يقول عنه الدكتور عبدالله باقازي "أبرز الشعراء عفوية الأستاذ الشاعر طاهر زمخشري.. ما زالت جملته الشهيرة: «أنا كومة الفحم السوداء.. تلبس الثياب البيضاء، وتقول: «أشعاراً: حمراء وصفراء وخضراء».. ما زالت هذه الجملة ترن في الآذان تذكر بفنان عفوي بسيط منفتح على بهجة الدنيا، يشرع نوافذ الأمل نحو ساحات الحياة الواسعة.. ويجعل من الحياة بسمة عريضة من التفاؤل! عندما كتبت كتابي: «مظاهر في شعر طاهر زمخشري» عام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م، كان طاهر زمخشري قد مات.. وقبل أن اكتب الكتاب وأشرع في تأليفه.. هزني شعر الزمخشري.. في كل الفنون التي قال فيها: كان مبدعاً من نوع خاص.. كان شعره الرثائي في أبيه وأمه وزوجته من أجمل شعر المراثي من الشعر السعودي الحديث بل العربي بعامة.

وأضاف: ما لفت نظري في شخصية الزمخشري - فضلاً عما سبق - جانب «الطفولة» فكل ما في هذا الشاعر يوحي بالطفولة الكامنة والتي تعبر عن نفسها في كثير من الحالات، ومن جوانب هذه الطفولة الإنسانية تقديم الأستاذ طاهر زمخشري لأول برنامج إذاعي سعودي عن الأطفال عام ١٣٦٩ه إبان بداية الإذاعة السعودية بجبل هندي بمكة المكرمة، ومن جوانبها إصداره لأول مجلة للطفل السعودي عام ١٣٧٩هـ بعنوان: «الروضة».. ولعل لفظة الروضة بعفويتها الدالة على الطبيعة البكر النقية هي التي أغرت الزمخشري بهذا العنوان وبعنوان البرنامج المسائي الذي قدمه طويلاً في الإذاعة بعنوان: "روضة المساء"، كان الدكتور باقازي أحد أولئك الذين نهلوا من فيض "بابا طاهر" لاسيما أعماله الأدبية وبرامجه العلمية وكم كان هذا الأستاذ الأكاديمي وفيا مع معلمه وملهمه الشاعر والأديب طاهر زمخشري حيث عكف على دراسة فنونه وإبداعاته وبوفائه لأستاذه قدم دراساته التحليلية لبعض أشعاره وأعماله الأدبية، وقد علق على قصيدته المروتين قائلاً اعتمدت قصيدة: «إلى المروتين» أنموذجاً شعرياً تحققت من خلاله كل المظاهر الشعرية في شعره.. كانت قصيدة «إلى المروتين» - في رأيي - هي قصيدة الاغتراب ومحاولة الوصول إلى «التوازن النفسي» في رحلة الاغتراب المرضية.. كانت الدلالات الثنائية التي تفوقت على الدلالات المفردة تومئ إلى محاولة «التوازن» التي كان الزمخشري يقوم بها.. ونشرت القصيدة في عام ١٣٧٧هـ.



زمخشري يتحدث في احدى المناسبات

وأضاف في رأيه عن جانب الطفولة :

ومن جوانب الطفولة - أيضاً - تخصص ابنه «فؤاد» في «طب الأطفال» ومن مظاهرها صوته الطفولي عندما يتكلم هذا الصوت الذي جعل أحد زملائه في فترة نهاية السبعينيات الهجرية في حدود ١٣٧٨- ١٣٧٩ه يقترح أن يقدم الزمخشري برنامج: «المرأة» - في الإذاعة - حيث لا نساء يقدمن - وكان صوت الأستاذ الزمخشري في عفوية وتلقائية ينطلق باستهلاله المعهود: «سيدتي.. ربة البيت»! .. إنها الطفولة الكامنة في أعماق شاعر كبير.. ورمز من رموز الشعر السعودي المعاصر.. أسهم إعلامياً.. إذاعة.. وصحافة وفنياً.. شاعراً مزدوج العطاء.. بين الفصحى والعامية.. وراعياً للفن والفنانين.. وأبرزهم محمد عبده!).

وكم حرص طلاب وتلاميذ "بابا طاهر" على إظهار جماليات نصوصه ومدلولاته النثرية والشعرية شكلاً ومضموناً فهذه الأستاذة سلمى باحشوان تعكف على دراسة (المكان في شعر طاهر زمخشري) :حيث انطلقت في دراستها من خلال ربط المكان بالنصوص الشعرية التي تناولت الأماكن بشتى أنواعها وهي التي توضح أنه ما كان اللجوء إلى البحث في المكان عند طاهر زمخشري - رحمه الله - إلا لندرة الدراسات التي تناولت المكان عنده -رحمه الله- وتقول: إنه على رغم كثرة الأماكن التي ذكرها في شعره وفي مسميات قصائده ودواوينه، فقد حظيت الأماكن عنده بعناية فائقة، فإدراك جمال المكان مرتهن بالتقرب من الذات المبدعة الشاعرة، ومرتهن بإدراك الوسائل التي اعتمدها الشاعر في جعل المكان يسكن في عبير الكلمة وبقدرة المتلقي على تذوق العمل الفني، والتفاعل معه، والتأثير به"، وتضيف في تحليل بارع لخاصية المكان عند الزمخشري قائلة "تميزت قصائد المكان عند طاهر عن بقية القصائد باستقلاليتها ووضوحها وقد عكس فن الشاعر وعبقريته في محاورة الأماكن مع اختلافها ومرونتها، كما حظيت الأماكن المقدسة عند طاهر بعناية روحانية خاصة ، فنالت الأماكن المقدسة عنده نصيباً وافراً، فكان لكل مكان من تلك الأماكن خصوصية تخرجه عن نظرائه من بقية الأماكن، وهذه الخاصية في تبدل المعاني المكانية لا تتوفر في هذه الأماكن المقدسة" ثم تتوصل في تحليلها الأدبي ودراستها المستفيضة إلى "إن ارتباط أغلب الأحداث في حياة طاهر بالأماكن التي عاش بها ومر بها يظهر التميز والقوة في نصوصه".

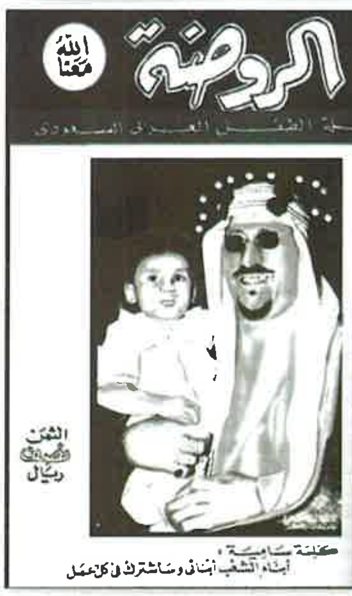
ولئن كان هذا غيضاً من فيض ما كتب عن الراحل طاهر زمخشري بأقلام تلاميذه ومحبيه وبعض العاكفين على دراسة وتذوق فنونه الأدبية ونصوصه الشعرية فإن لـ "بابا طاهر" رأياً أدبياً إنسانياً عن نفسه قدمه بكل بساطة لمعاني الظهور والغرور حيث قال في حفل تكريمه أثناء حصوله على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٤٠٥هـ : " أنا طاهر زمخشري المعروف كما قيل عني كومة من الفحم سوداء تلبس ثياباً بيضاء نقول شعراً قصائده حمراء وخضراء وصفراء فمن قصائدي البيضاء أن أغني للحب وأن أغني للوفاء كما عشت في مشواري الطويل.. ".

أعمال وجوائز

حصل الأديب والشاعر طاهر بن عبدالرحمن زمخشري -رحمه الله- على العديد من الجوائز والأوسمة التي عكست في كثير من مدلولاتها على شاعرية وجماهيرية "بابا طاهر" الشاعر والأديب لاسيما في الأوساط الثقافية والأدبية في عالمنا العربي لعل منها على سبيل المثال لا الحصر "وسام الاستقلال" من الدرجة الثالثة من الجمهورية التونسية عام ١٩٦٦م، ووسام "الثقافة التونسية" عام ١٣٤٩هـ، كما حصل على الجائزة التقديرية للأدب عام ١٤٠٤هـ من لب وطنه في المملكة، هذا عن بعض الأوسمة الرسمية أما التكريم الذي وجده طاهر زمخشري قبل وفاته وبعد رحيله فكان يتجلى في محبة أبناء جيل السبعينيات والثمانينيات وحتى التسعينيات الهجرية حيث لا يزال أبناء ذلك الجيل يتذكرون ويترحمون على "بابا طاهر" الذي قدم لهم مائدة غنية من "أدب الطفل" قصة وشعراً وأنشودة ونثراً في حين كانت الحركة الأدبية في عالمنا العربي غارقة في قضاياها وسجالاتها القومية والسياسية، ولم تكن أعمال طاهر زمخشري -رحمه الله- انعكاساً لمجتمعه وظروف حياته فقط بل تجاوزت أطر الزمان والمكان فكانت أعمالاً إنسانية تلتمس من روح الحياة معاني سامية ورسائل لخصها الزمخشري في أعماله العديدة والمتنوعة لعل من أهمها ديوانه الأول "أحلام الربيع" عام ١٩٤٦ م إذ قيل إنه أول ديوان سعودي مطبوع على حسب ما ذكره سعد الخشرمي في صحيفة الحياة، ثم "همسات" في عام ١٣٧٢ هـ، و"أنفاس الربيع" في عام ١٩٥٥ م، و"أصداء الرابية" في عام ١٩٥٧ م، و"أغاريد الصحراء" المطبوع سنة ١٩٥٨ م، و"على الضفاف" عام ١٩٦١ م، وفي ذات السنة قدم "ألحان مغترب" وبعدها بعامين قدم "عودة الغريب" ثم "في الطريق" وقد صدر عام ١٣٨٢ هـ وأعمال أدبية وإعلامية أخرى لعل من أهمها:

- معازيف الأشجان ١٩٧٦ م.
- لبيك ١٣٨٨ هـ.
- حبيبي على القمر ١٣٨٩ هـ.
- نافذة على القمر ١٣٩٠ هـ.
- العين بحر - بحث حول ما نظمه الشعراء في العين ١٩٧٠ م.
- رباعيات صبا نجد ١٣٩٣ هـ.
- الشراع الرفاف ١٩٧٤ م.
- حقيبة الذكريات ١٣٩٧ هـ.
- على هامش الحياة - قصص.
- مع الأصيل - تأملات ودراسات نفسية.
- إليها - شعر.
- أغاريد المذياع - شعر.
- ليالي ابن الرومي - دراسة.
- أقوال مبعثرة - شعر.
- أحلام.
- ورمضان كريم.
- عبير الذكريات (إصدار خاص من تهامة للتوزيع).
- من الخيام ١٣٨٩ هـ.
- بكاء الزهر.
- أوراق الزهر.

وبعد رحلة طويلة مع القصيدة والمايكرفون والكلمة توفي الأديب الشاعر طاهر بن عبدالرحمن زمخشري مخلفاً وراءه ذخيرة حية من الإبداعات الكتابية وكان ذلك في الثاني من شهر شوال عام ١٤٠٧هـ الموافق (٢٠/ يوليو/ ١٩٨٧) عن عمر يناهز (٨١ عاماً).. رحمه الله رحمة واسعة.



غلاف مجلة الروضة التي انشاها زمخشري كاول مجلة أطفال سعودية



الفقيد مع الفنان محمد عبده حيث قدم الكثير للفن والأدب والشعر



كتب تلاميذ ومحبو طاهر زمخشري الكثير عن الفقيد



زمخشري في حفل تكريم عبدالعزيز الرفاعي

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أحد أشهر أمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري

طامي بن شعيب.. «البيرق»

■ يعد طامي بن شعيب المتحمي، أحد أشهر أمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري، إبان عهد الدولة السعودية الأولى، استلم إمارة الإقليم بعد وفاة ابن عمه عبد الوهاب بن عامر «أبو نقطة» المتحمي الذي قتل في معاركه مع الشريف حمود بن محمد بن أحمد الحسني المشهور بـ«أبومسمار» أمير المخلاف وذلك في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام ١٢٢٤هـ الموافق لعام ١٨٠٧م، وكان بين «أبونقطة» أمير عسير والشريف حمود أبو مسمار أمير المخلاف خلافات حادة وتنافس محموم على السلطة كلٌ في إقليمه وقد عرف عن «أبو نقطة» شجاعته وتمرسه في الحروب والمعارك التي لطالما عاد منها مظفراً في حين عرف الشريف حمود أبو مسمار بثباته ودهائه السياسي، وكان لعبدالوهاب حروب طويلة انتصر في الكثير منها، بيد أنه في هذه المعركة مع الشريف حمود فوجئ بهجوم مباغت من قبل فرقة تسللت نحو معسكره تمكنت من قتله ليستلم الإمارة من بعده ابن عمه طامي بن شعيب.

تصدى للجيوش الغازية وقدم أصدق صور التلاحم والبطولة في معارك الجنوب

إمارة الجيوش

بعد مقتل عبدالوهاب أبو نقطة اجتمعت قيادة قواته في هيئة استشارية جمعت العسيريين وقيادات الجيش مثل غصاب العتيبي ومحمد بن مقرن وحشر العاصمي وذلك لحين صدور قرار من الدرعية لاختيار أمير جديد كما ذكر النعمي في "تاريخ عسير"، وبعد أيام ورد الرد من الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي بعث إلى العسيريين رسائل يعزيهم فيها بوفاة عبدالوهاب ويشكرهم على جهودهم وحسن تدبيرهم، مختتما خطابه بقرار تعيين طامي بن شعيب المتحمي خلفا لابن عمه عبدالوهاب أبو نقطة كما ذكر البهكلي في "نفح العود"، وقد استمرت إمرة طامي زهاء ست سنوات منذ توليه الإمارة في هذا التاريخ إلى حين أسر من قبل قوات "الباشا" أواخر شهر جمادى الأولى من عام ١٢٣٠هـ الموافق لشهر مايو/ أيار عام ١٨١٥م، بعد حروب ومعارك ضاريه قدم فيها طامي والعسيريون عامة أروع وأصدق الملاحم التي كبّدوا فيها الجيش الغازي خسائر متعددة ومتعاقبة، لاسيما في تلك المعارك التي سبقت معركة بسل الشهيرة.

مقاومة الحملات

كان محمد بن عامر (أبو نقطة) من عشيرة ابن حسن إحدى العشائر القبلية لربعة ورفيدة الكبيرة في عسير هو أول أمير لإقليم عسير من أسرة آل متحمي وكان قد قاد عدة حروب ومعارك بعد أن بايع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وأثناء عودته من الدرعية لعسير توفي – رحمه الله – بمرض الجدري فخلفه شقيقه عبدالوهاب بن عامر (أبو نقطة) المتحمي الذي كان أحد أبرز أمراء الدولة السعودية الأولى في عسير والذي قتل في معركة له مع الشريف حمود أبو مسمار ليخلفه ابن عمه طامي بن شعيب الذي أسر ليخلفه ابن شقيقه محمد بن أحمد المتحمي الذي واصل مقاومته ضد حملات الباشا وتحالف مع الشريف حمود أبو مسمار ووزيره العلامة الحسن بن خالد الحزمي وبعد معارك كر وفر قدم فيها العسيريون وجيوش المخلاف صورا من الصمود والممانعة استطاعت جيوش الباشا بعد حملات مستمرة ودعم متواصل من قبل محمد وعبر قيادات متعددة الاستيلاء على أبها بعد مقاومة عنيفة من قبل علي بن مجثل ثم استولت على أحد رفيدة وجبل شكر حيث قتل الوزير العلامة الحسن بن خالد الحازمي في الثالث والعشرين من شهر شعبان عام ١٢٣٤هـ ١٨١٩م، ليتراجع سعيد بن مسلط إلى النواحي الغربية في عسير كما يذكر محمود شاكر لتتقدم جيوش الباشا نحو مدينة طبب عاصمة أمراء آل متحمي وتستولي عليها وتأسر محمد بن أحمد المتحمي وابنه مداوي الملقب بـ(دواس) لترحيلهما إلى مصر كما ورد ذلك في رحلة المبعوث البريطاني سادلير.

ويذكر المؤرخ علي عوض آل قطب في (الأمراء اليزيديون) أن آخر أمراء آل متحمي حين كان في مصر نظم قصيدة شوق وحنين للمقاومة الباسلة في جبال عسير وجنوب الجزيرة العربية ويتذكر مرابع وجبال ووهاد عسير وهو يقول:

سقى اللهُ أوطانُا تحِفّ بتَهلُل
منازل حلّتها مفيدٌ وعلكمُ
وقيسُ بن مسعود وبكرُ بن وائل
وقحطانُ فيهم نخوةٌ وحميّةُ

ويقول فيها:

ألا أيها الركبُ اليمانون وقّفوا
إذا جئتمُ الوادي المنيع بتيّة
إلى طببٍ حيث الصوارمُ والقنا
ولي عندكم لو تعلمون وديعةً
لألئُ عقدٍ شتّتَ الدهرُ شملَها
وجاد عليها بالحيا المتراكم
ومالكُ والأحلاف من عهد آدم
وأكرمْ بشحب في ذراها وظالم
وشهرانُ هم أهل الحجا والعزائم
لأصحبكم مني وصيةَ هائم
فعوجوا صدورَ اليعملات الروازم
بأيدي رجال من خيار الأكارم
يقوم بها ذو نسبة في المتاحم
فأضحت فرادى ما بها كفُ ناظم

وقصيدة أخرى يقول فيها:

فيا أيها الريح اليمانية أبلغي
بني عمنا مني سلام بلا حصر
فجسمي بمصر والفؤاد لديهم
ومع العيون بل تسكابه حجري
فلولاهم ما حزني البين والنوى
فإني على ضيم الزمان لذو صبر

وبوفاة محمد بن احمد المتحمي تنتهي إمارة آل متحمي ويعود اليزيديون لاستلام رأيه المقاومة من جديد ضد جيوش محمد علي حيث يتمكن سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل من استلام زمام الأمور بالتتابع لإبعاد جيوش الباشا عن البلاد، والحال نفسه يأتي حيث يستلم أمراء آل عائض زمام الأمور بعد علي بن مجثل ليعيد التاريخ نفسه حيث يحافظ آل عائض على منعة عسير ويُأسر منهم الأمراء والأميرات حيث كانت فاطمة بنت عائض بن مرعي إحدى شهيرات نساء الجزيرة العربية اللاتي قاومن حملات الباشا وسطر لهن التاريخ قصائد الفخر والشوق والحنين لبلادها حيث كانت أسيرة في قصة يطول شرحها.

معركة القنفذة

كان طامي وعثمان المضايفي الذي تم القبض عليه بعد أن أرهق جيوش الباشا في جنوب الحجاز وكذلك كان القائد بخروش بن علاس أحد أمراء بلاد زهران وما حولها يكبدون جيوش محمد علي الخسائر من جهة السراة وتهامة غرباً في حين هزم البقوم بمعية غالية البقمية جيش الباشا بقيادة مصطفى بك، غير أن محمد علي وصل بنفسه بمعية أربعة آلاف جندي كما يقول "بوركهارت" وفي هذا الوقت كان طامي يتقدم لمهاجمة جيوش الباشا ونقاطه العسكرية جنوب إقليم الحجاز حتى أنه هاجم بحرة عام ١٢٢٨هـ وهنا أدرك الباشا أن طريقه إلى الدرعية لن يكون مأمونا ما لم يدخل عسير لذلك استطاعت جيوشه السيطرة على ميناء القنفذة، إلا أن هذا الأمر استفز طامي فقدم لاستعادة القنفذة في جيش يقدر بقرابة عشرة الاف مقاتل وفي معركة ضارية استطاع العسيريون بقيادة طامي أن يستردوا هذه البلدة التي تمثل البوابة الشمالية الشرقية لسواحل منطقة عسير، وقد وافقت هذه الأحداث وصول أخبار تفيد بوفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز بالدرعية حيث توفي على فراشه بعد معاناة مع المرض، إذ أن وفاته أثرت على جبهات القتال في ساحات المعارك المختلفة حيث عرف بجلده وضراوة قتاله.

معركة بسل

بعد خسارة جيوشه بقيادة مصطفى بك قرب تربة وهزيمته في القنفذة جمع محمد علي قواه وطلب تعزيزات بشرية ومادية حيث وصله قرابة ألف وخمس مئة مقاتل من صحراء ليبيا حيث تشابه طريقتهم القتالية مع المقاتلين السعوديين، كما يقول بوكهارت الذي ذكر بعض أمراء الجيش السعودي في هذه المعركة حيث طامي وبخروش بن علاس وفهاد بن شكبان ومحمد بن دهمان وابن هطامل وقدر هذا الجيش بعشرين ألف مقاتل وقد انضوى تحت قيادة الأمير فيصل بن سعود الذي وصل إلى منطقة "بسل" قرب مدينة تربة بنحو عشرة ألف مقاتل ومعه رجال البقوم الذين كانوا بمعية غالية التي حيك حولها الأساطير ليصبح تعداد الجيش السعودي قرابة ثلاثين ألف مقاتل.

وبعد معركة ضارية استطاع الأمير فيصل بن سعود وأمراء جيشه أن يتقدموا ويوغلوا الزحف نحو سرايا وأجنحة جيش الباشا الذي عمد إلى سحب بعض قواته في مكيدة حربية ليسحب من خلالها الجيش السعودي نحو الأراضي الفضاء بعيداً عن الجبال والمرتفعات وهو ما تم له فعلا ليتحول مؤشر المعركة لصالح قوات محمد علي الذي كان مزوداً بأحدث المدافع والعتاد الحربي.

جيوب مقاومة

انتهت المعركة بانتصار الباشا وتفرق جيش الأمير فيصل بن سعود ليعود أمراء الجيوش لمواصلة المقاومة كل في بلدته، حيث عاد ابن شكبان لبيشة وبخروش لزهران وغامد وطامي لمدينة طبب التي قسّم فيها جيشه لثلاث فرق الأولى بقيادة حوّان العسيري وضعه في قرية الطلحة والثاني في مدينة طبب نفسها بقيادة ابن شقيقه القائد محمد بن أحمد المتحمي الذي ستؤول إليه الإمارة فيما بعد، بينما قاد هو الجيش الثالث ووزعه على الجبال المطلة على مدينة طبب، وفعلا استطاع في – بادئ الأمر- القائد حوّان العسيري أن يكسر جيش الباشا بعد أن قتل منهم أكثر من ثلاث مئة جندي بيد أن جيش الباشا استطاع دخول مدينة طبب في ظل تفوقه العسكري بعد مفاوضات لتسليم المدينة التي تعرضت لحصار شديد واستبسلت في مقاومة مدافع وجيوش محمد علي ليتم تسليم المدينة ويخرج منها القائد محمد بن أحمد المتحي ابن شقيق طامي -الذي تولى فيما بعد راية المقاومة- وتنتهي الأحداث بأسر طامي بعد أن واصل مقاومته عبر جيوب صغيرة ظلت مطاردة من قبل جيوش الباشا الذي استطاع القبض على طامي بن شعيب بعد أن كان الأخير في طريقه إلى خصمه السابق الشريف حمود أبو مسمار الذي شعر هو الآخر بخطورة الجيش الغازي ليتحالف مع محمد بن أحمد المتحمي الذي خلف طامي في إمارة بلاد عسير لتتقاطع مصلحة الاثنين (الشريف حمود ومحمد المتحمي) في مقاومة الجيش الغازي.

وأمر الباشا بترحيل طامي أما القائد الشهير بخروش بن علاس فقد تم القبض عليه وهو يقاوم تمدد جيوش محمد علي بعد معركة بسل، لكنه قبل ترحيلة، فتك ببعض الجنود الذين كلفوا بنقله وهرب منهم، بيد أنه تم القبض عليه وأمر محمد علي بقتله.

ثبات في الميدان

وصف "بوركهارت" في كتاباته بطولات رجال وأمراء الجيش في معركة بسل كما ذكر صورا من بطولات القائد بخروش بن علاس القرشي الزهراني وقال يصف ثبات العسيريين: "وجدت مجموعات بكاملها من عرب عسير فوق الجبال، قد ربطوا أرجلهم بحبل واحد، وكانوا عند مغادرتهم لأسرهم قد أقسموا جميعا بالطلاق – وهو حلف شائع بين بعض البادية قديما يحافظون عليه بدقة- ألا يفروا أمام الأتراك، وأن يعودوا- إذا أمكن أن يعودوا- منتصرين"، في حين وصف طامي من قبل القائد العثماني سليمان شفيق باشا بأنه "يتمتع بشجاعة وقوة عالية" بينما وصفه أحد الرحالة الغربيين بقوله "كان طامي رجلا ذا قوة خلقية عظيمة، وكان قصير القامة له لحية بيضاء طويلة، ينطلق الشرر من عينه" في حين وصفه خليل الرحبي في كتابه "تاريخ الوزير محمد علي باشا" حين وصف جيش الأمير فيصل بن سعود بقوله "وأكبر أعوانه طامي، أحد أمراء العرب، وكان فارسا مناعا، يتبعه الفرسان الكثيرو العدد، والرجال الزائدة في القوة والعدد".



شهدت فترة إمارة ابن شعيب كثيراً من الغزوات التي تصدى لها مع أهالي عسير بكل شجاعة



حظي ابن شعيب بثقة أهالي عسير نظير حنكته وقدراته القيادية



إحدى قلاع ابن شعيب في عسير



قلعة طامي بن شعيب في عسير



جانب من قلعة طامي بن شعيب في قرية طبب في الجنوب

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

زوجة الإمام عبدالله بن فيصل تركي وإحدى أبرز نساء القرن الثالث عشر الهجري مكانةً وخصالاً

نورة بنت عبدالله بن رشيد.. «عزوة محمد»

■ عاشت المرأة في وسط الجزيرة العربية وتكيفت مع ظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية- لاسيما في القرون المتأخرة- ظروفاً استثنائية وأحداثاً وصراعات متواترة، فعلى الرغم من أن التاريخ المدون والتراجم المتوفرة لأبرز الشخصيات الفاعلة في تاريخ بلادنا ظل طي الكتمان - كما هو الحال في كثير من مجتمعاتنا العربية- لاسيما فيما يتعلق بتراجم النساء اللائي حفظت لنا بعض دواوين الشعر والأدب الشعبي جزءاً ضئيلاً من تاريخ نضالهن ومعاناتهن جراء الحروب والظروف المعيشية الصعبة التي تمثلت بمعظمها في اختلال الأمن جراء تعاقب الدول والممالك بين فترة وأخرى كما تمثلت في الظروف الاقتصادية وضعف وندرة الموارد الطبيعية، والتي كان للمرأة حضورها الفاعل على مستوى المجتمع والقبيلة وحتى الدولة، بيد أن ذلك كان بعيداً عن أقلام ودواوين المؤرخين والرحالة الباحثين.

وتميزت نورة بنت عبدالله بن علي بن رشيد وهي إحدى نساء القرن الثالث عشر الهجري، وزوجة الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بالعديد من الخصال الحميدة والمكانة الاجتماعية ونشأت في بيت إمارة ومنعة.

والدها «أمير الجبل» والساعد الأيمن للإمام فيصل بن تركي وعمها «عبيد» أحد أشهر رجال المرحلة

النشأة

نورة بنت عبدالله بن علي بن رشيد إحدى نساء القرن الثالث عشر الهجري، وزوجة الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي وقد آلت إمارة حائل إلى والدها الأمير عبدالله خلال الفترة من ١٢٥١ إلى ١٢٦٣هـ ووالدتها هي سلمى ابنة الأمير محمد بن عبدالمحسن بن علي (ت ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م) الذي كانت أسرته تتولى إمارة مدينة حائل، وكان مولد نورة في مدينة حائل أواخر العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري على وجه الترجيح ولعلها سميت بنورة تيمناً باسم عمتها نورة بنت علي بن رشيد، شقيقة والدها كما تقول الدكتورة دلال الحربي.

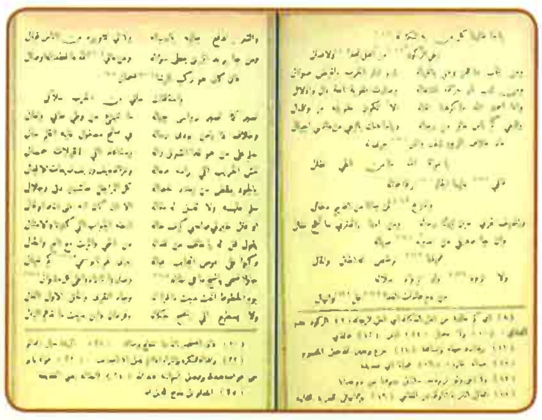
نشأت الأميرة نورة في بيت إمارة ومنعة فوالدها كان أمير منطقة الجبل وعمها "عبيد" أحد أشهر رجال المرحلة والقادة والشعراء غير أن علاقتها الوطيدة مع شقيقها الأصغر محمد كانت إحدى ركائز حكمه ونفوذه حيث وصفها مبعوث روسيا إلى نجد عام ١٣١٠هـ "البارون إداوارد نولده" بأنها "شقيقته المحبوبة ورفيقة صباه" لاسيما وأن الأمير محمد تولى زمام إمارة حائل وبدأ توسيع إمارته وكان كثيراً ما يعتزي بشقيقته نورة بقولة "أخو نورة" ولأن اسم نورة كان منتشراً بشكل كبير بين سكان الجزيرة العربية ولأن من عُرف العرب أن يعتزوا بالشقيقة الكبرى، فقد حمل هذه "العزوة" كثير من رجالات المرحلة لعل من أبرزهم القائد المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

بيت إمارة

وصفت الأميرة نورة - رحمها الله- بالجمال ويقول المؤرخ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين - رحمه الله- من "المرجح أن خصالها الحميدة وجمالها، ومكانتها الاجتماعية وشرف نسبها هي التي دفعت الإمام فيصل بن تركي صديق والدها الحميم إلى خطبتها لابنه عبدالله هذا مع عدم إغفال أنها سليلة بيت إمارة وشرف ويرجح أن زواجها كان قد تم بين عامي ١٢٥٩ و ١٢٦٠ على وجه التقريب كما تقول الدكتورة دلال الحربي وذلك حين كان الأمير عبدالله بن رشيد في زيارة للرياض حين وافق على طلب صديقه الإمام فيصل مشترطاً أن تتم مراسم الزواج في مدينة حائل فوافق الإمام فيصل حيث توجهت - فيما بعد - نورة إلى الرياض بصحبة أخيها الأكبر طلال، وفقاً لما ذكره ضاري بن فهيد الرشيد في نبذة تاريخية عن نجد، على أن هذا الزواج لم يكن الوحيد الذي يربط ويجمع بين الأسرتين فيذكر بعض الباحثين أن والد الأميرة نورة الأمير "عبدالله بن علي آل رشيد" تزوج بـ"الجوهرة" بنت الإمام "تركي بن عبدالله"، كما أن "عبدالله" ابن الإمام "فيصل بن تركي" تزوج بعد وفاة زوجته نورة بنت الأمير "عبدالله بن رشيد"، من ابنة عمها "طريفة بنت عبيد بن رشيد" التي عرفت بأعمالها الإنسانية ومبراتها الخيرية التي بنتها في مدينة الرياض والتي ينسب لها الموقع المعروف بوسط الرياض والمعروف باسمها "طريفة" كما ذكر ذلك خالد السليمان في "معجم مدينة الرياض"، ولما توفي عنها زوجها الإمام عبدالله تزوجها شقيقه "محمد بن الإمام فيصل بن تركي، بيد أنها لم تنجب من الاثنين.

الأمير عبدالله

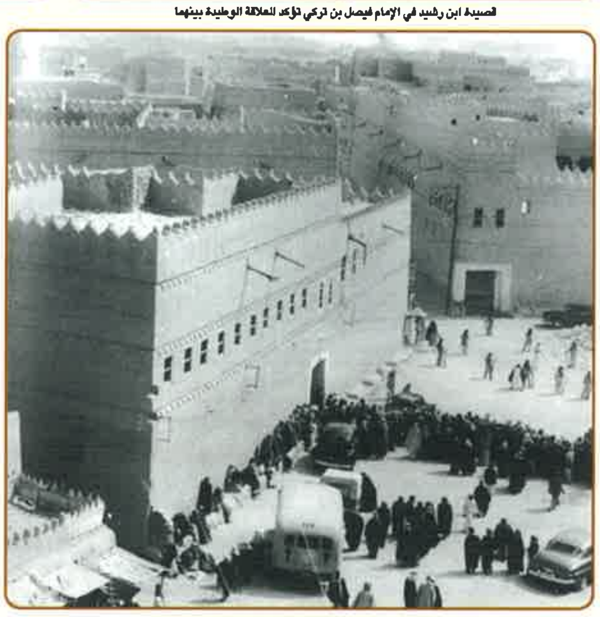
عرف والد الأميرة نورة بأنه أول أمراء أسرة آل رشيد من حائل وهو الأمير والشاعر "عبدالله بن علي بن رشيد" -أمير منطقة الجبل والساعد الأيمن للإمام فيصل بن تركي-، والذي وصفه "ابن بشر" بأنه: "ذو رأي وشجاعة"، ووصفه "الفاخري" قائلاً: "كان صارماً مهيباً، أرجف الأعراب بالغارات حتى خافه قريبهم وبعيدهم"، وقال فيه "فالين" الذي أعجب بشخصية "عبدالله" وأخيه "عبيد": "أضف إلى ما تقدم ذكره من صفاته الشخصية الفريدة



قصيدة ابن رشيد في الإمام فيصل بن تركي تؤكد للعلاقة الوطيدة بينهما



توجهت نورة الرشيد إلى الرياض بعد زواجها بصحبة أخيها الأكبر طلال



اشتهرت نورة الرشيد عند قومها بطيب خصالها ومكانتها الاجتماعية



آلت إمارة حائل لعبدالله الرشيد(والد نورة)خلال الفترة من ١٢٥١هـ إلى ١٢٦٣هـ

وشجاعته ورجولته وعدله وعلى قسوته أحياناً، والمحافظة على وعده وعهده، لم يعرف عنه أنه نكث وعداً أعطاه".

وهو عبدالله بن علي بن رشيد بن خليل بن عطية من الربع -الربعية- من آل خليل من آل جعفر من عبدة"، سليل إحدى أكبر قبائل شمر التي تتفرع منها عدة بطون، ك"أسلم" و"سنجارة" و"عبده"، التي منها أبناء العمومة "آل علي" و"آل رشيد"، وتتفرع أسرة "آل رشيد" إلى ثلاثة فروع هم "آل عبدالله" و"آل عبيد" و"آل جبر"، ويلتقي "آل علي" بأبناء عمومتهم "آل رشيد" في الجد الخامس "عطية"، حيث إنّ "علي" جد "آل علي" و"خليل" جد "آل رشيد" إخوان، و"عطية" من "الربع" من "آل جعفر" من "عبده"، إحدى أكبر قبائل شمر من قبيلة "طيء" العربية، التي تعود إلى "كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"

إمارة الجبل

سبق تولي الأمير "عبدالله بن رشيد" لإمارة (الجبل) أحداث يجدر بالباحث أن يطلع عليها، إذ مع نزوح بعض بطون "شمر" إلى (العراق) بقيادة شيخها "مطلق الجربا" -رحمه الله- عام ١٢٠٥م -وفقاً لما ذكره "ابن غنام" في (تاريخ نجد)، وما ذكره "الفاخري" في (الأخبار النجدية)-، وعيّن الإمام "عبدالعزيز بن محمد بن سعود" الأمير "محمد بن عبدالمحسن بن فايز آل علي" أميراً على (الجبل) -وفقاً لما ذكره "راشد بن علي الحنبلي" في (مثير الوجد في أنساب ملوك نجد)-، إلى أن قتل الأمير "محمد بن عبدالمحسن -رحمه الله- أثناء حروبه مع قوات "إبراهيم باشا" عام ١٢٣٤هـ، وتولى بعده الأمير "صالح بن عبدالمحسن آل علي" في عهد الإمام "تركي بن عبدالله" -كما أورد ذلك "ابن بشر"-، ثم تولى الأمير "عيسى بن علي"، وكان الأمير "عبدالله بن علي بن رشيد" وأخوه "عبيد" قد تربيا مع "عيسى" ابن الأمير "محمد بن عبدالمحسن"، بل وتزوج الأمير "عبدالله بن رشيد" من ابنة الأمير "محمد بن عبدالمحسن" -وفقاً لرواية "ضاري الرشيد"-.

وبعد أن أثبت الأمير "عبدالله" شجاعته في صد إحدى الهجمات التي تعرضت لها إمارة (الجبل) في عهد ابن عمه "صالح بن عبدالمحسن آل علي"، انحدر هو وأخوه "عبيد" إلى (العراق) -أثناء ولاية "داود باشا" - بعد أحداث يطول شرحها، حيث نزلا عند الشيخ "صفوق الجربا"، وكان الوالي العثماني لـ(العراق) "داود باشا" قد أهدى الأمير "عبدالله بن رشيد" غزالاً من ذهب؛ نظير جهوده وبطولاته التي قاد فيها بعض الجيوش هناك، والتي حصل "داود باشا" من خلالها على حصيلة كبيرة من الغنائم، وقد أهدى "ابن رشيد" هذا الغزال للإمام "تركي بن عبدالله" عند عودته إلى (الرياض)، -كما ذكر "سليمان بن صالح الدخيل" في مخطوطه (القول السديد في أخبار إمارة الرشيد)، ومع "عودة عبدالله بن رشيد" إلى (الرياض) حظي بتكريم من الإمام "تركي بن عبدالله".

زواج استثنائي

تقول الدكتورة دلال الحربي إن البعض رأوا أن زواج الأميرة نورة من الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي جاء استثناءً -على الرغم من حدوث حالات مشابهة - في أسرة آل رشيد، ذلك لوقوعه خارج إطار الأسرة والقبيلة، إذ كانت المصاهرة تتم عادة في محيطهما وفقاً للتقاليد السائدة آنذاك، وقد عزز هذا الزواج علاقة أسرة آل رشيد بآل سعود، كما أن علاقة الأمير عبدالله بالإمام فيصل بن تركي بن عبدالله ازدادت رسوخاً وقرباً، وقد رزقت الأميرة نورة بولدها "تركي" الذي اختلف المؤرخون في سنة وفاته حيث توفي قبل وفاة والده الإمام عبدالله بن فيصل كما اختلف المؤرخون أيضاً في انفصال الأميرة نورة عن زوجها الإمام عبدالله من عدمه ففي حين يثبتها "لوريمر" فإن ضاري بن فهيد الرشيد ينفيها ويرى أنها توفيت وهي زوجة له.



عرف والد نورة في حائل بالشجاعة والصرامة والقوة

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

أثنى عليه الملك عبدالعزيز وطلب منه أن يطيل في تاريخ نجد ويكرس اهتمامه بالأخبار والتواريخ

إبراهيم بن عيسى.. موسوعة التاريخ والأنساب

■ يذكر العديد من مؤرخي الجزيرة العربية أنه وبعد القرن الأول الهجري، غابت أخبار وأحداث وسط الجزيرة العربية عن أقلام الكثير من الرواة والمؤرخين، لاسيما فيما يتعلق بالتراجم وتدوين الأحداث السياسية والاقتصادية وتصوير الحياة الاجتماعية وأيام الناس، لذا كانت الكراريس والمخطوطات النادرة التي وجدها المهتمون بحفظ المخطوطات تمثل إرثاً علمياً وكنزاً نادراً حفظه الأحفاد عن الأجداد، وعلى الرغم من ندرة أو فقدان الكثير منها، إلا أن قصاصات ومخطوطات معدودة وجدت بين الحين والآخر ساهمت في الاطلاع أكثر على تاريخ المنطقة ولو برؤية مختصرة حيث ظلت المخطوطات الخاصة بتاريخ وسط الجزيرة العربية لا سيما في القرون الأولى غائبة عن أنظار الباحثين، إلى أن ظهر مع القرن الثالث عشر الهجري عدد من المؤرخين الذين ساهموا بدور كبير في توثيق أخبار وأحداث المرحلة كالمؤرخ محمد الفاخري وابن لعبون وابن يوسف وابن بشر وأبناء البسام والقاضي وابن سند وابن عبيد والذكير والضويان والمؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى.



إعداد - منصور العساف

تنقل لطلب العلم بين أقاليم نجد مقاوماً الظروف الأمنية الصعبة أواخر القرن الثالث عشر وجمع التراث والتاريخ ووثق الأحداث

■ هو الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن حمد بن عبدالله بن عيسى، وعيسى هو جد عشيرة آل عيسى من بني عطية من قبيلة بني زيد القضاعية، وآل عيسى الذين منهم المؤرخ ابراهيم بن صالح منتشرون في كثير من بلدان نجد كأشقر وشقراء حيث انتشرت الأسرة وكلك في عنيزة وبريدة والزبيرة في جنوب العراق وكان مولده – رحمه الله – في التاسع عشر من شهر شعبان من عام ١٢٧٠هـ في بلدة أشقر عند أخواله من أسرة آل فريح ، وكانت أشيقر قد خرّجت عددا من علماء ومؤرخي نجد ولا شك أن "ابن عيسى" وجد فيها بيئة خصبة لطلب العلم حيث تدرج فيها يطلب العلم على يد علمائها ومشايخها فحفظ القرآن الكريم منذ صغره واطلع على العديد من الكتب واكتسب خبرة من أساتذته، ومع بلوغه سن الشباب بدأ يتنقل بين مدن وبلدات نجد يقرأ على يد العلماء ويبحث عن كنوز المخطوطات والمؤلفات، فمن شقراء إلى المجمعة ومنها إلى عنيزة واستمر يتنقل في ظل ظروف أمنية صعبة حيث وافقت هذه المرحلة من حياته عدداً من الصراعات الداخلية في نجد إذ الخلاف أنذاك ناشب بين أبناء الإمام فيصل أواخر القرن الهجري الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، وهو ما دعا ابن عيسى وغيره من العلماء وكذلك التجار ورجال العقيلات أن يطلبوا العلم والتجارة خارج إقليم نجد المضطرب آنذاك.



مجموعة ابن عيسى في الأنساب والتاريخ

طلب العلم

نزل ابن عيسى في مدينة الأحساء ثم في بلدة الزبير فأخذ عن علمائها ثم تجول في بلدان العراق وارتحل إلى شبه الجزيرة الهندية حيث كانت الجزر والسواحل الغربية من بلاد الهند آهلة بتجار وعلماء الجزيرة العربية، وهناك استطاع ابن عيسى أن ينهل من فيض المدارس المتنوعة في الشريعة والأدب والدراسات التاريخية، كما درس على يد عدد من العلماء لاسيما أهل الحديث لعل من أبرزهم السيد صديق بن حسن خان فقد لازمه سنتين كاملتين ثم عاد لمدينة الزبير ودرس على عدد من علمائها، كما أنه حج عام ١٣١١هـ، ولا شك أنه التقى بعدد من علماء مكة المكرمة وعلماء آخرين كانوا قد وفدوا إلى البيت الحرام ، فهو لا ينزل مكاناً إلا ويأخذ منه ما ينفعه من العلم، عرف عنه – رحمه الله – أنه كان باحثاً جاداً لا يمل ولا يفتر يستقصي المعلومة ويبحث عنها في الشرق والغرب، وعلى الرغم من عمق دراسته في علوم الشريعة حيث كان بعض الأهالي يستفتونه في أمور دينهم ويستأنسون بنصائحه وتوجيهاته فقد عزف عن تولي منصب القضاء عدة مرات، على الرغم من أن له إجازة برواية الكتب الستة، كما كان يخالط الأدباء والشعراء ويبادلهم المعلومات والقصائد حيث حفظت له بعض الأبيات والأشعار، أما في علوم التاريخ والأنساب فكان بحراً لا ساحل له، إليه تنتهي مدارس التواريخ النجدية، وإلى كتاباته ومسانيده يعود أساتذة التاريخ النجدي، أما تلاميذه فقد ذكر بعض من ترجم له عددا من الأعلام والعلماء الذين تتلمذوا على يد مؤرخ نجد الشهير ولعل منهم:

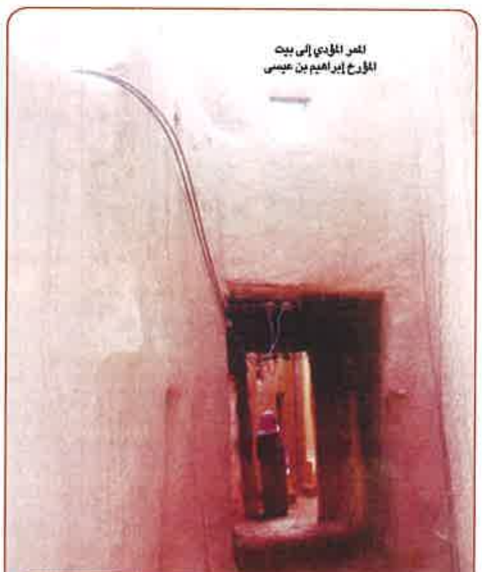
- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة.
- الشيخ محمد بن علي البيز رئيس محاكم منطقة الطائف.
- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.
- الشيخ سليمان بن صالح البسّام.
- الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان من علماء الكويت.
- الشيخ عمر بن محمد الفنتوخ.
- الشيخ عبدالله بن حمد الدوسري قاضي الدرعية.

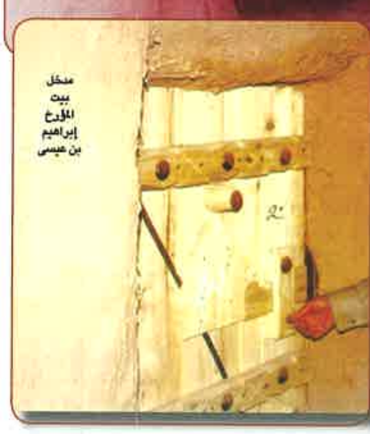
جمع الكتب

عرف عن المؤرخ إبراهيم بن عيسى شغفه بجمع الكتب والمخطوطات ونسخها والبحث فيها ومقارنتها بمراجعها وأصولها، ولذا كان يحرص أشد الحرص على تلخيص هذه الكتب والتعليق عليها، كما كان يحمل معه بعض الوريقات التي يدون فيها ما يسمعه من مجالس العلم، فلا تكاد تذكر معلومة أو فائدة إلا وتجده – رحمه الله – يدونها عبر وريقات كان يحملها في جيبه، كما كان طلابه وأصدقاؤه يراسلونه من أقاليمهم وبلدانهم بكل ما يستجد من معلومات سياسية واقتصادية و جتماعية، لاسيما وقد حرصوا على تتبعه لأخبار المدن و لأقاليم البعيدة عنه، كما كانوا يزودونه بنوادر المخطوطات و لكتب وكان لا يبخل بمعلومة لديه فهو جواد بما يملكه، حتى انه عرف بعزوفة عن المناصب والمطالب الدنيوية رغم إقبالها عليه، فقد طلب منه أعيان مدينة عنيزة أن يتولى القضاء مرتين ولكنه اعتذر، كما عرف عنه التواضع وحسن العشرة وعفة النفس واللسان و لزهد عن نعيم الدنيا، وكان -رحمه الله- يصرف جل اهتمامه في البحث وطلب العلم في صغره وأثناء شبابه إلى أن تفرغ للتدريس والمناظرة والاستمرار أيضاً في طلب العلم بقية حياته، وكان يتعيش مما تخطه يده من نسخ الكتب أو ما تجود عليه فلاحته ومع هذه فقد عرف – رحمه الله – بجودة وحسن الخط، رغم كثرة منسوخاته وكراساته.

مكتبة عامرة

عزف المؤرخ إبراهيم بن عيسى عن الفرص التي تهيأت له للعمل بالتجارة والاستثمار، وظل يجمع الكتب والمخطوطات حتى أصبح لديه مكتبة كبيرة وعامرة حوت مجموعة من الكتب ونوادر انجلدات، منها عدد ليس بالقليل كتبها "ابن عيسى" بيده سواء من تاليفه أو من منقوله، لاسيما وأنه كان يجمع كل معلومة يثق بها، ولذا وجدت له بعض المخطوطات التي خطها بيده كـ "كشكول" كان قد دون فيها معلومات متناثرة عن التاريخ والتراجم وبعض الكراسات في علوم العقيدة والفقه وأخرى عن الجغرافيا والتاريخ، وأيضاً في فنون الطب والعلوم الصحية والأعشاب.





مدخل بيت المؤرخ إبراهيم بن عيسى

تاريخ نجد

كتب ابن عيسى في عدة مجالات وطرق عدة بحور بيد أنه عُني بتدوين التواريخ والتراجم، وعلي كثرة ووفرة مؤلفاته ومخطوطاته إلا أن تاريخه "عقد الدرر" والمسمى "تاريخ نجد" ظل الأكثر شهرة بين كتبه المتعددة، لاسيما وأنه عرف بين المؤرخين وعلماء التراجم بتاريخ ابن عيسى، وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب أن الملك عبدالعزيز حين مر – ذات يوم – بمدينة أشقر استقبله أعيان البلدة ولم يكن ابن عيسى معهم، فلما سأل عنه الملك وهو لا يعلم أنه يعرفه قدم إليه وعرض عليه ابن عيسى بعض ما دوّنه وكتبه فسُر الملك به، وطلب منه أن يطيل دراسته لكي يشمل بعض الحوادث والأخبار ويدون جميع ما صح عنده نقله، وبشرط أن يجعل جل اهتمامه بالأخبار والتواريخ التي تلت ما كتبه ابن بشر، لكي يكون كتابه ذيلاً لما خطه ابن بشر في تاريخه المشهور، والذي انتهى فيه إلى حوادث عام ١٢٦٨هـ ، ثم ان الملك عبدالعزيز أثنى عليه وشكره ووعد خيراً إن هو أتم هذه الكتاب.



نقل ابن عيسى لمخطوط نادر عن تاريخ نجد والجزيرة



رصد ابن عيسى لحوادث نجد حيث اعيدت طباعة الكتاب بمناسبة ذكرى المئوية

كما أن من بين كتبه ما انتهى إلى حوادث عام ١٣٠٣هـ ثم في كتابه "تاريخ نجد" ابتداء من عام ١٣٠٣هـ إلى عام ١٣٣٩هـ وهو ذيل للذي قبله ومكمل له أما كتابه "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد" فيبتدئ من عام ٨٢٠هـ إلى ١٣٤٠هـ وهو عبارة عن مقتطفات تاريخية متناثرة، كما أن له كتاباً سماه "نبذة عن بلاد العرب" يرى البعض أنه ربما لخصه من كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي، أما كتابه "نبذة عن تاريخ أشراف مكة المكرمة" فقد ذكر ابن عيسى نفسه أنه لخصه من كتاب "أمراء البلد الحرام" لزيني دحلان، أما كتابه "نبذة عن أيام العرب" فقد لخصه من مشارب ومراجع متعددة، كما أن له كتباً عديدة وكراسات ومخطوطات متناثرة بين يدي عشاق المخطوطات المهتمين بحفظها واقتنائها لم يهتد حتى الآن أحد لجمعها أو يتستى له تلخيصها، لأنها إرث مشاع لا مالك له ومتناثر صعب علي الكثير من المهتمين جمعها وطباعتها ولعلها ترى النور قريباً، كما أن لابن عيسى رحمه الله بعض المدونات عن الأنساب وأخبار البلدان والقبائل العربية لاسيما في الجزيرة العربية، كما أنه كان يدون القصائد والأشعار وله شعر جزل ومتين.

وفاته

عرف عن ابن عيسى – رحمه الله – شغفه وحبه لمدينة عنيزة، حيث يلتقي هناك بعدد من علماء عصره ومؤرخي نجد المشاهير من أسر آل قاضي وآل بسام وآل ذكير وغيرهم ممن عني بكتب التاريخ والتراجم والأنساب، فكان ابن عيسى لا ينقطع عن عنيزة إلا ويعود إليها مجدداً، وفي آخر حياته انتقل هو وأولاده من أشيقر التي ولد فيها إلى عنيزة وذلك في الحادي عشر من شهر صفر عام ١٣٤٢هـ وفي الثالث والعشرين من شهر شوال عام ١٣٤٣هـ توفي رحمه الله عن عمر يناهز الثالثة والسبعين، وصلي عليه في جامع عنيزة ودفن فيها رحمه الله رحمةً واسعة.



حرص ابن عيسى على تتبع أخبار المدن والأقاليم البعيدة وتوثيق أحداثها



وجد ابن عيسى في أشيقر بيئة خصبة لطلب العلم

وثق فيه الملك عبدالعزيز وأثنى على غيرته وصلابته وحسن تصرفه وعيّنه كأول «قائد للحرس الملكي»

الفريق سعيد جودت.. رجل المواقف الصعبة

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظا على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ ولد سعيد بن سليم بن حسين جودت ذو الأصل الكردي في مدينة كركوك شمال العراق، والتحق في باكورة تعليمه في المدارس الابتدائية والثانوية هناك، ومنها انتقل إلى اسطنبول حاضرة الدولة العثمانية، التي كانت تعاني من شبح الانهيار، وقد التحق الشاب سعيد جودت بمدارس اسطنبول العسكرية، وفيها تخرج ضابطاً عسكرياً ليشارك في العديد من المعارك والحروب، التي خاضتها الدولة العثمانية آنذاك، لاسيما الحرب العالمية الأولى، وبعد انهيار الخلافة العثمانية التحق جودت بقوات الشريف حسين -رحمه الله- حيث شارك معه في العديد من المعارك، مثل معركة الخرائط ومعركة الطائف والهدى وغيرها، إلى أن التحق بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٤٤هـ بعد دخول القوات السعودية مدينة ينبع، حيث رحب به الملك المؤسس هو وعدد من زملائه الضباط ومنحهم مرتباتهم ورتبهم العسكرية، وسلمهم قيادة عدد من القوات والقطاعات العسكرية قبل توحيد المملكة ببضع سنوات، لتثبت التجارب المستقبلية فراسة الملك وصدق وأمانة هؤلاء القادة، الذين وضع فيه الملك جل ثقته وصلاحياته، لاسيما حين استكمل هؤلاء الأفذاذ مع الملك المؤسس مسيرة توحيد البلاد، إلى أن جاء الدور على تأسيس القطاعات العسكرية والأمنية، التي كان للقائد سعيد جودت ورفاقه من الرعيل الأول دور يذكر فيشكر، حيث ساهم الجميع -بعد توفيق الله سبحانه- في إتمام منظومة البلاد الأمنية والعسكرية.

شارك في العديد من المعارك وأسهم في تأسيس المنظومة الأمنية والعسكرية للوطن وحظي بتقدير رؤساء وقادة العالم



الملك عبدالعزيز والملك طلال ملك الأردن ويبدو الفريق جودت



الملك عبدالعزيز يلقي كلمة أثناء لقائه رؤساء بعثات الحج عام ١٩٣٨ وبجواره الملك سلمان والفريق جودت على اليمين



الملك سعود وعلى يساره الملك سلمان حيث يتقدم الفريق جودت الحرس الملكي أنذاك

التحاقه بالمؤسس

سارع الملك عبدالعزيز بعد أن ضم إقليم الحجاز إلى ترتيب وتنظيم الدولة الناشئة التي بدأت تتبلور لتتوحد في عام ١٣٥١هـ وقبل هذا التاريخ ببضع سنوات أي في عام ١٣٤٤هـ استكمل -طيب الله ثراه- ضم مدينة جدة وكذلك ينبع التي تواجد فيها بعض الضباط وقد ذكرهم الشيخ محمد بن صالح بن سلطان -رحمه الله- وقال «كان من بينهم إبراهيم الطاسان وصالح البلاع وسعيد جودت وسعيد كردي وكانوا من القيادات البارزة في جيش الشريف حسين -رحمهم الله جميعا- وحين دخول قوات الملك لمدينة ينبع جاء هؤلاء الضباط إلى الملك عبدالعزيز فقال لهم «أنتم لم تأتوا إلي خونة ولم تغدروا بصاحبكم كي تكسبوا مرضاتي» ثم خيرهم ثلاثة خيارات إما أن يبقوا على رتبهم في الجيش أو يظلوا في البلد معززين ويسلكوا دروب الرزق التي يريدونها أو يأخذوا مكافآت ويلحقوا بأصحابهم» فاختاروا البقاء إلى جانب الملك الذي بدوره أبقاهم على رتبهم وسلمهم قيادة عدد من قواته فاختاروا البقاء مع الملك وبعد ضم الحجاز بدأ تنظيم الفرق العسكرية وتكوين القوات النظامية على شكل مجموعات يقودها ضباط مؤهلون سبق لهم العمل في الجيوش النظامية وكانت هذه القوات في المنطقة الغربية وهي نواة القوات النظامية في الجيش السعودي وكان ذلك عام ١٣٤٨هـ.

الانتقال للعاصمة

بعد ذلك التاريخ بتسعة أعوام أي في عام ١٣٥٧هـ طلب الملك عبدالعزيز من القوة التي ترافقه أثناء متابعته وإشرافه على سير الأمور في المناسك إبان موسم الحج طلب منها مرافقته إلى الرياض وكان قائد هذه الفرقة هو الضابط الخبير سعيد جودت وفي مدينة الرياض اتخذت الفرقة قصر عبدالله الشبيلي في حلة الأحرار مقراً لها ثم انتقل جزء منها إلى حي المربع وجزء آخر إلى معسكر في حي الفوطة يطلق عليه «القشلة» وهي مسمى عثماني أصلها «القشلاق» يقصد بها القلعة أو الحصن وهي مكان تجمع العسكر أو الثكنة العسكرية وكان موقعها في شارع الإمام تركي بن عبدالله وكانت القوة النظامية تقع غرب الرياض ولذا أطلق على هذه الثكنة «المنطقة الشرقية» وكانت ترتبط بوكالة الدفاع مباشرة قبل تشكيل وزارة الدفاع وقد تكونت هذه الثكنة من مجموعة من الكوادر المتميزين بشرطة الرياض حيث اختير منهم مئتا ضابط وعسكري وأضيف لهم عدد من أفراد الجيش الموجود بالمنطقة الغربية «غرب الرياض» ومعهم سياراتهم المسلحة والرشاشات والمدفعية ومن هذه الثكنة تم اختيار الزعيم سعيد جودت رئيسا لها والزعيم آنذاك تعادل رتبة عميد حاليا وقد قسمت هذه القوة إلى ثلاث سرايا مشاة وأربع سرايا أسلحة رشاشة وسريتي مدفعية وكانت مهامها حراسة القصور الملكية في حي المربع آنذاك حيث مقر الملك عبدالعزيز في قصر المربع وكان جنود هذه القوة يصطفون مع كل صباح يحيون الملك حين خروجه من القصر إلى الديوان وكذلك حين عودته في حين ترافقه مجموعة من سبعة إلى ثمانية من الضباط والجنود في تنقلاته خارج القصر ويكونون بمعيته في جميع تنقلاته، كما أن من مهامها مساندة الجيش السعودي، كما كان لها مشاركة فاعلة في الحرب ضد اليهود المحتلين عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، وذلك من خلال مشاركة قوة من هذه الفرقة كانت بقيادة الملازم أول عبدالعزيز الخريجي حيث التحقت هذه القوة مع القوات السعودية التي دخلت الحرب مع القوات العربية حيث قاد الضابط الشهير سعيد الكردي -الذي كان برتبة عقيد أنذاك - القوات السعودية إلى جانب جيش المتطوعين السعودين، وكان بين الضباط الذين شاركوا في الحرب ضد اليهود القائد إبراهيم الطاسان وعبدالله بن نامي ورشيد البلاع ومحمد الهنيدي وعبدالله العيسى وعلي وهبي وعبدالله أبوخزي ومحمد الجعويني كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله الصقري في حوار معه.

الحرس الملكي

حتى عام ١٣٦٩هـ لم يكن ثمة تشكيل رسمي باسم الحرس الملكي بقدر ما كانت قوة حماية غير أنه في العام الذي يليه أي في عام ١٣٧٠هـ تم تشكيل لواء الحرس الملكي من قوات المنطقة الشرقية «شرق مدينة الرياض» والتي يقودها اللواء سعيد جودت الذي أصبح بعد هذا التشكيل قائداً للحرس الملكي، وفي السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٧١هـ، صدر أمر ملكي بمنح صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبدالعزيز رتبة فريق وتعيينه أميراً على القصور والحرس الملكي وفي هذه المناسبة عقد ضباط الحرس الملكي حفلا ترحيبيا بالأمير نواف بدأ بكلمة ترحيبية وقصيدة ألقاها رئيس تحرير الشعبة العسكرية الأستاذ زين العابدين توفيق تلاها كلمة للأمير نواف ثم ارتجل أمير اللواء سعيد باشا جودت -وكان هذا مسماه وفقا لما ورد في الصحف آنذاك- كلمة هنأ فيها الأمير نواف وحث زملاءه الضباط على التعاون والتعاضد في أداء أعمالهم. واستمر الحرس الملكي في تشكيل الألوية التابعة مع تغيير المسميات وتعاقب الإدارات حيث ترأسه الأمير مساعد بن سعود تلاه أخوه بندر ثم أخوه منصور ثم أخوه سلطان أبناء الملك سعود، وإلى عام ١٣٨٠هـ حيث تغير مسمى إمارة الحرس الملكي إلى رئاسة الحرس الملكي وكان القائد الفريق سعيد جودت ما يزال قائداً لها، ويقول المؤرخ عبدالرحمن الرويشد « كانت حراسة الملك عبدالعزيز تقع على عاتق تلك القوة إلى جانب حراسته من جنده المدني الخاص المعروف ب(الخويا) أو (الخبر) التي تتألف من (١٥) خبرة قوام الخبرة الواحدة ما بين (١٥إلى٢٠) فرداً.



الملك فيصل في حديث مع الفريق جودت في إحدى المناسبات



جودت بالزي العسكري

الزي العسكري

كان الزي الرسمي لضباط وأفراد الحرس الملكي في بدايته يتكون من «البدلة» التي يسمونها «شنقيط» وبنطال و«بريهه» و «بسطار» وحين استشار الملك عبدالعزيز ضيفه بشير السعداوي عن ضابط متمكن يساهم في تدريب وتأسيس الجيش السعودي أشار عليه السعداوي بالقائد المناضل الشهير طارق الأفريقي الذي استضافه الملك المؤسس ومنحه صلاحية تكوين الجيش السعودي بعد أن كان قد أوعز هذه المهمة لصديقه القائد العثماني السابق سليمان شفيق باشا، غير أن الشيخوخة وكبر السن حالت دون مواصلة القائد سليمان مهامه المنوطة به فاعتذر من الملك، الذي أوعز بالمهمة للقائد طارق الأفريقي وكانت الألوية العسكرية السعودية بقيادة عدد من الفرقاء والجنرالات كسعيد كردي وسعيد جودت وإبراهيم الطاسان وغيرهم من الرعيل الأول الذين شكلوا قيادات الأمن والجيش السعودي، كما استقدم الملك المؤسس عددا من الضباط من بعض الدول العربية مثل العقيد محمد مراد الخياري ونبيه العظمة والشهيد فوزي القاوقجي، ومع قدوم الزعيم طارق تسلم قيادة أركان حرب الجيش السعودي، والقائد طارق الأفريقي هو الذي استبدل لباس الغترة ب «البريهه» العسكرية في فرق وقوات الجيش السعودي تلاه الحرس الملكي حيث تم تغيرها في شهر ذي الحجة من عام ١٣٧٠هـ.

التاريخ العسكري

كان اللواء سعيد بن سليم جودت يتقن اللغة العربية إلى جانب لغته الأصلية (الكردية) واللغة التركية، وقد بدأ تعليمه في العراق ثم درس المرحلة الثانوية والعسكرية في مدرسة الضباط باسطنبول ثم في ألمانيا، وشارك إبان انضمامه في الجيش العثماني في العديد من الملوك كما شارك مع الشريف حسين -رحمه الله- في معارك عديدة وكان التحاقه بالخدمة العسكرية مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ، ثم ترقى إلى رتبة نقيب (رئيس) بعد ذلك بثلاثة أيام وبقي قائدا لقطاع الرشاش حين انضمامه للملك عبدالعزيز، ثم رقي إلى رتبة رائد (وكيل قائد) في غرة شهر ربيع الأول من عام ١٣٥٤هـ ثم عقيد في غرة شهر ذي القعدة من عام ١٣٥٨هـ، ثم عين قائداً للمنطقة الشرقية في مدينة الرياض في غرة شهر ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ ومنح رتبة زعيم (عميد) ثم ارتقت به الرتب وأصبح قائداً للحرس الملكي عام ١٣٨٠هـ برتبة فريق.

وبالحديث عن المعارك التي خاضها القائد سعيد جودت يتضح أنها بدأت منذ انضمامه للجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى وذلك في معركتي «مرسيس» و«طرسوس»، وحمل وسام «سي» العثماني ووسام النهضة في الدرجة الخامسة، كما حصل على عدد من الأوسمة و«النياشين» وشهادات الشكر والتقدير من عدد كبير من رؤساء وقادة وزعماء العالم، كما اشترك مع قوات الشريف حسين -رحمه الله- في عدد من المعارك أهمها معركة الخرائط ومعركة الطائف والهدى والمدينة المنورة، كما حضر ضم جازان وحرب اليمن مع الملك عبدالعزيز، وقبلها حضر معركة السبلة عام ١٣٤٧هـ وكان له دور محوري في أحداثها ونتائجها مع إبراهيم بن معمر، كما شارك في حرب ابن رفادة عام ١٣٥٣هـ مع القادة الثلاثة القائد الشهير عبدالله بن محمد بن عقيّل ومحمد بن سلطان وقائد الهجانة عبدالله بن حلون، كما كان من ضمن الوفد الذي رافق الملك المؤسس إبان لقائه برئيس الولايات المتحدة على متن السفينة(يو إس إس كويني) في منطقة البحيرات الكبرى في قناة السويس في ١٤/ فبراير/ ١٩٤٥م كما كان من ضمن الوفد الذي رافقه عند مقابلته لرئيس الوزراء البريطاني بعدها بثلاثة أيام على شاطئ بحيرة قارون، وفي عام ١٣٨٣هـ آن لهذا العسكري الفذ أن يتقاعد بعد مشوار طويل مع النضال والعمل العسكري ليتفرغ لحياته الأسرية، بعد أن كان ملء السمع والبصر حيث يقول المؤرخ الرويشد «كان الملك عبدالعزيز يرى في صلابة اللواء سعيد جودت رئيس حرسه وانضباطه وحسن تصرفه عند مواجهة المواقف الصعبة، ما جعله أثيرًا عنده، ومن الحائزين على ثقته، وقد وصفه مرة أنه نعم الرجل الغيور، وأن وجوده في خدمته نعمة ساقتها له الأقدار بحسب ما رواه بعض أبناء الملك عبدالعزيز، وقال أمير كبير من أبناء الملك عبدالعزيز عندما سئل عن ذلك القائد: إنه أكثر من رأيت من الضباط القريبين من والدي إدراكًا ومعرفة بإيماءاته وفهم إشاراته. ولم أرَ الوالد يومًا قد انتقد سلوكه أو تصرفه في إدارة مهماته في شؤون الحرس».

في الوقت الذي كان فيه الفريق سعيد بن سليم جودت يستعيد ذكرياته التي لم ينساها مع الملك عبدالعزيز كان الجميع يتحلق حوله لسماع أخباره مع المؤسس إبان حله وترحاله وسلمه ومعاركه، وكم كان هذا القائد العسكري معجباً بسياسات الملك عبدالعزيز حيث كان يروي بعض مواقفه الحازمة والفارقة لأبناء المؤسس الذين يزورونه في منزله تقديراً منهم لمكانته وتاريخه ووفائه وصدقه في أداء مهامه التي كلف بها.

أبناؤه

كان للفريق سعيد جودت ابنان وبنت واحدة فابنه أحمد كان عميداً في الحرس الملكي وله من الأبناء خمس بنات هن نهاد ونسرين وشافية «متوفيه»، ونهلة وصائمة وولد واحد هو خالد«متوفى» أما ابنه محمود فله خمسة أبناء هم سعيد وأحمد ومحمد وجودت وفهد «متوفى» وابنة واحدة هي جمانة أما ابنته صائمة فلها خمسة أبناء هم أسامة وماجد وعبدالله ومحمود وعبدالمجيد أما البنت فهي وفاء.

وبقي الفريق جودت بعد تقاعده مدة ثلاث سنوات، وبعد حياة حافلة بالمغامرات والذكريات والمعارك، التي خاضها مع عدة دول وجيوش، منذ نزوحه من مدينة كركوك شمال العراق، واستقراره وأبنائه وأحفاده في العاصمة السعودية الرياض، حيث كانت وفاته -رحمه الله- في منزله بحي الضباط بالملز عام ١٣٩٦هـ، حيث صلي عليه في الجامع الكبير بالرياض، ودفن في مقبرة العود وسط العاصمة السعودية بعد أن كان محل احتفاء وتقدير من أبناء الملك المؤسس النين ظل تواصلهم معه إلى حين وفاته رحمه الله رحمة واسعة.



جودت مع ابنيه أحمد ومحمود ويبدو الفريق محمد النملة (يسار) وزميله أحمد العمري



جودت في مقتبل شبابه وحياته العسكرية



الفريق جودت مع مدير شرطة الرياض حسين زلزوق عام ١٣٧١هـ

قاد أول رحلة تعبر المحيط مع الملك فيصل وأصبح أصغر طياري العالم في وقته

نهار النصار.. طيار الملوك

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يعتبر القائد نهار النصّار أول طيار سعودي يقطع المحيط ويدور حول العالم قبل أن تتدفق ينابيع الذهب الأسود في سواحل منطقتنا الشرقية بسنوات قليلة، وبالتحديد في مدينة الخبر، عام ١٣٥٥هـ الموافق عام ١٩٣٦م، ولد نهار بن عبدالرزاق بن محمد النصّار، حيث استقر والده هناك بعد أن نزح أجداده من السليل، في وادي الدواسر، للسكن ببلدة الصفرات ثم في عشيرة سدير، إلى أن ارتحل جده محمد بن نصّار، وإخوته عبدالله وسعد وناصر، قرابة عام ١٢٨٠هـ، إلى مدينة الزبير، وسط ظروف معيشية صعبة مرت على إقليم نجد وما حولها، وهناك عمل محمد وابنه عبدالرزاق، وإخوة عبدالرزاق، جمّالين يعملون على نقل الحجاج والمعتمرين ويتولون تنظيم الرحلات ونقل البضائع، ورُغم نجاح عبدالرزاق في أعماله وتجارته إلا أنه قرر في الثلاثينيات الميلادية، أن يعود هو وأخوه سعد للمنطقة الشرقية، وذلك مع انطلاق أعمال التنقيب عن النفط في المنطقة، التي توّجت فيما بعد باكتشاف أول بئر نفطية في المملكة (بئر الدمام رقم ٧، أو بئر الخير)، وعاد عبدالرزاق النصّار وأخوه سعد ليعملا في البداية في شركة أرامكو، ومن ثم تفرغا للعمل كمقاولين استثماراً منهما لما شهدته المنطقة آنذاك من فرص تجارية واستثمارية بعد ظهور النفط وتوافد العاملين والسكان على المنطقة.

شهد مرحلة الريادة في مجال الطيران.. وقاوم ظروف المعيشة الصعبة لتحقيق الحلم



الملك فيصل والأمير سلطان -رحمهما الله- مع الكابتن النصار



الكابتن النصار في غرفة القيادة



يتسلم شهادة المواطن الفخري لولاية تكساس

بداياته في التعليم

في المنطقة الشرقية وتحديداً في مدينة الخبر عاش القائد كابتن طيّار نهار النصّار طفولته ومقتبل شبابه، وعلى الرغم من صعوبة الظروف وبسبب ندرة الخدمات وفرص التعليم آنذاك، والتحق بالكتاتيب بمدينة الخبر، فدرس القرآن الكريم، وتعلم أسس القراءة والكتابة، كما تعلم شيئاً من اللغة الإنجليزية على يد معلمة هندية كان زوجها يعمل طبيباً في مدينة الخبر، وكان والده حريصاً على تعليم أبنائه فاستغل تواجد هذا الطبيب وزوجته بالقرب منهم فاتفق معها لتعليم أبنائه اللغة الإنجليزية، كما اتفق مع شخص آخر ليُعلّم أبناءه علوم الدين واللغة العربيّة إلى أن تم افتتاح المدرسة الأميرية، التي سميت فيما بعد مدرسة الخبر الأولى، ثم حملت اسم مدرسة معاذ بن جبل الابتدائية مؤخراً، وحينذاك كان نهار من أوائل الطلاب الذين التحقوا بالمدرسة الأميرية، وبعدها التحق بشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، وذلك في الظهران منتصف عام ١٩٥٠م، ليعمل مراسلاً مكتبياً في جزء من وقت عمله، ويواصل تعلمه اللغة الإنجليزية وبعض العلوم الأساسية في مدرسة الشركة.

وكان نهار النصّار يرافق والده عبدالرزاق النصّار إلى مطار الظهران، حديث النشأة، حيث كان عبدالرزاق يعمل مقاولاً يتولى إنشاء بعض مرافق المطار وبينما كان الأب يُتابع أعماله هناك، كان الابن نهار يتأمل هبوط وإقلاع الطائرات من وعلى مدرج المطار، وكان منظراً مدهشاً وحدثاً غريباً بالنسبة لطفل صغير، حيث كان الطفل نهار يعَبر لوالده وهو في المطار عن رغبته في الطيران.

ولم يقف شغفه بالطيران عند هذا الحد، بل يذكر كل من علي البلوشي وناصر النغميش، وهما من زملائه القدامى في أرامكو، كيف أنه أثناء عمله معهم في الشركة، في بدايات حياتهم الوظيفية، كان يحمل الأوراق والملفات منطلقا بها بين دهاليز ومكاتب الشركة مقلداً صوت ومسير الطائرة ولم تكن هذه المشاهد لتمر على بعض الموظفين النابهين في أرامكو، حيث نقلوه من العمل مراسلاً في مكاتب الشركة إلى العمل فنياً تحت التدريب في ورشة الشركة المخصصة للطائرات في مطار الظهران وأحدث هذا التحول نقله في مسار ومستقبل الشاب نهار، الذي دأب على معرفة كل ما يتعلق بالطائرات، وراح يسأل طاقم الفنيين الإيطاليين، الذين كانوا يعملون هناك، عن كل ما يعن له السؤال عنه وقد كان هؤلاء الإيطاليون حريصين على أن يتعلم نهار كل ما يسألهم عنه، لذلك كانوا يجيبون على تساؤلاته اللحوحة بكل دقة وأمانة، ولم ينس نهار هذا الجميل لهم، إذا ظل طوال مسيرته المهنية يتواصل مع هؤلاء المدربين ومع أسرهم حتى بعد رحيلهم عن المملكة.

تعلم الطيران

في عام ١٩٥٣م بدأ الشاب نهار تعلّم الطيران، الذي أصبح إحدى أولوياته، إذ ما كاد هذا العام ينقضي إلا ونهار يسافر إلى مصر حيث أرسله والده ليلتحق بمدرسة (سانت أندراوس) في الإسكندرية، ليحصل على شهادة الثانوية التي ستؤهله للالتحاق بمعهد الطيران، وفي عام ١٩٥٤م التحق بمعهد مصر للطيران في «إمبابه»، وتلقى تدريبه في علوم الطيران على يد المدربة المشهورة عزيزة محرم فهيم، وواصل تدريبه في المعهد حتى شهر مايو عام ١٩٥٦م. وبعد ذلك أرسله والده إلى بريطانيا للاستزادة من علوم الطيران وهناك التحق بجامعة ساوثهامتون للعلوم الجوية، حيث حصل على رخصة طالب طيران، واستمر يدرس بها حتى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٦م، ولكنه اضطر إلى قطع دراسته هناك بسبب العدوان الثلاثي على مصر، الذي شاركت فيه بريطانيا.

عاد نهار النصّار إلى مصر، حيث التحق بمجموعة من الشباب السعوديين كانت الحكومة قد أرسلتهم لدراسة الطيران، هم بهاءالدين أسعد، وعبدالحميد مالكي، وصادق رفيق، وبدرالدين عاشور، وفريد عقاد، ومحمد علي جستنية، ومراد أبو مسعود، وخضر حجار، ومصطفى نصرالدين، وهاشم صدقة، وعبدالحليم أولياء، وعبدالرحيم أولياء، وعبدالله قزاز، فاستكمل معهم دراسة علوم الطيران، في معهد مصر للطيران، حتى شهر نوفمبر عام ١٩٥٧م، حيث حصل على إجازة الطيران الخاص، وفقاً لما ذكره القائد الطيّار بهاء الدين أسعد.

ويستذكر القائد طيّار جزاع الشمري، وهو أحد أقدم الطيارين السعوديين، بعض أسماء الطيارين السعوديين الذين عادوا من مصر، ويقول إن نهار النصار عاد ليعمل طيّارا وتفرغ لمهنته التي لطالما حلم بها، أما زميله القائد بهاء الدين أسعد، ابن المدينة المنورة، فقد عمل طياراً ثم تولى إدارة المدرسة المعنية بتدريب الطيارين السعوديين عام ١٩٥٩م، وبذلك فهو أول مدير سعودي لمركز تدريب الطيران بجدة، كما تم اختيار عبد الحليم أولياء، ابن مدينة جدة، الذي عاد طياراً، ليُصبح مديراً للعمليات الجوية، أما ناجي عتيق فقد عمل طياراً لمدة ليست بالطويلة ثم رحل إلى الأردن، في حين عمل عثمان ماك طياراً على طائرة بوينق ٧٠٧.

ويتذكر القائد جزاع الشمري، أنه هو والقائد نهار النصار والقائد أحمد مطر، كلهم عملوا في أرامكو قبل دخولهم عالم الطيران، بيد أن نهار كان قد سبقهم بسنوات، وتبعه بعد مدة وعلى غير اتفاق مسبق القائد أحمد مطر ثم انضم إليهم القائد جزاع الشمري الذي يذكر بعض الأسماء التي عملت مع القائد نهار النصّار في قسم الرحلات الملكية مثل عبد العزيز الصمعان، وصالح قاري، وأخيه أحمد قاري، ومحمد عيد، وفيصل الرشيد، ومحمد خان وغيرهم.

شهادة الطيران

عاد نهار النصّار إلى المملكة وهو يحمل إجازة الطيران من معهد مصر للطيران، والتحق بالعمل في الخطوط الجوية العربية السعودية كمساعد طيار في الأول من ديسمبر عام ١٩٥٧م، وظل كذلك حتى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٨م، حيث أمر الملك فيصل رحمه الله الذي كان ولياً للعهد آنذاك بضرورة وجود قادة طائرات من السعوديين، لأن كل قادة طائرات الخطوط السعودية آنذاك كانوا من جنسيات أجنبية وقد تمكن نهار النصّار، مع زميله بهاء الدين أسعد، من اجتياز الاختبار اللازم، وأصبحا بذلك أول سعوديين ينالان رتبة قائد (كابتن) طائرة تجارية، على طائرات دي سي ٣، وكان نهار أصغرهما سناً إذ كانت سنه لم تتجاوز ٢٣ عاما ثم واصل القائد الطيّار نهار النصّار الطيران والتدريب على مختلف الطائرات التي انضمت إلى أسطول الخطوط السعودية.

وفي عام ١٩٥٩م، عُيِّن مسؤولاً عن الطلاب المتقدمين لدخول دورة الطيران في الخطوط السعودية مع استمراره في الطيران ومن بين طلاب الطيران الذين أشرف عليهم كان الكابتن أحمد مطر رحمه الله الذي أصبح فيما بعد مدير عام الخطوط الجوية السعودية، والذي قال عن معرفته وعلاقته بالكابتن نهار النصّار: «كان أول لقاء بيني وبين الكابتن نهار النصار رحمه الله في الظهران في شهر أكتوبر من عام ١٩٥٩م، أثناء أدائي الفحوص الطبية للالتحاق بمدرسة الطيران وقد بقيت علاقتي بالكابتن نهار مستمرة، وكانت علاقة احترام بكل المقاييس»

ويستذكر بعض زملاء النصّار فخره واعتزازه بما كان عليه والده وأجداده، فحين أصبح طيّاراً متميزاً على مستوىً عالمي، لم ينس أن يُعبّر عن فخره بأجداده الذين كانوا «جمّالين» يقودون أهم وسيلة نقل في عصرهم، فيما هو يواصل مسيرتهم بقيادة أحدث وسيلة نقل في عصره، وقد أشارت إلى ذلك صحيفة «ذا كانزاس ستي تايمز» الأمريكية في مقال لها، عن التطور في المملكة بعنوان «المملكة العربية السعودية تنطلق بأجنحة التغيير» نُشر في عددها الصادر يوم الإثنين الأول من فبراير عام ١٩٦٥م.



الكابتن نهار النصار -رحمه الله- في مقتبل شبابه

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠م، تزوّج القائد نهار النصّار، ومنّ الله عليه فرزق بابنته الكبرى؛ المهندسة شويكار، ثم ابنهُ المهندس نواف، وفي نهاية عام ١٩٦١م، ابتعث نهار النصّار إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على شهادة «طيار خطوط جوية»ATR من هيئة الطيران الفدرالية الأمريكية، التي يقول القائد جزاع الشمري إنها كانت أعلى شهادة في الطيران، وقد أنجز نهار دراسته واجتاز جميع الاختبارات النظرية والعملية المطلوبة، وحصل على الشهادة في مارس من عام ١٩٦٢م، كما شهدت نهاية عام ١٩٦٣م نجاح الكابتن نهار النصّار في اختبار الطيران على طائرة نفاثة من طراز بوينق بعد إنهائه التدرب عليها، فكان بذلك أصغر طيار سعودي وعربي، وأصغر طيار في العالم حتى ذلك التاريخ، يقود طائرة نفاثة، وفقا لما ذكرته صحيفة « ذا كانزاس ستي تايمز» في عددها الصادر يوم الإثنين الأول من فبراير عام ١٩٦٥م، وقد تلقى إثر هذا الإنجاز، برقية تهنئة من الأمير سلطان وزير الدفاع والطيران والمفتش العام آنذاك رحمه الله.

وفي عام ١٩٦٣م، أيضاً عُيِّن القائد نهار النصّار كبيراً للطيارين في الخطوط السعودية، ولكنه سرعان ما استعفى من هذا المنصب الإداري، مفضلاً الاستمرار في الطيران وفي عام ١٩٦٥م، كان القائد نهار النصّار من ضمن المجموعة التي اختارت الزي الرسمي للطيارين السعوديين، في الخطوط السعودية، وكان هو أوّل من ارتداه كما واصل الترقي في الطيران على طائرات بوينق النفاثة من طراز ٧٠٧ و٧٢٠ وصولاً إلى طراز ٧٤٧، حتى أصبح قائداً على هذه الطائرات.

طيّار الملك

وشهدت بداية الستينيات الميلادية، تطوراً كبيراً في مسيرة القائد نهار النصّار المهنية، فقد كان كبيرُ الطيارين في الخطوط السعودية أنذاك «الكابتن سام بقلر»، هو الذي يتولى قيادة الطائرة في الرحلات الملكية، وكان القائد نهار النصار مساعداً له ولكن منذ عام ١٩٦٣م، أصبح القائد نهار النصار هو من يقود الطائرة الملكية، واستمر على هذا حتى وفاته، رحمه الله وقد أقلّت الطائرات التي قادها نهار النصّار كلاً من الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد، والملك عبدالله، عندما كان ولياً للعهد، والأمير سلطان، رحمهم الله جميعاً.

ويتذكر القائد طيار جزاع الشمري مجموعة من الرواد الأوائل الذين كانوا مع القائد نهار النصّار ضمن المجموعات الأولى من دفعات الطيران المدني؛ كالقائد عبد العزيز الصمعان، والقائد محمد خان، بالإضافة إلى عدد من الطيارين الأمريكيين كالقائد سام بقلر، الذي أشرنا إليه آنفا، والذي كان مع القائد نهار النصّار في قيادة طائرة الملك فيصل، رحمه الله، في رحلته المشهورة من مدريد إلى الولايات المتحدة.

ويواصل القائد جزاع الشمري حديثه عن هذه الرحلة فيقول: كانت طائرة الملك فيصل رحمه الله متجهة من مدريد إلى الولايات المتحدة، بقيادة القائد طيار نهار النصّار وزميله سام بقلر، وبينما كانت الرحلة في طريقها إلى الولايات المتحدة، متجاوزة الحدود الإقليمية لجمهورية البرتغال، وسط مياه المحيط الأطلسي، تعرضت إلى بعض الأعطال، مما دعا القائد نهار النصّار لأن يخبر الملك فيصل بالأعطال ويطلب توجيهاته بيد أن الملك قال له: أنت قائد الطائرة وأنت أعلم بحالها، لذلك اعمل بما يقتضيه عملك ولا حرج عندها رأى القائد نهار ضرورة العودة إلى أقرب مطار، وهو مطار لشبونه عاصمة جمهورية البرتغال، وبعد الإذن بالنزول في مطار لشبونة، وما إن نزل الملك فيصل إلى المطار إلا ووجد رئيس الوزراء البرتغالي في انتظاره هناك، دون موعد سابق، ويرى البعض أن هذا اللقاء أسهم في عودة العلاقات العربية مع جمهورية البرتغال التي كانت متأثرة لأسباب تتعلق بالقضية الفلسطينية.

وفي عام ١٩٦٨م، عُيّن القائد نهار النصّار مدربا للطيارين على طائرات البوينق ٧٠٧ في الخطوط الجوية العربية السعودية، مع استمراره في الطيران، وفي عام ١٩٧١م، أصبح مشرفا على طائرات البوينق، كما أكمل في نفس العام رحلة حول العالم مع الملك فيصل رحمه الله، وكانت هذه أول رحلة تقوم بها الخطوط الجوية العربية السعودية حول العالم، وكان هو أول طيار يقوم بمثل هذه الرحلة وفي عام ١٩٧٣م عُيّنَ مديراً إدارياً لتدريب الطيارين مع استمراره بالطيران وفي عام ١٩٧٤م عين مساعداً لمدير التدريب بجانب عمله في الطيران وكمدرب للطيارين .

وفي سبتمبر من عام ١٩٧٥م، كُلّف القائد نهار النصّار إنشاء قسم للرحلات الملكية يكون مستقلاً عن العمليات الاعتيادية للخطوط الجوية السعودية، فكان بذلك أول من أسّس هذا القسم، ورغم مسؤولياته هذه استمر الكابتن نهار النصّار بالعمل قائداً للطائرة الملكية وفي عام ١٩٧٦م عُيّن مديراً لعمليات الرحلات الملكية مع استمراره في الطيران، وبعدها بعام واحد اي في عام ١٩٧٧م أصبح أول مدير عام لعمليات الرحلات الملكية وفي منتصف عام ١٩٩٣م،عُيِّن مساعداً لمدير عام الخطوط السعودية لعمليات الرحلات الملكية، وخلال مسيرته المهنية الحافلة حاز النصّار العديد من الأوسمة وشهادات التقدير.

في عيونهم

ويؤكد كلٌ من عرف القائد نهار النصّار أنه تميز بالاعتدال، وحسن الخلق، وكان محبوبا من أهله وذويه وزملائه، هادئ الطباع محباً للاطلاع على كل جديد، خاصة في مجال الطيران وكان منضبطا دقيقاً يحب الالتزام في العمل، ويذكر زميله؛ القائد جزاع الشمري، أنه كان شخصا محبوباً ومتمكنا ومحباً لعمله، كما ذكر القائد الخبير عبدالله وزنة، أن نهار النصّار هو أستاذه ومعلمه على طائرة البوينق ٧٠٧، كما كان زميله فيما بعد ويتذكر القائد وزنة كيف كان اسم نهار متداولاً بين الطلاب الطيارين، الذين كان اسمه يتردد على مسامعهم أثناء التدريب، وعلى ألسنة أساتذتهم ومدربيهم، حتى أنهم كانوا حريصين على رؤيته، لأنه يكاد يكون السعودي الوحيد بين مجموعة من الطيارين الأمريكيين، ويضيف القائد وزنة أن نهار كان اجتماعياً بطبعه، نظامي في شؤون حياته، وكان عازفاً بقدر ما يستطيع عن تولي المناصب والانشغال بشؤون الإدارة، راغباً في التفرغ لمهنته التي طالما كان يحلم بها في مقتبل شبابه وهي الطيران وكان اجتماعيا، كما يتذكر القائد الطيّار عبد العزيز الحلواني كيف أن زملاء القائد نهار النصّار، آنذاك كانوا يطلقون عليه لقب «طيّار الملك»، وذلك لارتباطه وتفرُّغه، بشكل تام تقريباً، للعمل مع الملوك؛ بدءاً من الملك سعود، ثم الملك فيصل، ثم الملك خالد، فالملك فهد رحمهم الله، ويصفه الحلواني بأنه كان رجلاً نظامياً مخلصاً في عمله، وبأنه أول طيار سعودي يعبر المحيط، كما أنه من ذلك الرعيل الذين أزاحوا، بالتدريج، شركة تي دبليو أي (TWA) الأمريكية، لإحلال الكفاءات السعودية محلها فيما يقول القائد الخبير أحمد سايس إن نهار النصار كان رجل المرحلة، لاسيما وأنه من السعوديين القلائل الذين شهدوا مرحلة الريادة في مجال الطيران المدني مُتذكراً أنه كان يزامله في الرحلات الملكية، ويحل محله حال غيابه أو أثناء تمتعه بإجازته السنوية.

وفاته

في صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر عام ١٤١٥هـ، الموافق للثالث من أغسطس عام ١٩٩٤م، وفي المستشفى العسكري بمدينة جدة، انتقل إلى رحمة الله تعالى الكابتن طيّار نهار بن عبدالرزاق بن محمد النصّار، بعد صراع مرير مع المرض دام أربعة أشهر، فانتهت بذلك حياة كريمة خدم فيها وطنه تسعة وثلاثين عاماً، وطار خلالها ثمانية عشر ألف ساعة وسبع دقائق وتسع عشرة ثانية، وكان واحداً من الرواد الذين اقتحموا، بجرأة ومثابرة وكفاءة وتميز، مجال الطيران الذي كان حُلما يُراود الكثيرين، وتقوم عائلة الكابتن نهار النصّار حاليا بجمع تفاصيل سيرته لنشرها في كتاب سيصدر قريباً بهدف تقديم نموذج واقعي يمكن أن يقتدي به الجيل الجديد من أبناء الوطن في مواجهة مصاعب الحياة وتحدياتها، في سبيل تحقيق الأحلام والطموحات، سواءً أكان هذا الجيل طامحا للعمل في مهنة الطيران أو غيرها من المهن، رحم الله القائد نهار النصّار رحمةً واسعة.



النصار خلال زيارته لمصنع «رولز رايس» لصناعة محركات الطائرات

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

نال ثقة الملك عبدالعزيز فكلفه بمهام دقيقة وعين ابنه محمد كاتباً لديوانه الخاص ورئيساً لشعبة المحاسبة والأعطيات

عبدالله أبوعبيد.. الدبلوماسي المحنك

■ من يقرأ تاريخ تأسيس المملكة في بدايات نشأتها في العقد الثاني من القرن الهجري المنصرم سيقف على عدد من الأسماء والإعلام الذين كان لهم بعد توفيق الله سبحانه وتعالى يدا طولى في الوقوف مع الملك المؤسس، لاسيما أولئك المحاربون الأوائل الذين مافتئ المؤسس يتذكرهم ويلمّح بطولاتهم وتضحياتهم في مجالسه ومنتدياته ولقاءاته الصحفية ورواياته التاريخية، لاسيما تلك التي جمعته بعدد من أدباء ومؤرخي العالم العربي والإسلامي كالريحاني والزركلي ومحمد أسد وغيرهم من الرحالة والمستشرقين، ولاشك أن ثلاثين عاما قبل التأسيس كانت حافلة بالملاحم والمعارك والتحالفات والمواثيق التي خاضها وعقدها الملك المؤسس بمعية رجاله وأصدقائه.

وكان عبدالله بن عبدالرحمن أبوعبيد من بين أولئك الأوائل الذين نالوا ثقة الملك عبدالعزيز فكلفه بمهام دبلوماسية وإدارية عديدة، وينتمي عبدالله أبوعبيد لأسرة أبوعبيد التي تسكن الرياض من قرابة مائتي سنة وعملت في خدمة الدولة السعودية منذ الدولة السعودية الأولى، وكانت قد نزحت مع عدد من أسر الرياض المعروفة من بلدة "أبا الكباش" التي تقع شمال غرب مدينة الدرعية، بالقرب من بلدة العمّارية، وذلك بعد دخول إبراهيم باشا للدرعية عام ١٢٣٣ هـ، في حين عمل مع الملك عبد العزيز ثلاثة أجيال هم عبدالله أبوعبيد وابنه محمد وأحفاده عبدالرحمن وعبدالله.

ولد عبدالله أبوعبيد في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري أي بعد عام ١٢٨٠هـ وتوفي عام ١٣٣٧هـ في العام الذي عرف بين أهالي نجد بسنة الرحمة، والتي شهدت انتشار وباء في نجد والأحساء والخليج والعراق، بعد انتشارها في أنحاء كبيرة من العالم وعرف هذا الوباء عالميا بالحمى الأسبانية، وقد استمرت لمدة ثلاثة أشهر توفي فيها كثير من الناس، وقد عزاها البعض للآثار المترتبة على ارتفاع نسبة الأوبئة بعد انتشار الموت والجثث في الحرب العالمية الأولى.

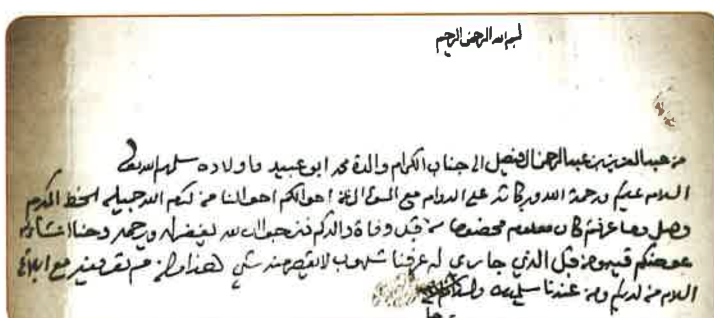
كان عضواً في وفد حمل رسالة المؤسس إلى السلطان العثماني ونال وسام الدولة العثمانية



كان أبوعبيد ضمن الوفد الذي أرسل إلى السلطان العثماني في أسطنبول



وسام الدولة العثمانية الذي تسلمه أبوعبيد وأعضاء الوفد خلال المهمة



بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب الملك عبدالعزيز إلى والدة محمد أبوعبيد للسؤال عن أحوالهم

مهمته الدبلوماسية

بالإضافة إلى تعيين الملك عبدالعزيز لعبدالله أبو عبيد أميرا لبعض المدن، فقد كانت مهمته الدبلوماسية التي كلفه بها الملك عبدالعزيز بزيارة الخليفة العثماني أبرز الأعمال والمهام التي أوكلت إليه، حيث أمر الملك المؤسس بتشكيل وفد برئاسة صالح بن عذل وعضوية عبدالله أبو عبيد ومبارك بن مبيريك وكلفهم بحمل رسالة إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني في أسطنبول حول جلاء القوات العثمانية من القصيم بعد سيطرته عليها، كما أراد الملك من خلال إرسال هذا الوفد تحسين العلاقة مع العثمانيين، ولا شكّ أنّ هذا الاختيار لهذه المهمة الصعبة يعود إلى ثقة الملك الكبيرة بشخصيات أعضاء الوفد وقدراتهم الدبلوماسية والتفاوضية.

ولقد ذكر المؤرخ الدكتور خليفة بن عبدالرحمن المسعود فيما كتب عن هذه الرحلة أنه قد صاحب ترحيل القوات العثمانية من القصيم عام ١٣٢٤هـ -١٩٠٦م- إلى المدينة المنورة والعراق معاملة حسنة من قبل الملك عبدالعزيز رغم ما أبداه أولئك الجنود من العداء ضده، ولم يكن العثمانيون يتوقعون تلك المعاملة الحسنة الأمر الذي جعل السلطان عبدالحميد الثاني يبادر في أواخر عام ١٣٢٤هـ -١٩٠٦م- بعد قرابة شهرين من ترحيلهم بإرسال وفد إلى الرياض يحمل الشكر للملك عبدالعزيز على تلك المعاملة ويطلب منه إرسال ممثل إلى الاستانة على رأس وفد لإبراز مظاهر التكريم له والتفاوض معه لتحسين العلاقات بين الجانبين.

انطلاق الوفد

وانطلق الوفد من الرياض في ذي الحجة من عام ١٣٢٤هـ متجها إلى الكويت فالبصرة ثم بغداد، حيث استقل القطار إلى العاصمة العثمانية بعد التنسيق مع قائد البصرة العثماني عزت باشا الذي كان الوسيط في تسهيل مهمة الوفد وتنقلاته، وقد حمل الوفد رسالة خطية من الملك عبدالعزيز إلى السلطان عبدالحميد الثاني تضمنت تأييده للدولة العثمانية وإبداء الصداقة معها، كما تضمنت طلبا بالاهتمام بأعضاء الوفد المرسل وتكريمهم مع تكريم بعض المسؤولين والقادة العثمانيين الذين أبدوا تعاونا وحسن تصرف خلال بقائهم في نجد بالإضافة إلى نصائح صادقة حول الأسلوب الذي ينبغي أن تسلكه الدولة العثمانية في سياستها إزاء العالم العربي.

وسام عال

وقد وصل الوفد الدبلوماسي إلى العاصمة العثمانية بداية عام ١٣٢٥هـ، ونزل ضيفاً على السلطان العثماني وسلمه رسالة الملك عبدالعزيز، وقد أصدر السلطان العثماني بعدها قراراً بمنح الملك عبدالعزيز وسام الدولة العثمانية من الدرجة الأولى، وأجاب طلب الملك عبدالعزيز بتكريم الوفد وذلك بناء على قرار أصدره السلطان في ١٧ رجب ١٣٢٥هـ، ٢٦ أغسطس ١٩٠٧م وتوجد نسخة منه في الأرشيف العثماني في أسطنبول في قصر "يلدز"، ومما ورد في نص قرار السلطان ما يلي: "بناء على المعروض الذي قدمه عبدالعزيز آل سعود إلى مقام حضرة الخليفة والذي يحوي تأييده للصداقة في المعروض الذي أرسله مع الشيخ صالح أفندي -يقصد صالح العذل- إلى أسطنبول والذي يحوي بعض الطلبات والخطاب المقدم من عزت باشا قائد البصرة وبعد اطلاع المقام العالي على ذلك تم إرسالها للصدارة العظمى وقد تقرر فيها منح عبدالعزيز آل سعود مؤقتا وسام الدولة العثمانية من الدرجة الأولى وشارات مناسبة وذلك بناء على ظهور الشارات الباهرة من تقديم صداقته، كما جاء في خطاب السلطان العثماني قوله: "وقد تمت الموافقة على طلبه بتلطيف بعض الأشخاص منهم الشيخ صالح أفندي المذكور وحاجي إبراهيم أفندي من أهالي نجد وأحمد شهاب الدين أفندي إمام الكتيبة الثانية للفوج الأربعين ومحمد جمال الدين أفندي مدير قائم أعمال نجد ومن أهالي الرياض والقصيم عبد الله أبو عبيد ومبارك أفندي -مبارك بن مبيريك-".

وقد جرى خلال مراسم استقبال الوفد تقديم وسام عال الرتبة لكل عضو من أعضاء الوفد تعبيراً عن التقدير لهم بناء على طلب الملك عبدالعزيز، وما زال أحفاد عبدالله أبوعبيد محتفظين بهذا الوسام بعد مرور ١١٢ عاماً على هذه المهمة الدبلوماسية.

رواية الريحاني

وقد ذكر أمين الريحاني في (تاريخ نجد الحديث) أنه سأل الملك عبدالعزيز عن هذا الوفد، فعرفه الملك على صالح بن عذل -حيث كان الوحيد من أعضاء الوفد على قيد الحياة في ذلك الوقت-، فكتب: "أتيح لي الاجتماع بصالح باشا بن عذل يوم كنت في الرياض، فألفيته شيخاً جليلا يحمل في أيام السلم عصا من الشوحط، ومثل أكثر أهل نجد لا يكثر الكلام، اجتمعت به في أبو مخروق يوم خرج عظمة السلطان -أي الملك عبدالعزيز- للنزهة وكنا في معيّته، وكان عظمته قد حدثني عن ذلك الوفد فرغبت في التعرف على أحد رجاله، ففاجأني عندما كنا جالسين في ذلك الغار قائلا: "هذا صالح العذل"، ثم ناداه: "يا باشا، يا باشا، تعال تعرّف على الأستاذ"، جاء صالح باشا يبتسم، وجلس مثلنا على الأرض، فسألته إذا كان سُرٌ في إقامته بالاستانة؟ فأجاب موجزا: ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلونا منها".

سنة الرحمة

توفي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبو عبيد -رحمه الله- عام ١٣٣٧هـ في سنة الرحمة، في حين استمر ابنه محمد في منصبه بديوان الملك المؤسس وهو الذي التحق بالعمل مع الملك عبدالعزيز -هو ووالده- منذ دخول المؤسس مدينة الرياض، ولذا فقد حرص الملك -طيب الله ثراه- على مستقبل أبناء عبدالله أبوعبيد والعناية بهم، لاسيما وأنهم أبناء أحد رجاله القدماء، فمع كون ابنه محمد كاتباً بديوانه الخاص عيّنه أيضاً رئيساً لشعبة المحاسبة والأعطيات في الديوان، وكانت ولادة محمد بن عبدالله أبوعبيد عام ١٣٠٤هـ وتوفي -رحمه الله- عام ١٣٤٩هـ، كما عين حفيده عبد الله بن محمد أبوعبيد، مرافقاً له بعد وفاة والده حيث ولد عبدالله عام ١٣٣٨هـ وتوفي رحمه الله عام ١٤٢٦هـ.

كاتب الملك

قبل رحلة عبدالله أبوعبيد إلى أسطنبول بست سنوات، استدعى الملك عبدالعزيز ابنه محمد الذي كان إماماً لمسجد المرقب ومن كبار طلبة العلم، حيث عُرف وتميّز بوضوح وحسن الخط، فعينه الملك عبدالعزيز كاتبا له في ديوانه الخاص ليكون من أوائل كتاب الملك عبدالعزيز بعد دخوله مدينة الرياض عام ١٣١٩هـ، كما ذكر ذلك المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد في كتابه عن قصر الحكم، وقد كانت أغلب خطابات الملك عبدالعزيز قبل عام ١٣٤٨هـ قد كتبت بخط محمد أبوعبيد، كما ورد في مجلة العرب التي أسسها الشيخ حمد الجاسر، وقد عاصر المؤرخ الشيخ سعد بن عبدالعزيز الرويشد -رحمه الله- محمد أبوعبيد أثناء عمله في الديوان ووصفه في حوار صحفي بأنه "الكاتب الخاص للملك عبدالعزيز وخطه جميل وهو رجل عاقل صاحب دين ونزاهة".

ونظراً لطبيعة عمله كاتباً في ديوان الملك، فقد صاحب محمد أبوعبيد الملك عبدالعزيز في كثير من رحلاته، وقد أورد رشدي ملحس مستشار الملك عبدالعزيز في مقال له في جريدة أم القرى اسم محمد أبو عبيد مرافقاً للملك عبدالعزيز في رحلته من مكة إلى الرياض من ٢٤ إلى ٢٩ ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ والتي استقل فيها الملك عبدالعزيز ومرافقوه السيارات للسفر في هذه الرحلة.

شعبة الأعطيات

ويذكر المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد في كتابه (قصر الحكم) أنه بعد تنظيم الشعب في قصر الحكم، أسند الملك عبدالعزيز إلى محمد أبوعبيد مهمة رئاسة شعبة المحاسبة والأعطيات في الديوان الملكي، وهذا يعكس ثقة الملك في محمد أبوعبيد لنزاهته وسمعته كطالب علم، وقد كانت الهبات والأعطيات تنقسم إلى عدة أنواع مثل: الشرهة والقاعدة (ثابتة) والبروة والمعونة والكسوة والضيافة، وهي مفردات ومصطلحات تعدد ذكرها في رسائل وخطابات الملك عبدالعزيز لرجاله المسؤولين عن المالية والمحاسبة كابن سليمان وأبوعبيد وابن شلهوب.

جروح المعركة

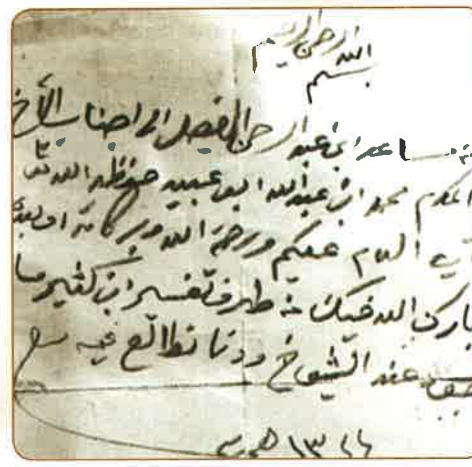
كان للكتبة قبل تنظيم الشعب في ديوان الملك أدوار منها تعبئة الجيش، حيث كان التقليد المتبع أن يصدر الملك من ديوانه في قصر الحكم أمراً مختوماً يتولى إبلاغه وتوزيعه كتبة الديوان، ولعل أبرز المعارك التي قام محمد أبو عبيد بتجهيزها معركة السبلة التي حدثت في شوال عام ١٣٤٧هـ بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها بقيادة الملك عبدالعزيز وبين بعض الإخوان بقيادة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد في روضة السبلة ما بين الأرطاوية والزلفي والتي انتهت باحتواء الملك عبدالعزيز لهذه الأزمة وإعادة أهلها لهجرهم وأراضيهم، ويعتبر بعض المؤرخين أن هذه المعركة هي آخر المعارك الرئيسية التي خاضها الملك في سبيل تأسيس المملكة، وقد شارك محمد أبوعبيد في القتال إلى جانب الملك عبدالعزيز وأصيب بطلقة نارية في فخذه، وقد عانى منه كثيراً بيد أنه توفي بعدها بعام ونصف رغم أنه عولج وشفي من إصابته.

وفاء المؤسس

كان الملك عبدالعزيز حريصاً على الوفاء مع كاتبه الخاص محمد أبوعبيد حيث حرص -طيب الله ثراه- على إرسال ابنيه الملك سعود والملك فيصل نيابة عنه مع محمد أبوعبيد إلى الدرعية بمناسبة زواج عبدالرحمن الابن الأكبر لمحمد أبوعبيد، وكان يتابع حالته الصحية بعد إصابته ويسأل عنه، وقد توفي محمد أبوعبيد عام ١٣٤٩هـ عن عمر يناهز الخمسة وأربعين عاماً إثر معاناة مع المرض لمدة سنة وخلّف ثلاثة من الأبناء وهم عبدالرحمن وعبدالله وعبدالعزيز -رحمهم الله-، وقد أرسل الملك عبدالعزيز إلى نورة بنت نجيم والدة محمد أبوعبيد عدة رسائل للاطمئنان عن حالها وحال أبناء محمد وقد أظهر الملك في خطاباته حنوه على أبناء من عملوا معه معربا بأنه سيكون عوضاً لهم عن فقيدهم ناقلا سلامة وجزيل تحياته وأبنائه لذوي سفيره القديم عبدالله أبوعبيد وأسرة ابنه وكاتبه محمد بن عبدالله أبوعبيد، بل أنه -طيب الله ثراه- استدعى أبناء الفقيد الثلاثة وعرض على اثنين منهم العمل معه وملازمته، في حين كان الثالث صغيراً في السن، فعمل عبدالرحمن في قصر الملك في حين عمل عبدالله مرافقا للملك المؤسس إلى حين وفاته وقد رافقه في رحلاته إلى أرامكو في الظهران وإلى الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في البحرين عام ١٣٥٨هـ، أمّا عبدالعزيز بن محمد أبوعبيد فكان صغيراً ولم يتجاوز حينها السنتين من العمر، ومع هذا فلم تنقطع زيارات الملك عن أحفاد سفيره عبدالله أبوعبيد كعادته مع كثير ممن رافقوه في مشواره الطويل في بناء وتأسيس المملكة.



شارك محمد بن عبدالله أبوعبيد في معركة السبلة



أحد الخطابات الموجهة إلى محمد بن عبدالله أبوعبيد

الجمعة غرة ذي الحجة ١٤٣٧هـ - ٢ سبتمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٠٢ - السنة الثالثة والخمسون
AL RIYADH - 17602- 53rd Year -FRIDAY-2- 9 - 2016
الرياض

سطور المشاهير

خدم دينه ووطنه ونال شرف إدارة مشروعات «المسجد الحرام» و«المسجد النبوي» وإصلاح «قبة الصخرة» بالقدس

محمد القزاز.. رجل الخير والعلم والزهد

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

■ يعتبر الشيخ محمد صالح القزاز -رحمه الله- من رجال مكة المكرمة البارزين، حيث عرف بأعماله الخيرية الجليلة، وخدم دينه ووطنه ونذر نفسه وماله في سبيل عقيدته، وسعى جاهدا لخدمة الدعوة الإسلامية، ونال شرف إدارة مشاريع أعظم ثلاثة مساجد الإسلام، حيث رشح لإدارة مشروع العمارة الأولى للمسجد النبوي الشريف، ثم لإدارة مشروع العمارة السعودية الأولى للمسجد الحرام، ثم لإدارة مشروع إصلاح قبة الصخرة بالقدس، ولم يكن يتقاضى أجرا مقابل تلك الأعمال وابتغاها خالصة لوجه الله، فكافأه الله بحب الناس وولاة الأمر له، وترجمت تلك المحبة واقعا ملموسا حيث عينه الملك فيصل رحمه الله عندما كان وزيرا للخارجية بمرتبة وزير مفوّض، ليتقاضى أجرا ومرتبا شهريا ينفقه على من يعول.

وتقلد الشيخ القزاز مجموعة من المناصب، كرئاسته لرابطة العالم الإسلامي، حيث كان يعمل على إنجاز مشروعات وأهداف الرابطة بتفان وإخلاص وهيأ لها أدواراً جليلة لخدمة الإسلام والمسلمين في أصقاع المعمورة إضافة لتوليه منصب مدير عام مديرية شؤون الحج، ومدير شؤون الزراعة ودوره البارز في مدارس تحفيظ القرآن الكريم منذ أن كانت نواة في المهد ثم انتشرت في كافة المناطق.

ولد القزاز بمكة المكرمة سنة ١٣٢٠هـ. ويقول المؤرخ محمد بن علي مغربي في "أعلام الحجاز" أنه تلقى تعليمه فيها، فتعلم القراءة والكتابة، ونشأ كأقرانه من الفتيان في بيئة خصبة للعلم، فحفظ القرآن الكريم كاملا في سن مبكرة، وكان جهوري الصوت يحسن القراءة والترتيل وتولى إمامة الناس في صلاة التراويح كما كان يفعل أمثاله من حفظة القرآن الصغار، وانتقل -رحمه الله- مع أسرته في أواخر العهد الهاشمي إلى الطائف حيث أسندت إليهم إعاشة الجند هناك وكان منزله وأخوه الشيخ أحمد القزاز بجوار باب الريع، دار ضيافة للقادمين من أعيان المكيين.

عين وزيراً مفوضاً في عهد الملك فيصل وترأس رابطة العالم الإسلامي وتولى شؤون الحج والزراعة والمالية والجمارك

أسرة قزاز

أسرة القزاز أسرة حجازية عريقة وكريمة من أعيان مكة المكرمة ووجهائها ويستشهد أبناء هذه الأسرة الكريمة بما ذكر في مخطوط "مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم" للشيخ عبدالستار الدهلوي حيث ذكر البيوت المعروفة والعوائل المشهورة من سكان البلد الحرام "ومن البيوت المعروفة الآن بيت القزاز أهل طوافة وتجارة ونقلا عن كتاب "حارة الشامية والحارات المجاورة لها" لفوزي ساعاتي حيث ذكر ما يلي "انفردت محلة القرارة باحتوائها دارا لصناعة القزاز تشتهر بالدولاب في حوش القزاز وبها معدات لصنع القزاز تتمثل في المهاريس والأفران والقوالب والمنافخ والملاقيط وكان أول من عمل في صناعة الزجاج في مكة في محلة القرارة هو أبوبكر القزاز منذ القرن التاسع الهجري ثم توارثها أبناؤه لغاية اندثارها، والدار هي ملك عبدالغني بن عبدالرحمن قزاز وإخوانه عبدالحي وعثمان وصالح - وفي ظل الدولة العثمانية عهد إليهم بصناعة القناديل التي توضع عند الأبواب والرواقات وصحن المطاف وكانت لهم وظيفة دائمة بعنوان "قزاز المسجد الشريف"، ولهم مرتبات شهرية وكان آخر من اشتغل في صناعة القزاز الشيخ هلال شيت والد الشيخ حمزة شيت من أسلاف القزازين "أما مساكن الأسرة فيذكر أبناؤها أنه كان في جبل هندي في حارة الشامية التي يوجد بها كبار بيوت آل القزاز ومنهم عميدهم عبدالوهاب يحيى صالح قزاز وزير الأشغال في حكومة الأشراف والشيخ عثمان بن عمر قزاز مدير بيت المال في عهد الملك عبدالعزيز والوجيه حسن بن عبدالحي بن عابد قزاز وغيرهم.

بائع الحرير

أما أصل تسمية "قزاز" فقيل إنه يعود إلى أن كلمة قزاز في أصلها تعني بائع الحرير وناسجه نسبة إلى دودة القز لكن ليس هذا هو سبب التسمية وعلى الرغم أيضا من أن جد هذه الأسرة المكية الكريمة "أبوبكر القزاز" الذي عاش في القرن التاسع الهجري قام بتأسيس مصنع الزجاج بمكة بالقرارة، إلا أن أبناء الأسرة لا يميلون أيضا إلى أن هذا هو سبب التسمية وكما ورد في كتاب مكة المكرمة في شذرات الذهب (للغزاوي) تحت عنوان مصانع مكة المكرمة "من الحق والإنصاف أن نذكر أنها ليست المرة الأولى بمكة (ويقصد المؤلف هنا المصانع) فقد سبقها أو لحقها مصنع كبير للزجاج - بمحلة القرارة ومازال محله وأثره وآلاته تشاهد، وكان مؤسسه الأول جد الأسرة القزازية الكريمة، وذلك لا يعدو القرن الحادي عشر أو الثاني عشر وكان ينتج كل ما تحتاجه البلد من (فناجين القناديل) ذات الفتايل التي توقد بالزيت أو الشحم ويؤمن لزوم (الزينات والحفلات والزفافات) وانصرف أهله إلى التجارة، كما ورد في كتاب الأوائل لمكة في عهد الملك عبدالعزيز وأبنائه للشريف محمد بن مساعد الحسني أنه أول من أبطل إضاءة المسجد الحرام بالزيت "القناديل" وأضاءه بمصابيح اللوكسات "الأتاريك" هو الشريف الحسين بن علي أمير مكة في عام ١٣٣٥هـ واستمرت إلى منتصف عام ١٣٣٨هـ ثم أبدلها بالكهرباء في عام ١٣٣٩هـ فهو أول من أضاء المسجد الحرام بالأتاريك ثم الكهرباء إلا أنه هجر المصنع تم قبل ذلك بأعوام كثيرة ولا يعرف السبب، وقد تم بيع بقايا المصنع في القرن الرابع عشر حيث قام الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن صالح القزاز ببيع بقاياه ووزع الحصص على أفراد العائلة وفي جريدة أم القرى ع ٧٥١ (١٥/٣/١٣٥٨هـ - ٥/٣/١٩٣٩م) وفي ظل الدولة العثمانية عهد إلى آل قزاز بصناعة القناديل التي توضع عند الأبواب والرواقات وصحن المطاف وكانت لهم وظيفة دائمة بعنوان "قزاز المسجد الشريف" ولهم مرتبات شهرية وكان آخر من اشتغل في صناعة القزاز المرحوم الشيخ هلال شيت والد الشيخ حمزة شيت من أسلاف القزازين، كما ورد ذلك في جريدة صوت الحجاز في عددها الخمسين يوم (الاثنين ٢٣/١١/١٣٥١هـ-٢٠/٣/١٩٣٣م) واشتهرت أيضا ببرحة القرارة.

حياته العملية

ويحكي عبد القدوس الأنصاري قصة تدرج الشيخ محمد قزاز بالمهام والمناصب الحكومية فيقول: عين الشيخ محمد صالح القزاز في بداية حياته أمينا للصندوق في مالية الطائف، وفي العهد السعودي تولى مديرية المالية، ثم عين مديرا لمالية مكة المكرمة، بعد ذلك اختير ناظرا عاما للجمارك، حيث كان الاعتماد على واردات الجمارك قبل ظهور النفط وتسويقه وفي عام ١٣٦٥هـ شغل الشيخ محمد القزاز منصب مدير عام، ومساعد لمديرية شؤون الحج إلى جانب رئيسه وصديقه الشيخ محمد سرور الصبان ثم أصبح مديرا لها سنة ١٣٦٨هـ وحينما قررت الدولة تشكيل مديرية لشؤون الزراعة اختير مديرا لها الى جانب عمله كمدير لإدارة الحج وفي ذلك الوقت كانت مدينة جده تشح بالماء، فعمد الملك عبد العزيز رحمه الله لجلبه من عيون وادى فاطمة لإسالتها الى مدينة جدة فاختار الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية إذ ذاك الشيخ صالح قزاز للمفاوضة مع ملاك العيون لشراء وجبات الماء واشترك معه في هذه المهمة رجال آخرون، وفعلا فقد تم شراء ٨ عيون، وقد مكن ذلك الدولة من إيصال الماء إلى مدينة جده، في قنوات تمتد من وادي فاطمة إلى المدينة، مما كان سببا في تطور مدينة جدة واتساعها ونظرا لأمانته وإخلاصه وإتقانه الأعمال المناطة به كلفه وزير المالية الشيخ عبدالله بن سليمان إدارة مشروع العمارة السعودية الأولى للمسجد الحرام، كما أسندت إليه أيضا إدارة مشروع إصلاح قبة الصخرة بالقدس الشريف، ويشير المؤرخ المغربي إلى أن الله جمع لهذا الرجل الإشراف على تعمير أعظم مساجد الإسلام في مكة والمدينة وبيت المقدس.

أما قصة تكليفه بهذه المهمة الشريفة فيحكيها لنا ابن عمه الكاتب ورجل الأعمال حسن قزاز حيث يقول: " في بداية عام ١٣٧١ هـ كنا بعوائلنا (عوائل آل قزاز) جميعا في زيارة المسجد النبوي الشريف، وفي ضحى أحد الأيام اصطحبني الشيخ صالح إلى المسجد وصلينا في الروضة المطهرة الشريفة، ثم وقفنا مسلمين على الرسول صلى الله عليه وسلم والتفت الشيخ صالح إلي قائلا "أتمنى أن أحصل على راتب تقاعد مقداره ألف ريال شهريا أعيش به في هذا المكان الطاهر بجوار المسجد النبوي الشريف وأقضي بقية عمري في هذه الرحاب الطاهرة، فقلت له" يا عم صالح إنك لا تزال في عنفوان رجولتك وأمامك الحياة طويلة ودواعي الطموح كثيرة، فقال الشيخ صالح "إن شعورا خفيا يدفعني لهذه الأمنية وارجو أن يحققها الله".

ويتابع الأستاذ حسن قزاز حديثه: "ثم عدنا من المدينة إلى الطائف ومضت سنون، وأقام الشيخ صالح قزاز وأخوه الشيخ أحمد في منزلهما بالطائف، حفلا لتكريم معالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية رحمهم الله جميعا، وفي هذا الحفل أعلن الشيخ عبد الله سليمان أن جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله أمره بعمارة المسجد النبوي الشريف، وذلك بعد أن ذكرت الصحف المصرية أن تصدعا حدث في بعض الأعمدة، ودعا مصطفى النحاس باشا المسلمين إلى التبرع لعمارة المسجد، وتقدم البعض بتبرعاتهم ولكن الملك عبد العزيز رحمه الله أبى أن يقبل تبرعا من أي جهة كانت وأعلن قائلا " نحن أولى بتعمير المسجد الشريف، وطلب أن تعاد للناس تبرعاتهم، وأصدر أمره إلى وزير ماليته الشيخ عبد الله السليمان لتنفيذ العمارة المطلوبة، وكلف السليمان المعلم محمد بن لادن بالقيام بالعمارة التي تشمل إزالة التصدعات وتوسعة المسجد، وطلب الشيخ بن لادن اختيار رجل كفؤ ليقوم بعبء الأعمال الإدارية لهذا المشروع العظيم لأنه سيتفرغ للأعمال الهندسية وأعمال البناء، فاختار الوزير السليمان الشيخ صالح قزاز ليكون الرجل الإداري الذي يطلبه المعلم محمد بن لادن. وتحققت أمنية الشيخ صالح قزاز، وانتقل إلى المدينة المنورة وللعلم فإن الشيخ محمد صالح القزاز لم يكن يتقاضى أجرا حينما كان يقوم بإدارة الأعمال في المسجد النبوى، والمسجد الحرام وإصلاح مسجد قبة الصخرة في بيت المقدس، حيث كانت رغبته أن يكون عمله في إدارة هذه المشروعات لوجه الله تعالى . وقد كتب الشيخ صالح القزاز خطابا سريا الى جلالة الملك فيصل وكان نائبا لوالده فى الحجاز يرحمهما الله تعالى، كتب إليه بأنه لا يتقاضى من المعلم أجرا نظير قيامه بهذا العمل، وطلب من سموه تدبير راتب شهري له يعيش وأسرته عليه واستجاب رحمه الله فأصدر أمرا الى وزارة الخارجية وكان هو وزيرها، بتعيين صالح قزاز وزيرا مفوضا فى وزارة الخارجية ومن راتب هذه الوظيفة الاسمية كان الشيخ صالح يعيش وينفق على أسرته حتى وفاته.



الملك سعود رحمه الله لدى تفقده البناء الجديد للمسجد النبوي وإلى جانبه الشيخ ابن لادن والشيخ القزاز



الملك حسين ملك الأردن لدى زيارته للمسجد النبوي ويجانبه الشيخ محمد القزاز يشرح تفاصيل البناء

ويشهد الشيخ محمد صفوت السقا الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي على هذه الحقيقة التي شاهدها بعينه حين قال "وشهادة لله أزكيها ويعرفها كل من له شرف العمل مع صالح قزاز في الرابطة أنه لم يقبض ريالا واحدا كراتب أو تعويض أو حتى كمساهمة في النفقات التي يتطلبها العمل في الرابطة فكانت السيارة من ماله وسائقها وحتى أجور السفر وكانت كل الولائم التي نقيمها على مدار العام في داره من جيبه من مرتبه الذي يتقاضاه من تقاعده".

إخلاصه في العمل

في حين شهد له معالي وزير الزراعة الأسبق عبد الله الدباغ الذي عمل مساعدا للشيخ صالح قزاز في مديرية الزراعة في جده حين تأسيسها " لم أرى في حياتي كالشيخ محمد صالح قزاز في نشاطه ودأبه وحرصه على أداء واجبه في تفان وإخلاص لم يكن يعرف للراحة طعما فنهاره كله عمل من حين أن يصبح إلى أن يمسي وحتى يؤوي إلى فراشه كان أول الحاضرين إلى مكتبه وأخر من يخرج منه إلى داره، وكانت داره مكتبا أخر يمتد فيها العمل إلى ساعات متأخرة من الليل، وإجازته الأسبوعية كان يقضي معظمها في زيارة للمناطق الزراعية يتفقد أحوالها ويبحث مشاكلها، ويتابع الدباغ أن مسؤوليته في الحج تتطلب منه الانتقال يوميا بين مكة وجده أكثر من مرة في اليوم الواحد، خصوصا في موسم الحج حرصا منه على قضاء مصالح الحجاج ومؤكدا أنه في أثناء السير من منطقة لأخرى كان يسترخي في مقعد السيارة الخلفي ليأخذ قسطا من الراحة بعد عناء العمل الطويل ويذكر أن الشيخ كان أول من أدخل مضخات الماء لتوزع على المزارعين في مختلف مناطق المملكة كوسيلة



الشيخ محمد القزاز رحمه الله

بديلة للطريقة التقليدية لرفع المياه من الآبار، وذلك بتوجيه من الملك عبد العزيز رحمه الله، كما أنه أول من فكر في إصلاح عدد من عيون المياه التي توقف جريانها في وادي فاطمة وغيرها من الوديان، كما أوجد وحدات الخدمة الزراعية المجهزة بآلات التسوية والحراثة لإقامة العقوم وحراثة الأرض للمزارعين في مناطقهم ويواصل الدباغ أن أكثر ما يشدك للشيخ صالح القزاز هو إيمانه العميق وعزوفه عن رغد العيش وميله الى التقشف مع ما أنعم الله به عليه من وفرة في الرزق وكرم في العطاء، وأوضح الدباغ أنه خلال الفترة التي كان فيها الشيخ صالح القزاز مديرا عاما لمديرية الحج ويضطر الى البقاء طيلة نهاره في جدة، لم يكن له بيت يأوي اليه بعد العناء أو فندق يذهب ليه ليرتاح بعض الوقت، فكان يفترش المكاتب الحديدية في فرع مديرية الزراعة جاعلا ذراعه وسادة لرأسه، وذلك حتى لا يغريه الفراش الناعم الوثير بإطالة فترة راحته وعندما يكون في البادية لا تختلف معيشته في نومه وطعامه مع معيشة أهل البادية بخشونتها وقسوتها.

رابطة العالم الإسلامي

ولم تقف الأعمال الجليلة للشيخ محمد قزاز عند الإشراف على إعمار المسجد الحرام إذ يقول المؤرخ المغربي أنه "عندما تم تأسيس رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٨٢هـ ومقرها في مكة المكرمة اختير معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله أمينا عاما لها، وقد رشح الصبان صديقه الشيخ صالح قزاز أمينا عاما بالوكالة، وحينما توفى الشيخ الصبان، اختير الشيخ محمد صالح القزاز أمينا عاما للرابطة، حيث اختار المجلس التأسيسي للرابطة المكون من علماء المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامي وبالإجماع الشيخ صالح قزاز، ليكون الأمين العام للرابطة، وطلبوا من الملك فيصل رحمه الله الموافقة على اختيارهم، فتم لهم ما أرادوا، وتجدد اختيار الشيخ صالح قزاز للأمانة العامة للرابطة لفترة ثانية الى أن قدم استقالته بعد أن تقدم به السن، وقد حاول أعضاء المجلس إثناءه عن الاستقالة فزاره وفد منهم بمنزله لهذه الغاية فقال لهم (الرابطة أمانة عظيمة ولا أستطيع القيام بواجبها فأرجو إعفائي)، وأمام إصراره قبلت الاستقالة، وتم تعيين الشيخ محمد الحركان رحمه الله أمينا عاما للرابطة، وكان للرابطة إنجازات مؤثرة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وبرز في هذا المجال اسم الشيخ محمد صالح القزاز رحمه الله ، كأحد الرجال العاملين الذين تركوا اثرا عميقا ومستمرا على صعيد النشاط الاسلامي المتكامل حيث كان الشيخ يعمل يوميا بعد صلاة الفجر في المسجد الحرام باعتباره مدير مكتب "عمارة المسجد الحرام" ومن ثم يأتي إلى الرابطة حوالي الساعة العاشرة، واستمر على هذا الحال لأكثر من ١٥ عاما، وبعد انتهاء الدوام في الرابطة يعود الى مشروع الحرم، وفي المساء يطوف على مدارس تحفيظ القران الكريم ولم يكن الشيخ القزاز ليتخلف يوما عن نشاط الرابطة وخاصة بعد صلاة العشاء، حيث الموسم الثقافي السنوي للرابطة والذي يستمر الى حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا وغالبا ما يولم الشيخ في داره بتكريم المحاضرين والقادمين من جدة بـ(التعتيمة باكلة \ السليق) ويشرف بنفسه على الطبخ بالحطب، وينضج برائق اللبن ويتذوق الطعام ويعود الى الضيوف ويباشر بنفسه عليهم، حيث كان متواضعا عطوفا كريما وسخيا.

تحفيظ القرآن الكريم

وهب الله الشيخ محمد قزاز حظوة وشرفا في آخر عمره حيث حظي بخدمة كتاب الله الكريم ويذكر الدكتور حسن محمد باجوده أن الشيخ القزاز رحمه الله ساهم في تأسيس مدارس تحفيظ القرآن الكريم حيث أعطى جل وقته بعد عام ١٣٩٦هـ لهذه الجمعية المباركة، وحققت نجاحها، وانتشرت جمعيات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى المملكة مبينا أن الشيخ محمد يوسف سيتي هو صاحب فكرة إنشاء الجمعية وهو أول رئيس لها، وتولى الشيخ محمد صالح قزاز رئاستها وأضاف أن الجمعية قامت بنشر مدارسها في جميع أرجاء المملكة، كما أن الشيخ محمد صالح القزاز لم يكتف بالمساهمة فيها بجهده، ولكنه ساهم كذلك بماله فأوقف عليها عمارة في محلة الشامية بمكة المكرمة تساهم غلتها في واردات الجماعة وكانت للشيخ بصمات واضحة في الأعمال الخيرية التربوية الجليلة في رعاية هذه الجمعية وطلاب وحفاظ كتاب الله؛ وقدم خدمة للقرآن الكريم وللدين والعلم والإصلاح وقد تبرع فأوقف عمارته الشامخة في حي (الشامية) بمكة المكرمة على هذه الجمعية الخيرية، كما أوقفت زوجته فيلاتين لها في جدة ويشير باجودة أن الشيخ القزاز جعل كل نشاطه بعد خدمته لأمانة رابطة العالم الإسلامي لجمعية تحفيظ القرآن الكريم.

وفاته

أشاد بإنجازات الشيخ محمد بن صالح قزاز العديد من المؤرخين وملأت سيرته كتب التراجم، لما سطره من إنجازات عظيمة لخدمة دينه ثم وطنه إلى أن توفي رحمه الله عام ١٤٠٩هـ عن عمر ناهز التسعين عاما بذلها في الدعوة الإسلامية والخير والإصلاح، والتربية والتعليم، وخدمة بلاده، ودفن في مكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة.



الرئيس السوري الأسبق شكري القوتلي يرافقه الشيخ محمد بن صالح القزاز خلال زيارته للمدينة عام ١٣٧٢هـ

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

تميز بمبادراته الاستثمارية الرائدة وإجادة دراسة جدوى المشروعات

عبدالله باحمدين.. صائد الفرص التجارية

عبدالله محمد سالم باحمدين شخصية تجارية من أعيان مكة المكرمة الذين ساهمت تجارتهم بدفع عجلة النمو والتطوير في المنطقة أواسط القرن الماضي، بدأ باحمدين حياته عصامياً بعد وفاة والده، وهو في ريعان شبابه، فقد مارس العديد من الأنشطة التجارية والصناعية، والتي كانت تمثّل جزءًا هاماً في حياته، ومنها مصنع للنسيج لعمل الأحاريم والسجاجيد والمناشف، وافتتاحه لأول مصنع للثلج في مكة المكرمة وغيرها، وكان ذا همة وطموحات وبلاشك أنه صاحب فكر تجاري واستثماري وهذا ما سيتضح لك من خلال ترجمته وقراءة سيرته الشخصية فهو رجل أعمال نبيه ونهاز للفرص الاستثمارية، يجيد قراءة فرص الإنتاج وجدوى المشاريع، لذا تراه يبحث عن ما تفتقر إليه مكة المكرمة ومدينة جدة من خدمات وصناعات، فيشمّر عن ذراعه ويسعى لتحقيق العديد من أهدافه عبر تنوع أنشطته التجارية، ولذا فقد اختير ضمن أعضاء مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية في دورتها التأسيسية ١٣٦٨هـ.

والمتتبع لمسيرة عبدالله باحمدين يجد أنه يميل إلى الصناعة أكثر من التجارة والتصدير والاستيراد، وذلك للتشكيل وإرساء صناعات حديثة تتماشى مع متطلبات الناس واحتياجاتهم، وعدم الاعتماد الكلي على منتجات وصناعات خارجية، لاسيما أن المجتمع آنذاك كان مجتمعاً ناهضاً تتوفر فيه فرص العمل والاستثمار، كما أن باحمدين عاصر الحرب العالمية الثانية، ورأى أن تلك الحروب تؤثر سلباً على الاستيراد والتصدير والاقتصاد بوجه عام، وقد تجلى حبه للمجال الصناعي أنه أدهش المصنعين الأمريكان بفكره الاستثماري وتخطيطه السليم أثناء سفره إلى الولايات المتحدة.

تاجر عصامي يقضي جل وقته في متاجره ومصانعه وسيرته مضرب مثل في التفاني والعمل

البداية والتطلعات

ولد الشيخ عبدالله محمد سالم باحمدين بمكة عام ١٣٢٩هـ، وتعلم بمدارسها العلوم الأساسية التي كانت تدرس آنذاك كالعلوم الشرعية والحساب واللغة العربية، ثم تعلم اللغة الإنجليزية على يد أساتذة من الهنود بمكة المكرمة، وكان المتحدثون باللغة الإنجليزية قلة آنذاك، كما يقول المؤرخ أحمد مغربي الذي وصف باحمدين بأنه كان قصير القامة ممتلئ الجسم أسمر اللون واسع الجبهة نظراته تشع ذكاء وفطنة، يضع على عينيه نظارة ذهبية ويرتدي العباءة العربية، وذكر أنه وأثناء دراسته كان يساعد والده بمتجره لبيع الأقمشة في «الجودرية»، ومن ثم توفي والده وهو شاب في مقتبل عمره، فقرر الابن أن يجمع شمل الأسرة، رغبة منه في التعاضد والتلاحم بين أفراد الأسرة، والمحافظة على تجارتها، فعزم أن يبقى المتجر الذي أسسه والده مفتوحا يعمل فيه الجميع، إلاّ أن إخوته رأوا أن يتم تقسيم الثروة وأن ينفرد كل منهم بعمله الخاص فتم ذلك، ولم يكن نصيب الشيخ باحمدين كافياً لتحقيق أهدافه وأحلامه الكبيرة، ويروي ذلك بقوله: «كنت قد اشتريت سيارة لاستعمالي الشخصي وكانت السيارة تحتاج إلى مصاريف للوقود فتركتها مخزونة بضعة أشهر ولم أكن قادراً على توفير ما يلزم لها من مصروفات»، ولذا فقد عمل في المتجر الذي أسسه لنفسه، وأخذ يواصل عمل والده في استيراد الأقمشة، ولكنه كان يفكر في أعمال أخرى تتماشى مع تطلعاته المستقبلية.

مصنع الثلج

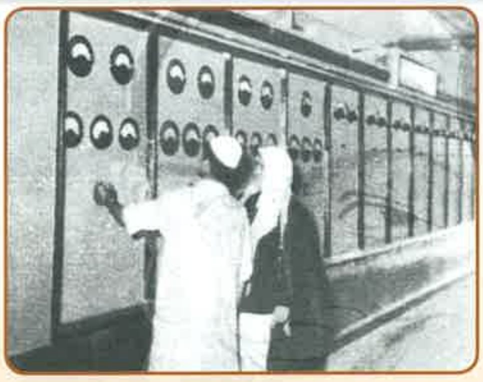
كان مصنع الثلج أول مبادرات الشيخ باحمدين التجارية، وكانت مكة المكرمة تفتقر إلى مصانع الثلج، ولم يكن هناك سوى مصنع يديره رجل سوري اسمه الحاج وسيم، ودخل مع الشيخ باحمدين في شراكة من خلال تمويله بالمال، إلا أن الشيخ باحمدين غير راض عن إنتاج المصنع، فاستقل لوحده وافتتح مصنعا خاصا به خدمة لأهل مكة، خصوصاً وأن الجو شديد الحرارة ويستمر لأكثر من سبعة شهور، ولم تكن هناك مولدات كهرباء ولا ثلاجات، فكانت الحاجة للثلج مستمرة، ويزداد عليه الطلب في موسم الحج، حيث يكتظ حجاج بيت الله، ويأتون من كل فج عميق، ففكر في طريقة يوفر فيها الثلج لأهل مكة وزوار بيت الله الحرام، فاستورد مصنعا كبيرا للثلج، واختار له مكانا مناسباً في منطقة "المعلاة"، وكان رحمه الله يشرف إشرافاً تاماً على تركيب المصنع الذي تم بواسطة فنيين محليين، كما استطاع التغلب على المشاكل الفنية التي واجهته في استيراد المصنع ونقله إلى مكة، وشارك في تذليل كافة الصعاب التي تعترض هذا المشروع العملاق، وبهذا قفز بتجارته، كما وفر الماء البارد والثلج للأهالي والحجيج والمعتمرين بعد أن كانوا يعانون أشد المعاناة من عدم وجود مياه باردة للشرب.

تحقيق الطموح

وتميز الشيخ عبدالله باحمدين رحمه الله بمبادراته الاستثمارية فهو صاحب فكر تجاري لاسيما أنه يدرس جدوى مشاريعه قبل تنفيذها وقد ساعدته الظروف والمجتمع الناهض آنذاك في تحقيق كثير من طموحاته رغم المصاعب التي يواجهها، فهو حين رأى أن بلاده تفتقر إلى الكثير من الخدمات الجديدة واللازمة وخاصة ما يتعلق بالصناعة، وإن إمكانياته المالية لم تكن تساعده لتحقيق كل ما يصبو إليه، لم يكتف بمصنع الثلج الكبير، فقد كان عضواً في الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة، ثم أصبح رئيساً لمجلس إدارة الشركة، ثم عهد إليه إدارة أعمالها، فوجدها فرصة لتطوير الشركة واتساع إنتاجها ونشاطها، فقام بشراء باخرتين صغيرتين للشركة وأخذ يسيرهما بين موانئ البحر الأحمر، وخاصة بين موانئ جدة والحديدة، مستخدماً جهده وتفكيره في إنجاح هذا العمل، وقد أشاد الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله وزير المالية آنذاك بهذا العمل الجبار، كما شجعه للاستمرار فيه، ثم أن الشيخ باحمدين افتتح فرعا آخر للشركة في جدة لمواجهة أعمال البواخر والإشراف عليها.

وفرة الإنتاج

وإبان الحرب العالمية الثانية، قام الشيخ عبدالله باحمدين بإدخال تحسينات على مصنع النسيج التابع لشركة التوفير والاقتصاد، حيث كان عبارة عن مصنع يدوي يعمل فيه شباب سعوديين على الطريقة القديمة -يدويا- وينتجون بعض الأقمشة، ويذكر مغربي أنه أدخل تلك التحسينات بعد زيارته لمصر يرافقه محمد علي مغربي، وكانا في ضيافة الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله بداره في مصر الجديدة، ونسّق الصبان بينهما وبين أحد كبار ملاك مصانع الغزل الذهبية، فقررا زيارة المصنع واطلعا على سير العمل والآلات الميكانيكية التي تنتج الأقمشة المتنوعة، وعقد العزم رحمه الله الاستفادة من التجربة المصرية في صناعة الغزل والنسيج، فقام بتحديث المصنع بالآلات الجديدة والتقنية المتوفرة آنذاك، واستبدال الطريقة التقليدية البطيئة، مما زاد في وفرة الإنتاج والإقبال على مصنع النسيج.



أجهزة كهربائية حديثة داخل مصنع باحمدين للثلج

صناعات تحويلية

وكانت جريدة صوت الحجاز تطبع في الشركة العربية للطباعة والنشر، وكان بمستودع الشركة كميات كبيرة من الورق المتين على اختلاف أنواعه صمم لطباعة كتب مدرسية إلاّ إن الشركة توقفت عن الطباعة فبقيت الكميات مكدسة في مستودعاتها، وتعرضت الشركة للخسائر بسبب تبعات الحرب العالمية الثانية التي أثرت على كل شيء، وهزّت الاقتصاد العالمي برمته، وما أن علم باحمدين بالأمر حتى اطلع على قائمة البضائع الموجودة في المستودع وأبدى استعداده لشرائها ودفع فيها مبلغ يعادل أربعة أضعاف قيمتها، دعماً منه للشركة العربية للطباعة والنشر، واستغرب الناس من شراء الشيخ باحمدين لهذه الكميات الكبيرة، وفاجأ باحمدين الكل بفكره النير، حيث قام بتدوير هذه الكميات إلى صناعات تحويلية، فقد فقام بقص الورق وتقسيمه إلى ملفات لحفظ الأوراق، وهي ما تسمى بـ"الدوسيهات"، والتي كانت تستورد من الخارج وكانت معدومة في الأسواق تماماً، وطبع على هذه الملفات عبارة "الحافظة العربية"، وأحضر إلى المطبعة بعض المهنيين من أبناء الوطن، وأطلعهم على نوعية الحديد الذي كان يمسك بالأوراق، فقام "السماكرة" بصناعة هذه النوعية، وخرجت الحافظة ملفاً كاملاً، وقد اشترت وزارة المالية كل ما أنتجه باحمدين من هذه الملفات لأن الدوائر الحكومية كانت تفتقر إليها.

ويذكر أن باحمدين -رحمه الله- من أوائل الناس الذين قاموا باستيراد المكائن الزراعية ومكائن الإنارة -المجموعات الكهربائية- في مكة، حيث ساهمت تجارته في تسهيل على الناس إنارة بيوتهم ومحلاتهم وما يتبع هذه الإنارة من تهوية وتبريد، بعد أن كانوا يعانون أشد المعاناة للحصول على إنارة لمحلاتهم التجارية، إذ كانت الإنارة الكهربائية مقتصرة على السفارات، ولم يكن في مدينة جدة مكائن كهربائية، إلاّ في بعض المرافق الحكومية وبعض المنازل القصور، فساهمت تجارته في التوسع بمولدات وشبكات الطاقة الكهربائية.

نمط فريد

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، قام الشيخ عبدالله باحمدين رحمه الله بزيارته الأولى إلى أمريكا، حيث كان مهتما باستيراد قطع الغيار، ولكنه لم يكن يتصل بالبائعين، وإنما يحاول الوصول إلى المصنّعين الذين يموّنون البائعين بصناعاتهم، فالتقى بعدد من أصحاب المصانع وأصحاب القرار فيها، وتذكر الروايات أنهم تعجبوا منه حتى قال له أحدهم: "إنك نمط فريد من الرجال الذين يزورون البلاد من الشرق الأوسط أحدثك عن البيع فتحدثني عن الصنع"، وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، أتيح للشيخ باحمدين رحمه الله أن يحقق بعض طموحاته، ويذكر المؤرخ المغربي أنه حصل على أرض كبيرة خارج مكة المكرمة، وأنشأ عليها مصانع باحمدين، ومن ثم قامت الدولة بشراء الأرض من باحمدين لإقامة مبنى للمؤتمرات الدولية، ولكنه تحول بعد ذلك إلى "فندق انتركونتيننتال"، وقد شكلت هذه الأرض النواة الأولى لمصانع الشيخ باحمدين، حيث أنشأ عليها مصنعاً كبيرا للثلج، وآخر للنجارة، وورشة ميكانيكية، أمّا عمله العقاري فقد بدأت انطلاقته الأولى للدخول في مجال العقار من خلال شراء أرض في مدخل مكة المكرمة، وإقامة فيلات صغيرة عليها ثم بيعها، كما أنشأ فيلا بمدخل مكة المكرمة اشتراها فيما بعد ضياء الدين رجب رحمه الله من ورثته، كما أسس فيلا أخرى أمام المصانع، وقد بيعت لأحد المواطنين حين بيع المصانع الأولى.

وفاته

توفي عبدالله باحمدين رحمه الله في التاسع من شهر رمضان المبارك ١٣٦٩هـ، وفي بداية مرضه شعر بوعكة في صحته فلم يستسلم للراحة، واستدعى الطبيب وظن أنه عارض صحي وسيزول، ثم ذهب للمسجد الحرام للإفطار هناك وصلاة المغرب جماعة، حيث اعتاد ذلك في كل عام، ثم طاف بالبيت وصلى المغرب، وعاد إلى داره وشعر بأعراض المرض، فداهمته نوبة قلبية شديدة الوطأة، وارتحل من الدنيا وهو في عنفوان رجولته، إذ كان عمره حوالي الأربعين عاماً، ودفن بمقبرة المعلاة، وظلت الصحافة تنشر للكتاب من أصدقائه مرثياتهم له وذكرياتهم عنه، وبقيت سيرته مضرباً للتفان والعصامية، فقد كان لا يبرح مصانعه إلاّ بوقت متأخر من الليل ويتناول وجبات الغداء والعشاء فيها، ويقضي -بشهادة معاصرية- كل نهاره في مكتبه ومتجره وفي مصانعه وفي الشركة العربية للتوفير والاقتصاد، ولك حينذاك أن تتمعن في حياته التي لم تتجاوز الأربعين عاماً، وتتساءل كيف استطاع وهو في هذه المرحلة من العمر أن يقوم بجميع هذه الأعمال والاستثمارات التجارية التي ساهم من خلالها بدعم الخدمات التي تحتاجها البلدات والمجتمع على حد سواء، رحمه الله رحمة واسعة.



مدخل أحد مصانع عبدالله باحمدين



عربات نقل ثلج للمصنع



أحد التقارير الصحفية القديمة عن مؤسسة باحمدين للصناعات في مكة



ولد باحمدين في مكة وتعلم فيها

الجمعة ٦ محرم ١٤٣٨هـ - ٧ أكتوبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٣٧ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17637 54th Year -FRIDAY-7- 10 - 2016
الرياض

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظا على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

خاض معارك أدبية طويلة لأجل فكره التنويري وأسس لشخصية الأديب الأول في المملكة

محمد عواد.. رائد التجديد في الأدب الحجازي

■ محمد حسن العواد رائد التجديد في الأدب الحجازي الحديث، نفض غبار التقليدية عن الأدب في الحجاز والمملكة خلال فترة الأربعينيات من القرن الماضي، وأحدثت «خواطره المصرحة» ضجة كبرى في أوساط المجتمع والأدباء والنقاد، والتي طالب فيها بالتجديد ضد الجمود السائد في الأدب، خصوصا الشعر العربي، ولذا فقد كان العواد الرائد الحقيقي لقصيدة النثر أو ما يسمى الشعر الحر حيث سبق إليها الشاعرة العراقية نازك الملائكة، وهو ما تثبته تواريخ قصائده التي نشرها في الثلاثينات الميلادية التي خاض العواد من أجل فكره التنويري، الذي لم يكن مستساغا بين الناس آنذاك خصوصا الشعراء والأدباء والنقاد أشد المعارك الأدبية ووصل صداها إلى مختلف الأقطار العربية.

وكان شديد الخصومة لمن يعارض فكرة التحديث ومهاجما شرسا ضد التقليديين وله ملحمة شهيرة مع الشاعر حمزة شحاتة وخروج رائعته (الساحر العظيم) والعواد هو أول رئيس للنادي الأدبي بجدة الذي انطلقت على أثره باقي النوادي الأدبية الأخرى المنتشرة في مناطق المملكة وكان أحد رؤساء تحرير جريدة صوت الحجاز؛ وتوفي محمد حسن العواد رحمه الله عام ١٤٠٠هـ، عن عمر يناهز الثمانين عاما.

أفكاره وآراؤه تجاوزتا عصره وقصائده تميزت بالجرأة في النقد

نشأته

ولد الأديب والشاعر محمد حسن عواد بمدينة جدة عام ١٣٢٠هـ، ويعتبر من أهم وأبرز دعاة التجديد في الأدب السعودي، بل ومن طلائع النهضة الأدبية والفكرية، وبدأت حياته التعليمية من مدرسة الفلاح حيث تلقى تعليمه وبعد تخرجه منها عيّن أستاذا فيها وكان يرتدي الكوفية الحجازية والشال، ثم ارتدى الجبة والعمامة الحجازية بعد تركه العمل في مدرسة الفلاح، وبعد انتقاله للعمل في الحكومة ارتدى العباية العربية والعقال، وقد بدأت إشارات نباغته منذ أن كان طالبا في مدرسة الفلاح وبعد تعيينه معلما في المدرسة، فقد تتلمذ على يده الكثير من الأدباء والشعراء المعروفين الذين ظهرت أسماؤهم لاحقا أمثال الأديب والشاعر حمزة شحاته، وأحمد قنديل، ومحمد عارف، وعباس حلواني، ومحمد علي باحيدرة، وغيرهم، وكان لهؤلاء الأدباء منتدى صغير يجتمعون فيه مساء كل يوم للسمر والمحادثة.

وبدأ الشاعر محمد حسن العواد في نظم الشعر في سن باكرة (١١) عاما، كما ذكر ذلك في مقدمة (ديوان آماس وأطلاس) وبدأ شاعرا مكثرا في النشر، ومن ثم بدأ يتضاءل إنتاجه الشعري بتقدم العمر، وقد جمع شعره في ديوانين كبيرين، وهما «آماس وأطلاس»، وألحقها فيما بعد بجزئي البراعم ونحو كيان جديد»، والديوان الآخر «الساحر العظيم» وهو عبارة عن مجموعة القصائد التي نظمها إبان معركته الأدبية مع الشاعر حمزة شحاتة، وطبعها العواد عام ١٣٧٢هـ، ومن يقرأ دواوين العواد يجد سلك مسلك التجديد في تجربته ومسيرته الأدبية رغم ما واجهه من نقد واستنكار من قبل بعض أدباء عصره، فهو الشاعر والكاتب لخواطر مصرحة، وما احتوته من تجديد، ونقد عنيف.

بداية للتجديد

وفي عام ١٣٤٥هـ، أصدر الأديب محمد حسن عواد كتابه (خواطر مصرحة) ويعتبره الكثيرون وهو أول كتاب نهضوي في تاريخ الجزيرة العربية، يطرح فيه العواد خلاصة أفكاره وآرائه الأولى في النهضة الادبية، حيث وجّه من خلال خواطره نقداً حاداً لحالة الشعر والأدب عامة وهاجم الجمود والتخلف والانغلاق، وسخر من بعض العادات والتقاليد الاجتماعية الجامدة، ومن نوع الثقافة السائدة آنذاك، ودعا إلى التغيير في روح منفتحة على كل جديد وتتفق أو تختلف مع طرحه الجريء الذي عاد سلبا على مكانته الأدبية بادئ الأمر، وأحدث ضجة كبيرة، واعتبر الدارسون والنقاد كتاب خواطر مصرحة بداية للتجديد في الأدب الحجازي، واستشهد به عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رحمه الله، وأشار إليه الكاتب العربي محب الدين الخطيب، حينما ذكر أن «موجة التجديد قد وصلت الحجاز ولكنها بدأت من الشارع الخامس في نيويورك» في إشارة إلى ما يحفل به كتاب العواد من النثر الفني على طريقة أدباء المهجر في ذلك الزمان ويشير مغربي في كتابه أعلام الحجاز الجزء الأول أن الأديب العواد كان متصلبا برأيه بالرغم ممن عارضوه ولم يتراجع عن ما كتب ولو وقف العالم ضده، ولم يزده ذلك إلا إصرارا على التجديد، ويوضح مغربي منهجية الكتاب ويصفها بالإصلاحية والتجديدية بعيدا عن التقليدية ولكن بعضها ينتهج أسلوبا جارحا في التعبير، ويضيف أنه كان من الممكن التعبير عن هذه الأفكار بأسلوب أكثر هدوءا وأقل اندفاعا، ثم يشيد بالكتاب كونه مفاجأة مذهلة للناس معبراً أنه استحق أن يدخل التاريخ إيذانا بابتداء حركة التجديد في الأدب، وهو ما عبرت عنه جريدة صوت الحجاز لسنوات طويلة فيما بعد.

خواطره المصرحة

تعرض الأديب محمد حسن العواد بعد إصداره للكتاب لمشاكل كثيرة، وعينت لجنة للتحقيق معه فيما ورد في كتابه، وخاصة في مهاجمته معاصريه، وفقد العواد بهذا الإصدار مكانته كأستاذ ملحوظ في مدرسة الفلاح بجدة، وهي أهم مدرسة في المدينة، وانتقل للعمل في المدرسة الحكومية التي كانت شبيهة بالفلاح، ولم يطل به الأمر فيها فانتقل للعمل بمكة في شعبة الطبع والنشر، ثم انتقل إلى جدة ليعمل رئيسا لكتاب المحكمة التجارية التي كان يرأسها الشيخ سليمان قابل رحمه الله، حيث عمل محققا بالقسم العدلي في إدارة الأمن العام بالحميدية، وبانتقاله إلى مكة أمكنه المساهمة في تحرير جريدة صوت الحجاز حين ظهورها لأول مرة، فقد كان أحد رؤساء التحرير الثلاثة الذين أطلق عليهم (نخبة من الشبان) وهم الأساتذة عبدالوهاب آشي، ومحمد حسن فقي، ومحمد حسن عواد.



محمد حسن عواد -رحمه الله-

النادي الأدبي

كان محمد حسن العواد رحمه الله أبرز أعضاء النادي الأدبي الأول الذي أسس أوائل الخمسينات في جدة، وكان النادي يضم عددا من الادباء والشعراء، منهم عبدالعزيز جميل، وحمزة شحاتة، وإبراهيم وصالح إسلام، والشيخ حسن أبو الحمايل، ويونس سلامة، وأنيس جمجوم، وغيرهم وكان العواد أبرز شخصية في النادي لأنه كان استاذا لمعظم الأعضاء باستثناء الشيخ حسن أبو الحمايل ويذكر أن العواد كان أول رئيس للنادي الأدبي بجدة، حيث كان له السبق مع الأستاذ ضياء فضل في إنشاء النوادي الأدبية والمستمرة إلى الآن، وتقدم إنتاج الأدباء والمؤلفين وتعود القصة إلى أن العواد وفضل تقدما إلى الأمير فيصل بن فهد رحمه الله، بفكرة إنشاء النادي الأدبي فاستجاب لطلبهما ورحب بالفكرة، فكان النادي الأدبي بجده هو أول النوادي الأدبية، ونواة أولى لافتتاح نوادي مماثلة في المناطق، وقدمت رعاية الشباب دعما سخيا لهذه النوادي أمكن لها أن تنمو وتستمر وتقوم بطباعة الكتب في مختلف فنون الأدب والعلم، وقد منح العواد وقته كله للنادي الأدبي فكان يجلس فيه صباح مساء كما روى ذلك صاحب أعلام الحجاز.



كتاب خواطر مصرحة، شاهد على نهج عواد التجديدي



النادي الأدبي بجدة حيث كان محمد عواد أول رئيس له

خصام الأصدقاء

خاض الأديب محمد حسن عواد خاض معارك أدبية كثيرة، ومنها معركته مع الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل حيث أصدر الأستاذ عبدالقدوس قصة بعنوان «التوأمان» وانتقد العواد القصة نقدا لاذعا، ورد عليه عبدالقدوس واستمرت المعركة بينهما بعض الوقت، كما أن له معركة أخرى مع الشيخ حسين باسلامة مؤلف كتاب «سيد العرب» وبعض الكتب عن تاريخ مكة والمسجد الحرام، وله معارك أيضا مع حمد الجاسر، وعبدالعزيز الربيع وغيرهم ولكن أبرز معاركه الأدبية هي معركته مع الأديب حمزة شحاتة، واستمرت طويلا، وقد كانت معركة شعرية رمزية، وتعود قصة الصراع الطويل بينهما لكون العواد كان يعمل محققا بالقسم العدلي بإدارة الأمن العام في مكة المكرمة، وكان طلعت وفا -رحمه الله- رئيس القسم العدلي صديقا حميما للأستاذ حمزة شحاتة، وكان حمزة دائم الشكوى من العواد وينتقد تصرفاته وأعماله، وأحب طلعت وفا الجمع بين الأديبين لإصلاح ذات البين وتصفية النفوس، فاجتمعا بمنزل طلعت وفا في أجياد وطال النقاش بينهما، ولكن حمزة شحاتة هاجم العواد بشدة وانتهى الاجتماع بالقطيعة، وأسفر عن خصام شديد، فبدأ حمزة بتنظيم القصائد الشعرية وكان يرد عليها العواد وكانت عبارة عن قصائد طويلة تنشر جميعها في جريدة صوت الحجاز، وسط ترقب الناس لها كل أسبوع واتخذ حمزة شحاتة اسم الليل رمزا له في هذه المعركة، ثم تحول بعد ذلك إلى العاصف، أما العواد فلقب نفسه بـ«الساحر العظيم» وبعض نصوص الهجاء التي دارت بينهما ولم تكن صالحة للنشر، ولكنها كانت تكتب باليد وتوزع في أماكن تجمعات الناس في مكة ونظرا لشدة الهجاء وحدة القول بينهما فقد دخل كل من الأستاذ الكبير أحمد قنديل مساعدا لصديقه حمزة شحاتة ومدافعا عنه، والشاعر محمود عارف مساعدا ومدافعا عن أستاذه العواد ولم تضع هذه الحرب الأدبية أوزارها إلا بعد أن اتسعت نطاق توسع هذه القصائد الهجائية فخشي الطرفان من عواقبها فطويا تلك الصفحة السوداء، ويعتبر الأديب السعودي إبراهيم فودة معركة حمزة شحاتة والعواد، في وقت مبكر من ظهور بوادر النهضة الأدبية في الجزيرة من أشد المعارك الأدبية التي شهدتها بلادنا، ويذكر في حديثه أن للعواد معارك أدبية كبرى وصغرى، أما الكبرى فهي تلك التي نشبت بينه وبين الأدباء العمالقة أمثاله وأشهر تلك المعارك المعركة الأولى التي نشبت بينه وبين الأديب حمزة شحاتة ويسرد فودة أن العواد وشحاتة يدرسان في مدرسة الفلاح بجدة، وكان حمزة شحاتة يعتد بنفسه كشاعر موهوب، والعواد يكره ذلك، فتولدت بين الأديبين اللامعين غيرة شديدة، ووجدت إدارة المدرسة في خلاف الأديبين النابغين فرصة للتنافس الأدبي الشريف الذي يستفيد منه الطلبة وموضحا بأن العواد كان ينتقد بشعره بين الحين والآخر إدارة المدرسة، وكان المدافع عنها حمزة شحاتة كما يذكر الأديب السعودي محمد حسين زيدان ما نصه: أن «محمد حسن عواد أنكر على حمزة شحاتة أن يبرز في جدة هذا البروز، وأن يكون كأحد شبابها البارزين، لأن كثيراً من الناس لا يعرفون أن حمزة مكي المولد والمنشأ، وما جاء جدة إلا مؤخراً ولكن كبر في (جدة) وعظم، فاستحوذ على الشباب، وهذا من الحوافز التي جعلت العواد ينكر على «حمزة» ذلك وقد اعتذر العواد للشاعر حمزة شحاتة عن هذه الخصومة، وذلك في قصيدته «عتاب» (الجزء الأول ديوان «نحو كيان جديد» -الطبعة الأولى ١٩٧٨م ومن ضمن أبياتها:

أخي حمزة كيف الوشاة تغلبوا
وكيف تحرانا السخيف المذبذب
لك الحب موفوراً بنفسي، كامناً
تباعده أسبابه وتقرب
فلا تشدد الحبل الذي مد بيننا
ولا تعتبرني في الصداقة أكذب
وسامح، وأنت المرتجى من تواصلت
أوامره، واصفح فإني مذنب



نظم الأديب عواد العديد من القصائد في الوحدة العربية

سجال أدبي

وتشير التراجم أن قصيدة الشاعر العواد الشهيرة «الساحر العظيم» تمثل الخصومة الشعرية الكبرى التي نشبت بينه وبين الأديب الراحل الأستاذ حمزة شحاتة، وقد نظمها العواد في خمسمائة بيت تخللت ديوانه ولم يكتف العواد في «الساحر العظيم» بحمزة، وإنما تعرض لكل من جرت بينه وبينهم معارك أدبية، مثل أحمد قنديل والشيخ حسين باسلامة مؤلف كتاب (سيد العرب)، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ويذكر أن العلاقة بين العملاقين العواد وشحاتة كانت قوية ومتشابكة لأنهما تعلما في مدرسة واحدة وارتبطت صداقة كل منهما بالآخر كشاعر حديث السن، وكانت بداية المعركة الادبية بينهما سنة ١٣٥٥هـ على صفحات جريدة (صوت الحجاز)، واحتدم النقاش والصراع بين الأديبين، وحمل كل منهما على الآخر حملة كان لها أعمق الأثر في الأوساط الأدبية وكانت الصحف تشهد المعركة حيث تنشر القصائد في صفحاتها وكان العواد يرسل ملاحمه إلى الجريدة فتنشر أولاً بأول ويرد شحاتة عليه بالمثل، وهكذا حتى أسفر الصراع عن خروج رائعة العواد «الساحر العظيم»، ومطلع هذه الملحمة الشعرية هو:

عشق الخلد طامحاً نزاعا فامتطى فنه إليه طماعا

ومنها أيضا تلك المقطوعة الجميلة:

وانجلى الأمر عن خميلة زهر
وإذا شئت فهي روض أنيق
ابدعته من الحياة يد الفن
فذا هائل وذاك رشيق

قطوف من أشعاره

طرق العواد أبواب وأغراض الشعر المتعددة وغرف من بحورها المتنوعة ومع اهتماماته بالنقد ودخوله في معارك ومساجلات أدبية ونثرية مع العديد من شعراء وأدباء عصره إلا أنه لم يهجر القصيدة بأنواعها وأشكالها العمودي والحر، ولم يكن بمعزل عن ظروف وأحداث عصره وزمانه حيث كتب عن همومه وهموم أمته العربية والإسلامية وهاهو في قصيدته التي عنونها بـ«متى» يرتقب عودة أمجادها السابقة بقوله:

متى نرتقي المجد الصريح المخلدا
ونكتب في التاريخ فخرا مؤبدا
متى نملك الشأو الرفيع جلالة
ونرمي إلى العلياء سهما مسددا
أنبغي المعالي بالتقاعس ذلة
ونطلب عزا في الخليقة رقدا

ولأنه شاعر أحب وحدة العرب، فقد نظم قصيدة في الوحدة العربية قبل أن تنل بعض الدول العربية استقلالها وهي قصيدة تعود إلى منتصف الأربعينيات قال في مطلعها:

عرب الجزيرة كم تكون سعيدة
هذي الحياة بوحدة الأبعاد
تتوحد الأشتات في مجموعها
ويعزز المجموع بالإفراد
فيقوم من بردى إلى صنعائها
أمل يرن صداه في الأبعاد
ومن القصيم إلى ربى غرناطة
تبنى الحياة عميقة الأوتاد

كما نظم العواد مجموعة من القصائد في النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومنها قصيدته (النور) التي يقول في مطلعها:

دافق النور رحمة وسلاما
ومنها عزة وسلاما
فاعتنقناه يقظة وسموا
وعقلناه حكمة ونظاما

وأثنى على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

فنشرت التوحيد في الناس يمشي
ثورة في النهى وعدلا وحبا
وسلاما ورحمة ومساواة
وعطفا على الضعاف وقربى

قالوا عنه

تحدث عدد من الشعراء والأدباء عن حياة الشاعر محمد حسن عواد وشعره وإنتاجه الأدبي وقال عنه معاصره الشاعر محمد حسن فقي «أبرز جوانب العواد في نظري هو جرأته الأدبية ونقده الذي لا يجامل ولا يهاود وإن كانت له مشاركات أدبية لا تنكر نثراً أو شعراً» في حين ربط الشاعر عزيز ضياء بين شعر عواد وشخصيته حين قال «العواد هو ذلك الشاعر الكبير الذي عاش الشعر وأحلام الشعراء حتى في مسيرة حياته وهو الناثر الذي استطاع أن يتميز بأسلوب يؤكد استقلاله وشموخ شخصيته»، أما الأديب والكاتب عبدالله مناع فقال عنه «العواد ليس نيزكاً ولا نجماً عابراً في سماء حياتنا الأدبية والفكرية بل كوكباً ساطعاً شغل الناس طوال أربعين سنة بفكره وأدبه وعصف ما كان يقوله وينشره، فيما يلخص الأديب والصحفي عبدالله الجفري مسيرة العواد بقوله «كانت للعواد أفكار طليعية في حياته الأدبية وأصدر كتابيه «خواطر مصرحة» و«تأملات في الأدب والحياة»، وفيهما عبر عن أفكار جديدة وجريئة في تلك الفترة أثارت الكثير من النقاد والمتابعين، ويؤكد إبراهيم الفوزان أسبقية وريادة محمد حسن عواد في شعر النثر أو ما يسمى الشعر الحر ويصر الدارسون والنقاد في العالم العربي على أن الشاعرة العراقية نازك الملائكة هي رائدة هذا الفن المستحدث رغم أن عدداً من الأدباء لاسيما في المملكة قدموا البراهين والشواهد التي تدلل على ريادة عواد لهذا الفن الشعري حيث يقول الفوزان «وعلينا أن نقول إن العواد قال الشعر المنثور والشعر الحر والمرسل في الثلاثينات من القرن العشرين وسبق نازك الملائكة التي قالته في الخمسينات حسب اعترافها، فيما يقول عنه د. عبدالله الغذامي «وليس للمرء إلا أن يقدّر «للعواد» فتح باب الاجتهاد في تنويع موسيقى الشعر و«العواد» أحد رواد التجديد والداعين له منذ مطلع حياته وكتابه «خواطر مصرحة» شاهد على ذلك.



بدأ عواد تعليمه في الحجاز وتتلمذ على يد العديد من الأدباء الكبار

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

واكب مسيرة التوحيد وشارك الملك عبدالعزيز في معركة استرداد الرياض

ثلاب العجالين.. المحارب الجسور

■ الشيخ ثلاب العجالين أحد أشهر فرسان الأفلاج، خاض المعارك وخاطر بنفسه في سبيل مبادئه الثابتة، ولعب دوراً محورياً في جميع المعارك التي شارك فيها مع الملك عبدالعزيز، عرف بين جماعته وأقرانه وعامة أهالي نجد أنه محارب جسور ومقاتل لا يهاب دروب المعارك ومكايد العدو، كان رحمه الله حازماً عازماً صبوراً مهيباً في حضوره وغيابه، واكب مسيرة التوحيد وشارك في الكثير من المعارك التي خاضها المؤسس رحمه الله منذ دخوله الرياض واستمر معه إلى وفاته رحمه الله في العقد الرابع من القرن الهجري الرابع عشر.. مسيرة مشرقة في صفحات التاريخ نتتبعها من خلال ما ذكرته كتب التاريخ والمؤرخون.

ولد الشيخ ثلاب بن فلّاج بن سوّيد آل فلّاج العجالين من قبيلة الدواسر المشهورة، في ثمانينيات القرن الثالث عشر الهجري، في قصر والده الشيخ فلّاج بن سويد المعروف بقصر سويد في «الطريّق»، وقد نشأ ثلاب بن فلاج مع إخوته تحت رعاية والدهم الشيخ فلاج وكان صاحب حظوة ومكانة، قد خلف والده الشيخ سويد المتوفى قبل ١٢٧٩ رحمه الله، ويذكر المؤرخون أن والد ثلاب الشيخ فلاج بن سويد من الذين ثبتوا على بيعته للإمام عبدالله بن فيصل بن تركي حتى بعد وفاته رحمه الله، وكان الشيخ فلاج بن سويد من ضمن وجهاء جماعته الذين كانوا في مقدمة مستقبلي الإمام عبدالله بن فيصل عندما قدم الأفلاج عام ١٢٨٥ لردع من خرجوا عن طاعته، وكان للشيخ فلاج لواء ترجم علاقته الوطيدة بالإمام فيصل بن تركي، وقد توفي فلاج رحمه الله بعد عام ١٢٨٩ وخلف ذرية من الأولاد الذين كان لهم حظوة وأمرة من بعده.

تميز بالشجاعة والثبات وصدق الأفعال في زمن الاضطرابات السياسية

■ تحلى الشيخ ثلاب بن فلاج العجالين -رحمه الله- بصفات العرب المحمودة، فهو مقاتل حر تتراءى في صفاته النبل والإباء وهو إلى جانب اعتزازه بعراقة وجزالة أفعاله وصفاء حسبه ونسبه، رجل جسور في الحروب والمعارك مهاب في حضوره وغيابه لا يساوم أبداً فيما يتعلق بدينه وعقيدته، عرف بصدق أفعاله في زمن كثرت به الاضطرابات السياسية وإخلاصه في معاركه مع المؤسس حين توحيد البلاد، وقد كان -رحمه الله- محبا لأهل الدين والعلم، حريصاً على تطبيق شرع الله بالعدل والإنصاف بين الناس، كما وصف بالكرم والبذل وخدمة المعسرين والمعوزين.



لعب ثلاب العجالين دوراً محورياً في كثير من معارك توحيد البلاد

خروجه للكويت

ويعتبر الشيخ ثلاب أحد القادة المشهورين في منطقة الأفلاج، حيث برز دوره في مسيرة توحيد المملكة تحت راية الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، وكان مقرباً من المؤسس وأحد رفقاء دربه ومشواره الطويل إلى أن تحقق للملك عبدالعزيز هدفه في توحيد البلاد، وتعود بداية التقاء ثلاب العجالين بالملك عبدالعزيز عندما تبعه إلى الكويت، ولازم الملك إلى ما بعد استرداد الرياض وما تلاها من مراحل توحيد المملكة البلاد وجمع شتاته، وكان خروجه وبعض أبناء عمومته إلى الملك عبدالعزيز في الكويت بعد خلاف لهم مع الأمير عبدالعزيز بن رشيد في حائل حيث توجهوا إلى الكويت للانضمام للملك عبدالعزيز هناك، وهم الذين كانوا على علاقة سابقة ووطيدة مع أسلافه.

رافق الشيخ ثلاب العجالين الملك عبدالعزيز منذ بداية رحلته وشارك في التحركات التي كان يقوم بها في أطراف الإحساء، ثم صحبه حتى الربع الخالي واستمر معه حتى استرداد الرياض.

يشير المؤرخ عبدالرحمن الرويشد أن ثلاب العجالين تميز بالشجاعة والثبات، وشارك في يوم دخول الرياض، ويسرد الرويشد تلك الواقعة التاريخية، فيقول: في الحادي والعشرين من شهر رمضان ١٣١٩، انطلق الجميع من يبرين إلى الرياض، وكانت الخطة التي رسمها لهم المؤسس أن يمكثوا نهارا ويسيرون ليلا إلى أن شارفوا ضواحي الرياض، وفي الخامس من شوال توزعوا فمنهم من بقي في (ضلع الشقيب) الواقع الآن جنوب مدينة الرياض "حديقة المناخ" للحفاظ على المؤن والذخيرة وسد الطرق الرئيسية المؤدية إلى الرياض، ومنهم من تقدم وهم ثلاثة وثلاثون مقاتلا، اختفوا في طرف الرياض الشمالي وكانوا بقيادة الأمير محمد بن عبدالرحمن ومنهم ثلاب العجالين، أما البقية فقد دخلوا الرياض سيرا على الأقدام، واستطاعوا أن يتسوروا الجدران إلى بيت عجلان عامل ابن رشيد، ولكنهم لم يجدوه في دارته الخاصة، وعندما علم الملك عبدالعزيز بذلك استدعى أخاه محمد بن عبدالرحمن ومن معه، وفي الصباح خرج عجلان عامل ابن رشيد من حصن المصمك ففاجأه الملك عبدالعزيز ورجاله، وتمكنوا من قتله، وقتل عدد من حراس القلعة وصرع اثنان من جنود الملك عبدالعزيز، وجرح ثلاثة واضطر باقي رجال الحامية إلى الاستسلام.



رسم تقريبي للشيخ ثلاب العجالين في شبابه

المعارك التاريخية

عاصر الشيخ ثلاب العجالين سقوط الدولة السعودية الثانية، وفترة حكم محمد بن رشيد وعبدالعزيز "الجنازة" ومن ثم فترة من حكم الملك عبدالعزيز، ويسرد المؤلف عبدالرحمن الرويشد صحبة ثلاب العجالين للملك عبدالعزيز لاسترداد مدينة الرياض مع من صحبه من أمراء الدواسر وشجعانها، وكان قد اجتمع به وهو في طريقه من الكويت إلى الجنوب قرب الربع الخالي، ويقال إنه اجتمع به قبل ذلك في الكويت إثر خلاف نشب بينه وبين عامل ابن رشيد، وشارك ثلاب العجالين في العديد من المواقع التي خاضها الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، مما أكسبه الخبرة الكبيرة والتي انعكست على شخصيته القيادية الحكيمة نتيجة التجارب والمواقف التاريخية التي مر بها -رحمه الله-، ومن ضمنها تصديه للجيش الذي قاده سالم ابن سبهان أحد أشهر أعوان الأمير عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وذلك قبل استرداد الملك عبدالعزيز للرياض في شوال ١٣١٩ بعدة أشهر، كما شارك الأمير ثلاب العجالين في عدد من الحملات والمعارك التي استهدفت توحيد المملكة، قبل وبعد دخول الرياض ولم تتوقف مشاركاته -رحمه الله- إلى أن توفي بعد معركة جراب سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م، ويذكر الرواة أنه بعد ذهاب ثلاب العجالين للكويت، انضم لجيش الملك عبدالعزيز القادم لاستعادة الرياض، فشارك في بعض الغزوات التي سبقت دخول الرياض، ثم شارك دخول الرياض في أوائل شوال عام ١٣١٩ مع الملك عبدالعزيز، وخاض موقعة المصمك الشهيرة، التي سيطر بعدها الملك عبدالعزيز على الرياض وبدأ مرحلة التأسيس وكان ثلاب أحد أشهر المسؤولين عن تجهيز غزو أهل الأفلاج، وجمع الرجال وحثهم على المشاركة، وغير ذلك من المهام التي تخصه، وذلك حسب توجيهات وتعليمات الملك عبدالعزيز -رحمه الله-.



قاد العجالين لواء معركة تربة عام ١٣٣٧هـ

وكان له "بيرق أبيض" تولى حمله في عدد كبير من المعارك والحروب، كما شارك في موقعة الدلم بالخرج سنة ١٣٢٠ وما تلاها، ثم ضم منطقة القصيم (١٣٢٢-١٣٢٣) وبعض الوقعات فيها كموقعة البكيرية الشهيرة ١٣٢٢هـ، وكذلك موقعة روضة مهنا في صفر ١٣٢٤هـ، وموقعة المجمعة، وموقعة الطرفية في عام ١٣٢٥هـ، ودخول بريدة ١٣٢٦ وغيرها، وكان أهل الأفلاج مساندين للملك عبدالعزيز في معاركه ضد خصومه فقد كانوا يرسلون حوالي ٣٠٠ رجل في المعارك الاعتيادية، أما في المعارك التي يتطلب فيها جيش كبير فيزداد العدد إلى أضعاف مضاعفة، ومن ذلك فقد أرسلوا قرابة ٨٠٠ رجل من الأفلاج في إحدى مواجهات الملك عبدالعزيز في منطقة القصيم، كما قاد وشارك الشيخ ثلاب في عدد من المغازي كدخول الأحساء وطرد الحامية العثمانية منها في جمادى الأولى ١٣٣١هـ وموقعة جراب في ربيع الأول ١٣٣٣ وموقعة كنزان التي حدثت بعد جراب بعدة أشهر في نفس السنة، وموقعة باطب قرب حائل في ذي الحجة ١٣٣٦هـ، كما قاد عدد من الألوية، ضمن جيش الملك عبدالعزيز كلوائه في معركة تربة في شعبان عام ١٣٣٧، وقد ذكر غزو أهل الأفلاج فيها المؤرخ محمد العلي العبيّد في تاريخه، وعودا على ذي بدء فعندما قدم الملك عبدالعزيز بجيشه إلى الأفلاج لإنهاء بعض المشاكل عام ١٣٢٨ استضافه الشيخ ثلاب في قصره مرحبا به وبمن معه، وكذلك أعيان وأهالي الأفلاج، وقد كانت هذه الزيارة الثانية للإمام عبدالعزيز بعد زيارته الأولى عام ١٣٢٠هـ، والتي كان أيضا لثلاب وأبناء عمومته في مقدمة مستقبليه والمرحبين به حيث تقبل الإمام البيعة والنصرة ولم صفوف أهالي الأفلاج تحت راية توحيد البلاد.



يعد العجالين أحد القادة المشاهير في الأفلاج

وفاته

قضى الشيخ ثلاب العجالين مع المحاربين الأوائل مع الملك عبدالعزيز حياتهم في السعي مع المؤسس لتوحيد البلاد، وبعد عام ١٣٣٧هـ وهو العام المعروف عند أهالي نجد بسنة "الرحمة" حيث توفي عدد كبير من الناس جراء الحمى الأسبانية التي تفشت في أصقاع العالم بعد الحرب العالمية الأولى، بعد هذه السنة توفي الشيخ ثلاب العجالين، في ليلى بالأفلاج وهو في الخمسينات من العمر بعد حياة حافلة بالمآثر والتضحيات التي قدمها هو وعدد كبير من أبناء عمومته وبلدته التي شهدت ميلاد عدد من أبنائه الذين ساروا على نهج والدهم رحمه الله رحمة واسعة.



ضلع الشقيب التي حفظ فيها المؤن والذخيرة خلال معركة استرداد الرياض



شارك الفقيد في معركة استرداد الرياض

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عالم وأديب وشاعر اشتهر بالحزم في أمور الدين والقوة في الحق والأمانة في العمل

محمد الشاوي.. موسوعة العلم والأدب

■ أمضى الشيخ محمد عثمان الشاوي حياته دفاعا عن عقيدة التوحيد، ومحاربة البدع التي رسخت في بعض أطراف العالم الإسلامي آنذاك، فقام بتدريس العقائد لتوضيح خالص التوحيد، ولتبصير الناس بعقيدتهم السمحاء، ونفض كل صور الشركيات، حيث تأهل جيدا وتسلح بالعلم والإثبات، وقدم الغالي والنفيس،إضافة إلى كونه شاعرا لا يشق له غبار فقد ناضل الشعراء وأصحاب المقالات الذين استسلموا للبدع والخرافات المنافية لصفاء التوحيد، فنشرت قصائده في الصحف المحلية، لاسيما تلك التي نظمها في المناسبات العامة، وقصائد أخرى تترجم مدى حرصه على دينه وولاءه لعقيدته ويتضح من سيرته رحمه الله ثقة الناس به ولا سيما وقد تقلد عدة مناصب في سلك القضاء والتدريس، ومن وفاء الملك عبدالعزيز له فقد أمر بعلاجه في الداخل والخارج قبل وفاته بداء السرطان، وحينها تسابق إلى رثائه العلماء والأدباء والشعراء نظير ما عرفوه عنه حيث وصف -رحمه الله- بأنه كان عالماً ربانياً ورعاً حسن السيرة، دمث الخُلق، سخياً كريماً ومشهوراً بعلم الأدب، ومسيرته زاخرة بالعطاء والولاء نستعرضها من خلال ما جاءت به التراجم التاريخية، وما أكده أهل العلم والمعرفة.

تسلح بالعلم وعمل في القضاء وأسهم في تبصير الناس في أمور الدين ونشر العقيدة الصافية والتوحيد الخالص

ولد الشيخ محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان في بلدة البكيرية بالقصيم بنجد سنة ١٣١٣هـ، اشتهر رحمه الله بلقب "الشاوي" فقد بصره وهو في الثالثة من عمره نتيجة لإصابته بالجدري وفي سن الرابعة عشر حفظ القرآن الكريم على يد المقرئ محمد بن علي بن محمود، ثم اتجه لمبادئ العلوم على الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم في بلدة البكيرية، بعد ذلك انتقل إلى مدينة الرياض، فقرأ على العلامة الشهير الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في سائر العلوم بما في ذلك علم العقائد والتوحيد وقرأ على الشيخ عبدالله بن راشد العنزي في الفرائض وعلى الشيخ سعد بن محمد بن عتيق في الفقه والحديث وعلى الشيخ محمد بن فارس في ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل.

وذكر كذلك من شيوخه الشيخ عبدالله العنقري، والشيخ عبدالله بن سليمان آل بليهد كما نهل العلم على نفر من آل الشيخ، وآخرين من خاصة الفقهاء، وعلماء النحو، وممن برعوا في الفرائض والحديث، وعرف عنهم الفضل، وإخلاصهم للعلم والشريعة والتوحيد والدعوة، سواء من عرفهم في البكيرية أو في الرياض ولا غرابة فقد كان العلماء آنذاك يتنقلون بتعليم الناس أمور دينهم كما كان طلاب العلم وحتى العلماء يأمون الحرمين الشريفين في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة لطلب العلم على يد علمائها الأفذاذ داخل الجزيرة العربية وخارجها حيث كانت البلاد عامرة بالمتخصصين في فروع المعرفة، والمتفرغين للتدريس، ونشر العلوم، لاسما أولئك الذين توارثوا التعليم والقضاء والحفاظ على التوحيد وتدريس الفقه بكافة فروعه.

حياته العملية

كان الشيخ محمد بن عثمان الشاوي -رحمه الله- ممن تعلموا تعليما دينيا يقوم على العقيدة والتوحيد الخالص، كما تعلم نحو اللغة وصرفها، ويذكر البسام في "تذكرة أولي النهى والعرفان" أن الشيخ أعد إعدادا جيدا للقضاء والتدريس والدعوة إلى الله، وأنه رحمه الله تولى القضاء وهو في الثالثة والعشرين من عمره في (هجرة سنام) التي كان يسكنها أناس من العصمة، ثم نقل بعد ذلك إلى قضاء هجرة (الغطغط) حيث الشيخ رحمه الله يبصر الناس بما أوتي من علم لمواطن الرفق، ومناسبات الشدة، ومواضع اللين ، ووسائل الموعظة الحسنة، وطرق السعي في الحياة، وكان كثير من أهل تلك الهجر حريصون على التعليم والتذكير، وكان للهجر نظام اللائحة، وفيه الواجبات والحقوق، وعدد المرابطين، وفروعهم وكانت تلك قوى للدعوة مشحونة بالحماسة الدينية وعلى أهبة الاستعداد لمواجهة البدع والمتربصين من الأعداء، ولكنها بحاجة إلى التبصير والتذكير والتعليم، والسير على الهدى وقد استوطن الأهالي في هجرتي الغطغط وسنام، يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون، وقد نشأت هذه القرى نشوءا سريعا، فصارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة، ويذود الرجال عن قراهم بكل شجاعة وبسالة يدافعون عن دينهم وعقيدتهم الصحيحة النابعة من إيمانهم القوي، ويذكر أمين الريحاني في كتابه "تاريخ الحديث نجد وملحقاته" ما نصه أن "إخوان مطير في الأرطاوية مثلا، وإخوان حرب في (دخنة) وإخوان عتيبة في (الغطغط) أشد جيوش ابن سعود بأسا، وأبسلهم نضالا، وأسبقهم إلى الاستشهاد كيف لا وقد قلدوا سيفين: سيف الدين ، وسيف الثبات فلا يشردون، ولا يتراجعون، وقلما ينهزمون ، إنهم يحاربون حبا بالاستشهاد، والجنة، وحبا بالمحافظة على ما يمتلكون، صاروا يخافون النار ويخشون عاقبة الفرار، ويصفهم الريحاني بأنهم جيش التوحيد.



سعى الشاوي -رحمه الله- في تبصير الناس بأمور دينهم ونشر العقيدة الصحيحة



أمر الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- بعلاج الشاوي داخل وخارج المملكة وفاءً له

التعليم والقضاء

عين الشيخ محمد عثمان الشاوي مدرسا في المعهد السعودي بمكة المكرمة، إلى جانب قيامه بالتدريس في المسجد الحرام وذلك عام ١٣٤٦هـ، وهناك التقى بالعلماء الأفذاذ من كافة أقطار العالم الإسلامي فعقدوا الندوات والحلقات العلمية والتعليمية وتبادلوا مسائل العلم والكتب بعدها عاد الشيخ إلى تربة ليعمل في القضاء، ثم انتقل بعدها إلى شقراء عاصمة الوشم، فعمل بها قاضيا حتى توفي حيث دهمه المرض الخطير وهو مدرس حتى قيل إنه كان يضطر إلى تدريس طلابه وهو مضطجع كي لا ينقطع عن دروسه وتعليم طلابه، وقد حرص الملك عبدالعزيز في سبيل شفائه فبذل محاولات لعلاجه في الداخل والخارج إلا أن القضاء سبق الطب والدواء ومات الشيخ بـ داء السرطان وله من العمر أربعون سنة وكان ذلك عام ١٣٥٤هـ كما ذكر ذلك صاحب "مشاهير علماء نجد" ، ويشار إلى أن الكثير من أهل العلم قد أخذوا العلم عن الشيخ محمد عثمان الشاوي ومنهم الشيخ الورع عبدالله بن يوسف الوابل - والشيخ إبراهيم بن راشد الحديثي، والشيخ عبدالعزيز بن سبيل والشيخ عبدالرحمن المقوشي، ومحمد صالح الخزيم، وسليمان الصالح الخزيم، وعبدالله بن عبدالعزيز الخضيري، وعبدالله بن سليمان السديس، وإبراهيم بن عبدالعزيز الخضيري وكل هؤلاء من بلده، كما أخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل.



أحد مؤلفات الشاوي رحمه الله

شغفه بالأدب والشعر

عرف الشيخ محمد الشاوي رحمه الله بدماثة خلقه،وورعه،وسخائه،وحسن تعامله،كما كان مولعا بالأدب وعلم العروض، ما دفعه إلى قول الشعر ونظم القصائد، وله في ذلك مساجلات مشهورة في شعر المناسبات، وتصنيف الأحداث ويتضح من خلال أشعاره بانه من المتحمسين لعقيدة التوحيد، كما أن له قصائد نشرتها صحف ومجلات عصره، منها: قصيدة «رثاء الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، التي نشرت في جريدة أم القرى - العدد ١٨٩ - ١٧ صفر ١٣٣٧هـ. وقصائد أخرى لعدد من المناسبات، وحين علم الملك عبدالعزيز بمرض الشيخ محمد الشاوي سعى في علاجه داخل المملكة وخارجها، وبذل جهودا جبارة في ذلك إلا أن أجل الله لا يؤخر، حينها أدرك الشيخ صعوبة وضعه الصحي فنظم الشيخ قصيدة يشكو فيها وجعه إلى ربه، ويسأله كشف ضره، وتفريج كربه، منها هذه الأبيات:

أسير الخطايا عند بابك يقرع
يخاف ويرجو الفضل فالفضل أوسع
مقر بأثقال الذنوب ومكثر
ويرجوك في غفرانها فهو يطمع
فأنت ذو الإحساس والجود والعطا
لك المجد والأفضال والمن أجمع
فكم من قبيح قد سترت عن الورى
وكم نعم تترى علينا وتتبع

-ويدع الله متضرعا:

بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى
توسل عبد بائس يتضرع
اعنى على الموت المريرة كاسه
إذا الروح من بين الجوانح تنزع
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما
يركم من فوقي التراب وأودع
وثبت جناني للسؤال وحجتي
إذا قيل من رب؟ ومن كنت تتبع؟
ومن هول يوم الحشر والكرب نجني
إذا الرسل والأملاك والناس خشع
ويا سيدي لا تخزني في صحيفتي
إذا الصحف بين العالمين توزع
وهب لي كتابا باليمين وثقلن
لميزان عبد في رجائك يطمع
ويا رب خلصني من النار أنها
لبئس مقر للغواة ومرجع

ويشير المؤرخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن أن الأبيات تفصح عن المحنة التي امتحنها الشيخ في بدنه، كما تفصح عن اليقين الثابت بين جوانحه، مشيرا أن النص صورة من شعر علماء والدعاة بما يحفل من الوقار، والإيمان، وما يتضمن من علائم الصبر والتخلق بالجلد في الشدة وجودة العبارة، ورصانة الكلمات، إلى جانب الإيقاع الملائم لموقف الابتهال، وطلب العفو من الله، ورجاء العافية وموضحا أن هذا النوع من الشعر كثير في كل عصور الإسلام وأن يكن أكثره فيما تلي العصور العباسي الأول وما سبق المرحلة الأخيرة من عصرنا الحديث، وهو ما قد يسميه البعض (الشعر الديني)، وغير ما سمي بشعر الزهد أو التصوف مما شاع في تلك الحقب من الأزمان، وهو شعر له مريده و مردوده ومبينا أن هذه القصيدة عظيمة تدل على عظمة منشئها وما لديه من العلم، والمعرفة وقوة الإيمان ورسوخ العقيدة.

رثاء الشيخ محمدالشاوي

في التاسع من شهر رجب سنة ١٣٥٤هـ توفي الشيخ محمد بن عثمان الشاوي في بلدة شقراء بعد سنوات طوال من العلم وتعليم والعمل، فحزن عليه محبوه وطلابه وأقرانه من العلماء والمشائخ، ورثاه عدد منهم حيث وصف محمد بن عبدالعزيز بن هليل سجاياه ، وفضله ومستعرضا أخلاقه، وورعه وحرصه على دينه ومبادئه وذلك حين رثاه قائلا:

الحمد لله حمد الصابرين على
أقدار ذي العرش تسليما وإيمانا
قضى وقدر أن الموت دائرة
كؤسه في الورى لم تبق إنسانا
فاين عاد وكسرى وابن ذي يزن
ومن يؤازرهم ومن لهم عانا

إلى أن قال :

شيخ زكي حيي حاز عرفانا
هو الذي حمدت في الناس سيرته
محمد شيخنا الشاوي بن عثمانا
أكرم به من فتى ما كان أكرمه
جودا ومجدا وأخلاقا وإيمانا
ساع إلى الذكر والخيرات متبعا
داع إلى الله أسرارا وأعلانا
لكل ذي ثقة صفت مودته
ما شابها كدرا وشائن شانا
وواصل مع بر الوالدين ولم
يضمر لإخوانه حقدا وأضغانا
من الدعاة الألى للدين قد نصروا
وهدموا من بناء الشرك أوثانا
تعلم الفقه عن أحبار نعرفه
كانوا وربى لهذا الدين أركانا



قام الشاوي بالتدريس في المسجد الحرام، كما عمل مدرساً بالمعهد السعودي بمكة



ولد الشيخ الشاوي رحمه الله في البكيرية عام ١٣١٣هـ

الرياض
الجمعة ٢٧ محرم ١٤٣٨هـ - ٢٨ أكتوبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٥٨ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17658 54th Year -FRIDAY-28- 10 - 2016

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم، وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

حمد البسام.. أول طبيب نجدي

برز اسم د. حمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن عبدالعزيز البسام الملقب «أبو نجيب» كأحد أعلام مدينة عنيزة الذين برزوا في علوم الطب والجراحة، كما برع في عالم التجارة والأدب، كما كان لغويا بارعاً في علوم اللغة العربية وآدابها، حيث تمكن الدكتور حمد من الجمع بين دراسته في مدينة بمباي ومزاولة أعمال والده التجارية، فعمل بجد ونشاط إلى أن حصل على أعلى الدرجات العلمية، فتدرب وعمل في المستشفيات الهندية، وألمّ بعلوم الطب وأساليب التجارة. وقد هيّأ له والده عبدالله المناخ والبيئة الخصبة لتلقي العلوم والتميز في التخصص، فكان أول طبيب نجدي يشار إليه بالبنان، وبعدما قرر الدكتور حمد العودة إلى بلدته عنيزة بعد رحلته الطويلة التي حصل فيها على مراده ومبتغاه وتعلم فيها صنوفاً وضروباً من العلم والمعرفة وتمرس في الطب والجراحة ساهم من خلالها في خدمة أهل بلدته عنيزة حيث قام بمساعدة المرضى والمعوزين والعاجزين عن العمل، وتقديم العلاج لهم وعلى الرغم مما حفلت به رحلته الطويلة من ظروف وقصص ومصاعب إلا أنه بفضل من الله استطاع أن يجتازها، كما كان لنصائح والده وتوجيهاته دور فيما وصل له ابنه حمد من ريادة في علم الجراحة والطب في نجد كما كان له دور مماثل في تقدمه في عالم التجارة.

جمع مهنتي «الطب والتجارة» بجدارة وخاض قصة كفاح طويلة متنقلاً بين الدول لطلب العلم والاطلاع على الحضارات المعاصرة

نشأته وتعليمه

ولد حمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن عبدالعزيز البسام «أبو نجيب» عام ١٩١٠، في عنيزة، بإقليم القصيم، وانخرط في التعليم منذ صغره فأتقن القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وأجاد اللغة وأتقن الخط العربي، ولعشقه لعلوم اللغة العربية فقد اطلع على الفنون العربية المختلفة كالشعر والأدب كما قرأ التاريخ والسير، من خلال وجود مكتبة زاخرة بالمخطوطات الأدبية بمزرعة المهيرية، حتى انه كان شاعرا وأديبا معروفا ومشهوراً بين أبناء زمانه، وإلى جانب ذلك فقد اكتسب من والده وعميه سليمان وعبدالرحمن الكثير من العلوم والمعارف.

وتعود قصة كفاح حمد البسام إلى والده عبدالله، فبعد وفاة الجد الأكبر محمد قرر الابن عبدالله السفر إلى بومباي عام ١٩٠٧ ليدير تجارة العائلة خلفا لوالده رحمه الله، تاركا خلفه زوجته نورة البسام، وابنته حصة وهي والدة معالي الشيخ عبدالرحمن أبا الخيل وزير العمل والشؤون الاجتماعية الأسبق، وكان عبدالله يسافر ما بين بومباي وعنيزة عبر البحرين أو البصرة ولما رأى من ابنه حمد براعة اللغة العربية والمعرفة بعلوم الدين وثقافته التاريخية شجعه على الالتحاق به في الهند لاكتساب العلوم الحديثة والاطلاع على الحضارة المعاصرة آنذاك، وسافر حمد إلى الهند يصحبه عمه الأصغر عبدالرحمن، ولم يتجاوز عمره آنذاك ال ١٥ عاما، وتخلل رحلته العديد من المشاق، حيث انتقل في بداية مشواره عبرة قافلة من الجمال إلى الزبير، والتي تبعد نحو ٨٠٠ كلم عن عنيزة، وبقي في الزبير لعدة أيام في أحد منازل أسرة البسام، بعد ذلك انتقل إلى البصرة، وبقي فيها نحو شهر كامل إلى أن سنحت الفرصة فغادر البصرة برفقة عمه، بواسطة سفينة بخارية تابعة لشركة الهند البريطانية للملاحة التي انطلقت من ميناء العشار بالبصرة باتجاه كراتشي ثم بومباي، ومرورا بعدد من الموانئ، واستغرقت الرحلة ما يقارب من ١٥ يوما.

وفي عام ١٩٣٥ م وبعد طول المسير وصل حمد وعمه إلى بومباي التي كانت مهوى أنظار وقلوب التجار لما عرفت به من تنوع تجاري وحركة متبادلة في التجارة وتصدير البضائع والمواد التموينية والأقمشة لمنطقة الخليج، فسكن الشاب مع والده عبدالله، بعد ذلك أحضر له والده مدرسا لتعليمه الإنجليزية، تمهيدا لإلحاقه بالمدارس الرسمية الهندية، ثم أنهى الشاب حمد مراحل التعليم ما قبل الجامعي في مدرسة "سانت ماري"، وأجاد خلال دراسته ٣ لغات، وكان متميزا عن باقي الطلاب في تحصيله العلمي، ولما رأى منه والده النجابة والذكاء وحصوله علي درجات التفوق، ألحقه في كلية "سانت زافيير"، لدراسة المرحلة التمهيدية المؤهلة للالتحاق بكلية الطب، وبعد إنهاء دراسته التمهيدية، التحق بكلية الملك



حمد البسام -رحمه الله-

إدوارد الطبية التابعة لجامعة بمبي "King Edwards Medical College" والملحقة بمستشفى الملك إدوارد السابع التذكاري، وكان حمد خلال دراسته يتردد لزيارة أهله وذويه ومعارفه في عنيزة خلال الإجازة الصيفية، وذلك بواسطة البواخر من بومباي وصولا للبحرين، ومن ثم إلى الخبر بواسطة المراكب الشراعية، ثم إلى عنيزة عن طريق البر، وخلال زياراته المتكررة لمسقط رأسه تزوج حمد من إحدى قريباته وهي فاطمة بنت فهد بن عبدالله البسام، التي انتقلت معه إلى بومباي بعد عدة سنوات من الزواج، وهناك ساهم استقراره الأسري في مواصلة دراسته للطب إلى أن تخرج من كلية إدوارد الطبية أواخر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م، فتدرب واستقر بعمله في المستشفيات الهندية، وحصل على دورات في مختلف التخصصات الطبية، واستطاع الجمع بين وظيفته وعمله، فكان يعمل ويتدرب في المستشفيات صباحا، ويخصص الفترة المسائية لمزاولة تجارة والده، الذي توفي في بومباي عام ١٩٤٣، وقد اكتسب حمد -أو أبو نجيب كما كان يعرف- الخبرات الواسعة في الطب والتجارة، نتيجة حرصه على النجاح واستشعاره بتحمل المسؤولية، إلى جانب مسؤولياته فلم ينقطع عن هواياته المفضلة في الشعر والأدب، والتعرف على إصدارات دور النشر الغربية من المؤلفات الأدبية والفنون المسرحية التي كانت تزخر بها المكتبات العامة في بمباي.

وكان د.حمد البسام حريصاً أشد الحرص على المناسبات التي كانت تعقدها المدارس والجمعيات العربية في مدينة الهند، ومع مرور الوقت وكثرة الضغوطات قرر الدكتور حمد التفرغ للتجارة، دون أن ينقطع عن الطب كليا فكان يستقبل المرضى ويعالجهم خلال قضاء إجازته في القصيم، بل وكان يذهب بنفسه للمرضى الذين لا يستطيعون المجيء إليه، إضافة إلى إلقاء محاضرات صحية وتوعوية على طلاب المدارس، وحثهم على مواصلة التعليم في مختلف المجالات، وبذلك يكون "أبو نجيب" هو اول طبيب نجدي عرفه التاريخ وثق المؤرخون اسمه في هذا المجال كما ذكر ذلك أبناؤه في



الملك سعود -رحمه الله- خلال زيارته للهند ومن ضمن مستقبليه حمد البسام

الكتاب الذي رصدوا ووثقوا فيه حياة والدهم باسم "رحلة العمر".

في بلاد الهند

بعد وفاة محمد الجد الأكبر للدكتور حمد، اجتمع أعيان عائلة آل بسام لمساعدة حمد جد الدكتور حمد وقدموا له ما يكفيه للقيام بأعمال التجارة وطلب من أعمامه أن يكون هذا الدعم عبارة عن قرض يسدده لاحقا، ولم يكن الشاب البالغ من العمر ١٧ ربيعا مقتنعا بجدوى الاستثمار الداخلي، فسافر للهند ليعمل هناك بعزيمة وإصرار، ولم تمض سوى ٣ سنوات حتى استطاع الشاب حمد الاستقلال عن عائلة آل الغانم التجارية التي كان يعمل لديها عندما وصل الهند ومارس تجارة التوابل والحبوب، وبعد مضي سنوات معدودة من ممارسته للتجارة، قام بزيارة إلى والدته وإخوته حاملا الهدايا لهم، وكذلك المبالغ المالية التي اقترضها سابقا من أعمامه وأبناء عمومته بعد وفاة جده وهو في مقتبل العمر، وأثناء زيارته أقنع إخوته الصغار عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن وحثهم على السفر للهند وممارسة التجارة وشق طريق مستقبلهم بأنفسهم، فاصطحب معه عبدالعزيز الذي أصبح تاجرا في الهند، ثم لحق بهم الأخ عبدالله، الذي اختار مجال الزراعة إضافة إلى اهتماماته الأدبية والتاريخية، وعندما عاد لعنيزة صقل موهبته باستضافة الأدباء والعلماء والمستشرقين في مزرعته (المهيرية) وأصبح من أبرز مؤرخي نجد للقرنين الثاني والثالث عشر، ولما حققته عائلة آل البسام من نجاحات متتالية في مختلف الأنشطة التجارية وسمعة عطرة وسط تجار الخليج والجزيرة العربية في الهند والعراق، وبلاد الشام، فنالوا بذلك مركزا تجاريا مرموقا ونظير هذه السمعة الطيبة والنفوذ التجاري، فقد استدعى الملك عبدالعزيز رحمه الله آل البسام إلى الرياض، واحتفى بهم، وكانت وفاة الجد حمد في الزبير عام ١٩٠٦ عن ٥٩ عاما، ودفن بمقبرة الحسن البصري، بعد أن سلك بأبنائه دروب العلم والتجارة وحقق معهم النقلة النوعية لأسرته وأبناء عمومته ودلهم وعرّفهم على طرق التجارة ليقوموا بتأسيس البيوت التجارية التي توزعت في أقاليم الجزيرة العربية ودول الخليج العربي.

بيت تجاري

استقرت عائلة البسام منذ زمن بعيد في مدينة عنيزة، ويعتبر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن حمد البسام أول من نقل نخيل البرحي من البصرة عام ١٨٩٣م إلى عنيزة وغرسها في مزرعته لتنتشر بعدها في أرجاء المملكة، وأول من سافر من عائلة البسام إلى الهند هو حمد بن محمد بن عبدالعزيز البسام جد (المترجم له) عام ١٨٦٣م، وأسس مكتبا تجارياً عام ١٨٩١م، ثم تبعه رجال من الأسرة مثل التاجر صالح بن عبدالله البسام الذي



نشر شماغ البسام الأحمر في الجزيرة العربية والتاجر حمد سليمان حمد البسام، والتاجر محمد علي عبدالله البسام (المتوفى ١٩٨٤م) الذي أثر البقاء هو وأولاده في الهند وأصبح من أكبر التجار العرب، ومنهم أيضا في مملكة البحرين التاجر سليمان حمد البسام، والتاجر عبدالعزيز علي البسام وأصبحا من أشهر التجار، وإضافة إلى الجانب التجاري فقد برز من هذه الأسرة عدد كبير من رجال العلم والدين

الطب في نجد

ونتيجة لرحلة الدكتور حمد البسام الشاقة سواء في حصوله على شهادة علمية لم يسبقه عليها أحد في نجد أو متابعته لأعماله التجارية فقد استحق – عند عدد من الباحثين – أن يكون أول طبيب نجدي في المنطقة، وفي سياق الحديث عن تاريخ الطب في المملكة يجدر بنا الوقوف على بعض المحطات والنقلات النوعية في هذا المجال الحساس والأهم لدى عامة الناس، حيث إن من أهم انجازات المرحلة التي بدأت من عام ١٣٤٣هـ إلى عام ١٣٧٠هـ، صدور بعض الأوامر ببناء عدد من المستشفيات، ومستشفيات الولادة والمستوصفات والمراكز والمحاجر الصحية، وتكوين فرق طبية مجهزة تجهيزاً طبياً كاملا لتجوب المدن والقرى لتأمين العلاج والتطعيمات اللازمة، كما تم استحداث أقسام متخصصة في المديرية العامة للصحة كإدارة الطب الوقائي وإدارة للمستشفيات وأخرى للمستوصفات، كذلك تم في عام ١٣٧٢هـ إرسال أول بعثة طبية منقولة جواً إلى المناطق الشمالية للمملكة، وكشفت الإحصاءات العامة في عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أن عدد المستشفيات العامة كان أحد عشر مستشفى، وخمسا وخمسين مستوصفاً ومركزاً صحياً؛ عدا المحاجر ومكاتب الكرنتينه بجدة وثمانية صيادلة قانونيين، و ٤٩ مساعداً صيدلياً، وسبعين ممرضاً ممارساً ومتمرناً، وتسعين من الممرضين العاديين، وثلاثا وثلاثين مساعد مختبر للتحليل والتركيب، وستة وعشرين ممرضاً سياراً ومتجولاً، وستة وثلاثين طبيباً من مختلف الجنسيات، وذلك وفقا لما ذكره «د. محمد مفتي» في كتابه: «تطور الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية»، أما في مدينة الرياض؛ فبدأ القطاع الصحي عمله من خلال مبنى الطبابة الذي افتتح عام ١٣٥١ هـ عند باب القرى، وأشرف عليه «د. أحمد ياسين» -الذي يعرفه أهل الرياض آنذاك جيداً ووصل بمعية الملك عبدالعزيز حين عودته من الحج-، وفي عام ١٣٦٧ هـ صدر الأمر ببناء أول مستشفى بالرياض وقد بني من الطين والخشب في موقع المعاهد العلمية بشارع الملك فيصل "الوزير" قرب مسجد العيد آنذاك.

وكان حينها حمد البسام يمارس مهنة الطب في مدينته عنيزة إلى جانب عمله في التجارة، وقد كان إنشاء وزارة الصحة في ١٣٧٠/٨/٢٦هـ نقطة تحول بين عهدين من ناحية الرعاية الصحية، حيث سبق إنشاء الوزارة وجود دائرة الصحة في الحجاز التي كانت تشرف على عدة مستشفيات في المنطقة، وقد أعيد تنظيم دائرة الصحة في العهد السعودي عام ١٣٤٤ هـ التي شملت صلاحيات أكثر وسميت دائرة الصحة والإسعاف-، وفي عام ١٣٤٥هـ صدر نظام دائرة الصحة والإسعاف وأطلق عليها مديرية وعادت في مرجعيتها إلى النيابة العامة ونصت المادة رقم «٢» من نظامها بتكوين مجلس صحي في مكة المكرمة، ومن أنظمتها نظام التطعيم ضد الجدري، ونظام الطبابة والصيادلة، ونظام الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية.

ونشير هنا إلى أن أول وزير للصحة هو الطبيب السعودي الدكتور يوسف بن يعقوب الهاجري (١٣٣٨-١٣٩٦) الذي حصل على الشهادة الجامعية في الطب والجراحة من جامعة فؤاد الأول بالقاهرة وأمضى سنة الامتياز بمستشفى القصر العيني كما حصل على دبلوم الأمراض الصدرية من السويد، ورغم أنه ولد في الأحساء إلا أنه من أهالي ثادق وهو الذي اختاره المغفور له الملك سعود وزيرا للصحة في الحكومة التي شكلها جلالته في عام ١٩٦٢م.

وفاته

حرص الدكتور حمد على أن يلحق أبناءه بمؤسسات التعليم داخل المملكة منذ وقت مبكر كما كان -رحمه الله - يؤمن بمكانة الطب الشعبي والإبر الصينية والطب البديل، وكانت له محاولات لخدمة القطاع الصحي في المملكة عام ١٣٨٠هـ لولا اختلاف نظام التوظيف والشهادات بين المملكة والهند على الرغم من حرص الوزير حينها سيفالدين الشيشكلي على تعيينه في موقع يجاري شهادته العلمية المتفوقة، وبعد حياة طويلة من التنقل والارتحال وطلب العلم والتجارة، توفي الدكتور حمد البسام في الحادي العشرين من شهر محرم عام ١٤١١هـ في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية بعد حياة حافلة بخدمة أبناء وطنه وأمته لاسيما حينما كان طبيباً في شبه الجزيرة الهندية رحمه الله رحمة واسعة.



نيرن العائدة لمحمد عبدالله البسام على خط دمشق بغداد عام ١٩٢١م



شهد البسام مراحل تطور الطب والتوسع في الخدمات الصحية في المملكة

الرياض
الجمعة ٤ صفر ١٤٣٨هـ - ٤ نوفمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٦٥ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17665 54th Year -FRIDAY-4- 11 -2016

سطور المشاهير

عثمان بن بشر.. المؤرخ والأديب وخبير الأنساب

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

اشتهر المؤرخ النجدي الشهير عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر بالاهتمام بالتاريخ والادب حيث كان مؤرخاً وأديباً ونسابة إليه يعود أبناء زمانه في ما أشكل عليهم في علوم التاريخ والأنساب كما كان عاشقاً ومهتماً بعلم المواسم والأبراج والنجوم وفق ما يسمح به الشرع الحكيم حيث رصد في كتابه مواسم الزراعة والري والحصاد ومواقيت المطر وثقف الناس في مواعيد مناسباتهم الدينية والاجتماعية والتي يرى البعض أن هذا الكتاب هو أول كتاب «نجدي» عن الحسابات الفلكية والأبراج حتى كان الناس في نجد يتناقلون بعض المعلومات التي يطلقون عليها حسابات ابن بشر، ويتناقل الباحثون في هذا الزمان بعض من النسخ والمخطوطات التي تعود للشيخ نفسه والتي كتبها بخط يده سواءً كانت من إرثه العلمي أم أنها متوارثة من قبل بعض المهتمين بالمخطوطات والوثائق من ذلك شهادته وختمه على بعض الوثائق والمبايعات، حيث كان ختمه -رحمه الله- يحمل عبارة «الواثق بالمقتدر عبده عثمان بن بشر».

ربط جسوراً كثيرة من أحداث الدولتين الأولى والثانية ووثق بمؤلفاته تاريخ الجزيرة العربية



خادم الحرمين -حفظه الله- يتسلم من اللواء علي البشر -حفيد المؤرخ عثمان بن بشر- مخطوطات عمرها أكثر من ١٦٠ عاماً



ولد ابن بشر في جلاجل عام ١٢١٠هـ وعاصر العديد من التحولات التي شهدتها الجزيرة العربية آنذاك



عدد من المؤلفات التاريخية المهمة لابن بشر



إحدى الندوات التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز عن المؤرخ ابن بشر



أحد الطرق بالرياض سمّي باسم المؤرخ ابن بشر رحمه الله



نشأته

اتفق المؤرخون على أن مولد الشيخ والمؤرخ النجدي الشهير عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر كان عام ١٢١٠هـ في بلدة جلاجل بإقليم سدير، كما اتفقوا على أن كتاباته لاسيما التاريخية كانت وما تزال من أهم المراجع التي يعود إليها الباحث لمعرفة تاريخ وسط الجزيرة العربية لاسيما في القرون الأربع الأخيرة، ويذكر أن المؤرخ ابن بشر نشأ يتيما فوالده عبدالله بن عثمان كان قد توفي -رحمه الله- في الوقت الذي لم يتجاوز عمر ابنه «المؤرخ» الخامسة أي عام ١٢١٥هـ وذلك في مدينته جلاجل التي نشأ وتعلم فيها المؤرخ النجدي الشهير فقرأ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى الدرعية قرابة عام ١٢٢٤هـ، وهو حينها ابن الرابعة عشر من العمر، وكانت الدرعية آنذاك تعيش فترة ازدهار علمي واقتصادي كما أنها كانت مقر قيادة الدولة، وهناك تلقى المؤرخ ابن بشر العلم على يد عدد من العلماء الذين تتبعهم الباحث بدر الخريف كالشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي قرأ ابن بشرعليه كتاب «التوحيد» عام ١٢٢٤هـ، والشيخ علي بن يحيى بن ساعد، وقاضي الإمام سعود على سدير، والشيخ إبراهيم بن سيف، وقاضي الإمام عبد الله بن سعود على الوشم، وقاضي الإمام تركي على الرياض، والشيخ عثمان بن منصور، وقاضي الإمام فيصل على بلدان سدير، والشيخ عبد الكريم بن معيقل، والشيخ غنيم بن سيف، وقاضي الإمام سعود بن عبدالعزيز على مدينة عُنيزة.

معاصرته الأحداث

من ميلاده إلى حتى وفاته عاش المؤرخ ابن بشر عهد الدولتين السعودية الأولى والثانية وعلى الرغم من أنه أدرك عهد الازدهار والتوسع الذي جاء مع عهد الإمام عبدالعزيز وابنه سعود إلا أنه كان شاهد عيان على حملات محمد علي باشا إلى مرحلة سقوط الدولة، كما أدرك حالة الفوضى التي طالت البلاد جراء غياب السلطة وهي الفترة تنازع السيادة فيها بعض أمراء البلدان والأقاليم وشهدت البلاد حالة من الفوضى وانعدام الأمن، كما أدرك وهو في عنفوان شبابه عودة الإمام تركي بن عبدالله لاستعادة حكم أبائه حين دخل الرياض وجعلها مقر حكمه، ثم عودته مرة أخرى بعد حملات الباشا المتابعة، وكذلك عودة ابنه الإمام فيصل بن تركي، من مصر واستعادته حكم نجد والأحساء.

عشق ابن بشر التاريخ وسعى من خلال اطلاعه على أحداث عصره إلى تدوين ما يمر بالبلاد من تقلبات وصراعات تتبعها ابن في مؤلفاته التي غابت بعض نسخها عن الباحثين والمؤرخين، كما ترك عدد من المؤلفات والمخطوطات التي تنوعت حول الدراسات التاريخية والأنساب وكذلك النجوم والأبراج حيث اهتمامه كما كان من أهم كتبه ذلك الكتاب الذي سماه «سهيل في ذكر الخيل» والذي قيل أن ابن بشر ألفه تلبية لطلب الإمام فيصل بن تركي، أما كتاب «الإشارة في معرفة منازل السبع السيارة» الذي سبق التعريف به فقد انتفع منه عامة الناس لاسيما أهل البوادي والزراع في الحواضر، كما أن له كتاب «بغية الحاسب»، و«مرشد الخصائص ومبدئ النقائص في الطفيليين والثقلاء»، والذي صنفه البعض على أنه شبيه بكتابات بعض علماء العصر العباسي الذين تطرقوا للتاريخ الاجتماعي وصوروا لنا الجوانب المخفية من تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، وقد أصبغ عليه ابن بشر طابع السخرية وحث من خلاله على انتهاز الأعمار وحث فيه على انشاط والعمل، كما أن له كتاب اسماه «فهرس طبقات ابن رجب على حروف المعجم»، وهو من عنوانه يظهر سعة أفقه في الدراسات الإسلامية وعلوم التراجم أما كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» فيظل هو الكتاب الأشهر والأكثر تداولا بين الباحثين والمؤرخين، لاسيما أنه يعتبر -بلا أدنى شك- أحد أهم المراجع التاريخية للباحثين في تاريخ وسط الجزيرة العربية خلال القرون الأربعة السالفة.

أسلوبه وعباراته

أحدثت بعض عبارات ابن بشر جدل لدى الكثيرون ممن جاء بعده وعلى الرغم من أنها أقل مما ورد في مؤلفات ابن غنام -رحمهما الله- إلا أنها ظلت محل عتب من قبل عدد من العلماء الذين رأوا في كتاباته إقصاء للمخالف وتعميقا لما يراه ابن بشر أخطاء لكل من خالف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على أن هذه العبارات -كما يقول منتقدي ابن بشر- لم تكن من صميم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بل أنها جاءت كاجتهاد من قبل بعض العلماء الذين جاءوا بعد زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويصف الدكتور خليفة المسعود هذه الظاهرة بأنها حماس غير منضبط من قبل المؤرخ ابن غنام رحمه الله ويقول ، ثم أخذ منه المؤرخ ابن بشر -رحمه الله- فكان ألطف عبارة من سلفه» ثم يعرج على عبارات ابن بشر في وصف ممدوحه فيقول «لكن مشكلة إسباغ الأوصاف الخارقة على الممدوح ظلت صفة ملازمة»، أما الأديب والمؤرخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري فقال «ياليت الشيخ عبدالرحمن بن حسن لما وبخ ابن بشر على السجع المتكلف برسالته التي وجهها له، وبخه على ما هو مخالف لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كهذه العبارات الجالبة العداوات والمحن».

أما عباراته المطعمة بالسجع والمحسنات اللفظية فعلى الرغم من أنها لقيت في بعض مواقعها قبولاً من قبل البعض إلا أن عدد من العلماء رأى فيها أسلوبا متكلفا وسجعا زائدا كان بالإمكان تجنبه دون تأثير على المعنى المراد الوصول له، وإن كنا نرى أن ابن بشر -رحمه الله- ربما أراد من أسلوب السجع تقريب العامة وترغيبهم قراءته حيث تستلذ نفوسهم العبارات المسجوعة بل أن القراءات النجدية لأمهات الكتب كثيراً ما كانت تقرأ بلحون وأهازيج شعبية.

مراجعه ومنقولاته

يرى بعض المؤرخين أن ابن بشر عاد في معظم مادة كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» إلى ما خطه ابن لعبون بل أن منهم من زعم أن كتاب ابن بشر ما هو إلا نسخة من تاريخ ابن لعبون، بيد أن هذا القول وجد أيضاً تعليلات وتحفظ بعض الباحثين، فيما يرى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر أن ابن بشر نقل في تاريخه كثيرا مما ذكره ابن غنام والفاخري في تاريخيهما، ومع هذا لم يشر إلى ذلك، إلا أن الجاسر قال عن مؤلفه «عنوان المجد»: «إنه خير كتاب ألف في موضوعه على ما فيه»، وكما ذكرنا فإن المؤرخ ابن عيسى يرى أن «عنوان المجد» لابن بشر منقول من تاريخ حمد بن لعبون، بل هو بعينه، فيما تشهد كتابات المؤرخ المصري المعاصر محمد جلال كشك عن تاريخ الدولة السعودية على أهمية كتاب «عنوان المجد» لابن بشر، هذا على الرغم من أن كثير من كتابات ابن بشر وعدد ليس بالقليل من مؤرخي نجد انحصرت في معظمها على الجزيرة العربية لاسيما أقليم نجد، باستثناء ابن لعبون وابن عيسى.

عنوان المجد

قبل مايقارب ثلاثة عقود طبع كتاب «عنوان المجد» عدة طبعات وقد كتب عنه الدكتور عبد العزيز الخويطر رسالة تحليلية قال من خلالها : طبع الكتاب عدة طبعات، وكلها تعتمد على الطبعة التي طبعت في المطبعة السلفية في مكة المكرمة على نفقة قتلان ونصيف، والنسخة التي طبعا عليها جاءتهما من رئيس قضاة مكة المكرمة الشيخ عبد الله بن بليهد، وسألت عنها الذين اطلعوا عليها هل هي قديمة الخط أم حديثة؟ فقالوا: إنها قديمة، كما يوجد لها نظائر مخطوطات في نجد، ومنها نسخة عند حفيد ابنه وهو محمد بن عثمان بن أحمد، ابن المؤرخ عثمان، ويقيم في مدينة بريدة، مما يؤكد أنها حين الطبع كانت كاملة لم يحذف منها شيء.

ثم عثرت وزارة المعارف على نسخة في المتحف البريطاني في لندن فيها زيادة أخبار لم تذكر في النسخة الأولى، ولكنها ناقصة فكملتها وزارة المعارف من الأولى، وطبعتها، وهذه أوفى من التي قبلها، كما تم الاطلاع على نسختين خطيتين؛ واحدة كاملة والأخرى مخرومة، وفيهما زيادات على الطبعات كلها، فالكاملة في الزبير والناقصة بقلم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، وختم المؤلف النسخة الكاملة بقوله: «كما ستقف عليه إن شاء الله مفصلا في الجزء الثالث بعد هذا الكتاب جعله الله خالصا لوجهه الكريم، قال مؤلفه: وافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب في شعبان من شهور عام ١٢٧٠هـ)، على أن ابن بشر رحمه الله توفي ولم يخرج هذا الجزء بصورته الكاملة.

وقد تتبع الباحث بدر الخريف حديث المؤرخين عن هذه النسخة حيث قال المؤرخ إبراهيم بن عيسى في آخر المخطوطة المخرومة: «قال مؤلفه عثمان بن عبد الله بن بشر رحمه الله تعالى: (تم الكتاب ويتلوه إن شاء الله دخول سنة ثمان وستين ومائتين وألف، ولم أظفر بحوادث سنة ١٢٦٨هـ فلا أدري هل هو كتب ذلك أم لا؟.

ويضيف أن هناك من يرى أن إن ابن بشر كان قد ابتدأ بكتابة ما وعد به، لكنه لم يبيضه، بل ترك النسخة الوحيدة منه وهي المسودة وتوفي ولم يظهرها للناس.

يذكر أن عدد من الباحثين والمؤرخين حرصوا على تتبع نسخ كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» نظير ما يحمله هذا السفر من توثيق نادر لمرحلة مهمة من تاريخ وسط الجزيرة العربية لاسيما وأن صاحبة كان علما واسما بارزا في مجال التاريخ والذي لاشك فيه أن ابن بشر كان من أساطينه الموثوقة لاسيما أنه شاهد حي على أحداث زمانه، التي ربما أنه كان يكتبها كوقوعات يومية وإن جاءت بصفة الحوليات، ولذا فقد خضع «عنوان المجد» لعدة مختصرات؛ وربما تذييلات متممه لما جاء بعده من التواريخ.

وفاته

كانت وفاة الشيخ ابن بشر -رحمه الله- كما ذكر المؤرخ إبراهيم بن عيسى في التاسع عشر من جمادى الآخرة عام ١٢٩٠هـ في بلدة جلاجل، أي في بداية تداعيات اضمحلال الدولة السعودية الثانية وقبل ولادة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل مؤسس الدولة السعودية الثالثة، ولا شك أن هذا المؤرخ العلم ربط جسورا لكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي ما كان لنا أن نقف على كثير منها لولا أن الله سبحانه قيض لها أمثال ابن بشر وابن لعبون وابن عيسى رحمهم الله رحمة واسعة.

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عبدالحق الهاشمي.. شيخ العلم والحجة والبرهان

جهوداً وأعمال مضنية بذلها العالم والشيخ عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي حيث كان له الفضل بعد الله في نشر رسالة التوحيد الخالية من الشركيات في شبه القارة الهندية فقد أفنى عمره في طلب العلم وتدريسه، ولم تكن رحلته ميسرة لا سيما في بادئ الأمر حيث واجه الصعاب والمخاطر، وثبت رحمه الله على عقيدته التوحيد وسط خضم دعوات وممارسات شركية وبدعية بل ودعوات لديانات الأخرى، وواجه أذى كثيرا من الأعداء والحاقدين على الشريعة الإسلامية والعقيدة السليمة، إلا أنه كان غزير العلم قوي الحجة والبرهان فناظر أصحاب الشرك والضلالات فتمكن من إقناع الكثيرين منهم وألجم أصحاب الدعوات الضالة، ممن ينتصرون لأرائهم ومصالحهم ومناهجهم، ولذا أسلم على يديه مئات الناس وآخرين تخلوا عن الابتداع والمعتقدات التي كانت حاضرة آنذاك فتخرج على يده الكثير من العلماء ممن شغلوا مناصب الدعوة والإرشاد وتوعية العامة بأمور دينهم، وسطع نجمه في سماء الهند، مما دعى سلطان المقاطعة إلى تكريمه وتعيينه قاضياً شرعيًا وخطيبًا بالجامع العَبّاسي، وتمكينه من التدريس ونشر العلوم الدينية والأحاديث الصحيحة، وتبصير الناس بحقيقة العقيدة الإسلامية السمحاء بعيدا عن التقاليد الخاطئة والمتوارثة دونما أي علم، وبعد قدومه إلى مكة المكرمة رحب به العلماء، وشفعوا له عند الملك عبد العزيز رحمه الله وطلبوا استقراره في مكة المكرمة للتدريس، وفعلاً أصدر أمر الملك عبد العزيز -طيب الله ثراه- أمره بالسماح للشيخ عبد الحق بالبقاء والتدريس في الحرم المكي الشريف، يذكر أن مؤلفات عبد الحق الهاشمي بلغت نحو ٨٠ مؤلفا وأخذ كبار العلماء والفقهاء منه سواء في الهند أو في مكة المكرمة ومنهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رحمهم الله جميعا .

خاض مشواراً طويلاً في الدعوة ونشر العلم في الهند ومكة وصدر أمر ملكي بتعيينه مدرساً في المسجد الحرام عام ١٣٦٧هـ



عبدالحق الهاشمي -رحمه الله-



استقر الشيخ عبدالحق في مكة وعمل في تدريس الناس العلوم الشرعية

نسبه ونشأته

الشيخ عبدالحق بن عبدالواحد بن محمد بن الهاشمي يعود بنسبه إلى الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عرف بكنيته أبو محمد وقال في ترجمته عن نفسه أن بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اثنان وأربعون جدًا في سلسلة النسب المدوّن لديه".

وكان مولد والده الشيخ عبدالحق -رحمه الله- في قرية (كوتلة الشيوخ) بمقاطعة (بها ولفور) بالهند عام (١٣٠٢هـ) وتربى في كنف والديه اللذين قاما بتربيته تربية إسلامية، وقد احتفى به أبويه كونه الابن الأخير والوحيد لهما، حيث توفي إخوته الأكبر منه جميعا، فكان غاليا ومحبوبا لديهما وكان والده الشيخ عبدالواحد بن محمد الهاشمي رحمه الله معلمه الأول حيث قرأ عليه القرآن الكريم، كما درس على يديه اللغة الإنجليزية، وعلم التصريف والنحو ثم شجعه والده للسفر لطلب العمل فذهب إلى القرى والبلدان، حيث ازدادت معارفه الدينية، وطالع كتبا كثيرة لأئمة المسلمين، وتلقى مختلف العلوم من المشايخ المعروفين، مما زاد من ثقافته في اللغة والصرف والنحو والبلاغة والأدب والشعر، كما درس كتب العقائد وأصول الفقه، وقرأ أمهات الكتب في الفقه والتفسير وعلوم الحديث والقرآن أما مشايخه الذين تلقى عليهم العلم فهم كثر بلغوا نحو ٦٠ شيخا، نذكر منهم الشيخ القاسم عيسى بن أحمد الراعي الذي قرأ عليه كتب النحو والمشكاة والصحاح وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، والشيخ أبو الفضل إمام الدين بن محمد بن ماجة القنبري السلماني، حيث قرأ عليه الصحيحين وسنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد، والبيضاوي، وكتب البلاغة ومجموعة من كتب الأدب واللغة كما قرأ على الشيخ أبو عبدالرب محمد بن أبي محمد الغيطي الموطأ للإمام مالك، والكثير من كتب الأدب كالمقامات الحريرية والدواوين، كما قرأ مجموعة من صحيح البخاري على الشيخ أبو اليسار محمد بن عبدالله الغيطي، وقرأ على الشيخ أحمد بن عبدالله بن سالم البغدادي المدني صحيح البخاري، ومسند الإمام أحمد، وكتب له الإجازة بخطة، وغيرهم العديد من المشايخ المشهورين، الذين تلقى الشيخ عبدالحق الهاشمي أبو محمد العلم على أيديهم ونهل من معينهم، وأصبح ملماً بمختلف العلوم الشرعية، إضافة إلى إلمامه بالآداب واللغة البلاغة والشعر.

نهج السلف الصالح

ذكر الشيخ عبدالحق الهاشمي في ترجمته عن نفسه عقيدته وهي (عقيدة السلف الصالح من أهل السنّة والجماعة من الفقهاء والمحدثين، وهي عقيدة العمل بالكتاب والسنّة، وحملهما على ظواهرهما من دون تأويل أو تحريف فيهما، فمذهبي هو مذهب أصحاب الحديث اعتقادًا وعملاً) انتهى كلامه، وهناك الكثير من أقواله توضح أنه كان على نهج السلف وأهل الحديث عقيدة وعملاً، لا سيما وقد استفاد حين نزوله بالحجاز من علماء الحرمين الشريفين، وقد كان -رحمه الله- حريصاً على التحري في مسائل الصفات المقدسة، وفقا لما جاء في الكتاب والسنة، وكان رحمه الله يفتي بما جاء في القرآن الكريم فإن لم يجد فبما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة، ويجعله ميسرا ومفسرا للقرآن الكريم، وإن لم يجد دليلاً في الكتاب والسنة فإنه يفتي بأقوال الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من الأئمة والمجتهدين، ويقول عنه الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله تعالى: (إن الشيخ عبدالحق الهاشمي كان متحررًا لا يتقيد بمذهب، وكان علمه بالحديث جيّدًا، وكذلك علمه بالفقه الحنفي)، كما قال عنه عمر عبدالجبار رحمه الله (.. وهو إلى هذا حافظ للصحاح الستة وأسانيدها، ومسائل الخلاف بين الأئمة وحُجَجهم، ويقوّي ترجيح الراجح، مع احترامه لآراء العلماء، وحبّه للأئمة المتقدمين)، وكان يذكر الأئمة بما نعتوا به فكان إذا ذكر الإمام مالك قال إمام دار الهجرة، ويذكر الشافعي بناصر السنة، وأبي حنيفة بلفظ إمام فقهاء الرأي، والإمام أحمد بإمام المحدثين.



أحد مؤلفات الشيخ عبدالحق -رحمه الله-



جهوده في الهند

عانى الشيخ عبدالحق أشد العناء من أهل الشركيات والبدع، فكان مخالفاً لمنهجهم ووجوده غير مرغوب فيه بينهم، وواجه مشقات كثيرة وأذى وسخرية من الجهلة والمقلدين خصوصا انه كان صغير السن، ووصل به الأمر إلى أن يصلي ملتحفا برداء مخافة أن يروه وهو يؤدي أركان وسنن الصلاة كما وردت في الكتاب والسنة، ومن ذلك رفع اليدين عند الركوع والرفع منه، واستمر على هذه الحال إلى أن اشتد قوامه وبلغ سن الشباب وقويت شكيمته وازدادت بصيرته في المناظرة، وعلوم الدين الإسلامي الحنيف، أما فيما يتعلق بإجازته للتدريس فقد حلقت له أول حلقة في مدينة "أحمد بور الشرقية" وكانت تعرف ببغداد الجديدة، فذاع صيته وأقبل عليه الطلاب من كافة أنحاء الهند وافتتح لهم معهدا علميا كان يقوم بالتدريس فيه أربع عشرة ساعة بين اليوم والليلة، دون أن يشعر بكلل أو ملل كما ذكر ذلك عمر عبدالجبار، ومن غرائبه في بلاد الهند أنه كان من هواة رعي الإبل وكان يخرج مع طلابه لرعيها وسط حلقات دراسية لا تنقطع كما كان خطيباً يجيد اللغة الهندية بطلاقة ولذا كانت خطبه مؤثرة يحرص الكثيرون - سواءً أهل العلم أو حتى عامة الناس - على سماعها كما عرف بالوعظ أسوة بمدرسة ابن الجوزي -رحمه الله- وأعجب به سلطان المقاطعة التي هو فيها فأكرمه وأنزله منزلة العلماء الأفذاذ، وعيّنه قاضيًا شرعيًا وخطيبًا بالجامع العبّاسي، الذي أقام به نحو ٢٥ عاما خطيبًا ومدرّسًا للعلوم الدينية"، وقد ترأس جلسات المؤتمرات الدينية التي كانت تقام في أرجاء الهند، حيث كان يدعى إلى المناظرات العلمية مع الأديان الأخرى، وأثنى ابنه الشيخ أبو تراب الظاهري: على جهود والده موضحا أنه (أسس دار الحديث، واشتغل بالتدريس في علوم القرآن والسنة، وحاربَ أهل الأهواء والبدع والشرك، وأسلم على يده أناس كثيرون من الكفار.. وقامت مدرسته ببث علوم الإسلام في أنحاء البلاد، وتخرج على يده منها مئات العلماء)

التدريس بالحرم بمكة المكرمة

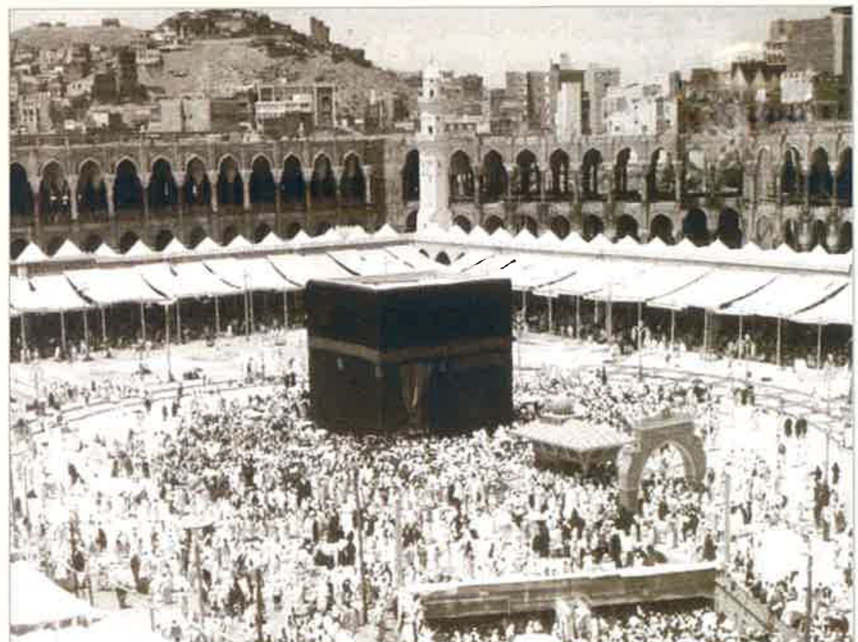
إثر قدوم الشيخ عبدالحق الهاشمي إلى مكة لأداء فريضة الحج جالس كبار علماء مكة، وعلموا أنه شرح المسند، وجرت بينه وبينهم نقاشات علمية ودينية، وطلبوا منه البقاء في مكة والتدريس بالبيت الحرام، ورحب الشيخ عبدالحق الهاشمي بالفكرة، ورغب في الاستقرار بمكة المكرمة، وأبدى العلماء المكيون رغبتهم لدى الملك عبدالعزيز في بقاء الشيخ عبدالحق بمكة، وجاء التوجيه لرئيس القضاة آنذاك الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ بإصدار أمر ملكي بتعيين الشيخ عبدالحق مدرّسًا في المسجد الحرام سنة ١٣٦٧هـ، وكلف الشيخ عبدالحق ولده أبا تراب بشحن مكتبته إلى مكة، حيث كانت مكتبة نفيسة، ولا سيما في الحديث، فكانت تحتوي على مخطوطات نادرة، وبقي مدرّسًا في مكة حتى وفاته وكان -رحمه الله- مشتغلا بتدريس الكتب الستّة، ومسند الإمام أحمد، وتفسير القرآن بالحرم المكي الشريف، ودار الحديث المكية، ولم ينسَ الشيخ عبدالحق الهاشمي دور الملك عبدالعزيز في الوقوف معه حين تعيينه مدرسا بالمسجد الحرام وسعيه ووساطته لبقائه واستقراره بجانب البيت العتيق، وإلقاء الدروس العلمية، وعلى مجموعة من العلماء الذين ساهموا في تمكينه من التدريس في أطهر بقاع الأرض.

مؤلفاته

أحصيت للشيخ عبدالحق الهاشمي -رحمه الله- أكثر من ثمانين مؤلفا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تفسير القرآن بالقرآن والسنة، مصنف الصحيحين، مسند الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة، كشف المغطى عن رجال الصحيحين، والموطا، شرح الصحيحين والموطأ، شرح تراجم البخاري، التعليق المعتلي في شرح المسند الحنبلي، وغيرها من المؤلفات النفيسة التي نفع الله بها من جاء من بعده، وقد أخذ الكثير من مشاهير العلماء عن الشيخ عبدالحق الهاشمي كونه درس في الهند ومكة المكرمة أكثر من سبعين عاما، ومنهم أبناؤه عبدالرزاق، الذي خلف أباه في نشر العلم في بلاده، وأبو تراب الظاهري الذي قرأ عليه أكثر من مائتي ألف حديث من سائر الكتب- وكذلك ابنه عبدالوكيل، كما أخذ عنه الكثير من المشايخ المشهورين وأهل العلم، ومنهم الشيخ سليمان الصُنيع، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ إسماعيل الأنصاري، والشيخ عمر بن محمد فلاتة، والشيخ محمد بن عبدالله الصومالي، سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، والشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل والشيخ محمد بن عبدالله آد الشنقيطي المدني، والشيخ ناجي بن محمد سيف المخلافي، والشيخ بَديع الدين شاه الراشدي السِّندي، وغيرهم.

وفاته

بعد مشوار طويل مع الدعوة إلى الله ونشر العلم والتعليم توفي الشيخ عبدالحق بن عبدالواحد العمري العدوي القرشي -رحمه الله- في عام ١٣٩٢ بمكة المكرمة عن عمر ناهز التسعين عاما وله من الذرية الشيخ اللغوي والعلامة أبو تراب الظاهري، والشيخ أبو خالد عبدالوكيل الهاشمي، وقد فقدت الأمة بوفاته علماً من أعلام المشايخ والأئمة العلماء الذين بذلوا سنوات أعمارهم من أجل نشر العلم الشرعي وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، رحم الله الشيخ عبدالحق رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



أمر الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه بتعيين الهاشمي مدرساً في المسجد الحرام وبقي فيها حتى وفاته



بذل الهاشمي جهوداً عظيمة في سبيل نشر العلوم الشرعية والسنة في الهند

الرياض
الجمعة ٢٥ صفر ١٤٣٨هـ - ٢٥ نوفمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٨٦ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17686 54th Year -FRIDAY-25- 11 - 2016

سطور المشاهير

سليمان الدخيل.. أول صحفي سياسي في نجد

سليمان بن صالح الدخيّل رحمه الله أحد رواد العمل الصحفي، بل هو -في رأي عدد من المؤرخين- أول صحفي نجدي، استقر بالعراق بعد أن جاب الديار بحثاً عن تحسين وضعه المعيشي، وتحقيق آماله وطموحاته، ودفاعاً عن رسالته التي كان يؤمن بها، واكتسب من سفره للهند الخبرات التراكمية في الثقافة والأدب والسياسة والاجتماع، وفي رحلاته وسفره وتنقلاته التقى بالعديد من المفكرين والأدباء ورجال السياسة والاقتصاد، كما استضاف واستُضيف في العديد من المنتديات والنوادي الأدبية والمؤتمرات السياسية والاجتماعية، وسخر الدخيل معارفه وعلومه لخدمة الوحدة العربية، داعياً للتخلص من الهيمنة الطورانية التي أطبقت على مؤسسات الدولة والخلافة العثمانية آنذاك، وبعد إقرار الدستور العثماني تخلص من تلك القيود، وأصدر عدداً من المطبوعات في مقدمتها (جريدة الرياض) في بغداد، ثم مجلة الحياة، كما ترأس تحرير جريدة (جزيرة العرب) وطرح أفكاره الجريئة في عدد من الصحف والمجلات في شتى القضايا، وسطع نجم سليمان بن صالح الدخيل كأحد أبرز المناهضين للنفوذ والهيمنة الطورانية على الدولة العثمانية، معرضاً حياته للخطر في سبيل إيصال رسالته القومية للمجتمع والشعوب العربية، وحينها أودع السجن نتيجة هذا التوجه القومي.

وقد التقى الدخيل بالملك عبدالعزيز- رحمهما الله- وأيده بما يقوم به من أعمال صحفية لخدمة دينه وأمته، مما شجعه على المضي قدما، غير آبه بتبعات كتاباته، ولم يتوقف الدخيل عند إصدار المجلات والكتابة في الصحف العراقية، بل تجاوزه إلى التأليف فقد ألف مجموعة من الكتب، إضافة إلى الآثار المخطوطة، والأبحاث التي تتعلق بالجزيرة العربية، سيما وأن له قراءات عميقة في تاريخ وأحوال المنطقة، محطات كثيرة في حياة الصحفي والسياسي والمؤرخ سليمان الدخيل علّق عليها الكثير من الكتاب والمؤرخين، بيد أنها مازالت تحتاج لمن يعيد قراءة مضامينها ويسعى لجمع شتاتها ليؤرخ للرجل والمرحلة والحدث.

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يـروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

أسس قواعد «الصحافة المستقلة» في الوطن العربي لخدمة القومية والوحدة.. وسار على طريق شائك هرباً من سطوة الرقيب وقلّة الدعم

من بريدة إلى بغداد فالهند

كان مولد الأديب سليمان بن صالح الدخيّل النجدي الدوسري في عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م في بريدة بالقصيم، في أسرة معروفة، لها مكانتها ووجاهتها الاجتماعية، وذكر العلامة الكرملي أن للدخيل صلة نسب بأمراء نجد من آل سعود، وآل رشيد، وأكد هذه المعلومة حمد الجاسر رحمه الله وبيّن ذلك في مجلة العرب بقوله (إن أخوال الملك عبد العزيز آل سعود من الدواسر، وقد تزوج الملك نفسه إحدى أخوات سليمان الدخيل، كما تزوج الأمير عبدالعزيز بن متعب الرشيد أخته الأخرى) وقد أشار الدخيل إلى هذه القرابة فقال في بحثه الأول المنشور في مجلة لغة العرب (ولما كانت بيني وبين ابن سعود قرابة مثلت بين يديه بعدما قضيت سنين في الهند)، إضافة إلى نسبه ووجاهته، فقد كان والده الشيخ -رحمه الله- من أشهر علماء بريدة، كما أن عمه جار الله بن دخيّل من التجار المشهورين والوجهاء المعروفين، كونه عين وكيلا لآل رشيد في بغداد خلال فترة الحرب العالمية الأولى، وقد تلقى سليمان الدخيل في بلدته بريدة ما تيسر من العلوم، بيد أن طموحه وتطلعات دعته للسعي لأفق أوسع للاستزادة فتنقل لتحقيق أهدافه ومساعيه، لذا فقد غادرها متوجها إلى البصرة فبغداد، وقابل هناك عمه جارالله الذي حثه على مواصلة طلب العلم حتى أنه سافر إلى الهند للدراسة والتجارة، وفي ذلك يذكر العلامة حمد الجاسر بأن انتقاله إلى البصرة كان نتيجة لقلة أسباب المعيشة آنذاك، وفي الهند عمل كاتبا لدى التاجر النجدي المعروف عبدالله بن محمد الفوزان، كما يفصّل د.عبدالله الجبوري رحلة الدخيّل وسفره إلى الهند، مبينا أنه أخذ من قريته طرفا من مختلف العلوم العصرية، ثم انتقل إلى مدينة الزبير وهي من حواضر الثقافة العربية والإسلامية آنذاك، ثم اتجه إلى البصرة ومنها أبحر إلى الهند، بعد أن ضاقت به سبل العيش، ولكن عمله بأجر في الهند، لم يكن يرضي الطموح الذي يصبوا إليه، فقرر العودة للبصرة، والتقى بعمه الشيخ جارالله الدخيل، الذي كان يسكن في الكرخ أحد أقدم أحياء بغداد، بل أنه الحي الذي نشأ بنشوء العاصمة العباسية، حيث يقطنها أهل نجد المهاجرين إلى بغداد، وهناك شجعه وضع عمه جارالله بعدما أصبح تاجرا معروفا وذو مكانة وثراء واسع للعودة إلى العراق، وفي بغداد التقى الدخيّل بنخب من رجال الأدب والصحافة واستغل تواجده هناك ليواصل دراسته حيث طلب العلم على مجموعة من الأساتذة كمحمود الألوسي ليجمع بين طلب الدراسة والتجارة وفعلا كان عمه جارالله بحاجة لمن يساعده مجاله التجاري، لاسيما بعد أن أصبح وكيلا لإمارة ابن الرشيد في بغداد، ويسرد الجبوري طبيعة هذا العمل مشيرا إلى وجود افتراضية رغبات سياسية لدى جارالله الدخيل في التوسع، سيما وأن ابن رشيد يسيطر على طريق البادية، وتخضع القوافل لسلطانه وله مضرب يكتظ بالزوار من البدو والحضر، ورأى في ابن أخيه سليمان الدخيل الكفاءة الصحفية والأدبية لإبراز مآثر ومكارم ابن رشيد، ونشرها بين للملأ كما أن تنقلات سليمان الدخيل بين نجد والزبير والبصرة والهند اكسبته العلم والمعرفة، والخبرة في ممارسة العمل الوطني من خلال وجوده في الهند والنضال ضد الاستعمار البريطاني.

لقاء الملك عبدالعزيز

وما إن صدر الدستور العثماني بعد خلع السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٨م، حتى وجد الصحفي سليمان الدخيل فرصة سانحة للكتابة بحرية في الصحف البغدادية، والتعبير عن آرائه وتوجهاته السياسية والاجتماعية، وراودته فكرة تأسيس صحيفة تحقق آماله، خصوصا وأن عمه جارالله الدخيل يملك المال وعلى استعداد لدعمه، فأصدر العدد الأول من صحيفته التي حملت اسم الرياض، في اليوم السابع من شهر كانون ثاني (يناير) ١٩١٠م في مدينة بغداد، شاملة لأخبار البلاد، وما يتصل بها من أنحاء الجزيرة)، كما تأثر الدخيل بالأحداث الدائرة في وسط الجزيرة العربية مرحبا بتوحيد البلاد ولم الشمل، وحينها كانت الصحافة في عدد من أقطار العالم العربي تعاني من قلة الدعم وسطوة الرقيب، وفي الجزيرة العربية لاسيما في الحجاز بدت الصحافة وحتى التعليم أكثر حرية واستقلالا. كما أوجد توحيد أرجاء المملكة في ما بعد فرصة ومتنفسا - لابأس به- للعديد من الكتاب والأدباء ورجال الفكر والثقافة وقد قابل حينها سليمان الدخيّل الملك عبد العزيز طيب الله ثراه في الرياض، وعرض عليه مشروع دستور تحدث عنه وعن هذه المقابلة المؤرخ خير الدين الزركلي، كما تحدث عنها الدخيّل نفسه.

مولد جريدة الرياض في بغداد

قبل الحديث عن إصدار صحيفة الرياض يجدر بنا أن نعرض تعليق العلامة حمد الجاسر رحمه الله على توجه سليمان الدخيل للصحافة ويذكر أن سليمان الدخيل هو أول نجدي مارس العمل الصحفي، وهام بنشر كنوز السلف التي عالجت أنساب العرب، أو تضمنت التعريف بتاريخهم، وبين أن الدخيّل إستطاع من خلال دار النشر التي أنشأها في بغداد أن ينشر فيها جملة من المطبوعات التي تهدف إلى قيام الفكر الإصلاحي، وذكر من الكتب (نهاية الأرب) للقلقشندي، و(عنوان المجد) لابن بشر، و(تحفة الألباء) للدخيل، و(التبصرة) لإبراهيم منيب الباجه جي، وغيرها، فيما يذكر الدكتور محسن غياض عجيل أن سليمان الدخيل (يعتبر رائدا من رواد العمل الصحفي في المشرق العربي، ومن جبل الرعيل الأول الذين وضعوا قواعد الصحافة ومارسوا مهنتها باحترافية عالية، مبينا أن الدخيل قد عانى الكثير وتجاوز العقبات في سبيل أن تكون للعالم العربي صحافته المميزة المستقلة)، وفيما يتعلق بجريدة الرياض في بغداد فقد تحقق حلم الدخيل بهذا الإصدار المميز، وتأسيس هذه المطبوعة التي تعد النواة الأولى لانطلاقة باقي المطبوعات الصحفية، وجريدة الرياض أسبوعية، أدبية، تجارية، ومن أبرز أهدافها نفع الأمة العربية، وصدر عددها الأول في كانون الثاني ١٩١٠م، ودامت نحو أربع سنوات، إلا أن المؤرخ حمد الجاسر رحمه الله ذكر أن الرياض دامت سبع سنوات (١٩٠٨-١٩١٤م)، ولكن د.الجبوري، ويؤيده د.عبدالرحمن الشبيلي ذكر بأنها استمرت لأربعة سنوات، ويبين الجبوري أن جريدة الرياض في بغداد تعد (منبرا من منابر الدعوة القومية، حيث حملت لواء الدعوة إلى الوحدة العربية في زمن كان المتحدث بالعروبة أو بالعربية يطارد، وقلما ينجو من عقاب)، ويشير د. الشبيلي إلى الجهود التي بذلها والإنجازات التي حققها الصحافي سليمان الدخيّل، حيث أصدر جريدة أسبوعية في بغداد باسم (الرياض)، وأصدر -بالاشتراك مع صديقه إبراهيم العمر- مجلة شهرية باسم (الحياة)، وأصدر -مع داود العجيل- جريدة أسبوعية أخرى باسم (جزيرة العرب)، ويوضح المترجم أنه كان(ينقل في صحيفته أخبار شبه الجزيرة العربية، وإمارة ابن رشيد، ثم إمارة ابن سعود، وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله جميعا) وكتب الكثير من الأدباء والمثقفين والمؤرخين عن هذه الجريدة الفتية في بغداد، والتي أخذت طابعا متميزا خاصا بها ومن ضمن هؤلاء، إشادة رفائيل بطي بجريدة الرياض، وقال عنها: (إنها خدمت القضية العربية، وساعدت على نشر الوعي القومي، وإن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتناقلتها الجرائد في العراق، والشام ومصر) كما ذكرت المؤلفة زاهدة إبراهيم: بأن سليمان الدخيل كان يحث عبر صحيفته الرياض الحكومة العثمانية على وجوب مساعدة الأمة العربية في النهوض من كبوتها، وقد اتفق المؤرخون على أن جريدة الرياض تميزت باهتمامها بأخبار جزيرة العرب، وإمارات الخليج العربي، ولذا كانت محل اهتمام ورقابة مشددة من قبل رجال مايسمى "تركيا الفتاة" أو التيار والحزب الطوراني المتغول آنذام على الخلافة العثمانية، وقد أشاد الكثير من الأدباء والشعراء والمفكرين بجريدة الرياض البغدادية، منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ علي بن سليمان آل يوسف من الوهبة الذي نظم قصيدة احتفاء بالجريدة.. جاء في بعض أبياتها:

حيِّ الرياضَ وحيِّ اليومَ منشيها
وحيِّ، يا خل، بالإجلال ياويها
وحيِّ، يا صاح، جار الله إن له
على الورى مننًا جلت أياديها.

تجربة السجن وتوقف الرياض

لم يخل مشوار الصحفي سليمان الدخيل من المنغصات والعقبات التي واجهته في أعماله التجارية والصحفية لاسيما الأخيرة حيث كان الرجل يسير على طريق شائك بين مقص الرقيب وحارس البوابة ورجال المخابرات الذين كان الدخيّل يعلم جيدا أنه يسبح عكس تيارهم الساعي إلى تهميش العرب آنذاك ولذا فقد تعرض للسجن على يد الأتراك، إثر نشره لقصيدة للشاعر محمد أفندي الهاشمي رحمهما الله، ومما ذكره رفائيل بطي حول حادثة سجنه (إن جريدة الرياض، قامت بنشر قصيدة لمحمد الهاشمي، عما يعانيه المسلمون في الدول العربية كتونس والجزائر وأهل (القفقاس) من ذل وتعذيب، كما عرّف في قصيدته أيضا بالطغاة في إيران، ودعا على قيصر الروسية، مما دعا الحكومة التركية في بغداد إلى مقاضاته إلى الشاعر محمد الهاشمي، فحكمت على كل منهما بالسجن ثلاثة أشهر. وفي خضم الحرب العالمية الأولى تم التشديد على بعض الصحف والمطبوعات ما دعى سليمان الدخيل إلى التخفي والهرب حيث توجه إلى المنورة، وهناك اطلع على بعض المخطوطات والوثائق والكتب وقام بنسخ عدد منها كما التقى في عدد من العلماء والأدباء والمفكرين من أهل المدينة أو زوارها من الحجاج والمعتمرين، ويذكر البسام أنه خلال إقامته بالمدينة، قام بنسخ بعض الكتب الخطية النادرة المتعلقة بتاريخ العرب والعراق، ثم عاد إلى بغداد.

مجلة الحياة

ويذكر د. محسن عجيل أن سليمان الدخيّل وبالتعاون مع صديقه إبراهيم حلمي العمر، قد أصدر العدد الأول من مجلة (الحياة) وهي مجلة شهرية تنوعت أبوابها في السياسة والاقتصاد والتاريخ والاجتماع، وذلك في كانون الثاني من سنة ١٩١٢م/ صفر ١٣٣٠هـ ولم يمض سوى ٤ أشهر حتى توقفت الصحيفة لقلة عدد القراء ويؤكد عبدالله الجبوري أن الصحف والمجلات العراقية احتفت بظهور مجلة الحياة في حلتها الأولى، إلا أنها لم تدم طويلا كما قال حمد الجاسر رحمه الله (إن سليمان الدخيل لم يقف عند الصحافة والسياسة الأسبوعية، بل أنشأ مجلة (الحياة) الشهرية، وأسس دار طبع ونشر، فنشر موجز (عنوان المجد في تاريخ نجد) لابن بشر، وذكر الجاسر أن مجلة الحياة دامت في الصدور سبعة أشهر، بخلاف ما ذكره باقي المؤرخين، أما "أنستاس الكرملي"، فقد قال عن مجلة الحياة: «إنه لم يكن لها من اسمها نصيب إذ توقفت بعد شهرها الرابع، وقد أوضح الدخيّل توجه المجلة وأهدافها النبيلة، مبينا أنها تشكل رابطة بين الناس في الود والتقارب، وينطلق منهجها من الوعي القومي، والفكر الإصلاحي الاجتماعي، كما ترأس الدخيّل منصب رئيس تحرير جريدة «جزيرة العرب» وهي جريدة أسبوعية عامة، لمالكها داود العجيل رحمه الله، وصدر عددها الأول في بغداد، في الثاني عشر من ديسمبر عام١٩٣١م، واحتجبت عن الصدور بعد ثلاثة أشهر ولم يكن الدخيل يكتف بالنشر بالجريدة أو المجلة التي أصدرها، بل كتب في أكثر من مطبوعة منها مجلة: (لغة العرب) وكذلك جريدة النهضة، وكان يدافع عن سياسة الملك عبد العزيز الرامية إلى توحيد شمل البلاد.

مؤلفاته وأبحاثه

حاول الصحافي سليمان الدخيّل في مؤلفاته أن يضع الآثار التاريخية للجزيرة العربية، وقد ألف العديد من الكتب، وأخرى لم تنال حظها من الطباعة، ومن كتبه المطبوعة "العقد المتلألي في حساب اللآلي" و"تحفة الألباء في تاريخ الأحساء" وكتاب في الدعوة الوهابية و"القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد" و"ناظم باشا" وهو عبارة عن رواية تاريخية تحمل دلالات وصور اجتماعية، كما تضمنت منشورات دار الرياض عددا من أسماء الكتب.

تناول الصحافي والمؤرخ سليمان الدخيّل في ابحاثه ثقافة الجزيرة العربية، ونشرها في صحف بغداد وبخاصة جريدة «الرياض» ومجلة «لغة العرب» وتضمنت هذه الأبحاث كل من "سوق الشيوخ" و"بلد البوعينين" و"عرائق" و"جزيرة العرب" و"قايا بني تغلب" و"تيماء" و"نجد، موقعها، حدودها، أقسامها، لغاتها، سكانها" و"دراسات في أصول بعض الأعراب" و"الخميسية أو لؤلؤة البرية: وهي من مدن محافظة المثنى في العراق.

وفاته

توفي سليمان الدخيّل -رحمه الله- يوم الخميس في بغداد بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٣٦٤م، ونشرت نعيه الصحافة العراقية مع الإشادة بجهوده وآثاره، ويؤكد د. محسن عجيل أن وفاته كانت في سنة ١٩٤٤ وليست كما ذكر الزركلي وكوركيس عواد وعلي جواد ظاهر حيث ذكروا أن وفاته كانت في عام ١٩٤٥م، وكان آنذاك في الرابعة والسبعين من عمره قضى معظمها في رحلة طويلة مع الكتب والأدب والصحافة رحمه الله رحمة واسعة.



لأحد مؤلفات الصحفي سليمان الدخيل عن إمارة آل رشيد



سليمان الدخيل



توفي الدخيل في بغداد عام ١٣٦٤هـ





استقر الدخيل في العراق ومنها أصدر العدد الأول لصحيفة الرياض البغدادية



ركزت إصدارات الدخيل في بغداد على حمل لواء الوحدة العربية وخدمة قضايا الأمة

الرياض
الجمعة ٣ ربيع الأول ١٤٣٨هـ - ٢ ديسمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٦٩٣ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17693 54th Year -FRIDAY-2- 12-2016

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

العميد محمد الثقفي.. الرجل الأمين القوي

لم تكن رحلة الكفاح والعصامية في حياة الشاب محمد علي الثقفي الطائفي رحمه الله باليسيرة، عندما غادر قريته المجاردة (إحدى قرى محافظة الطائف) بحثا عن لقمة العيش وطلبا للرزق لتحسين وضعه المعيشي، سيما وأن الأوضاع المعيشية كانت تتسم بالصعوبة والتقشف لقلة الموارد آنذاك، متوجها إلى الطائف، حيث كان التحاقه بجهاز الشرطة النواة الأولى لانطلاقته نحو النجاح والتميز من خلال الإنجازات التي حققها عبر تدرجه الوظيفي، ولم ينقطع ذلك العطاء حتى بعد تقاعده برتبة عميد، وشهدت تلك المراحل العديد من النجاحات الوطنية الجليلة التي قدمها الثقفي سيما وأنه قضى معظم حياته بالعمل في الأمن الداخلي والذي يمثّل الركيزة الأساسية لبناء الدولة والمجتمع وتحقيق الهدوء والاستقرار وحفظ الأنفس والأموال وممتلكات الناس، فتنقل من مركز شرطة لآخر بين أرجاء الوطن، واستقر به الأمر مديراً للشرطة بالرياض.

وعاصر الثقفي رحمه الله مرحلة التأسيس وبناء الدولة، والنهضة التنموية والبشرية التي شهدتها المملكة، منذ انطلاقتها الأولى على يد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله، فكانت من أصعب المراحل، ونظرا لمحدودية عمل الأجهزة الأمنية آنذاك، فقد كانت الأوضاع تتطلب المركزية، مما جعل العميد يتلقى الأوامر والتوجيهات من الملك عبدالعزيز مباشرة، وكذلك من الملوك الذين أتوا من بعده، وكان من خيرة من يمثل الدولة في التنفيذ والتطوير، في كل ما يوكل إليه من مهام ومسؤوليات، مما اكسبه حب الملوك ونيل ثقتهم، إضافة لحب الناس له، حيث كان حريصاً على مساعدتهم والتوسط لهم لحل قضاياهم بما يمتلكه من وجاهة ومكانة لدى رجالات الدولة وأصحاب القرار.

ويذكر أن العميد الثقفي سجن نفسه لإحساسه بالتقصير، في قصة نادرة الحدوث، كما كان للعميد محمد علي الثقفي مكانة لدى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، حيث أمر بعلاجه على نفقته الخاصة عندما ألم به المرض، وقام حفظه الله بزيارة ذويه عندما توفي مقدما واجب العزاء، ومثنيا على أعماله وإنجازاته تجاه دينه ووطنه وولاة الأمر.

نال ثقة المؤسس وتعلم من الملك سلمان الحنكة والانضباط وعاصر مراحل تطور الجهاز الأمني.. وعاقب نفسه بالسجن



الثقفي متوسطا الفريق علي المشعوف والملازم أول ضحيان العتيبي والفريق أول محمد المطيري



محمد الثقفي متوسطاً اللواء عبدالعزيز جيلان والعميد محمد الخليفة



الثقفي مع الفريق أول حمد الشميري

التحاقه بالشرطة

لم تشر التراجم إلى السنة التي ولد فيها العميد محمد علي الثقفي الطائفي بالتحديد، والأرجح أنه ولد بين عامي ١٣٢٥ ــ ١٣٢٩ هـ، في قرية المجاردة، ببلاد ثقيف بمحافظة الطائف، ونشأ ودرس القرآن الكريم في قريته ومسقط رأسه ونظرا للظروف المعيشية الصعبة آنذاك فقد كان فقير الحال، إلا أن طموحه كان عاليا لتحسين وضعه المعيشي، لذا فقد شد الرحال وغادر القرية وهو في ريعان شبابه إلى الطائف للعمل وطلب الرزق، وحال وصوله للمدينة عمل بأعمال يدوية متواضعة وشاقة بنفس الوقت، فحمل مواد الإنشاءات والبناء كالحجر والطين، إلا أن هذه الأعمال لم ترتق لطموحه، فقرر الانتقال إلى مكة المكرمة، فتلقى الدروس في المسجد الحرام، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ومن ثم بدأت رحلته الحقيقية والخطوة الأولى لكفاحه وانطلاقته، حيث التحق بسلاح الرشاش السعودي في "قشلة جرول" والقشلة كلمة تركية تعني الثكنة العسكرية، ولكنه لم يستمر طويلا، إلا أن التحاقه بهذا الجهاز كان النواة الأولى لانخراطه في الخدمة العسكرية بشكل أوسع لخدمة دينه ووطنه، فقرر الانتقال إلى المدينة المنورة، والالتحاق بجهاز الشرطة، ثم انتقل بعد ذلك بعام للعمل كمدير لشرطة رابغ، ثم عمل بشرطة الوجه بعد ذلك قرر العودة إلى مكة المكرمة والالتحاق بمدرسة الشرطة الحديثة بدورتها الرابعة، وكانت المدرسة حديثة التأسيس آنذاك، وبعد أن أنهى فترة التدريب بمدرسة الشرطة بمكة المكرمة، تخرج برتبة وكيل ضابط، وتم تعيينه رئيسا لمخفر شرطة "قهوة باب المعلم" التابع للمنطقة الثانية بمكة المكرمة، والتي كان من بين أعمالها العديدة تسجيل أسماء المغادرين من مكة إلى جدة بواسطة سيارات الأجرة، وفي غرة من شهر رمضان لعام ١٣٦٣هـ، تم نقله إلى العاصمة الرياض مع مجموعة من خريجي مدرسة الشرطة بمكة المكرمة ومنهم اللواء عبدالهادي عبدالغني فقيه والعميد السيد رضا جمل الليل واللواء محمد الغرابي رحمهم الله وغيرهم كثير، وعين بـ "دروازة الثميري" لفترة محدودة استمرت لنحو ٤ شهور تقريبا حيث نقل في غرة محرم ١٣٦٣هـ إلى شرطة الخرج برتبة مفوض ثان، وكانت المدينة حديثة النشأة والعمران والسكان، إلى أن صدر قرار الملك عبد العزيز رحمه الله، بتحويلها إلى منطقة زراعية نشطة، وأشرف الثقفي على تأسيس مركز الشرطة في المنطقة واستمر لنحو سنتين تقريبا، وفي الخرج ومن بعدها الرياض كانت له قصص وحكايات تدل على حرصه ويقظته، كما أن له مراسلات ومجالس مع أعيان المنطقة تدل على حرص هؤلاء الرواد على التعاون فيما بينهم لتحقيق المنافع ولتسهيل الإجراءات والقضايا العامة، ومازال أبناء وأحفاد العميد محمد بن علي الثقفي يحتفظون بالمراسلات التي كانت بين والدهم وعدد من المشايخ والمسؤولين، والتي لا شك أنها تشكل قيمة علمية مضاعفة للباحثين والدارسين، لاسيما أولئك المعنيين بالتاريخ والعلوم الاجتماعية أو ما يسمي التاريخ الاجتماعي قبل أكثر من خمسين عاما، سيما وأنها تناقش قضايا اجتماعية تحكي لك واقع المجتمع السعودي قبل ستة عقود كما أنها تسلط الضوء على البدايات المجتمعية لعدد من المدن والأحياء وتستطيع من خلالها استعراض حياة الناس والوقوف على مراحل تطور الجهاز الأمني في المملكة سيما وأن الثقفي عمل في معظم بلدان وأقاليم المملكة قبل وبعد توحيدها باسم المملكة العربية السعودية.

وبعد أن أنجز مهامه بتفان وإخلاص في الخرج عاد الثقفي إلى الرياض بداية ١٣٦٥ هـ، وتم تعيينه رئيسا للمنطقة الأولى ثم رئيسا للمنطقة الرابعة. ثم نقل للعمل كمدير لشرطة القنفذة وهو أول مدير لها، عاد بعدها للعمل بشرطة الرياض مرة أخرى، ونظير جهوده وعمله الدؤوب، فقد تمت ترقيته إلى رتبة مفوض أول بشرطة الرياض، وذلك في الأول من شهر ربيع الثاني من عام ١٣٦٧هـ وفي شهر شعبان من عام ١٣٧٠هـ، رقي الى رتبة وكيل قائد بشرطة الرياض، وتدرج في المناصب العسكرية وأثبت قدرته على القيادة، وبعد مضي نحو ٤ سنوات قلد رتبة قائد الشرطة وذلك بتاريخ ١٣٧٤\٨\١١هـ ثم ترقى إلى رتبة عقيد بتاريخ ١٣٧٩\٩\٤هـ ثم استلم إدارة التفتيش ومساعدا لقائد مدير شرطة الرياض وما إن لبث حتى أنيط به القيام بأعمال شرطة الرياض بقرار وزاري صدر بتاريخ ١٣٨٣\٦\٢٢٣هـ وفي عام ١٣٨٧ هـ، عين مديرا لإدارة التفتيش بالأمن العام.

تعامله مع المراجعين

ترك العميد محمد علي الثقفي - رحمه الله - أثر طيبا، وحظي بسمعة عطرة لدى ولاة الأمر، والمواطنين والمقيمين على حد سواء، وبقي اسمه يتردد بين الناس حيث عرف - وهو الرجل القوي في عمله - بدماثة خلقه وتواضعه وحرصه على خدمة المراجعين وتسهيل أعمالهم والسعي لقضاء حاجاتهم كما عرف عنه - رحمه الله - حفظه لأسرار عمله وسعيه لحل قضايا الناس بالكتمان لاسيما وأن عمله متعلقا بالقضايا والوقوعات اليومية، وهو ما جعله أيضا على اطلاع دائم بأحوال الناس وكان – رحمه الله - قبل وبعد تقاعده حريصا على تقديم الشفاعة لمن طلب منه ذلك، وكانت له مساهمات ومبادرات اجتماعية منها مساهمته الفاعلة في تأسيس شركة كهرباء (ترعة ثقيف) ووصول العديد من الخدمات الأخرى إلى منطقة وادي ثقيف كما كان -رحمه الله- حريصا على متابعة التطورات على الساحة العربية والعالمية، وقراءة مختلف الثقافات والمجالات الرصينة.

توجيهات المؤسس

عاصر الثقفي الملوك رحمهم الله جميعا، ونهل من معيتهم، واستمد منهم الخبرات التراكمية في مختلف المجالات سيما العسكرية منها، ولكون الأوضاع تتطلب المركزية آنذاك، وذلك لمحدودية الأعمال والمهام التي كانت محصورة في عهد الملك عبد العزيز بـ (الأمن، والسجون والمرور، والحراسات الليلية) فقد كانت توجيهات الملك عبدالعزيز له مباشرة، وكذلك الملوك من بعده رحمهم الله جميعا، حيث كان يوكل إليه تنفيذ مهام خطرة، وأيضا كان يأخذ التوجيهات من الملك سلمان، عندما كان أميرا لمنطقة الرياض، حيث عمل تحت إشرافه وتعلم منه، الانضباط والحرص على إنجاز أعمال المواطنين على وجه السرعة والقرب منهم والاستماع الى مطالباتهم وشكاواهم، لذا فقد توالت إنجازاته وعطاءاته لوطنه، واتسمت أعماله بالتطويرية حيث كان له دور كبير في تأهيل العديد من قيادات الشرطة، من ضمنهم اللواء محمد بن عايش المطيري، والفريق أول محمد بن هلال المطيري والعقيد محمد بن علي بن خليفة وغيرهم حيث ساهمت تلك الكوادر مساهمة فاعلة في قيادة الجهاز الأمني.

الثقفي يعاقب نفسه

ومن الطرائف النادرة، وهي قصة قلما تحدث، فقد بلغت به درجة الانضباط إلى أن يسجن نفسه عقابا لها، وبداية القصة أن شرطة الرياض لم تقم بتوفير المواكبة والتشريفات لموكب ولي العهد آنذاك الأمير سعود بن عبدالعزيز رحمه الله، الذي كان متوجها بعد صلاة العيد إلى قصر الحكم لاستقبال المواطنين، الذين قدموا من أنحاء المملكة لتقديم التهاني لسموه، وحينها تحمل المسؤولية عن ترتيب جدول المهام أمام مدير الشرطة واتجه إلى السجن الموجود آنذاك بقصر المصمك وأوقف نفسه فيه، وما إن علم الأمير سعود رحمه الله بالأمر، حتى أمر بإنهاء توقيفه وأمر له بمكافأة مجزية.

ثقة ولاة الأمر

نال الثقفي طيلة حياته العملية ثقة ولاة الأمر، ورجالات الدولة والمسؤولين والقيادات العليا، ومن ذلك فقد حظي بتقدير خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز الذي أمر بعلاجه في مستشفى الملك فيصل التخصصي بعد أن ألم به المرض عام ١٩٨٦م، وحرص على زيارته وتتبع حالته الصحية وهو الذي يعرفه جيدا من خلال عمله في شرطة الرياض، وبعد وفاته في الثاني من شهر ذي الحجة عام ١٤١٤ هـ، قام بزيارة أسرته لتقديم واجب العزاء ومواساتهم في وفاة والدهم، مشيدا بخدماته وأعماله التي قدمها طيلة حياته.

يذكر أن للعميد الثقفي -رحمه الله- العديد من الأبناء كعيد وصالح وعيد هو الآن سفير للمملكة في سلطنة عمان، ولا غرابة أن يحصل محمد علي الثقفي على أوسمة وشهادات تقدير من ولاة الأمر، نظير جهوده المضنية وخدمة وطنه، ومن ذلك فقد حصل على وسام الملك فيصل من الدرجة الثالثة، وحصل على شهادة تقدير من الملك سلمان عندما كان أميرا لمنطقة الرياض، وتسلمها خلال حفل تكريم متقاعدي شرطة الرياض في عام ١٤٠٣هـ، إلى جانب عدد من الأوسمة والدروع و"النياشين" التي تحكي جزءا من تاريخ مسيرته العسكرية في القطاع الأمني.

تاريخ الشرطة

أولى الملك عبدالعزيز رحمه الله اهتماما كبيرا لإيجاد جهاز أمني عال يفرض هيبة الحكم ويقوم بتنفيذ الأوامر والمحافظة على مكتسبات المجتمع ومقومات تقدمه، وكانت إدارة الشرطة عند دخول الملك عبدالعزيز الحجاز مدعومة بـ ٧٠ (خويّا)، وتشكلت منها وحدة الدرك "رجال الحرس" ثم تزايد العدد فبلغ ٨٩٦ فردا، و ٣٢ ضابطا، وذلك في عام ١٣٥١هـ، ثم دعم بنحو ٩٠٠ جندي من قوات الهجانة بعد إلغاء تشكيلها عام ١٣٥٤هـ، وتم افتتاح فروع أخرى في ١٤ مدينة، وذلك عام ١٣٥٥هـ، وتعود قصة تطوير جهاز الشرطة في بداياته إلى عام ١٣٤٤هـ، حيث أصدر المجلس الأهلي بمكة المكرمة أول تعليمات تناولت أوضاع الشرطة ووظائفها وانتخب المجلس لجنة لهذه المهمة، تحت مسمى (الشرطة ووظائفها)، وتلا ذلك في العام نفسه استحداث منصب مدير الأمن في المملكة لأول مرة، وكان ذلك قبل توحيد المملكة بقرابة ستة أعوام، وبعد صدور نظام التعليمات الأساسية ارتبطت الشرطة بالنيابة العامة، وصدر بعد ذلك أمران ملكيان يحددان بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في رجال الشرطة كالنزاهة والاستقامة، وكذلك الصفات المطلوبة في مدير الشرطة، واقتضى التطور الذي واكب مرحلة التأسيس، إنشاء فروع للشرطة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، وقسم خاص لشرطة الحرم مستقل عن شرطة مكة المكرمة ثم صدر أمر ملكي في عام ١٣٤٩هـ، يقضي بتوحيد جميع الدوائر العسكرية، ومنها دائرة الشرطة تحت رئاسة مدير الشرطة العام ومقره في مكة المكرمة، ووافق النائب العام على ما أصدره مدير الشرطة العام من تعليمات تحدد ارتباط الأجهزة العسكرية بالحكام الإداريين وتشكلت شرطة منطقة الرياض في عام (١٣٥٠- ١٣٥١هـ) أي قبيل توحيد المملكة بقرابة سنة، وقد عين أول مدير لها وهو محمد بن عبدالله العطيشان، وكانت شرطة الرياض في بدايتها تقع في مبنى داخل مدينة الرياض في شارع الثميري وتشمل أربع مناطق الأولى وتقع بدروازة الثميري ويرأسها المفوض أول محمد بن علي الثقفي الطايفي ومعه المفوض الثالث عبد الإله العسيري والمفوض الثالث عبدالحميد زمزمي، وكان الثقفي قد تولى بعدها رئاسة المنطقة الرابعة فوكيلا لقيادة الشرطة ثم قائدا للقوة لسنوات عديدة أما المنطقة الثانية بالرياض فتقع وسط البلدة بالقرب من قصر الحكم في الصفاة برئاسة المفوض ثالث خالد الفلاح والمنطقة الثالثة وتقع في حي دخنة برئاسة المفوض الثالث علي الجاسر ثم المفوض الثالث عبدالفتاح خياط في فترة أخرى من هذه المرحلة، والمنطقة الرابعة وتقع في "حلة الأحرار" خارج البلدة آنذاك برئاسة المفوض الثالث عبدالله نحاس وكانت إمكانات الشرط آنذاك بسيطة إذ لم يكن لدى شرطة الرياض سوى سيارة صغيرة لمدير الشرطة ذات لون أسود إضافة إلى سيارتي جيب "ولز" سلمت إحداهما لمفوض المركز وبقيت الأخرى للطوارئ، وكان جنود الشرطة آنذاك ينقسمون إلى خمسة أقسام: المشاة والحركة المرورية والخيالة وراكبو الدرجات البخارية وراكبو السيارات، أما الدوريات لاسيما الليلية فكانت بواسطة الخيول التي لا يزيد عددها على ثمانية، وكان هناك مسميات عسكرية ألغيت مثل وكيل ممتاز ومفوض أول وثاني، وتعدلت خلال هذه الفترة مسميات الشرطة وأقسامها، ونشأت فيما بعد إدارات أخرى متخصصة مكملة لعمل الشرط مثل الدوريات النجدة، والمرور وأمن الطرق، وقد تعاقب على إدارة شرطة الرياض كل من محمد العطيشان من (١٣٥١- ١٣٦١هـ) ثم اللواء علي جميل من (١٣٦١- ١٣٦٥هـ) ثم العقيد عبدالرزاق سعادة من (١٣٦٦/٢/١-١٣٦٦/٦/١٦هـ) ومن ثم اللواء حسين زقزوق (١٣٦٦-١٣٧٣هـ) تلاه عساف بن حسين العساف (١٣٧٣-١٣٧٤) ثم العميد ناصر العساف (١٣٧٤- ١٣٧٨هـ) ثم العميد جميل ألطف (١٣٧٨- ١٣٨٠هـ) ثم اللواء محمد الغرابي (١٣٨٠-١٣٨٣هـ) الذي سمي عليه شارع الغرابي الشهير بالرياض ثم العميد محمد بن علي الثقفي من (١٣٨٣- ١٣٨٧هـ) ثم الفريق أول محمد بن هلال المطيري (١٣٨٧-١٣٩٩هـ) ثم اللواء محمد المطيري (١٣٩٩-١٤٠٩هـ) ثم اللواء منصور بن عبدالله العيدان (١٤٠٩-١٤١٠هـ) ثم اللواء صالح البراك ثم اللواء عبدالله الشهراني ثم المدير الحالي اللواء سعود بن هلال.

وفاته

توفي العميد محمد بن علي الثقفي الطايفي في الثاني من شهر ذي الحجة من عام ١٤١٤هـ، بعد حياة حافلة بالعمل في المجال الأمني الذي أدرك الطايفي بداياته الأولى وشهد مراحل تأسيسه وتطوره وتوسعه في المناطق المركزية والبلدات النائية، وحضر وفاته عدد من المسؤولين الذين شاركوه مراحل البناء والتأسيس في القطاعين الأمني والعسكري على وجه العموم لاسيما في مراكز الشرطة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة الرياض، رحم الله "الشرطي" ورجل الأمن العميد محمد علي الثقفي رحمة واسعة.



عاصر الثقفي مراحل تطور الجهاز الأمني في المملكة



محمد الثقفي على اليمين وعلى يساره الفريق أول محمد المطيري والعميد محمد الخليفة وعدد من ضباط الشرطة



شهدت الأجهزة الأمنية قفزات كبيرة في مسيرة التطور والتحديث

الجمعة ١٠ ربيع الأول ١٤٣٨هـ - ٩ ديسمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٧٠٠ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17700 54th Year -FRIDAY-9- 12-2016
الرياض

إبراهيم المهنا.. تاجر الأحساء

يعد الشيخ إبراهيم بن صالح المهنا أحد أشهر وجهاء الأحساء، أسس لنفسه جاهاً ومكانة بين الأهالي والمسؤولين وأصحاب القرار، وذاع صيته في الأعمال التجارية والخيرية وذلك لما له من دور تجاري واجتماعي كبير، حيث عرف بشفاعاته وخدماته ومساعدته لاسيما وأن مجلسه كان مشرّعاً طوال اليوم لاستقبال الضيوف والزائرين من مختلف المناطق، كما كان ديواناً للأدباء والعلماء والشعراء الذين يفدون إلى الأحساء للالتقاء بروادها من أهل العلم والأدب، ونظراً لاتساع علاقاته وتجاراته وكثرة ضيوفه عمد -رحمه الله- إلى بناء مجلس هو بمثابة قصر ضيافة يستوعب الضيوف والقادمين من داخل وخارج منطقة الأحساء وإضافة إلى ذلك فقد كان للشيخ إبراهيم المهنا -رحمه الله- دور فاعل في المناسبات والمشاركات الاجتماعية، وقد مثّل أهالي الأحساء في أكثر من المحافل والمناسبات لا سيما الزيارات التي قام بها ولاة الأمر والمسؤولين للأحساء، كما كانت تربطه علاقات متينة مع الكثير من الجهات والمسؤولين والوجهاء والتجار في منطقة الخليج، وكان -رحمه الله- محل ثقة ولاة الأمر حيث أوكلت له بعض المهام المالية والاجتماعية وذلك لما عرف عنه من النزاهة والأمانة إلى جانب خبراته العريضة في إدارة الأمور المالية، ناهيك عن دعمه لمختلف المشروعات الوطنية البناءة.

اشتهر بالنزاهة والكرم ودعم المشروعات الوطنية.. وساهم في بناء مستشفى احتفاءً بعودة المؤسس من مصر عام ١٣٦٧هـ

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

نشاته

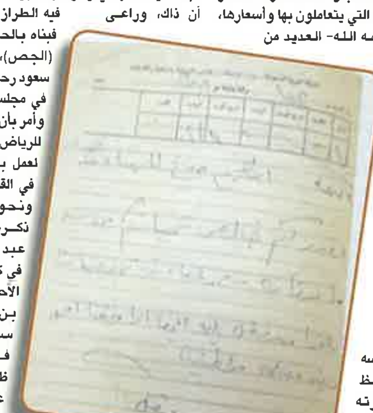
ولد الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عبدالكريم بن مهنا بن سلطان بن حمد بن غيهب، من آل غيهب من بني زيد في مدينة شقراء بحدود عام ١٣١٦هـ، ونشأ وترعرع في بيت أبيه، أما والدته فهي لولوة بنت عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن زيد من آل يحيى بن غيهب، وانتقل والده في أواخر القرن الثالث عشر من شقراء إلى الأحساء للتجارة وطلب الرزق، ويرجح أن ذلك تم في حدود عام ١٢٩٥هـ، وقد تلقى ابنه إبراهيم تعليمه في الكتاتيب، فأجاد الكتابة والقراءة والحساب وأخذ عن والده شيئاً من مبادئ العلوم والقراءة والمعرفة، وكان ماهراً في الحساب منذ صغره، كما درس على الشيخ عيسى بن عكاس، ولكنه لم يستمر طويلاً نظراً لإنشغاله بتجارة والده سيما وأنه الابن الوحيد لأبيه، حيث اكتسب التجارة وتشرّبها وتعلمها من والده رحمه الله، الذي بدأ التجارة في مقتبل شبابه، وكان إبراهيم على صلة وثيقة بمقبل الذكير مدير مالية الأحساء، وبينهما تعامل تجاري وحوالات كثيرة، وكما هي عادة الرواد الأوائل حيث التبادل التجاري مبني على حسن التعامل والثقة المتبادلة، فتمرس إبراهيم المهنا في التجارة، وكثرت علاقاته، واتسعت تجارته وذاع صيته بالأحساء ونجد والخليج.

تجارته

شهدت منطقة الأحساء أواسط القرن الماضي حركة تجارية واقتصادية نشطة وواسعة، وكانت أسواقها تزخر بالبيع والشراء والصناعة على مختلف أنواعها، واحتلت الأحساء هذه المكانة الاقتصادية والإستراتيجية المهمة نظراً لوجود ميناء العقير بها وهو أقدم الموانئ وأهمها آنذاك، وله دور كبير في استقبال السفن التجارية القادمة من الهند والعراق والبحرين والكويت وعمان وزنجبار وغيرها، وكانت تجارة الشيخ إبراهيم المهنا امتداداً لتجارة والده رحمهما الله، التي اشتملت على المواد التموينية، كالأرز والحنطة والطحين والحبوب والتمر بأنواعه والزيت والقاز، وكذلك الأقمشة والقهوة والهيل والبهارات والأبازير ونحوها، إضافة إلى صرف الجنيه الذهب والليرة، وكان لأغلب التجار آنذاك نشرة للأسعار يتضح من خلالها المواد التي يتعاملون بها وأسعارها، كما كانت للمهنا -رحمه الله- العديد من المراسلات والخطابات مع تجار الأحساء والخليج والهند، ووثقت هذه المراسلات في دفاتر كثيرة هي عبارة عن نسخ طبق الأصل للرسائل الصادرة إلى بعض التجار الذين كان يتعامل معهم في الداخل والخارج.

قصر ضيافة

أسس المهنا لنفسه جاهاً كبيراً وحافظ على إرث أبيه وتجارته وسمعته حتى حصل على ثقة التجار والمنافسين وبلغ مكانة مرموقة بين الناس في الأوساط الاجتماعية، وكان -رحمه الله- يطلب من أهل بيته إعداد الأطعمة والموائد للضيوف، والمسافرين ليقدمها في مزارعه التي بالأحساء كـ(المربعة، والمعامرة والشبيبنية والشطبان والفرعونية والبديعة والمياسي والصباخ) ويذكر من عاصره أنه لا يأكل الطعام لوحده نظراً لكثرة الضيوف الذين يأتي معظمهم من خارج الأحساء إما للتجارة أو العلاج أو إنهاء بعض الأعمال الخاصة التي كان للمهنا شفاعات وجهود مذكورة في تذليل صعابها والتوسط -قدر الاستطاعة- لحل المتعسر منها، ولذا فقد سعى إبراهيم المهنا أن يبني مجلساً «قصر ضيافة» عاماً يقصده القادمون من نجد أو غيرها للعمل أو الزيارة أو البيع والشراء، وكان بناء هذا المجلس في الخمسينيات من القرن الماضي، وقد اعتنى المهنا به وشيده على طراز فريد وبناء هندسي محكم، في حي النعاثل وهو أحد أحياء الهفوف المشهورة، واختار لهذا المجلس موقعاً مميزاً حيث يقع على طريق واسع يؤدي إلى السوق التجاري القديم المعروف بالقيصرية، وقد حرص أن يكون هذا المجلس مفتوحاً لعامة الناس، وكان من زواره الملك سعود، والملك فيصل، رحمهما الله، بالإضافة إلى عدد من الوجهاء والعلماء والمسؤولين لاسيما وأن هذا القصر كان يحوي غرفاً للخدمات والضيافة والمبيت، لكنه ومع اتساع تجارته ومعارفه رغب في بناء مجلس ثان يتسع لأكبر عدد من الضيوف والزوار، وأسند أعمال بنائه إلى المقاول المعروف عبداللطيف العر دي وهو من أشهر مقاولين الأحساء آن ذاك، وراعى فيه الطراز السائد آنذاك فبناه بالحجارة والأجر (الجص)، حتى أن الملك سعود رحمه الله لما زاره في مجلسه أعجب به، وأمر بأن يؤتى بالنجار للرياض ليستفاد منه لعمل بعض الأبواب في القصور الخاصة ونحوها، ووفقاً لما ذكره يوسف بن عبد العزيز المهنا في كتابه (تاجر الأحساء إبراهيم بن صالح المهنا سيرة وتوثيق) فإن هذا البيت ظل قائماً حتى عام ١٤١٢هـ، ثم هدم وأقيم مكانه محلات تجارية وضعت كوقف لإبراهيم المهنا رحمه الله.



برقية الملك فيصل -رحمه الله- للمهنا بشأن الإعفاء من القروض الزراعية

ثقافته وأدبه

كان إبراهيم المهنا متذوقاً للأدب حريصاً على قراءة وسماع قصائد الحكم والفوائد، ويستشهد بها في المناسبات، ويقيّد الفوائد شعراً ونثراً ويكتبها في أوراقه ودفاتره، وقد جمع -رحمه الله- جملة من القصائد لبعض الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين في مجلد كبير يقع في ١٠٠ صفحة، ومنهم راشد الخلاوي وابن المقرب العيوني، والشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي، ومبارك بن حمد العقيلي، والسيد عبدالله أحمد الهاشمي، وحمد المغلوث وغيرهم، وقد روي عنه شيئاً من شعر راشد الخلاوي، ووجد عنده أطول قصائده المعروفة بالروضة أخذها عنه وضمنها كتابه (راشد الخلاوي) يقول في مطلعها:

(يقول الخلاوي حاضر الرأي وصايبه.. مصاب الحشا مدهي بأدهى مصايبه).

وكان يرتاد مجلسه طبقة من مثقفي ووجهاء الأحساء من أمثال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف المبارك، وإبراهيم العجاجي والشيخ حمد الجبر ومحمد الموسى وغيرهم، وكان مجلساً لا يخلو من المساجلات الشعرية، والمطارحات الأدبية وقرأ فيه جملة من كتب الأدب ودواوين الشعر، وكان -رحمه الله- يحرص على اجتماعات أهل العلم والأدب، وله علاقات متينة مع علماء الأحساء وأعيانها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع، والشيخ عبدالله بن محمد بن محمود، كما أن له علاقات ببعض الأدباء المعاصرين من غير أهل الأحساء، أمثال الشاعر محمد بن عبدالله العثيمين، والشاعر محمد بن عبدالله البليهد، الذي قال مادحاً الشيخ إبراهيم المهنا ضمن قصيدة ألقاها عندما زار المعهد العلمي في حي (الجرن): وقام بما نحتاج قرم موفق.. يروم قضا حاجاتنا بطل شهم.

كما زاره العلامة حمد الجاسر -رحمه الله- في بيته والتقاه عام ١٣٥٨هـ، إبان تأسيس مجلس المعارف، وله صلة بالشيخ النحاس وغيره ممن يفدون إلى الأحساء من العلماء والأدباء، وتربطه علاقة قوية مع بعض الأمراء لاسيما أمراء الأحساء عبدالله بن جلوي وابنه سعود -رحمهما الله- وكذلك الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، حيث كان وكيله على أملاكه ونخيله وشؤونه في الأحساء، كما أن له علاقات وطيدة مع الكثير من أمراء وأعيان الخليج كآل ثاني وآل خليفة عدد من التجار الذين تربطهم الثقة والتقدير والمصالح التجارية المتبادلة.

مشاركاته وتمثيله لأهالي الأحساء

شارك إبراهيم المهنا في أغلب المناسبات التي تخص مدينة الأحساء وكان -رحمه الله- يقدم دعمه المعنوي والمادي لإنجاح هذه المناسبات بل ويحرص أشد الحرص على حضورها مع مجموعة من أعيان البلد لا سيما تلك التي تعود بالصالح العام على الأحساء والأهالي، ولعل من أهم هذه المناسبات مساهمته البناءة في بناء مستشفى قدمه بمناسبة عودة الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- من مصر عام ١٣٦٧هـ، حيث تم تكليف الشيخ إبراهيم المهنا بتلقي التبرعات وجمعها، وبعد اكتمال المبلغ أوكل إليه استقبال العروض واختيار المقاول المناسب للتنفيذ، كما شارك ضمن وفد الأحساء المكون من ٢٤ عضواً من وجهاء وأعيان المنطقة لزيارة ومقابلة الملك سعود رحمه الله- بالرياض عام ١٣٨١هـ، وشارك في الوفد المكون من ١٣ عضواً في زيارة للملك فيصل -رحمه الله- بالرياض عام ١٣٨٥هـ حيث كان حريصاً على مشاركة الأهالي في الزيارات لولاة الأمر والمسؤولين وتمثيل أهالي الأحساء.



وفد من رجالات الأحساء في زيارتهم للملك فيصل -رحمه الله- حيث شارك إبراهيم المهنا ضمن الوفد



إبراهيم المهنا في مزرعته بالهفوف عام ١٣٩٦هـ

مساهماته الوطنية

كان إبراهيم المهنا أحد أعضاء مجلس معارف الأحساء الأول، وشغل منصب أمين الصندوق لخبرته في الحساب وأمانته وثقة المسؤولين به، ثم في لجنة مساعدة التعليم برئاسة الشيخ إبراهيم العجاجي، وكان عضواً فاعلاً فيها، وهي امتداد لمجلس المعارف بالأحساء، وكان له دور في دعم التعليم والقيام بمهام جليلة في خدمة وتسيير شؤون التعليم، وفي عمله أميناً للصندوق كان ذا أثر واضح في تنظيم قوائم الصرف والإشراف على مساعدة المعلمين ودفع رواتبهم، ودعم الطلاب المحتاجين، ومتابعة مناقصات تأمين ما يلزم من كتب وأدوات مدرسية، كما تثبت الوثائق حرص واهتمام لجنة التعليم بالأحساء آنذاك على العناية بالتعليم، ونشير إلى أن هذه اللجان قائمة على الاحتساب والعمل التطوعي ودون مقابل وذلك للإسهام في رفع مستوى التعليم في المنطقة، فكان رحمه الله ومن معه يبذلون الجهد والمال والوقت في سبيل توفير التعليم المناسب للأهالي، قبل انتشار التعليم النظامي في البلد، وكانت تربطه علاقة قوية مع بعض الجهات الحكومية كما كانت علاقتة وثيقة بشركة أرامكو في بداياتها أواخر الستينيات الهجرية، حيث كانت الرواتب تحول شهرياً من جدة إلى مكتبه بالهفوف، ويتولى تسليمها لمندوب الشركة بعد عدها وضبطها، كما كان له دور إيجابي في هيئة سلفة المزارعين بالأحساء التي تم اعتمادها منتصف عام ١٣٧٣ بأمر من الملك سعود -رحمه الله-، حيث رفع مع بعض أعيان المنطقة للمسؤولين بضرورة مساعدة المزارعين وإسقاط الديون عنهم، تشجيعاً لهم وتخفيفاً عليهم، وقد تم ذلك في عهد الملك فيصل -رحمه الله- في برقية نصها (نقدر لكم خالص تمنياتكم بمناسبة ما أمرنا به من إعفاءات وتخفيضات وهذا من فضل الله علينا إذ وفقنا لعمل ما فيه مصلحة مواطنينا) وأوكل الأمير سعود بن جلوي لإبراهيم المهنا حفظ المبالغ واستلامها من البنوك وصرفها للهيئة، وقام بذلك خير قيام، وكان له دور بارز في حفظ أموال سلفة المزارعين فكانت المبالغ تؤمن عنده، ثم تصرف للمزارعين بناء على التوجيهات التي تصدر من الهيئة، إضافة إلى ذلك فقد كان عضواً في تأسيس شركة كهرباء الأحساء عام ١٣٧١هـ، حيث قدم لها الدعم المالي، وتولى في بداية الأمر ضبط القوائم المالية للشركة، ولما للشيخ إبراهيم المهنا -رحمه الله -من مكانة وتجارية ووجاهة اجتماعية في المنطقة، ولما يتمتع به من سمعة رفيعة ومشاركات وحضور فعال في الكثير من المناسبات، فقد رشحه الملك سعود بن جلوي أمير المنطقة الشرقية -رحمه الله- ليكون عضواً في الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، وشارك مع بقية أعضائها في زيارة مطولة لبعض الدول العربية والأجنبية وتعتبر الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية هي الثالثة من حيث الأقدمية على مستوى المملكة بعد غرفة جدة وغرفة مكة، وكان لها دور فاعل في تطوير الحركة التجارية والاقتصادية بالمنطقة الشرقية، وقد استمرت عضويته رحمه الله في مجلس إدارة الغرفة منذ عام ١٣٧٩-١٣٩٠هـ.



العدد الأول من مجلة غرفة الدمام ويظهر اسم المهنا ضمن أعضاء مجلس الإدارة عام ١٣٨٤هـ

وفاته

في الثمانين من عمره شعر إبراهيم المهنا -رحمه الله- ببعض الأسقام وداهمته أمراض الشيخوخة، فعالج في كثير من المستشفيات في داخل وخارج المملكة، إلا أن صحته انتكست حين كان في رحلته الأخيرة للعلاج في لندن فتوفي رحمه الله في الخامس من شهر رجب عام ١٣٩٧ هـ، ونقل إلى الرياض وصلي عليه في جامع المطار القديم، ثم نقل إلى الأحساء يوم الجمعة وصلي عليه، بجامع الإمام فيصل بن تركي بالهفوف ودفن في مقبرة الصالحية رحمه الله رحمة واسعة.



أسهم المهنا في العديد من المشروعات الرائدة لخدمة أبناء الأحساء



حظي المهنا بمكانة تجارية ووجاهة اجتماعية كبيرة في الأحساء نظير إسهاماته المتنوعة

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



عبدالله باناجه.. تاجر المجوهرات

مشوار طويل قطعه عبدالله باشا باناجة، من جدة إلى المنفى، ثم إلى استنابول ومصر، ابتدى هذا المشوار حين هاجر إلى «الاستانة» استانبول ومارس تجارة المجوهرات وبيع الذهب واللآلي ذات التصاميم الفاخرة والمميزة، حينذاك قربه السلطان عبدالحميد ومنحه الباشوية، لذا كان من أوائل من حصلوا على الوسام العثماني، وبعد عودته لمسقط رأسه شيد قصوراً لعائلته في جدة ومكة والطائف، ومصر، من أبرزها مقصورة آل باناجة بجدة الملاصقة لمسجد الحنفي وقاعة كبرى، لاستقبال الملوك والوزراء وعامة الناس، وكان الملك عبدالعزيز يستقبل المواطنين والأهالي والوجهاء بتلك القاعة يناقش معهم احتياجات الأهالي والخدمات التي تحتاجها المدينة، وتعتبر قاعة أو مقصورة باناجة من أبرز المعالم التراثية لمدينة جدة، خلال القرن الماضي. كما كان قصره في مكة المكرمة الذي يقع في مواجهة الحرم نزلاً للعديد من الزعماء والبشوات، أما قصره في الطائف فقد كان الأهالي يطلقون عليه (الباخرة) لكونه صمم على شكل باخرة، إضافة إلى قصرة بعباسية مصر وعقاراته فيها، وأملاكه العقارية بجدة، التي استأجرتها بعض القنصليات لاسيما تلك المواجهة لساحل جدة.. رحلات متعددة وتجارة متنوعة هي أبرز ملامح سيرة الوجيه عبدالله باشا باناجة رحمه الله.

صنع مجداً تجارياً لنفسه في مرحلة صعبة وحصل على «الباشوية» و«الوسام العثماني»

إعداد - منصور العساف



كان باناجه شغوفاً ببناء الدور والقصور



عبدالله باشا باناجه

نشأته

ولد عبدالله باشا باناجه عام ١٢٧٠هـ، بمدينة جدة، وانتقل مع والده يوسف باناجه الذي نفي إلى قبرص بعد الأحداث الشهيرة حيث داهم الأهالي القنصلية البريطانية في جدة وتعود قصة نفيه إلى واقعة مفادها أن القنصل الإنجليزي، قد وضع العلم العثماني تحت قدمه في إحدى البواخر الراسية في الميناء، مما أثار غضب الناس حيث يشكل ذلك إهانة للمسلمين فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسي وبعض الأجانب الغربيين المقيمين في جدة، وعلى إثر ذلك أرسل الأسطول الإنجليزي بعض القطع العسكرية إلى جدة، وأطلقت بعض القنابل على المدينة، فألحقت الخراب ببعض أجزائها، فقامت الحكومة العثمانية بإجراء تحقيق في الحادثة، وعاقبت القائمين والمحرضين، بالقتل أو النفي وكان يوسف باناجه رحمه الله ضمن المنفيين. وعودا على عبدالله باناجه فقد تلقى شيئا من التعليم في قبرص، وبعد وفاة والده عاد مع والدته وأخيه عبدالرحمن إلى جدة، ولكنه سرعان ما شد الرحال إلى أستنبول بعد اختلاف في وجهات النظر مع أخيه محمد الذي كان يدير شؤون العائلة.

الخطوة الأولى نحو المجد

انطلقت عصاميته وحياته التجارية، حيث اشتغل بتجارة المجوهرات واللآلي والأحجار الكريمة، وكان سوق المجوهرات رائجا في استانبول خلال تلك الفترة، ولاعتنائه بانتقاء المجوهرات الثمينة واهتمامه بحسن تنسيقها وجمالها، فقد لفتت بضاعته أنظار الكثيرين، وحظي بسمعة طيبة في سوق المجوهرات، ولم يمض وقت طويل إلا وعمل في بلاط السلطان عبدالحميد، ومن ثم عينه السلطان في مجلس المبعوثان، ومنحه الباشوية الرفيعة فاصبح اسمه (عبدالله باشا باناجه)، وللمؤرخ محمد علي مغربي رحمه الله تعليق حول باشوية عبدالله باناجه فيقول (وهو الوحيد فيما أعلم من أهل الحجاز الذي حصل على هذه الرتبة الرفيعة، بما لها من امتيازات وأوسمة باستثناء بعض أشراف مكة المكرمة الذين منحت لهم رتبة الباشوية من السلطان في ذلك الزمان)، وفي استنبول تزوج عبدالله واستقر لفترة ليست بالقصيرة، وكان منقطعا عن أهله في جدة، وبعد وفاة أخيه الأكبر محمد عميد العائلة، عاد عبدالله إلى وطنه، وأصبح هو رئيس العائلة كما ذكر المغربي في أعلام الحجاز.

مقصورة آل باناجه

وأثناء عودته كانت العائلة تسكن في بيت صغير في منطقة سوق الندى، فقام عبدالله بشراء البيوت الصغيرة المحيطة والمجاورة لبيت العائلة، وأرض أخرى عبارة عن فناء خالية مهملة، فاستصلحها وقام ببناء بيت كبير للعائلة، وبنى حوله المخازن الخاصة بالبضائع، وفي الأسفل مكاتب للعمل التجاري، وأعلاه خصصه للسكن، كما قام بشراء بيت صغير ملاصق بمسجد الحنفي الذي أنشيء عام ١٢٤٠، ثم أضاف مقصورة للصلاة ، وشيّد أيضا صالة فاخرة كملحق مع المقصورة وكان آل ناجه يستعملون المقصورة لأداء صلواتهم اليومية، وكانت هذه المقصورة كما يصفها معاصروها معلما وملتقى لأهل العلم والأدب والولاة والحكام والأعيان، كما كانت بمثابة منتدى ومجلسا عاما للأهالي بمدينة واستقبلت عدد من الشخصيات التاريخية ووجهاء جدة كالشريف حسين بن علي ملك الحجاز، وابنه الشريف علي بن الحسين، وكذلك الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه والملك فاروق ملك مصر حين زيارته الأولى للحجاز، وكذلك السلطان القعيطي سلطان حضرموت، وأيضاً كان عبدالله باناجه يستقبل في هذه الدور لا سيما في فترة الحج الضيوف والوجهاء والأمراء والملوك.

ويقول المؤرخ محمد علي مغربي رحمه الله في ترجمته للشيخ باناجه (ولقد رأيت الملك عبدالعزيز رحمه الله يصلي في مقصورة آل باناجه وعلى باب المقصورة يقف رجل شاهرا سيفه ومن خلف جلالته يقوم الحرس شاهرين سيوفهم) وقد اكتظت الشوارع بالناس أثناء مرور موكب الملك عبدالعزيز، فقد خرج ماشيا من بيت نصيف بعد اول صلاة له في جدة، تتقدمه رجاله والحرس الخاصين به، ومن خلفه عدد كبير من الرجال، وهم يحملون أسلحتهم، وكان آل باناجه قد استعدوا لاستقبال الملك، حيث كان الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه يلتقي بوجهاء وأهالي جدة بهذه المقصورة ليناقشهم بما يعود على الجميع بالمصلحة العامة وقال الشيخ سليمان أحمد علو، إمام مسجد الحنفي: في حديث سابق لصحيفة «الرياض» (إن هذا المجلس لم يتغير فيه شيء منذ كان الملك عبدالعزيز يجلس فيه، حيث يستقبل فيه أهالي وأعيان جدة أنذاك، ويلتقي فيه بأهل الرأي والمشورة، ويتقدم إليه الناس بمعارضيهم وطلباتهم التي كان الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه يأمر في الحال بتلبيتها ويأمر رجاله بتنفيذها على وجه السرعة) ولذا فإن قاعة أو صالة باناجه ظلت من المعالم الأثرية في جدة خلال القرن الماضي، ولم يقف توسع عبدالله باناجه في بنائه وشرائه للدور على ما اشتراه في مدينة جدة بعد عودته من اسطنبوا بل اشترى رحمه الله قصرا في مكة المكرمة، يقع في مواجهة الحرم الشريف أمام باب علي في منطقة الصفا، وملحق به بيت صغير يفتح على شارع القشاشية، وكان الخديوي عباس قد نزل بهذا القصر عندما قصد الحج، وكذلك السلطان القعيطي الذي كان يحكم شرق حضرموت وكانت سفنه وبواخره تملأ فضاء الهند وبلاد جاوه وذلك حينما أدى القعيطي مناسك الحج، وكان قصره مشرعا طيلة العام، يولونه اهتماما، ولم يقتصر دور هذا القصر على استقبال الضيوف وكبار الشخصيات بل كان مقراً للنشاطات الاجتماعية والأماسي الأدبية وملتقى للندوات والاجتماعات التي يقيمها أهالي مكة المكرمة لاسيما في مواسم الحج والعمرة، ومن ذلك فقد أقام أدباء مكة حفلة تكريمية للشاعر خير الدين الزركلي.



ولد باناجه في جدة عام ١٢٧٠هـ

ولشغف عبدالله باناجه ببناء الدور والقصور فقد شيد قصرا في مدينة الطائف على الطراز التركي، وكان على شكل باخرة ويقع في منطقة السلامة وكان الوالي التركي أحمد راتب باشا ينزل فيه إذا ذهب للطائف للاصطياف، وكما اهتم باناجه ببناء الدور فقد اهتم بشراء العقارات وتوسع في شراء الأراضي والأملاك وعرف بحسن تدبيره وجودة إدارته للأملاك العقارية، ولذا فقد شيدت بيوته وفق أفضل معايير البناء أن ذاك، وكان خبيراً في اختيار الأماكن الجذابة ولهذا تجد معظم أملاكه العقارية ومنازله الواسعة تحتل مواقع متميزة وكان حريصاً أن تطل قصوره لاسيما التي في مدينة جدة على البحر مما زادها جمالها وغلاء سعرها وحرص التجار والعقاريين على شرائها، كما حرصت القنصليات الأجنبية فيما بعد على اختيارها كموقع لمكاتبها في مدينة جدة، واتخذتها القنصليات مقرا لها، إضافة إلى البيوت الصغيرة التي قام الباشا عبدالله باناجه بشرائها، وتأجيرها على أكثر من جهة، يذكر أن الباشا عبد الله لم ينجب طيلة حياته، فألت أملاكه بعد وفاته إلى شقيقه وشريكه الشيخ عبدالرحمن باناجه.

استقراره وأملاكه في مصر

كان الباشا عبدالله باناجه على صلاة جيدة بأمراء مكة من الأشراف، إلى أن ولي الشريف الحسين بن عليها، فقرر عبدالله باناجه الهجرة إلى مصر خشية أن تعود علاقته الجيدة مع الأتراك عليه بالتضييق، وخاف أن يحاسبه الشريف الحسين بن علي على ذلك، لذا فقد وظف ابن أخيه أحمد أفندي باناجه وكيلا عنه، والذي مالبث الشريف الحسين بن علي أن عينه وزيرا للمالية، وكان يطلق عليه الوزير الحضرمي، وكعادة عبدالله با ناجه فقد استمر في شراء القصور حتى وهو في مصر وهناك اشترى منزلا كبيرا وفاخرا بالعباسية وهي المنطقة التي يسكنها ويجتمع فيها تجار مصر ووجهاؤها، وترك باناجه منزله مشرعا كما كان يفعل في جدة لاستقبال أصدقائه القادمين من الحجاز، كما ألحق فيها داراً للضيافة، وخلال فترة الانتقال السياسي في الحجاز الذي تزامن مع دخول الملك عبدالعزيز الحجاز، انتقلت الأسرة بكاملها إلى مصر، ثم عادت إلى الحجاز بعد أن استقرت الأوضاع، واستغل باناجه فترة مكوثه في مصر لتوسيع تجارته فيها فاشترى الدور والأراضي والعقارات المطلة على نهر النيل.

وفاته

توفي عبدالله باشا باناجه رحمه الله بمدينة القاهرة عام ١٣٤٤ للهجرة بعد أن بلغ ٨٠ من عمره بعد حياة حافلة بالتنقل والترحال ولأنه لم يترك ذرية فقد انتقلت أملاكة للورثة الشرعيين لاسيما شقيقه وشريكه عبدالرحمن رحمه الله رحمة واسعة.



عمل باناجه في تجارة المجوهرات وبيع الذهب وتنقل كثيراً بين جدة واسطنبول وقبرص ومصر



بدأ باناجه حياته في تجارة الذهب واللؤلؤ

الجمعة غرة ربيع الأخر ١٤٣٨هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠١٦م - العدد ١٧٧٢١ - السنة الرابعة والخمسون
AL RIYADH - 17721 54th Year -FRIDAY-30- 12 -2016
الرياض

محمد بن لعبون.. أيقونة الشعر

يعد الشاعر محمد بن حمد بن لعبون مدرسة من مدارس الشعر الشعبي وربما الفصيح أثرى المكتبة الأدبية بإنتاجه الشعري، حتى أصبح أحد رموز الشعر في العصر الحديث، ولا غرابة حينها إن أطلق عليه النقاد ومؤرخو الجزيرة العربية (أمير شعراء النبط) فهو عمق لتجربة حية وثرية يستشهد بها شعراء هذا العصر، لاسيما وأن صاحبه نبغ في الشعر منذ نعومة أظفاره، ساعده في ذلك عبقريته وذكاؤه وسعة وكثرة اطلاعه وقراءته لأمهات الكتب ناهيك عن تنقلاته بين بلدات نجد والزبير وبلدان الساحل والهند ما ساهم بتعدد ثقافاته تعزيز موهبته الشعرية وتعدد لهجاته، إضافة إلى أن غرف من بحر والده العلامة والمؤرخ النجدي الشهير حمد بن لعبون الذي يعد تاريخه مصدراً رئيساً لمن أتوا بعده، فنشأ الابن في بيئة علم وأدب وثقافة عامة ونهل من مكتبة والده مختلف الثقافات والقراءات المتنوعة في الأدب والتراث والشعر، كما شجعه والده وصقل موهبته وفتح المجال أمامه للإبداع، ويتميز شعر محمد بن حمد بن لعبون بجزالة المعنى، وثراء اللغة، وعذوبة ورقة العبارة ناهيك عن تميزه بمحسناته اللفظية، وصوره البلاغية، واستعاراته البديعية، إضافة إلى قدرته الفائقة على مزج الفصيح بالشعر العامي، وكاد في هذه الميزة تحديداً أن ينفرد بها عن غيره من الشعراء.

خاض بحور التنوع الأدبي والشعري.. وأثرى المكتبة العربية بإنتاجه الفريد

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

مولده

ولد الشاعر محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان (الملقب لعبون) بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي البكري العنزي. في بلدة (حرمة) في ربيع الثاني من عام ١٢٠٥هـ، بمدينة ثادق، وذكر والده النسابة المؤرخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون نسب قبيلته فقال: "أول من سمي لنا من أجدادنا حسين أبو علي، وهو من بني وائل، ثم من بني وهب من الحسنة، وكان لوهب ولدان وهما منبه وعلي، ولمنبه ولدان وهما حسن جد الحسنة، وصاعد جد المصاليخ".، ونشير هنا إلى أن تاريخ والده المؤرخ الشهير حمد ابن لعبون اعتبر المصدر الرئيس للمعاصرين له ولمن جاؤوا من بعده، كما لقب بـ"شيخ المؤرخين النجديين، لما حققه -رحمه الله- من نقلة نوعية في كتابة تاريخ نجد والمنطقة، وقد نشأ ابنه محمد وترعرع في بيت والده حيث بيئة العلم والأدب والثقافة، وتعلم من أبيه حب القراءة، ونهل من كتب والده التي كان يقتنيها في مكتبته لاسيما في ميادين شعر والأدب والتاريخ العربي والمحلي، كما تأثر محمد بما قراءه من أدب شعبي وشعر نبطي وثقف نفسه وأصبحت لديه حصيلة جيدة في العلوم والثقافات.

نبوغ مبكر

نبغ محمد في الشعر بسن مبكرة، وكما ذكرنا فقد كان للبيئة المحلية التي نشأ فيها دور في ذلك كما منحته مكتبة والده عمقا وثقافة أوسع واطلاعا على عدد من المدارس الشعرية والتجارب النثرية، ما كان سببا في سعة مداركه وصقل موهبته الشعرية وتمكنه من نظم القصائد، والتعرف على بحور الشعر وأنواعه وأغراضه، وكان والده معجبا بذكائه ونبوغ موهبته، وكان خير داعم ومشجع له، كما كان حريصا على الاعتناء بولده وزرع الثقة في نفسه ومشاركته لمجالس الرجال وكبار الشخصيات والوجهاء والأمراء، ليعزز ثقته بنفسه وليزداد جراة ومما يذكر أن محمد عندما كان في حدود الخامسة عشرة من عمره فاجأ والده بأبيات شعرية فائقة النظم والوزن والروي، وذات مرة امتنعت والدته أن تعطيه تمرا ولعلها رغبت في أن تجتمع العائلة ويتناولون طعام الغداء سويا، وبررت ذلك بضياع مفتاح مخزن التمر، ولكن محمد لم يقتنع بإفادتها، فصعد السطح وقال بأعلى صوته مخاطبا من يجد المفتاح

يـــا مـــن عـــين المـفـتـاح
مـــن فـــوق وركـــي طـاح
بــطـنـي كـمـا الـــرداح
يــبـغـي غـــــدا لـــــه

ولعله أراد بذلك إحراج والدته، فدخل الأب ووجد ابنه ينشد بصوت عال هذه الأبيات، فتوسم في ابنه الشعر وجودة النظم، ولا شك أنه أصبح كما توقع والده فنصوصه الشعرية تحتوي على صور بلاغية ومحسنات لفظية بديعة لا إفراط فيها ولا تكلف، ولذا فقد عرف عنه أنه كان يأخذ منحى الفصيح ولذا جاءت عبارته سلسة كما تميزت مفرداته بالجزالة ومعانيه بالتنوع والخيال أحيانا هذا مع قوة لغته الشعرية سواء في الغزل أو المديح او الهجاء بل في جميع الأغراض الشعرية التي طرقها، كما عرف بتمرسه في اختيار المفردات ذات التأثير، تسنده في ذلك لغته الفصيحة وهو ما جعل لقصائده وقعا وأثرا على مسامع المتلقين والمستمعين، لذا فقد أصبح لابن لعبون مدرسة شعرية خاصة به وهو ما أحدث نقلة نوعية في الشعر الشعبي النبطي، ومع أن ابن لعبون عرف بميله الشديد للغزل والتشبب وربما أن ذلك عائد لكونه عاش شابا ومات في أواخر مرحلة شبابه حيث جرت العادة أن يتجه الشعراء في شيخوختهم لقصائد الحكمة والزهد والتبصر بمآل الحياة الدنيا ومع ما عرف عنه في شأن الغزل إلا أن دواوينه وقصائده لم تكن تخلو من قصائد الزهد والوعظ.



رسم تقريبي لمحمد بن لعبون رحمه الله



ابن لعبون

أسفاره

في السابعة عشر من عمره ترك ابن لعبون نجد متجها إلى بلدة الزبير ليعيش هناك حوالي (٢٢ عاما) جاد فيها بأروع وأشهر قصائده إلى أن أصدر الشيخ علي باشا بن يوسف بن يحيى آل الزهير، حاكم الزبير آنذاك أمرا بنفيه، وكان ذلك حوالي عام ١٢٤٤هـ، فاختار الكويت التي قضى فيها ثلاث سنوات إلى أن توفي بسبب مرض الطاعون عام١٢٤٧هـ، وهناك قول بأن ابن لعبون ذهب إلى البحرين قبل ذهابه إلى الزبير، وعموما فإن ابن لعبون قد زار البحرين والأحساء والقطيف، كما سافر إلى الهند لزيارة عمه ضاحي بن عون في مدينة بومباي، وكان عمه معروفا ذا خير وفير وعلم غزير، ولكن ابن لعبون لم يحبذ البقاء في الهند فسافر إلى البحرين وبالرغم من خروج ابن لعبون من نجد في سن مبكرة وكثرة تنقلاته، إلا ن الحنين دائما ما يشده لمسقط رأسه وموطنه الأول ولذا فقد صاغ في بلدته ثادق رائعة من روائعه التي فاضت من بحور الأشواق وشكت أوجاع البين والفراق حيث يقول:

فيا نـابـي سـر في قرَاهـا وَمَبـتـدي
إلـى حَـيّ بَـيـنَ أطـلال نَـجـد جـثومَهَا
إلـىَ سِـرتِـهـا بـنَ دَار مِيّ وَغُـربـتْ
ونـابـاه مـن طـفـاح نجـد خشومها
أوّلْ مـــواري دَارهُـــمْ لـــه جــلالـه
خـاشـا الإلـه وَبَـاقـي الـدَّارْ زُومـهَـا
عـلـمـي بـهـم قـطـن عـلـى جـوّ ثـابـق
سـقـاهَـا مـرنـات الـفـوادي ركُـومـهَـا
مَـرَابـيـع لـذاتـي وَغَـايَـاتُ مَـطـلـبي
وَمَخـصُـوصُ رَاحـاتـي بـهَـا في عُمُومهَا

واكتسب ابن لعبون من خلال تنقلاته وأسفاره بين البلدان الخبرة والتكيف مع البيئات المختلفة، ومعايشة تلك المجتمعات مختلفة الثقافات والعادات، وهي التي تختلف عن ثقافة مجتمعه النجدي المحافظ، مما انعكس على شعره، وزاده تنوعا وإبداعا، حتى أن بعض النقاد أطلق على بعض قصائده (اللعبونيات) تميزاً لمفرداته ومعانية و"طروقه" المميزة، ما مكنه آنذاك من التربع على عرش شعر الغزل، لم لا؟ وهو الشاب المغترب والعاشق المدن.

ومع شهرته بالغزل والتشبب فقد كان للشاعر محمد بن لعبون علاقات متينه بالعديد من الوجهاء والأعيان لاسيما في تلك المناطق التي زارها، كالكويت والزبير والهند و الأحساء والبحرين بالإضافة إلى مجتمعه النجدي، لذا فقد تجد في دواوينه عددا ليس بالقليل من تلك القصائد التي مدح بها العديد من الشيوخ وكبار الشخصيات في زمنه.

أشعاره



سلك ابن لعبون مسلك شعراء زمانه في الفصيح والعامي حيث انتشرت المدارس الشعرية المتنوعة والمتعددة منذ نهاية العصر الأول من العصر العباسي نهاية القرن الثاني هجري حيث ظهر مايسمى "البديع" ولزه الشعراء ماله يلزمهم في إظهار المحاسن الشعرية والصور البلاغية وسلكوا في ذلك طريق ساهم مع تقدم الزمن في التكلف في نظم القصائد فأصبح منهم من يكتب قصائد التورية وبعضهم أغرق في الرمز والبعض الآخر أسهب في المعجزات الشعرية كأن يكتب القصيدة دون نقط أو العكس أو يكتب أبياتا تحمل نفس المعنى واللفظ في حال قراءتها بالمقلوب أو طرق ومسالك أخرى كالتشجير ولزوم مالايلزم وغيرها من الفنون والإبداعات التي تكلف فيه الشعراء وبالغوا في نسجها حتى هبطت قيمة المعاني الشعرية والصور البلاغية إلى زمن أطلق عليه النقاد "عصر الانحطاط" والذي وافق أيضا التخلف السياسي والعسكري والحضاري للأمة ولم يكن الشعر الشعبي بمعزل عن ما تعانية الساحة الأدبية في الشعر الفصيح لذا فقد سلك عدد من شعراء النبط مسلك أقرانهم في القصائد الفصحى فبدأوا بتزويق وتنويع الشعر ومنهم من أجاد ومنهم من تكلف ذلك الشعر فلم يهتد إلى جادة الصواب، وكان محمد بن لعبون من الفريق الأول الذي خاض بحور التنوع الأدبي والشعري بتمكن وتمرس ومن ذلك قصيدته المشهورة (المهملة) وهي عبارة عن ثلاثين بيتا شعريا نظمها ابن لعبون دون نقط ومنها قوله:

أحـــمـــد المـــحــمـــود مـــا مـــع هـمــل
أو عــــد مـــاحـــال واد لـــه وســـال
أو عــــد مـــاورد وراد الـــمـحـــل
أو رمـــى دلـــوه ومـــاصـــدر ومـــال
أو حـــدا حـــاد لـــسـلـمـى أو رحـــل
ســـار هـــاك الـــدار أو داس المحـــال
لاحـــمـــده دوم عـــلـى حـــلـو الـعـمـل
ســـامـــع الـــدعـــوى ومـعـط للـسؤال.

ومن أبياته ما سار بين الناس مضربا للمثل كقوله:

الـكـل مـنـا لـو يـصـدق مـقـالــــه
الـقـول واجـد والـحـكي عند الأفـعـال
الـصـدق يـبـقي والـتـصـنـف جـهـالـه
والجـد مـا لانـت مـطاويــه بـتـفـال

وقوله

رجـالـهـم مـايـسـفـه الالـيـا شـاب
مـثـل الـقـرع يـفسد ليـا كـثـر لـبه

وقوله:

أمـــك وبـــوك وكـــل ذي الـــقـاربـات
محـــد يـــســـد الـــسـيـل عـنـك بعـبـاتـه

وكان لابن لعبون العديد من قصائد الشوق والحنين لدياره بلدتي حرمه وثادق وإقليم نجد على وجه العموم كما أنه له عدد من قصائد المدح لاسيما لوجهاء تلك الديار وها هو يثني على الأمير أحمد السديري ويشكو له غربته وشوقه وهو يقول:

جـيـت نـاس عـقـب أهـل مـي نـشـاف
يـطـبـخـون الـــزاد بـالمـاي الـنـظـيـف
مـن عـقـب زل الـــزوالي والـلـحـاف
والمـخـده جـوخ حـطـوا لي سـفـيـف

إلى قوله:

مـلـتـجـين في ذرا ســتـر الـعـفـاف
أحـــمـــد لازال مـــزبـــان المـخـيـف
مـيـمـر تـدعـيـك نـــاره بـالـكـثـاف
مـرخـص الـكـومـا إلـى قـل الـرغـيـف
بـاجـتـوال وانـحـراف وانـصـــراف
كـالـسـحـاب الجـود مـامـده قـصـيـف
صـيـرف بـالـقـول بـل صـــراف قـاف
مـسـتـجـار لـدار غـطـريـف ظـريـف
يـا ثـقـيـل الـروز بـأيـام الـخـفـاف
فـيـه ثـقـل الـروز والـطـبـع الخـفـيـف
اشـتـكـي لـك مـن عـيـافي للـعـيـاف
مـن هـوى طـرد الجـوازي انـا مـعـيـف
رامـيـات مـن سـهـام بـنـصـــراف
مـن غـــزال في فـــوادي لـه دنـيـف
مـوريـات يـالـسـديـري بـالـرضـاف
وريـة الـوقـاد للـقـدر الـرهـيـف
حـالـة تـنـعـاف يـا أحـمـد بـالكـسـاف
عـن طـريـق الـلـوم فـيـهـا وتـعـنـيـف.

أما "أيقونته الشعرية" فكان الغزل الذي لا تكاد تصحى من ديوانه أجمل وأروع ما قاله في هذا الميدان ولعل منها قوله:

ألا يـــا بـــارق يـوضـــي جـنـــاحـــه
شـــمـــال وأبـــعـــد الخـــلان عـني
عـلـــى دار بـشـــرقـــي الـبـراحـــه
أقـفـــرت مـــا بـهـا كـــود الـهـبـنـي
لـكـن ابـهـا عـقـب نـيـك الـشـراحـه
إلـــى مـريـــت بـاســم الـلـه جـني
يـفـــز الـقـلـب فـيـهـا للـصـبـاحـــه
إلـــى قـامـــت حـمـامـتـهـا تـغـني
تـــوصـيـني لأهـلــهـا بـالـنـيـاحـــه
يـعـــود ان الحـمـامـــة خـير مـني
وأنـــا وان كـــان لي بـالـنـواح راحـة
فـــأنـا بـــالـنـوح بـهـــري مـــا أوني.

وقوله في إحدى "غزلياته" في عشيقته مي:

حـــي المـنـــازل بـــديـم خـــزام
الحـيـــة الجـــار لـــلـجـاره
تحـيـــة الـــعـاشـــق الـــروام
لمـــــورّد الخـــــد في داره
مـن ولـــف دار لابـــن عـــوام
شـــبـت بـنـــاد الحـشـى نـاره
والـكـــر بـــهـا مـا مـضـى بـــولام
إن كـــان تـنـفـع الـــتـذكـاره
فـــوق الامـيـلـح قـطـين خـيـــام
مـضـــروبـة دار مـــا داره
منـــازل يـــا عـلـي مـــا دام
تـــنـزل بـهـــا مـــي مـــع ســـاره.

ومن (فن اللعبونيات)قوله:

زل نـهـــرك يـــا محـمـــد بـالـغـــزل
والـغـــزال الـــى تـهـزأ بـالـغـزال
والخـــدود الي كـمـا وصـف السـجـل
نـاكـسـاتـك بـالـسـقـم نـكـس الـهـلال
والجـبـين الي بـروقـــه تـشـتـعـل.
مـع زلـوف كـنـهـن داجـي الـلـيـــال
زنـة الخـلـخـال تحـدث بـك وجـــل
مـع كـمـالـك مـا اسـتحـيـت مـن الـرجـال
عـاطـلات الـريم وامـــي الـرمـــل
مـع نـبـات ظـلـهـن عـنـدي ظـــلال.

أما غزلية التي طار بها الركبان وتناقلها الشيوخ والولدان فهي تلك التي شكا فيها سطوة الجمال الذي لم يستطع مقاومت سهامه الجارحة وهو يقول:

يـا عـلـي صـحـت بـالـصـوت الـرفـيـع
يـــا مـــرة لا تـــذبـــين الـــقـنـاع
يـا عـلـي عـنـدكـم صـفـرا صـنـيـع
سـنـهـا يـا عـلـي وقـــم الـربـــاع
نـشـتـري يـا عـلـي كـانـك تـبـيـع
بـالـعـمـر مـير مـا ظـنـي تـبـاع
شـاقـني يـا عـلـي قـمـرا وربـيـع
يـــوم أنـــا آمـــر وكـــل أمـــري مـطـاع.

مدرسة شعرية

توفي ابن لعبون بالكويت عام ١٢٤٧هـ، وقد أرخ الأب وفاة ابنه وكتب عنه أنه في هذه السنة توفي ابننا محمد وذكر بعض صفاته -رحمهما الله-، ولا شك أن الابن استفاد أيما فائدة من ثقافة والده وعلمه ومكتبته، حيث عرف عن الشاعر محمد بن لعبون مقدرته على مجارات القصائد الفصحى ومحاكاتها، بل أنه تأثر بها واقتبس منها وأخذ من بعضها كما فعل في قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

سـقـى صـوب الحـيـا مـــز(ن) تـهـامـي
عـلـى قـــبر(ن) بـتـلـعـات الحـجـازي

وقد أخذها من قصيدة باللغة العربية الفصحى للشاعر المدني ابن معصوم في قوله:

سـقـى صـوب الحـيـا أرض الحـجـازي
وجـــاد مـــراتـــع الـغـيـد الجـــوازي

وقول ابن معصوم في ذات القصيدة:

لـيـالي مـشـربـي في الحـب صـفـو
وثـــوب الـلـهـو مـنـقـوش الـطـراز

وقول ابن لعبون:

لـيـالي مـشـربـي صـافي المـدامـا
وثـــوب الـغـي مـنـقـوش الـطـراز

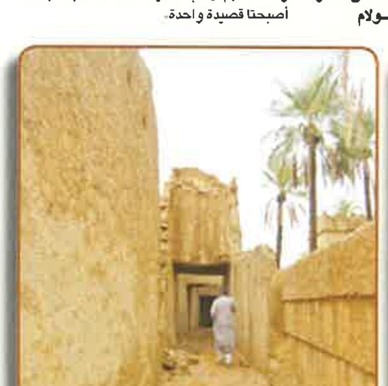
وهذا لا يقلل من هامة وقامة أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، بقدر ما يدل على سعة علمه واطلاعه وثقافته في الموروث الشعري العامي والفصيح وهذا نادر بين أبناء زمانه وجملة أقرانه من الشعراء، كما أنه يدلل على علو كعبه على من سبقه في العامية والفصحى، لاسيما وأنه أدخل أسلوب النظم "الزهيري" وكثيرا ما كان يستعرض مهاراته ومقدرته الشعرية ليثبت وبلا جدال مكانته كأمير لشعراء عصره، لاسيما وقد تنوع في أساليبه وقصائده، فتارة ينهج الطرق التقليدية في الشعر، وتارة يغرق في التعجيزات والبدائع الشعرية والتلاعب اللفظي ونظم "المهملات"، وهي القصائد الخالية من الحروف ذات النقط والتي غالبا ما تأتي على حساب المعنى وإيصال الفكرة، بيد أنها مع "ابن لعبون" لم تكن كذلك بل أعطى "ابن لعبون" الشكل والمعنى نفس القوة، حتى بلغت به قدرته وموهبته الشعرية أنه كان يملي كاتبين في وقت واحد كل واحد منهم يكتب قصيدة منفصلة فإذا جمعت أصبحتا قصيدة واحدة.



ترك ابن لعبون نجد في عمر (١٧) متجهاً للزبير حيث عاش هناك ٢٢ عاماً



توفي الشاعر ابن لعبون في الكويت عام ١٢٤٧هـ



ولد ابن لعبون في ثادق عام ١٢٠٥هـ

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عبدالحميد الخطيب.. دبلوماسية الشعر والأدب

المؤرخ والشاعر عبدالحميد بن أحمد الخطيب، أحد رجالات القرن الهجري المنصرم، جمع بين العلم والسياسة، كان شاعراً ودبلوماسياً ومستشاراً، نال ثقة الملك بانضمامه لمجلس الشورى كما كان ممثلاً للمملكة في عدد من الدول، عايش الصراعات السياسية التي شهدها القرن المنصرم، وشهد دخول الملك عبدالعزيز للحجاز، وفي كتاباته ومؤلفاته يظهر إعجابه الشديد بالملك عبدالعزيز لاسيما بعد عودته من الخارج حتى أنه أفرد له كتابه الشهير (الإمام العادل) من جزأين، كما كان -رحمه الله- العديد من المؤلفات مثل تفسير الخطيب المكي، وأسمى الرسالات، ومجموعة (مستقبلك بين يديك) وهو عبارة عن ابتهالات شاعر في حب الله ورسوله، كتابه الحجاز في نصف قرن «جزءان» وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية، هذا إلى جانب أنه كان شاعراً متمكناً قدم أعمالاً شعرية فريدة من نوعها مثل قصيدة الاستغاثة الكبرى في نحو (700) بيت في الدعوة إلى الرجوع إلى الله سبحانه، وكذلك منظومته الشهيرة (تائية الخطيب) التي تجاوزت الـ 2000 بيت من الشعر، تناول فيها سيرة سيد الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كما نظم العديد من القصائد، وساهم في نشر رسالة الإسلام عبر كتاباته وإنتاجه العلمي والأدبي.

عايش صراعات السياسة ووثق ملامح تأسيس الدولة.. ودافع عن مشروع الملك عبدالعزيز الإصلاحي

نشأته

ولد السيد والمؤرخ عبدالحميد بن أحمد الخطيب بمكة المكرمة في 1316/2/24هـ، ونشأ في ظل والده السيد أحمد الخطيب، إمام وخطيب المسجد الحرام، ومفتي المذهب الشافعي، وأخذ العلوم الأولية عنه، وعن كبار علماء المسجد الحرام آنذاك مثل الشيخ سعيد اليماني وبعد أن أنهى تعليمه في رحاب البيت العتيق تمت إجازته وعيّن مدرسا بالمسجد الحرام، كما عينه الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في عدة مناصب، من ضمنها عضويته بمجلس الشورى من عام (1355-1366هـ)، ويقول د.عبدالرحمن الزهراني في كتابه "من رجال الشورى" أنه مثل الملك عبدالعزيز في إندونيسيا، وكان قد عين وزيراً مفوضاً لدى دولة الباكستان عام 1367هـ، ثم سفيراً بها عام 1373، وإستمر إلى عام 1374 هـ وعندما استقلت إندونيسيا انتدبه الملك عبدالعزيز على رأس وفد لتمثيل المملكة في حفل تسليم السلطة من هولندا، بعد ذلك تردّت حالته الصحية إثر إصابته بمرض القلب، ونصحه الأطباء بالراحة، فطلب من الملك عبدالعزيز-رحمه الله- إحالته للتقاعد، وتم له ذلك، ثم انتقل إلى دمشق وبقي في ريفها متفرغاً لواجباته الدينية وأعماله الكتابية إلى حين وفاته سنة 1381هـ.

لقاؤه بالملك

تعود قصة انضمامه لكوكبة الرجال والنخب الذين إختارهم الملك عبدالعزيز لتمثيل المملكة في السلك الدبلوماسي، وتعيينه قبل ذلك في مجلس الشورى، إلى الاحداث التي سبقت دخول الملك عبدالعزيز الحجاز، حيث كان عبدالحميد الخطيب – رحمه الله – وكيلا لحزب الأحرار في القاهرة، وهو الحزب الذي تشكّل في عهد الشريف علي بن الحسين، وبعد صدور عفو شامل من الملك عبدالعزيز عن معارضيه بادر الخطيب مسرعا للعودة لبلاده، فغادر مصر عام 1355 هـ، بباخرة "الطائف" عن طريق السويس ووصل جدة، ومن ثم إلى مكة المكرمة، حيث كان يرغب في الالتقاء بالملك عبدالعزيز بـ"عشيرة"، إذ كان الملك حينها يستعد للعودة إلى نجد، ولكن الوقت أدركه، مما دعاه للسفر إلى الطائف لمقابلة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، واستئذانه بالذهاب لمقابلة الملك عبدالعزيز بالرياض، فسافر إلى الرياض في السابع من ربيع الثاني عام 1355 هـ، بصحبة الشيخ محمد صالح نصيف، والشيخ محمد صالح قزاز، ونشير هنا إلى أن الملك عبدالعزيز بعد إصدار العفو عن خصومه عادت الكثير من الشخصيات والنخب والشباب الذين عارضوه بالأمس ليصبحوا أصدقاءه اليوم، كمحمد الطويل وطاهر الدباغ وحمزة غوث ورشيد بن ليلى سفير أمارة آل رشيد في أسطنبول، وعدد من المعارضين الذين عادوا إلى بلادهم وآخرون لم يبرحوا البلاد كالفريق إبراهيم الطاسان والفريق سعيد جودت اللذين انظما للملك بعد أن دانت له الحجاز مباشرة، أما من هم في الخارج فاستمرت نشاطاتهم إلى أن صدر الملك المؤسس ما يعرف بتاريخ المملكة بـ"العفو العام" فعادوا إلى بلادهم ومنحهم الملك عدداً من المناصب القيادية والريادية للمساهمة في بناء الدولة، والتقى المؤرخ والمؤلف عبدالحميد الخطيب بالملك عبدالعزيز في الرياض في الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام 1355هـ، وذكر هذا اللقاء في كتابه عن الملك عبدالعزيز "الإمام العادل" ووصفه بانه كان لقاءً اتسم بالوضوح والصراحة قدم فيه الخطيب أفكاراً بناءة لصالح الوطن والمواطن وأعجب الملك بفكره وأطروحاته وقربه منه.

توثيق مرحلة البناء

للمؤرخ عبدالحميد الخطيب العديد من المؤلفات والمخطوطات القيمة؛ ومن ضمنها كتابه (الإمام العادل)، وقد نشر في جزأين وتناول فيه سيرة الملك عبدالعزيز، وقدم الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع للكتاب فقال: (قرأت جميع هذا الكتاب قراءة تأمُّل واستفادة وتحقيق فوجدته كتابا ممتعاً وافياً كافياً في موضوعه سلك فيه مؤلفه.. مسلك التحقيق والإخلاص وبيان الحقائق التاريخية التي لم يسبق تدوينها، وإنه لمن أصدق المصادر) وذكر الخطيب في الجزء الأول من الكتاب تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية، وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التي تتوافق مع رؤية المؤسس الملك عبدالعزيز، ودافع عن دعوة الشيخ وعن توجه الملك عبدالعزيز نحو الإصلاح، كما تضمن الكتاب مسيرة المؤسس والترجمة له، واحتوى الجزء الأول أيضا على علاقة الملك عبدالعزيز بالشريف حسين، واستعرض بعض المشاكل في الداخل والخارج التي تصدى لها الملك عبدالعزيز، وكذلك علاقاته مع بعض الدول مثل مصر واليمن ودولة الباكستان ودوره في تأسيس الجامعة العربية، وعلاقة الملك بالقضية الفلسطينية وتطرق المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب إلى الحديث عن أسرة الملك عبدالعزيز، وأبنائه، ورجال الدولة كما تضمن أيضا الحديث عن بناء مؤسسات الدولة والمشاريع الإصلاحية آنذاك، كما استعرض في كتابه مجموعة من أحاديث وخطب ونصائح الملك عبدالعزيز التي كان يلقيها في المناسبات العامة، لا سيما في الحج ولا شك أن الكتاب وثق الوقائع التاريخية وملامح البناء والتأسيس.



عبدالحميد الخطيب رحمه الله



التقى الخطيب بالمؤسس لدى عودته من الخارج ونال ثقته في تمثيل المملكة في عدد من الدول

الإنتاج الشعري

كان الخطيب شاعرا متمكنا، تميز بالمطولات الشعرية التي جادت بها قريحته ونظمها بدواوين متعاقبة، وأشاد بجزالة شعره العديد من الشعراء والعلماء والمفكرين المعروفين في الأوساط الأدبية والفكرية، لاسيما وقد دأب في معظم قصائده وإنتاجه الأدبي إلى نشر تعاليم الإسلام والتعريف برسالته وسماحته، وله قصائد فيها مناجاة لله سبحانه وتعالى، كما أن له مجموعة من القصائد الشعرية مثل (قدمت فعم البشر أفراد أمة) و (سيد الورى) إضافة إلى إنتاجه المتميز (سيرة سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، وهي (تائية في ألفي بيت) وجاءت عبارة عن منظومة شعرية أكثر من 2000 بيت شعري، في مدح وسيرة أفضل الخلق نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأشاد محمد حسين هيكل بهذا الإنتاج العظيم، وذكر في مقدمة المنظومة أن عبدالحميد الخطيب بذل جهدا، حيث نظم سيرة خير الخلق شعرا على قافية واحدة، ليجعلها سهلة وميسرة إلى نفس قارئها، ويضيف أن الخطيب تحرى أن يجعل من لغته سهلة تيسيرا لكل الطبقات والقدرة على استيعاب السيرة على الوجه المطلوب والمرضي كما قال الأديب أحمد إبراهيم الغزاوي الملقب بـ (حسان الملك) حين حديثه عن السيد عبدالحميد الخطيب (إن السيد عبدالحميد الخطيب شخصية معروفة في الأوساط الأدبية لما له من إنتاج شعري وعلمي غزير، حيث حرص على تقديم النصح لأمته والشفقة على أبناء وطنه والإهابة بهم لاتباع ما كان عليه السلف الصالح، والرجوع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وموضحا أن عبدالحميد الخطيب لم تبهره زخارف الدنيا وبهرجتها، وتبعده عن بيئته ومجتمعه) ويسهب الغزاوي في مقدمته عن الكتاب ويؤكد أن هذا العمل هو الأول من نوعه في عرضه وتبسيطه وأسلوبه الجذاب وسهولته المغرية وتبويبه الأخاذ، حيث أضاف إلى المكتبة العربية كنزا ثمينا لما احتواه من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام بقالب شعري منفرد.



نشر الخطيب العديد من المقالات في صحيفة صوت الحجاز

تائية الخطيب

ومن "تائية الخطيب" التي نظمها في مدح المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وسميت "تائية" جريا على العرف الأدبي عند العرب في تسمية القصائد بحروف قوافيها ونستعرض هنا بعض مما ورد فيها حيث يقول عن أسمائه عليه الصلاة والسلام:

إن رُمْت تعلم من عَنيت فإنه
هُو أحْمد المَكْتوب في التَّوْراة ومُحَمَّد من نَص الإِنْجِيْل
عنه بأنّه سيجيء بالخَيْرات

وقال في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفضله:
من جاء للدنيا ليهدي الناس للمولى
وينقذهم من الظلمات المصطفى من نسل ادم كلهم
والمجتبى من صفوة الصفوات الله أكرمه وأعلى ذكره
وحباه من العلم والحكمات

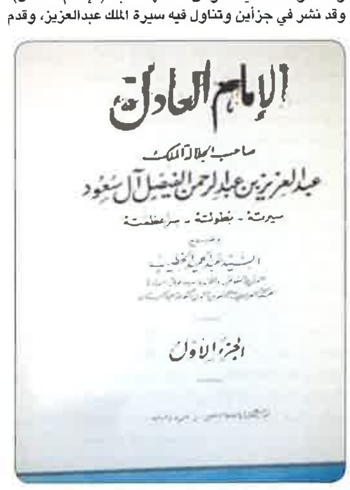
وقال في حضانته ورعايته :
ولقد تلقى رأسه يوم الولادة
أم أيمن أفضل الداياتوهي التي حضنته أول أمره
وحنت عليه بوافر الشفقاتمن بعدها الأم الحنونة بنت وهب
من به نرجو الجناتوثويبة وحليمة وكذلك الشيماء
من أخته بالرضعات

وفي وصفه عليه الصلاة والسلام:
ولقد حوى معنى الجمال بشكله
حتى غدا هو أوسم الطلعات إذ كان مربوع القوام وراسه
ضخم وكان مرجل الشعرات هو أسود شعراً ومبسوط الجبين
وواسع العينين في دعجات ذو حاجبين منونين على اتصال
سابغين يشابها الهالات من بينها عرق يلوح بحال غضبته
فتعرفه من السيمات وإذا يسر بساعة عرفت أسارير
السرور عليه في الجبهات عيناه واسعتان دعج في بياضهما
ترى شيئا من الحمرات وعليهما الأهداب حالكة السواد
طويلة تستلفت النظرات والأنف منه قد استوى في دقة
أسنانه بيضاء مع فلجات.

كما تضمنته تائيته طبائع وعادات النبي عليه الصلاة والسلام وكلامه وضحكه وبكاؤه، وجده ومزاحه، وطعامه وشرابه ولباسه، وصفة ركوبه واولاده ونساؤه، وثقافة ومكانته العلمية وبعثته وفتوحاته وغزواته ومبادءه السياسية، وكل ما يتعلق برسالته وشخصيته عليه الصلاة والسلام، وأشاد الكثير من كبار العلماء بمؤلف السيد عبدالحميد الخطيب، ومنهم سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل شيخ رئيس القضاة بالمملكة، والعلامة الشيخ محمد عبد اللطيف آل الشيخ من كبار علماء نجد، وكذلك الشيخ عبد الظاهر أبو السمح مدير مدرسة دار الحديث بمكة وإمام المسجد الحرام، إضافة إلى الشيخ إبراهيم فطاني المدرس بالمسجد الحرام، ومدارس الحكومة.. وغيرهم العديد من أهل العلم، إضافة إلى مؤلفاته الأخرى منها تفسير الخطيب المكي يظهر فيه المعنى اللغوي، والشرح لكتاب الله عز وجل واستنباط احكامه، وتوفي رحمه الله قبل أن يكمل تفسيره للقرآن كاملا، إضافة لمؤلفه أسمى الرسالات وهو عبارة عن عدد من الرسائل لنصرة الإسلام ومبادئ وقيم الدين الحنيف، ومجموعته (مستقبلك بين يديك) جاءت بثلاثة كتب بمسميات (متى وثقت بقدرتك) و(متى عرفت ربك) و(متى فهمت حقيقة نفسك) وهي سلسلة تعني بالتحفيز وشحذ الهمم والثقة بالنفس والقدرة على العطاء والإسهام في بناء مستقبل واعد، وغيرها من المؤلفات الأخرى، كما كان لعبدالحميد الخطيب العديد من المقالات في الصحف السعودية كصحيفة «أم القرى» - «صوت الحجاز» - «المدينة المنورة» - مجلة «المنهل».

وفاته

نصح الأطباء الشاعر والأديب والدبلوماسي عبدالحميد بن أحمد الخطيب بترك الأعمال الإدارية والميدانية والخلود إلى الراحة نظير ما يعانيه من أمراض بالقلب وفعلاً استجاب لنصيحتهم بيد أنه لم ينقطع عن التأليف والكتابة وقرض الشعر حيث عشقه ورسالته التي يؤمن بأدائها، وهناك في العاصمة السورية دمشق وبالتحديد في يوم الثلاثاء الموافق 1381/3/18هـ، توفي الخطيب عن عمر يناهز الخامسة والستين من العمر رحمه الله رحمة واسعة.



كتاب الخطيب الشهير في الملك عبدالعزيز بعنوان (الإمام العادل)



إحدى مؤلفات الخطيب في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم



عمل الخطيب وزيراً مفوضاً لدى باكستان



ولد الخطيب في مكة عام ١٣١٦هـ وعمل مدرساً بالمسجد الحرام

إبراهيم المكي.. موسوعة العلم والقضاء

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

يعد الشيخ إبراهيم بن يوسف خان بن غلاب الحنفي المكي –رحمه الله– في طليعة من حصلوا على الدكتوراة بالمملكة، إن لم يكن في مقدمتهم، وأشهر علماء عصره الذين تميزوا وتفردوا بالجمع بين العلوم المختلفة، فقد برع وألم –رحمه الله– بعد حفظه للقرآن الكريم، بعلم القرآت السبع، والتفسير، ثم الحفظ للحديث متنا وسندا لأكثر من عشرة آلاف حديث، وعلم مصطلح الحديث وعلومه، وعلم التوحيد وعلم الفقه وأصوله، وعلم النحو والصرف وغيرها من العلوم الأخرى وسافر إلى مصر لمواصلة دراسته بالجامع الأزهر، وهناك حاز ثلاث شهادات عليا، ومنحه فاروق مصر البراءة الملكية، وأعطى له الحق في سلك القضاء بمصر، والسماح لسماحته بالتدريس بالجامع الأزهر، لمؤهلاته الرفيعة.

وتولى الشيخ إبراهيم العديد من الوظائف والمناصب القضائية، والتدريس بالمسجد الحرام، هذا بالإضافة إلى مشاركاته في ندوات رابطة العالم الإسلامي، ودروسه ومواعظه المستمر للناس، ولذا تتلمذ عليه الكثير من طلبة العلم ممن أصبح لهم شأن ومكانة علمية، وله رحمه الله العديد من المؤلفات والحواشي والفتاوي، وتفسير القرآن الكريم، وشرح أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وللموضوعية والشفافية نستعرض ما ورد من اختلاف وتبادل النقاش البناء بين الكتاب والمؤرخين حول أول من تخرج من البعثات العلمية ونال شهادات عالية، ونشير إلى الوثائق التي تؤكد ريادته –رحمه الله– في الحصول على ثلاث شهادات عليا، ومنها ما جاء في المؤرخات المصرية بأن له السبق في الحصول على الشهادة العالية لكلية الشريعة / الماجستير، وكذلك شهادة البراءة الملكية (الدكتوراه في القضاء الشرعي) آنذاك من الجامع الأزهر.

قضى حياته بين حلق العلم ومنابر الجامعات ودواوين القضاء ونال شهادة عالمية من الأزهر

ولد الشيخ إبراهيم بن يوسف خان بن غلاب الحنفي المكي رحمه الله عام 1324هـ بمكة المكرمة، ونشأ في كنف والده نشأة صالحة في بيئة علمية، فوالده وجده رحمهم الله من طلاب العلم وحفظة كتاب الله، إضافة إلى ذلك فقد كانت أسرته من تجار مكة المكرمة، وألحقه والده في سن مبكرة بحلقات تحفيظ القرآن الكريم بالمسجد الحرام، وحفظ الذكر الحكيم، وقام بدراسات القراءات السبع، والتحق بالمدرسة الصولتية، وتابع دراسته لحين حصوله على الشهادة الابتدائية والثانوية، ونال حظا وفيرا من العلم على أيدي علماء المسجد الحرام، وحاز الإجازة منهم، ومن ضمنهم الشيخ عبيد الله السندي، والشيخ عبدالستار الدهلوي والشيخ حسين عرب وغيرهم، وقد تولى الشيخ إبراهيم التدريس عام 1345هـ ثم سرعان ما رحل إلى مصر عام 1347هـ، حيث التحق هناك بالجامع الأزهر، وحصل خلال فترة دراسته بالأزهر على ثلاثة شهادات عليا، الأولى هي الشهادة الجامعية من كلية الشريعة، وذلك عام 1352هـ، وفي عام 1362هـ حصل على شهادة الماجستير، ثم حصل على الدكتوراه في عام 1366هـ وكان قد تلقى علمه في الأزهر على يد عدد من المشايخ منهم الشيخ محمد بن بخيت المطيعي، والشيخ محمود شلتوت وغيرهم، وأتقن رحمه الله دراسة علوم (الفقه، أصول الفقه، التفسير، الحديث، مصطلح الحديث، التوحيد، النحو، الصرف، المعانى، البيان، البديع، المنطق) ووثقت هذه العلوم فى شهادته العالمية، كما قام –رحمه الله– بالتدريس في المسجد النبوي، وكذلك بداره بمسيال الهرساني، القريبة من الحرم المكي الشريف، وقد تخرج على يده العديد من العلماء وطلبة العلم الذين كان لهم يد مباركة في مرحلة البناء والتأسيس التي شهدتها بلادنا في القرن الهجري المنصرم، وحول رحلته لمصر لطلب العلم والعودة للتدريس في مكة المكرمة، يذكر عمر عبد الجبار أن الشيخ إبراهيم خان لم يكن سفره إلى مصر طلبا للنزهة والاستجمام بل لنيل العلم والمعرفة والتزود منهما، مؤكدا أن الحكومة السعودية لما بلغها كفايته طلبته فتم تعيينه نائبا بالمحكمة الكبرى بمكة، ثم بمحكمة الطائف، ثم رئيسا للمحكمة المستعجلة بالطائف، ثم استقال وعاد للتدريس بالمسجد الحرام صباحا ومساء، وعرج عبدالجبار بالحديث على طريقة الشيخ وتدريسه لطلابه وقائلا (.. وطريقة درسه سهلة الأسلوب يستفيد منها طلاب العلم ولا يستغنى عنها العامة إلى جانب ذلك عرف بنقاء نفسه وطيب سريرته) كما قام الشيخ بعدد من الزيارات إلى العراق ومصر وتركيا والشام وفلسطين، بغرض الدعوة وجمع الكتب العلمية والتزود من العلم الشرعي بمختلف فروعه وتخصصاته.

مسيرته العملية

تولى الشيخ إبراهيم - رحمه الله - العديد من المهام والوظائف، حيث أمضى عمره في خدمة عقيدته ثم وطنه، ومن هذه على سبيل المثال لا الحصر، التحاقه بالتدريس في المسجد الحرام والمدرسة الصولتية، وتوليه مهام التدريس بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وكذلك في جامع عبدالله بن العباس رضي الله عنهما بمدينة الطائف، وعين في عام 1367هـ مساعدا لرئيس المحكمة الشرعية الكبرى بالطائف، ونائبا لرئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة عام 1368هـ ورئيسا للمحكمة المستعجلة بالطائف آخر عام 1369هـ، وتولى القضاء في عدد من المناطق حيث عين قاضيا ببلاد غامد وزهران خلال الفترة(1387هـ - 1380هـ) وقاضيا بمنطقة السيل الكبير من 1380هـ إلى 1386هـ وكذلك قاضيا بمحكمة أيه وستارة بطريق المدينة المنورة من 1387هـ إلى 1390هـ كما كان له مشاركات وبرنامج إذاعية، بإذاعة جدة منها برنامجه الأسبوعي (خير الكلام) من إعداده وإلقائه خلال الأعوام من (1389هـ – 1403هـ) إضافة إلى مشاركاته في ندوات رابطة العالم الإسلامي وإلقاءه للدروس والمواعظ لاسيما بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، حين تكتظ حلقته بالحضور حيث عرف بغزارة علمه وبلاغة مواعظه التي هي أشبه بمواعظ ابن الجوزي في القرن السادس الهجري ونظرا لسعة اطلاعه وتبحره في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه المقارن، فقد زاد عدد طلابه كما زادت مناشطه ومهامه القضائية والتعليمية رحمه الله.

الشهادة العالمية

حصل الشيخ إبراهيم في مسيرته العلمية على درجات متقدمة، فعلى الرغم من دراساته وتخصصاته المتنوعة والمتعددة، لاسيما في العلوم الشرعية، إلا أنه –رحمه الله– رغب طيلة العقود الأولى من عمره بالتفرغ لطلب العلم ولم يستعجل في التفرغ للتدريس أو القضاء إلا حين بلغ ما يوازي في زمننا هذا درجة الدكتوراه استنادا، وتفيد المراجع التي ترجمت للشيخ أنه حصل على الإجازة العلمية الأخيرة حين كان بمصر حيث رفع عدد من علماء الأزهر إجازته التي أقرها المجلس الأعلى في 6 المحرم سنة 1367هـ الموافق 19 نوفمبر سنة 1947م، والتي تفيد بنجاح الشيخ إبراهيم خان في امتحان شهادة العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعي الذي أجري في سنة 1366 هجرية، ولذا فقد أمر له الملك فاروق بإصدار البراءة الملكية من الديوان، والتي بموجبها منح الشيخ إبراهيم هذه الشهادة العلمية مع حقوقها التي تخوله إياها القوانين والأوامر المتبعة، وقد حررت هذه الشهادة أمر الملك فاروق بقصر "سراي" القبة الملكية بالقاهرة،



إبراهيم المكي –رحمه الله–

في الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ألف وثلاث مئة وسبع وستين من الهجرة، وتضمن الأمر الملكي السماح لسماحة الشيخ إبراهيم خان بالتدريس بالجامع الأزهر، وأعطى له الحق في سلك القضاء بمصر.

مؤلفاته

للشيخ إبراهيم –رحمه الله– العديد من المؤلفات والكتب العلمية والحواشي، والفتاوى الشرعية، وشرح أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، التي أضفت وأضافت لمكتبة العلوم الشرعية، واستفاد منها الكثير من الأساتذة والعلماء وطلبة العلم، لاسيما وأن هذه المؤلفات جاءت متنوعة في علومها وفروعها بل أن الشيخ –رحمه الله– كتب في علوم العربية والأدب والنحو ولعل أبرز من هذه المؤلفات: التنوير في تفسير القرآن الكريم، وحاشية شرح هدى الأبرار على طلعة الأنوار، ورياض الجنان في شرح البستان، والفتاوى الشرعية، وآداب البحث والمناظرة، والمفيد في شرح عوامل النحو.. وغيرها العديد من الكتب والشروح والفوائد، والمؤلفات القيمة.

أول من حصل على الدكتوراه في المملكة

ويتساءل المؤرخ محمد بن عبد الرزاق القشعمي في مقاله الذي نشر بجريدة عكاظ في الثاني من شهر ربيع الأول لعام 1430 هـ، بعنوان(من نال أول شهادة دكتوراه في بلادنا) عن أول من حاز على شهادة الدكتوراه، وأشار إلى النقاش الذي دار بينه وبين الكاتب زهير كتبي، حول البعثات الأولى، حيث توالت الردود والنقاش بين الطريفين، ونشرت جريدة المدينة هذه الردود في شهر جمادى الاولى، وشهر رجب من عام 1429هـ وتساءل القشعمي كيف لنا معرفة أول من حصل على مثل هذه الدرجة العلمية من أبناء هذه البلاد؛ سواء ممن خرجته جامعة الملك سعود في الرياض؛ بصفتها أول جامعة سعودية أنشئت عام 1377هـ 1957م وقبل افتتاح الجامعة كان هناك الكثير من البعثات للطلبة السعوديين في الخارج، وأكد الاختلاف حول رائد إجازة الدكتوراه في السعودية، وذكر منهم د. عبدالعزيز الخويطر – رحمه الله – الذي حصل عليها



تخرج على يدي المكي العديد من طلبة العلم

من بريطانيا في عام 1380هـ 1960م، ويستند القشعمي بذلك إلى ما ذكره عبدالكريم الجهيمان في جريدة القصيم بعددها رقم (55) الصادر بتاريخ 9 رجب 1380هـ، أن أول شاب يحمل الدكتوراه من هذه البلاد هو عبدالعزيز الخويطر، إلا أن الجهيمان تراجع عن هذه المعلومة في العدد (58) الصادر في 30 رجب من الصحيفة نفسها، بعد أن عقب الشيخ فهد العريفي –رحمه الله– بأن أول سعودي نال شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، هو محمد الرشيد الناصر، وذلك في عام 1356هـ، مستندا إلى ما نشرته جريدة (صوت الحجاز) في عددها (528) الصادر في 2 ذي القعدة 1359هـ، وجاء فيها أن جريدة الأهرام نشرت أن السيد محمد الرشيد نجل رشيد باشا قنصل المملكة العام في دمشق، قد اجتاز امتحان الدكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية بنجاح باهر في جامعة لوزان، وهو أول سعودي حصل على هذه الشهادة العليا في العلوم السياسية، ورسالته التي تقدم بها (تاريخ العرب الدبلوماسي) وزاد الاختلاف حول أول من حصل الشهادة العلمية (الدكتوراه) فنجد جريدة (صوت الحجاز) تنشر في عددها (17) الصادر في 27 ربيع الأول 1351هـ، ما يشير إلى أن الأديب السيد محمد شطا قد حاز شهادة الدكتوراه في التربية والآداب، مشيدة بمسيرته العلمية وهو ابن أخ السيد صالح شطا معاون وزير الداخلية، وقد كان أحد متخرجي مدرسة الفلاح بمكة، واشتغل بالتعليم زمنا ثم سافر إلى مصر لتكميل علومه وألحق بالبعثة الملكية الحجازية، وحاز شهادة القضاء الشرعي وبلغ الاختلاف ذروته، ما عقب عليه الكاتب زهير كتبي ردا على القشعمي، فذكر أن أول من حصل على أعلى الشهادات العلمية، هو الشيخ العلامة إبراهيم يوسف خان، مبينا أن سماحته أحد كبار أئمة علماء العالم الإسلامي، حيث كان عالما موسوعيا، وهو أول من حصل على أعلى شهادات علمية من جامع الأزهر أن ذاك، ومما هو موثق في كتاب (وحي البعثات السعودية) للحريري عن الطلبة الذين تخرجوا من مدرسة تحضير البعثات، وذكرت أن (جميع الخريجين من المبتعثين لم ينل أي أحد منهم الشهادة العالية لكلية الشريعة/ الماجستير، وكذلك لم ينل أحد منهم شهادة البراءة الملكية (الدكتوراه في القضاء الشرعي) آنذاك من الجامع الأزهر، سوى الشيخ إبراهيم خان وذكر الكتبي أن الشيخ إبراهيم خان احتكر الصدارة لشهادة الدكتوراه في العلوم الشرعية لأكثر من ثلاثين عاما، وموضحا بأن جامعة الملك سعود في الرياض بصفتها أول جامعة سعودية أنشئت عام (1377هـ/ 1957م) وكذلك كلية الشريعة بمكة المكرمة التي أسست عام (1377هـ / 1957هـ) لم تمنحا شهادة الدكتوراه حتى عام 1396هـ)، وأن الشيخ إبراهيم نال أعلى شهادة علمية، قبل تأسيس وزارة المعارف بسبعة أعوام، وقبل تأسيس الجامعات السعودية بأكثر من أحد عشر عاما ولا يوجد في بحوث السير والتراجم والأعلام من حصل على شهادات علمية مماثلة، كالتي حصل عليها الشيخ إبراهيم خان لنحو ثلاثون عاما ولم تكن تلك العلوم مجتمعة سوى في شخصه رحمه الله، فقد حاز وحظي بـ(حفظ للقرآن الكريم، وعالم بالقرآت السبع، والتفسير، ثم الحفظ للحديث متنا وسندا لأكثر من عشرة الاف حديث، وعلم مصطلح الحديث وعلومه، وعلم التوحيد وعلم الفقه وأصوله، وعلم النحو والصرف وعلم المعانى وعلم البيان وعلم البديع وعلم المنطق وعلم الطب الشرعي، وعلم الفلك وفنون الخط العربي)، وقد ألم رحمه الله بهذه العلوم مجتمعة، إضافة لشهادة أكثر من أربعين عالما فاضلا ممن تتلمذوا عليه، ومشيدين به كعالم موسوعي لكثرة العلوم التي برع بها، يأتي في مقدمتها تتويجه بشهادة البراءة الملكية (الدكتوراه) ومنحه مقام جلالة ملك مصر الحق في سلك القضاء وحق التدريس بالجامع الأزهر، إضافة لشهادة أعضاء هيئة كبار العلماء بمصر، ومشايخ الجامع الأزهر ويذكر معاصروه أن إبراهيم يوسف خان كان له شرف السبق بحصوله على أول شهادة جامعية في العلوم الشرعية على مستوى المملكة العربية السعودية، من الجامع الأزهر بكلية الشريعة وأول طالب سعودي يحصل على الشهادة العالية لكلية الشريعة من الجامع الأزهر، وأول طالب سعودي يحصل على شهادة البراءة الملكية الدكتوراه من مصر، وكان من أوائل من قام بالتدريس في حلقات المسجد الحرام فتخرج على يده الكثير من العلماء الأفاضل الذين تولوا مناصب مهمة في المملكة.

وفاته

على مشارف الثمانين من عمره توفي الشيخ إبراهيم بن يوسف الحنفي المكي بعد عمر قضاه في طلب العلم والتدريس والقضاء ففي يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من عام 1405هـ توفي الشيخ إبراهيم ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة، وقد تأثر بوفاته العلماء وطلبة العلم لاسيما زملاءه وطلابه الذين رثوه في أعمدة الصحف والمجلات وكتبوا عن سيرته وحياته مع العلم وحلقات التدريس والقضاء والذين كان من بينهم صديقه ورفيق دربه الشيخ عبدالله بن عبدالغني الخياط إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء الذي كتب عنه مقالا تحت عنوان "شخصيات لها أثر في نفسي" قال فيه: ولقد تركت وفاته في نفسي أثرا يصور الحزن في أوضح صوره، فالعين تدمع والقلب يحزن، لم تكن صلتي بفضيلته عابرة بل كانت طويلة مديدة، منذ عهد الدراسة في المدرسة الفخرية عندما كنا نحفظ القرآن الكريم.. إلى أن قال: فبكيته بدموع حزن لم يكفكفها إلا الصبر والرغبة، فيما أعده الله للصابرين من حسن الجزاء للمحتسبين.. هكذا كانت حياة ومسيرة الشيخ الدكتور إبراهيم بن يوسف المكي التي قضاها بين حلق العلم ومنابر الجامعات ودواوين القضاء رحمه الله رحمة واسعة.



تولى المكي التدريس بالمسجد الحرام



حصل المكي على البراءة الملكية من مصر وشهادة الإجازة في القضاء الشرعي



زار المكي عدداً من الدول العربية للدعوة وطلب العلم وجمع الكتب العلمية

الطيار سامي حسنين.. مساعد قائد «رحلة الموت»

ظلت الذاكرة الوطنية حُبلى بأسماء وألقاب عدد من أبناء هذا الوطن الذين غابت سيرهم وأعمالهم وإنجازاتهم عن أقلام الكتاب وعدسات التلفاز والمصورين، فمن بين الطبيب والمحامي والمعلم والقاضي والطيار والمهندس كان ثمة إنجازات ومآثر وبطولات، سجلها التاريخ لأولئك الرواد الذين اختلطت دماءهم بدموع أبنائهم، وحفظ لهم الزمان والمكان ما غاب عن إعلامنا وأقلامنا، والذين كان من بينهم -ولم يكن آخرهم- القائد الطيار الشاب سامي بن عبدالله حسنين الذي عشق وظيفته منذ نعومة أظفاره، وعمل جاهداً لتحقيق أحلامه وأمانيه في خدمة أهله وبلده ومجتمعه، والتي ما أن تحققت له، إلا وقدر الله وفاته في ميدان عمله، ووسط حلمه وأمله، حيث حادثة طائرة ال«ترايستار» التي مازالت تتراء أمام الذاكرة الاجتماعية، والتي احتفظت باسم القائد الطيار محمد بن علي الخويطر ومساعده سامي بن عبدالله حسنين في لوحة شرف الوطن والمواطن، التي استقبلت -في وفاتهم- قيادة بلادنا برقيات العزاء والمواساة من كافة أقطار العالم.

لم يأت التحاق سامي حسنين ببرنامج الخطوط الجوية العربية السعودية لتدريب الطيارين، مصادفة بل كانت رغبة جامحة في نفسه إذ كان يهوى الطيران منذ أن كان طفلاً وله مواقف وطرائف مع هوايته التي لم تفارقه حتى آخر ساعة من حياته، وبعد أن أنهى المرحلة الثانوية سافر لأميركا لدراسة الطيران، بعد أن التحق بمعهد علوم الطيران، ثم عاد لوطنه، بينما ظل حبه وعشقه لمهنته حتى وفاته.

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

عشق الطيران منذ صغره. وفي رحلة الخطوط السعودية «كراتشي - الرياض - جدة» كتب السطر الأخير لعشقه

دراسة الطيران

ولد القائد الطيار سامي بن عبدالله حسنين قرابة عام 1372هـ ودرس المرحلة الابتدائية والمتوسطة في مدينة جدة، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية التحق ببرنامج الخطوط الجوية العربية السعودية لتدريب الطيارين، ولم يأتي هذا الالتحاق مصادفة بل كانت رغبة جامحة في نفس ذلك الشاب الذي كان يهوى الطيران منذ أن كان طفلاً ، وله مواقف وطرائف مع هوايته التي لم تفارقه حتى أخر ساعة من حياته، وبعد أن أنهى دراسة المرحلة الثانوية سارع في السفر إلى أميركا لدراسة الطيران، بعد أن التحق بمعهد علوم الطيران واستمرّ في دراسته قرابة سبعة أشهر، ثم ما لبث أن عاد إلى المملكة هو وبعض زملائه في الدفعة بسبب عدم التواصل إلى تفاهم مشترك مع المعهد هناك، وبعودته إلى أرض المملكة التحق سامي مع شقيقه حامد في ميدان التجارة، ويذكر أنهما أثناء تجوالهما في إحدى الدول لإتمام بعض عمليات الاستيراد كان سامي يقوم باستئجار طائرات التدريب ليمارس هوايته المفضلة فيبدأ بالتحليق والطيران محققاً أمنيته التي طالما كان يحلم بها، ويذكر أنه وهو في السادسة عشر من عمره كان يعرب عن عشقه لهذه الهواية ويتحدث عنها كثيرًا، وفي إحدى المرات حصل على قبعة طيار ملقاة في الطريق، فقام بغسلها وذهب إلى محل التصوير ليأخذ صورة تذكارية، ظلت هذه الصورة دليلاً وشاهداً على حب وعشق سامي لمهنته حتى أنها كانت بعد وفاته عنواناً بارزاً لعدد من الصحف والمجلات السعودية والعالمية.



قصاصة لإحدى التغطيات الصحفية للحادثة



الأمير سطام رحمه الله مع البليهد في مقبرة العود حيث تم دفن ضحايا رحلة ١٦٣

الأمنية والمنية

ظلت الأماني تتراقص أمام عيني الشاب سامي وذات يوم وهو عائد من إحدى رحلاته بصحبة شقيقه حامد تذكر كيف أن قطار الوظيفة التي لطالما حلم بها قد تجاوزه، وهو حينها مازال ينتظر طلب الخطوط السعودية عودته هو وبعض زملائه الذين عادوا من الولايات المتحدة، وأثناء الطريق شجعه شقيقه حامد على العودة لدراسة الطيران ولو على حسابهما الخاص وكان يقول له: انظر إلى زملائك من الملاحين والطيارين السعوديين، *ألم يكن من الأفضل أن تكون معهم؟- كان حامد بمثابة الأب لأشقائه الذين يتوسطهم الشاب سامي، ولأن الطيران كان هو الطموح الذي لطالما حلم به سامي فقد وافق على اقتراح شقيقه حامد وسارع الاثنان في السعي لتأمين مصاريف الدراسة والسفر، وبينما كان العمل دؤوباً لعودة سامي لدراسة علوم الطيران وتأمين مصاريف الرحلة، وردهم خطابٌ من الخطوط الجوية العربية السعودية، يطلب من سامي العودة لإكمال دراسته مع جميع زملائه الذين عادوا من نفس الدورة، ولك حينها أن تتخيل فرحة سامي وعائلته بهذا الخبر لاسيما أنه لم يبقَ على إتمام دراسته أكثر من 16 ساعة ليصبح مساعد طيار.



تقرير صحفي عن الفقيد بعد حادثة الترايستار الشهيرة



الفرق الميدانية تؤدي مهامها بعد انتشال جثث الضحايا

الترايستار

عاد الطيار سامي في أواخر التسعينات الهجرية «السبعينات الميلادية» إلى الولايات المتحدة وأكمل دراسته هناك ثم ما لبث -رحمه الله- أن عاد في عام 1400هـ، وقد حصل على رتبة مساعد طيار، بدأ سامي عمله على طائرة (737) ثم انتُدب إلى بريطانيا للتدريب على طائرة الـ« ترايستار» أميركية الصنع، والتي كانت تعيش آنذاك أوج انتشارها، وقد اشترت الخطوط السعودية آنذاك أكثر من عشر طائرات من هذا النوع ذو الثلاثة محركات النفاثة والتي مازال الطيارون القدماء في زمننا هذا يتباهون لكونهم من ذلك الجيل الذي أدرك التحول من قيادة الطائرات المروحية إلى الطيارات ذات المحرك النفاث وكذا التحول الذي فرضته أنظمة ومنظمات الطيران العالمية بضرورة التحول إلى ثلاثة محركات بدلاً من محركين وكل هذا كان في الستينات الميلادية التي شهدت أواخرها ولادة طائرة الـ«ترايستار» المصنعة من شركة «لوكهيد» الأميركية.

مساعد طيار

في اليوم الخامس من شهر شوال عام 1400هـ أصبح سامي بن عبدالله حسنين مساعد طيار على طائرات «ترايستار» بعد أن أنهى تدريباته في الخارج والداخل، وكان من المزمع أن يصبح بعد بضعة أشهر قائدًا لـ«ترايستار»؛ لذلك كان حريصًا على أن ينهي عدد ساعات الطيران المطلوبة منه، وكان بعض محبيه وأقاربه يتذمرون من مشقة عمله وخطورته، لاسيما وأنه لا يكاد يجد وقتاً ينهي فيه التزاماته الأسرية والعائلية أو حتى يلتقي ببعض أصحابه وزملائه، ولذا كان يرد عليهم إن هم حاولوا صرفه عن الانخراط بوظيفته التي طالما حلم بها أو طالبوه بالعودة لممارسة التجارة والأعمال الحرة بقوله: إن التجارة خدمةً خاصة، لا أستطيع من خلالها خدمة الآخرين، وكم تمنيت - منذ صغري - أن يكون عملي في مرفقٍ عامٍ؛ حتى تكون خدمتي عامة.

أسرته

لم تكن الغربة ودراسة الطيران والعمل في التجارة ثم العودة لدراسة الطيران لتمنع الشاب سامي من الحرص على الزواج في مقتبل العمر، حيث سعى لأن يحسم أمر زواجه أثناء دراسته للطيران وهو ما ساعده في ترتيب أولوياته، وكانت زوجته سنداً ومساعداً له في أداء عمله والتركيز على دراسته لا سيما وأن وظيفة الطيار تحتاج إلى عمل دؤوب وتدريب مستمر وتنقل بين بلدان العالم، وهكذا كانت حياة الشاب سامي حديث التخرج إذ كانت زوجته «أم خالد» ترافقه في بعض رحلاته، وتسهر لسهره وتعمل على راحته ونجاحه، وكانت رغم تخوفها من طبيعة عمله تحاول قدر استطاعتها التأقلم مع وضعه في الحل والترحال وتطمئن نفسها -إن هي أرادت أو لم ترد- بأن السفر في الجو ربما هو أقل خطورة من السفر في البر وكان -رحمه الله- يشعر بتخوفها ويطمئنها بقوله: « مادمنا نعمل تحت شعار عبارة التوحيد فلا تخافي ياعزيزتي»، وفعلاً كانت قمرة القيادة في طائرات الترايستار السعودية تقبع تحت العلم السعودي الذي يزدان بعبارة التوحيد.

وكان عمر سامي حين توفي ثمان وعشرون عاماً، وكان قد تزوج قبل وفاته بأربع سنوات، ولديه من الأبناء خالد وخلود التي أكملت في يوم وفاته عامها الأول، وكان حين عودته من الرحلة التي توفي فيها بصدد الاحتفال بيوم ميلادها، حيث أخبر زوجته أنه سيحضر هدايا لها من مدينة كراتشي المحطة الأخيرة التي كان من المزمع أن تعود إلى جدة مروراً بالرياض، ويذكر أشقاؤه أن عيد الفطر الذي سبق وفاته بثمانية أيام كان أول عيد يقضيه مع أسرته، وقد طلبت منه زوجتهُ أن ينهي معهم أيام العيد الأربعة، وأن يستريح من الطيران قليلًا، لكنه أصرّ على أن يلازم عمله، وقال لها: «إن السعادة هي أن يقضي مئات الناس أعيادهم مع أهاليهم نتيجة أداء واجبي في هذا الوقت بالذات»، فسافر إلى القاهرة ثم كانت رحلته الأخيرة إلى كراتشي ولم يعد منها.

رحلة كراتشي

لم تكن الرحلة المتجهة من جدة إلى كراتشي هي رحلته، ويقول شقيقه حامد: لم يكن اسمه مسجلاً ضمن طاقم رحلة كراتشي، لكن وافق تواجده في المطار -بمعية ابنه خالد للسؤال عن بريده- تغيّب مساعد قائد الرحلة المتجهة إلى باكستان، هناك تفاهم مع المسؤولين في المطار وأبدى استعداده للقيام بهذه الرحلة التي وافق سامي -رحمه الله- أن يتسلمها تقديراً منه لظروف زميله، هنا استأذن زملاءه في مطار جدة ليعود إلى منزله ويستبدل ملابسه ويعيد ابنه ذي الثلاثة أعوام وحين استغرب أهله خروجه رغم أن اسمه لم يكن ضمن جدول الرحلات في ذلك اليوم قال: لكن عملنا أبو المفاجآت، ومن مطار جدة الدولي القديم استلم سامي رحلته الأخيرة كمساعد للقائد محمد بن علي الخويطر رحمهما الله.

ويوصف سامي بأنه كان شاباً مرحاً ومحبوباً بين أهله وزملائه بالعمل وكان -رحمه الله- مرحًا وصاحب نكتة وذكاء، ويصفه شقيقه حامد أنه كان عنيداً في سبيل تحقيق أمانيه وكان متميزًا في دراسته، لكن طموحه المبكر أن يصبح طيارًا غلب على جميع الخيارات المتاحة أمامه، ولذا كان حديثه الدائم منذ مراحل حياته الأولى عن أنواع الطائرات وسرعتها وخصائصها.

ويضيف شقيقه حامد قائلاً: كنا نشعر أنه كانا مهووساً في عالم الطيران وكنت ألمس في عينيه كل السعادة وهو يغادر المنزل أو يعود، ولكننا كنّا وإخوته الآخرين نشعر بالاعتزاز بمطامحه ونفخر به، ونحسّ بانه أنموذجٌ صادقٌ في حبّه لعمله وتفانيه في خدمة بلده، وكان -رحمه الله- على درجة نغبطه عليها بالتزامه بأمور الدين، حتى أن أصدقاءه في المركز الإسلامي بالولايات المتحدة الأميركية كانوا يعرفون توجهاته والتزامه وحرصه على أداء واجباته الدينية، ولذا كان قريباً من الجميع، لاسيما زملاءه الطيارين عبدالإله غلام، وطارق يوسف عابد، وعصمت عمر زهران، وهم في نفس الوقت زملاءه في الدراسة والعمل والحياة.

وفاته

في يوم الثلاثاء الثامن من شهر شوال عام 1400هـ عادت رحلة الخطوط الجوية العربية السعودية من مطار جناح بمدينة كراتشي الباكستانية، لتهبط في مطار الرياض الدولي «القديم» قرابة الساعة السابعة مساءً وبعد ساعتين تواصل رحلة السعودية رقم (163) طريقها نحو محطتها الأخيرة حيث مطار جدة الدولي، لكنها سرعان ما عادت أدراجها صوب مطار الرياض وسط أنباء مرعبة مفادها أن ناراً اشتعلت في مخزن الأمتعة لتهبط الطائرة في مطار الرياض وتحترق في الجهة الشمالية الشرقية من المطار بعد أن توفي جميع ركابها إثر إمتلاء مقصورة الركاب بالغازات السامة مع توقف الطائرة التي بذلت قيادتها أروع صور التفاني والإيثار لإنقاذ الركاب وسط اجتهادات لم يحالفها التوفيق لتسجل الذاكرة الوطنية والمجتمعية اسم الشاب سامي حسنين مع زميله القائد محمد الخويطر، في سجل الشرف المهني والريادي كرائدين من رواد الطيران المدني في بلادنا رحمهما الله رحمة واسعة.



الطائرة المنكوبة عام ١٤٠٠ على أرض المطار وقد قضت النيران عليها



الحادثة كانت من أكبر الكوارث في تاريخ الطيران

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

محمد القاضي.. شاعر نجد

شارع نجد الكبير ومجدد شعر النبط ظاهرة فريدة في ساحة الأدب الشعبي ذلك هو شاعر الغزل العفيف وشاعر الحكمة والأمثال السائرة محمد بن عبدالله القاضي الذي ولد في مدينة عنيزة عام 1222هـ وقيل بعدها بعامين، وكان من أغزر الشعراء إنتاجا وأقواهم معنى، وصف بأنه كان أديباً بليغاً حلو الحديث جميل المنطق ينساب معه الشعر كما ينساب ماء الينبوع في جداوله، وهو إلى شعر الغزل أقرب منه إلى غيره من أغراض الشعر ماعدا شعر الحكمة والمدح، وهو في مدحه لم يكن ليرجو نوال وكرم ممدوحه بل كان يمدح عن قناعة منه ومحبة في من يمدح، كما وصف بأنه كان غنياً سخياً ندي الكف عزيزاً في قومه، له مساجلات ومناكفات شعرية مع عدد من شعراء زمانه، وهو إلى جميل القول والفعل أقرب منه إلى الهجاء والتعرض بالآخرين. بل إن ذلك ليس من شيمه، كما عرف بدقة وبلاغة الوصف كما هي قصائده في وصف المطر والإبل والقهوة، ولذا عرف بنضج شعره وجودة السبك والبناء وحسن الصياغة ووفرة المعاني والبعد عن التكلف والتزويق والتصنع في لغته وأغراضه الشعرية.

وتميز محمد القاضي بكرم الخلق، إذ لا يميل إلى التعريض في خصومه، أو يتجاوز حد الآداب العامة في غزلياته، ومدائحه رغم ندرتها كانت صادقة لا يطمح فيها إلى جاه أو مالٍ أو منصب ومكانة.

شكل ظاهرة فريدة في ساحة الأدب الشعبي في عصره.. ورسم بقصائده نهج التجديد



رسم القاضي لنفسه نهجاً مميزاً يميل للتجديد وعدم التصنع

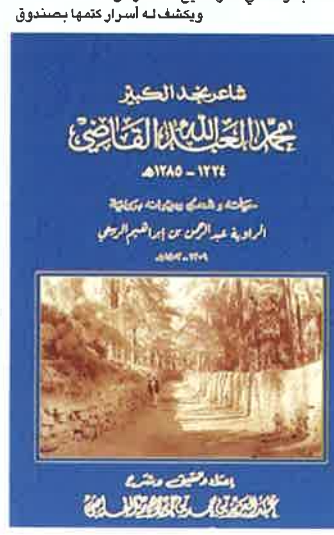
مولده وبداياته

تعلم الشاعر محمد بن عبدالله القاضي مبادئ القراءة والكتابة على يد والده، ويُذكر أنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنوات، ثم درس العلوم الدينية على عمه الشيخ عبدالرحمن بن محمد، وقد نظم الشعر وهو صغير السن، ولعل بيئته التي عاش وتربى فيها وبين أحضانها، كانت سبباً رئيسا في نبوغه المبكر حيث عرفت عائلته بطلب العلم والتنقل في داخل وخارج الجزيرة العربية، كما عرفت مدينة عنيزة بذلك على وجه العموم، ناهيك عن كثرة الشعراء حوله سواءً من الرجال أو النساء، هذا إذا علمنا أن البيئة الاجتماعية آنذاك كانت ولادة لكثير من الشعراء، لا سيما في تلك الفترة التي بزغت فيها نجوم الشعر النبطي، كالهزاني وابن لعبون وابن سبيل، ولك حين تقرأ دواوين هؤلاء الشعراء الفحول أن تجد التقارب الحسي واللفظي في تصوير المناخ الاجتماعي والمعيشي، الذي قارب بين العبارات والمفرطات والألوان والأغراض الشعرية، كما سيفاجئك التمكن والقدرة التي كان عليها معظم هؤلاء الشعراء، لاسيما وأن معظمهم كان لديه القدرة على نظم الشعر النبطي والفصيح في آن واحد، وإن كان إلقاؤهم للشعر الفصيح يطرق باللحون شعبية عامية، بل أن العديد منهم كان يقرأ ويحفظ عيون الشعر الفصيح ويلقيها كما يلقي قصيدته النبطية، ولم يكن هذا إلا دليل على قدرة هؤلاء الشعراء وغزارة علمهم بفنون الشعر. ولا أدل على ذلك إلا قصيدة الهزاني في صلاة "الاستسقاء" وقصيدة ابن لعبون "سقا صوب الحيا مزن تهامى" التي جارى فيها قصيدة ابن معصوم المدني "سقى صوب الحيا أرض الحجاز" وكذلك فعل العديد من شعراء القرن الثالث عشر الهجري في نجد، ولعل هذا يدل على توسع في طلب العلم وانتشار الكتاتيب وحلق تعليم الصغار للعلوم الشعرية واللغة العربية، وإلزام بعض الأساتذة تعليم طلابهم متون وبحور الشعر الفصيح، وحفظ ما راق لهم منه، لاسيما إذا علمنا أن بعض هؤلاء الشعراء عاشوا في كنف أبائهم العلماء، كما هو حال ابن لعبون أو محمد القاضي الذي اشتهرت عائلته ببزوغ أكثر من عالم ومؤرخ وشاعر.

مدرسة شعرية

دخل الشاعر محمد بن عبدالله القاضي العديد من المساجلات مع عدد من شعراء زمانه كأحمد بن محمد السديري ومحمد العلي العرفج وتركي بن ماضي ومع غزارة شعره وكثرة نظمه فإنك لا تجد له تكرارا في المعاني ولا يلجأ كغيره في تكرار القوافي لاسيما في القصيدة الواحدة التي يجيزها النقاد إن هي تباعدت، أو أعطت معنى مختلفا كما يظهر لك من موروث قصائده وأشعاره، فهو مدرسة شعرية وشاعر مجدد لا يميل إلى التصنع والالتزام بالمحسنات اللفظية التي غرق في بحرها من سبقه من شعراء القرون السالفة، لاسيما في الشعر الفصيح، كما أنه يتذوق شعر غيره من الشعراء ولا يجد غضاضة في أن يعبر عن إعجابه وتقديره بالجيد والمميز منه، وهو مع جلالة قدره في الشعر ترك لمعانيه ومفرداته الغزيرة وقوافيه المتجددة جرسا وإيقاعا في أذن مستمعه، ولذا فلم يكن يلزم نفسه ما لا يلزمه في بناء وسبك القصيدة، ولذا ظهرت قوافيه وقصائده صافية رائقة دونما تكلف في إيصال المعاني أو تنقل غير منسجم في الأفكار أو تقعر في اللفظ والمفردات، وهو إلى هذا اللون الشعري "البديهي" أقرب للارتجال منه إلى النظم، وهذا من محاسن شعره، وصدق تمكنه وتمرسه، ولا أدل على ذلك إلا قصيدة "القهوة" التي يروى أنه ارتجلها ارتجالا دون تحضير مسبق، فكانت أشهر وأروع قصائده -وكل قصائده كانت رائعة- والتي يقول في مطلعها:

يا مل قلب كل ما التم الأشفاق
من عام الأول به دواكيك واخفوق
يجاهد جنود في سواهيج الأطراق
ويكشف له أسرار كتمها بصندوق



وإن عن لي تذكار الأحباب واشتاق
بالي وطاف بخاطري طاري الشوق
دنيت لي من غالي البن ما لاق
بالكف صافيها من العذق منسوق
احمس ثلاث يا نديمي على ساق
ريحه على جمر الغضا يفضح السوق
أحذرك بالنيّه وبالك بالأحراق
واصحا تصير بحمسة البن مطفوق
إلى اصفر لونه ثم بشت بالأعراق
وصارت كما الياقوت يطرب لها الموق
وعطت بريح فاضح فاخر فاق
ريحه كما العنبر بالأنفاس منشوق
دقه بنجر يسمعه كل مشتاق
راعي الهوى يطرب إلى طق بخفوق
وكبه بدلة مولع كنها ساق
بنورة منصوبة تقل غرنوق
خله يفوح وراعي الكيف يشتاق
إلى طفح له جوهر صح له ذوق
وزله على وضحا بها خمسة أرناق
هيل ومسمار بالأسباب مسحوق
مع زعفران والشمطري إلى انساق
ريحه مع العنبر على الطاق مطبوق
وإلى اتفق هذا وهذا بتيفاق
صبه كفيت العوق عن كل مزهوق
بفنجال صين صافي عنه الأرماق
يطرب الكرسيه مع البال معشوق
شكله على الفنجال صبغ كما الراق
أو دم قلب وانمزع منه معلوق
راعيه كنه شارب ريق ترياق
كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق
إلى انطلق من ثعبته تقل شبراق
دنق تصور بالحمامه على الطوق

حفظ قصائده

كان الشاعر محمد القاضي على المستوى الشخصي خلوقاً كريماً وقورا عفيفا، لا يميل إلى التعريض في خصومه، أو يتجاوز حد الآداب العامة في غزلياته، وإن جنح في بعض قصائده المرتجلة فهو سرعان ما يعود إلى خطه ونهجه الذي ارتسمه لنفسه ولقصائده، على أن مدائحه رغم ندرتها كانت صادقه لا يطمح فيها إلى جاه أو مال أو منصب ومكانه، وأهل زمانه أعرف بحاله وطباعه ولا أدل على ذلكَ إلا قصيدته التي قالها في طلال العبدالله الرشيد، والتي نشرها محمد سعيد كمال في الجزء الثالث من "الأزهار النادية في أشعار البادية"، ويذكر أنه مدح طلال ورثاه حينما بلغه خبر وفاته، وهذا من نبل مشاعره وصدق شعره، لا سيما وهو يقول في قصيدته التي وصف بها تداول الأيام وتقلب الزمان:

فكرت بالدنيا وبيحت مكتوم
ما حن في ليحان صدري وحامي
فكرت ولي بأفكار الأيام مفهوم
بقلب شوى جاشه لهيب الغرامي
يخفق خفيق اسبُوق طير يبي الحوم
ويرف من جاشه رفيف الحمامي
شاهدت بالدنيا عبارات وعلوم
وعجايب بأحوال حام وسامي
أسج وأسبح بها كما الغرق بالنوم
كني على لوح به الموج طامي
كم دولة صالت وزالت لها حوم
أخبارهم وأذكارهم كالحلامي
استغفلتهم يم الأجداث بسهوم
يقطعك دنيا ما لعيشك دوامي
ما قدر الباري على العبد مقسوم
يسلم ويرضى بالقدر والسلامي

تنقيح القصائد

وقد بذل عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم القاضي جهوداً مضنية في جمع وتحقيق وتنقيح العديد من قصائد "ابن قاضي" -كما يعرّف به البعض- وذلك برواية عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي، وقد ساهم الثلاثة (الشاعر والمؤلف والراوية) في إثراء المكتبة العربية بمكنون الشعر النبطي الذي لطالما عانى من الضياع وتاه معظمه بين قلة المدونين، وندرة الرواة الحافظين، ناهيك عن ما بذله المؤلف من جهود مشكورة في تنقية شعر الشاعر محمد القاضي حيث أعاد له أشعار وقصائد نسبت لغيره، وهي من نظمه، ونوّه بقصائد ليست من نظمه ونسبت له، بل أنه أعاد قصائد وأبيات كانت من شوارد الشعر ولا يعرف من قائلها وقد استطاع المحقق إثبات نسبها للشاعر محمد القاضي.

مؤرخ وشاعر

من يقرأ عن اهتمام المؤرخ النجدي إبراهيم بن محمد القاضي بالشعر العامي وبتراجم كبار الشعراء فإنه يرى حرصه على سرد ترجمة عدد من شعراء عصره ومن سبقه، ذلك أن كثيراً من المؤرخين فات عليهم أن الشاعر النجدي المشهور محمد بن عبدالله القاضي إنما هو والد المؤرخ إبراهيم القاضي وبذلك يكون اسم المؤرخ النجدي إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن آل قاضي الأسرة الوهبية التميمية.

ولعل هذا التزاوج بين الشعر والتاريخ يذكرنا أيضاً بأبناء "آل لعبون" حيث المؤرخ الكبير حمد بن لعبون هو والد الشاعر ذائع الصيت محمد بن حمد بن لعبون، وفي أسرة آل لعبون كان الأب هو المؤرخ في حين كان الابن هو الشاعر المعروف وعلى النقيض من ذلك كانت أسرة آل قاضي حيث الأب هو الشاعر والابن هو المؤرخ، لكن ثمة ملمح آخر مهم لمن يُعنى بالمنهج التاريخي والأدبي وهو أن الابنين في كلتا الأسرتين نهلا من معين أبويهما، فالشاعر محمد بن لعبون عرفت قصائده بعمقها وشواهدها التاريخية، كما عُرف بمحاكاته ومجاراته لبعض القصائد العربية الفصحى كما ذكرنا في قصيدته التي جار فيها قصيدة ابن معصوم المدني، أما في أسرة آل قاضي فكانت الحال على النقيض حيث تأثر المؤرخ إبراهيم بأدب والده الشاعر محمد القاضي ولذا ستجد اهتماما بالغا من قبل المؤرخ إبراهيم القاضي بالقصائد العامية وبتراجم أصحابها كما هو موضح أعلاه.

مرضه ووفاته

ظل الشاعر إبراهيم بن محمد القاضي اسماً وعلماً بارزاً في عالم الأدب والشعر الشعبي، وفي حين أرخ المؤرخ ابن لعبون لوفاة ابنه محمد فقد أرخ إبراهيم القاضي لوفاة والده محمد القاضي الذي توفي في مدينة عنيزة عام 1285هـ وعمره قرابة 61 سنة، بعد أن تعرض لمرض عضال مدة لا تقل عن خمس سنين، وقال أثناء مرضه قصيدته المشهورة والمعروفة بـ"التوبة" التي يقول في مطلعها:

يا محل العفو عفوك ياعظيم
ولطفك اللي كافل كل الأنام
يا سميع ويا بصير يا عليم
يا قوي ويا متين ويا سلام
يا حميد يا مجيد يا حكيم
يا عزيز ذو الجلال والإكرام
يا عطوف يا رؤوف يا رحيم
جل شانه ما يهام ولا يرام
بنورك اللي يوم ناجاك الكليم
دك سينا خرّ موسى ثم قام
مُوحد ٍ يدعيك بالليل البهيم
وبالتخضع والتضرع بالظلام
خاشع لك خاضع لك مُستقيم
أسألك وادعيك بأسماءك العظام
أن تروف بحال من جسمه سقيم
علته تبراه له خمسة أعوام
داوني بدواك من داء أليم
واشفني بشفاك يا من لا يضام

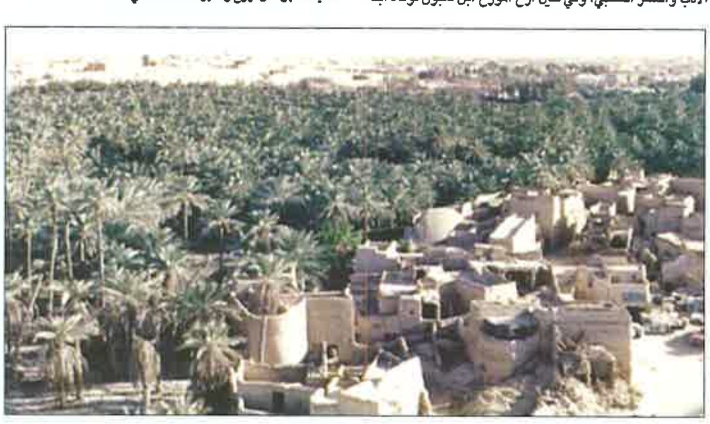
وكتب الله له أن يعيش بعدها خمس سنوات أخرى ليتوفى في عام 1285هـ رحمه الله رحمة واسعة.



قصيدة القهوة من أروع وأشهر القصائد القاضي



شكل القاضي ظاهرة فريدة في ساحة الأدب الشعبي



ولد القاضي في عنيزة وفيها توفي

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

رحمت الله الكيرواني.. مؤسس المدرسة الصولتية بمكة

مسيرة كفاح ونضال تضمنتها حياة الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرواني، فهو مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، وأحد أشهر علماء الهند، ومن أسرة لها باع طويل بالعلم والحكمة والطب، عرّض نفسه وماله وأرضه لأخطار الإنجليز، حيث كان من أوائل المناهضين للاستعمار الإنجليزي، وجاهدهم بقلمه وماله ونفسه، وكبّدهم خسائر فادحة فرصدوا مبالغ طائلة لمن يدلي بمعلومات عنه، فلجأ إلى مكة المكرمة، وقام بالتدريس في المسجد الحرام، وتخرّج على يديه العديد من العلماء والأساتذة، من داخل البلاد وخارجها وأحدث -رحمه الله- نقلة نوعية في مسار التعليم ومناهجه، وحوّله من التعليم التقليدي، إلى المعاصر ودراسة علوم الفلك والطب والهندسة، وسافر بطلب من سلاطين الدولة العثمانية فأكرموه، وقدروا مكانته العلمية ونضاله ضد المستعمر الأجنبي في الهند، وتقلد عددا من المناصب الهامة، وحظي بثقتهم، وأنزلوه منزل العلماء والمقربين كما ألّف مجموعة من الكتب والرسائل وفي مقدمتها (إظهار الحق) الذي تناول فيه خمسة مسائل رئيسية، واقتنت دار الإفتاء والبحوث العلمية بالمملكة نسخة من كتابه، ويشار إلى أن الملك عبدالعزيز زار المدرسة الصولتية وتفقد فصولها وأقسامها، وأثنى على القائمين عليها وقال عنها: (إن الصولتية هي أزهر بلادي) إضافة إلى إشادة العديد من أهل العلم والأساتذة بدور الصولتية في النهضة التعليمية بمنطقة الحجاز.

نستعرض جزءاً من سيرة الشيخ محمد رحمت الله وأبرز المحطات التي مر بها خلال حياته، لا سيما تأسيسه لمدرسة الصولتية في مكة المكرمة وبقاء أبنائه وأحفاده في هذه البلاد كأحد علمائها ومشايخها الذين كان لهم -ومن قبلهم والدهم- دور بارز ومهم في مسيرة التعليم في المملكة وتخريج عدد من الرواد وكبار المسؤولين في المملكة.

درس بالمسجد الحرام وتخرج على يديه العديد من العلماء وأسهم في تطوير مسيرة التعليم في المملكة

ولد الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرواني الهندي الحنفي سنة 1233هـ في العهد المنغولي، بحي (دربار كلان) ويعني الحي الكبير، في قرية كيرانة التابعة لمحافظة (مظفر ناجار) بالهند، في بيئة علم وطب وأدب وحكمة، وفي أسرة واسعة الثراء اشتهرت بمكانتها المرموقة وتقلد أفرادها المناصب العليا في الهند، حيث كان والده خليل الرحمن عالما معروفا، وكذلك فقد اشتهر أجداده بالطب ومنهم الحكيم الطبيب عبد الكريم (المعروف بحكيم بينا) والحكيم محمد حسن خليل الرحمن، وعبد الرحيم خليل الرحمن ويذكر أنه لما مرض الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر، ولم يفلح الأطباء في استشفاءه وعلاجه، فطلب من جده عبد الكريم وابنه الحكيم محمد حسن المساعدة والإسهام في علاج الإمبراطور، فكتب الله له الشفاء، فقربهما الملك منه ومنحهما أرضا واسعة بمقاطعة كيرانه، ووثقت هذه الأرض بمرسوم سلطاني، وأطلق على الحكيم عبد الكريم لقب (شيخ الزمان) وأصبح طبيبا خاصا للإمبراطور، وعلى إثر هذا التكريم فقد انتقلت الأسرة من (باني بت (Panipat)، وهو تقسيم إداري لدولة الهند تتبع لـ(كيرانه)، وشيّدت الأسرة القصور والبوابات الكبيرة، وتوسعت القرية وازدادت نشاطا، وأصبحت أكثر تنظيما حيث أقيمت فيها دور القضاء والهيئات الحكومية وعودا على نشأة الشيخ رحمت الله الكيراوني - رحمه الله - فقد تلقى تعليمه باكرا على يد والده، وممن حوله من أفراد العائلة، وحفظ القرآن الكريم وهو في الثاني عشر من عمره، ودرس كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وأتقن اللغة الفارسية ثم سافر إلى دلهي طلبا في الاستزادة من العلم، ودرس بمدرسة الأستاذ محمد حيات، ونال مزيدا من العلوم وتفوق على أقرانه، بعد ذلك انتقل إلى مدينة "إلىلكهنو" ودرس على العديد من العلماء والشيوخ، ومنهم الشيخ إمام بخش الصهبائي، الذي درس عليه وأتقن آداب اللغة الفارسية، كما درس الطب على يد الطبيب المعروف آنذاك محمد فيض، ودرس أيضا على الشيخ سعد الله المراد آبادي وأصبحت لديه خبرات تراكمية وعلم غزير، والتف طلبة العلم حول دروسه، وازداد الإقبال على حلقاته، مما دعاه لتأسيس مدرسة شرعية في كيرانه، وقد تفرغ للرد على الحملة التنصيرية، الأمر الذي شغله عن مواصلة تدريسه لطلبته، وقد تخرج من مدرسته الكثير من مؤسسي المدارس في الهند، وكبار المدرسين والكتّاب، وقد ألف رحمه الله كتبا كثيرة في الرد على التنصير، وصد نفوذ الإنجليز.

انتفاضته ضد الإنجليز

كان للشيخ رحمت الله الكيرواني دور كبير في مناهضته المستعمر الإنجليزي، ومن أوائل الداعين والمؤسسين للثورة الهندية سنة 1857 هـ. وكان في مقدمة من دعا إلى الجهاد، ووجوب الحرب على الإنجليز المحتلين يقف إلى صفه جمهور من العلماء، الذين أفتوا بوجوب الجهاد وصد المستعمر، فجاهد رحمه الله بنفسه وماله، وحث الناس على ذلك، وقام بوضع الخطط وإقامة التحالفات بمساندة عدد من العلماء والأساتذة منهم د/محمد وزير خان، ومولوي فيض أحمد بدايوني، وكذلك العلامة إمداد الله الفاروقي وكان للشيخ دور بارز في قيادة مجاهدي (شاملي وكيرانه) حيث تحرك الشيخ من معسكره في (نجيب آباد) إلى دلهي ومعه نحو مئتي جندي، وأعدّ رحمه الله عدة النصر فقام بتنظيم فرق الجهاد، وتوزيع الأسلحة البسيطة التي كانت متوفرة بين أيديهم والتي لا تقارن بأسلحة الإنجليز، وبالرغم من ذلك فقد أبلى المجاهدون بلاء حسنا، وخاضوا معارك عنيفة مع الإنجليز وبعد فشل الثورة صب غضب الإنجليز على القياديين والعلماء ومن له شأن ونفوذ ومكانة اجتماعية والمتسببين في قيام الثورة، فكانوا ينكلون بهم ويسومونهم سوء العذاب، وينصبون لهم المشانق، ويبحثون عنهم في كل مكان، وبلا شك كان في مقدمتهم رحمت الله الكيراوني، الذي كان له دور كبير في دحض وصد هجمات المستعمر الأجنبي.

الإنجليز يرصدون ألف روبية هندية لمن يأتي بالشيخ حيا أو ميتا

وبعد أن يئس الإنجليز من التفتيش عن الشيخ رحمت الله، ومن معه في قرية كيروانه، اتجهوا إلى (بنجيت) للبحث عنه، فطلب العمدة من الشيخ رحمت الله القيام بعملية تمويه، فارتدى زي الفلاحين وخالطهم، وبعد فشل الإنجليز في العثور على الشيخ، من خلال حملات التفتيش المكثفة والتي طالت كل منزل وقاموا باعتقال مجموعة من الشبان كرهائن، ولما لم يفلحوا قاموا باعتقال العمدة بتهمة إخفاء الشيخ رحمت الله، وأعلنوا عن جائزة مقدارها ألف روبية هندية لمن يأتي بالشيخ حيا أو ميتا، لكن بلا جدوى، فخرج الشيخ متنكرا باسم مصلح الدين، ووصل سوارت ثم بومباي، ومن ثم ظهر على زورق شراعي إلى الميناء اليمني (مخا)، ثم سافر برا إلى مكة المكرمة فوصلها سنة 1278 هـ.

تدريسه في المسجد الحرام

التقى الشيخ رحمت الله بن خليل الكيرواني، في مكة بالحاج إمداد الله الذي سبقه في الوصول إلى البيت الحرام، فطافا معا بالبيت العتيق ثم اصطحبه إلى سكنه، وتعرّف على كبار أهل العلم ومنهم الشيخ أحمد بن زيني دحلان إمام وخطيب المسجد الحرام آنذاك، الذي أعجب بعلمه الغزير وحجته في الأدلة والبراهين، فدعاه إلى منزله واستضافه، وشرح الشيخ رحمت الله ما يلاقيه المسلمين في الهند من الجور والتعذيب على أيدي المستعمرين الإنجليز ثم أجازه بالتدريس في المسجد الحرام كما طلب الشيخ دحلان من الشيخ رحمت الله أن يترجم للعربية (مسائل المباحث الخمسة) كما أحضر الشيخ رحمت الله كتب الرياضيات والهندسة وعلم الفلك والمناظرات الدينية إلى مكة بهدف تدريسها واطلاع الطلبة وأهل العلم على العلوم العصرية، حيث أن التدريس في المسجد الحرام كان يقتصر على العلوم الدينية واللغة العربية، وقام رحمه الله بتدريس (حجة الله البالغة في حكمة التشريع) و(شرح الجغميني في علم الفلك) وكذلك (مقدمة ابن خلدون) وكان يقوم بالتدريس في داره، وأثمرت هذه الجهود عن تخرج الكثير من العلماء والقضاة وكبار الموظفين على يديه وهناك الكثير ممن تلقوا العلم علي يديه ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الملك الشريف حسين بن علي الهاشمي مؤسس الدولة الهاشمية بالحجاز، والعلامة الشيخ أحمد أبو الخير مرداد المدرس بالمسجد الحرام وشيخ الخطباء والعلماء، وكذلك قاضي القضاة الشيخ عبد الله سراج مفتي الحنفية وشيخ العلماء بمكة ورئيس مجلس الوزراء بالدولة الهاشمية، والعلامة الشيخ أحمد الدين جكوالي مؤسس مدرسة مظهر العلوم بكراتشي، وأمين محمد علي مرداد المدرس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام ونائب رئيس محكمة مكة، وغيرهم.

تأسيس المدرسة الصولتية

لم يكن التدريس منظما آنذاك، وكان التعليم على الطريقة القديمة، ويقتصر وجوده في المسجد الحرام، وفي الكتاتيب، وكانت تدرّس علوم الدين واللغة العربية، فقام الشيخ رحمت الله الكيرواني رحمه الله، باستحداث أول مدرسة وفق النظام التعليمي الجديد، على نفقته الخاصة سنة 1285 هـ، في محيط الحرم بباب الزيادة، ثم نقلها إلى دار أحد أثرياء الهند المقيمين بمكة المكرمة (المعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندي بمحلة الشامية، وعرفت بمدرسة الشيخ رحمت الله أو المدرسة الهندية)، وتوافد الطلاب على المدرسة الجديدة واكتظت بطلبة العلم، وفي عام 1289هـ. قدمت إلى الحج امرأة هندية من (كلكتا) تدعى(صولت النساء بيغم)، وكانت تسمع بالشيخ رحمت الله، فتوصلت إليه وكانت تنوي إنشاء رباط في مكة المكرمة لسكنى الحجاج وحفظ أمتعتهم، فأخبرها الشيخ رحمت الله بكثرة الأربطة، وأن أبناء مكة بحاجة إلى مدرسة، وفوضت الشيخ بالأمر كله، فاشترى الأرض بمحلة (الخندريسة) وأشرف على بنائها، وقام بتدشينها كأول مدرسة نظامية في الحجاز بجوار البيت الحرام وكان ذلك في منتصف شعبان من عام 1290هـ، وانتقل الطلاب والمعلمون إليها في الرابع عشر من محرم سنة 1291هـ، وأقيم حفل كبير حضره جمهور من العلماء وكبار الشخصيات، ابتهاجا بافتتاح أول مدرسة نظامية إلا أن القنصلية الإنجليزية حاولت إغلاق المدرسة، بمخاطبتهم للوالي العثماني، وأوضحوا له أنها تشكل حركة أجنبية تعمل داخل البلاد، ولكنهم لم يفلحوا وصدهم الشيخ رحمت الله عن مغزاهم، بحيث يبتعد الطلاب والمدرسين عن الأمور السياسية والخلافات المذهبية، والعصبيات القومية، مما ساعد على استمرار المدرسة كما كان هناك مكان خصص للطلاب الفقراء والغرباء في المدرسة يوفر لهم السكن ويقدم لهم الطعام دون مقابل وتخرج من المدرسة الصولتية العديد من طلبة العلم الذين تقلدوا مناصب عليا في بلدانهم، وأسسوا مدارس دينية ودور لحفظ ودراسة علوم القرآن الكريم، كما كلف -رحمه الله- محمد سعيد ابن أخيه علي أكبر بإدارة المدرسة وزار الملك عبدالعزيز -رحمه الله- هذه المدرسة العريقة.



في 28 جمادى الآخرة سنة 1344 هـ، وبرفقته الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف ياسين، وتفقد أقسامها وأثنى على القائمين عليها قائلا: (إن الصولتية هي أزهر بلادي) ثم تعاقب على إدارة المدرسة أبناء وأحفاد محمد سعيد، كما(تمت معادلة شهادة المتخرجين التي تمنحها هذه المدرسة واعترف بها الأزهر بتاريخ 1964/7/17م، وهي تعادل الثانوية العامة وتؤهل المتخرجين للالتحاق بالجامعات السعودية والكليات الأزهرية)، كما أشاد عبد الوهاب أحمد عبد الواسع وكيل وزارة المعارف السعودية بالمدرسة الصولتية وقال:(وإذا أردنا أن نقرر واقع الحركة التعليمية رغم سوءه، فإن بداية القرن التاسع عشر كانت بداية إرهاصات تعليمية ظهرت في الأفق على يد أبناء البلاد وبعض الجاليات الإسلامية وأهمها المدرسة الصولتية بمكة).

تنقلاته بين مكة والدولة العثمانية

في سنة 1280 هـ طلب السلطان عبدالعزيز خان الاستفسار عن قصة الثورة الهندية، وأرسل إلى شريف مكة عبدالله بن عون بهذا الخصوص، فأخبر بوجود الشيخ رحمت الله في مكة، فطلبه واستضافه السلطان واستقبله بموكب رسمي في رجب سنة 1280هـ، وأنزله بالقصر الهمايوني، ورفعه وجل مكانته، حيث شرح له الشيخ حقيقة الثورة الهندية، ولما علم السلطان بالحقائق أنزل عقابه بالمنصرين وأغلق مراكزهم، وطلب من الشيخ تأليف كتاب في الرد على النصرانية فألف كتابه (إظهار الحق)، كما طلب منه أن يحدثهم عن المناظرة ودور العلماء، والمجازر التي ارتكبها الإنجليز بحق المسلمين بالهند وقام السلطان بإكرام الشيخ وقرّبه منه وحرص على أن يلتقي به كل مساء، ومنحه الخلعة السلطانية والوسام المجيدي من الدرجة الثانية، وشغل عددا من المناصب العليا، حيث عينه السلطان عضوا بمجلس الوالي بمكة، وكان يحضر اجتماعات المجلس الأعلى لشؤون الدولة مع رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي، وشيخ الإسلام أحمد أسعد المدني، وغيرهم من الشخصيات المؤثرة، وكان يتقاضى راتبا شهريا قدره خمسمائة مجيدي ثم بعد ذلك طلب من السلطان السماح له بالعودة إلى مكة المكرمة لمواصلة تدريسه، فأذن له وقام بتوديعه بنفسه ولما عيّن عثمان نوري باشا واليا على الحجاز سنة 1299 هـ، قام الإنجليز بإطلاق الوشايات وإقناع الوالي بأن المدرسة الصولتية، إنما هي حركة للإطاحة بالخلافة العثمانية والمعروف أن الوالي عثمان باشا كان رجلا عسكريا شديد البأس، فاشتد الخلاف بينه وبين الشيخ رحمت الله الكيراوني، وعلم بذلك السلطان عبدالحميد الثاني، فأرسل في طلب الشيخ، وحضر إلى دار الخلافة فاستقبل بالحفاوة والتكريم ومنحه السلطان عبدالحميد الخلعة الملكية الذهبية والوسام المجيدي، كما منحه لقب (فايا حرمين شريفين) - أي ركن الحرمين الشريفين - وألبسه عباءة هذا اللقب، كما منحه الشيخ أحمد أسعد المدني (سند رؤوس) من المشيخة الإسلامية، وهي وثيقة شرف وامتياز، ثم رغب في العودة إلى مكة وودعه السلطان وداعا رسميا، وكان في مقدمة مستقبليه الوالي عثمان نوري حيث اعتذر للشيخ رحمت الله عما بدر منه وبعد فترة من مكوثه بمكة المكرمة أصيب الشيخ رحمه الله بضعف في بصره، ولما علم السلطان بذلك طلبه للعلاج فعاد مرة أخرى لدار الخلافة عام 1304هـ، يرافقه تلميذه (عبدالله جي) الذي أشاد بتكريم السلطان عبد الحميد لهما، وذكر(أنهما كانا يفطران مع السلطان ويصليان معه العشاء والتراويح) وطلب السلطان أمهر الأطباء الذين قرروا بعد الفحوصات إجراء عملية جراحية بعد شهرين، إلا أن الشيخ رفض الانتظار، واستأذن السلطان بالعودة إلى مكة المكرمة، وبعد فترة قام أحد الأطباء بإجراء عملية جراحية لعينيه لكنها لم تنجح، واستعان بحفيده محمد سعيد - المدير الثاني للمدرسة الصولتية - لقراءة الكتب والرسائل الواردة إليه، كي يمليه الرد على أصحابها.

مؤلفاته

للشيخ رحمت الله الهندي عدة مؤلفات باللغة العربية والفارسية والأردية، ومنها إظهار الحق، وهو من أهم مؤلفاته، الذي تضمن المسائل الخمس (التحريف، والنسخ، والتثليث، وحقية القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وله عدة طبعات ومنها طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ومن مؤلفاته أيضا البروق اللامعة، وتقليب المطاعن، وأحسن الأحاديث في إبطال التثليث، وغيرها العديد من المؤلفات والرسائل .

وفاته

توفي الشيخ رحمت الله الكيرواني في مكة المكرمة بتاريخ 22 من شهر رمضان لعام 1308 هـ ودفن في المعلاة مقبرة مكة المكرمة بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة، عن عمر يقارب خمسا وسبعين سنة رحمه الله رحمة واسعة.



المدرسة الصولتية في مكة في بداية عهد المدارس النظامية في المملكة



كان للكيرواني دور بارز في مسيرة التعليم في المملكة



حول رحمت الله التعليم من التقليدي إلى المعاصر بفضل سعة علمه



ولد الكيرواني في قرية كيرانة بالهند وكان أحد أشهر العلماء بالهند في عصره

عمر عبدالجبار..
مؤسس أوّل مدرسة للبنات بمكة

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.



إعداد - منصور العساف

المربي والمعلم عمر يحيى عبد الجبار مؤسس أول مدرسة لتعليم الفتيات بمكة المكرمة، بذل جهوداً مضنية وحثيثة لإرساء منارة لتعليم البنات، وصرحاً تعليمياً غير مسبوق، وكان يهدف من ذلك إلى نشر التعليم في مكة المكرمة، حيث لم لا توجد خلال تلك الفترة مدارس نظامية لتعليم الفتاة السعودية، كما كان -رحمه الله- رائداً في تأليف الكتب المدرسية بما يتوافق مع الفئات العمرية للطالبات، وكان -رحمه الله- مؤلفا قديرا حيث ألّف مجموعة من الكتب، وكذلك فقد عني -رحمه الله- بطباعة ونشر السير وتراجم الأعيان، كما حرص على تأليف الكتب المدرسية.

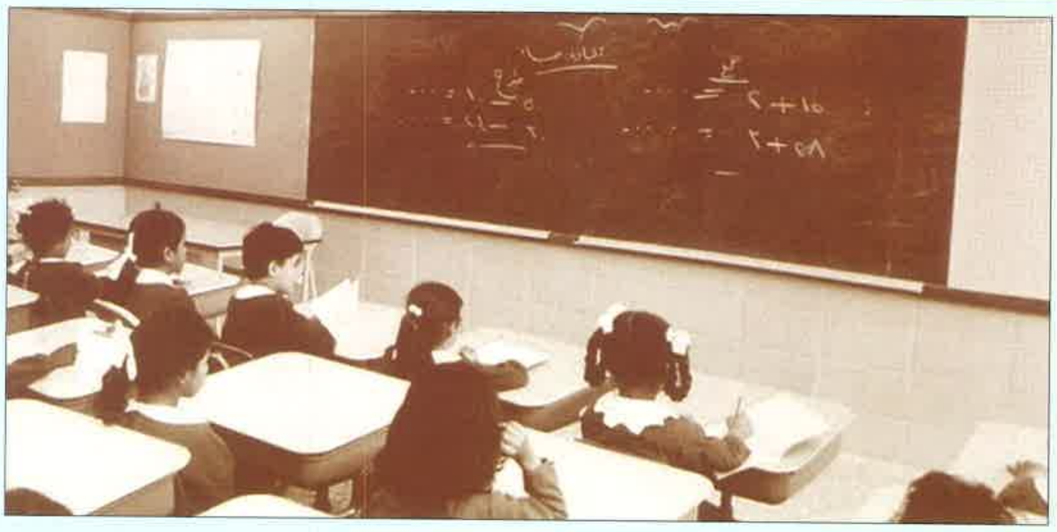
ولم يقتصر دوره على محيط مكة المكرمة حيث كان له نشاط كبير في أداء رسالته التعليمية في عدد من الدول العربية والإسلامية لتعليم اللغة العربية والعلوم الأخرى، وإضافة إلى دوره في نشر التعليم فقد كان مؤلفاً بارعاً له مجموعة من الكتب المتنوعة لا سيما تلك التي تحكي وتستقصي سير العلماء في العاصمة المقدسة، بل لقد أصبح كتابه (سيرة وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة) مرجعا للباحثين والمهتمين بتاريخ علماء مكة المكرمة والدروس التي كانت تقام في البيت الحرام.

وقد اتجه الشيخ عمر لإنشاء مدرسة للفتيات رغبة منه في تعليم الفتاة السعودية حيث لاحظ ان الشباب السعودي المتعلم يتزوج من خارج البلاد رغبةً في الارتباط بامرأة متعلمة، فأراد -رحمه الله- نشر التعليم والقراءة ليقدم الشباب على الارتباط من بنات البلد، ولم يكن هدف الشيخ عمر عبدالجبار مادياً من افتتاح مدرسة الزهراء بل أنه ينفق عليها من ماله الخاص بهدف مواصلة وتنمية الجهود الحثيثة لتعليم للفتيات، ولذا فقد اقترن اسمه بباكورة المناهج الدراسية في العهد السعودي.

تولى عدداً من المناصب في عهد المؤسس..
واقترن اسمه بباكورة المناهج الدراسية في المملكة



الشيخ عمر عبدالجبار -رحمه الله-



أسس عبدالجبار أول مدرسة لتعليم البنات في المملكة

نشأته

ولد مؤسس أول مدرسة لتعليم الفتاة في تاريخ مكة المعاصر، الشيخ عمر يحيى عبدالجبار بمكة المكرمة عام 1320هـ، وترعرع بها والتحق بالتعليم في صغره بالحرم المكي، وتلقى التعليم على أيدي كبار العلماء، ثم التحق بالمدرسة العسكرية، وتخرج برتبة ضابط من الكلية العسكرية، وكان ذلك في عهد الشريف حسين رحمه الله، ويشيد الأديب الكبير عبدالقدوس الأنصاري بدور الشيخ عمر بن عبدالجبار وكفاءته التعليمية ويتحدث عن مسيرته موضحاً أنه درس الفنون العسكرية في زمن الدولة الهاشمية، حيث دخل المدرسة الحربية، (وهي أول مدرسة حربية أنشئت في بلاد العرب، وتخرج منها ضابطاً، وزاول الحياة العسكرية القاسية في تمريناتها، وأعمالها المرهقة) وبعد أن آل الأمر إلى الملك عبد العزيز - رحمه الله -تولى الشيخ عمر عدداً من المناصب والمهام ومن ضمنها مدير شرطة الآداب وضابط بالأمن العام، ومنصب مدير دار الأيتام، ومساعد مدير المعهد العلمي السعودي، ومفتش في أمانة العاصمة بمكة ومدير عام الجوازات، إضافة لعضويته في مؤسسة مكة للطباعة، كما نشر الشيخ عمر عبد الجبار التعليم في عددا من الدول العربية والإسلامية ومنها عدن وحضرموت والعراق واندونيسيا التي لا تزال كتبه تدرس بها.

ويعتبر من أوائل المؤلفين للكتب الدراسية للأطفال باللغة العربية في تلك الديار النائية، وقد أمضى قرابة عشر سنوات في التأليف، ثم عاد إلى المملكة، ولأن مكة المكرمة كانت ومازالت مهد العلم والعلماء فقد حرص الشيخ عمر على افتتاح مكتبة علمية قرب باب السلام واجتهد -رحمه الله- لتكون هذه المكتبة زاخرة بمختلف الكتب متعددة المعارف متنوعة الحقول.

تأليف المناهج الدراسية

إضافة لنشره التعليم ودوره البارز في المجال التعليمي، فقد كان رحمه الله مؤلفا قديرا حيث ألّف مجموعة من الكتب، وكذلك فقد عني بطباعة ونشر السير وتراجم الأعيان، كما حرص على تأليف الكتب المدرسية ومنها (الحساب الحديث مقرر للسنة الخامسة الابتدائية) و(المحفوظات لطلبة السنة السادسة الابتدائية)، ومقرر (منهاج الصحة للسنة السادسة الابتدائية) حيث قام الشيخ عمر بن عبدالجبار -رحمه الله- بتأليف كتب مبسطة للأطفال وهادفة، لبناء شخصية الطفل وفق مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف، الدالة على الرفعة والأخلاق الحميدة وتنمية المهارات والأفكار والعقول تنقية المنهج التربوي مما قد يشوبه من الأفكار والنظريات الخاطئة، وفي هذا الإطار فقد كتب يحيى الحاج يحيى في وصف العلاقة بين الشيخ عمر عبدالجبار وتأليفه لكتب الأطفال والنشء التي لا يجيدها إلا الموهوبون ممن يملكون أسس نقية في علوم التربية وذلك بقوله: "إن إمارة نجاح شعر الطفولة أن ينال إعجابهم مباشرة دون واسطة، وأن يكون ذا هدف ومعنى وقد صيغ بلغة بعيدة عن الكنايات والاشارات الضمنية يدخل ضمن تجاربهم ويتحدث عما يثير عواطفهم البريئة ومشاعرهم الرقيقة" ومبيناً أن هذه الكتب المبسطة أوضحت للطفل الصفات الحسنة كالأمانة وطاعة الوالدين والتربية على الأخلاق الفاضلة.

وأشار إلى إسهام المدرسة التي أسسها الشيخ في إبراز القدرات والمواهب الفكرية، حيث أنشأت مجلة خاصة تصدرها المدرسة وتحتوي على مقالات وطرائف من إعداد الطالبات، كما سعت المدرسة إلى أقامة المعارض التي تبرز إنتاج الطالبات من الاشغال والتطريز والرسم وايضاً الأطباق المنوعة والطهي، ويقول الشيخ عمر عبدالجبار عن تجربته في وضع المناهج المدرسية باندونيسيا (وضعت كتباً مدرسية للمدارس العربية في إندونيسيا تتمشى مع رغبتهم، وبيئتهم فلقيت من تشجيع السيد محمد طاهر الدباغ -رحمه الله- (أحد مؤسسي ورواد التعليم في بلادنا وأول مدير للتعليم بالمملكة العربية السعودية) ما حفزني إلى متابعة التأليف والنشر والطبع، ومثله من يقدر، ويشجع على ما فيه الصالح العام) كما قام -رحمه الله- بطباعة ونشر الكتب لعدد من العلماء، دعما منه للحركة التعليمية كطباعته مقرر التوحيد للسنة الرابعة الابتدائية للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكتاب (عمدة الأحكام من كلام خير الأنام للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي) و(حياة سيد العرب)، و(تاريخ الكعبة) وتاريخ المسجد الحرام وغيرها من أمهات الكتب، كما أصدر عدداً من كتب السير والتراجم مثل كتابه (سيرة وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة) بعدة طبعات منقحة، ويعد الكتاب أحد المراجع في سير وتراجم مجموعة من العلماء المكيين، وتناول جوانب مهمة في مسيرتهم وبذلك الجهود المضنية لتوثيق مآثرهم، وإنجازاتهم، وكان عبدالقدوس الأنصاري -رحمه الله- قد أشاد بالشيخ عمر وكتبه التي وصفها بأنها(إنه منقبة سيذكرها تاريخ هذه البلاد بكل تقدير للمؤلف وسيكون هذا الكتاب عندها مرجعاً علماً قيماً ويدخل مؤلفه الفاضل التاريخ بعد حياة طويلة من باب اعتقد انه ضيق) كما نشر -رحمه الله- ضمن كتابه (دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام).

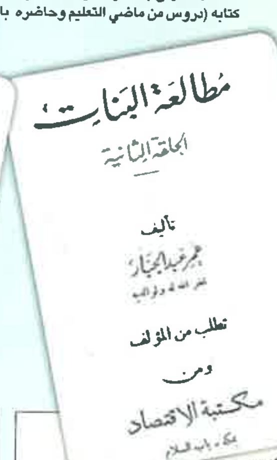
مدرسة الزهراء

يعتبر عدد من الباحثين مدرسة الزهراء أول مدرسة لتعليم الفتاة في تاريخ مكة المعاصر، وقد اختار الشيخ عمر عبدالجبار -رحمه الله- المكان الملائم لإنشاء المدرسة فحي (الزهراء) هو عبارة عن متنزه لأهالي مكة المكرمة، ويذكر أن الشيخ عمر اتجه لإنشاء مدرسة للفتيات رغبة منه في تعليم الفتاة السعودية حيث لاحظ (أن الشباب السعودي المتعلم يتزوج من خارج البلاد رغبةً في الارتباط بامرأة متعلمة) فأراد -رحمه الله- نشر التعليم والقراءة ليقدم الشباب على الارتباط من بنات البلد، وفي كلمة ألقتها السيدة نوال إبراهيم مديرة المدرسة في ذلك الوقت إبان حفل إقامته السيدة فوزية الجفالي في مكة المكرمة إحياءً لذكرى مدرسة الزهراء وذكرى مؤسسها تحدثت فيه عن البدايات والصعوبات التي واجهات الشيخ إبان مرحلة التأسيس حيث قالت: (بدأنا العمل وكان مكتب الاستاذ عمر عبدالجبار خارج المدرسة لمقابلة أولياء الأمور ومتابعة كل أمور المدرسة الخارجية.. توليت انا مقابلة الطالبات وتسجيلهن وتوزيعهن على الفصول الدراسية)، موضحةً أن تنسيق الفصول والجداول والمقابلات الشخصية والمناهج كل مدرسة حسب اختصاصها أخذت جهداً كبيراً. وقالت إن مكتب المديرة كان مجهزا للإذاعة المدرسية وآلة كاتبة وآلة لطباعة اسئلة الاختبارات، ومستلزمات فصول الدراسة، كما كانت ساحة المدرسة مجهزة بالألعاب المسلية للأطفال، وكذلك غرفة التدبير المنزلي لتعليم الطالبات فن الطهي، وأخرى للخياطة لتعليمهن الخياطة والتفصيل، وكانت المدرسة تحتفي بالناجحات حيث يقام نهاية كل عام حفل تكريم للطالبات تدعى إليه الأمهات للمشاركة في تكريم وتشجيع بناتهن.

الجدير بالذكر أن الشيخ عمر قام بتوفير المواصلات للطالبات، حيث اشترى الحافلات التي تؤمن نقل الطالبات في المواعيد المحددة وتتقاضى اجورا رمزية مقابل هذه الخدمة، وكان يتابع بنفسه شؤون المدرسة، ويتحمل عناء السفر لاستقطاب الكفاءات العلمية من الدول العربية لإدارة المدرسة.. أما بالنسبة لأقسام وفصول المدرسة فقد كانت تتكون من مرحلة الروضة (بنين وبنات) وتشمل الفئات العمرية من (3-5) سنوات وتستمر لأربعة سنوات ثم يتم اختبار الطالبات لقبولهن في نصف العام الدراسي الأول للسنة الأولى دراسية، كما تم افتتاح فصل خامس ابتدائي لنقل الناجحات في نهاية العام الدراسي بعد اجتياز الاختبارات، ومن ثم استمرار مواصلة التعليم لحين حصولهن على الثانوية العامة، والتحاقهن بالجامعات أو التعليم العالي، وأثمرت هذه الجهود عن تخريج العديد من الطالبات والحصول على الشهادات العليا بمختلف المجالات.

وفاته

توفي الشيخ عمر بن يحي عبدالجبار في العاصمة المقدسة التي أحبها وسعى لخدمتها طيلة مراحل عمره، وذلك في السادس عشر من شهر محرم من عام ألف وثلاثمائة وواحد وتسعين للهجرة النبوية، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة، وقد نعت المملكة آنذاك حكومة وشعبا المربي والشيخ عمر بن يحي عبدالجبار أحد رواد التعليم في بلادنا، كما نعاه العلماء والشعراء الذين فقدوا برحيله أستاذا ومربيا فاضلاً رحمه الله رحمةً واسعة.



اقترن اسم عبدالجبار بباكورة المناهج الدراسية في المملكة



كان الفقيد رائداً في تأليف الكتب المدرسية



أسهم الفقيد في الانطلاقة الأولى لتعليم البنات بمكة



تلقى الفقيد تعليمه على أيدي كبار العلماء بمكة

كنوز اليمامة

